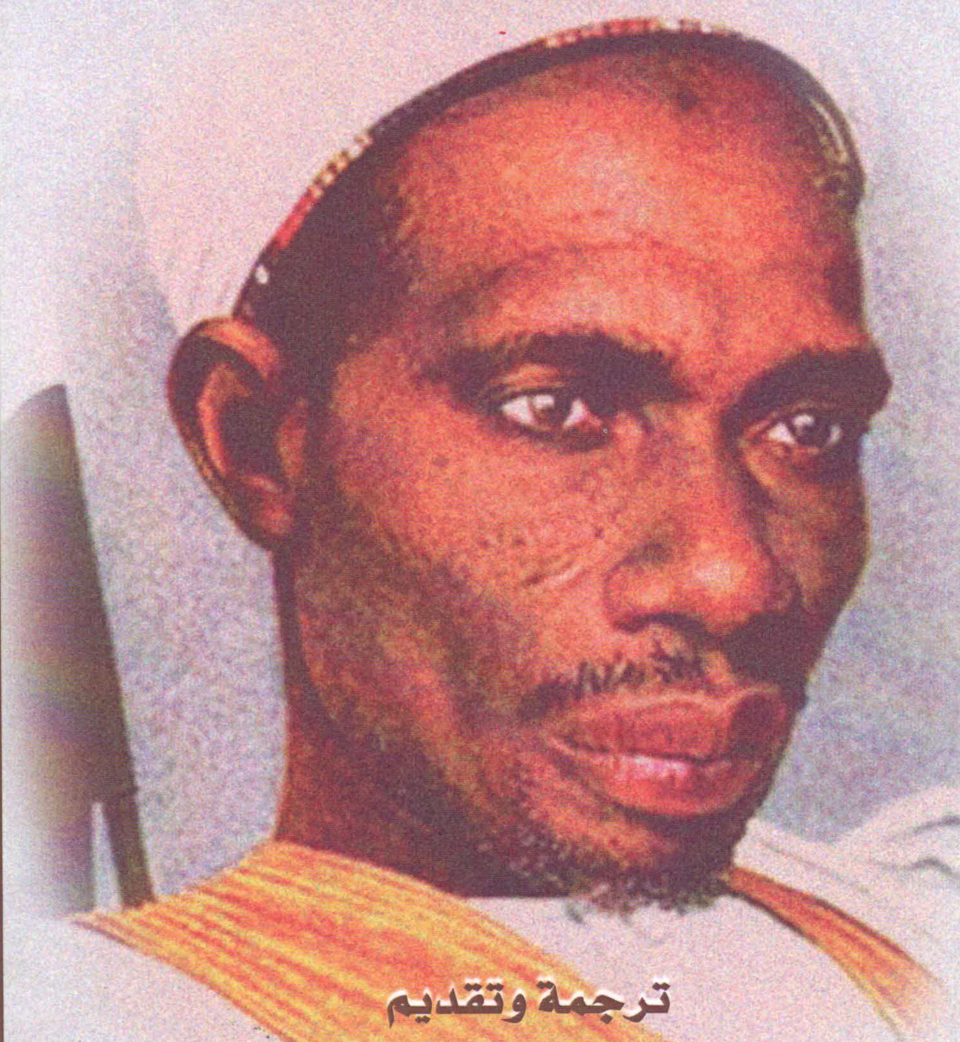
المركز القومى للترجمة

تريفور كلارك

رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان

الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا



ترجمة وتقديم

صبرى محمد حسن

1532

المشروع القومى للترجمة

الجزء الثالث



هذه هى السيرة الذاتية الأولى للحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، رئيس وزراء نيجيريا المستقلة. والكتاب يعد دراسة وافية لحياة الرجل وأزمانه، فضلا عن كونه أيضا تبصرا جديدا فى تاريخ أكثر الدول الإفريقية سكانا فى القرن العشرين، وربما تكون أهم الدول الإفريقية، على حد قول البعض. الكتاب قصة فريدة لرجل فريد يرويها واحد من أولئك الذين يعرفون أبا بكر حق المعرفة.

تصميم الغلاف: عبد الحكيم صالح

رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا

(الجزء الثالث)

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1532
- رجل شريف ماجد: سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا (الجزء الثالث)
- تريفور كلارك
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

A Right Honourable Gentleman:

The Life and times of Alhaji Sir

Abu bakar Tafawa Balewa

By Trevor Clark

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

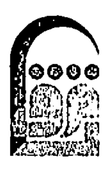
رجل شريف ماجد

سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا

(الجزء الثالث)

تـألـيـــف : تريفور كلارك

ترجمة وتقديم : صبرى محمد حسن



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كلارك ، تريفور.
رجل شريف ماجد: سيرة وأزمان الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا (ج٣) تأليف: تريفور كلارك، ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن.
ط١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٥٩٦ ص ، ٢٤ سم
١ - السياسيون النيجيريون .
٢ - باليوا ، أبو بكر تافاوا ١٩١٢-١٩٦٦
(أ) حسن ، صبرى محمد (مترجم)
(ب) العنوان ٩٢٣,٢٠٦٦

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢٢٣٤٩
الترقيم الدولى 5-715-479-977-978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

القسم الخامس : سياسى الكمنولث الإفريقى فى دنيا ملكية 7

الفصل الحادى والثلاثون : خطوات الطبيعة المتواضعة وصولاً إلى المسرح العالمى 15

الفصل الثانى والثلاثون : خرافة كاملة فى نهاية عام الاستقلال 41

الفصل الثالث والثلاثون : مؤتمر الكمنولث - الشئون الخارجية والأمن 93

الفصل الرابع والثلاثون : بعد منروفيا - اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية المستشارية الخاصة 161

الفصل الخامس والثلاثون : نهاية العام الأول 253

الفصل السادس والثلاثون : عام حافل بالمتاعب - الضعف الاقتصادى والابتعاد عن بريطانيا 275

الفصل السابع والثلاثون : تشجيع الاقتراعات يهدد مستقبل الديمقراطية 339

الفصل الثامن والثلاثون : المعالجة الصاخبة للمسألة الجمهورية 361

الفصل السادس : الزعيم الوحيد لجمهورية قصيرة الأجل ١٩٦٣ - ١٩٦٦ 395

الفصل التاسع والثلاثون : السرطان القابل للشفاء - مراجعة التعداد 415

الفصل الأربعون : عناد التعداد والإحباط الاقتصادى يدعمان تحدى العمالة ... 449

الفصل الحادى والأربعون : الأحزاب تتحاز إلى بعضها البعض من جديد 477

الفصل الثانى والأربعـون : انتخابات "المناصفة" العامـة – سـرطان آخـر لا لزوم له 505

الفصل الثالث والأربعون : رئيس غير تنفيذى يستبدئ أزمة دستورية 561

القسم الخامس

سياسى الكمنولث الإفريقى فى دنيا ملكية

١٩٦٠ - ١٩٦٣

لعل الله يُهيئ لى مدخلاً، وسوف أجد أنا مخرجى

لعل الفرصة تتهيأ لى(*)

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى الذى يقول: Ae bird in haun (hand), is worth tem fleeand (Flying) والذى ترجمته عُصفور فى اليد خير من عشرة طيور. (المترجم)

استقلال بلد جديد كبير لا يشكل بعض المشكلات ويفرض بعض المطالب على زعمائه وحدهم، وإنما يضع مثل هذه المشكلات والمطالب أيضًا على عاتق أعداء هؤلاء الزعماء، وبشكل لا يمكن أن يخطر على البال. هذا الاستقلال يفرض أيضًا بعض التغييرات فى توازن القوى الخارجية. هذا يعنى أن الأحقاد والتنقلات التى تنجم عن مسألة الاستقلال هذه تكون مقلقة وغير مريحة لهؤلاء الذين كانوا يتصرفون على هواهم عندما كانوا يعيشون فى المجالات الضيقة المألوفة لهم. فى العام ١٩٦٠ الميلادى، كان هناك سياسيون أجانب وأكاديميون لم يكونوا راضين عن أو راغبين فى تلك المراجعات والتوازنات التى ينطوى عليها الاتحاد الفيدرالى الديمقراطى، أمثال هؤلاء الناس كانوا ينتقدون أولئك الذين يحبذون لنيجيريا أن تكون دولة مستقلة ديمقراطية على شكل اتحاد فيدرالى، ومع ذلك لم يكن لديهم البديل الذى يقدمونه عوضًا عن ذلك - اللهم إلا إذا كان ذلك عن طريق الحكم باستعمال القوة، وهذا أمر واضح وبين عندهم. زد على ذلك أن اتحادًا فيدراليًا قويًا، يحالفه النجاح يعد، تحت أى ظرف من الظروف، إهانة وتحديًا للدكتاتوريات ولحكومات القلّة(*) فى الأماكن الأخرى. من بين معايير تعرف أولئك النيجيريين الذين كانوا بمثابة زعماء البلاد فى المرحلة الأولى من إنشاء هذه الدولة - أن نسأل: من من هؤلاء الزعماء كان مسئولاً عن الاحترام المتزايد الذى سرعان ما حصلت عليه البلاد فى مجال العلاقات الدولية؟ ومن الذى يرتب وينضم من

(*) حكم القلّة: Oligarchy: حكومة تهيمن عليها جماعة صغيرة همها الاستغلال وتحقيق المنافع الذاتية. (المترجم)

أجل تقوية الانقسامات الداخلية؟ الرد على هذين السؤالين يكمن فى دوافع أولئك الذين يسعون طلبًا للقوة والسلطة ليس إلا، ودوافع أولئك الذين ينشدون السلطة لاستعمالها فى نطاق الصالح العام.

الفلاحون الأفارقة المهتمون بشئون الزراعة يعرفون أن جذور الأعشاب الضارة يتعين تجويعها لا تغذيتها. وهم يعرفون أيضًا أن حاملات الصُّبير التى تحمى القرى المتخلفة النائية أو الحقول النائية والبعيدة، إنما جرت زراعتها لمنع المبادلات غير المرغوب فيها ووقفها والتى تجيء من الغرباء، أو تكون من إنتاج غير مطلوب أو مرغوب فيه أيضًا، لكن هذه النباتات الشوكية تمنع الغرباء أيضًا من التمتع بمحاصيل غير مألوفة يمكن أن تستخدم فى تغذية الجماعتين على حد سواء، والتى يمكن (بعد تقديم شكل من أشكال التبادل السوقى العادل) أن تؤدى إلى طعام أثرى وأطعم وألذ عند الجميع فى المقام الأول - هذا إذا ما كان الإنتاج مناسبًا لإكثار البذور أو إن شئت فقل: النقل لزراعتها من جديد.

التجار الأفارقة المواطنون لا يهتمون سوى بالاستقرار المدنى، ولا يهتمون كثيرًا بمسألة ما إذا جاء الأمن اللازم لهذا الاستقرار عن طريق الانتخابات الحرة أو عن طريق فرض القوة.

الساسة الأفارقة "المحترفون" لا يشاركون الفلاحين أو التجار الذين من أهليهم، هذه الحكمة، كما أصبح واضحًا أن الشرقيين هم وأهل "الغرب الأوسط" (شأنهم شأن منطقتى بنين والدلتا المعروفتين) كانوا أكثر استعدادًا للدخول إلى مجال السياسة أكثر من كثيرين من إخوانهم التنفيذيين فى أجزاء أخرى من البلاد.

تميزت السنوات الأولى من سنى حكومة أبى بكر الديمقراطية التى كان هو رئيسًا لها. بتصميم الرجل على استعمال الأشكال النموذجية واحترام موروث هذه البلاد الذى تعرفه أبو بكر على أفضل نحو ممكن بعد تعرفه التراث الخاص به هو. هذه السابقات جرى النص عليها فى الدستور الفيدرالى الذى جرى تطويره عن طيب خاطر

ورغبة أكيدة وجرى تأييده ودعمه من سياسيى البلد المحترفين. صحيح أن الدستور وقعت فيه بعض الأخطاء التاريخية وحدث فيه أيضًا شيءٌ من التنافر، لكن لم يكن هناك بديل فى بداية الأمر، يزاد على ذلك أن التصميم من قبل الأغلبية على تبنى ذلك الدستور والعمل به، حتى وإن كان هدفهم من وراء ذلك هو تأخير الاستقلال، يفند أى زعم بأنهم لم يعرفوا شيئًا أفضل من ذلك. ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أنه بعد حدوث التوتر فى الإقليم الغربى، جاء رد فعل رئيس الوزراء، والذى باركه رفاقه، على العكس من رد مدرس المدرسة الصبور، عندما يعرف أن فصله سيئ التصرفات إلى ما هو أبعد من المطلوب، أو رئيس الحى القديم الذى يتخذ إجراءً لاستعادة النظام إلى حد ما يراه هو على أنه القانون أو (ما يمكن أن يلتمس له رؤساؤه عنده الأعذار)، هذا يعنى أن كليهما كان يفهم مسئوليته وأن غضبهم المباشر لابد وأن يحمل موافقة الأغلبية التى كانت منظمة تنظيمًا جيدًا. قد يعنى هذا أن شيئًا قليلاً من سوء الخلق والتصرفات والاضطراب فى الإقليمين الشرقى والغربى قد لا تحصل على الجزاء العادل، وقد يعكس ذلك أيضًا قدرًا كبيرًا من التسامح فيما يتعلق بالقانون شبه العسكرى من جانب النيجيريين فى الإقليم الغربى.

على الرغم من ذلك، فإن البلد الذى قدم خلال هذه السنوات الثلاثة النماذج التى يمكن أن تحتذى، لقى عثرته الأولى وهو بعيد عن حمام الكمنولث الدافئ، عندما بدأ يتجه صوب مباهج "الجماعة الاقتصادية الأوروبية الأكثر برودة"، وأخذت نيجيريا بطريقتها الخاصة تقلل من مصداقية الكمنولث عن طريق جعل منظمة الوحدة الإفريقية أمرًا واقعًا. وقد اتضحت أهمية هذين التحركين بعد ذلك بحوالى جيل من الزمان، عندما لم تعد تلك المؤسسة جديدة أو محط اهتمام المتحمسين أصحاب العقلية الواحدة. الأكثر أهمية من ذلك فى ذلك الوقت هو الحقيقة التى مفادها أنه حتى قبل إعلان الجمهورية كان النيجيريون الموجودون فى الخارج قد اكتسبوا معنى الذاتية

والثقة بالنفس، اللذين أعجبا السواد الأعظم من "سادتهم" السابقين "وزعمائهم، وشركائهم وأصدقائهم السابقين أيضًا"، كل ذلك على الرغم من أن الغرباء الحساسين الذين كانوا يغارون من نفوذ هذا البلد الجديد ويحسدونه عليه، كانوا يرون ذلك الاعتداد بالنفس على أنه نوع من الغطرسة والتعالى. كان أبو بكر يرمز إلى هذه الشخصية ويخفف كثيراً من هذه الصورة الذهنية.

على المستوى المحلى، وبصورة مؤسفة، كان النيجيريون لا يزالون يميلون إلى تقييم التقدم بمقياس وصول مجموعات اثنية بعينها إلى السلطة أو حرمان مثل هذه المجموعات من السلطة. فى نهاية تلك الفترة كان النيجيريون قد أعطوا السير الحاج أبا بكر الثقة المؤيدة والاستقرار العادل، يضاف إلى ذلك أن شخصية الرجل وخبرته ربما يكونا قد تغلبا على نقاط ضعفه الفكرى، من منظور المشككين فى قدرات الرجل، عن نقاط الضعف هذه، يحتمل أن أبا بكر فى ذلك الوقت كان يقف على صخرة الأساس الآمنة، ليصبح بذلك أول سياسى عالمى إفريقى أسود. صحيح أن الأساليب والطرق البريطانية كانت تشكل له نوعًا من الحنين، لكن السياسة البريطانية لم يعد لها تأثير وسلطة عليه.

كان هناك عرض آخر من أعراض الضعف الداخلى تمثل فى الشكوك التى تقف خلف المساعدة الضعيفة من قبل كثير من النيجيريين فى تأييد سياسة الرجل الخارجية ودعمها. كانت تلك السياسة الخارجية واضحة ومتحررة بما فيه الكفاية - إذ كانت تقوم على عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى، وعدم استخدام القوة بغرض تغيير حتى الحدود الوطنية الاصطناعية، واعتماد السعى والتفاوض الديبلوماسى، بدلاً من الصياح والاستهجان، أثناء البحث عن حلول للمشكلات الدولية المشتركة، كانت تلك السياسة تقوم أيضًا على الاعتراض على التحركات، أو الحركات الثورية العسكرية. يزاد على ذلك أن الفوضى التى اعترت الكثير من السياسات الحزبية الداخلية التى

تختلف مع جزء أو كل هذه السياسة أوحت إلى بعض المحليين أن نيجيريا قد تكون دولة، لكنها لم تصبح بعد أمة. ومع ذلك كان هناك شيء من التعارض فى اهتمام أبى بكر المتزايد بأن الأمن الوطنى يتعين أن يرتكز على التطبيق الحازم للقانون.

العجيب أيضًا أن قلة قليلة من المعلقين الشعبيين فى بعض الأماكن الأخرى فى ذلك الوقت تنبأوا بأن انسحاب بريطانيا المضطرد من القارة الإفريقية كان يخلق مأوى وملاذات كثيرة للثوار (أو المقاتلين من أجل الحرية)، الذين كانوا يستعملون تلك المأوى والملاذات فى إسقاط أى عمل عسكرى مضاد للأنظمة المجاورة أو تعبئته. وسرعان ما توصل الحاج السير أبو بكر إلى استنتاج مفاده أن الدول الغربية إذا كانت قد احتلت إفريقيا وأجزاء أخرى من العالم لأسباب قائمة على الأنانية وحب الذات، فإن الكتلة الشيوعية وجدت أن المساندة الأيدولوجية "للشعوب المستعبدة" يمكن أن تخدم أيضًا المصالح الأجنبية على المدى الطويل. من هنا بدأت مسألة إغداق الأسلحة، وتسهيلات التدريب، وتقديم الأموال وبث المذهبيات من قبل كل حلف وارسو والصين، على الحركات الثورية، تثير شكوكًا متزايدة فى ذهن أبى بكر عن المعتقد القارى الساذج الذى مفاده أن هذا التدخل لم يكن استعمارًا جديدًا من خلال المرآة. والذى لا شك فيه أن هذه الشكوك انعكست بفضل تلك الطائفة من النقاد الذين كانوا يتساءلون عن مقدرة أبى بكر وإرادته فى النضال من أجل تحقيق أهداف مادية، لكن هذه الطائفة من النقاد لم يوافقوا على أن نظرية القومية هى والدولة هما أفكار جرى تعلمها من الإمبرياليين الغربيين أنفسهم.

الفصل الحادى والثلاثين

خطوات الطبيعة المتواضعة وصولاً إلى المسرح العالمى

الرجل صاحب الشخصية الحلوة يأتى من عند الله(*)

جرى نقل السلطة فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من العام ١٩٦٠، فى احتفال علنى كبير جرى عقده فى مضمار سباق ليجوس، الذى أصبح يسمى بعد ذلك ميدان أبى بكر تافاوا باليوا. وصل الوزراء إلى مكان الاحتفال فى موكب من السيارات مرتب ترتيبًا تصاعديًا حسب الأقدمية، على رأسه السير أبو بكر تافاوا باليوا الذى كان يستقل سيارة مكشوفة (خلف وراءه فى المنزل زوجاته وأبناءه، الذين كانوا يراقبون فى شيء من العصبية الصوت المقلق للآذان الذى كان ينبعث من إحدى طائرات الكانبرا التابعة للقوة الجوية الملكية، عندما كانت تمر من فوق شرفة منزل رئيس الوزراء). وترأس قاضى القضاة السير آدى توكنبو **adetokunbo** قسم الولاء الذى أداه السير أبو بكر بوصفه ممثلاً مقيمًا فى مملكتها المستقلة المكونة من اتحاد نيجيريا الفيدرالى، التى كانت جلالتها (على حد تعبير كل من السير جيمس والحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا) ملكة "مباشرة" له. وجرى استبدال كلمة "الدومينيون" بكلمة "مملكة" **realm** كانت صاحبة الجلالة لا تزال حاكمة عليها. كانت الأميرة ألكسندرا آخر الذين وصلوا إلى

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى: Ane ne'er tines by daein' guid والذى معناه "المرء لا يخسر إذا ما اعتمد على الله". (المترجم)

مكان الاحتفال، ترافقها شرطة الحكم المحلى الشمالى الراكبة، وقامت بتسليم وثيقة الاستقلال الصادرة عن البرلمان البريطانى إلى رئيس الوزراء. وفى أجزاء من الخطبة التى جرى الاقتباس عنها مرارًا فى أنحاء كثيرة من العالم، نجد أبا بكر يقول:

أخيرًا جاء يومنا العظيم، وأصبحت نيجيريا الآن أمة مستقلة بحق وحقيقة. الكلمات تعجز بحق عن التعبير الدقيق عن فرحى وافتخارى باعتبارى المواطن النيجيرى الذى يحظى باستلام هذه الآليات الدستورية من صاحبة السمو، هذه الآليات هى رموز استقلال نيجيريا..... هذه الآليات تعطينى القوة والشجاعة وأنا أكرس حياتى لخدمة هذا البلد.... هذا اليوم... يوم رائع أيضًا لأننا كنا ننتظره ببالغ الصبر، ونحن مجبرون على مراقبة بلد بعد آخر يقودنا على الطريق إلى أن وصلنا تقريبًا إلى هدفنا.... نحن، الممثلون المنتخبون للشعب النيجيرى... لم يكن مسموحًا لنا بالترف الأنانى الذى يجعلنا نركز اهتمامنا على منازلنا الخاصة وبيوتنا. ونحن فى هذه الأيام، وفى ضوء الاتصالات السريعة، لا يمكننا أن نعيش بمعزل عن بقية العالم، حتى وإن أردنا أن نفعل ذلك...

هذا البلد العظيم الذى أصبح حقيقة واقعة الآن بلا مرارات أو سفك للدماء، يجد أن من الضرورى عليه، وعلى الفور، أن يكون مستعدًا للتعامل مع المسائل الدولية المهمة. ومن سوء الحظ أن هذه الحقيقة تأكدت خلال الأشهر القليلة الماضية بفعل الأحداث المدهشة التى وقعت فى هذه القارة.... نحن مطالبون على الفور بلعب دور نشط فى المحافظة على السلام العالمى والمحافظة على الحضارة..... ونحن نقبل على هذه المهمة ونحن مستعدون لها

أفضل من الكثيرين الآخرين، وعليه أجدني أعبر عن شكرى وامتنانى للطريقة التى اتبعتها الحكومات البريطانية المتوالية لنقل عبء المسئولية بصورة متدرجة إلى عواتقنا. هذه المساعدة وذلك التشجيع المستمر اللذان أولاهما السادة/ وزراء الخارجية للمستعمرات، واهتمامهم الشخصى بتطورنا، خففا عنا هذا العبء.... ونحن بيننا اليوم ممثلون لأولئك الذين صنعوا نيجيريا - ممثلون للحكومات الإقليمية، والحكومات المركزية السابقة، وممثلون للجمعيات التبشيرية، والمشروعات المصرفية والتجارية... نحن نجنى اليوم ثمار ذلك الذى زرعناه... بارك الله فيكم جميعًا. وهذه المناسبة قلوبنا فيها عامرة بالمشاعر والانفعالات المتضاربة.

لكن أرجو أن لا تخطئوا وتظنوا أن فخرنا هذا من قبيل الغطرسة والكبرياء.... نحن ممنونون للموظفين البريطانيين الذين عرفناهم، الذين كانوا أساتذة لنا فى البداية، ثم بعد ذلك قادة، وأخيرًا شركاء، لكنهم كانوا دومًا لنا أصدقاء.

اعتبر الكثيرون مسألة عدم إتيان أبى بكر على ذكر أى من الضيوف الأجانب، أمرًا مقصودًا ومتعمدًا. كان نيلسون وركفلر، حاكم ولاية نيويورك من بين الضيوف، وكان قد جاء ممثلاً للويلات المتحدة، وكان من بين الجيران ذوى القربى السيد/ هوفوت Houphuet بوانى Boigny، والسيد فونكا Foncha ورئيس وزراء داهومى، هوبرت Hu-bert ماجا Maga، الذى صار رئيسًا منذ فترة قصيرة، وليس أوليمبيو Olumpioتورى Toure أو أهدجو Ahidjo، أو نيكروما. أما الإشارة إلى "البلاد" على أنها تتعامل مع مسائل مهمة، فقد تعنى ضمنًا زعماء البلاد المنتخبين، وهذا ما لم يفهمه كل من كانوا يستمعون إلى خطاب أبى بكر.

كانت الإشارة إلى هذا الأمر واضحة وصريحة فى خطابه الإذاعى الموجه إلى الداخل، وبخاصة أولئك الذين انتخبوا هؤلاء الزعماء، ومع ذلك كانت الإشارة على مستوى مختلف، شبيهة بخطاب صاحبة الجلالة التى تلقيه بمناسبة عيد الميلاد: "**هذا يوم مهم جدًا. وعلى الرغم من أننا لسنا معكم دومًا، فإن رفاهكم يشغل دومًا أذهاننا. اليوم هو يوم الاستقلال. ونحن الذين نعمنا برؤية اليوم يتعين علينا أن نشكر الله وندعوه أن يجعل هذا اليوم بداية حقبة شاء لها (سبحانه) أن تكون نعمة لشعب هذه الأرض، رجاله ونسائه. مسألة إدارة حكومة البلاد مسألة صعبة، وبخاصة فى الوقت الحالى، لكن إذا ما أثبت كل منا تصميمه وخفنا الله حقًا، وأحببنا بعضنا بعضًا، مع احترامنا للقانون والعدالة، وبصدق وأمانة، فأنا على ثقة أن الله سينجح مقاصدنا. ونحن جميعًا يتعين علينا أن نهنئ بعضنا بعضًا اليوم، وندعو الله أن يعيننا ويساعدنا ويسبغ علينا نعماءه**".

حدث افتتاح رسمى للبرلمان المستقل الجديد، ولعبت صاحبة السمو الأميرة ألكسندرا الدور الملكى فى ذلك الاحتفال، فقد تسلمت خطابًا من يد رئيس الوزراء، وألقت على المستمعين كلمات حكومته قبل أن تعيد إليه المخطوطة: "الوحدة الإفريقية تبدأ بتقوية الروابط الثقافية والروابط الاقتصادية القائمة بالفعل، والهدف من ذلك ليس سياسيًا، وإنما الهدف هو رفع مستويات المعيشة. يرى وزرائى أن مهمتهم الرئيسية هى بث مناخ الاستقرار فى إفريقيا، حتى يمكن تكريس أقصى قدر ممكن من موارد كل دولة من الدول لتنفيذ مشروعات التنمية، وتخصيص أقل قدر ممكن من هذه الموارد للقنوات غير المنتجة". كانت هناك إشارة فى ذلك الخطاب إلى تحديث القوات المسلحة وعدم زيادة عددها أو توسيعها، كما كانت هناك إشارة أيضًا إلى قوة شرطة أكبر وخفيفة الحركة (التى أوضحت مدى الحاجة إليها تلك الاحتجاجات التى قام بها التيف مثلما أسلفنا فى الفصل السابق).

لكن تلك الأيام القلائل الباكرة ظلت بمثابة أيام للأفراح الملكية، على الرغم من مقاطعة المطر تلك الاحتفالات ووقفها بين الحين والآخر. كان اللباس الوطنى الذى ارتداه الرئيس فستوس فى تلك المناسبة، يمتد ذيله خلفه كما لو كان وتداً من أوتاد لعبة الكريكت (وعند شعبه فإن امتداد ذيل الثوب إلى ما وراء مرتديه يدل على ثراء لابس هذا الثوب وغناه). فى المأدبة الرسمية جرى تقديم أطباق نيجيرية رمزية إلى صاحبة السمو الأميرة ألكسندرا، على سبيل العينات لتتذوقها. وتأكد رئيس الوزراء أن أطباقاً من الطعام الشمالى كانت ضمن هذه الأطباق التى قدمت للأميرة، ومنها على سبيل المثال الطبق الشمالى "التُّوو" tuwo (الذى هو طبق من دقيق الحبوب المطبوخ)، وطبق "الروجو" rogo (البطاطا)، وطبق "الفيورا" fura (كرات من الدقيق فى لبن حامض)، وطبق "المسارا" masara (الذرة الحلوة). دبر الحاج السير أبو بكر الوقت اللازم لافتتاح قصر "إيجا إدنجوران" iga Idunguran فى إيسال Isale إكو Eko، وهو أحدث قصور إيديلى Adele، أوبا oba (رئيس) ليجوس (الذى التقاه أبو بكر أول مرة من خلال الطبيب المشترك ماجيكودونمى الذى يعالج زوجتيهما، والذى اتخذه أبو بكر صديقًا جيداً، بسبب شخصه وليس بسبب مشاركاته الشعبية). شكر أبو بكر الأوبا oba (الرئيس) على النجاح النسبى الذى حققه المستمطرون، الذين حصلوا على ١٠٠٠ جنيه إنجليزى للتحوط للاحتفالات الرطبة. كما تلقى الرجل أيضًا كثيراً من هدايا الاحتفالات، كما تلقى أيضًا دعوات كثيرة لرد الزيارات من أولئك الذين حضروا الاحتفال، ومن بين هذه الدعوات دعوة يحل فيها ضيفاً على كل من روديسيا ونياسلند فى العام ١٩٦١ . كما ترأس أبو بكر وفده الخاص إلى صاحبة السمو الأميرة، التى صافحت ولديه الصغيرين، وجرى الاحتيال عليه هو وثلاثة من رؤساء وزارات الأقاليم على قبول تحيات الحزب الشيوعى فى بريطانيا العظمى.

ومثلما حدث فى العام ١٩٥٧ الميلادى، عندما احتفظ لنفسه بالحقيبة الرئيسية الممثلة فى حقيبة المالية، نجد أن الرجل الآن يحتفظ لنفسه بالشئون الخارجية. كان

محمد رباط قد تولى حقيبة الدفاع، كما مرر الرجل شئون ليجوس (التى تباطأ فيها إخلاء العشوائيات) إلى حكومة ظل الشيخ شاجارى، وأسند مسألة المعاشات إلى موسى يرعدو Yar'Adu. كانت الخطوة التالية بعد تدشين الدولة الجديدة وبرلمانها، تتمثل فى الانضمام إلى الأمم المتحدة. كان السير جيمس روبرتسون، قد وجد صعوبة فى اللحظات الأخيرة فى الحاج السير أبى بكر، الذى كان ميالاً إلى إسناد هذا العمل إلى شخص آخر، هو على الأرجح السيد/ واشوكو، من منطلق أن هذا الرجل هو الأصلح لرئاسة الوفد والتحدث إلى الجمعية العامة: خاب أمل رئيس الوزراء أيضًا لأن كفالة بريطانيا وحدها لم تكن كافية، كما أن الدبلوماسية المحنكة تقضى بأن يكون ذلك الانضمام إلى الأمم المتحدة مدعومًا من قبل دولة أجنبية تمامًا. عرض أبو بكر أن يضم الوفد أعضاء من حزب جماعة العمل، وعندما وصف تصريح آولوو بأنه فى أضعف الأحوال تصريح "أحمق وجاهل"، وذلك عندما رفض آوو الاتفاق أو الموافقة على أنه تم الاتفاق على سياسة خارجية يشترك فيها الحزبان، وأنه عندما زاره مع كل من روسيجى، ويوسف تاركا، وإيناهورو لتقديم الدعوة، لم "يفصح" أبو بكر لهم عن مسودة خطابه.

أعلن الرئيس أولوو فى تصريح تال أن حزب جماعة العمل سيشعر بالارتياح فى حال:

(١) إذا ما جرى الاتفاق بين الحكومة والمعارضة على السياسة الخارجية للبلاد:

(٢) إذا ما أيد البرلمان ودعم السياسة الخارجية للحكومة، ووافق حزب جماعة العمل على ذلك التأييد، إذا ما كان لحزب جماعة العمل حق الاطلاع على الخطابات التى يعتزم رئيس الوزراء إلقاءها على أن يتعهد رئيس الوزراء بالالتزام بها وعدم الحيد عنها. إذا لم يوافق حزب جماعة العمل على أى بيان من البيانات فى الأمم المتحدة، أو فى أى مكان آخر من الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الحزب يتعين عليه الإعراب عن ذلك فوراً: "ليس من الصعب علينا تصور الضربة الخطيرة التى يمكن أن

تصيب موقف نيجيريا ونفوذها فى الخارج إذا ما جرى عرض مشكلاتنا الداخلية بهذا الشكل المثير على المسرح العالمى". واقع الأمر أن ذلك لم يكن أمرًا صعبًا أو عسيرًا. كان الحاج السير أبو بكر يسلم بأن نيجيريا سوف تتبنى التقليد البريطانى المعاصر الذى مفاده أن معارضة صاحبة الجلالة لا يمكن أن تحرج حكومة صاحبة الجلالة على المسرح العالمى. وقد أدرج رئيس الوزراء كلا من جاجا واشوكو، والمعلم أمين كانو من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، ضمن الوفد الذى سافر فى نهاية المطاف على طائرة مستأجرة من شركة الخطوط الجوية البريطانية، وبصحبته سكرتير رئيس الوزراء الخاص أحمد كارى ليقوم على الشئون الداخلية والمراسلات الداخلية أيضًا. وهنا قام السيد/ دنكان سانديز، الذى جرى نقله من الدفاع والطيران للعمل وزيراً لعلاقات الكمنولث، بمقابلة رئيس الوزراء فى مطار هيثرو لتبادل المجاملات الرسمية، ولم يشر الرجل إلى جدولة المرافق والتسهيلات فى كانو Kano.

أبلغ الحاج أبو بكر المراسلين الصحفيين الذى كانوا يتطلعون إلى اصطياد الرجل من خلال مانشيت مصطنع الكلام: **"إذا ما اكتشفت الدول الإفريقية الأخرى أننا نعمل لمصلحتها بحق وحقيقة، وأننا بناءون، فإن هذه الدول سوف تنظر إلينا باعتبارنا ناطقًا رسميًا باسم هذه الدول. لكن نيجيريا لا يمكن أبدًا أن تفرض نفسها على أية دولة إفريقية أخرى.... أنا لا أود التحدث كثيرًا عن الدور الذى يمكن أن نلعبه، لأننا لم نتعرف اللعبة بعد. نحن فى نيجيريا** [ربما كان يتكلم هنا بصفته من الشمال] **لا نصنع الجلبة أو الضوضاء من أجل الجلبة والضوضاء".** كان الرجل يود إبعاد القواعد النووية عن إفريقيا، وأعرب عن أسفه "للتكتلات". **"أنا لا تعجبنى كلمة "الحياد"، وأنا موافق على خطاب السيد/ نهرو الذى مفاده أن المحايد عندما ينضم إلى كتلة محايدة يصبح غير محايد. نحن نود أن يكون لنا رأى مستقل، لا يكون هو نفسه الرأى الذى تقول به نظرية الحياد... أنا لا أحبذ دعوتنا إلى اجتماعات تلزمنا قبل أن نكون مستعدين لمثل هذا الالتزام..... لدينا الكلمة** [الدالة على "الحياد" neutral] **فى اللغة الإنجليزية، وأنا**

أرى أن هذه الكلمة زائفة". رد أبو بكر على بعض الطلاب الذين رحبوا به بكلمات من قبيل "الشخصية الإفريقية"، بكلمات وردت على لسانه فى آخر جلسة من جلسات الموازنة، وهى مأخوذة أصلاً عن تعاليم سقراط فى الزمن الماضى، "**نحن الأفارقة، مخلوقات بشرية، خيِّره ومماثلة للمخلوقات البشرية الأخرى. وعليه دعونا نتكلم عن الشخصية الإنسانية**". واصل الوفد سفره إلى نيويورك، التى كان الأيرل هوم، الذى عين مؤخراً وزيراً للخارجية، قد وصل إليها بصحبة السيد/ هارولد ماكميلان.

جاءت الجلسة الخامسة عشر من جلسات الجمعية العامة بمثابة اجتماع فريد، ترك انطباعًا على كل أولئك الذين حضروه. يزاد على ذلك أن هذا الاجتماع جعل من قبول الدولة الحادية عشرة من دول الكمنولث، الدولة التاسعة والتسعين من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، وأضفى على هذا الانضمام طابع الشهرة والخلود أكثر مما كان متوقعًا. كانت هناك أربعة عشر مستعمرة فرنسية سابقة إضافة إلى جزيرة قبرص جرى قبولها قبل أقل من شهر على شكل جماعات جماهيرية مجهولة الاسم، كما جرى أيضًا قبول انضمام جمهورية الكنغو الديمقراطية، التى كانت لا تشغل بعد المقعد المخصص لها نظرًا لأن لجنة قبول أوراق الاعتماد لم تحسم أمرها بعد فى مسألة قبول الرئيس كازافوبو أو رئيس الوزراء لومومبا. كانت المنطقة مخيفة إلى حد يصعب معه تدخل المجالد(*) فى هذا الشأن. كان ستة وعشرون من رؤساء الدول، ورؤساء الوزارات وسكرتيرو أُول الأحزاب الشيوعية الحاكمة، كانوا كلهم قد جاءوا إلى الأمم المتحدة ليجعلوا من هذه ذروة من ذرى الاحتفالات. كان نيكيتا خرشوف من بين الحاضرين، كما حضر أيضًا كل من أنطونين نوفوتنى من تشيكو سلوفاكيا، وولاد سلو **wladyslaw** جومولكا من بولنده، وفيدل كاسترو (الذى تكلم مدة أربع ساعات ونصف الساعة)، وحضر أيضًا أحمد سوكارنو، والمارشال تيتو، والباندت جواهــر لال نهرو، وجمال

(*) المجالد: بضم الميم وفتح الجيم هو الشخص الذى يقاتل حتى الموت. (المترجم)

عبد الناصر، والملك حسين ملك الأردن، وسيكوتورى، ودوايت إيزنهاور. وكانت تلك المناسبة الشهيرة التى خلع فيها السيد/ خرشوف حذاءه ليجعل منه مطرقة، عندما راح يقاطع متحدثًا آخر، وعندما كان يتحدث عن رفض الكتلة الشرقية دفع حصتها من تكاليف قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، وبذلك يضع الرجل مصداقية الأمم المتحدة فى موضع الخطر. شاهد الحاج السير أبو بكر مسألة خلع الحذاء هذه واستعماله كمطرقه، الأمر الذى أصاب الرجل بالرعب والفزع جراء افتقار الزعيم الروسى إلى الاحترام، وعندما وصف أبو بكر ذلك الحادث بعد عودته إلى وطنه قال: **"هو رجل شرير، شرير"**. لم يكن أبو بكر مكتفيًا بأن خروشوف كان أكثر إنسانية من ستالين عندما كان فى الحكم.

كان اللورد هوم سعيدًا بتقديمه نيجيريا إلى الأمم المتحدة بوصفها دولة مستقلة. فقد اكتشف اللورد هوم أن زعيم نيجيريا على النقيض تمامًا مما أسمته جريدة التايمز "صنّاع الكليشيهات المبتذلة فى الشخصية الإفريقية" فى تلك الفترة من فترات "التقلب الشديد" فى القوميات الجديدة، وكانت رصانه الرجل على النقيض تمامًا من رصانة أولئك القادمين الجدد الذين لم يعتادوا على نبيذ السلطة المسكر. فى الوقت الذى نجد فيه بعض الزعماء الذين كانوا يتابعون خطابه يرحبون بظهور نيجيريا باعتبارها "مسمارًا آخر فى تابوت الاستعمار"، نجد الرجل "ممنونًا لأن متحدثين آخرين نسبوا الفضل إلى بريطانيا ولسياستها "التى تعد مثالاً طيبًا للسياسة الاستعمارية المستنيرة". وجاء امتنان اللورد هوم الكبير عندما ألقى السير الحاج أبو بكر خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى اليوم السابع من شهر أكتوبر، والذى ترك انطباعًا كبيرًا، وجاء مفاجئًا لأولئك المتشككين من بين الحاضرين. كانت الثقة والاعتداد بالنفس أمرين بارزين فى ذلك الخطاب، هذا يعنى أن الخطاب لم يكن نوعًا من التفضل أو موحيًا بعدم الثقة بالنفس. جاء خطاب رئيس الوزراء (أبى بكر) مشجعًا تشجيعًا كبيرًا لتلك الدول التى كانت نيجيريا ترتبط معها بروابط تجارية حيوية. لما كان الخطاب يضم

مساهمات من واشوكو، وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الكنغو، ولما كان يضم من قسم الشئون الخارجية التابع لواشوكو، فقط بدا وكأنه فطرة سليمة قوية، وعلى الرغم من زعم كارل ماركس أن الفطرة السليمة تعد مرشداً ضعيفًا فى الشئون الشعبية مثلما هى فى مسألة ما إذا كانت الأرض تدور حول الشمس، فإن هذه الفطرة السليمة نفسها توحى بالثقة بين العصبيين. أبلغ أبو بكر الجمعية العامة أن نيجيريا سوف تُبقِى على صداقتها مع الدول كلها، وأنها سوف تشارك مشاركة فاعلة فى عمل منظمة الأمم المتحدة، وأنها ليست ولم يكن لها أية مطامح توسعية. وأنها لن تنسى أصدقاءها القدامى، وأنها سعيدة بقبولها عضواً فى الكمنولث، ومع ذلك فإن النيجيريين لم تكن لديهم النية فى الانحياز إلى أية كتلة من الكتل الأخرى. وسوف يعمل النيجيريون مع الدول الإفريقية الأخرى من أجل تقدم إفريقيا، وسوف يساعدون فى جعل البلاد الإفريقية كلها تسير فى طريق الاستقلال المسئول.

ويعود أبو بكر بسرعة إلى موضوع الكنغو، الذى كان يشغل انتباه العالم، وقال إنه ليس هناك مفر من أن تقوم منظمة الأمم المتحدة بإدارة هذه الموضوع أو فرض الوصاية على الكنغو، وهنا ينبغى التسليم بأن الكنغو كان مستقلاً، وأن شأنه السياسى ينبغى حله بواسطة الدول الإفريقية، وأن الأمم المتحدة يتعين عليها فقط المساعدة وتقديم يد العون كوسيط، دون التدخل فى استقلال الكنغو وسيادته (ربما كان الرجل يشير هنا إلى إصلاح الإدارة المحلية). كانت الحقائق التى تقف خلف الانقسامات الكنغولية غير واضحة، فضلاً أيضًا عن استشارة الشعب الكنغولى نفسه فيما ينبغى أن يكون، أو ما قبله هذا الشعب ووافق عليه، أو بالأحرى الدستور، أن كان هناك دستور. ألمح أبو بكر أن لجنة لتقصى الحقائق، يمكن أن تشكل فترة تبرير، لكن ينبغى ألا تضم هذه اللجنة أية دولة من الدول الكبرى. على أن يتبع ذلك مناقشات لقيام نوع من الاتحاد أو التحالف، يقوم الحل فيه على تخصيص الإيرادات. هذا يعنى أن الحياة السياسية الحقيقية ينبغى أن تبدأ عند القاع بالسلطات المحلية والإقليمية، هذا يعنى أن

مسألة الانشغال تماماً بالأحداث الجارية فى ليوبولدفيل فى ذلك الوقت كانت تعد خطأ كبيراً. هذا يعنى أيضًا أن الدول الإفريقية هى التى ينبغى أن تقدم للكنغو المنح التعليمية والتدريب الفنى على نطاق واسع. وبعد أن يقوم الكنغوليون بإعادة انتخاب قادتهم انتخابًا حراً، حتى وإن بدت هذه الانتخابات بعيدة عن الكمال، أو مثاراً للاعتراض، فإن الأمم المتحدة يتحتم عليها دعم هؤلاء الزعماء ومساندتهم.

كانت هذه النقاط الأخيرة من عنديات أبى بكر، وليست من عنديات مُعد الخطب، وقد مضى أبو بكر إلى القول:

"الاستقلال السياسى سيكون منقوصًا تمامًا إذا لم يكن مصحوبًا بالاستقرار والأمن الاقتصادى، وإذا لم تكن هناك حرية شخصية حقيقية مع حرية التعبير عن الرأى والإفصاح عن العقيدة التى يودها الإنسان.... معروف أن الضعف الاقتصادى يجعل البلد الجديد مكشوفًا أمام كل أنواع الضغوط، وفى البلدان الأخرى التى تحرم شعبها من حرية اختيار نظام الحكم الأنسب لها... الدعاية السياسية أو التدخل عن طريق المساعدات الفنية يمكن أن يسلب من الدولة المتخلفة حريتها... وأفضل ما يمكن أن تفعله الدول المتقدمة فى مساعدتنا على النصح لا يكون عن طريق الدعاية الأيدلوجية، المقنّعة، ولكن عن طريق مساعدتنا مساعدة حقيقية، مع حسن النية والطوية، فى تنمية مواردنا وتعليم مواردنا البشرية".

ينتقل أبو بكر بعد ذلك إلى فلسفة المساعدات، ويواصل كلامه قائلاً:

"أنا أفضل عدم قصر تقديم المساعدة الفنية على الأمم المتحدة، لكنى أقترح بحق، ولمصلحة السلام العالمى، أن تجىء المساعدات

من مصــادر أخـرى وأن تعطى لتلك الدول، التى على الرغم من تخلفها، تتمتع بالاستقرار السياسى وشكلت حكومات قادرة على فـهم أخطار قـبول المسـاعدات من بلد آخـر. أنا لا أقـر أو أوافق على المساعدات المباشـرة التى تأتى من دول بعينهـا إلى دول لا تستطيع الوقوف على أقدامـها، أو الدول غير المستقرة سياسيًا، لأن المساعدات التى تكون من هذا القبيل سـوف تؤدى إلى إثارة الشكوك، وفى النهاية يجد البلد المستقبل لهذه المساعدات نفسه متورطًا فى حرب أيديولوجية...... نحن فى نيجيريا نقدر المزايا وحـجم بلدنا الكبـيـر، وعـدد سكان هذا البلد، لكننا لا يمكن أن نملى شـروطنا أو آراءنا على أى بلد من البلدان. سـوف نعـامل أى بلد، كبـر أم صـغـر مـعـاملة الند للند لأننا نحس أن هذا الأسـاس من المسـاواة هو الذى يُمَكِّن من المحـافظة على السـلام. والدول التى خلفـتهـا الحـدود المصطنعـة بدأت تنظر إلى نفسـهـا باعتـبارها وحدات مـستقلة عن بعضـهـا البعض ـ ومن هـنا فإن سـياسـتنا تقـوم على ترك هذه الدول على مـا هـى عليـه ولا نحبـذ التعديل.

سـتكون الأولوية للتشـاور المشـترك فى الغرب، والشـمـال، وإفريقيـا الوسطى حـول المسـائل غير السـياسـية (مـثل النقل والمواصـلات، والبحث فى مـجـال الموارد الطبيعيـة، والتعليم قبل كل شىء - سوف تسمح نيجيريا بحرية التحاق الطلاب من الدول المجاورة لها بمدارسـها). لم يلغ الرجل احتمال الوصول إلى اتحـادات فى نهاية المطاف، لكن فى الظروف الراهنة ليس من الواقـع فى شـىء أن ننتظر أو نتـوقـع من الدول التـخلـى عن سيادتها التى حصلت عليها منذ وقت قريب. وإذا ما قام أى بلد من البلدان بالتقليل من شـأن سلطة الزعمـاء المخـتارين اخـتيـارًا صـحـيـحًـا فى أى دولة من الدول الأخـرى،

مستهدفًا بذلك فرض الاتحاد السياسى، فإن مثل هذا العمل يكون بمثابة تهديد كبير للسلم. هذا يعنى أن من الخطأ فرض أو الإسراع بتنفيذ عملية من العمليات غير المناسبة.

اسمحوا لى أن أقول لكم بصدق إننا نحن الذين كنا ننتظر الانضمام إلى الأمم المتحدة كنا مهمومين مخافة أن يكون إخواننا الكبار الأقوى منا قد غابت عنهم الأهداف التى كانوا يسعون إلى تحقيقها من إنشاء الأمم المتحدة.... أنا لا أعتقد أن الهدف من ذلك كان تحويل المنظمة إلى ساحة، يجرى عليها استعراض السياسات الحزبية على أعلى مستوى، وعندها سوف تحجب الخلافات الأيديولوجية الهدف الرئيسى ألا وهو المحافظة على السلام بين الدول، والاستقرار فى العالم بشكل عام.... من بين المزايا التى حصلنا عليها نحن الدول الجديدة، هى أن الحصول على الاستقلال يقطع صلاتنا بالماضى، ويهيئ لنا فرصة الدخول إلى مجال العلاقات الدولية بدون أية التزامات سابقة علينا. وربما كانت هذه هى الفرصة الوحيدة فى حياة أية دولة من الدول عندما تتاح لها فرصة اختيار السياسات من منطلق السمات الخيرة التى تنطوى عليها... ومثلما كانت الساعات منذ أسبوع مضى، تعلن منتصف الليل، وعندها كانت نيجيريا على أعتاب الاستقلال، كان هناك احتفال مختصر صلى فيه كل زعيم من زعماء العقائد الثلاثة المختلفة صلاة قصيرة..... وهنا أدركنا أن العناية الإلهية فوق كل هؤلاء الثلاثة، وأنا أعتقد بحق أن مسألة إخلاص كل إنسان لمعتقداته الدينية، تعد مطلبًا أساسيًا من مطالب الصداقة الدولية والتعاون الدولى".

قد يبدو الأمر غير مألوف عند القارئ الذى شاهد تصريحات أبى بكر فى هذا الفصل وفى الفصول السابقة، أن يرى أبا بكر متهمًا بأنه لم تكن له سياسة خارجية واضحة خلال السنوات الباكرة فى نيجيريا، غير مسألة الاستسلام لمشيئة الله (، لكن نقاد أبى بكر أعربوا عن أسفهم لأن الرجل عندما رفض الانحياز إلى أية كتلة من التكتلات المصطنعة، وعندما أبقى على تعاطفه مع أصدقائه القدامى، كان قد آثر أيضًا رفض الفكرة المُولّدة البديلة والتى تقضى بوجود كتلة بديلة مكونة من إفريقيا العربية الموحدة مع إفريقيا السوداء، على النحو الذى كان يريده نيكروما، الذى أنكر أن الصحراء الكبرى تفصل إفريقيا العربية عن إفريقيا السوداء، وأن تلك الفكرة كانت لا تزال ماثلة فى الأذهان. كان النقاد يرون أن الرجل سارع إلى الوقوف مطيعًا فى ظل عبد الناصر أو نهرو. من جانبه كشف أبو بكر عن كراهيته لفكرة تكتلات القوى الموجودة فى الأمم المتحدة، الأمر الذى كان أبو بكر يراه على أنه تناقض فى نصوص الأمم المتحدة ومواثيقها. لكن قلة قليلة من النقاد هم الذين أعادوا قراءة تصريحات أبى بكر فى ضوء السنوات التى انقضت فى إفريقيا دون أن يتهكموا بشكل أو آخر.

بقى السيد واشوكو فى نيويورك ليصبح ممثلاً دائمًا مؤقتًا لدى الأمم المتحدة. وقامت اللجنة الاستشارية الخاصة بالكنغو، المكونة من كل الأعضاء الذين أرسلوا قوات إلى الكنغو، بتشكيل لجنة مصالحة فى اليوم التاسع عشر من شهر نوفمبر، مكونة من أعضائها الأفرور آسيويين الخمسة عشر، وقد عينت هذه اللجنة واشوكو رئيسًا لها، وراح الرجل يقاتل قتالاً شديداً باسم أبى بكر من أجل التزام الحياد بين كازا فوبو ولومومباه. وبذل واشوكوا قصارى جهده لجعل الأفارقة الآخرين لا ينزلون إلى مستوى اللغة المسفّة البذيئة فى حال مجادلة هذين الوفدين. وبقى أمين كانو هو الآخر فى نيويورك مدة ثلاثة أشهر، واقع الأمر أن الرجل كان يحضر طوال السنوات الخمس التى تلت ذلك، اجتماعات الأمم المتحدة بصورة منتظمة باعتباره واحداً من بين البدلاء الخمسة الذين كانوا مرشحين لتولى مقعد نيجيريا فى هذه المنظمة العالمية،

وبوصفه أيضًا مستشارًا مؤثرًا دومًا فى الشئون الخارجية فى وزارة الخارجية وعلاقات الكمنولث فى ليجوس. أبلغ السير أبو بكر الرئيس أيزنهاور فى اليوم الثامن من شهر أكتوبر أنه بصفة خاصة سينشرح صدره عندما يراه فى نيجيريا فى أقرب فرصة، وطار أبو بكر بعد ذلك بيومين عائدًا إلى بلاده، مع تناول الغداء مع السيد ماكميلان أثناء رحلة العودة، وكان السيد ماكميلان مخيمًا فى دار البحرية نظرًا لأن مقر مجلس الوزراء فى ١٠ دواننج ستريت كان يجرى إعادة بنائه. كانت هناك أنباء تقول إنه على الرغم من معارضة الناخبين فى الناتال، فقد جرى فى جنوب إفريقيا استفتاء، وأن ذلك الاستفتاء انتهى لصالح النظام الجمهورى. عاد أبو بكر إلى ليجوس، حيث كانت الأميرة ألكسندرا تقوم بزيارة مختلف البلدان (لكنها لم تزر ماكوردى نظرًا للإضرابات والقلاقل التى كان التيف يحدثونها)، كما افتتحت الأميرة أيضًا أول منظومة من منظومات الاتصالات التليفونية فى البلاد. ووجد أبو بكر الحاج الشيخ شاجارى، وزير تأميناته الجديد (ذلك اللقب التعيس الذى أدى فى واقع الأمر إلى خطأ غير مقصود فى مسألة النجرنة، والمؤسسات والتدريب، والتسليم بمسئولية أبى بكر عن القسم الأكبر من الخدمة المدنية) غاضبًا لنقص عدد الشماليين فى الخدمة الفيدرالية – كان هناك ٧٥٠ شماليًا فقط من ٤٠٠٠٠ من غير الشماليين. كان لا يزال هناك أيضًا ٤١ من المقيمين يشغلون مناصب عليا فى الخدمة الفيدرالية مقابل ٤١ فقط من النيجيريين.

أثناء الاستقلال أوضحت قائمة هيئة العاملين الفيدراليين عن وجود عشرة نيجيريين فى الوظائف الإدارية "العليا": كان منهم خمسة من الشماليين، يحملون مؤهلات رسمية أكبر من مؤهلات الخمسة الجنوبيين الآخرين. لم يكن هناك "دعم" للخدمة بأشباه المتعلمين، ومع ذلك كانت هذه المسألة بمثابة المضمون الذى يقف خلف مانشيتات التخويف فى صحافة ليجوس ("المُعَلمون قادمون")، عندما أصر منصب الشيخ شاجارى، الذى كان رئيس الوزراء يوليه اهتمامه بسبب مشاغل الرجل بالخدمة

المدنية مؤخراً، على حتمية إسكان الشماليين فى المنازل التى يخليها المقيمون. كان السير أبو بكر هو والشيخ شاجارى يتحملان الحقد فى هدوء، لكن تلك اللّسعة كان لها تأثير كبير على المتذمرين طوال خمس سنوات أُخر. أحس هؤلاء الساخطون أنه ليس من الحكمة فى شيء الاستفادة من الحقائق التى مفادها أن شارلز لاوسون السكرتير الخاص الرئيسى لرئيس الوزراء، جرى إعداده ليصبح سكرتيراً دائماً لوزارة الصحة، ثم أُتبع بعد الاستقلال بجنوبى آخر هو السيد/ أس إيه أوديوكيل odukale.

يزاد على ذلك أن وزراء الشمال شاطروا مفكرى ليجوس أحزانهم فى وفاة إيرنست Ernest إيكولى Ikoli، أحد الوطنيين فى فترة ما قبل الحرب، الذى أمهله العمر إلى حين الحصول على الاستقلال.

كانت الضغوط المتزايدة من أجل إبعاد بطرس ستالارد، الذى آثر بالفعل عدم إزعاج وزراء حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى بحضوره اجتماعات مجلس الوزراء تشكل المزيد من القلق والإزعاج. يزاد على ذلك أن الرئيس آولوو كان قد استبدل فى اليوم الأول من شهر أكتوبر كل ما تبقى لديه من السكرتيرين الدائمين الأجانب. وعد أبو بكر بطرس ستالارد بأنه سيسانده مساندة كاملة، ووعد بطرس ستالارد من جانبه بأنه سيبقى ما دام كان مطلوباً وبوسعه تقديم المشورة الحقيقية والعملية. واقع الأمر أن أحداً لم يكن يعرف من هو المسئول. حدث ذات مرة أن أوفد بطرس ستالارد أحمد قارى إلى مكتب رئيس الوزراء المنزلى ومعه ثلاثة ملفات ممهورة بكلمة "عاجل"، وطلب ستالارد من أحمد قارى العودة ومعه تلك الملفات. وعاد أحمد قارى خاوى الوفاض، أى بدون الملفات. وعلى الرغم من إعادة أحمد قارى ليشرح لرئيس الوزراء سبب العجلة فقد فشل الرجل مرة ثانية فى العودة بالملفات. بعد ذلك بأيام ثلاثة استدعى أبو بكر كلاً من سكرتير رئيس الوزراء وسكرتيره الخاص، وشرح لهما فى هدوء وفى غمضة عين أُعطى انطباعاً أن العالم سينتهى - لكنه لم ينته، وبذلك

يثبت لهما أن التأشيرة "عاجل" لم يكن لها معنى: **"أنا لست غير مسئول أو ساذج، ويحب أن تعرفا الطريقة الصحيحة والأفضل التى تجعلنى أولى أى أمر من الأمور اهتمامًا خاصًا".**

تزايد المتاعب والمصاعب المترتبة على وجود بطرس ستالارد، وسبب ذلك أنه لم يكن هناك رئيس رسمى للخدمة المدنية، وأُلقيت على عاتق رئيس الوزراء مسألة تصريف الأمور الإدارية التفصيلية بوصفه خلفًا لكل من الحاكم وكبير السكرتيرين، ولذلك نجد أن أبا بكر فى هذه السابقة غير الموفقة من سوابق الالتباس الدستورى، بحاجة ماسة إلى النصح والمشورة الناضجة والمحايدة التى لا تعرف الأهواء. كان السير جيمس روبرتسون ملتزمًا بحقه الملكى فى تلقى مذكرات مجلس الوزراء وأرائه وقراراته، حتى يمكن له تقديم المشورة، أو التشجيع أو التحذير، لكن الرجل، فى واقع الأمر، كان ينأى بنفسه عن التدخل أو التعليقات التى لا داعى لها، من منطلق انشغال الرجل من ناحية بمسألة مرافقته لرئيس الوزراء فى أثناء مرافقته للأميرة ألكسندرا إلى كانو عند رحيلها فى منتصف شهر أكتوبر وانشغاله من الناحية الأخرى بجولة الودا ع التى سيقوم بها هو بعد ذلك داخل البلاد.

وهنا بدأت الشكوك تدور حول إحياء المؤامرات الشخصية ونقلها. وهذا هو أنتونى هيد Head، أول مندوب سامى بريطانى، عرفه المراقبون الحاسدون على أنه كاتم الأسرار الأمين الذى سيخلف تلك السلسلة من المقيمين الذين كان مفروضًا عليهم قولبة فكر أبى بكر التطويرى كيما يناسب أهداف الغدر والخيانة فى إنجلترا(*) Albi-on. جرت الاستفادة أيضًا من قرب مسكنى رئيس الوزراء والمندوب السامى البريطانى

(*) مؤلف الكتاب إنجليزى دمًا ولحمًا، وهنا نجده يستعمل كلمة Albion بدلاً من كلمة England، وربما كان ذلك بدافع الإحساس بالذنب وهو يتكلم عن الغدر والخيانة، ولذلك استخدم الكلمة الأولى، وهى لا تستعمل للدلالة على إنجلترا إلا فى نطاق الشعر فقط. (المترجم)

من بعضهما البعض. ولما كان أنتونى هيد سياسيًا، ومستشارًا خاصًا ووزيرًا سابقًا للحربية، ولما كان قد حصل مؤخرًا على لقب فيكونت(*)، وأصبح أيضًا عضوًا فى مجلس النواب لا يشغل منصبًا وزاريًا، ولديه بعض الذكريات عن العمل فى فرقة الحراس المدرعة، فقد كانت لديه الرغبة والاستعداد كى تكون له علاقات دبلوماسية وثيقة مع رئيس الوزراء. قام أنتونى هيد بعد تركه وظيفته، بجولة فى إفريقيا، وتصادف أن حكى لماكميلان بعد عودته من هذه الرحلة، عن اهتمامه المتزايد بالقارة. وانتهز رئيس الوزراء البريطانى تلك الفرصة ليوجد وظيفة لسياسى بارز يمكن أن يكون "صعب المراس"، فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة البريطانية تتلاعب ببعض أسماء المحترفين. هذا يعنى أن أنتونى هيد لم يكن موظفًا مدنيًا متمرسًا فى شبابه، وبالتالى لا يمكن أن يكون قد حل روبرت رايت، أو برايان شارود - سميث أو جيمس روبرتسون. هذا يفيد أيضًا أن الصداقة والإعجاب الذى كان الرجل يريد تنميتهما وتطويرهما كانا أمرين حقيقيين، لكن هذين الأمرين كانا نابعين من جذور اجتماعية مختلفة، ولا يمكن مقارنتهما بصداقة هؤلاء الرجال الذين كانوا يعدون أنفسهم زملاء حقيقيين فى نطاق الخدمة العامة شأنهم شأن أبى بكر نفسه، والذين عاشوا منذ صباهم فى بيئات "غابية" bush مثل البيئة التى نشأ فيها أبو بكر. كان كثير من النيجيريين لا يزالون لا يفهمون تمامًا أهمية بلادهم الدبلوماسية، ولم يدركوا أيضًا الانتهازية التى تقف وراء هذا التعيين، ووجدوا من السهل عليهم التسليم بأن تعيين رجل كبير من هذا المستوى، لابد وأن يكون حاكمًا ظليًا من وراء الستار. وبعد فترة قصيرة قرر أنتونى هيد هو وأبو بكر افتعال معركة عامة، أفلحت تمامًا فى رفع الغشاوة عن الخطأ الذى ارتكبه أو وقع فيه نقادهما. ومن سوء الطالع، أنهما لم يتوصلا إلى موضوع مناسب لافتعال تلك المعركة.

(*) لقب شرف دون الكونت وفوق البارون. (المترجم)

كان ديفيد هنت Hunt، معد خطب ماكميلان خلال جولة "رياح التغيير"، نائبًا لأنتونى هيد. وتوقف ستانلى فنجلند Fingland عن القيام بدور يوحنا المعمدان، ليصبح مستشارًا ورئيسًا لشعبة من شعب المحكمة العليا. ولم يستطع أحد جعل رئيس الوزراء النيجيرى يحيد عن اقتناعه الذى مفاده أن النظرية التى قامت عليها وزارة علاقات الكمنولث لم تكن سليمة، من منطلق أن الأعضاء السابقين (كانت هناك أقلية مصطبغة بالصبغة الإمبريالية) الذين كانوا يعملون فى مجال الخدمة المدنية فيما وراء البحار ووزارة المستعمرات لا يمكن استيعابهم عن قناعة فى الخدمة المدنية فى الوطن (إنجلترا). وواصل أبو بكر كلامه إلى الموظفين البريطانيين المتقاعدين، وإلى الزوار العائدين أمثال شلنجفورد، أنهم أفضل من يمثلون بريطانيا للسبب نفسه الذى مفاده أنهم فهموا نيجيريا، ولم يفهم أبو بكر عندما قال بعضهم إنهم تقدموا بطلباتهم بالفعل وجرى رفض هذه الطلبات.

جرى استغلال نظرية المؤامرة فى الإفادة من التبادل الرسمى للرسائل التى قيل إنها جرت بين أنتونى هيد والحاج السير أبى بكر. كان كل نقل للسلطة فى عملية إنهاء الاستعمار البريطانى فى خمسينيات القرن العشرين وفى سبعينيات القرن نفسه مصحوبًا بتحديد المسئوليات التى من قبيل التزامات المعاهدات، والحقوق، ورسائل التفاهم التقليدية، والاتفاقيات الدولية، والعضويات، أو المهام التمثيلية التى كانت تتمتع بها المملكة المتحدة طوال سنوات كثيرة، إما بطريقة مباشرة أو عن طريق العمل الشامل الأوسع، الذى كان يجرى اتخاذه نيابة عن الممتلكات الإمبريالية. أما الآن فقد أصبحت الدولة حديثة العهد بالسيادة، ووارثًا لتلك الأعباء وذلك العزاء والسلوان. وقد تمثلت تلك الأعباء فى حقوق المرور الجوى، وحقوق الصيد، "معاهدة جنيف"، وبروتكول فيينا، والصليب الأحمر الدولى، قانون البحار، وتسليم المجرمين الهاربين، المعاهدات متعددة الأطراف التى من قبيل معاهدة التشاور البحرى فيما بين الحكومات - بل إن هذه القائمة اتسعت وامتدت لتشمل بعض الأمور التى قد تبدو للرجل العادى أمورًا

تافهة فى واقع الأمر. هذا يعنى أن المؤتمر أو قانون الاستقلال قد ترك كثيراً من الأمور بلا تفصيل، حتى بعد وضع النقاط على الحروف، وترك للدولة الجديدة تحديدها بنفسها، والكثير من هذه الأمور يتطلب فكراً واعياً ومطوّلاً. كان واضحاً تماماً أن تعامل العالم المنطقى مع الدولة الجديدة، على أساس من استمرار سريان الوضع الراهن السابق، اللهم إذا ما جرت مناقشة التعديلات أو التغييرات الرسمية وجرى إخطار المعنيين كلهم بتلك التعديلات أو التغييرات. لم تكن هناك رابطة واحدة لا يمكن قطعها أو فصمها، لكن ذلك القطع أو الفصم لابد أن يحدث بالطريقة المنظمة. كان انعدام الفكر أو بالأحرى الجهل، هو الذى حوّل التبادل الروتينى حول هذه المسائل إلى شىء له "شأن كبير ويدور من حوله جدل كبير أيضاً": ويمكن أيضاً أن يكون الإضرار عن قصد هو السبب فى ذلك. يزاد على ذلك أن التفاصيل المنشورة عن اتفاقية الدفاع المشترك أثارت أيضاً الكثير من الجدل العلنى الصريح، من منطلق أن اتفاقية الدفاع المتبادل (المشترك) هذا أمر يحتاج إلى المزيد من التشاور بين السير أبى بكر واللورد أنتونى هيد. هذه الاتفاقية فى أساسها، "تقضى بأن يقدم الطرفان لبعضهما المساعدات اللازمة للدفاع المشترك، وأن يتشاور الطرفان فى الإجراءات التى يتعين اتخاذها سوياً أو كلا على حدة، لتأكيد التعاون الوثيق بين الطرفين من أجل هذا الغرض". كانت التفسيرات البناءة أو التفسيرات الخيالية المرجحة لذلك هو للتأكيد على المشكلة السياسية.

شكّل سداد الإجراءات جنيناً جديداً من أجنة العلاقات الدولية. التاريخ الذى كتبه السوفييت لإفريقيا يسجل أن "الاحتفالات الرسمية التى أقيمت بمناسبة إعلان استقلال نيجيريا... حضرها وفد الحكومة السوفيتية. وقد ورد فى رسالة الحكومة السوفيتية الموجهة إلى رئيس ووزراء نيجيريا أن الشعب السوفيتى يعرب عن فرحه الصادق لحصول الدولة الإفريقية الأكثر سكاناً على استقلالها، وأن الشعب السوفيتى يتمنى من كل قلبه النجاح الكبير للشعب النيجيرى فى التنمية المستقلة. وتبع ذلك إقامة علاقات

ديبلوماسية بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والاتحاد الفيدرالى النيجيرى". هناك جزء محذوف قبل هذه الجملة الأخيرة. كان رئيس الوفد، السيد/ جيكوب مالك، السفير فوق العادة، والمفوض لدى محكمة القديس جيمس، قد حمل هذه الرسالة الودية من نيكيتا خروشوف، السكرتير الأول للحزب الشيوعى السوفيتى ورئيس مجلس الوزراء، وعرض السيد/ جيكوب مالك على كل من السير جيمس ورئيس الوزراء أن يقدم لهما نخبًا من الفودكا عبر الطاولة، على الرغم من أن السير جيمس هو وحده الذى وافق على ذلك العرض. وهنا يتذكر الحاج السير أبو بكر يوم أن استعمل السيد/ خروشوف حذاءه بدلاً من المطرقة، ويبلغ أبو بكر الصحفيين فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى مطلع شهر نوفمبر، أن الرسالة إلى جانب إعرابها عن الرغبة فى إقامة علاقات طيبة، فإنها تلح على افتتاح سفارة فى الحال. قال أبو بكر للسيد/ مالك: **"نحن لا نقر الإجبار. ولابد من اتباع البرتكول، وسوف ننظر فى الطلب فى الوقت المناسب وبالشكل المناسب"**. ويعلن أبو بكر أيضًا أنهم تلقوا رسالة بهذا المعنى من السفير السوفيتى فى غانا، وأنهم يتعاملون مع الطلبات حسب تاريخ ورودها وطبقًا لمصلحة نيجيريا، وأن الحكومة النيجيرية لن تتحمل ذلك الذى تحملته الحكومة البريطانية طوال السنوات العشر الماضية (جرى بعد ذلك اتباع البرتكول إتباعًا حرفيًا، نظرًا لأن قلة من الوزراء كانوا متعاطفين مع الروس، وجرى التوصل إلى اتفاقية فى نهاية المطاف، لكن بشروط نيجيريا، وكان ذلك فى شهر يونيو من العام ١٩٦١). ويخرج أبو بكر عن الخط الذى سار عليه الصحفيون، ويروح يعبر عن أسفه "لفكرة الدونية الاستعمارية" ويقول: إن حكومته تؤمن بالحرية، ولا تؤمن بانعدام المسئولية، وواصل كلامه ضاربًا مثلاً مفاده أنه إذا لم تستطع الأحزاب السياسية السيطرة على متطرفيها، فإن الأمر سيسفر عن فوضى كاملة. وكانت أولى السفارات التى افتتحت فى ليجوس هى: سفارة لبنان، وسفارة هولندا، وسفارة النرويج، وسفارة السويد ثم سفارة الجمهورية العربية المتحدة (مصر).

انتهت الأسابيع الستة التى كان فيها السير جيمس روبرتسون ممثلاً لصاحبة الجلالة الملكة، على رأس مملكتها النيجيرية المستقلة، بركوب الرجل على ظهر سفينة البريد ليكون بصحبة قوات الحدود الملكية الإفريقية الغربية سابقًا وهى تُبْعِدُ "وداع الهوسا" عن رصيف الميناء. وبطريقته التى تقلل من شأن الذات، قال السير جيمس روبرتسون إنه "أنجز القليل جداً الذى يصعب على المرء تحديده فى واقع الأمر"، لكن رئيس الوزراء أصر بصوت متهدج أن الرجل نجح **"فى توحيدنا، .... وإرشادنا إرشاداً صحيحًا"** نحن مجلس الوزراء. هكذا جاءت الإزالة العاطفية باستثناء الركيزة الإمبريالية الأخيرة، على الرغم من أن هذه الركيزة لم يجر الاعتماد أو التعويل عليها كثيراً اعتباراً من تاريخ الانتخابات التى جرت مؤخراً. ذهب السير جيمس روبرتسون بالتقليل من ذاته إلى مدى أبعد من ذلك بأن قال لأصدقائه إنه "تحصل على توصيلة سهلة"ـ لأن القرارات الصعبة كلها جرى اتخاذها بواسطة سلفة "جوك" jock. ومن الطبيعى عند هذه المرحلة مقاطعة خط سير القصة. بمسح عام شديد الإيجاز. هذا المسح لن يكون على شكل مراجعة أو استعراض آخر لشخصية السير الحاج أبى بكر تافاوا باليوا المتطورة، والتى يتغير أى شىء فيها عند هذه المرحلة. كان البابا يوحنا الثالث والعشرين قد بدأ يهنئ موكب الدول الإفريقية الجديدة الطويل طوال ذلك العام، وبخاصة تلك الدول التى كانت مسيحيتها فى ظل حكم الفرنسيين والبلجيكيين تنتمى إلى حد كبير إلى الكنيسة الرومية الكاثوليكية، لكن البابا حذر أيضًا هذه الدول من "الأوهام"، التى يعد أخطرها الظن أو الاعتقاد بأن الاستقلال السياسى يحل المشكلات والمصاعب كلها". وأقره أبو بكر المسلم على ذلك كما أوضحنا. هذا يعنى أن الاهتمام ينبغى أن ينصرف إلى مظاهر القوى الاقتصادية الكبيرة، التى ينبغى على أساس منها تطوير ذلك البلد وتنميته الذى يقوده هذا الرجل.

لم يوافق أبو بكر على بقاء بنى وطنه على خصام مع كونهم أفارقة، وبفارق جديد واحد عن الشعوب الأخرى مفاده أنهم لم يعودوا بعد يلقون باللوم على الحكم الأوروبى فيما يتعلق بالإساءة إلى قارتهم.

عند الحصول على الاستقلال كان حوالى ٦٠٪ من الناتج القومى النيجيرى وحوالى ٨٥٪ من الصادرات النيجيرية عبارة عن منتجات زراعية. كانت نيجيريا أكبر مصدرٍ فى العالم للفول السودانى ومنتجات زيت النخيل، وكانت نيجيريا تزرع حوالى سبع إنتاج العالم من الكاكاو، ذلك المحصول النقدى الذى كان يدر على نيجيريا ٤٠ مليون جنيه إسترلينى كل عام. كما ارتفع إنتاج البترول الذى سبق الإشارة إليه فى فصول سابقة إلى حوالى ٨٠٠٠٠٠ طن فى العام. كانت إنجلترا فى ذلك الوقت هى أفضل عملاء نيجيريا إذ كانت تأخذ نصف إجمالى الصادرات وتزود نيجيريا بحوالى ستة وأربعين فى المئة من الواردات . وخلال عقد واحد من الزمان زادت تجارة الصادرات بمعدل النصف ووصلت فى ذلك الوقت إلى ما يقرب من ٢٥٠ مليون جنيه إسترلينى، كما زادت أيضًا الواردات بمعدل أربعة أضعاف ما كانت عليه من حيث القيمة والحجم فى ذلك الوقت. ومع ذلك فإن العزوف عن الزراعة، ومن ثم الابتعاد عن الاكتفاء الذاتى، كان قد بدأ قبل الحصول على الاستقلال. وحتى على مستوى كانو نفسها، التى كانت تعد مخزنًا للبضائع ومثلاً أصيلاً على مدن الشمال، أصبح فيها فى ذلك الوقت صينيون من هونج كونج يعلمون الناس صناعة الطلاء بالميناء، ودانمركيون يعلمون الناس تربية الخنازير، وخبراء فرنسيون يعلمون ويحسنون إنتاج عطور بنت السودان Bint - el - Sudan، وأرمينيون يعلمون الناس إنتاج الأدوات المنزلية المصنوعة من الألومينيوم، وطلاء الأطباق بالفضة وصناعة السكاكين والشوك. كانت هناك أيضًا مصانع، متواضعة بلا أدنى شك، إعادة تأهيل الإطارات، وصناعة المشروبات الفوّارة والحلوى، والأحذية البلاستيكية والأثاث المصنوع من الحديد، وصناعة التربولين(*)، وصناعة الحصير، والصابون والمرايا، والثلج الجاف. كما كانت هناك أيضًا مصانع للملاءات والبطانيات، ومصانع لتصنيع الفول السودانى، ومصانع لإنتاج الزيت، وتعليب

(*) التربولين: القماش المتين المشمَّع أو المقطرن. (المترجم)

الطعـام، وكانت كل هذه المصـانع تقوم على أسـاس راسخ وسليم، وكـان هناك مـصنع للبسكويت على وشك أن يبدأ الإنتـاج. كان من المتوقع أيضًـا الدخول فى صناعة قولبة البلاستيك، وتجميع الثلاجات وأجهزة الراديو من القطع التى يجرى استيرادها من الخـارج. هذا الشىء نفسـه كان ينطبق على مراكـز حـضرية أخرى فى سـائر أنحـاء الاتحاد، كما أن سكتو نفسها كانت تحاول إنتاج الأسمنت (لكنها لم توفق فى ذلك).

زادت الإيرادات الفيدرالية عن ٩٥ مليون جنيه إسترلينى، بقيت منها ٣٥ مليون جنيه إسترلينى فى خزانات الحكومة الفيدرالية، وجرى تخصيص المبلغ المتبقى للأقاليم. وقدر الإنفاق الجارى للاتحـاد بحـوالى ٤٦ مليون جنيـه إسترلينى، الأمر الذى سمح بإضـافة مـا يزيد على ٦ ملايين جنيه إسترلينى إلى رصـيد التنمية. وحدث توازن لعدم التوازن الذى كان بين الشمـال والجنوب، لكن ذلك التوازن لم يعكس بعد عدد السكان فى كل إقليم مـن هذين الإقليمـين. كانت حكومة الإقليم الغربى تنفق على سكانه البالغ عددهم سبعة مـلايين نسمة، حـوالى ١٧ مليون جنيه إسـترلينى يجرى خصـمـها من الإيرادات التى تقدر بما يزيد على ٢٩ مليون جنيه إسترلينى والتى كانت تشمل أيضًا ٦ مـلايين جنيه إسترلينى من المخصصـات الفيدرالية. كان نصف هذه الإيرادات يرد من صـادرات الكاكاو. كان سكان الإقليم الشرقى البالغ عددهم حوالى ثمانية ملايين قد خصـصـوا ما يزيد على ١٥ مليون جنيه إسترلينى من الإيرادات الجارية التى تقدر بحـوالى ١٦ مليون جنيه إسترلينى، منها حـوالى عشرة مـلايين جنيه إسترلينى كانت تأتى مـن الاتحـاد الفيـدرالى، كـان إنتـاج زيت النخـيل هو المنتج الرئيسى فى الإقليم الشرقى. أما سكان الإقليم الشمالى الذين يقدر عددهم بأكثر من حوالى ثمانية عشر مليون نسمة فقد حصلوا على مـا يقل عن ١٨ مليون جنيه إسـترلينى يجرى إنفاقـها عليهم من بين مـا يزيد قليلاً على ١٨ مليون جنيه إسترلينى من الإيرادات، كان من بين هذا المبلغ حـوالى ١٢ مليون جنيه إسـترلينى جاءت على شكل مـخـصـصـات فيدرالية، وكانت زراعة الفول السودانى والقطن همـا المحـصـولان الرئيسيان فى الشمال. وفيمـا

يتعلق بخطط التنميــة كان الغـرب ينفـق ما يزيـد على ١٦ مليــون جنيــه إسـترلينى، أما الشرق فكان ينفق على خطـط التنمية ما يقـرب من ٧ ملايين جنيـه إسـترلينى، أما الشمال فكان ينفق حوالى ١٠ ملايين جنيه إسترلينى فى موازنة العام ١٩٦٠ - ٦١ . كان لا يزال هناك أكثر من متسـع للأحقاد المتبادلة إذا ما حاولنا مقارنة هذه الأرقام بعضها ببعض.

كان من الصعب أيضًا القول أو الادعاء بأن الإنفاق المركزى جرى تخفيضه بناء على دستور فيدرالى كان كثير من السياسيين يتطلعون إليه من منطلق تفضيله للأقاليم. كان برنامج العاصمة الفيدرالية، الذى تحدد الانتهاء منه فى العام ١٩٦٢ الميلادى، لا يزال بحاجة إلى توفير ما يزيد على ٨٥ مليون جنيه إسترلينى والتخلص منها عن طريق الإنفاق. وعلى الرغم من توفر ٣٠ مليون جنيه إسترلينى أخرى، وكان متوقعًا الحصول على ٣٤ مليون جنيه إسترلينى على شكل قروض (كانت بريطانيا ضامنة لحوالى ١٥ مليون جنيه إسترلينى من هذا المبلغ)، كما كان متوقعًا الحصول أيضًا على قرض أصغر من ذلك. ومع ذلك أضيف مشروعان جديدان، أولهما يتكلف ٣,٥ مليون جنيه إسترلينى لإصدار العملة الجديدة، وثانيهما يتكلف مليونى جنيه إسترلينى ويتمثل فى زيادة النفقات الدفاعية، الأمر الذى زاد من اتساع الثغرة. كان من بين البنود الإضافية التى يتعين خدمتها من ذلك القرض الذى يمكن الحصول عليه صندوق الأمم المتحدة الخاص، وتقدر قيمته بحوالى ربع مليون جنيه إسترلينى لمشروع سد النيجر، وحوالى ٢٨٥ ألف جنيه إسترلينى من الولايات المتحدة الأمريكية لتطوير الموانئ. وتأسست شركة استثمارية فوضتها الحكومة البريطانية سلطات هيئة التنمية الاستعمارية، وطلبت منها المساهمة، تأسست برأس مال قدره ٥ ملايين جنيه إسترلينى جرى جمع القسم الأكبر منه من الشركات التجارية البريطانية. وعقب الحصول على الاستقلال مباشرة جرى نشر تقرير أشبى **Ashby** بصورة رسمية ليكون بمثابة مرشد تهتدى به الحكومة المحررة الجديدة، ومع ذلك كان لابد من توفير الميزانية اللازمة للوفاء

بوعد التوسع فى التعليم. كانت كل هذه الأرقام، شأنها شأن عدد السكان، تبدو كبيرة فى العام ١٩٦٠ الميلادى، وأُونيتشا حوالى ٧٧٠٠٠ نسمة، وكانو حوالى ١٣٠٠٠٠ نسمة. على الصعيد غير الرسمى شجعت كل من الهجرة الريفية وتخفيض نسبة الوفيات فى الأطفال، على الاعتقاد بأن ليجوس كان فيها حوالى مليون نسمة، أما كانو فكان فيها حوالى ربع مليون نسمة، وبالتالى زاد عدد سكان المدن الأخرى عن الأعداد المنشورة.

وعلى الرغم من كل ما قلناه، فإن نيجيريا فى أساسها كانت عبارة عن اقتصاد زراعى، وكان العيش على الكفاف أمرًا ذائعًا ومعروفًا، كما أن أسفار رئيس الوزراء الواسعة، وازدياد تعرفه أفكار مختلف رؤساء الدول الصناعية لم ينسياه تخوف مدرس الفصل التقليدى من تشجيع النضج المبكر. كان التأثير الذى زعمه أبو بكر يفيد أن الدور الذى ستلعبه نيجيريا فى إفريقيا وفى العالم سيكون دورًا أخلاقيًا ودبلوماسيًا دون مساعدة للقوى الاقتصادية التقليدية أو القوى الأخرى. وما دام أن هذا الدور سيكون بقيادة أبى بكر سيكون فاعلاً من منطلق أن هذا الدور مختلف عن التهور الذى يُقدْم عليه النيجيريون الشبان المعاصرون وكثير من الزعماء الأفارقة الآخرين. ومع ذلك كان الكثيرون يرون أن الاعتدال الذى يقوم على الفكر والتأمل هو عكس للفضيلة.

الفصل الثانى والثلاثون

خرافة كاملة فى نهاية عام الاستقلال

(استطراد تصديرى رقم ١)

رئيس وزراء نيجيريا والكنغو

الكذب يمر عليه عام (ويظل) كذباً

الصدق له مكانة ثابتة إلى الأبد.(*)

تنامت خلال الجزء المتبقى من عام الاستقلال الثقة الوطنية وثقة الأفراد إذ كانا يتغذيان على الشعور بالنشوة والفرح والاغتباط الذى كان سائداً فى ذلك الوقت. وعلى الرغم من أن أحداث الكنغو وبعض الأماكن الأخرى حولت الانتباه عن الدردشة المسلية ضيقة الأفق عن الماضى فقد بدأ التعليق الشعبى الواسع يتردد حول عدد الوظائف العليا التى لا يزال البريطانيون يشغلونها فى ليجوس وفى الشمال بوجه خاص - الواقع أن السواد الأعظم من المقيمين الذين يتقاضون معاشات، وليس السكرتيرون الدائمون وحدهم، كانوا قد اختفوا تماماً من الإقليم الغربى. استفاد الكاميرون الجنوبى بصورة مؤقتة من أولئك الذين رحلوا عن الجنوب، حيث كانت هناك مجموعة

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو شبيه إلى حد بعيد جداً بالمثل الذى يقول: المزيفون يتعين أن يكون لديهم شهود كُثر Fause fowk (false folk) shou'd have mony witnesses. والمثل الهوسوى شبيه بالمثل العامى المصرى الذى يقول "الكدب مالوش رجلين" بمعنى "الكذب ليس له أرجل". (المترجم)

صغيرة من الوظائف البريطانية قصيرة الأجل. على كل حال، كان الرأى السياسى العام يغلب عليه التمحور بين الآمال المفرطة فيما يمكن أن تحققه نيجيريا على الصعيد الخارجي، وتوجيه اللوم إلى النفوذ المتبقى للبقية الباقية من المقيمين فى الداخل عن أى شكل من أشكال الفشل القومى الذى يمكن أن يخطر على البال. إذ ما نحينا جانبًا هذا التَّشكِّى، نجد أنه كانت هناك أربعة اهتمامات كانت تشد انتباه رئيس الوزراء الفيدرالى على امتداد السنوات الثلاثة التى تلت ذلك، وقد تمثلت تلك الاهتمامات فى: الكنغو، التوجه نحو التعبير المشترك عن تضامن القارة الإفريقية، تهديد الإقليم الغربى للاستقرار الوطنى، وأخيرًا إقامة النظام الجمهورى. فى ظل الإدارة اليومية المستقرة فى عالم مثالى، سمح للتقدم بالمضى قدمًا بفضل من الله (سبحانه وتعالى) ، استطاع رئيس الوزراء الفيدرالى التركيز على ممارسة هواياته المفضلة، وعلى الخط الحديدى المتجه إلى بحيرة تشاد، والتحكم فى مياه نهر النيجر. وتواصل تلك الهوايات ظهورها من خلال التيار العام للأحداث، لكن هذه التيارات الأربعة المتقاطعة سوف يتعين التعامل مع كل منها على حدة، فى المواضع التى تسمح لنا بتناول هذه التيارات الأربعة فى هذه القصة.

عقب سفر الأميرة ألكسندرا كان لدى مستشار سكتو السياسى الرئيسى شىء يود قوله عن الموظفين المدنيين والسياسة الخارجية. وعندما استفزه الصحفيون قال ما مفاده إنه فى الأماكن التى لا يكون فيها عدد من الشماليين الأصليين "كافيًا"، بدأ يفكر فى مسألة السماح للجنوبيين بالدخول إلى هذه الأماكن لكن بشروط، لكن الرجل قال: إن الهنود الغربيين إذا ما عرضوا تقديم أنفسهم للعمل فإنه سينظر إليهم باعتبارهم أشقاء حقيقيين (كان هناك موظف زراعى هندى غربى، يحظى بالإعجاب لأنه كان مؤسسًا لهيئة العاملين المحليين فى سكتو طوال سنوات عدة)، وردًا على اقتراح بتجنيد زنوج الولايات المتحدة الأمريكية واستخدامهم، قال أحمد بللو إن هؤلاء الزنوج ليسوا مهتمين بإفريقيا فى حقيقة الأمر. وعندما جره الصحفيون إلى التحدث

عن اهتمامه المعروف بإقامة علاقات أوثق مع جمهورية النيجر، أكد المستشار السياسى الرئيسى أن "القسم الأكبر من هذا البلد كان ملكًا لنا فى يوم من الأيام"، ومضى إلى القول إنه قبل مائة وخمسين عامًا كان يمكن له أن يقود جيش سكتو بنفسه لمساعدة الجزائريين. ويرفض المستشار السياسى الرئيسى من جديد فكرة احتمال عدم موافقته على السياسة الخارجية التى ينتهجها الحاج السير أبو بكر، ما دام أن رئيس الوزراء يشغل منصبه بحكم عضويته فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وأنه فى ذلك الحزب كان مساعداً لأحمد بللو. لم تكن تلك هى وجهة نظر رئيس الوزراء، نظرًا لأن هذه السياسة كانت تدار بواسطة زملاء رئيس الوزراء من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، فى وزارة الخارجية. كان السيد/ لورانس آنيونيو على وشك الالتحاق بوظيفة السكرتير الدائم بعد الانتهاء من الكلية شأنه فى ذلك شأن كلٍّ من لوسون Lawson ووى wey من قبله: كان المعلم عيسى والى، الذى طلب منه جوبل Goble سجلات حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، عندما تخلى عن الثقافة وراح يشتغل بالسياسة فى العام ١٩٥١ الميلادى، والذى كان يعمل منذ ذلك الحين كاتبًا مساعداً فى المجلس التشريعى الشمالى ومحرراً فى جريدة الهانسارد Hansard، قد أصبح (عيسى والى) مسئولاً عن الشئون الخارجية، القسم الإفريقى، ولم يعد بعد مساعد المساعد، أو بالأحرى خادمًا لرئيس وزراء الشمال - كان رد الحاج السير أبى بكر على المستشار السياسى الرئيسى لا يزال محكومًا بوجهة نظره السائدة التى مفادها **"كل حكومات الاتحاد الفيدرالى مستقلة ذاتيًا، ولكل منها مهام محددة تحديدًا واضحًا، وإن إحداها لا تستطيع حل بعضها البعض"**. كانت اتصالات المستشار السياسى المتكررة مع ليجوس تتم عن طريق الحاج محمد رباط، ولم يحدث مطلقًا حتى ولو لمرة واحدة جرى فيها إرجاء أية نتيجة أو استنتاج من الاستنتاجات التى توصل إليها مجلس الوزراء أو تأخيره بزعم أنه ستتم مناقشة الأمر مع كادونا. ولم تسجل حالة واحدة من حالات الإحالة غير الرسمية.

تناول أبو بكر فى مؤتمره الصحفى الدورى الشهرى المعتاد، قبل انعقاد الجلسة الأولى للبرلمان المستقبل بفترة قصيرة، تحدياً من التحديات الأخرى، إذ راح الرجل يتحدى أولئك الذين يقفون وراء الحملة التى تهدف إلى إبعاد كبار المقيمين المتبقين فى البلاد، وقال: إن الهجمات الشخصية على بطرس ستالارد وصلت إلى الحد الذى تعين عنده أن يقول إنه "**يتعين أن يكون واضحاً أن صمتى يجب أن لا يفسر على أنه ضعف منى**". هذه إشارة من إشارات الجحود من جانب النيجيريين، عندما يسيئون الأدب مع السكرتيرين الدائمين المقيمين الذين كانوا يخدمون البلاد على أفضل نحو ممكن – وأن الأجانب كلهم الموجودين فى نيجيريا، جاءوا تلبية لرغبة الشعب النيجيرى، لكن ذلك لا يعنى أنهم يجب أن يُطْردوا لأن البلد حصل على استقلاله. وقد ردد أبو بكر هذا الكلام مرات ومرات أثناء زيارته لكل من إيبادان وبنين: "**هذه بقية من بقايا العقلية الاستعمارية فى ذهن الشعب**"، إذا ما فكر الشعب أنه كان يجرى الإملاء عليه من قبل مسئوليه أو الرسميين فيه، التفكير الذى من هذا القبيل لا يعنى سوى أن الرجل هو وإخوانه الوزراء لم يكونوا صالحين أو مناسبين لإدارة الحكومة، وأن حكومته لن تتحمل شيئًا من اللا مسئولية والإهانات الشخصية التى تحملها البريطانيون طوال السنوات العشر الأخيرة من حكمهم. رُوِى أيضًا أن المستشار السياسى الرئيسى كان يأسف للحملات الصحفية التى تشن على الموظفين الأجانب.

كان أبو بكر حازمًا فى مسألة المحلية عندما زار الإقليم الشرقى. كان السيد/ صمويل جى إيكوكو Ikoku، زعيم معارضة حزب جماعة العمل فى جمعية إينوجو العمومية، يقول: "من سوء الحظ أن يصبح رئيس الوزراء حجر العثرة أمام اكتمال عملية النجرنة وبخاصة فى المناصب الرئيسية"، يضاف إلى ذلك أن حركة طلائع الدكتور أزكوى الوطنية (التى بقيت على قيد الحياة تحت أسم "جناح الشعب" فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، كانت تشتكى هى الأخرى من أنه ما دام أن أبا بكر لم يسبق له الانضمام إلى النضال الوطنى من أجل الاستقلال، فذلك يعنى أن

الرجل لم يفهم الهدف من ذلك النضال. وعلى الرغم من أن محط احتقارهم وسخريتهم لم يعد عليهم سوى بمادة صلبه خالية من الظلال البهيجة، وعلى الرغم من أن أبا بكر استطاع أن يتبين أن البلاد ستكون، خلال وقت قصير، مضيفة لكثير من الأجانب أكثر من ذى قبل، لكن قلة قليلة من هؤلاء الأجانب سيكونون خدمًا مباشرين ومنظمين، فإن الرجل لم يُؤْثر النقاش الحاد. كان أبو بكر على قناعة من أنه كانت هناك أصوات أخرى قوية تنقلب على أعضاء مجلس النواب من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، الذين كانوا ينادون بالتأميمات التجارية (**"التى لم تكن مطلقًا سياسة من سياسات الحكومة الفيدرالية"**) – كان الدكتور أزكوى موضوعيًا ("طرد المستثمرين من نيجيريا عن طريق التخويف ليس فيه أى قدر من الحكمة السياسية")، كان أوكبارا ok-para ذلك الرجل الفظ فى الإقليم الشرقى قد قال: ("هؤلاء الذين يدافعون عن التأميم هم من الشيوعيين، وينبغى أن تكون لديهم الشجاعة الأدبية لكى يجاهروا بذلك")، وقدر رد كل من الرئيس فستوس والمستشار السياسى الرئيسى على هذا الكلام. واقع الأمر أن الإقليم الشرقى كان يستبدل المقيمين بصورة منتظمة لكن بدون إحداث انقلابات مفاجئة من البنى التى ميزت الغرب.

مع رحيل روبرتسون، أدى الدكتور أزكوى، كما هى العادة، قسم الحاكم العام وسط شىء من الاحتفال، على الرغم من أن ذلك الاحتفال كان أقل مما يصبوا إليه كثير من الوطنيين. وتعدل مسمى "مجلس الحكومة" إلى "مجلس الدولة"، وعلى الرغم من أن برنامج الاحتفال خصص عشر دقائق لخطاب الدكتور أزكوى، فإن الرجل ألقى خطابًا استغرق ثلاثة أرباع الساعة، لم يستشر فيه رئيس الوزراء أو يُطلعه على مسودته. تطرق الدكتور أزكوى فى هذا الخطاب إلى موضوعات تدرجت من خيبة أمله فى الأحداث التى تجرى فى وسط إفريقيا وجنوبها، والتفرقة العنصرية بشكل عام، إلى احتجاز الرئيس جوموكينياتا Kenyatta، وفشل كل من فرنسا، والبرتغال وأسبانيا فى التوقيع على الاتفاقية الأوروبية الخاصة بحقوق الإنسان، ومعارضة نيجيريا لأى تورط

مع منظمة حلف شمال الأطلسي. وحث الدكتور آزكوى أيضًا زعماء الأمة على الانضمام إلى الحاج السير أبى بكر وإليه فى المهمة التاريخية لرفع هامة الإنسان وقامته فى إفريقيا. بعد ذلك بوقت قصير جرى تعيين سعادة الدكتور آزكوى مستشارًا خاصًا من قبل صاحبة الجلالة الملكة، لينضم بعد ذلك إلى السير روى ولنسكى، فى قائمة كبار السياسيين من البلدان الملكية المستقلة التابعة للكمنولث، تلك الشخصيات التى تقاسمت ذلك التميز مع الوزراء السابقين والحاليين من وزراء المملكة المتحدة. وخلفه فى رئاسة مجلس الشيوخ الرئيسى دينيس Dennis أوساديباى Osadebay وهو من حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، بدأ دينيس أوساديباى هذا ينظر لمسألة الرغبة المستقبلية فى أن يكون للدولة حزب واحد، أما السيد/ جاجا واشوكو، الذى جرت ترقيته بينما كان يقوم برئاسة الوفد النيجيرى إلى الأمم المتحدة، ليكون وزيرًا للتنمية الاقتصادية، فقد خلفه المعلم جالو Jalo كبير مستشارى جومب Gombe فى منصب المتحدث الرسمى المنتخب باسم المجلس الأدنى. وواشوكو مدين بمناصبه المتتالية إلى الافتقار إلى أعضاء من حزب المجلس الوطنى النيجيرى من ناحية، وإلى التوازن الإثنى من الناحية الأخرى فى المناصب الرئيسية، لكن الرجل فى الوقت الذى كان فيه على علاقة ودية مع رئيس الوزراء كان يضايق كثيرًا من السياسيين الآخرين بافتعاله سياسة مستقلة مغرضة. أما الدكتور ميخائيل أوكبارا، رئيس وزراء الإقليم الشرقى فقد جرى تعيينه أو اختباره فى مؤتمر الحزب فى ليجوس ليكون خلفًا للدكتور آزكوى فى رئاسة حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى، كان الرئيس تى أو إس بنسون Benson قد فشل هو الآخر فى محاولته اليوروباوية الجريئة فى تعيين الرئيس أودليى Odeleye فاداهونسى Fadahunsi، على إثر إدراك الجميع أن رئيس الحكومة يفضل أن يكون زعيمًا قويًا، وهنا قام كولا بالوجن بوساطة ناجحة (كان بالوجن فى ذلك الوقت يشغل منصب المندوب السامى لدى غانا، ذلك المنصب الذى رفض الحاج السير أبو بكر تطويره أو رفعه طوال بضع سنوات، فى محاولة منه لإبراز استيائه من

نظام حكم نيكروما). كانت مسألة قيام قصر بكنجهام بتعيين نائب للحاكم العام قد ولَّت وفات أوانها.

افتتح الحاج السير أبو بكر أول جلسة من جلسات البرلمان المستقبل بإشادة رشيقة لها مغزاها عندما قال: **"لقد أوضحت لنا الأميرة ألكسندرا أن نيجيريا يتعين عليها القيام بالكثير من أجل المحافظة على مؤسساتها - وأنا أشير هنا بصورة خاصة إلى مؤسسات الإمارة، أو مؤسسات الرؤساء obaship، أو مؤسسات الرؤساء chie-faincy الآخرين"**. كان النقاش الأول الرئيسى يدور حول الاقتراح المقدم من أوكوتاى - إيبوه okotie - Eboh، والخاص بالموافقة رسميًا على اتفاقية الدفاع مع بريطانيا التى يدور من حولها جدل كبير. أما الرئيس آولو الذى كان يتزعم المعارضة، فقد واصل هجومه على تلك الاتفاقية زاعمًا أن النقد الصحفى وحده هو الذى أوعز إليه بهذا الهجوم، كما أن احتجاجات الطلاب الجامعيين فى إيبادان هى التى قللت من وزن هذه الاتفاقية وشأنها، وهنا، وهنا يتقد حضور بديهة رئيس الوزراء، الحاج السير أبو بكر، وينبرى قائلاً:

> **أظن أن الكذب يعد خطيئة فى الإسلام أو المسيحية. قال زعيم المعارضة لهذا المجلس الموقر أن أربعة منا جرى لفُّهم بغير عناية فى ١٠ دواننج ستريت(*) وجرى التأثير عليهم ليوقعوا بالأحرف الأولى على عناوين ذلك الاتفاق. وأنا أستعمل كلمة معتدلة، وأقول إن ذلك غير صحيح تمامًا. لقد ناقشناهم فى مجلس لانكستر. وكنت حاضرًا هناك من البداية..... لقد أُعطى استقلال نيجيريا بلا أى شروط على الإطلاق.... وخلال الاجتماع الأخير قلت.... ليس من عادتى تعرية أصدقائى أو كشفهم. لكنى اليوم على أتم**

(*) الإشارة هنا إلى مقر مجلس الوزراء البريطانى. (المترجم)

الاستعداد ولتعرية هذا الصديق وكشفه. المواطنون المسئولون والعقلاء فى هذا البلد على علم ببعض الأساليب البريطانية. وليس من طبيعة البريطانيين إجبار الناس بالطريقة التى يتحدث عنها زعيم المعارضة.

"فى الوقت الذى كنا فيه نحن رؤساء الوزراء (على الرغم من أن واحداً فقط منهم هو الذى كان رئيساً للوزراء فى ذلك الوقت) تشكلت مجموعة للتوقيع بالأحرف الأولى على ذلك الاتفاق، ومناقشة العناوين الرئيسية فيه.... فى لندن، كان حاضراً معنا أيضاً السير جيمس روبرتسون، والسيد/ لينوكس - بويد، والسيد/ دنكان سانديز الذى كان وزيراً للدفاع فى ذلك الوقت. ومع ذلك... لم يحضر رئيس وزراء المملكة المتحدة أية مناقشة من تلك المناقشات..... وجرى وضع مسألة إنشاء قاعدة عسكرية لقوات المملكة المتحدة المسلحة أمامنا. وأنا أقول إذا كان زعيم المعارضة هو ذلك المسيحى الحق، الذى أرى أنه كذلك، وإذا كان يخشى الله ويخافه،... أوضحت هناك عندما كنا فى اجتماع لمناقشة مسألة القاعدة العسكرية - وكنت أنا وحدى الذى علق على هذه المسألة، ومحضر الاجتماع موجود ويشهد على ذلك - قلت: إن مطار كانو مطار مدنى، وأنا لن أعارض فى أن يكون للمملكة المتحدة مطار آخر لكن فى مكان آخر. وقال زعيم المعارضة فى هذا الاجتماع، "إذا لم تستطيعوا الحصول على مطار فى كانو، تعالوا إلينا فى الإقليم الغربى!" وللأمانة أنا أقول الحق أمام المجلس. فى ذلك الوقت كان صديقى المحترم يحلم بالفوز فى الانتخابات القادمة.

.... وأنا أحس بالخجل وخيبة الأمل بحق، كما أحس بالغضب الشديد من ذلك الخطاب الذى ألقاه صباح هذا اليوم زعيم المعارضة الذى كان حاضرًا معنا تلك المناقشات. صحيح أن الاتفاق الأصلى يحتوى على اقتراح بإنشاء قاعدة عسكرية [مقاطعة] - والمعارضة لها آراؤها ونحن أصحاب الأغلبية لنا أيضًا طريقنا الخاص بنا..... زعيم المعارضة يعيش حلمًا، وسوف يموت قبل تحقيق حلمه وأنا سوف لن أتزحزح عن هنا، وعندما سأواجه الانتخابات مرة ثانية، سوف يعيدونى إلى هنا من جديد....

"اتفقنا على أن يجرى تحضير الاتفاقيات التفصيلية، وعلى إرسالها بعد ذلك إلى الحكومة النيجيرية لدراستها، ولتبدى الملاحظات التى تراها، نظرًا لأن المملكة المتحدة تعلم حق العلم أننا نحن الأربعة، رئيس الوزراء الفيدرالى ورؤساء الوزراء الإقليميين لا يمكن لنا إلزام أية حكومة نيجيرية مستقبلية باتفاق من هذا القبيل.... ونحن فى مجلس الوزراء، وقبل المؤتمر، عينا لجنة وزارية لدراسة تفاصيل تلك الاتفاقية، وأنه نتيجة لمناقشات هذه اللجنة الوزارية، أصبح لدينا ذلك الشكل من أشكال الاتفاق الذى هو أمامنا الآن. إذن فإن قول زعيم المعارضة أن ذلك جاء بسبب صيحة شعبية، لا معنى له. وهو نفسه عاجز عن تنصيب نفسه بين الجماهير.

ليس من قبيل التزيُّد هنا القول بأن موقف آولوو الشخصى من هذا الأمر جعل أبا بكر. أقل احتمالاً للتطرف اليوروباوى كله عن تحمله للحماس الإجباوى المتطرف بشكل عام. تلا ذلك نقاش غاضب سيئ النظام، قال الرئيس أو بى آكن - أولوجاد

Akin - olugade فى مطلعه إنه لم يكن يفاجأ بتلك الورطة نظراً لأن رئيس حكومتهم كان يحمل "وسام KCBE"، مما يعنى أنه، كان فارساً ولم يكن وطنياً، وإن كان على هذا الحال مدة طويلة (لكن الرئيس أصبح بعد مدة طويلة صديقًا اجتماعيًا جيدًا للفارس). كان كثير من أعضاء البرلمان أقل انبهاراً بأن نصيب نيجيريا من الصفقة سمح لها بالحصول على مبيعات من الأسلحة البريطانية والتدريب فى بريطانيا أيضًا، وبشروط أفضل من الشروط التى فى الأماكن الأخرى فى ذلك الوقت. ومع ذلك، فإن الموافقين على الاتفاق، على الرغم من قيام المعارضين له بترديد ذلك الرفض لمدة عام آخر فى أوساط الانفعالات الشعبية الصادرة عن أولئك الذين لا يعرفون حقيقة الأمور معرفة كاملة، وهنا نجد كلاً من هيد Head وهنت Hunt يسارعان فى المفوضية البريطانية العالية إلى التعامل مع هذا الاتفاق من منطلق أنه حرج لا داعى أو لا لزوم له. عجز الجميع عن تدبر قيمة اتفاق يتعلق بالمساعدة العسكرية المتبادلة وتحديد قيمة ذلك الاتفاق فى حال افتراض وقوع أو حدوث تمرد عسكرى.

تبع ذلك فصل رشيق وجميل، عندما قام أبو بكر بالرد على ذلك بالإشادة بالحكومة وبأبى بكر نفسه لدورهما فى احتفالات الأول من شهر أكتوبر، والطريقة المستقلة المحترمة التى عرض بها أبو بكر قضية نيجيريا أمام "منتدى الرأى العام" فى ليك lake إسكس Success. لم يكن الرجل "متعصبًا"، على الرغم من وجود بعض الملاحظات الفظة من قبل المعارضة، ولكن الرجل بحكم معرفته لما سيحدث فى المستقبل قال: **"أعتقد أن من الخطأ فى حياتنا ـ وهذا هو رأيى الشخصى – أعتقد أن من الخطأ فى حياة الإنسان أن يظن أنه أتم عمله وأكمله، وأعتقد أن أعمال الناس يجرى فهمها وإدراكها بعد أن يغادروا هذه الأرض.... وكما قلت، فأنا أحس وأشعر دومًا أننا عندما نكون أحياء، يمكن أن نوصف بالعظمة أو شىء من هذا القبيل، لكن الأرجح بعد أن يتم الإنسان عمله، وبعد أن يتولى الأمر أناس آخرون، عندئذ يرى الناس بحق قيمة الإنسان ويقدرونها".**

جاءت الشئون الخارجية فى المرتبة الثانية. ووافق أبو بكر على اقتراح من المعارضة يقضى بإحياء المنظمات الثقافية والفنية والاقتصادية التى بين دول غرب إفريقيا: **"لقد تهيأت لى فرصة مناقشة هذه الأمور مع رئيس جمهورية غانا، ومع رئيس ليبريا، ومع رئيس وزراء توجو، ومع رئيس جمهورية تشاد، وعليه تطرقنا إلى ما هو أبعد من استبداء المناقشات. نحن الآن فى مرحلة نحاول فيها الوصول إلى شىء مكتوب.... ونحن فى الحكومة يتعين علينا ألا ننسى أن تلك المنظمات أدخلها البريطانيون فى الماضى فى المناطق التى كانت تابعة لهم فى غرب إفريقيا".**

تطرق أبو بكر إلى صعوبة تزويد السفارات الجديدة بالعاملين، وقد جاء ذلك فى إطار تعليق موسع له عندما كانت تجرى مناقشة المخصصات الإضافية التكميلية اللازمة لوزارة الخارجية وعلاقات الكمنولث: **"أنتم تعلمون أن الفطرة السليمة، ليست بحاجة إلى درجة جامعية..... وتعرفون أيضًا أن الحكومة عندما تعين سفراء لها فى الخارج، فقد جرى العرف فى سائر أنحاء العالم، أن يقوم البرلمان، الذى يعد هيئة عليا، بمحاولة دعم الفرد وتأييده الذى يكون من هذا القبيل - هذا إن أحسن ذلك الشخص السلوك والتصرف..... لكن هذا الفرد لم يبدأ بعد فى أداء عمله، ونراهم يبدأون فى المقارنة والنقد لا لشىء سوى لمركب النقص الموجود فى أذهان بعض الناس.... ورئيس الوزراء لا يمكن أن يكون فى كل مكان فى آن واحد،...... لكننى كنت أبذل قصارى جهدى، قمت بزيارة عدد كبير من الدول الإفريقية، ولا أزال أقوم بتلك الزيارات والأسفار. وبادئ ذى بدء، لقد بدأنا عملنا منذ شهر أو شهرين ولم ننسئ التصرف إلى الآن. وأنا أتمنى تجديد اتصالى ببعض من رؤساء هذه الدول الذين التقيتهم فى نيويورك (وأنا يتعين على أن أقول لكم:** [كشر عن أسنانه سرورًا] **إن بعض هؤلاء الرؤساء مهمون جدًا، وأود معرفة المزيد عنهم)**. وعندما بدأت العلاقات الدبلوماسية مع الكتلة الشرقية، قال ما يلى عن "شياطين هم يعرفونها": **"أتمنى على**

المجلس أن يقدر أن بعضًا من تلك الدول التى تفتح [بعثات دبلوماسية] هى دول جديدة علينا تمامًا، لكن الدول الأخرى نحن على علاقة بها منذ زمن طويل".

بعد ذلك بيومين تقدم الرجل باقتراح رسمى للموافقة على السياسة الخارجية كما هى واردة فى الخطبة التى كُتبت للأميرة ألكسندرا فى اليوم الثالث من شهر أكتوبر، والمبنية على بيانه السابق المؤرخ اليوم العشرين من شهر أغسطس: "..... قد يأتى الخير من الغرب، وقد يأتى الخير من الشرق، ... [أو من] قارة إفريقيا..... ونحن سوف نقود نيجيريا عن طريق الحقيقة والصدق،..... ونحن لسنا أولئك الذين يخرجون لكى نثبت للدول الأصغر منا أننا دولة كبيرة من حيث الحجم والسكان، ومن ثم تبدأ تلك الدول الصغيرة الهرولة خلفنا.... وأنا لا أجد داعيًا أو مبررًا لقيام نيجيريا بوضع قوات لها على طول الحدود بين نيجيريا وجمهورية النيجر [لم يشر رئيس الوزراء إلى الكاميرون]. لابد أن يكون هناك تبادل للأفكار بين دول وسط إفريقيا ودول غرب إفريقيا، أو بين دول جنوب إفريقيا ودول شمال إفريقيا... ولا يتعين لأى بلد أن يفرض نفسه على البلدان الأخرى..... المشكلة الكبرى، التى أراها أنا شديدة الوضوح، هى المحافظة على إبعاد قارتنا عما أسميه أنا دومًا الحرب الأيديولوجية.... ونحن يتعين علينا أن نبعد عن إفريقيا الشرور التى نعتقد أنها لا تهدد أوروبا وحدها، أو آسيا وحدها، أو أمريكا الجنوبية وحدها، وإنما تهدد العالم كله". وهنا لم يتمالك الرجل نفسه إذ راح يَخِزُ نيكروما من جديد.

"تهيأت لى فى العام ١٩٥٧ الميلادى فرصة التحدث مع "سياسى مهم جدًا" فى واحدة من دول غرب إفريقيا. جاءنى ليتحدث معى عن أهمية الاتحاد السياسى بين دول متفرقة، وقال إن بلده وبلدًا آخر سوف يتحدان ويكونان اتحادًا فدراليًا. وقلت لذلك الرجل الجنتلمان إن من الصعب على هذه الفكرة أن تتبلور، لسبب رئيسى هو مطامح الأفراد. حصل البلدان على استقلالهما، واتحدا اتحادًا فيدراليًا. فماذا حدث؟ لم يدم ذلك الاتحاد سوى فترة قصيرة فقط.... وبسبب مطامح الأفراد الشخصية فى بلدين أو

ثلاثة، نحن نرى أنه ليس ضروريًا وليس من الحكمة أيضًا أن تتحد الدول المنفردة اتحادًا فيدراليًا..... الدول كلها تسعى للحصول على مقعد فى الأمم المتحدة على شكل دول مستقلة عن بعضها البعض. والآن، وبعد أن يحصل أى بلد من البلدان على سيادته، سيكون من الصعب، فى رأيى، على هذا البلد تسليم سيادته أوالتنازل عنها...... ونحن هنا لا نقوم بتوجيه النصيحة أو طلب المساعدة... يتعين الاقتراب منا. تلك هى سياستنا، يا سيادة الرئيس، وأنا أسمى هذه السياسة "عش ودع الآخرين فى إفريقيا يعيشون!" وبذلك يقطع أبو بكر خط الرجعة على نقاد الحدود المصطنعة المستقبليين.

فى اليوم التالى، وفى رده على النقاش أسهب الرجل وأفاض مع بعض التأكيدات فى الموضوع التالى: **"على الرغم من أنى لست عضوًا فى المجلس، فإنى أستمع دومًا إلى حواراتكم** [من خلال المرَحِّل] **وأنا فى غرفتى. طالب أينهاهور بلجنة للشئون الخارجية تضم الأحزاب كلها. وهذا أمر غير عملى لأن هذا المجلس أولاً وقبل كل شىء مجلس للممثلين (المندوبين)، وفيه حكومة ومعارضة، والسياسة الخارجية لأية حكومة من الحكومات هى لحكومة اليوم...... وفى حال حدوث أمر خطير جدًا يؤثر على نيجيريا كأمة، سوف أرجع بكل تأكيد إلى زعيم المعارضة [المشاركة الثنائية لا تجرى كما هو الحال فى الوستمنستر westminister].**

"سياستنا تقوم على النضال من أجل تحرير كل الدول الإفريقية التى لا تزال خاضعة للحكم الاستعمارى، هذا لا يعنى أنى لا أستثنى عن قصد نظرًا لأنى لم أذكر دولة بعينها. فيما يتعلق بجنوب إفريقيا، فهذا موضوع شائك ومتفجر، وأنا لا أود مطلقًا إحراج زملائى فى الكمنولث، الذين سأقوم بمناقشة هذا الأمر معهم. لكن ..... يتعين على نيجيريا القيام بواجبها فى التحقق من العدالة والمساواة فى التعامل مع الجنس البشرى كله". [من الواضح أنه كلمة "الواجب" كانت من بين مفردات الرجل، على اعتبار أن الواجب موجود دومًا حتى وإن لم يتم إقراره أو الموافقة عليه، لكن كلمة "حق"

تعنى شيئًا يتعين اكتسابه]. وعندما عاد الرجل إلى الحديث عن اتفاقية الدفاع، **"إن كل ما يعنينا ويهمنا هو أمن الدول النيجيرية وسلامتها"**، أخيراً وفى معرض تعليقه على تغيب كبار الأجانب عن حضور احتفالات الأول من أكتوبر، **"سوف ترى نيجيريا ماذا تفعل فى هذا الأمر، وسوف تدرس مسألة دخول الصين إلى الأمم المتحدة.... ونحن لا يمكننا دعوى كل دول العالم لحضور احتفالات استقلالنا"** أحس الرجل بالحرج الشديد عندما صوّت المجلس فى مرحلة باكرة من الاجتماع على منح معاش لرؤساء وزراء الاتحاد الفيدرالى عند التقاعد. وقدر رقم هذا المعاش بحوالى ١٥٠٠ جنيه إنجليزى.

عندما انفض المجلس تصرف الحاج السير أبو بكر على الفور تصرفًا يوحى بأن الرجل سياسى محنك لم يكن بحاجة إلى توجيه الدعوة إليه. وبدون أى إنذار عام مسبق طار أبو بكر عائداً إلى لندن عن طريق روما، ومن لندن حملته طائرة تونسية إلى تونس، التى أجرى فيها مع الرئيس بورقيبه محادثات بشأن المتاعب والاضطرابات المستمرة فى الجزائر. **كان أبو بكر قد توصل من قبل إلى نتيجة مفادها أن حل مشكلات الجزائر لابد أن يكون عن طريق القوة، وذلك من منطلق أن الاهتمام المشترك بالسلام الاجتماعى الإسلامى أفضل عن جر التدخل على إفريقيا من قبل الأطراف الثلاثة الكفره من أقصى الشرق، والذين كانوا يساندون جبهة التحرير الوطنية، كان أبو بكر يأمل فى أن يقوم بورقيبه وهو أيضًا بإقناع بريطانيا، ومن ثم إقناع الولايات المتحدة الأمريكية على الإصرار على قيام فرنسا بتقديم بعض المبادرات (كان بورقيبه، بكل تأكيد، أكثر ولاء للغرب ومعاد للسوفييت بكل تأكيد، شأنه فى ذلك شأن الحاج أبى بكر: وكانت مساندة بورقيبه للعنف فى معاداة الاستعمار يُنْظَرُ إليها نظرة لطيفة باعتبارها تقلل الانتقاد الموجه إليه من الطرفين، وكان يسانده فى ذلك معمدان لبنانى من خريجى جامعة أكسفورد)**. وصل أبو بكر إلى مطار هيترو فى الوقت الذى كان السير جيمس روبرتسون ينزل فيه من الطائرة، خالى الفؤاد فى ليفربول، ويطرح على السيد/ ماكميلان فكرة تناول الغداء مرة ثانية فى دار الإدميرالية، ويطرح عليه آراءه

خلال هذا الغداء. وأجرى أبو بكر أيضًا مناقشات مع كل من إيان ماكلويد واللورد بيرث حول مشروع مساعدات خدمات ما وراء البحار البريطانى، ذلك المشروع الذى كانت نيجيريا لا تزال تقنع سيراليون بعدم التقليل من قيمته، وقد ساعد التفاخر والثراء النسبى نيجيريا فى إصرارها على القيام بتحمل الإضافات المطلوبة لإقناع المقيمين بالاستمرار فى خدمة نيجيريا. وتحدثوا أيضًا عن مكتب توطين خدمات ما وراء البحار البريطانى، وتكلموا أيضًا فى مشكلات نيجيريا مع الكاميرون الجنوبى، والحاجة إلى إطلاق سراح جومو كينياتا، والرفض القاطع لاستقلال بوجنده عن أوغنده، وتكلموا أيضًا عن الضرر الذى يمكن أن يلحق بالكمنولث فى حال فشل مؤتمر وسط إفريقيا الذى على وشك الانعقاد، كما تكلموا أيضًا عن الضرر البالغ الذى يمكن أن يترتب على بقاء جنوب إفريقيا جمهورية فى إطار الكمنولث. أبدى أبو بكر ملاحظاته عن متاعب جيتسكل Gatskell مع المنادين بنزع السلاح من جانب واحد فى حزب العمال، وملاحظاته عن تحدى هارولد ويلسون بقيادة جيتسكل. وعندما زار أبو بكر بورقيبه فى طريق عودته إلى بلاده اصطحبه بورقيبه إلى قرطاج ليريه آثارها، ويلتقى فرحات عباس رئيس الوزراء الجزائرى فى الحكومة المؤقتة فى المنفى، ومعروف أن عباس من جبهة التحرير الوطنية الجزائرية، وأبلغ أبو بكر الرئيس بورقيبه أن رئيس الحكومة البريطانية عديم المبالاة كان مترددًا فى مسألة جعل الفرنسيين يفقدون هدوءهم ورباطة جأشهم، وقد أوشكوا على الإعلان عن تنظيم استفتاء عن مستقبل الجزائر.

بعد عودة أبى بكر إلى ليجوس لقى نوعًا من التكريم حسده عليه حتى أشد سياسى الدنيا عداء وتعطشًا للإعلان الغربى: كانت رأس الرجل وكتفاه على كل رف من أرفف الكتب المهمة فى العالم، إشارة إلى قصة عن الرجل ستنشر فى مجلة التايم. قد تكون صورة الرجل هذه إشارة إلى نوع جديد من الساسة الأفارقة الجدد الذين يبعثون على الاطمئنان، وقد تكون إشارة إلى حنكة الرجل السياسية العالمية التى تفوق حنكة كثير من الأسماء واسعة الانتشار، الأمر الذى جعل الرجل يسارع إلى أن يسند

إلى بطرس ستالارد ذلك العمل الذى اعتبره ذلك الإدارى الدبلوماسى أخطر المهام وأكثرها غرابة، هذا العمل لا يقل عن القيام بكتابة رسالة إلى جومو كينياتا (الذى كان لا يزال محتجزًا)، يطلب إليه فى هذه الرسالة التخلى عن السياسة والابتعاد عن ممارستها. كان أبو بكر يعى تمامًا غطرسة قبيلة الماوماو وكبرياءها، الذى كان كينياتا على اتصال بها فى الدوائر الرسمية. ولم يعرف ستالارد مطلقًا ذلك الذى استشاره أبو بكر أو رجع إليه فى هذا الأمر، ولا يزال غير عارف ما إذا كانت تلك الرسالة قد مثلت لتوقيعها أو جرى استلامها.

قبل رئيس الوزراء الدعوة لافتتاح مؤتمر إفريقيا لمنظمة العمل الدولية، التى قال مديرها العام إنه يتطلع ويأمل أن تتحاشى المناقشات المسائل السياسية وبلا خجل أو اضطراب سمح أبو بكر فى شىء من الكياسة واللطف للجمهور بأن يعرف أن مشكلات العمل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياسة إلى حد أن مسألة فصلهما عن بعضهما تعد أمرًا غير واقعى. واستعد أبو بكر بعد ذلك للسفر إلى الشمال ومعه أحدث سكرتيريه الخصوصيين ساندای Sunday إيه مابوئى maboi (كان أحمد قارى kari على وشك أن يخلف إس إيه أوديوكالى odukale السكرتير الخاص الرئيسى). فى البداية أمضى رئيس الوزراء إجازة عيد رأس السنة فى كادونا فى استراحة رئيس الوزراء التى جرى بناؤها مؤخرًا (الأمر الذى أدى إلى تفادى الحاجة إلى بديل مثل اقتراض منزل الناطق الرسمى باسم الشمال أو النزول فى منازل الأصدقاء)، فى ذلك الوقت كان يُتوقع وصول الإمبراطور هيلاسلاسى، فى زيارة إلى نيجيريا وهو فى طريق عودته من البرازيل وغانا، ثم ذهب الرجل مع مطلع العام الجديد إلى مزرعة باوتشى، بصحبة صديقه أبى بكر جاريًا، الذى كان يقود بنفسه سيارته الفولكس velox المتهالكة.

لم يأت الإمبراطور هيلاسلاسى نظرًا لاندلاع ثورة دموية قصيرة الأجل فى أديس أبابا حتمت عليه الإسراع بالعودة للإشراف على إخمادها (كان ربع الحرس الإمبراطورى المنتقى الذى قام بذلك التمرد يخدم فى الكنغو). يزاد على ذلك أن بقية

الشهر لم تكن مريحة. يضاف إلى ذلك أن مسألة تشكيل جبهة وطنية لتحرير جنوب فيتنام لم تكن بالأمر الذى لا يبالى به أى رئيس من رؤساء الحكومات الإفريقية. ونجد أيضًا أن زعماء كل من غانا وغينيا انضم إليهما موديبوكيتا رئيس جمهورية مالى ويعلنون قيام اتحاد إفريقى آخر، واقترح خلال هذا الاتحاد قيادة إفريقية عامة، لكن لم يجر الإشارة فى هذا الاقتراح إلى نيجيريا، وهنا نجد أبا بكر يقول من خلوته للمتسائلين "**نظرًا لأن نيجيريا تعد بلدًا كبيرًا جدًا فإن الدول الأصغر منها تشعر بالخوف. هذا نوع من أنواع مركبات النقص. وأنا أود أن أؤكد لهذه الدول** أننا ليست لدينا أية مشاعر عدوانية على الإطلاق". وقد لاحظ الحاج السير أبو بكر أمرًا غامضًا وعجيبًا مفاده أن مؤتمر المراجعة الفيدرالية لكل من روديسيا ونياسلند كان يجرى عقده (وسرعان ما تأجل) فى لندن، فى ظل مؤتمرين دستوريين متداخلين ومتعارضين هما: المؤتمر الخاص بروديسيا الشمالية الذى ترأسه زميله وزير المستعمرات إيان Iain ماكلويد، هذان الرجلان كانا سياسيين ليس بينهما أى قدر مشترك من الفلسفة، وأن كلاهما فى نظر الصحفيين كانا محجوبين بفعل شخصية رئيس الوزراء الفيدرالى السير روى ولنسكى التى كانت أقوى من الناحية الشكلية. وفى نياسلند نجد أنه كان من السهل على الحزب العامل الوحيد هناك ابتكار حق جديد للتصويت فى الانتخابات وأن ذلك الابتكار كان يحظى برضا الجميع.

لكن فرنسا فى ذلك الوقت كانت قد فجرت قنبلتها الثالثة فى الصحراء الكبرى (فى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد اختبرت ١٦٦ قنبلة، وكان اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية قد اختبر ٧٠ قنبلة والمملكة المتحدة عشرين قنبلة). وهنا يعلن رئيس الوزراء عن صدمته ويوجه العاملين معه بالتليفون اللاسلكى إلى استدعاء السفير الفرنسى إلى مقر وزارة الخارجية فى اليوم التالى. كان السناتور الحاج نوح باماالى وزير الدولة للشئون الخارجية فى الخارج فى ذلك الوقت. وهنا قام وزير الدولة الدكتور إيزين (الذى جرت العادة أن يتناول علاقات الكمنولث) بتقديم

احتجاج شفهى، وطلب أن تقوم فرنسا بإمداده بكل المعطيات العلمية المتيسرة عن التساقط النووى الناتج عن ذلك التفجير فى أسرع وقت ممكن، وهدد الدكتور إيزين بفرض حظر على السفن الفرنسية والطائرات الفرنسية كلها فى المياه النيجيرية والمجال الجوى النيجيرى. كانت تلك تجربة قوية التأثير لوزير حديث فى دولة جديدة، أضعف الإيمان أن هذا الرجل لم يتحتم عليه فعل ذلك الذى كان يتحتم على نظيره القيام به فى أية دولة من الدول الأخرى حديثة العهد بالاستقلال - أن يسأل ممثل الدولة الاستعمارية المقيم عن الإجراءات الرسمية التى يتعين اتخاذها لقطع العلاقات الدبلوماسية مع نفسه.

عقب قيام اللورد هوم بتقديم نيجيريا إلى الأمم المتحدة أوفد السير أبو بكر وزير خارجيته نوح بامالى لمقابلة كل من كازافوبو ولومومبا، كان وزير الخارجية قد كُلِّف بإبلاغ الرجلين أن أبا بكر يود أن يرى السلام سائداً بين الكنغوليين جميعهم، لكنه فى ضوء القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة مستعد لإرسال قوات إلى الكنغو. وبناء على ما تقدم، وفى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٠ كان آجويى Aguiyi إيرونسى Ironsi المرقى حديثًا إلى رتبة المقدم، قد قام باستعراض أمام رئيس وزرائه وتولى قيادة المقدمة فى كتيبتين من القوات النيجيرية مع بعض الوحدات الفرعية للانضمام إلى قوة الأمم المتحدة فى الكنغو التى تقدر بحوالى ١٦٠٠٠ رجل من ٢٧ جنسية تحت قيادة سويدية. وجرى إنشاء مركز قيادة اللواء فى بلدة البرتفيل Albertville فى الشمال الشرقى من كاتانجا Katanga. فى بداية الأمر استمرت فى الخدمة الكتيبة الخامسة من كتائب آجويى - إيرونسى، وصاحبة الخبرة فى عمليات الأمن الداخلى فى الكاميرون الجنوبى، إلى أن حلت محلها قوات الأمم المتحدة، كانت تلك الكتيبة تضم ضباطًا على وشك الترقى مثل يعقوب (جيمس) بام، ولارجيما، وميما لارى، فى بداية الأمر قصدت تلك الكتيبة بلدة بوكافو فى منطقة كيفو Kivu. كان ضباط بريطانيون عديدون من اللواء الثالث قد جرى تركهم مكتئبين، ليظهروا بعد ذلك فى منطقة إفريقية مستقلة أخرى. أما

الكتيبة الرابعة من كتائب أجويى - إيرونسى فقد توجهت إلى بلدة كامينا فى غربى كاتانجا، لتشق لنفسها بعد ذلك طريقًا وسط شعب البالويا المتمرد وصولاً إلى بلدة مانونا فى الشرق. وهذا الذى حدث هناك هو والأفكار التى طرحها أبو بكر على الجمعية العامة للأمم المتحدة سبق الإشارة إليه فى الفصلين الثلاثين والحادى والثلاثين. ومن باب التقليل من الخلط واللبث يجب أن نتبصَّر طوال فترة زعامة رئيس الوزراء، العلاقات مع ذلك البلد التعيس (الكنغو) خلال السنوات المتبقية من ذلك الجزء، دون أن نهدف من وراء ذلك إلى تقديم ملخص مختصر عن تاريخ جمهورية الكنغو الديمقراطية السابقة، الذى يمكن البحث عنه فى مكان آخر غير هذا الكتاب. فى اليوم الثامن من شهر نوفمبر كان الرئيس كازافوبو قد تمكن فى نهاية المطاف من التحدث أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفى اليوم الثانى والعشرين من شهر نوفمبر كانت لجنة أوراق الاعتماد التابعة للأمم المتحدة، قد قضت بأن وفد كازافوبو، الذى كان يعارضه ممثلو باتريس لومومبا اعتبارًا من شهر سبتمبر، هو الأحق بمقعد فى الأمم المتحدة. ووافقت الجمعية العامة على هذا الانضمام بأغلبية ٥٠ صوتًا إلى ٣٤ صوتًا وامتناع ١٣ دولة عن التصويت. كان لومومبا نفسه لا يزال فى موطنه ليوبولدفيل تحميه قوات الأمم المتحدة وتحت حراسة المليشيا الكنغولية بقيادة العقيد مبوتو الذى أمر بإلقاء القبض عليه، كان أنصار لومومبا قد بدأوا يغادرون ليوبولدفيل، بغية الإقامة والاستقرار فى ستانلفيل Stanleyville.

امتنع السيد/ واشوكو، بصفته رئيسًا للجنة المصالحة (التى لم يسمح لها كل من كازافوبو ومبوتو بالمجىء إلى البلاد، نظرًا لشكهما فى حياد كل أعضاء اللجنة)، عن التصويت بصفته رئيسًا لوفد الحاج السير أبى بكر حتى يتمكن من حماية موقفه كوسيط نزيه. وجاء الرد المباشر على هذا الامتناع عن التصويت متمثلاً فى استقالة العضوين المالى والغينى اللذين كانا مواليين للومومبا فى عضوية لجنة المصالحة هذه، كما وجهت للرجل بعض الإهانات على المستوى الوطنى، ومع ذلك كان الرجل مقتنعًا

قناعة شخصية أن لومومبا جرى طرده بطريقة صحيحة وعادلة، حتى وإن كان هو المناسب لهذا المقعد. وفى اليوم نفسه الذى صوتت فيه الأمم المتحدة لصالح كازافوبو، قامت السلطات الكنغولية بطرد المبعوث الغانى، ناثانيل Nathaniel ولبك Welbeck لتدخله فى شئونهم لصالح نيكروما. وتنبرى فى ذلك الوقت جريدة البابلوت pilot لتقوم بانتقاد شخصية لومومبا، وهنا يبدأ حزب جماعة العمل فى إعادة تقييم تشومبى Tshombe بصفته معادياً للمركزية وأنه كان يتحرك فى اتجاه رفض كازافوبو وإجازة لومومبا. نظر أبو بكر إلى هذا الموقف بوصفه أمراً واقعاً وليس أمراً شرعياً. وأصبح واضحاً تماماً لأصحاب البصيرة أن متاعب الكنغو واضطراباته لم تكن امتداداً للنضال الفكرى القديم من أجل الحرية فى مواجهة البيض، وإنما كان صراعاً بين الأحزاب الوطنية على السيطرة على دولة جديدة مصطنعة، وبين أحزاب قارية على زعامة القطاع الإفريقى من العالم الثالث tiers monde. كان أبو بكر قد عرف وتعلم الكثير عن سياسة الغاية welt politik من التجربة التى أوجزناها فى بقية هذا الفصل، كان خصوم أبى بكر ونقاده ينظرون إلى هذه القصة الحزينة باعتبارها كتاباً شائعاً ومفتوحاً يقتبسون منه ذلك الذى يؤيد نظرياتهم البغيضة.

حاول الحاج السير أبو بكر فهم الحقيقة التى تقف وراء الهرج والمرج فى البرلمان، ثم أعرب بعد ذلك عن رأيه المبدئى: "لو برز من بين انتخابات الكنغو مجرد حزب واحد يحصل على ربع مقاعد المجلس لما اقترحت عقد انتخابات جديدة فى الكنغو. لكن ذلك لم يحدث ـ نظراً لأن الأحزاب كلها حصلت على أعداد قليلة جداً من المقاعد..... سمعت أيضاً أنه كان هناك تصويت على الثقة فى رئيس مجلس الوزراء الكنغولى، لكن الثقة أعطيت للرجل من قبل جلسة لم تستكمل النصاب القانونى..... وهذه هى المرة الأولى التى نشارك نحن هنا فى نيجيريا، فى هذا الإجراء الدولى فى اتجاه السلام والأمن العالميين. وقد أسديت لقواتنا **نصيحة واحدة: "أنتم ذاهبون إلى الكنغو بصفتكم جنود، لا شيء أكثر أو أقل من هذا، ويتحتم عليكم إطاعة قيادة الأمم المتحدة، وكل ما تؤمرون**

به، افعلوا كل ما تؤمرون، بصفتكم جنود يتعين أن لا تكون لكم مصلحة من أى نوع كان فى شئون الكنغو". وفيما يتعلق بالاقتراح الفعلى الذى كان يعد نوعًا من اللوم الموجه إلى الأمم المتحدة، نجد أبا بكر يقول: **"نحن جميعًا نلوم الأمم المتحدة.... لكن.... يتعين علينا جميعًا الاتفاق على أن الأمم المتحدة هى الهيئة الوحيدة التى يمكن أن تقوم بعمل من هذا القبيل".** وفى مكان آخر نجد رئيس الوزراء يكرر قوله إن حكومته كان يمكن لها أن تؤيد لومومبا لو أن حزبه وحده (أو أى حليف آخر) قد تحصل على النصاب القانونى من الأصوات. وتمثلت مشكلة السير أبى بكر فى أن النيجيريين ذوى الوعى السياسى، والذين لا يشغلون مناصب فيدرالية تنفيذية، كانوا يرون شخصية لومومبا على أنها رمز للقومية الإفريقية، ومن هنا فهى أكثر أهمية من الدستورية، ومن القانون، والنظام والاستقرار الدولى.

بعد ذلك بيوم أو يومين هرب لومومبا من منزله إلى ميناء فارانسكوى port Franc-qui ومعه بيير ميوليل Mulele الماركسى البالغ من العمر واحدًا وثلاثين عامًا والذى كان وزيرًا للتربية والتعليم مع لومومبا، وكانا يأملان فى الوصول إلى مقاطعة أورينتا الشرقية، لكن بعد أربعة أيام فقط جرى الإمساك بلومومبا بطريقة وحشية عن طريق الشرطة العسكرية، التى اقتادته إلى ثايسفيل Thysville، حيث جرى سجنه بعد ذلك بواسطة مبوتوفى إليزبثفيل Elisabethville وعلى الرغم من ميل أتباع جيزنجا إلى كازافوبو فقد هددوا فى استانلفيل Stanleyville بقتل البيض كلهم ثأرًا لما حدث للومومبا. هرب ميوليل إلى مصر ومنها إلى الصين. وعقب ذلك مباشرة قام كازافوبو بطرد سفير الجمهورية العربية المتحدة وكل العاملين معه بسبب تآمرهم مع لومومبا، وبشكل من أشكال الانتقام الغامض أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم الأصول البلجيكية كلها فى مصر "واعترف" بأتباع لومومبا. فى أونيتال اندلع القتال فى ثلاثة مناطق أولها فى كاتانجا بين قوات الأمم المتحدة، والعناصر الموالية ليليلومبا والمرتزقة التابعين لتشومبى. وفى منتصف نوفمبر جرى نقل سرية من الجنود النيجيريين عن طريق الجو

إلى بلدة كندو فى منطقة كيفو kivu، لتحل محل الجنود الماليين الذين كانوا أيضا يقاتلون القوات الكنغولية. أقدم العقيد أجويى - إيرونسى بلارجيما فى تصرف سريع وملح لا يتصف بالدبلوماسية على ذلك التغيير مخافة أن يؤدى التأخير إلى تعريض حيوات رجاله للخطر، وربما تسبب أيضًا فى إحداث بعض الخسائر فى المدنيين. وأثناء انتقال الجنود النيجيريين بالقطار إلى كاسونجو Kasongo، عثروا على جالية نيجيرية بين السكان المحليين. وحدث نزا ع دولى آخر بفعل خروشوف الذى طالب بسحب قرات الأمم المتحدة كلها، لأسباب مفادها أن تكلفة ما يسمى بمنطقة الأمم المتحدة فى الكنغو سوف تؤدى إلى إفلاس منظمة الأمم المتحدة، وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه سلسلة من اجتماعات مجلس الأمن غير الحاسمة والتى لم تتوصل إلى أية نتيجة، هددت كل من سيلان، وغانا، وغينيا، وأندونيسيا، والملايو، والجمهورية العربية المتحدة، ويوغسلافيا والمغرب (صاحبة أكبر وحدة عسكرية تشكلت فى البداية) بسحب كل قواتها ووحداتها. وكان ذلك أمرًا جد سهل على الكتيبة الغينية، التى كان السواد الأعظم من أفرادها قد هجروا الكتيبة إلى السوق السوداء بالفعل. كانت غانا بحكم تزعمها الشكلى إلى حد ما لذلك الاحتجاج الشبيه بالتهديد الإفريقى العام، ترمى إلى إجبار قيادة الأمم المتحدة على دعم حكومة "لومومبا المركزية" وتأييدها والتبرؤ من جيش مبوتو، وطرد كل البلجيكيين والأجانب الآخرين الذين ليسو تحت قيادة الأمم المتحدة وأن تعيد اجتماع البرلمان الذى جرى تفرقه. وهنا نجد خروشوف يصف همر شولد بأنه "القاتل الرئيسى".

أكدت الفوضى والحيرة استمرار التردد وعدم الحزم، فى الوقت الذى حاول فيه الشعب الكنغولى مواصلة حياته المعتادة. وبانتهاء العام ١٩٦٠ الميلادى كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد استطاعت توفير الأصوات اللازمة لا لدعم سياسة المنظمة القديمة الخاصة بالكنغو، إن جاز لنا اعتبار ذلك من قبيل السياسة، ولا لإدانة تصرفاتها وأعمالها. كانت منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو تفتقر إلى التوجيه وإلى الثقة بالنفس. فى اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر زعم نائب رئيس الوزراء أنطوان

جيزنجا أنه بفضل المزيد من القوة الجوية السوفيتية أصبح يسيطر بل ويحكم منطقتى كيفو kivu وأورينتال فى استانلفيل Stanleyville باسم المسجون لومومبا، وقام بطرد كل المسئولين القنصليين غير الشيوعيين، واستمر ألبرت كالونجى kalonji فى حكمه لجنوب كاساى، واستمر مويس تشومبى فى صموده فى وجه قوات همر شولد فى كاتانجا، وسيطر أتباع كازافوبو ومبوتو على كل من ليوبولد فيل وكواتير. لم يكن السيد/ راجشوار Rajeshwar دايال، ممثل همر شولد الخاص فى الكنغو، على وفاق مع الرئيس كازافوبو وعليه كان الرجل مفتقراً إلى أى شكل من أشكال النفوذ. كان كثير من الكنغوليين الذين لا يستطيعون تمييز الأوروبيين الآخرين عن البلجيكيين الذين ربما كانت تربطهم علاقة أو صلة بالمنظومات السابقة، لا يفهمون الأسباب التى دعت قوات الأمم المتحدة فى الكنغو والتى تتبع منظمة الأمم المتحدة العالمية، تقف على الحياد، أو حتى لتوفير الحماية للمبشرين والفنيين البيض. وقامت مفرزة نيجيرية بشق طريقها عبر بحيرة تنجانيقا وخلال رواندا - أوروندى Ruanda - urundi (تلك المنطقة التى لم يتعاون فيها البلجيكيون مع هذه المفرزة) وصولاً إلى بوكافو لتحرير بعض الموظفين الدوليين الذين احتجزتهم القوات الكنغولية، وقد أسفرت الخسائر الناجمة عن ذلك، عن سفك الدماء وانعدام المؤاخاة. ومع ذلك كانت التعليمات الصادرة عن أبى بكر ومن خلال هيئة الأركان، تحتم العمل على بناء الثقة، وإزالة الشكوك والقضاء على الشائعات: لم يكن تنفيذ ذلك أمراً سهلاً، على الرغم من بعض الحالات السعيدة التى قام فيها النيجيريون بإنقاذ الراهبات والقساوسة من المداهمات العسكرية الكنغولية بدون صراع سابق، وقد تحقق ذلك بعد تفاوض مضن وحازم.

جاءت مسألة توفير مفرزة أو فصيل من الشرطة النيجيرية للمساعدة فى ظل هذه الظروف على المحافظة على القانون المدنى والنظام فى ليوبولد فيل أمراً طبيعياً وعملياً وبصيصاً من الضوء الذى أثلج صدر الحاج السير أبى بكر. هؤلاء الرجال المنظمون رفعوا ضغط الدم عند مسئولى الأمم المتحدة الذين أدى نقص خبرتهم فى ممارسة

المسئولية عن الناس والإدارة إلى جهلهم بأفضل الطرق للإفادة من الكونستبلات غير المسلحين. فى البداية جرى إسناد مهام الضرب إلى قوات الشرطة فى الأحياء التجارية، التى عثر فيها الشماليون على جناح إدارى هوساوى anguwar Hausawa له رئيسه Sarki الخاص به. كان بعض ضباط القوة الشرطية النيجيرية من البريطانيين، واكتشفت مختلف الرتب أن بقايا القوة الشرطة الأنجولية كانوا ودودين، وفى غياب إرشادات قيادة الأمم المتحدة راح الضباط كلهم يتصرفون على هدى من سلوك الخبراء المقيمين وتصرفاتهم تجاه قوة الشرطة النيجيرية المحلية التى كانت شديدة الحساسية فى فترة ما قبل الاستقلال. كانت تلك التصرفات تنطوى على إغماض الأعين بطريقة لبقة ودبلوماسية، كانت المحاكم شبه متوقفة عن العمل، وكانت مكاتب الاتهام الشرطية تقوم بتوزيع الغرامات بطريقة فيها شىء من التقتير، إذ كانت تعطى على سبيل المثال، إيصالاً بالغرامة التى تصل قيمتها إلى حوالى ٥٠٠ فرنك، ولكنها كانت تطلق سراح المذنب الذى يرتكب مخالفة مقدارها ٢٠٠ فرنك إذا لم يصر ذلك المخالف على أخذ إيصال بالمبلغ، وفيما يتعلق باللصوص المعروفين كانت قوة الشرطة المحلية تتركهم للجيران فى المقام الأول – بعد أن يتم شفاؤهم من عدالة المجتمع فى المستشفيات، وهنا يقوم مكتب الاتهام بإعادة حبس أولئك المتهمين احتياطيًا إلى أن يُعاد فتح المحاكم. وجد الشرطيون النيجيريون صعوبة فى رفض ذلك (وأطلقوا عليه أسم "منظومة برنو"). كان أول رئيس للشرطة النيجيرية فى الكنغو، لويس إيدت هو وخلفه يريان فى بعض الأحيان أن الموارد البشرية هى والموارد المادية سوف تزداد بصورة قاسية فى السنوات المقبلة.

من العدل أن نوفى الدول الأخرى حقها، وهذه هى شرطة الأشانتى الغانية، التى كانت هى الأخرى مسلحة بالهراوات القصيرة لكنها كانت على اتصال بكوماسى عن طريق اللاسلكى، قد أبلت بلاء حسنًا مثل نظرائهم النيجيريين كثيرى العدد، كان هناك غانى أيضًا يدعى أوفورى – عطا Atta وهو من أسرة آكان الملكية البارزة، قام بإدارة

أحد المطارات إدارة جيدة. كان التونسيون أكثر من يمكن الاعتماد عليهم بدرجة كبيرة، فى حين كان المغاربة ضروريين جداً فى حماية المفاعل النووى المقدم من أمريكا، لكن أعضاء الكمنولث، بما فيهم النيجيريون كانوا يمتازون باللغة المشتركة وإجراءات نابعة من التراث والموروث المشترك بين هؤلاء الأعضاء. كان المراقبون الأمريكيون هم وأعضاء المنظمات الدولية يراقبون، وهم يكادون لا يصدقون ما يجرى، الضباط السود والضباط البيض وهم يتبادلون القصص الجذلة من أيام الاستعمار مع نظرائهم من أهل الملايو، ونظرائهم من الهنود السُّمْر فى الأماكن القريبة التى يتناول العسكريون فيها طعامهم messes. انشرح صدر الحاج السير أبو بكر عندما عرف أن وحدات الكمنولث برزت بصفتها الأعضاء المميزة فى منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو وأن هذه الوحدات عرفت على أفضل وجه كيف تتعامل مع موقف من مواقف الاضطراب المدنى يسلم فيه كل طرف من أطرافه بأن المؤسسة التى لا تقف إلى جانب أى طرف من الأطراف تعد عدواً له، وعندما عرف أيضًا أن الجنود النيجيريين كانوا هم الوحيدين الذين حظوا باحترام بالوبا Baluba كاساى المتعبين، فى منطقة كانت لا تزال تعانى من الدمار الذى أنزله جنود لومومبا بمحاصيلهم الغذائية. كان أبو بكر مهتمًا بالاستماع إلى ذلك الرقيب أول الباوتشى العنيد - قال ضابط الصف هذا: إن ما يحتاج إليه الكنغو هو الحاكم القوى، الذى يتعين عليه إعطاء الرؤساء كلهم مهلة أسبوعين يمثلون بعدها أمامه ويعربون عن أسفهم وندمهم، وإذا لم يفعلوا ذلك، يصدر أوامره إلى جنوده بإخافتهم خوف الموت labta masu dodo . كان اللواء نورمان فوستر القائد العام للجيش النيجيرى جاء إلى الكنغو فى شهر يناير من العام ١٩٦١ الميلادى ليبلغ الجنود النيجيريين أن المدة المحددة للخدمة ستكون ستة أشهر وأنهم سيصرفون بدلاً نيجيريا عن وجودهم خارج البلاد، وذلك بالإضافة إلى الأجر الذى يتقاضونه من الأمم المتحدة، وأنهم سيحصلون فى المستقبل على بعض الأطعمة النيجيرية.

ساندت كل من تونس والسودان نيجيريا فى موقفها الذى يقوم على أساس من إيجاد تحالف حل وسط يمكن أن يؤدى إلى جمعية وطنية مستقرة وشراكة دستورية مقبولة ومع ذلك كانت الأيام التى تلت ذلك غير مشجعة ومخيبة للآمال، وذلك على الرغم من محاولة الرئيس كازافوبو، بميوله الفيدرالية، جذب كل من تشومبى وكالونجى عن طريق المناصب الكبيرة مثل نائب الرئيس ونائب رئيس مجلس الوزراء فى إطار حكومة كنغولية دستورية مركزية يكون فيها يوسف إليو Ileo رئيسًا للوزراء وتنقل إليه بعض المسئوليات. كان تشومبى يود المساواة الكاملة، أما مبوتو (شأنه شأنهم جميعًا) فقد أعرب عن استيائه من جهود همرشولد من أجل الحصول على تفويض من مجلس الأمن بفرض الوحدة على الكنغو وإزالة المصالح الأجنبية الاقتصادية من كاتانجا. كان الرأى العام الدولى، باستثناء كل الراديكاليين الأفارقة هم والعالم الثانى، قد بدأ يبتعد كثيرًا عن كل من كازافوبو ومبوتو، إلى أن أُعلْن فى اليوم العاشر من شهر فبراير عن هرب لومومبا، ثم أعلْن بعد ذلك فى اليوم الثالث عشر من شهر فبراير عن وفاة الرجل. جرت بعض المحاولات لإلقاء اللوم على "القرويين المعادين للرجل" فى كاتانجا، لكن شاع بعد ذلك أن الرجل جرى إعدامه رميًا بالرصاص فى اليوم السابع عشر من شهر يناير بواسطة المرتزقة وفى وجود تشومبى، وهنا انهارت الآمال الواهية فى مصالحة داخلية وقبول كازافوبو بالرأى القارى. كانت الدول الناطقة بالفرنسية وحدها هى الميَّالة إلى رفض كل من منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو والتورط الشبيه بالجامعة الإفريقية فى الجدل الدائر داخل الكنغو.

كان الحاج السير أبو بكر قد أبلغ الصحفيين بشىء من الإيحاء إلى حد ما أنه درس نسخته الخاصة من الدستور الكنغولى (التى كان واشوكو قد ترجمها له وأرسل منه صورة إلى الدكتور آزكوى واحتفظ بصورة لنفسه، وكان الدكتور إلياس هو الذى نصح بذلك)، وأبلغ الصحفيين أيضًا أنه أصبح يعرف من الذى على صواب ومن الذى على خطأ، لكن الرجل أردف قائلاً إن نيجيريا لن تتدخل فى الشئون الداخلية لهذا البلد

بأن نعلن على الملأ من المُعيب ومن المخطئ، ومع ذلك ستواصل المساهمة بقوتها البشرية بغية مساندة القانون والنظام ودعمهما فى إطار منظمة الامم المتحدة. من الواضح أن هذا الحياد من جانب أبى بكر كان بمثابة اعتراف دستورى بسلطة كازافوبو. لم يمتد هوى الرجل إلى الشرعية القانونية إلى ترجمة التزام الملك البلجيكى التعاهدى (الذى من حقه إقالة رئيس الوزراء بعد تصويت البرلمان على حجب الثقة عنه) إلى سلطة فى يد الرئيس الكنغولى، ما دام أن ذلك كان منصوصاً عليه بصورة دقيقة فى مسودة القانون الأساسى loi fondamentale البلجيكى. ولما كان أبو بكر حزيناً لذلك القتال الحقيقى الذى دار بين القوات النيجيرية والقوات الكنغولية فى كيفو kivu، تلك المنطقة الواقعة بين ستانلفيل و رواندا أوروندى ، أرسل إلى همرشولد برقية صدمة عن وفاة لومومبا ، كان همرشولد فى ذلك الوقت فى جنوب إفريقيا لمناقشة قضية الفصل العنصرى: **"نحن نأسف أشد الأسف لكل أشكال الإبادة الجماعية للبشر، واغتيال الخصوم السياسيين الذين لا مبرر له"**. وراح الرجل وحده، وبطريقة مثالية للغاية يلوم الأمم المتحدة لأنها لم تتبن ذلك الذى كان يراه أبو بكر على أنه مهمة حقيقية، تتمثل فى إقناع شعب الكنغو كله، وليس السياسيين فقط عن طريق التعليم وعن طريق الإدارة المباشرة، بتحمل المسئولية الحقيقية بأنفسهم. وهنا نجد أن الرجل يتذكر علانية رفضه عندما كان فى ليك Lake سكس Success أى فرض جديد للوصاية، وقال الرجل إنه وجه اللوم للدول الشرقية والدول الغربية على تدخلها الذى أوصل هذه النكبة إلى أسوأ مراحلها، كما وجه اللوم أيضاً لافارقة لاتخاذهم موقفاً محايداً من العنف قبله وبعده.

وصلت المتاعب إلى الوطن، وحدثت اضطرابات عنيفة فى ليجوس فقد ثارت الجماهير احتجاجاً على اغتيال لومومبا بطريقتم الخاصة. وطالبت النقابات العمالية، والمؤتمرات الشبابية، الموالية لغانا، والمجموعات المعادية لأبى بكر، وأنصار حزب جماعة العمل بسحب القوات النيجيرية من الكنغو. وجرى الإضرار بالأفراد والممتلكات فى

السفارتين البلجيكية والأمريكية بواسطة المتظاهرين والإضرابات. كان أبو بكر ينال قسطًا من الراحة بصورة مؤقتة فى منطقة باوتشى مرة أخرى، وأصدر إعلانًا يقول: **"نحن نأسف أشد الأسف لتلك البلطجة التى لم تفعل أى شىء سوى الإساءة إلى نيجيريا فى نظر أصدقائها فى سائر أنحاء العالم"**. وجرى فى ذلك الوقت تحريم المواكب والاجتماعات بكل أشكالها فى ليجوس فى ذلك الوقت. وأصدر رئيس الوزراء إنذارًا مفاده أن الإجراء المضاد الذى اتخذته شرطة العاصمة كان "إجراء معتدلاً". وتمنى الرجل أن تتخذ الشرطة فى المستقبل **"إجراءات صارمة وشديدة ضد المظاهرات التى تكون خارج نطاق السيطرة"**. واعترف أبو بكر أن جزءًا من المعارضة الموجهة إلى تصرفاته فى الكنغو كان راجعًا إلى التخوف من أنه إذا ما تحسنت الأحوال، سوف يعزى إليه الفضل فى ذلك. يزاد على ذلك أن أبا بكر كان قد أصبح على وفاق مع الموقفين المتناقضين لحزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى الذى كان يساند واشوكو وأبا بكر على مستوى مجلس الوزراء، لكن الحزب فى المنابر الأخرى كان يساند ويدعم وجهات النظر النيكرومية دون أن ينحاز إلى غانا.

أصدر مجلس الأمن فى نهاية المطاف قرارًا فى اليوم الثالث عشر من شهر فبراير من العام ١٩٦١ الميلادى يقضى باتخاذ الإجراءات اللازمة "لمنع" قيام حرب أهلية، بما فى ذلك اللجوء إلى استعمال القوة كملاذ أخير، إذا ما تطلب الأمر ذلك، وتأكيد الانسحاب العاجل لهيئة العاملين البلجيكيين وكل المستشارين الآخرين والمرتزقة الذين لا يخضعون لقيادة الأمم المتحدة وسيطرتها وإجراء تحقيق فى ظروف اغتيال لومومبا. وهنا قام السيد/ خروشوف وعلى الفور بمضاعفة حملته المكشوفة التى تدعو إلى عدم الاعتراف بداج همرشولد، مع خطة لاستبداله "بثلاثى" troika مكون من ثلاثة رجال بواقع رجل واحد من كل عالم من "العوالم" الثلاثة (تلك التى تلاعب بها واحدًا أو اثنين من النيجيريين باعتبارها الدواء الذى يشفى الأمراض جميعها وبخاصة تفككهم الوطنى). وعقب إقرار الجمعية العامة لقرار مجلس الأمن مباشرة، راح أبو بكر

يطالب بإنشاء لجنة من الدول الإفريقية للإشراف على "استعادة الكنغو المستقل". ساند نهرو ومعه ستة وستون وفداً آخر، مطالبة أبى بكر بقوة إفريقية خالصة تحل محل قوات منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو. وحذت ألمانيا الشرقية، وغانا ويوغسلافيا حذو كل من عبد الناصر وخروشوف فى الاعتراف بالحكام اللوممبيين فى أورينتال. فى ذلك الوقت كان الزعماء الكنغوليين المؤثرون قد توصلوا فيما بينهم وبين أنفسهم إلى اتفاقية أغلبية فاترة لقيام اتحاد فيدرالى برئاسة كازافوبو، وهنا بدأت تتناقص المصادمات بين منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو والسواد الأعظم من الكنغوليين. كان ذلك أمراً طيباً، نظراً لأن الكتيبة الثالثة من الجيش الغانى تمردت فى بلدة تاشكبان Tshikapa فى كاساى، وكان لابد من إعادتها إلى الوطن لحلها، حيث حكم بالإعدام على جندى (من أصل نيجيرى)، وحكم على اثنين بالسجن مدى الحياة، وحصل واحد ثالث على حكم بالسجن لمدة عشر سنوات. كان الانتهازيون ينظرون إلى الكنغو باعتباره أرضاً من أراضى توم تيدلر المخصصة للأفراد وللأيدولوجيات التوسعية.

اعتماد مؤيس تشومبى فى كاتانجا على البلجيكيين وعلى المرتزقة فى مسألة تعدين النحاس وقيادة جنوده، وإصراره من ناحية أخرى على إخراج أتباع لومومبا ومناصريهم من مقاطعته هو الذى جعله يرفض مطالب مجلس الأمن. لكن ليوبولدفيل فعلت الشيء نفسه ووقَّع كل من أيلو Ileo، وكالونجى وتشومبى على تحالف عسكرى، هذا التقارب أوحى بأن حكومة إيليو لم تعد تتعامل مع كاتانجا وكأنها منشقة عليها. وعلى الرغم من أن جيزنجا فى شمال شرقى الكنغو كان تحت حماية الكتلة الشرقية، فقد زاد الرجل من الشكوك السائدة عندما قام بطرد صحفيى العالم الثانى كلهم فضلاً عن طرده أيضاً لقناصل العالم الأول الذين لم يعترفوا بحكومته باعتبارها وارثاً شرعياً لحكومة لومومبا. وقام جيش كازافوبو بطرد كل من السودانيين وقوات المساندة الكندية من منطقة ميناء قتادى النهرى.

على الرغم من عدم امتناع دول العالم الأول كلها بواقعية الأهداف التى كان همرشولد يرمى إليها، فقد قل النوتر عندما اتضح ان عمليات القتل التى كان ينتظر وقوعها فى منطقتى أورينتال وكيفو الموالين للومومبا (وبخاصة منطقة كيفو التى كان الانهيار فيها على اشده اللهم باستثناء الدوريات النيجيريه والدوريات التى كانت تقوم بها (القوات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة فى الكنغو) كانت قليلة نسبيًا. وأوصت لجنة المصالحة التى كان يرأسها واشوكو والتابعة للامم المتحدة أن يعترف العالم بحكومة كازافوبو المركزية المؤقتة، وتكفلت نيجيريا بقرار يدعو الرئيس إلى استئناف انعقاد برلمانه من ذلك الحين فصاعداً، لكن القدر عاكسه ووجد واشوكو نفسه يُهاجم بسبب هذا النوع من البراجماتية(*) عندما عبر المعلقون الصحفيون عن اشمئزازهم من الإبعاد المفاجئ لستة من الموالين للومومبا إلى جنوب كاساى، التى جرى إعدامهم فيها بتهم التآمر فى عنف، وحوادث اغتيال العام السابق.

وفى مؤتمر الكمنولث الذى عقد فى شهر مارس من العام ١٩٦١ الميلادى، أعلن الحاج السير أبو بكر على الملأ أن سحب أى بلد من البلدان لقواته العاملة تحت قيادة الأمم المتحدة فى الكنغو، يعد شكلاً من أشكال اللا مسئولية: **"هدفنا من إرسال القوات إلى هناك هو استعادة الأمن والنظام ـ وهذا لم يتحقق بعد"**، وفى ثنايا كلام رئيس الوزراء، اتضح للرجل أن من الحرج القبول أو التسليم تسليمًا وديًا بالتصريح المتناقض الذى أدلى به السيد/ جون دايفنبيكر Die tenbaker والذى مفاده أنه إذا كان لابد من المحافظة على الطابع العالمى للأمم المتحدة، فإن قوة الأمم المتحدة لابد أن تكون متمثلة فى القوات غير البيضاء. وتعين على أبى بكر مواجهة جمهور معادٍ من الطلاب النيجيريين المتهامسين فى قاعة مدينة إيزلنجتون Islington، الذين كان السواد الأعظم منهم يرفضون الحقيقة التى مفادها أن رئيس وزرائهم كان شماليًا. ووسط

(*) البراجماتية: هى المذهب العملى أو الذرائعى الذى يقيس الأمور طبقًا لنتائجها العملية. (المترجم)

الصخب العالى قال أبو بكر للطلبة إنه لو كانت نيجيريًا قد حصلت على استقلالها قبل عام واحد، لأصبح لها نفوذ وتأثير قوى على الزعماء الكنغوليين من أجل الصالح العام، ولما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه (لم يؤكد أبو بكر على أن الحكومة البريطانية منعته من إرسال القوات إلى الكنغو توقعًا أو انتظارًا للحصول على الاستقلال). كانت مصلحة نيجيريا الرئيسية تتمثل فى المساعدة على المحافظة على القانون والنظام فى الكنغو، وألا تقوم بمساعدة حزب على حزب آخر اللهم باستثناء الجمهورية المستقلة، لكن على أى حال، لم تكن نيجيريا فى موقف يسمح لها بمنع التأثيرات الأجنبية من التدفق على الكنغو، وأضعف الإيمان هو غض البصر عن الموقف الحقيقى فى ذلك البلد البائس. ويتواصل الاحتقار والازدراء على الملأ، الأمر الذى أثار دهشة رجال الشرطة الذين كانوا يراقبون الأمور بعد فترة طويلة من انهيار المؤتمر بسبب الفوضى وعدم النظام.

وهنا نجد بعض زعماء الكنغو يهربون إلى مؤتمر مائدة مستديرة فى هدوء بلدة "أنتانا ريفو" Antananarivo فى جمهورية مدغشقر الديمقراطية، وفى هذا المؤتمر يتوصل كل من إيليو Ileo وتشومبى إلى تفاهم متبادل كامل، واتضح أن التوصل إلى شىء من التفاهم مع جيزنجا أصبح أمرًا ممكنًا، فى ظل الهدف الثلاثى الذى يتمثل فى إبعاد قوة الأمم المتحدة وإنشاء اتحاد فيدرالى من دول ذات سيادة برئاسة كازافوبو لذلك الاتحاد. وقد أدى إعلان كازافوبو بعد ذلك وبالتحديد فى اليوم السابع عشر من شهر أبريل عن استعداده للتعاون مع منظمة الأمم المتحدة وقبول قرارها الصادر عن مجلس الأمن، إلى نسف ذلك التفاهم الهش.

فى شهر أبريل من العام ١٩٦١ الميلادى أبلغ أبو بكر البرلمان بما توصل إليه فى ذلك الوقت. فقد عرف الرجل أن قواته يتعين عليها مقاتلة كل من مبوتو وأتباع لومومبا وذلك من باب مصلحة السلام والنظام الأساسيين. وليس من الصعب علينا الوقوف فى خطب الرجل على الفكرة الكامنة التى مفادها أنه لو كانت الفلسفات الإمبريالية قد

جرى تطبيقها بصورة مختلفة لأصبحت قصة الكنغو هى قصة نيجيريا. وعندما تحدث الرجل عن الموازنة بصفته وزيرًا للخارجية وعلاقات الكمنولث تناول رسالة الشكر والامتنان التى وجهها همرشولد إلى الجهود التى بذلتها نيجيريا فى الكنغو، وأعاد أبو بكر إلى أذهان البرلمان أن الشرطيين غير المسلحين الذين كانوا يقومون بدورياتهم فى العاصمة تركوا "**انطباعًا هائلاً على هؤلاء الناس الذين يربطون دومًا قوى القانون والنظام بأساليب القمع الوحشية**". أوضحت التقارير أن بعض الدول الإفريقية تدخلت فى الشئون الداخلية فى الكنغو الأمر الذى أسفر عن تقسيم البلاد بالشكل التى هى عليه. قال رئيس الوزراء: إن الشرطة الكنغولية سارعت إلى فهم مزايا السلوك الإنسانى. ومن مصلحة رجال الشرطة، أن يزنوا كلامهم وزنًا دقيقًا وحريصًا قبل أن يقولوا أى شىء، وسبب ذلك أن الشرطيين كانت تفتر هممهم تمامًا عندما كانوا يقرأون البيانات التى تحتم إعادتهم إلى وطنهم لأنهم لم يخدموا أى غرض من الأغراض المفيدة. كان يغلب على أعضاء المجلس تفكير مفاده أن الكنغو الجار يشكل أكبر تهديد للسلام العالمى، لكن كانت هناك تهديدات أخرى بعيدة مثل جنوب شرق آسيا (الذى كان زعماء الكمنولث وقادته يناقشون قضيته). وفيما يتعلق بالمقترح الخاص الذى يأسف لفشل التدخل من جانب الأمم المتحدة، طرح أبو بكر تعديلاً يحث على استمرار الإجراءات لمصلحة السلام والنظام، ورفض الرجل فكرة سحب القوات النيجيرية. كانت تلك آخر إشارة شخصية من أبى بكر إلى الكنغو، فى البرلمان طيلة أربع سنوات (أما الإشارة التى جاءت بعد ذلك فقد وردت فى ثنايا هجومه على نيكروما)، جاءت تلك الإشارة على شكل ملخص وافق عليه كثيرون من أولئك الذين كانوا ينظرون إلى مسألة الكنغو باعتبارها درسًا وليست فرصة من فرص التجريب الأيدولوجى، وذلك بغض النظر عن سوء التفاهم الذى أحدثه ذلك الملخص فى الأحداث التى جرت فى بروكسل قبل انسحاب بلجيكا:

كانت بلجيكا تدير (تحكم) الكنغو بطريقة عسكرية، ولم تبذل الدولة المستعمرة أى جهد فى اتجاه لم شمل أقاليم جمهورية الكنغو مع بعضها البعض. ويبدو أنه لم تكن هناك مشاورات جادة وعلى مستوى البلد كله مع شعب الكنغو قبل التوصل إلى الدستور الذى أعطاهم الاستقلال. وعليه عندما وافق بعض الناس على حتمية استقلال الكنغو، لم نعتقد أنهم كانوا يفهمون ذلك الذى يقولونه فهمًا دقيقًا، والأرجح أنهم نسوا أن الناس فى بعض الأحيان يحبون التوحد والتخطيط لشىء كبير، فى الوقت الذى يغيب فيه عن بال هؤلاء الناس أن المطامح يمكن أن تجزئهم وتفتتهم. وعليه فإن هؤلاء الناس كان لديهم دستور كانت الدولة الاستعمارية تعده دستورًا مؤقتًا، وأنه وضع لمجرد أن يبدأ الناس عملهم، وعليه يكون بوسعهم الجلوس سويًا ويضعون دستورًا جديدًا مرضيًا لهم. وما أن بدأ تنفيذ ذلك الدستور حتى بدأت بعض الدول من داخل إفريقيا ومن خارجها تهتم اهتمامًا مفاجئًا بشئون جمهورية الكنغو. وبدلاً من السماح للكنغوليين، الذين لم يكونوا مستعدين لذلك، بتحمل مسئولية الاستقلال - وبدلاً من السماح لهم بأن يخلو إلى أنفسهم، وبدلاً من إتاحة فسحة من الوقت يتفهمون أنفسهم وبلادهم خلالها - بدأ بعض الناس يضعون فى عقول الزعماء الكنغوليين وأذهانهم أنهم ينبغى عليهم أن يفعلوا هذا وذاك. وأسفر ذلك عن انقسام الآراء. ويجوز لنا هنا إلقاء اللوم على الدولة المستعمرة السابقة، ويجوز أيضًا إلقاء اللوم على بعض الدول الكبرى، كما يجوز أيضًا إلقاء اللوم على بعض الدول الإفريقية المستقلة.

قام رئيس الدولة المعين تعيينًا قانونيًا، بطرد رئيس الوزراء الذى كان هو الآخر معينًا قانونيًا. قام أحدهم بالانفصال وأعلن منطقته دولة مستقلة. وهلم جرا. وانقسم الجيش إلى أحزاب، وذهب كل حزب إلى قسم من أقسام أولئك المدعين بحقهم فى قيادة الكنغو وزعامته. هذه الجيوش كلها لا سيطرة عليها، والبعض منها يتجولون ويسرقون وينهبون. يزاد على ذلك أن منظمة الأمم المتحدة نفسها لم تعط توجيهات واضحة لممثليها العاملين فى ليوبولدفيل. كانت هناك قوات من خمسة عشر إلى ثمانية عشر دولة بلا خطة تربط بينها **وعندما رُفع الأمر إلى سكرتير عام الأمم المتحدة، ظنوا أن الموقف لم يكن خطرًا مثلما وجدوه [عند وصولهم]، لكنهم طلبوا قوات، دون أن يحددوا لتلك القوات هدفًا معينًا أو تفاصيل محددة. أرسلت الدولة قواتها، واكتشفت أن تلك القوات كانت مبعثرة فى سائر أنحاء الكنغو".**

وعلى الرغم من هذا الكلام، فإن ما قاله أبو بكر للسيد/ داج همرشولد كان مشجعًا وباعثًا على الأمل. كان ما قاله أبو بكر عبارة عن وصف دقيق للحقائق التى كانت لدى الرجل العادى عن هذا الأمر فى ذلك الوقت. مضى أبو بكر إلى القول:

إذا لم يتخل الكنغوليون أنفسهم عن مطامحهم الشخصية ويقرون أهمية اتحادهم مع بعضهم البعض، فإن جهود الأمم المتحدة ستكون بلا جدوى، يبدو لى أن هناك بعض الدول التى تود نشر الاضطراب والمتاعب فى أى مكان. هذه الوحدات من الجيش الكنغولى يجرى مدها لسوء الحظ بالسلاح من الخارج. والمرتزقة يلتحقون بهذه الجيوش المتفرقة. ونحن نود وقف التدخل الأجنبى فى الكنغو. والحل فى أساسه هو شأن من شئون الدول

الإفريقية، والحل سياسى وليس عسكريًا، على الرغم من موافقتى على شىء من القوة تحاشيًا لنشوب حرب أهلية، والسبب فى ذلك أن هذا الموقف قد يكون له تأثير ومضاعفات على بقية إفريقيا كلها. ونحن فى إفريقيا إذا كنا صادقين فيما نقوم به، وليست لنا مصالح فى الكنغو، فإن ذلك يعنى أننا جئنا إلى هنا لمساعدة الكنغوليين على التوحد وإدراك مسئولياتهم وأن يعلموا أنهم يتعين عليهم أنفسهم العيش فى بلادهم، ونحن إذا ما استطعنا فعل ذلك دون أن تكون له أية مصالح بصورة أو أخرى فسوف نساعد الكنغو مساعدة كبيرة. لكن بعض الناس قرروا بالفعل الانضمام إلى هذا الجانب أو ذاك. ونحن فى نيجيريا لا نساند أية فئة أو حزب من الأحزاب مطلقًا. وكل ما نريده هو السلام والاستقرار. ومع التنظيم، نجد أن جمهورية الكنغو لديها فى الطبقة الثانوية أناس يستطيعون إدارة البلاد.

ربما كان الأمر أفضل كثيرًا لو كان هناك تنظيم أفضل من الأمم المتحدة يقوم بالجلوس إلى الحكومة الكنغولية ليريهم الطريق الذى ينبغى أن يسيروا عليه. وهذا هو السبب الذى جعلنى أقترح [على الجمعية العامة] حتمية وجود حكومة مؤقتة، وكل الأحزاب، وأن يجتمع البرلمان ويطرح الموضوع برمته أمام الزعماء الكنغوليين أنفسهم. لقد خرجت الأمور عن السيطرة، وأصبح من الصعب جدًا تبين ذلك الذى يمكن أن يحدث فى المستقبل. الجنود مسلحون بأسلحة حديثة، التى جرى الحصول عليها من الخارج بصورة أو أخرى، هؤلاء الجنود ليسو تحت السيطرة، وهم يتلاعبون هنا وهناك بهذه الأسلحة الخطيرة".

جرى فى شهر مايو غيار(*) الكتيبة الأولى من القوات النيجيرية فى الكنغو. وكان من بين أولئك الذين عادوا إلى أرض الوطن بعد أول تجربة فى "الجندية الحقيقية" الرائدان بى سى كى نزيوجو Nzeogwu وأولوسيجون Olusegun أوباسانجو obasan-jo، اللذان زعما أنهما لم يفرطا فى شرب الخمر مثل زملائها وأنهما بذلا قصارى جهدهما لكى يصادقا الشعب الكنغولى. وتبعتهما فى شهر يونيو الكتيبة الرابعة ومعها مساعد القائد جاك Jack جوون Gowon، الذى جرى الاعتراف بشجاعته عندما جرى ترشيحه لحضور دورة فى كلية الأركان البريطانية فى كمبرلى فى شهر ديسمبر(بعد فترة أمضاها نقيب ركن [أ] فى ليجوس). عُقد مؤتمر مائدة مستديرة ثان للزعماء الكنغوليين فى اليوم الرابع والعشرين من شهر أبريل فى بلدة "كوكيل هاتفيل" Coquil-hatville . ورفض مويس تشومبى إجراء المزيد من المناقشات إلا إذا وافق كازافوبو على تعاونه مع الأمم المتحدة وقبول قوات الأمم المتحدة. وعندما غادر تشومبى المؤتمر مؤكدًا أن ذلك يعد خيانة لما جرى الاتفاق عليه فى تفاهم "أنتاناناريفو" Antananarivo أسفر ذلك عن قيام كازافوبو بإلقاء القبض عليه فى اليوم السادس والعشرين من شهر أبريل، واحتجزه بتهمتى الانفصال والتزييف، إلى أن أُجبر على الموافقة على اتفاق من أحد عشرة نقطة من بينها إعادة اتحاد كاتانجا رسميًا مع دولة الكنغو الموحدة تحت قيادة العاصمة الفيدرالية فى ليوبولدفيل. وما إن عاد تشومبى سالمًا مرة ثانية إلى كاتانجا حتى أعلن فى اليوم الثالث من شهر يوليو أنه كان يقصد الوحدة الاقتصادية وليس الوحدة السياسية، وفى اليوم الرابع من شهر يوليو قام رئيس مجلس النواب الكاتانجى بإبلاغ المجلس الأدنى أن تشومبى وقَّع على اتفاق ليوبولد فيل تحت إكراه التهديد، حتى يطلق سراحه ويحصل على حريته.

(*) "الغيار" فى لغة العسكريين يعنى إحلال وحدة من الوحدات محل وحدة [أخرى بعد فترة زمنية محددة. (المترجم)

فى مـؤتمر منروفـيـا Monrovia (الذى تنـاولناه بالوصـف المستفيض فى الفصل التـالى) أيد السـيـر أبو بكر الأمم المتحـدة، وطالب بإجـراء مـصـالحـه بين كـازافـوبو وجيزنجا، ونصح للأمم المتحدة بالحذر من مساندة أى طرف ثالث للمتمردين المعادين للاستعمار مخافة أن يسفر ذلك عن **"المزيد من حالات الكنغو"**. ووافق المؤتمر على عدم الانحياز إلى أى طرف من الأطراف فى الصراعات الداخلية، وبدأ كازافوبو التفاوض مع جيزنجا، وبعض أتباع لومومبا. ويستقيل السيد/ دايال فى شهر مايو، ويخلفه السيد/ كونور Conor كروز Cruise أوبريان O'Brien فى منصب المستشار السياسى لسكرتير عام الأمم المتحدة. ويبدأ همرشولد فى ممارسة المزيد من السيطرة من نيويورك، مستمداً نصيحته الاستراتيجية الرئيسية من الأعضاء التسع عشرة فى اللجنة الاستشارية الأفرو - آسيوية (كان أعضاء اللجنة مدنيين بما فيهم واشوكو) الذين كانت دولهم مشاركة فى منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو. كان الموظف المدنى النيجيرى فرانسيس نوكيدى يشغل فى ذلك الوقت منصبًا رسميًا من مناصب الأمم المتحدة فى الكنغو. وعاد البرلمان الكنغولى إلى الانعقاد فى شهر يوليو تحت حراسة الأمم المتحدة، بدون حضور تشومبى أو أى كاتانجى آخر، وبعد عام واحد من إمساك الدهماء بسيف الملك، جرى تخويل السلطة لشخص يبلغ من العمر أربعين عاماً ويدعى إم سيريل آدولا، ليصبح رئيسًا للوزراء فى حكومة وحدة وطنية فى اليوم الثانى من شهر أغسطس. وشارك جيزنجا فى هذه الحكومة فى منصب نائب رئيس الوزراء، مفترضاً أن أتباع لومومبا سوف يهيمنون على الحكومة على وجه السرعة، وعليه قام بحل قاعدته فى "استانلفيل". ولما كان آدولا يبدو اشتراكيًا محايداً فقد أكد للأمم المتحدة أنه قادر على إخماد انفصال كاتانجا وقمعه. صادف ذلك وصول الكتيبة الثالثة من فوج صاحبة الجلالة النيجيرى الخاص. وبعد ذلك بفترة قصيرة للقيام بجولة فى الكنغو. وبعد ذلك بفترة قصيرة غادر العميد المرقى حديثًا أجوبى إيرونسى (الذى أُعلن بطريق الخطأ أنه حصل على وسام الإمبراطورية البريطانية فى قائمة ألقاب العام الجديد) الكنغو الذى تولى فيها قيادة قوات اثنتى عشرة دولة أعضاء فى الأمم المتحدة،

ليصبح مستشاراً للشئون العسكرية لدى المفوضية العليا النيجيرية فى لندن، وفى لندن تمكن ذلك العميد من الالتحاق بكلية الدفاع الإمبريالية (التى لم يزر فيها المكتبة حتى ولو لمرة واحدة)، حيث حضر إلحاقًا تدريبيًا قصيراً فى كلية الأركان فى كمبرلى. وعاد أيضًا قائد الشرطة إيدت Edet إلى الوطن بعد أن رُقِّى إلى آمر لشرطة العاصمة ليجوس وضواحيها.

أُبلغت الأمم المتحدة بناء على ما تقدم تشومبى أن يقوم بإبعاد الخمسمائة فرد غير الكنغوليين عن قواته وأرسل همرشولد فى اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس قوات من الأمم المتحدة لنزع سلاح هؤلاء الأفراد، لكن هذه القوات لقيت مقاومة شديدة. وفى اليوم الأول من شهر سبتمبر قطعت الأمم المتحدة علاقاتها الرسمية مع كاتانجا وحاولت إلقاء القبض على حكومتها. وأثناء اشتداد وطيس القتال فى كل من إليزابثفيل Elisabethville وجادُ تفيل Jadotville وافق تشومبى على التفاوض الحيادى مع سكرتير عام الأمم المتحدة بشأن شروط السلام، وكان سكرتير عام الأمم المتحدة قد طار إلى ندولا Ndola فى روديسيا الشمالية من أجل هذا الغرض، لكن الرجل وافته المنية عندما تحطمت طائرته أثناء الرحلة فى يوم ١٧ أو ١٨ سبتمبر. تواصلت التكهنات حول مسألة تحطم الطائرة ولكن مع توقف الجدل حول هذه المسألة أصبح كل من تشومبى ومحمود خيارى من منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو، قادرين على التوقيع على اتفاق لوقف إطلاق النار فى اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر. لم يؤد ذلك إلى وضع حد للانقسامات العنيفة كلها. وفى شهر نوفمبر رد مبوتو على التقارير الخاصة بقيام كاتانجا بقصف قواته المركزية عن طريق القيام بمحاولة أخرى لإنهاء الانفصال بالقوة، وساعده فى ذلك جيزنجا، وقام باحتلال بلدة البرتفيل Albertville فى شمال كاتانجا، وبذلك يكون قد شطر المنطقة إلى نصفين.

وعندما كانت منظمة الأمم المتحدة تتأمل وتدرس تقريرها النهائى، الذى كان قد نشر منذ فترة قصيرة، والذى جعل من وفاة لومومبا مشاركة بين كل من كازافوبو

وتشومبى، قام أنطوان جيزنجا بالارتداد إلى "استانلفيل" وتمردت قواته التى كان مفترضًا أن تكون موالية للمركز، وقطَّعت أوصال ثلاثة عشر رجلاً من رجال الجو الإيطاليين التابعين للأمم المتحدة فى الكنغو بزعم أنهم كانوا من البلجيكيين، وقامت كاتانجا باغتيال مسئولين من مسئولى منظمة الأمم المتحدة، كما اغتالت أيضًا جنديًا هنديًا من الجنود التابعين للأمم المتحدة فى الكنغو. وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر قرر مجلس الأمن إنهاء الانفصال. خُوِّل مجلس الأمن خليفة همرشولد أوثانت uthant ذلك السكرتير العام البورمى البوذى سلطة إلقاء القبض على المرتزقة والمستشارين الأجانب العاملين فى كاتانجا، وجاء أول تحرك لأوثانت، بصفته عاملاً من أجل السلام، يعرض تعيين ممثل خاص له يشرف على عملية صلح، شريطة قيام الحكومة المركزية بمبادأة تطلب منه فيها القيام بذلك، وجاء رد تشومبى السريع على ذلك على شكل إعلان تحدى كاتانجا لغزاة الأمم المتحدة تحديًا شديدًا عن طريق الدفاع الأرضى. ويندلع القتال فى اليزابثفيل، ويستقيل أبريان من الخارجية الأيرلندية ومن منظمة الأمم المتحدة، ويعلن على الملأ اتهامه لكل من بريطانيا وفرنسا بتقديم المساعدات المستورة لكاتانجا فى انفصالها الاقتصادى الأنانى وراح يساعد بطريقة علنية ويؤيد الولايات المتحدة الأمريكية هى والأعضاء الأفرو - آسيويين فى الكمنولث فى مساندتهم لمسألة الوحدة الكنغولية الوهمية. أما بريطانيا التى كانت على وشك توريد قنابل زنة الواحدة منها ألف رطل لاستخدامها ضد كاتانجا، فقد أخرت توريد تلك القنابل، وسحب القائم بعمل السكرتير العام للأمم المتحدة هذا الطلب فى نهاية المطاف.

تواصل القتال بين قوات كاتانجا ووحدات القوات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة فى الكنغو، وراح كل من الطرفين يلوم الطرف الآخر على خرقه لوقف إطلاق النار، وحاول إزالة سدادات الطرف التابعة لكل منهما، لكن قيادة الأمم المتحدة نادت مرة أخرى فى اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر بوقف مؤقت آخر لإطلاق النار فى الوقت الذى

توجه فيه تشومبى إلى ليوبولد فيل للتشاور مع أدولا. كان تشومبى قد ناشد الرئيس الأمريكى كنيدى للتوسط لدى أدولا وأن يضمن سلامته، لكنه وافق عندئذ على قبول القانون الجمهورى الأساسى وقرارات الأمم المتحدة، مع وعد بمراجعة للدستور فى العام ١٩٦٢ الميلادى. ويعود تشومبى مرة ثانية إلى وطنه ويعود إلى المراوغة من جديد: قال تشومبى، إن جمعيته الوطنية يتعين لها أولاً إقرار موافقة تشومبى. بعد ذلك، وعلى الجانب الآخر قامت القوات المركزية فى شمال كاتانجا باغتيال عشرين مبشراً. وبعد أن استقبل تشومبى وفداً من أدولا ومن منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو أصدر فى اجتماع له فى كيتونا إعلاناً من ثمانية نقاط، يعكس الوضع الراهن والكنغو.

شهد العام ١٩٦٢ أيضًا أتباع لومومبا الأقوياء فى الشمال الشرقى من الكنغو وفى المناطق المحيطة، وكانوا يعارضون سيطرة ليوبولدفيل عليهم، وشعر تشومبى بالقوة جراء مساندة المصالح التعدينية له فى الجنوب الشرقى، فى حين راحت قوات ميوتو تتحدى من العاصمة هذين القطاعين، ثم اضطرت بعد ذلك إلى التراجع. وطوال هذه الفترة من الفوضى والارتباك العنيف كان الجيش النيجيرى وقوة الشرطة المدنية يلعبان دورهما، الذى تمثل فى المحافظة البسيطة على القانون، والنظام وحرية الحركة لنفسها، والدفاع المباشر عن النفس فى بعض الأحيان أثناء تنفيذ استراتيجية الأمم المتحدة المتوازنة. كان الحاج السير أبو بكر لا يزال يتفاخر بتلك القوات النيجيرية لاستمرارها فى رفع العلم المكون من اللونين الأخضر والأبيض أسفًا وحزنًا على إفريقيا التى تدور فيها المجازر من حولهم، وكان أبو بكر أكثر وعيًا وإدراكًا، من كثيرين من أنداده أن تكاليف هذه العمليات العسكرية لم يكن يجرى الوفاء بها من قبل الدول الأعضاء الذين كان لديهم الكثير الذى يمكن أن يقولوه عن أهدافهم.

دب الضعف فى أحد أركان مثلث قوى ليوبولد فيل - استانليفيل - اليزابثفيل عندما انقلب مجلس النواب على جيزنجا، وعلى انقسام حزبه، وجرى بناء على ذلك حرمانه من منصبه، وجرى رفع الحصانة البرلمانية عنه، ثم ألقى القبض عليه ومعه ٣٠٠

من أتباعه فى اليوم الرابع عشر من شهر يناير بتهم التمرد. وفى اليوم السادس عشر من شهر يناير طلب أدولا من تشومبى الحضور إلى ليوبولد فيل لتحويل محادثات كيتونا إلى خطة عمل أو بالأحرى لوضع هذه المحادثات موضع التنفيذ، ويصل تشومبى فى اليوم الثامن عشر من شهر يناير، وأبلغ آدولا، الذى كان قد التقى الحاج السير أبا بكر فى جلسة ودية غير مثمرة أثناء اجتماع رؤساء الدولة فى ليجوس (سنورد وصفه فى الفصل التالى)، أن الجمعية الكاتانجية قد وافقت على اتفاقهم، وأنه سوف يقوم بالتفاوض مرة أخرى - إذا ما ضمنت الأمم المتحدة سلامته الشخصية. ولم تصل المحادثات إلى نتيجة، لكن القوات النيجيرية أمنت رحيل تشومبى وعودته إلى موطنه وحمته من تدخل السلطات المركزية المعادية، وقد أدى هذا العمل المحايد الذى قام به جنود سود إلى التقليل من الشكوك الكاتانجية الشديدة وعدم وثوقها بالأمم المتحدة، على الرغم من أن هذا العمل أدى إلى إغضاب المواطنين النيجيريين على المستوى المحلى نظراً لأنهم كانوا يودون رؤية تشومبى مشنوقًا عقاباً له على اغتيال لومومبا. وهنا يكون أنصار أدولا قد فقدوا ثقتهم بالأمم المتحدة لسبب مختلف مفاده أن المنظمة بدت لهم غير مؤهلة لاستبدال الفنيين البلجيكيين المتبقين فى الكنغو، وأن المنظمة أصبحت فى واقع الأمر تحت سيطرة الغانى روبرت جاردنر رئيس الخدمة المدنية الجديد فى منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو، بحيث أصبحت عاجزة عن التفكير فى إحضار بعض الفنيين البلجيكيين أو جلبهم لخدمة البلد الذى يعرفونه بالفعل.

قام اللواء ولبى إيفرارد، القائد العام النيجيرى الجديد بأولى زياراته الدورية ربع السنوية إلى لوائه فى الكنغو، مستخدمًا فى ذلك طائرة من طائرات القوة الجوية جرى تخصيصها للجيش لتكون مخصصة للاستعمال الشخصى للواء ولبى. وخلص القائد العام إلى أن العميد فيمى ("بابا") أوجونضايب Ogundipe كان يبلى بلاء حسنًا تمامًا، وقد جرى إبراز ذلك التقييم عندما أصبح أوجوندايب فيما بعد رئيساً لأركان منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو. ومع ذلك تهددت القوة العسكرية النيجيرية بعض المتاعب

والاضطرابات الداخلية فى شهر مايو من العام ١٩٦٢ الميلادى، ففى الوقت (الذى سنأتى على ذكره بالتفصيل فى الفصل الرابع والثلاثين) جرى فيه طرد رئيس وزراء الإقليم الغربى طرداً كان محل أخذ ورد، وعندما كان الرجل يبرر عدم إخلائه لمنصبه، كانت الكتيبة الأولى من فوج صاحبة الجلالة النيجيرى الخاص، تعبر الحدود عائدة من كاساى إلى مركز رئاستها فى إينوجو، وكانت الكتيبة الرابعة فى طريقها خارجة من إيبادان لغيار الكتيبة الأولى. كانت الكتيبة الخامسة من فيلق صاحبة الجلالة النيجيرى الخاص التى كانت ثكناتها فى كادونا، متمركزة فى ليوبولدفيل. فى تلك الأثناء كانت الكتيبة الشقيقة الثالثة قد عادت إلى كادونا، وتحركت إلى إيبادان، وكان كل شىء على ما يرام فى ذلك الوقت، لكن مسألة توتر الأمن الداخلى النيجيرى توتراً شديداً كانت واضحة للعيان.

التقى تشومبى هو وأدولا مرة ثانية فى شهر مايو، لكن تفاهمهما بشأن إحداث نوع من التكامل بين جيش مبوتو وكاتانجا عن (الذى كان لا يزال يطلق عليه اسم الجندرمه(*) gendarmerie) انهار عندما ثبت عجزهما عن الموافقة على صياغة البيان الذى سيصدر عنهما، وبذلك فشلت محادثاتهما فى اليوم السادس والعشرين من شهر يونيو. واستمرت قوات كاتانجا فى تقوية نفسها عن طريق المساعدات الخارجية من ناحية والشركة القابضة البلجيكية التى تدعى الاتحاد المُصغر Union Miniere ـ بعد ذلك بأسبوع هدد وزير مالية تشومبى بوقف إنتاج النحاس تماماً إذا ما أرسلت أو حولت العائدات إلى الحكومة المركزية، ثم سارع تشومبى بعرضه مساعدة ليوبولد فيل عن طريق الإعانات أو المنح الحكومية، وعندما قامت قواته باستعراض كبير فى إليزابثفيل فى اليوم الحادى عشر من شهر يوليو، احتفالاً بمرور عامين على الانفصال،

(*) الأصل فى هذه الكلمة الفرنسية الأصل هو كلمة gendarme التى تعنى "واحداً من الشرطة الفرنسية وهى من صيغة الجمع وبذلك يصبح معناها هنا "الشرطة" أو "الجندرمة". (المترجم)

قامت منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو بوضع سدادات طرق جديدة حتى لا يتكرر ذلك مرة ثانية. وقد أدى ذلك التصرف إلى جر هجوم شامل قامت به حوالى ١٠٠٠٠ امرأة مناصرات لتشومبى، على منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو. وفى يأس راح أوثانت، سكرتير عام الأمم المتحدة، يسعى إلى فرض عقوبات من قبل بلجيكا، وبريطانيا، وفرنسا والولايات المتحدة على تشومبى لترويضه وإخضاعه، لكن على الرغم من وعود كل هذه الدول بالضغوط السلمية على الرجل، تزعمت بريطانيا أولئك الذين كانوا مترددين فى الانضمام إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى تدخلها القهرى أو الإلزامى. وهنا نجد المصالح النحاسية الدولية المتشككة تتجاهل العرض الذى تقدم به أوثانت ويقضى بتوفير الحماية العسكرية لتلك المصالح أو الشركات الدولية إذا ما دفعت العائدات والضرائب بصورة مباشرة إلى الحكومة المركزية متخطية فى ذلك الحكومة المحلية، وترتب على ذلك قيام أدولا بفرض عقوبات على المواصلات فى كاتانجا. وفى اليوم الأول من شهر يوليو أصبحت منطقة الوصاية البلجيكية الصغيرة فى رواندا – أوروندى مستقلة كما هو الحال فى مملكة بوروندى الدستورية وجمهورية رواندا.

استجاب مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة لطلب المشورة الذى تقدم به أدولا بغية الحصول على المشورة الدستورية، بأن قام مساعد السكرتير العام بزيارة أربعة مفوضين من دول أعضاء تتمتع بأنظمة فيدرالية أو كونفدرالية أو اتحاد ولايات مثل: كندا، الهند، نيجيريا، وسويسرا. واقترح مساعد السكرتير العام فى شهر أغسطس، بعد موافقة أدولا، تقسيم عائدات النحاس بالتساوى بين كاتانجا والحكومة المركزية، على أن يجرى التكامل بين الجيوش خلال شهرين ـ الأمر الذى أدى إلى إفشال الحظر التجارى المفروض من قبل الأمم المتحدة على كاتانجا، على أن يجرى فى نهاية المطاف وضع نهاية حاسمة للانفصال، وعلى أن تكون هذه النهاية مفروضة من قبل منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو. وهنا راح تشومبى يهدد بفرض حرب عصابات وشنها على عملية التكامل هذه، وأنه لم ينعم النظر فى مسألة ذهاب العائدات المعدنية الكاتانجية

مباشرة إلى الحكومة المركزية. وقام تشومبى بعد ذلك، فى تظاهر منه بقبول مبدأ المصالحة، بتكرار عرضه على ليوبولد فيل بتحويل أى فائض من المتحصلات إلى الوفاء باحتياجات اليزابثفيل، وأن يُنصَّ على "حقوق قوية للولايات" فى أى دستور من الدساتير (وبصفة محددة كاتانجا التى ينبغى أن تكون جمهورية ذات حكم ذاتى مثل جمهوريات اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية)، على أن لا تتخذ إجراءات أخرى، فى الوقت نفسه، بشأن إعادة الوحدة. وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو وافق أدولا لتشومبى على إمكانية قيام اتحاد فيدرالى يضم إحدى وعشرين مقاطعة. وفى اليوم السادس عشر من شهر أكتوبر أعد أدولا دستوراً من هذا القبيل، يحتوى على قوائم فيها موضوعات حصرية ومتداخلة تحتم على الحكومة المركزية إصدار التشريعات اللازمة لها، الأمر الذى يؤدى إلى الحد من السلطة المحلية، لكن تشومبى لم يكن موجوداً حتى يدعم ذلك الدستور. أما كالونجى، الذى سبق احتجازه، فقد تمكن من الهرب من حجزه، وحدث تمرد فى جنوب كاساى.

عند هذا الحد كانت قوات منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو قد وصلت إلى ١٤٠٠٠ جندى و ٣٠٠٠ من العاملين فى الطيران والإسناد: قدمت الهند ثلث هذه القوة، وجاءت نيجيريا، والملايو، وإثيوبيا فى المرتبة الثانية من حيث حجم القوات، وكان يجرى دعم هذه القوات بصورة مستمرة بقوات غانية، أو أيرلندية، أو ليبيرية، أو سيراليونية، أو سويدية أو تونسية، مع شىء من المساعدات شبه العسكرية من كل من الأرجنتين، والنمسا، والبرازيل، وكندا، وسيلان، والدنمارك، وإيطاليا، وهولنده، والنرويج وكذلك الباكستان ـ وكان مرجحًا للهند أن تسحب قواتها بسبب انشغالها بنزاع الحدود مع الصين، الأمر الذى كان يسبب لها قلقًا كبيراً. وباستثناء قلة قليلة من الأصوات الجادة، لم تتردد على المسامع تلك الأصوات التى كانت تنادى بفرض حالة الوحدة، سواء أكان ذلك عن طريق القوة أم المفاوضات، وبخاصة فى ضوء فشل هذه القوة متعددة الأطراف التى فاق عددها عدد قوات الحكام البلجيكيين المقيمين السابقين.

وتموت مبادرة السكرتير العام، ويقوم تشومبى بقصف معارضيه فى شمالى كاتانجا بالقنابل. ومع ذلك، طلب أوثانت من الولايات المتحدة الأمريكية فى اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر إرسال بعثة لتقييم الموارد المطلوبة لإنزال الهزيمة بتشومبى، وفى كولويزى kolwezi اتخذ تشومبى من ذلك "التدخل العسكرى" الأمريكى ذريعة ليعلن من جديد عن "سياسة الأرض المحروقة". وفى هذه المرة نجحت قوات منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو، فى الاستيلاء على اليزابثفيل فى نهاية العام ١٩٦٢ الميلادى، وأهاب تشومبى بالحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا الاحتجاج على عمليات القتل التى ترتكبها القوات الخاضعة لقيادة الأمم المتحدة. وجاء ردأبى بكر يفيد أن تشومبى كان مسئولاً عن القتال وأن سفك الدماء يمكن أن ينتهى إذا ما انتهى الانفصال. ويهرب تشومبى بعد ذلك إلى روديسيا الجنوبية (ويذهب مرتزقته إلى أنجولا)، لكن الرجل رجع ليعيد تنظيم المقاومة الكاتانجية مع بداية العام الجديد. لكن اتضح مؤخراً أنه لا ديبلوماسية الأمم المتحدة، ولا ما قام به أدولا، هما اللذان أغلقا نفق "التفاوض" الذى لا نهاية له مع تشومبى، وإنما يرجع الفضل فى نهاية الأمر إلى جنود الأمم المتحدة من ناحية و "الوجود" الأمريكى من ناحية أخرى.

يمكن القول إن العام ١٩٦٣ الميلادى كان بداية النهاية، وأحست اللجنة الاقتصادية الإفريقية أن بوسعها الاجتماع فى شهر فبراير وعقد جلستها الخامسة عشر فى ليوبولد فيل، التى تلقت اللجنة فيها برقية من رئيس وزراء نيجيريا يتمنى فيها الخير لهذه اللجنة ـ وكان أدولا قد أكد العفو العام فى كاتانجا. وفى اليوم الثالث من شهر يناير كانت قوات منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو قد احتلت جادوتفيل Jadotville، وانهارت فجأة المقاومة الكاتانجية بعد القيام ببعض عمليات التخريب الصغيرة. ووافقت شركة الاتحاد المُصغّر القابضة على اقتسام عائدات الضرائب مع ليوبولدفيل. بعد ذلك بأسبوع راح مويس تشومبى يتكلم عن الأراضى المحروقة، وأعلن فجأة من كولويز فى اليوم الخامس عشر من شهر يناير عن استعداده التام للتخلى عن الانفصال الكامل،

والتوقف عن التدخل فى أعمال منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو، والمشاركة فى مشروع المصالحة الوطنية الذى يقوم به أوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة، وأن يكون بمثابة رئيس للإدارة المحلية. دخلت القوات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة فى الكنغو كولويزى. وبانتهاء شهر يناير أصبحت جندرمة تشومبى بلا حول أو طول، نظراً لأن السواد الأعظم من مرتزقته المتبقين فى البلاد كانوا قد غادروها عن طريق أنجولا، وكان هو نفسه قد رحل إلى أوروبا طلبًا للرعاية الطبية على امتداد أسابيع عدة. كان جاك جوون Gowon قد انضم إلى مركز رئاسة اللواء النيجيرى الثالث فى "لولوا بورج" Lulua-bourg برتبة عميد بعد أن أكمل دورة الأركان فى كمبرلى (وبعد أن تصرف على أفضل نحو ممكن مع صديقه وزميله الضابط الإجباوى آرثر ينيجبى unegbe يوم أن كان فى لندن). ولما كان أوثانت قلقًا ويود تخفيض الإنفاق العسكرى فى الأمم المتحدة، وتوسيع البرامج المدنية، وبخاصة فى التعليم، فقد تقدم بتقرير يفيد أن التزام منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو بمنع نشوب الحرب الأهلية، وطرد الأجانب من كاتانجا، قد جرى الوفاء به فى القسم الأكبر منه، وأنه أصبح بالإمكان تخفيض عدد القوات بصورة متدرجة.

جاء ذلك التقرير سابقًا لأوانه. فى شهر فبراير تجدد الإرهاب فى كاتانجا وحدث تمرد فى جنوب كاساى. ومع ذلك، وبعد المناقشات التى أجريت مع أوثانت حول التدريب المطلوب لإعداد جيش كنغولى منظم، تكون له قيادة مؤهلة تأهيلاً طيبًا، آثر أدولا إجراء مفاوضات ثنائية بشأن المساعدة الفنية، مع مختلف الدول وبصورة مباشرة، مع كل من بلجيكا، وكندا، وإيطاليا، وإسرائيل والنرويج والولايات المتحدة الأمريكية وعرضت كلها تمويل هذا المشروع، فى حين وجدت الدول الإفريقية، التى كانت تود المشاركة فى هذا الأمر، نفسها عاجزة عن توفير الموارد اللازمة لذلك، على الرغم من استياء هذه الدول من بلجيكا، وعدم ثقتها بالتدخل الأمريكى فى هذا الأمر. كان مبوتو قد زار نيجيريا لمناقشة مسألة التدريب العسكرى، وحضر الخطبة التى

ألقاها الدكتور أزكوى من فوق العرش على البرلمان (وقد تأثر مبوتو لأن أزكوى ألقى هذه الخطبة وهو يرتدى زى المشير القائد العام بدلاً من الزى الوطنى). وجاء أدولا بعد مبوتو وبالتحديد فى شهر مايو بعد أن عدل الرجل تشكيل وزارته لكى تضم كاتانجيين وممثلين لأتباع لومومبا (كان الرائد جوُون شخصياً قد تلقى آخر مفرزة من المفارز المتمردة). وأصدر كل من أبى بكر وأدولا بياناً أعرب فيه عن آمالها فى تعديل دور الأمم المتحدة فى الكنغو بحيث يكون انعكاساً للوضع الذى تغير فى ذلك البلد. وناقش الرجلان مسألة الوحدة الإفريقية وأشار إلى "تطابق وجهتى نظرهما تطابقاً تاماً" فيما يخص هذه المشكلات المهمة، واتفقا على أن يقوم رئيس الوزراء برد الزيارة إلى الجمهورية الكنغولية.

عاد أدولا إلى وطنه وأعاد تقسيم شمال كاتانجا وجنوبها إلى أربعة أقسام، فى الوقت الذى بقيت فيه البلاد غير مستقرة طوال ثلاثة أشهر. وكان تشومبى هو الآخر قد عاد إلى الوطن فى منتصف شهر مارس، عن طريق سالسبيرى، لكنه لم تعد له منطقة أو مقاطعة خاصة به وعاد بلا جواز سفر إلى عيادته فى باريس ليتعافى بعد احتجازه فى البداية، وبقى الرجل على قيد الحياة لكنه لم يعد يعمل بالسياسة، وأجبر تشومبى على الاستقالة فى اليوم الخامس والعشرين من شهر يونيو. يقوم أدولا بعد ذلك بزيارة بريطانيا لاستعادة العلاقات الطيبة، ويأخذ المعونة المقدمة التى سبق أن رفضها الكنغو من قبل. وقبل أدولا أيضاً عرض بلجيكا الخاص بجدولة ديون بلاده، لكن الرجل عجز عن تجاهل معارضة الدول الإفريقية الأخرى لموافقته على التدريب العسكرى الغربى، كان ذلك كله يحدث على الرغم من استمرار العصيان المدنى فى وجه إصرار أوثانت على سحب القوات التابعة للأمم المتحدة، وعلى الرغم أيضاً من مشاركة كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وبلجيكا وبريطانيا فى مناصرته فى تحذيراته من التعجيل بتخفيض عدد قوات الأمم المتحدة فى الكنغو.

قام الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا فى شهر سبتمبر بزيارة أدولا لمدة ثلاثة أيام، توصل خلالها إلى أن الكنغو لا تزال لديه إمكانات هائلة، والمدهش أن هذا البلد كان قد نعم بكثير من التنمية الصناعية قبل الاستقلال. وناقش أبو بكر إمكانية التسويق المباشر لكسر تركيز التجارة الإفريقية على أوروبا وحدها، وكذلك قطع المواصلات (مثلما فعل الرجل مع أصدقائه الناطقين بالفرنسية فى الغرب). ومع ذلك، وعندما سُئل أبو بكر عما إذا كانت نيجيريا سوف تقدم للكنغو المزيد من المساعدات العسكرية إذا ما سحبت الأمم المتحدة قوتها، اعترف بأن ذلك سيكون أمرًا صعبًا جدًا ودعا الله أن يُبقى على القوات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة فى الكنغو بالشكل التى هى عليه ومن ضمنها المكوّن النيجيرى. كان أبو بكر على استعداد لتدريب الشرطة الكنغولية. وعندما عاد أبو بكر إلى وطنه ذكر مفتش عام الشرطة بطريقة عابرة أنه لابد أن يكون قد لاحظ وجود عدد كبير من الشرقيين فى المواقع القتالية الرئيسية فى الجيش النيجيرى - قاده، ضباط أركان، وأفراد إشارة (كان أجويى - إيرونسى قد تقرر أن يعود إلى الكنغو لتولى أمر القيادة العامة لقوات الأمم المتحدة برتبة فريق ثان): ويرد عليه أبو بكر أنه يعرف ذلك جيداً، لكن "**الرجل الذى يمسك بالبندقية شمالى**". افتقرت هذه الملاحظة إلى فطنة أبى بكر وذكائه المعهودين، اللهم إلا إذا كان يمزح مستهدفًا بذلك استثاره رد فعل معين، هذا "الشمالى" يندر أن يكون من إمارة موالية ولاء طبيعيًا للحزب الذى يتزعمه المستشار السياسى الرئيسى، حتى مع التسليم بأنه صاحب صحوة سياسية، يزاد على ذلك أن كبار الرجال كانوا يتعلمون الكثير بسرعة من تقلبهم الدورى بين جندية السلم فى الوطن والخدمة الحقيقية والفعلية بين الرفاق الدوليين المتقدمين فى الكنغو. لقد علمتهم الحرب الأهلية دروسًا مختلفة من تلك الدروس التى تعلمتها قوة الحدود المستنيرة الملكية لغرب إفريقيا عندما كانت ضمن الجيش البريطانى الرابع عشر والفليق الهندى الخمسون أو "ehindits" على حد قول الهنود فى أربعينيات القرن العشرين.

آن الآن أوان العودة عن هذا الاستطراد المربك المحير، لأن الأحداث المستقبلية فى الكنغو تعد عنصراً قليل الأهمية فى خلفية هذا السَّفر. لم يكن هذا الاستطراد مُنْبَتَ الصلة بالموضوع. لابد أن القارئ قد استنتج، حتى قبل أن يعمل فكره فى الهموم المتوالية التى سنتناولها بعد بالوصف، أن هذه السنوات الثلاثة وسعت بالفعل مدارك الحاج السير أبى بكر وإحساسه الرصين بالمسئولية ووزن الأمور بميزانها الصحيح. عند الحصول على الاستقلال كان الزعماء النيجيريون يتحرقون شوقًا لفرد أجنحتهم، فى حين أعطتهم الفوضى الدائرة فى الكنغو مجرد فاتحة صغيرة تثبت لهم أنهم قادرون أكثر من الأوروبيين على تصحيح الأمور فى إفريقيا. فى بداية الأمر كان أبو بكر يتطلع إلى الزعامة الإفريقية لكن تحت غطاء زينى من ثوب الأمم المتحدة المزيَّن. أما الآخرون الذين كانوا يرفلون فى ثيابهم المدنية كانوا يودون التماس العذر لهم فى استخدام القوة الموحدة المدارة إفريقيًا ضد الأجانب - لم يفهم أى جانب من هذين الجانبين أن الاضطرابات المدنية تحتاج إلى ما هو أكثر من العمل الشرطى الحقيقى، كما هو الحال فى استخدام الشرطة ضد سلطة من السلطات المحلية المتمردة والعنيدة لفترة مؤقتة، وغاب عن هذين الجانبين أيضًا أن الكنغوليين من كل الأحزاب سوف يأسفون ويندمون على رعاية أفارقة آخرين لهم مثل أسفهم على هذه الرعاية من قبل البلجيكيين أو على يدى همرشولد.

مع استحكام الأزمة واستمرارها، ومع ظهور القوة الحقيقية للمصالح المتعارضة التى كانت إفريقيا الناهضة تتحداها، أصبح أبو بكر على قناعة بالتخلى عن التورط الشخصى، فى الروتين اليومى للشئون الخارجية، وتركها لوزارات ليجوس ومكاتبها، وأن يسلم بأن ذلك الذى كان بعد مأساة عند الكثيرين من الشعب الكنغولى الذى يقدر عدده بحوالى خمسة عشر مليون نسمة، لم يكن فى واقع الأمر تهديداً للسلام العالمى فى عصر نووى، وأنه لابد أن يحتل مكانه المناسب فى إطار المشكلات المتزايدة التى تَعَيَّن على نيجيريا مواجهتها والتصدى لها. وما أن تخلى أبو بكر عن حقيبة الشئون

الخارجية، حتى أصبح موقفه يتمثل فى موقف رئيس مجلس الوزراء الذى يتحمل مسئولية مشتركة، هذا الموقف لم يعف أبا بكر من المهاترات الشخصية من قبل أولئك الذين ينظرون إلى باتريس لومومبا باعتباره الشهيد النمط الأعلى للاستعمار، والذين لا يغفرون لأبى بكر افتقاره إلى المشاركة فى الانشقاق الداخلى الذى حدث فى الكنغو. ولما كان الشمالى يعمل جاهداً دوماً على أن يكون نيجيريا فى المقام الأول، راح الرجل (أبوبكر) يبحث فى الآخرين عن آثار ذلك التعصب والقومية وحب الحرب، لكنه لم يصادف نجاحاً فى بحثه أو تطلعه إلى هذا. أقرب الناس إلى هذه المشاركة، فى رأى أبى بكر، هو تشومبى، لأنه عندما كان رئيساً لإحدى المقاطعات كان يعزف على أوتار التعاطف الإقليمى فى آذان الزعماء الفيدراليين، وأيضاً فى اعتراف الرجل الأسيف أن الكاتانجى على الرغم من استثاراته المستفزة، وعلى الرغم من انتهازه للفرص على نحو يمنع الآخرين من الوثوق به يعد زعيماً شعبياً فى أعين السواد الأعظم من شعبه.

سوف يفهم القارئ من الفصول التالية أن السواد الأعظم من إخوان الحاج السير أبى بكر، المواطنين قد فهموا أيضاً أن الكنغو أكثر إتعاباً إذا ما قورنت مشكلاته بمشكلات بلادهم الأخرى. هذا يعنى أن المؤسسات البرلمانية بدأت تفقد سحرها وجاذبيتها، هذا يعنى أيضاً أن الحرس القديم فى الاتحاد السوفيتى كان شغوفاً بأن يحل محل الإمبرياليين الأوروبيين الراحلين، هذا يعنى أيضاً أن المؤسسات القوية التى لديها المال كانت مستعدة دوماً للاستيلاء على المواد الخام الطبيعية. الدرس الآخر المقلق والمستفاد مما حدث فى الكنغو يتمثل فى أنه على الرغم من عدم خوف الكتبة العسكريين والرقباء الأول من ارتداء عباءات وتولى سلطات الجنرالات وكبار الموظفين الروتينيين، فإن خبراتهم يندر أن تهيئ لهم الحكمة التى تمكنهم من معرفة الهدف المبتغى من مثل هذه السلطات الخطيرة. حدثت أيضاً مأساة عارضة تمثلت فى أن اللاجئين الفارين من العنف القاتل فى بلادهم وعلى اختلاف فئاتهم زادوا من قوة الرجعية فى روديسيا الجنوبية والمعززة بالمظهر الشكلى الذى يفيد أن الإجراءات

الخشنة والمتعسفة فى المناطق البرتغالية وفى جمهورية جنوب إفريقيا هى التى ضمنت الأمن، يزاد على ذلك أن روديسيا ستظهر فيما بعد فى هذه القصة كشيء مخيف تمامًا. والأمر الذى لم نأت على ذكره هنا هو مدى اهتمام الدول الاعضاء فى حلف الأطلنطى، أو أعضاء حلف وارسو، أو جمهورية الصين الشعبية بالكنغو لو أنه لم يكن هناك اهتمام وعلق ممن يمكن أن يصل فى نهاية المطاف ويسيطر على مناجم اليورانيوم فى البلاد. ولذلك نجد أن كلاً من لومومبا وتشومبى كانا عبارة عن رجلين لا أهمية لهما، لكن بفارق واحد هو أن تشومبى تبين الجانب الذى يمكن أن يدهن خبزه بالمزيد من الزبد.

فى ذلك الوقت، كانت القوات النيجيرية لا تزال تقوم بدوريات فى سائر أنحاء البلاد الكنغولية، وواصلت حكومة أبى بكر اعتدالها، إذ كان يحدوها أمل فى ظهور حل سياسى وسط وبلد موحد من الزعماء الكنغوليين أنفسهم، كما استمرت حكومة أبى بكر فى مساندة الإجراءات والأعمال التى تمكن منظمة الأمم المتحدة من الوصول إلى اتفاق رسمى. قال أبو بكر قبيل تأسيس الجمهورية النيجيرية وعندما كان يتفقد قواته العاملة تحت قيادة الأمم المتحدة فى المواقع الصناعية فى ليوبولد فيل، وفى ميناء ليوبولدفيل نفسه، قال: "أيًا كانت المساعدات التى قدمناها للكنغو، فإنها كانت من أخ لأخيه". وعلق السيد أدولا على ذلك فى الخطبة التى ألقاها بعد تناول الغداء بقوله: "إن كل امرئ يدرك كل الصفات والسمات التى تصنع هذا الكيان: الإيمان الصادق، استقامة الأخلاق، الشرف والوطنية... إن ما تفعله ليس سوى التصديق على اتفاق محكم بين شعبينا فى إطار "أخوة الكفاح"

الفصل الثالث والثلاثون

مؤتمر الكمنولث : الشئون الخارجية والأمن

(الاستطراد الثانى للتصدير) رئيس وزراء نيجيريا
والوحدة الإفريقية

لا يتعرف الإنسان عظمة خصمه إلا عندما يتصارعان صدراً لصدر(*)

بدأ العام ١٩٦١ الميلادى ومعه بداية عهد جون كينيدى، الرئيس الأمريكى، الذى جرى انتخابه فى شهر نوفمبر من العام ١٩٦٠ الميلادى، كما شهدت بداية ذلك العام أيضًا مؤتمر الدار البيضاء الشهير الذى ضم ثمانية من رؤساء الدول الإفريقية المستقلة، واختُتِم ذلك المؤتمر فى يومه الرابع بتوقيع الرؤساء الثمانية على "ميثاق الدول الإفريقية" الذى كان الدكتور نيكروما فيه بمثابة الضوء الكاشف. وحدث اجتماع مماثل آخر للمستعمرات الفرنسية سابقًا، فى جمهورية الكنغو (التى كان يطلق عليها من قبل اسم الكنغو المويونى الفرنسى، والتى لا يزال الكثيرون يخلطون بينها وبين الجمهورية الكنغولية البلجيكية السابقة، أو بالأحرى جمهورية الكنغو الديمقراطية). أصدر الذين حضروا ذلك المؤتمر ميثاقًا منافسًا، وأصبح يطلق عليهم اسم "اثنا عشر برازافيل"، وعليه أصبح هؤلاء الاثنا عشر هم والدول الأخرى التى لم تحضر مؤتمر الدار البيضاء

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى الذى يقول: إياك والكشف عن أسنانك اللهم إلا إذا كنت قادراً على العض. (المترجم)

فى المغرب، يشيرون إلى الستة المناعسين (الذين دعوا حكومه الجزائر المؤقتة إلى الانضمام إليهم) باسم "مجموعة الدار البيضاء". كان إعلان برازافيل يعارض الاتحادات السياسية، لكنه جعل أعضاءه يركزون على إنشاء المؤسسات الإقليمية الخاصة بالتعاون فى النعليم من ناحية والتعاون غير السياسى من ناحية أخرى. أصر ميثاق الدار البيضاء على حتمية تمسك الموقعين عليه بمواقفهم، وان يتحاشوا الانحياز إلى تكتلات القوى، وأن يعملوا على خلق شكل من أشكال مؤسسات تبادل المشورة يقوم على تنسيق مصالح هذه الدول الدفاعية، والاقتصادية والسياسية. وقد أوضح كل هؤلاء الذين كانت لهم قوات ضمن منظمة الأمم المتحدة فى الكنغو، باستثناء غانا التى كانت تؤمن بمسألة ممارسة الضغط على همرشولد من الداخل، انهم يودون سحب قواتهم وإعادتها إلى أوطانهم، لكنهم لن يغفلرا أشكال التعاون الأخرى مع منظمة الأمم المتحدة لتسوية الصراع الكنغولى.

لم يجد السير الحاج أبو بكر مبرراً للندم على تغيب نيجيريا عن مؤتمر الدار البيضاء وبخاصة عندما وقف على خباثة هؤلاء الزعماء اللفظية فيما اسموه معاداة الاستعمار ومعاداة الاستعمار الجديد (هذا التعبير الذى اشتم منه أبو بكر رائحة الإحساس "بالدونية والإذلال")، وعندما وقف أيضاً على مساعدة هذه الدول السابقة لأوانها، "لثوار" الجزائر، وعلى فكرة الجامعة الإفريقية التى استحوذت على أذهان هؤلاء الرؤساء. كان السير الحاج أبو بكر قد تلقى ثلاثة دعوات متضاربة لحضور المؤتمر - فقد وجهت إليه دعوة من الرئيس عبدالناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة (مصر) فى اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر، وتنص هذه الدعوة على أن يكون انعقاد المؤتمر هو اليوم الثامن والعشرون من شهر ديسمبر، ووصلته دعوة من الملك محمد، عاهل المغرب، الدولة المضيفة، فى اليوم العشرين من شهر ديسمبر، وقد أعقبت تلك الدعوى ، دعوة أخرى تفيد تغيير تاريخ انعقاد المؤتمر إلى اليوم الثالث من شهر يناير، ووصلته دعوة أخرى فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر، من

سيكوتورى، الذى قصر موضوع المؤتمر على مناقشة موضوع الكنغو. وعندما لم تنسحب كل من مصر، ومالى والمغرب من الكنغو (وقد سبق تناول موقف غينيا الغريب فى "استطراد" أوردته فى الفصل السابق)، أحس أبو بكر أنه كان على حق عندما نظر إلى مسألة الدار البيضاء هذه باعتبارها أمرًا مشوشًا لا يستحق التأييد أو المساندة. أجمع السواد الأعظم من الصحف النيجيرية على هذا الموقف. وقد أبلغ أبو بكر البرلمان فى فترة لاحقة، **"أنا لا أعتقد: أن المؤتمر يمكن أن يكون فاعلاً فى ظل وجود ممثلى نقابات العمال، وسياسيين، ووزراء، وكل أنواع البشر دون أن يكون هناك هدف عام ومحدد، حتى يمكن لنا بعد ذلك التوصل إلى نتيجة مثمرة"**.

كان أبو بكر معنيًا بشكل واضح بالتفجيرات الفرنسية فى الصحراء الكبرى وبالمظاهرات الأنجولية فى لواندا، وكان معنيًا أيضًا باستفتاء شمالى الكاميرون الذى سبق الإشارة إليه فى الفصل الثامن والعشرين، وفوق ذلك كله الذى كان انشغاله أكثر بأول مؤتمر لرؤساء وزراء الكمنولث. وعندما كان أبو بكر يتدبر مسألة مؤتمر رؤساء وزراء الكمنولث قال: إنه سيكون مخطئًا إذا ما حضر ذلك المؤتمر ولديه أفكار مسبقة، قبل أن يسمع بنفسه ذلك الذى يمكن أن يقوله زعيم جمهورية جنوب إفريقيا المنتظر، لكن على الرغم من أن كلاً من الهند وباكستسان كانتا تريان شيئًا من الحقيقة فى تأكيدات دنكان سانديز التى مفادها أن الكمنولث كان رابطة للشعوب ولم يكن رابطة للحكومات، فإن أبا بكر لم يتوقع أو ينتظر أى تغيير فى مواقف الأفريكان، **"أخشى من حدوث انفجار فى ذلك المؤتمر"**.

فيما يتعلق بالعلاقات مع الجنرال ديجول (الذى تأكد له فى اتفاق وقف إطلاق النار الجزائرى أن اختبارات الصحراء الكبرى قد تستمر بضع سنوات، كما حظى أيضًا بمساندة كبيرة من الشعب الفرنسى فى استفتاء تقرير المصير الخاص بالجزائر، على الرغم من امتناع ٤٠٪ من الناخبين الجزائريين المقيمين)، فإن أبا بكر حذا حذو الخطوة التى خطاها الدكتور إيزن Esin. عند الساعة السابعة والنصف من صبيحة

اليوم التالى لوصول أبى بكر عائدًا من باوتشى، أصدر أمرًا بسحب السفير الفرنسى السيد/ إم ريمونى أوفروى offroy هو وأعضاء سفارته من ليجوس، كما منع أيضًا حركة الطيران والسفن الفرنسية، كما حرم الطيران والسفن من تسهيلات العبور (الترانزيت). وفى اليوم التالى اكتشف الفرنسيون خروج هواتفهم من الخدمة، واضطروا إلى مغادرة البلاد فى سيارات بلا حراسة إلى داهومى وإلى بعض الأماكن الأخرى على أن يكون ذلك من خلال ثمانية وأربعين ساعة طبقًا لما هو وارد فى الإنذار النهائى. كانت ندرة الغاز البترولى المسال المطلوب للمصابيح والأفران الغانية، واحدة من النتائج المفاجئة وغير المتوقعة، نظرًا لأن هذا الغاز البترولى المسال كان يجرى نقله عن طريق الساحل فى سفن نقل فرنسية. كان أكثر الناس تضررًا من ذلك هم جيران نيجيريا الناطقين بالفرنسية مثل النيجر، وداهومى وبعض الأماكن الأخرى. ترتبت على ذلك بعد سبع سنوات نتيجة مؤكدة، عندما أصبح السيد/ أم أوفروى زعيمًا أساسيًا من الزعماء المعادين للحكومة الفيدرالية، ومواليًا للرواق الموالى لبيافرا فى باريس، ومواليا للرئيس ديجول الذى كان ميالاً إلى انفصال الأجبو. وفى تلك الأثناء كانت الصحافة النيجيرية والسياسيين النيجيريين منتشين، على الرغم من أن رفاقهم فى داهومى، وفى النيجر وفى تشاد كانوا مكروبين. لم تقم أية دولة أخرى بقطع العلاقات الديبلوماسية مع فرنسا بسبب الاختبارات النووية التى كانت فرنسا تجريها فى الصحراء الكبرى، وكانت تلك الدول قد اكتفت بالشعارات التى تعتمد على الصراخ والعويل. وفى إطار الاحتفال العفوى بذلك الاستقلال الحقيقى غير المتروِّى، قام وكلاء السيارات، وبخاصة وكالة بيواك Bewac، بإهداء رئيس الوزراء سيارة جديدة بدلاً من سيارته الرولز رويس، كما وافق رئيس الوزراء على أن يحصل الحاكم العام، وفى سابقة ملكية وليست شبه ملكية، على رتبة المشير فى الجيش النيجيرى الملكى ورتبة أدميرال الأسطول، فى البحرية النيجيرية الملكية.

وعندما سافر الدكتور أزكوى إلى لندن لحلف يمين عضوية مجلس صاحبة الجلالة الخاص، نصح بطرس ستالارد بعدم تعيين قائم بعمل الحاكم العام، ما دام أنه لن تكون هناك مهام احتفائية طوال مدة هذه الزيارة القصيرة: لكن أبا بكر مضى قدمًا وزكى توقيع وثيقة رسمية، أو إن شئت فقل مستند رسمى، لصالح من يلى الدكتور أزكوى فى الأقدمية، وهو خلف الدكتور أزكوى فى رئاسة مجلس الشيوخ، الرئيس دينيس Dennis أوسادبى Osadebay، حلو المعشر الذى يحظى باحترام الجميع، وهو من جماعة المعارضة فى حزب المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى فى الإقليم الغربى، حاول أوسادبى عمل مدخل جديد للمجلس، لكنه غضب عندما وجد ذلك المدخل مغلقًا هو والمكتبة الرسمية. كانت تلك واحدة من المناسبات التى قال عنها رئيس الوزراء فيما بعد، **"ليتنى عملت بنصيحتك!"**. قام الحاج السير أبو بكر بجولة ناجحة فى الإقليم الشرقى بدءًا بأونيتشا Onitsha إلى أويرى owerri، وأبا Aba، وبورت هاركورت، وكلبار، ويومياهيا، وأوجو Awgu ونسوكا، وقد استبدأ رئيس الوزراء هذه الرحلة بجولة فى السيارة على امتداد سبعة أميال وسط هتافات الجماهير بدءًا من المطار إلى إينوجو Enugu. طالب أعيان أونيتشا المتحمسين بإنشاء مطار فيدرالى، لكن الرجل رد عليهم وهو يضحك فيما بينه وبين نفسه أنهم يتعين عليهم أن يبنوا لأنفسهم قاعة مدنية معقولة. (وعلى حد قول مبادوى) فإن حس أبى بكر الفكاهى، واستعداده "للصفح والنسيان" وكذلك تقبله للأساليب السياسية الجديدة التى بدأت تظهر مع مطلع الثقة بالنفس الناجمة عن الاستقلال، كل ذلك ضمن لهذا الرجل استقبالاً حارًا فى كل من الإقليم الغربى والإقليم الشرقى، أضف إلى ذلك أن أبا بكر قلل من شأن الاجتماع الذى عقده المجلس الاقتصادى الوطنى لمناقشة مقترحات التحكم فى نهر النيجر فى ذلك الوقت، وكان شبيهًا بالهستيريا التى تصيب التلاميذ، بأن رد على عبارة بوكار دبشاريما التى تقول: "موضوع السد هذا" بقوله **"أمسك عليك لغتك، يا سيادة الوزير!"**.

كانت بريطانيا، من منطلق كونها السلطة القائمة بالإدارة فى الكاميرون، تتباهى بحيادها فى إطار توجيهات إيان ماكلويد الخاصة، بالقيام "بحملة تنوير" وإعداد الاستفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة، ومع ذلك كان المستشار السياسى الرئيسى قد تأكد من أن حالة الرضا أو التخريب التى اكتشفها فى خلفية "الخطأ" السابق، لن تتكرر من جانب الإدارة الميدانية وأفراد السلطة المحلية (المدنية) فى القطاعات الشمالية (التى كانت تعرف قبل ذلك باسم الكاميرون) المجاورة لكل من بنيو، وأدماوا وبُرْنو Borno، لكن لم تكن هناك حملة فيدرالية مضادة للتحرك السياسى المحلى فى المناطق الجنوبية من مقاطعة الكاميرون ومقاطعة بامندا Bamenda . وجاء خطاب الحاج السير أبى بكر الإذاعى عشية يوم الاقتراع محذرًا من : **"بدلاً من السلام والرخاء، وبدلاً من المزيد من المدارس والمستشفيات، وبدلاً من تحسين المواصلات، التى يمكن أن تنتظروها من الاتحاد مع نيجيريا، ستخاطرون بخسارة الأشياء كلها.... وأنا هنا أكرر كلمة "إعادة الانضمام إلى" rejoin، وبسبب ذلك، أننا كنا حتى شهر أكتوبر الماضى سويًا طيلة أربعين عامًا..... فى كل عام بدءًا من العام ١٩٢٢ الميلادى إلى العام ١٩٤٩ كانت الحكومة المركزية تقدم الإعانات لجنوب الكاميرون... هذا البلد الصغير الذى يقل عدد سكانه عن مليون نسمة، ستكون له وضعية الإقليم،... وسوف يكون له اثنا عشر نائبًا، شأنه فى ذلك شأن الإقليم الشمالى، والإقليم الشرقى وكذلك الإقليم الغربى.... ليس هناك ما يزيد فرحنا وسرورنا مثل ترحيبنا بكم فى بيتكم من جديد... هذا يعنى أنكم سترتبطون مصيركم بمصير بلد لم تقطع حكومته على نفسها وعدًا معكم ولم تعطكم أى تعهد من التعهدات، بلد مزقته الحرب الأهلية فى السنوات الأخيرة... أنا لا أفهم كيف يمكنكم تحاشى حياة الفقر والمصاعب، وفى ظل شبح العنف المستمر الذى لا تستطيع الحكومة السيطرة عليه".**

واصل أبو بكر كلامه وراح يورد الكثير من الأرقام المفصلة عن مدى كرم نيجيريا مع الكاميرونيين طوال حكم بريطانيا لهم فى الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٥٨، لكن

مستمعيه لم يستوعبوا تلك الأرقام والإحصائيات، على الرغم من شكوكهم فى أهيدجو Ahidjo، ولم ينسوا عدم ثقتهم بإنوجو. ربما يكون الرجل قد رأى فى ذلك انعكاسًا لرد فعل المحمية البريطانية على إنذارات تشرشل المشئومة فى العام ١٩٤٥، عندما صوت جنوب الكاميرون فى الاستفتاء لصالح الوحدة مع الكاميرون تحت اسم دولة الكاميرون الغربية، والتى لها حكومة فرعية، لكن الأجزاء الشمالية صوتت وبصوت عال لمصلحة العودة إلى نيجيريا، وسرعان ما جرى تحويل القطاعات المستقلة من أدماوا إلى داكوا، إلى المقاطعة الإقليمية الشمالية الثالثة عشر، على أن يبدأ اعتباراً من اليوم الأول من شهر يونيو، التاريخ المحدد للوحدة، واتفق أيضًا على أن يكون الاسم الرسمى لتلك المقاطعة هو مقاطعة المستشار السياسى الرئيسى Sarduna. وقد ترتب على هذا المكسب خسارة كبيرة لنيجيريا تمثلت فى عدد كبير من المواطنين الأكفاء المحبوبين لجمهورية ثنائية اللغة وثنائية الثقافة، لم يستقل رئيسها (أحمد أهيدجو) طيلة اثنين وعشرين عامًا تقريبًا. ومعروف أن ثقافة أهيدجو الشخصية وروابطه الدينية كانت، للأسف، مع الشمال، كما أن خصومه كانوا مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بالأتباع الجدد المترددين بين الانضمام إلى فيكتوريا أو بامندا.

نتج عن ذلك سباق دبلوماسى عارض كان يجرى من وراء الستار، ويقوده وزير الخارجية نوح بامالى، الذى كان يسعى إلى إخماد المعارضة التى لم توافق على عودة مقاطعة المستشار السياسى الرئيسى إلى نيجيريا، وقد جاءت تلك المعارضة من كتلة الثلاثة عشر العربية القوية فى منظمة الأمم المتحدة، والتى استاءت أشد الاستياء من منظر جاجا واشوكو وهو يتناول طعام الغداء مع نظيره الإسرائيلى السيدة جولدا مائير. كان نوح بامالى قد طلب ليجوس هاتفيًا، وجرى إصدار تعليمات تقضى بعودة جاجا واشوكو على أقرب طائرة. وهنا آثر رئيس الوزراء ترك الكاميرون للتاريخ، ويستأنف مضيه قدمًا من جديد. ومع ذلك، لم ينس رئيس الوزراء ولا وزراؤه بسهولة مسألة دأب كل من فرنسا وإسرائيل الشديد، فى الأمم المتحدة، على معارضة انضمام

أى جزء من أجزاء الكاميرون إلى نيجيريا، فى الوقت الذى لم تقم فيه بريطانيا بفعل أى شيء فى المقابل، من باب مساندة مطالب أحدث شريك لها فى الكمنولث.

وسط كل هذه الاهتمامات والمشاغل تيسر للحاج السير أبى بكر الوقت الذى تمكن خلاله من إلقاء خطاب أمام مؤتمر ليجوس الخاص باللجنة الدولية للقانونيين، التى انعقدت لمناقشة سريان القانون والعمل به. وعلى الرغم من العون الذى قدمه الدكتور تسليم أو إلياس، الذى كان يشغل منصب النائب العام ووزير العدل، والذى كان على وشك أن يصبح عضواً فى مجلس الملكة، ولم يكن (مثل الدكتور ماجيكودونمى) منتمياً إلى أى حزب من الأحزاب السياسية، على الرغم من مساعدة هذا الرجل لأبى بكر فى ذلك الخطاب، فإن اللمسات الشخصية الواضحة تجلت فى ذلك الخطاب:

"معادل اسمى فى اللغة الإنجليزية هو الصخرة السوداء Black stone، وهذا هو ما يُفَسِّر إحساسى بأنى هنا فى موطنى [كان بلاكستون Blackstone أول أستاذ للقانون فى جامعة أكسفورد وهو مؤلف الكتاب القيم عن التعليقات الأكاديمية السُّلْطَوِيَّة]... وأنا أعتقد أن الإمبراطور جوستيان هو الذى اختصر نظرية القانون كلها فى ثلاثة مبادئ - أن نحيا حياة شرف وأمانة، وأن لا نؤذى أحداً، وأن نعطى كل ذى حق حقه... هذه المبادئ الثلاثة على الرغم من إيجازها ومباشرتها، فإنها تعد أولاً وقبل كل شيء، رائعة إلى حد ما. مسألة القدرة على تلخيص القواعد التى ينبغى أن تحكم حياتنا، تعد عملاً فذاً، إن قدر لنا أن ننظر لأنفسنا باعتبارنا آدميين متحضرين، فى تلك الجمل الثلاثة القصيرة... خلال المناقشات الدستورية... جرى التركيز على أن يكون السواد الأعظم من حقوق [الإنسان الرئيسية] هذه، مدرجة بالفعل فى القوانين النيجيرية.... ينبغى على الناس أن يعرفوا

على نحو أفضل كيف يفيدون من تلك الحقوق الرئيسية دون أن ينكروها على الآخرين، ويتعين على الناس أيضًا أن لا يوضحوا أن [الأعمال الشاذة] تخضع دومًا لنصوص القانون. والمؤسف أن الناس يعمدون إلى التشويش فى هذا الأمر الجلل.

..... لقد لاحظنا فى أماكن أخرى، وفى كثير من الأحيان، كيف أن الحكومات التى تمثل مصالح قطاع بعينه، استطاعت وبسهولة تحريف أشكال قوانينها وتغييرها بغية حرمان السواد الأعظم من المواطنين من حقوقهم. كان ذلك الحرمان من الحقوق فى بعض أحواله يجرى بطريقة منهجية وبدم بارد، وفى الحالات الأخرى كان يجرى رد هذا التغيير والتحريف إلى عذر مفاده أن قسوة الحكومة هى التى بررت هذا العمل.... كنت أود بحق حضور هذا المؤتمر والمشاركة فيه. هذا الموضوع عزيز علىّ جدًا، وأنا أعى وأتحوط دومًا لتلك المقولة المرعبة التى مفادها أن السلطة تُفْسِد. ونحن الذين نجد أنفسنا فى مواقع السلطة تقع علينا مسئولية المحافظة على القانون والنظام، كما يتعين علينا أيضًا حماية القوانين من العدالة الخارجية حتى وإن كنا محميين بهذه العدالة الخارجية ـ ويا لصعوبة ممارسة ذلك، عندما يتعارض مع النظرية!".

كانت الدعوى قد وجهت إلى الدكتور إلياس للعمل مستشارًا للحزب الوطنى الديمقراطى فى اتحاد وسط إفريقيا، وبالطريقة نفسها التى سبق أن ساعد بها الدكتور باندا فى نياسلاند Nyasaland. ويلغى الدكتور إلياس زيارته فى الدقيقة الأخيرة، بعد أن صدرت للمندوب السامى لاتحاد وسط إفريقيا فى ليجوس تعليمات بالاحتجاج على تدخل موظف قانونى صديق من الكمنولث فى السياسة الداخلية لعضو آخر أقل

استقلالاً، هذا الجدل هو الذى حتم على أبى بكر نفسه، بصفته رئيسًا لوزراء نيجيريا وعلاقات الكمنولث، التزام الحيطة والحذر، لكون الرجل إداريًا اكتسب الكثير من الميول القانونية. والذى لاشك فيه أن البعض كانوا يرجحون وجود يد ستالارد الإمبريالية وراء ذلك الإلغاء، وقد ظهر ذلك بشكل واضح فى صحافة ليجوس - وباستثناء جريدة الديلى تايمز Daily Times، نظرًا لأن سيسل Cecil كنج فى لندن (صاحب جريدة وست أفركا West Africa المؤثرة، المستقلة وواسعة المصادر) أصدر تعليماته إلى رئيس التحرير بعدم الالتفات إلى هذا الموضوع (لم يحدث مطلقًا أن وصفت جريدة الديلى تايمز، حكومة الحاج السير أبى بكر، بأنها حكومة من "حكومات الاستعمار الجديد"). لكن بطرس ستالارد كان قد قرر أن بقاءه فى منصب سكرتير أبى بكر، كان يخلق للرجل المزيد من الأخطار السياسية، التى لا يمكن الموازنة بينها وبين أى قدر من الخدمة المخلصة أو إن شئت فقل: الخدمة التى على درجة عالية من الكفاية. وقد سنحت فرصة الحوار الشخصى الذى دار مع المندوب السامى البريطانى اللورد هد Head لبطرس ستالارد بأن يعبر عن قلقه ومخاوفه، الأمر الذى جعل اللورد هيد، ذلك السياسى المتحمس يكتب مباشرة إلى السير نورمان بروك، سكرتير مجلس الوزراء البريطانى، مستفسرًا عن القرارات الدبلوماسية الخاصة بهذه الأزمة أو الورطة.

لم تكن المعارضة الشوفانية لاستلارد Stallard مقصورة على المسئولين البريطانيين. وهذا هو السيد/ بى إس إن براساد prasad، ذلك الاقتصادى الهندى المحافظ والمعتدل الذى جىء به من البنك الدولى، وكان مستشارًا اقتصاديًا للحكومة الفيدرالية اعتبارًا من العام ١٩٥٩ (وكان رئيسًا للجنة التخطيط المشتركة، التى تضم السكرتيرين الدائمين المعنيين بهذا الأمر، والتى كانت تدير مجلس الاقتصاد الوطنى)، يقوم باستقدام أربعة مساعدين له بدعم من مؤسسة فورد (أمريكيان، وإنجليزى، وسويدى)، وهنا نجد أن الصحافة والسياسيين الراديكاليين الذين كانوا يتطلعون إلى المزيد من السياسات الشوفينية ينضمون إلى الهجوم على هؤلاء الخمسة كلهم. وقد

يكون ذلك امتداداً متعمداً لترحيبهم بالشاعر الوطنى ليوبولد سنغفور، الذى قام بزيارة قصيرة، وبحكم كونه رئيساً تنفيذياً لمالى بقى فى ضيافة الحاكم العام. كانت مجموعة الاثنى عشر فى برازافيل قد وافقت فى داكار على تشكيل الاتحاد الأفرو - ملجاشى، وكانوا يخططون أيضاً لتوسيع تعاونهم غير السياسى من خلال منظمة للتعاون الاقتصادى الأفرو - ملجاشى. كان الرئيس التونسى بورقيبه قد سمح أيضاً لقوات ديجول بالبقاء فى آخر قاعدة لهم فى بنزرت Bizert، لحين انتهاء الحرب الجزائرية.

سافر الحاج السير أبو بكر إلى الشمال لترؤس مجلس الدفاع فى كادونا والقيام بجولة فى زاريا وميدجورى. واستدعى أبو بكر القائم بعمل المفوض الشرطى ليفسِّر له القصص التى تقول إن رجاله فى إيلورين كانوا يداهمون مؤيدى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وبعد الاستماع إلى روايته عن الأحداث ساءل أبو بكر كورتناى Courtnay جدلى Gidley عن طول المدة التى يبدأ النيجيريون بعدها الوثوق ببعضهم البعض، ويحتج جدلى على هذه المساءلة، لكن قيل له "**هل ينتظرون مائة عام!**". وينسحب أبو بكر مرة أخرى عائداً إلى مزرعته فى باوتشى، شأنه فى ذلك شأن الشاعر الرومانسى كوينتوس Quintus هوراتيوس Horatius فلاكوس Flaccus، كيما يستجمع قواه لحضور مؤتمر الكمنولث. اندلع فى الخارج المزيد من حركات التمرد فى كل من لواندا وأنجولا، وصوتت جزيرة قبرص على الانضمام إلى الكمنولث بدستور استقلالها الذى يضمن للأقلية التركية نائباً للرئيس ونسبة ثلاثين فى المئة من مقاعد البرلمان. وكان أبو بكر سعيداً عندما أبلغ أيزنهاور جوليوس بودوشى، سفير نيجيريا لدى واشنطن، أنه بعد أن سلَّم رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، فإنه يود زيارة نيجيريا، إن كان ذلك أمراً ممكناً. كان جون كينيدى، خَلَف أيزنهاور الديمقراطى، قد أعلن عن انتوائه تشكيل فيلق سلام على غرار فيلق أليك Alec ديكسون Dickson. كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد تغيرت منذ زيارة أبى بكر لولاية مسسبى قبل ست سنوات، كما أصبحت مسألة "محبى الحرية" Freedom riders هى والاضطرابات التى يقوم بها الزنوج

الشبان ضد التفرقة العنصرية محطًا لتغطية صحفية كبيرة فى كل أنحاء العالم. فى بريطانيا، وفى ضوء دستور روديسيا الجنوبية الجديد، راح مركيز سالسبيرى يُقَسِّم حزبه بغية الهجوم على تطبيق إيان ماكلويد لسياسته الإفريقية على المجتمعات متعددة الأعراق، وبخاصة بعد أن فتحت لجنة مُنكتون الباب أمام إقبال روديسيا الشمالية ونياسلند **Nyasaland** على الانفصال. وطبقًا لما أوردناه فى الفصل السابق، كانت ليجوس ثائرة وتقوم بإضرابات ضد لومومبا. تلك كانت الأجواء التى وافق أبو بكر خلالها على أن تقوم روسيا بفتح سفارة لها، بحيث لا يزيد عدد العاملين فيها على عشرة أفراد، وفى المكان الذى تراه مناسبًا.

جدد أبو بكر قواه وسافر إلى لندن بصحبة ثلاثة من وزرائه هم محمد رباط، ونجوكو (وزير النقل والطيران) وبنسون، كما كان بصحبته أيضًا فى هذه الرحلة السكرتيران ستالارد وأحمد قارى، وأنيونو رئيس الشئون الخارجية. وقد التقاه فى لندن المفوض السامى الحاج عبد الملك عطا (وهو من الأسرة الملكية الأجبيرية المخلوعة)، كما التقاه أيضًا واشوكو قادمًا من نيويورك، وقد لاحظ كل هؤلاء أبا بكر وهو يتعامل ببرود مع صحافة هيثرو فى ساعة مبكرة من الصباح. كان أبو بكر لا يزال مستعدًا للتمييز بين السياسات الأفريكانية المثيرة للاشمئزاز ورد الفعل العميق الذى مفاده أن أفضل الطرق للتعامل مع هؤلاء الأفريكان هو طرد جنوب إفريقيا من الكمنولث، ولكن أبا بكر لم يكن متيقنًا تمامًا من ذلك (**"طردهم من الكمنولث لا يعنى حل المشكلة"**). وأصر أبو بكر، على أنه كما هو الحال فى الكنغو، فإن الزعماء الأفارقة لا يودون سوى تركهم لحال سبيلهم، وإن الصرا ع العرقى لا يطال سوى بعض الأفارقة، وأنه لا علاقة له بنيجيريا على الإطلاق. مع ذلك، عندما سمع أبو بكر رئيس وزراء جنوب إفريقيا السيد/ أتش إف فيورد يقول إن "التفرقة العنصرية شكل من أشكال الجيرة الطيبة"، علق قائلاً **"هذه سُبَّه وإهانة"**. وأقام أبو بكر مع عبد الملك عطا فى مقر إقامته الذى كان عبارة عن منزل لينوكس بويد القديم (وعلم عندئذ أن لينوكس

بويد تعين عليه إبلاغ المسئولين بأن يكون عقد الإيجار باسم مستأجر ديبلوماسى جديد). وفى صبيحة اليوم التالى حضر اجتماعًا لصاحبة الجلالة بصحبة كل من السيد/ ماكميلان والسيد/ آر. جى منزيس Menzies الأسترالى. كان الباندت نهرو أول المتكلمين فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، أما الدكتور نيكروما فقد تحدث فى موعد متأخر، وحظى الحاج السير أبو بكر بترحيب حار.

يعزو بعض الكتاب الفضل فى طرد جنوب إفريقيا من الكمنولث إلى قيام أبى بكر شخصيًا بالدور الرئيسى فى مؤتمر رؤساء وزراء الكمنولث، ويشكك بعض آخر من الكُتَّاب فى مدى اتباعه لكل من نهرو ونيكروما، يزاد على ذلك أن أولئك الذين كانوا يقللون من شأن هذا الرجل والذين تعجبوا من عدم دعوته لاتحادهم لحضور حفل استقلال بلاده، ينكرون قيام أبى بكر بأى دور فاعل فى النتيجة التى توصل إليها المؤتمر. أضف إلى ذلك أن حرص الرجل على أن يكون، وأن يراه الناس عادلاً وغير منفعل، وأن رأيه (كما أبداه للوردبرث Perth) الذى مفاده، "**إنها مسئولية الأفارقة من أمثالى أن نثبت للبيض كلهم فى جنوب إفريقيا أنهم ليس لديهم ما يجعلهم يخافون منا**"، تشجعنا على استنتاج مفاده أن مساهمة الرجل فى هذه النتيجة التى توصل إليها المؤتمر، كانت مساهمة لطيفة وهينة. يغيب عن أذهان مراقبى السياسيين أن المُحَرِّضين على الفوضى يتعلمون كيف يعدلون من سحناتهم عندما يكونون على انفراد، عندما تتحول الأجواء إلى ما يشبه الرسميات بفعل الكتابات المختلفة التى تَرِدُ على لسان الحاضرين. ومع كل ذلك، زعم أبو بكر وبحق "**لقد أعطيتها ساخنة لجنوب إفريقيا، وردُّوها إلىَّ أثناء المناقشات الحادة المتبادلة عبر مائدة المؤتمر**". كان فيرورد قد أبلغ رفاقه رسميًا فى مجلس لانكستر بقرار بلاده فى أن تصبح جمهورية، لكنها مثل الهند (ومثل غانا، التى أعلنت هى الأخرى اعتبارًا من العام ١٩٥٨ عزمها على الانضمام إلى اتحاد للدول الأجنبية، وأنها كانت تود توسيع ذلك الاتحاد فى ذلك الوقت) أعلنت عن رغبتها فى البقاء عضوًا فى الكمنولث. هذا يعنى أن العبارة

"بموافقته" تعنى من الناحية الدبلوماسية أن المؤتمر ناقش أيضًا الشأن الداخلى لسياسته العنصرية. كان ماكميلان يتطلع إلى الوصول إلى حل وسط، لكن الحاضرين فى مسألة الأخلاقيات العنصرية أجبروا فيرورد على اتخاذ موقف الدفاع مما جعله يتشدد فى مقاومته.

كان رئيس الوزراء جون جى دايفينبيكر Diefenbaker، هو أشد الناس شوقًا إلى طرد البوير، فقد استشعر ذلك الرجل وقوعه تحت الصحافة المحلية الكندية غير المتعاطفة مع هؤلاء البوير. أما بقية أعضاء المؤتمر بما فيهم رئيس الوزراء نهرو والرئيس نيكروما فكانوا حتى اللحظة الأخيرة يودون تعديل سياسة الأفريكان العرقية، وبعدها يظل جنوب إفريقيا ضمن نادى الكمنولث. كان أبو بكر هو الذى تكلم عن سحب نفسه إذا لم يتحقق ذلك التعديل، لكن كل أعضاء الكمنولث كانوا لا يزالون على علم بما قاله جوليوس نيريرى الوزير الرئيسى فى تنجانيقا المستعمرة، وأنه سوف لا يتقدم بطلب الانضمام إلى عضوية الكمنولث بعد الاستقلال إذا ما بقى جنوب إفريقيا عضوًا فى الكمنولث. أخيرًا كان نيكروما هو الذى استطاع حشر فيرورد فى الزاوية عن طريق سؤاله مباشرة عما إذا كان يوافق على وجود سفراء أفارقة ومندوبين ساميين فى بريتوريا يعيشون فى مساكنهم الخاصة فى المنطقة الدبلوماسية البيضاء. وعندما قال فيرورد "لا!" ردًا على هذا السؤال، يكون السيف قد سبق العزل، وفى اليوم الخامس عشر من شهر مارس أعلن فيرورد أنه "فى ضوء الآراء والنوايا التى جرى الإعراب عنها من جانب الأعضاء الآخرين"، فقد قرر سحب طلب الانضمام إلى الكمنولث، وأن جنوب إفريقيا عندما يصبح جمهورية فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو سوف ينسحب من الكمنولث، وقد ألقى ذلك الخبر بظلاله على إطلاق سراح ثمانية وعشرين من السود فى جنوب إفريقيا، كانوا يحاكمون بتهمة الخيانة، لكن أحزاب المعارضة كلها فى جنوب إفريقيا لم توافق على هذا العفو. وأعلن جوليوس نيريرى فى اليوم الخامس عشر من شهر مارس، أن هذا اليوم يعد "يوم الكمنولث" فى

تنجانيقا. هذا الخبر هو الذى حظى بتهلل الحاج السير أبى بكر على المستوى المحلى، فضلاً عن اعترافه عندما قال: **"أنا لا أتخيل كيف أواجه إخوانى المواطنين عندما أعود إلى وطنى... إن نيجيريا ستواصل كفاحها ضد السياسية العنصرية فى جنوب إفريقيا،.... هناك طرق متعددة لمكافحة هؤلاء الناس، من ذلك على سبيل المثال إمكانية فرض العقوبات، وهناك أيضًا الأمم المتحدة".**

ناقش المؤتمر أيضًا بعض المشكلات والشئون الجارية الأخرى؛ فقد سمح المؤتمر لجمهورية قبرص بالحصول على العضوية، وعليه انضم الرئيس الأسقف مكاريوس إلى المؤتمر فى مراحله اللاحقة، ووُعدت سيراليون بالحصول على عضوية النادى بعد حصولها على استقلالها بعد ذلك بحوالى ستة أسابيع، وتطرق المؤتمر أيضًا إلى مسألة التوترات القائمة فى جنوب شرقى آسيا، وطالب الزعماء بنزع للسلاح على مستوى العالم كله وإنشاء قوة عسكرية دولية بالتعاون مع الأمم المتحدة كيما تقوم بفرض السلام، وطالب المؤتمر بأن تكون سكرتارية الأمم المتحدة دولية ومستقلة وأن تظل على هذا الوضع، وتطرق المؤتمر إلى قرار مجلس الأمن الخاص باستعمار القوة لوقف الحرب فى الكنغو، وإخراج العسكريين البلجيك من الكنغو وإبعادهم عنه. دارت فى المؤتمر أيضًا مناقشات حول تقسيم التجارة فى أوروبا، والسيطرة على الأسلحة الذرية، كما تطرق المؤتمر أيضًا إلى مشكلات الموازنة التى يمكن أن تواجهها بلدان أصغر من سيراليون عندما تطلب العضوية الكاملة للكمنولث. أكد السير روى Roy ولينسكى على مسألة الحكم الذاتى لحكومات شعوب هى نفسها غير مستعدة لتحمل المسئوليات الناجمة عن ذلك.

كانت لدى الحاج السير أبى بكر اهتمامات أخرى: فقد أقنعه كل من المعلم أحمد قارى وبطرس ستالارد بأن يطلب السيارة الرياضية ترايمف Triumph، متحركة السقف التى وقع فى غرامها – كانت تلك السيارات مناسبة للطرق الممهدة أكثر منها لشوارع ليجوس أو طرق اللطريط فى باوتشى، وقد أغضب دنكان ساندير أبا بكر

عندما كشف له تحرك ستالارد الواضح من أجل تسهيل نجرنة منصب سكرتير مجلس الوزراء، وقد جاء هذا التحرك بمثابة صدمة خطيرة لرجل أصبح معتاداً الآن على الموظفين المدنيين البريطانيين، الذين قبلوا مناصبهم العملية وترقياتهم باعتبارها مفاجآت مقبولة أو غير مقبولة من رؤسائهم، لكنهم لم يسعوا مطلقًا إلى هذه المناصب أو الترقيات من منطلق المبادرات الشخصية، يزاد على ذلك أن رئيس اتحاد الصناعات البريطانية دعا كلاً من أبى بكر ونجوكو Njoku إلى تناول الغداء معه فى فندق كلاردج، وذلك من باب الإشارة إلى مؤتمر التنمية الصناعية الذى عقده اتحاد الصناعات البريطانية فى مدينة ليجوس، والذى حث فيه التقرير المقدم من مدير المؤتمر على حماية حقوق المستثمرين من ناحية وعلى المزيد من التعليم الفنى من ناحية أخــرى، تناول أبو بكر الغداء أيضًا مع المشير محمد أيوب خــان رئيس باكســتان، ومع تنكــو عبد الرحمن، وتحدث أبو بكر حديثًا وديًا مع كل من بوب منزيس، ومع أول إمرأة ترأس الحكومة فى العالم الحديث، السيدة/ سيريما فوباندرانيكه رئيسة وزراء سيلان فى ذلك الوقت، كما تحدث الرجل أيضًا حديثًا وديًا فى حفل الغداء الذى أقامته دار الأدميرالية البحرية، كما حصل الرجل على هدية ملكية عبارة عن نموذج ليحث لوجارد التاريخى، والذى يرجع إلى العام ١٩٠٢ الميلادى، ويطلقون عليه اسم كورونا Corona.

عندما تحدث أبو بكر هو ومحمد رباط إلى الطلاب الغوغائيين فى إيزلنجتون، كانت لديه نقاط عنيدة أخرى غير تلك التى جرى تسجيلها بشأن الكنغو: قال أبو بكر إن انسحاب فيرورد كان بمثابة النغمة المقنعة، لأن ذلك منع الحرج عن أسرة كبيرة من الدول، صحيح أن وكالة التوظيف النيجيرية الجديدة فى لندن كانت تضم أشخاصًا يفسرون مؤهلات التوظيف على نحو ليس فى مصلحة الشبان النيجيريين الذين يتقدمون لشغل الوظائف من داخل نيجيريا، لكن أبا بكر وعد باتخاذ إجراء عاجل فى هذا الشأن، وقال أيضًا إنه لا يمكن تحت أى ظرف من الظروف، قيام أى بلد إفريقى باستخدام القوة طلبًا للالتهام أو ابتلاع بلد إفريقى آخر. وعندما تحداه أحد الطلاب

وسأله عن سكرتيره رد بأنه رجل إنجليزى، وعندما استيقن أبوبكر من سماع صوته وسط هذه الغوغاء صاح قائلاً: **"أنت لا تلفظ الناس أو تتخلص منهم لأسباب عاطفية أو انفعالية"**. عند هذا الحد وصل صفير الاحتجاج حداً جعل أبا بكر يجلس حفاظاً على كرامته لكن الرجل لم يفش سر ثقة دنكان سانديز التى لا لزوم لها. انضم رئيس اتحاد الطلاب النيجيريين وسكرتير الاتحاد إلى ذلك الازدراء والتحقير الفظيع. لكن الحاضرين حيوه وبصوت عال عندما أعلن **"أنا لا يعنينى المكان الذى يكون فيه الإفريقى - سواء أكان فى جنوب إفريقيا أم بريطانيا أو فى أى مكان آخر - الذى يعنينى أن هذا الإفريقى إذا ما حدث له أى نوع من أنواع التفرقة العنصرية، فأنا أشعر وأحس أن ذلك التمييز إنما هو ضدى أنا شخصياً... وسواء أكان جنوب إفريقيا داخل الكمنولث أو خارجه سوف نواصل كفاحنا ضد التفرقة العرقية فى هذا البلد"**. بعد ذلك بأقل من ستة أسابيع من الخبرة فى التعامل الدولى على صعيد الند للند (وبعد أيام فقط من دبلوماسية هيثرو) لم يعد أبو بكر بحاجة إلى الشروع فى ردوده الفطرية على القياسات العاطفية والانفعالية لأهل بلدة من الجنوبيين ومن الراديكاليين. ويعود أبو بكر إلى الوطن وهو يشعر أن إقامته أصبحت أطول من قامته الحقيقية التى تبلغ حوالى خمسة أقدام وثمانية بوصات ونصف البوصة، هذا فى الوقت الذى كانت حكومة صاحبة الجلالة تعلن عن إنشاء إدارة لإدارة مساعدات ما وراء البحار، إضافة إلى أن بعض أعضاء البرلمان من حزب العمال كانوا يتخوفون من تجدد اللجوء إلى التجنيد مرة أخرى، ولذلك راحوا يطالبون القوات المسلحة البريطانية بفرض التجنيد على المستعمرات.

جرت استعدادات جلسة الموازنة النيجيرية الأولى فى ظل الاستقلال فى إطار حالة من الانفعال العاطفى الوطنى المستمر. كانت نيجيريا فى ذلك الوقت قد انضمت رسمياً إلى البنك الدولى للإنشاء والتعمير وإلى صندوق النقد الدولى. كان أعضاء المقاعد الخلفية وأعضاء الأحياء فى المجلس الوطنى النيجيرى الكاميرونى (الذى أعيدت

صياغته ليصبح المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، بعد القرار الذى اتخذه الكاميرون بالانسحاب من الحزب) قد بدأوا الهجوم على زعماء حزب جماعة العمل بزعم انهيار القانون والنظام فى الإقليم الغربى. كانوا ينشرون شائعات مفادها أنه فى حال إنشاء أقاليم جديدة، فإن الأقاليم القديمة المقتطعة ستصبح فى عرف الأقاليم "الجديدة"، وسوف تتولاها وتديرها الحكومة الفيدرالية إلى أن يتم إنشاء المؤسسات الجديدة وانتخابها. وأكد السير كير Kerr بوفل Bovell ممثل الشرطة، وقاضى قضاة الإقليم الغربى، لرئيس الوزراء أن القانون والنظام لا يزالان بخير. وهنا توصل قضاة الإقليم الغربى، لرئيس الوزراء إلى أن القانون والنظام لا يزالان بخير. وهنا توصل الحاكم العام هو ورئيس وزراء الشمال إلى تقارب شخصى فى كادونا حول تسوية الصراعات السابقة كلها التى كانت بين حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كما أعطى المستشار السياسى الرئيسى فولانى العرق، الدكتور آزكوى الأجباوى حصانًا رمزًا لهذا الارتباط الجديد. وقام وزير مالية الشمال قرارًا ينهى دفع الموظفين المدنيين الشماليين لأية دفعة من دفعات المقدمة عند شراء أى سيارة من السيارات، تاركًا لهم فى ذلك حرية الإفادة من القروض البنكية التجارية، وأن تكون لهم حرية استعمالها فى شراء سيارة أو حصان. عقدت محكمة الاستئناف الشرعية أول جلسة لها فى مقر المحكمة العليا. وطبقًا لرغبة أبى بكر جرى تعيين أمين كانو الراديكالى فى منصب نائب العضو الحزبى البرلمانى المسئول عن تواجد الأعضاء للتصويت، فى البرلمان الفيدرالى، لو جاء هذا التعيين فى البرلمان الإنجليزى لاستبعد مشاركة هذا العضو فى النقاش، أما فى ليجوس فلم يسكت هذا التعيين أمين كانو أو يمنعه من الإفصاح عن أرائه التى هى آراء حزب العناصر الشمالية التقدمى.

قام الحاج السير أبو بكر بدور المستشار السياسى الرئيسى، وراح يضغط بشدة عن طريق محمد رباط، عندما اقترب موعد تعيين رئيس دائم للجنة الخدمات العامة

التنفيذية الفيدرالية، التى افترض السير جيمس روبرتسون بقاءها فى يد الطبيب المحترم السير/ صاموبل لانيكا أيوديجى مانوا Manuwa البالغ من العمر ثمانية وخمسين عامًا. أصر الشمال على التأكيد على عدم التحامل على أبنائه فى الإمساك بزمام الأمور فى المجلس الأردنى فى الخدمة الفيدرالية، وهنا جرى تعيين المعلم سول Sule كاتاجوم، ذلك الموظف المدنى الإزارى Azare، رئيسًا على السير صامويل، وتولى عمله الرسمى فى شهر مارس، ومن باب الترضية عرض أبو بكر على صامويل مانوا منصبًا بديلاً شبيهًا بمنصب السفير، لكن الرجل رفض هذه المنصب وآثر البقاء فى منصب المفوَّض (ومع ذلك فإن صامويل مانوا الحامل للوسامين الملكيين CMG وMBE عين أيضًا مستشارًا مساعدًا لجامعة إيبادان ورئيسًا لمجلس الجامعة). أما الحاج أبو بكر إمام فقد جرى تعيينه رئيسًا لشئون العاملين فى الإقليم الشمالى فى شهر فبراير ولم يعترض على نقل بعض العاملين الشماليين، أمثال عبد الرحمن موره إلى ليجوس، نظرًا لأن رئيس الوزراء كان بحاجة إلى هذا الرجل بصفة خاصة، ليكون رئيسًا دائمًا لوزارة الشئون التى لم تعدلها أية فاعلية فى ليجوس. وفى إثر ذلك دار جدل حول الإعلان عن شغل وظائف فيدرالية كبيرة، وكان ذلك الإعلان ينص على أن حاملى مرتبة الشرف الأولى أو الثانية هم الذين يحق لهم التقدم لهذه الوظائف، ولم ينص الإعلان من قريب أو بعيد على الخبرة المطلوبة لمثل هذه الوظائف. وقُدِّمت بعض المقترحات التى لم تلق أذنًا صاغية من محمد رباط، والتى تفيد أن كل العاملين الشماليين الذين يخدمون فى الحكومة الفيدرالية يتعين عليهم تقديم استقالاتهم احتجاجًا على ذلك الإعلان. وغاب عن ذهن من أصدروا ذلك الإعلان أن الحصول على هذا المؤهل فى النموذج البريطانى إنما يعد مجرد تذكرة أو بطاقة لدخول امتحان تنافسى للوقوف على كفاية المتقدمين وكفاءتهم، ولا يعد ضمانًا للحصول على الوظيفة.

جرى أيضًا فى وزارة الدفاع الالتزام الصارم بمسألة الحصص المقررة للأقاليم من ضباط الجيش، لكن ذلك الالتزام لم يكن يحظى بالدعم مثل ذى قبل، إلى أن وصل

الأمر إلى الحاج محمد رباط. وأحيل ملف هذه المسألة إلى بطرس ستالارد فى مكتب رئيس الوزراء، حيث بقى هناك فترة من الزمن طوال مناقشة وزراء الشمال لهذه المسألة. كان الحاج السير أبو بكر يعارض التغيير من حيث المبدأ، ظنًا منه أن الجدارة وحدها هى التى تبرر اختيار ضابط الجيش والجنتلمان، لكن الرجل بدأ إخضاعه من جديد عن طريق الضغط من جانب المستشار السياسى الرئيسى من ناحية، ومن جانب أكنتولا فى الإقليم الغربى من الناحية الأخرى. وقد دلل محمد رباط على أن الاستقرار مهم تمامًا مثل العدل فى أضعف الأحوال، ولذلك تبنى الرجل اقتراحًا مفاده أنه مع زيادة عدد السكان فى المستقبل وفى ظل تساوى المستويات التعليمية قد يجىء اليوم الذى يبلغ الأجبو فيه من السعادة والفرح والسرور حدًا لا يركزون معه على حصة فى الالتحاق بالتعليم العسكرى الخاص بالضباط. ووافق أبو بكر، فى نهاية المطاف، على المنطق الذى مفاده أن مواطنيه لا يعتقدون أنهم كلهم على قلب رجل واحد، الأمر الذى أدى إلى تغيير هذه السياسية. وجاء ذلك مثلاً طيبًا على قدرة الحاج محمد رباط على حل المشكلات السياسية، هذا يعنى أن الحاج محمد رباط صاحب رد فعل أسرع وأمهر من رد فعل المستشار السياسى الرئيسى أو أبى بكر، وعليه أصبح محمد رباط رئيسًا للجنة التنفيذية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، كلما تطلب الأمر مناقشة بعض الشئون الفيدرالية مع أعضاء كادونا فى لجنة العمل المركزية، الذين كانوا يتركون الأمور للجنة الحزبية التنظيمية التى تضم كلاً من محمد رباط، وإينوا Inuwa وادا، وبوكار دبشاريما، والشيخ شاجارى، وميتاما سول، وموسى ولد عوده. كل ذلك، ينبغى قراءته فى ضوء الحقيقة التى مفادها أن الوزراء الشماليين الفيدراليين كلهم أصبحت لهم صداقات اجتماعية مع الجنوبيين فى ليجوس، بعد أن أصبحت الحواجز قابلة للاختراق تمامًا من ناحية، وبعد أصبح الاعتراف بمشكلات الآخر أمرًا لا يثير الضغينة أو البغضاء.

وفى ظل هذا الجو من التشكك التام، أرى أن من المناسب هنا لفت الانتباه إلى حالتين أساسيتين تحاشى فيهما الحاج السير أبو بكر محاباة ذوى القربى من أهله وناسه. كان لأبى بكر أخ شقيق يدعى المعلم إينوا Inuwa فايس Vice، الذى أمضى معه فترة طويلة، وفتح له أبو بكر محلاً تجاريًا وأعطاه هدية مقدارها خمسين جنيهًا. حدث بعد ذلك تحرك من أجل توظيف إينوا فى واحدة من شركات المقاولات المقيمة فى البلاد، لكن أبا بكر علم أن أخاه غير الشقيق هذا، تحاشى العمل فى هذه الوظيفة لأسباب تتعلق بعلاقته الاسمية، وأخيرًا قبل أينوا هذه الوظيفة، بعد أن علم الكثيرون بتلك الضجة التى أثيرت حول هذا الموضوع التافه، وتسببت على أن لا يقدم أحد على التوسط فى الأمر وإحراج أى طرف من الأطراف. الحالة الثانية، وهى أكثر وضوحًا من الحالة الأولى، تتعلق بشخص يدعى المعلم بالراب Balarabe تافاوا باليوا، الذى لم يكن من أقارب أبى بكر أو أهله، وإنما جرت تنشئته وتربيته منذ أيام المدرسة بواسطة أبى بكر، وكان يُعامل من قبل أولئك الذين يخلطون بين الاسماء، على أنه ولد من أولاد أبى بكر. لم يتوقف أبو بكر مطلقًا عن إقناع هذا الصبى بالعمل بالتدريس من خلال كلية كاتسنا ثم بعد ذلك فى كلية إيبادان الجامعية، على الرغم من أن ميول هذا الصبى كانت فى اتجاه الطب، ثم بعد ذلك فى الاقتصاد وأخيرًا فى الخدمة المدنية الفيدرالية. لم يشجع أبو بكر هذا الصبى على الفوز بمقعد فى البرلمان الفيدرالى، بل إنه رفض أيضًا أن يكون سكرتيرًا برلمانيًا عندما عرض عليه هذا الأمر. وأخيرًا وافق رئيس الوزراء، شريطة التحاق بالراى بالخدمة المدنية ليقوم بعملية التدريس، وأخيرًا وافق أبو بكر، بناء على نصيحة من سول كاتاجوم، على السماح لبلراب بالعمل فى وزارة الخارجية. وحتى بعد تعيينه رفض أبو بكر التدخل فى المسائل المتعلقة بالراتب وبالدرجة، أو الحوافز، أو حتى فى الدورات التدريبية. وجرى تعليم بالراب كيف يمكن أن يكون سفيرًا بناء على كفاءته ومجهوداته.

عند هذا الحد يكون اللهب قد أُبعد عن الإناء الذى كان يهدد بالغليان أكثر وأكثر، عند افتتاح الجلسة، أصبح معروفًا للجميع أن بطرس ستالارد تقرر تعيينه فى أواخر العام حاكمًا على هندوراس البريطانية، التى هى منطقة لا يزيد عدد سكانها على عدد سكان أبيوكوتا. وهنا نجد شابًا من شباب وزارة المستعمرات يعلق على ذلك بقوله، لقد أفلحنا فى إعطاء بطرس ستالارد محكومية صغيرة"، لكن ذلك لم يضع حدًا لدراسات الرجل وخبراته، ولم يكن هناك منصب بديل غير هذا المنصب. لم يكن لاستالارد دور فى اختيار أبى بكر للرجل الذى سيخلف ستالارد، وهو ستانلى Stanley أولابود olabode ويى wey الذى سبق ودرس الإدارة العامة منذ فترة طويلة مع عيسى كيتا فى جامعة إكستر، والذى أثبت أنه موظف مدنى كفء ومهندم، لم يخضع لأى إنسان، والذى انضم إلى الوفد المسافر لحضور مؤتمر الكمنولث، وكان الرجل مثل أنيونو Anionwu قد اجتاز بنجاح دورة كلية الدفاع الإمبريالية البريطانية (التى اشتملت على الكثير من دراسات أدب الرحلات). كان فرانسس نوكيدى Nwokedi، ذلك الرجل بهى الطلعة وصاحب الإرادة القوية، الذى ظن الناس أنه يرجح له الحصول على هذه الوظيفة، وقد أكد لاستانلى وى wey، أنه سوف يعمل معه بكل إخلاص، كما أكد له أيضًا أنه يعرف أن وى weyلم يسع إلى هذه الوظيفة. هذا يعنى أن رئيس الوزراء وقف على شيء من التفانى فى العمل فى مساعدة اليوروباوى، الذى كان معنيًا بالتفسير الأخلاقى والدينى للحياة، والذى كان يؤثر منزله الخاص، الذى اشتراه بقرض من قروض مشاريع الخدمة المدنية، على أى مسكن من المساكن المبنية للموظفين فى المناطق الحكومية. رفض ستانلى وى wey السكن بالقرب من رئيس الوزراء، نظرًا لأنه لم يكن راض عن لغة الخدمة السائدة بين البريطانيين ويشيرون فيها إلى الوزير على أنه "سيده" (وهذه الكلمة لها أنغام فوقية)، لكنه تعهد بالحضور خلال خمسة عشر دقيقة، بعد طلبه على الهاتف.

جرت مناقشة الموضوعات الوطنية كلها من خلال الإعلان عنها فى المناقشات التى دارت فى مجلس المندوبين، وقد تركزت هذه المناقشات على موازنة ظن الرئيس فستوس أنها ستجعل من نيجيريا ورشة لغرب إفريقيا، مثلما كانت بريطانيا فى القرن التاسع عشر ورشة للدنيا كلها. وأُعدت خطة خمسية بدءًا من العام ١٩٦٢ الميلادى، بلغت استثماراتها ٦٧ مليون جنيه إنجليزى فى سد نهر النيجر لإنتاج الكهرباء الرخيصة، وللتصنيع والرى الزراعى، الذى تكمن فيه مصالح رئيس الوزراء طويلة الأجل. لم تكن تلك الخطة ممكنة بدون المساعدات الأجنبية، لكن كان هناك أمل فى الحصول على ١٩ مليون جنيه عن طريق القروض الداخلية، وذلك على الرغم من تدهور الأسعار العالمية للصادرات النيجيرية وزيادة التهرب من الضرائب وتهريب السجائر، الأمر الذى أدى إلى خفض فائض الموازنة بما لا يقل عن مليون جنيه. كانت اتفاقات شركة شل الضخمة على استكشافات الزيت الجديدة، وعلى وصلة بونى وحفر الأبيار الاختبارية، لم تعد بعد بعائد جديد ذى قيمة، فى الوقت الذى وصلت فيه تكلفة توصيات لجنة أشبى التعليمية إلى ١٥٠ مليون جنيه إنجليزى، نصفها راسمالى والنصف الآخر من العائدات. وتعهدت بريطانيا بتقديم منحة للتدريب بكليات التدريب والمعاهد الفنية فى الأقاليم كلها، وتعهدت أيضًا بإنشاء جامعة فى زاريا، وتقدمت منظمة الثقافة والعلوم والتربية التابعة للأمم المتحدة لتقدم يد العون والمساعدة فى إنشاء جامعة فيدرالية فى ليجوس، أما مؤسسة فورد التى استشفت حدوث عجز فى القوى البشرية وليس فى التمويل، الأمر الذى يمكن أن يسفر عن الحاجة إلى المزيد من المقيمين، فقد تقدمت بمنح تعليمية أخرى. ويبقى مد الخط الحديدى من باوتشى إلى بورنو Borno على شكل التزام من الالتزامات المؤكدة.

وبصورة أو أخرى ظلت البنية الأساسية الاقتصادية التى تعد مطلبًا من مطالب الاستقرار الاجتماعى لا تحظى باهتمام التشريعيين وذلك على العكس من اهتمام السلطة السياسية بتلك البنية. وهذا هو رئيس وزراء الإقليم الشمالى، كان مشغولاً منذ

اليوم الأول لتلك الجلسة بمسألة تفنيد مزاعم حزب جماعة العمل عن التمييز العنصرى ضد اليوروبا فى مجال الخدمة العامة: **"أنا أعُدُّ نفسى نيجيريا، وأنا أعمل لمصلحة البلاد ككل. وأنا شخصيًا أنتمى إلى قبيلة من قبائل الأقلية الصغيرة جدًا"**. لم يجر التطرق فى خطبة العرش التى ألقاها الدكتور آزكوى، إلى الحديث عن إنشاء أقاليم جديدة، لكن الحكومة لم تندهش أو تُباغت، بل ووافقت على الفور، على اقتراح تقدم به المحامى أوجونسانيا ogunsanya، من المقاعد الخلفية فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، ويقضى بإنشاء إقليم الغرب الأوسط من داخل الإقليم الغربى، وهذا هو ما كانت تناور به هيئة أوتو otu إيدو Edo هى وحركة ولاية الغرب الأوسط. وكان هناك تعديل مخرِّب أيضًا تقدم به حزب جماعة العمل لإنشاء ولاية كور (CORأى ولاية نهرى كلبار وأُوجوجا) من داخل الإقليم الشرقى، وإنشاء حزام أوسط من داخل الشمال، لكن جرى رفض هذا التعديل، على الرغم من العمليات القوية التى شنتها حركة ولاية كور، وحركة شعوب الأنهار، ومؤتمر شعوب الأنهار، ومؤتمر رؤساء الأنهار والشعوب. وهنا تدخل الحاج السير أبو بكر مؤكدًا أن الحكومة الفيدرالية "لن تنظر فى الأمر" بعد أن وافق البرلمان على إنشاء إقليم الغرب الأوسط. وعد عضو حزب المجلس الوطنى المواطنين النيجيريين بتقديم اقتراح آخر بتوسيع منطقة ليجوس الفيدرالية لتصبح إقليمًا قائمًا بذاته، بحيث يضم "المستعمرة" التاريخية. وفى ظل عدم وجود آراء بشأن المناطق المحددة التى ينبغى أن تتكون منها ولاية كور أو الحزام الأوسط، وذلك على العكس من منطقة الغرب الأوسط التى تضم كلاً من بنين ومناطق الدلتا كلها، لم يجد رئيس الوزراء ضرورة ملحة فى الإسراع بالخطوة التالية التى تستهدف تقسيم الشمال وهو الأمر الذى كان الكثيرون من الجنوبيين يتطلعون إليه منذ زمن بعيد، وعليه لم يصبح الأمر ملزمًا أو حتميًا، وبخاصة أن المؤتمر التحضيرى جرى التحدث فيه عن عدم إنشاء سوى ولاية واحدة جديدة من كل إقليم من الأقاليم القديمة. وقد وجد الغرباء شيئًا من الارتباك فى تلك المسميات الجديدة، وعليه راحوا من باب تأييدهم للوضع

الراهن يصرون على التحدث عن "الأقاليم"، فى حين راح أنصار التغيير يحبذون الكلام عن "الولايات".

كان حزب جماعة العمل قد أيد إحداث بعض التنازلات من حيث المبدأ لشعوب الإدو Edo، والإتسكيرى Itsekiri والأيجو Ijo، وهى من شعوب الإقليم الغربى، وذلك تأسيًا بما حدث مع بعض الأقليات فى الشمال اعتبارًا من العام ١٩٥٥، لكن الحزب لم يكن يتوقع أن ذلك يمكن أن يرتد عليه، واقع الأمر أن حزب جماعة العمل لم يكن يود لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أن يكسب لنفسه ميزة فصل هذه الشعوب عن اليوروبا، لكن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، الذى بدأ يخسر كل نفوذه وتأثيره فى إيبادان، كان مصممًا ومصرًا على التركيز على الشعور المعادى لحزب جماعة العمل فى المناطق القريبة من القاعدة الرئيسية لحزب المجلس الوطنى. وهنا تحتم ترك الأحزاب الجنوبية تقوم بطرد حزب جماعة العمل، وإذا ما جاءت النتيجة لصالح المتحالفين فإن ذلك سيحظى بقبول الحاج السير أبى بكر وموافقته. وهنا قام أبو بكر بإجراء مصالحة بين ضميره النيجيرى وبين الحزبية الشمالية، والسبب فى ذلك أن الرجل تشكك فى صدق وطنية بعض زعماء حزب العمل أكثر من تشككه فى السواد الأعظم من زعماء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. تشكك أبو بكر فى مسألة إمساكهم بالحقائق الإدارية، وهذا هو سام أكنتولا رئيس وزراء الإقليم الغربى، والمخطط السياسى كان لا يزال يسائل مدير الأشغال العامة الفيدرالى، الذى هو ليس سوى منفذ للتعليمات، عن أسباب عدم شق الطريق المركزى ب، الذى يربط النقطة س بالنقطة ص فى منطقته.

حدث تدخل كبير آخر عندما تقدم أحد الأعضاء باقتراح خاص بحركة مقاومة الرشوة والارتشاء، التى كانت بحاجة إلى العمل الفعلى وليس التعليمات الغامضة، حتى لا يتولد لدى العالم انطباع بأن النيجيريين كلهم فاسدون. وعندما تذكر أبو بكر إدانة الدكتور نيكروما للثروة الملفتة للنظر، والاستهلاك الملفت أيضًا للنظر، وإلى مسألة

حصول المسئولين العموميين (وزوجاتهن وأقاربهن) على السلع الاستهلاكية المستوردة، وعندما تذكر أيضًا الفساد واسع الانتشار على المستويات الكبيرة، وأنها لم يعد لها سوى تأثير قليل فى غانا، عندما تذكر ذلك كله عاد إلى التحقيق الذى أجراه ديفيد وليامز ثم قال:

أذكر إحدى المقابلات التليفزيونية التى أجريت معى فى العام ١٩٥٨ فى لندن، التى سألنى فيها بعض الصحفيين عن مدى صحة أن المرء يتعين عليه شراء كل شىء فى نيجيريا، وأن المرء يتعين عليه أن يدفع حتى يمكن له الحصول على الأشياء. وقلت لهم أنا لم أعرف السبب الذى جعلهم يسألونى هذا السؤال. ترى، ما الذى كانوا يتوقعون أن أقوله لهم؟ هل يتوقعون منى أن أقول لهم "نعم" أو "لا"؟ فى كل دول العالم، وفى إنجلترا، وفى أمريكا، وفى أى مكان آخر، نحن نسمع عن الفساد فى أى جزء من أجزاء العالم... يتعين علينا التحدث بطريقة تجعل العالم لا ينظر إلينا كشعب يعيش فى الدنية والدناسة طول الوقت.

(كانت تلك هى المقابلة التليفزيونية الأولى، لكنها بعيدة جدًا عن المرة الأخيرة التى طلب أبو بكر فيها من الصحفيين تقديم ملف بالحقائق، وهذا هو ما لم يستطعه أى من هؤلاء الصحفيين). أشار أبو بكر أيضًا إلى اقتراح تقدمت به إحدى المجلات الإخبارية الأمريكية مفاده أن مسئولى الحكومة النيجيرية مفسدون، وراح يفند ذلك الاقتراح: **"السواد الأعظم منا، نحن الذين لنا أديان نعتنقها، نعرف حق المعرفة أن هذا من الخطأ تمامًا، وبعيد عن معتقداتنا الدينية، نحن لا يمكن أن نسمح لأنفسنا أن نُشْترى، نكاؤك، ووضعك وكل شىء - يجرى شراؤه نظير مبلغ صغير من المال؟ - أو بالكلام المعسول؟ وهذا أيضًا من قبيل الرشوة".**

لم يكن من عادة أى أحد من سكرتيرى أبى بكر النيجيريين الرئيسيين أن ينتظر ساعة حتى يدخل يعرض أمرًا عاجلا على رئيس الوزراء، وعندما دخل هذا السكرتير على رئيس الوزراء فى مكتبه رأى واحدًا من أعضاء مجلس الوزراء القلائل، منبطحًا على الأرض وهو يبكى، وكان يعرف على وجه اليقين أن هذا العضو من الأعضاء الفاسدين والمفسدين. وهنا سارع السكرتير إلى قفل الباب وترك المكان، لكن الرجل بحث بعد ذلك عن تفسير لذلك الذى رآه. قال أبو بكر: **"نعم، كانت هناك شركة أجنبية تود أن تفتح لها نشاطًا هنا فى بلادنا، وكانت بحاجة إلى بعض التراخيص، هذا الرجل حصل على رشاوى، وأبلغت الشركة سفيرها، الذى قام بدوره بإبلاغ حكومة بلاده، التى اشتكت إلىّ مباشرة...."**

ومع ذلك، وعندما لفت مفتش الشرطة العام انتباه رئيس الوزراء إلى حقيقة أن واحدًا من كبار زملائه، كانت زوجته تدير مصنعًا للقمصان والملابس وتستخدم لذلك عددًا من العمال غير المسجلين فى المسكن الوزارى الرسمى، وأنها تأخذ الكهرباء اللازمة للماكينات مجانًا ولا تدفع لها مقابلاً، علق أبو بكر على ذلك بقوله: **"نعم، أنا أعرف أنه وغد، لكنه صاحب مخ، ويتعين علىّ أن أجعله يستخدم هذا المخ"**. كان الحاج محمد رباط هو الآخر الذى كان يلتمس أعذارًا مماثلة عند المستشار السياسى الرئيسى، لرفاقه الفاسدين المفسدين. كان الموظفون المدنيون، والصحفيون هم الذين يعرفون شفاهة وليس كتابة أنه لو قُدِّر طرد أوكوتاى – إيبوه okotie - Eboh، على سبيل المثال، فإن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين قد ينسحب من البرلمان وأن ذلك قد يؤدى إلى انهيار الحكومة الفيدرالية المتوازنة.

مع مطلع الإعلان الصادر فى اليوم الحادى عشر من شهر أبريل عن المقاطعة التجارية الكاملة مع جنوب إفريقيا، قدم أبو بكر للمجلس النيابى تقريرًا عن المؤتمر الذى عقده مؤخرًا رؤساء الوزراء. وقال إن انسحاب جنوب إفريقيا من الكمنولث طهر الكمنولث وزاده قوة على قوته، ولم يكن ما حدث تدخلاً فى الشئون الداخلية لبلد من

البلدان، لأن سياسته تشكل تهديداً للسلام العالمى. وينبغى على أعضاء الكمنولث أن لا ينظروا إلى الكنغو باعتباره يشكل تهديداً للسلم العالمى هو الآخر: "**من سوء الطالع أن هناك منطقتين أخريين هما أيضًا تكادا أن تكونا على وشك الانفجار تمامًا - غينيا الجديدة، التى يمكن أن يندلع القتال فيها بين كل من إندونيسيا وهولنده** [وأردف أبو بكر قائلاً: إن تنجيكو Tengku كان يتوسط بينهما من دون إشارة سابقة، لكنه كان يرسل تقارير دورية إلى رؤساء الوزراء زملائه فى الكمنولث] **ولاوس**". فيما يتعلق بنزع السلاح، زعم أبو بكر أن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية كان يخشى ويخاف من عملية التفتيش والسيطرة باعتبارها غطاء للجاسوسية، وأن الغرب كان يخاف من نزع السلاح ويخشاه باعتباره عذر لإزاحة القوات الأمريكية وإبعادها عن أوروبا، وتزايد استعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة بطريقة سيئة من أجل إلقاء خطب دعائية ليس إلا.

ويرد أبو بكر على اقتراح يحتم عليه تعيين وزير يستقل بالشئون الخارجية بقوله: "**هناك رئيس وزراء فى مكان آخر أكبر منى سنًا. وأنا أعتقد أنه هو وزير خارجيته. وأعتقد أن هذا أمر شائع... وعليه فأنا أعتقد أنه إذا ما وافق المجلس، فإنى على حد ظنى، أجد نفسى قويًا بالقدر الذى يمكننى معه تحمل العبء الذى أتحمله بالفعل. وآمل أن أواصل ما أنا فيه**". وأنكر الرجل وجود أية خطط لإعلان الجمهورية، وأعلن الرجل عن إنشاء مواقع حدود شرطية فى المستقبل وإيجاد عمل عسكرى لإحكام الأمن على حدود الإقليم الشرقى الجديدة مع الكاميرون، وذلك من باب تحاشى النشاط الإرهابى على الجانب الآخر الذى يمكن أن ينشأ بعد إعادة توحيد الأجزاء ("**نحن لا نود للبشر غير المرغوب فيهم التدفق على نيجيريا**")، وجرى أيضًا فى تلك الجلسة القراءة الثانية للائحة المجلس التى سبق أن زكتها لجنة الأقليات، ورد على واحد من أولئك الذين يضايقون الغير بكثرة الأسئلة قائلاً: نعم، إنه كان رئيس - رئيس أول - لسيراليون. وأوكل الشيخ شاجارى فى شرح الأسباب التى دعت نيجيريا ذات السيادة لا تتقبل

العرض البريطاني الذى يقضى بدفع رواتب الموظفين البريطانيين الأساسيين باعتبار ذلك شكلاً من أشكال المساعدة الفنية.

قام السيد/ إيناهورو من حزب جماعة العمل هو وأمين كانو المسئول عن جمع النواب للتصويت (وهو مستقل من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى) قد تحديا اللورد هيد فى حقه بصفته مندوباً بريطانياً سامياً، فى "التدخل فى شئون نيجيريا" عندما سأل الصحفيين عن الحكومة التى يريدونها، إذا لم يتوافر لهم الاتحاد الفيدرالى. وهنا قام الحاج السير أبو بكر بتفنيد ذلك المضمون بقوله: **"هذا مركب نقص، ومن الخطأ أن يكون هناك مركب نقص فى مثل هذه الأمور. نحن فى هذا الجانب نحس أننا مستقلون"**. وأردف الحاج أمين كانو قائلاً: "إذا ما أراد سفير دولة أجنبية أن يكتب رسالة، فإنه ينبغى عليه توجيه هذه الرسالة لحكومة رئيس الوزراء". لكن قيل له: **"هذا خطأ فظيع جداً. فى العلاقات الدبلوماسية، أعتقد أن هذا أمر غير ضرورى - وإذا كان هناك أمر ملح وضرورى بحق، فهذا يصح. لكن هذه الرسالة تعد رسالة ودية.... وأنا أعتقد أنه ليس من اللائق تماماً أن لا يبلغنى متلقى هذه الرسالة بها قبل أن يتحتم إحضارها إلىّ هنا لعرضها على المجلس"**. وانتهز أبو بكر الفرصة مرة أخرى ليقول: **"..... أنا أرى أن الأمر سيكون مؤسف إذا ما حاولت نيجيريا منافسة غانا بأى شكل من الأشكال.... أما إذا كان ذلك فى كرة القدم، أو الرياضة فمرحباً به، ..... لأن غانا الصغيرة هذه قادرة على سرقة الأضواء منا"**. وقد وافق سكرتير أبى بكر البرلمانى على مقترح التأجيل النهائى، وحيا أبو بكر على الجولات التى قام بها فى الأقاليم وعلى "أسلوبه الفكه والمحترم".

فى اليوم الذى جرى فيه فض جلسة المجلس النيابى، وصل إلى ليجوس مواليمو جوليوس نيريرى زعيم الاتحاد الوطنى الإفريقى التنجانيقى فى زيارة استغرقت ثلاثة أيام رحب به خلالها رئيس الوزراء أبو بكر تافاوا باليوا. أعلن نيريرى للصحفيين أن حياد تنجانيقا بعد استقلالها سيكون أمراً سخيفاً: والسياسة المستقلة لا تعنى الحياد

بالضرورة. وقال أيضًا: إن ماكلويد زار بلاده وتحدث إلى الحاكم والزعماء وأعلن أن المسئولين قد يغادرون مجلس الوزراء في اليوم الأول من شهر مايو، وأن الوزير الرئيسي نيريري قد يصبح رئيسًا للوزراء ومسئولاً عن وزارة الخارجية، وأن الاستقلال التام سيكون في شهر ديسمبر. كان السيد جيمسي كالاغان callaghan، وزير المستعمرات في حكومة "الظل" العمالية، قد أرسل لماكلويد معبرًا عن أصدق تمنياته متمنيًا عليه أن "يدفع" تنجانيقا إلى الأمام، كان ماكلويد على ثقة من أن وزير الخارجية العمالي أقدر على سرعة الحركة من وزير الخارجية الاشتراكي، نظرًا لأن المعارضة لن تقف أمامه أو تعترض عليه، وعليه قرر الرجل عدم الخضوع لأنداده المتخلفين ثقافيًا أو أصحاب المقاعد الخلفية المتمردين، وراح يتصرف هو من تلقاء نفسه. تحركت تنجانيقا، مثل نيجيريا، تحركًا سليمًا صوب الاستقلال بلا لجوء للقوة وبلا ردود فعل على القوة، وجاء هذا التحرك على العكس من تحرك الجزائر التي كان فيها حوالي مليون رجل كانوا على وشك أن يحاربوا بعضهم بعضًا. وبحكم أن نيريري كان مدرسًا مثل أبي بكر فقد اتفق معه اتفاقًا تامًا في وجهة نظره الخاصة بجنوب إفريقيا في ذلك الوقت، كان نيريري (مثل ماكلويد) يرى أن الضغوط المماثلة يمكن أن تؤدي إلى تمتع الأقليات البيضاء في كينيا ووسط إفريقيا بالهدوء في البلدان التي يتولى الأفارقة إدارتها والتي جرى فيها إزالة السواد الأعظم من الإحباطات. وحظي نيريري باحترام أبي بكر، وتعلم الكثير من هذه الزيارة القصيرة، التي عوملت معاملة الزيارات الرسمية تمامًا، عن تولي البلد الجديد مسئولية شئونه الخارجية، لكن نيريري كان يفتقر أمام مؤيديه إلى ثراء خبرة الخبراء والنقاد العالميين وحكمتهم التي كان الحاج السير أبو بكر يتمتع بها في ليجوس. جاءت محطة نيريري التالية بعد ليجوس في أكرا. لم يكن السيد هاري نكومبولا Nkumbula، من السياسيين الناجحين في وسط إفريقيا، ولم يكن حظيظًا أيضًا، فقد بقي طيلة أسبوع كامل في ليجوس، ولم يحظ بلقاء أو مقابلة مع الحاج السير أبي بكر. أما جشوا نكومو فكان زائرًا مواظبًا وأكثر نجاحًا من غيره من الزائرين.

كانت الشئون الخارجية العادية كثيرة ومربكة حتى للمحترفين والمحنكين. فقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة سياسة الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا، كما أدانت أيضًا السياسة التى ينتهجها جنوب إفريقيا فى جنوب غرب إفريقيا، فقد رفض جنوب إفريقيا إعطاء لجنة تقصى الحقائق التابعة للأمم المتحدة تأشيرات الدخول إلى المنطقة التى كانت حكومة بريتوريا تعاملها معاملة اسمية فقط، فى الوقت الذى لم ينته فيه انتداب الأمم المتحدة على هذه المنطقة، التى كانت محكمة العدل الدولية فى لاهاى قد أصدرت حكمًا يقضى بوضع جنوب غرب إفريقيا تحت منظومة وصاية الأمم المتحدة. وقد تجدد خلال هذه الفترة ظهور الإرهاب من جديد فى أنجولا، وصادف ذلك أول محاولة حقيقية لإخراج البرتغاليين بالقوة من أنجولا، مثلما فعل هولدن روبرتو، القادم المحلى الجديد إلى مجرة الوطنيين التى تشمل العالم كله، عندما تولى قيادة غزو قامت به حركته الشعبية من قواعد لها أسستها عبر حدود جمهورية الكنغو الديمقراطية، وجرى نقل جومو كينياتا من مقره الصحراوى المجاور للحدود ليكون قريبًا من نيروبى، ووافق الاتحاد الكينى الإفريقى الديمقراطى على تشكيل حكومة، شريطة أن يتم بناء منزل لجومو كينياتا فى موطنه فى قرية كيامبو Kiambu. وجرى أيضًا اغتيال جنرالسّيمو Genralissimo تروجيلو Trujillo، الذى كان يحكم جمهورية الدومينكان اعتبارًا من العام ١٩٣٠، وفى سيلان أدى استبدال اللغة السّنْهالية Sinha-lese باللغة الإنجليزية فى الاستعمال الرسمى، واحتجاج الأقلية التاميلية على ذلك، إلى بعض الاضطرابات، وتعين على الرئيس كينيدى إخفاق غزو "خليج الخنازير" لكوبا من ولاية ميامى عن طريق ١٥٠٠ من المنفيين الهاربين من كاسترو. ودعت الأمم المتحدة إلى إقامة انتخابات فى منطقة رواندا - أوروندى، الواقعة تحت الوصاية البلجيكية، التى أعلنت فيها الحكومة الرواندية المؤقتة قيام النظام الجمهورى، الذى لم تعترف به بلجيكا، ومع ذلك ظلت الحكومة المؤقتة تعترف بالوصاية البلجيكية من خلال الأمم المتحدة، وهنا بدأت الأغلبية الباهوتيه Bahutu تشاهد الكثيرين من الأقلية الباتوتسية Batutsi، التى كانت مسيطرة سياسيًا فى ذلك الوقت، وهم يهْرَبُون لاجئين إلى كل من

أوغنده وأوروندى، فى حين استطاعت مملكة أوروندى، التى كان الباتوتسى الأقوياء يقودونها، لكنهم بدأوا يستعينون فى الوقت الحاضر بالباهوتو، استطاعت هذه المملكة المحافظة على وضعها فى تلك الأثناء (وحصلت على الاستقلال فى شهر يوليو من العام ١٩٦٢، لتصبح مملكة بوروندى، على الرغم من محافظتها على الروابط الاقتصادية مع ما أصبح يسمى بدولة رواندا فى ذلك التاريخ). قام قادة الجيش الفرنسى بتمرد قصير الأجل فى الجزائر، وصدر بعد ذلك حكم غيابى بالإعدام على الجنرال سالان زعيم هذا التمرد.

ومن يمن الطالع أن استقلال فنجلند Fingland بعمله منذ فترة طويلة هو الذى جعل هذا الرجل بمثابة "يوحنا المعمدان"، فقد مكن ذلك مكتب الشئون الخارجية برئاسة أنيونيو من الكشف عن خبرته وحنكته. كان السكرتير الدائم يقوم بعمل وزير الخارجية لعلاقات الكمنولث والشئون الخارجية، فضلاً عن قيامه بعمل رئيس الوزراء الذى تمثلت مهمته فى إجراء مناقشات صريحة عن البدائل المتيسرة مع مسئوليه ووزرائه، أو دراسة الآراء المتضاربة بشأن الملفات ثم الانسحاب بعد ذلك، ليدرس الأمر على انفراد قبل التوصل إلى قرار مدروس. وإذا ما كان هناك تعارض ـ لم يحدث ذلك فى كثير من الأحيان ـ بين البيانات الصحفية الصادرة عن وزارة الإعلام والبيانات الصادرة عن الشئون الخارجية، توجّب على الصحفيين الاتجاه مباشرة إلى مكتب رئيس الوزراء طبقًا للمزيد من التوضيح. كان من بين أهداف فنجلند ترك المنصب الجديد بسبب الضغوط التى يمكن أن تمارس على بلد حديث العهد بالاستقلال، من أجل قبول تمثيل أجنبى مقيم، كما هو معمول به فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. هؤلاء المتدربون الدبلوماسيون الأوائل سوف لا يعملون فقط، على حد علم السياسيين، فى السفارات فى الخارج وفيما يكلفون به من أعمال، وإنما سيصبحون نواة لوزارة الخارجية فى ليجوس، فى ضوء التوجيه الوزارى، ولذلك سيقومون بمتابعة

عملية انسياب المعلومات القادمة من الخارج ويقومون بدور الإرشاد والمساندة على المستوى السياسى وعلى المستويات الإدارية أيضًا.

وافق الحاج السير أبو بكر البراجماتي على الحقيقة التى مفادها أن موارد بلاده تتطلب ترتيب أوضاعها بطريقة مخططة غير عاجلة، وأن ترتيب هذه الأوضاع ليس من الضرورى أن يساير على الفور المطالب الضخمة المتمثلة فى المؤسسات الجديدة الوافدة من الخارج على مدينة ليجوس المزدحمة. أما أولويات أبى بكر (وهى من عندياته) فتتمثل فى اللجان العالية، والسفارات أو "المكاتب" التى جرى الاتفاق عليها خلال العام ١٩٦١، على أن تكون فى الكمنولث، ولدى المملكة المتحدة (على أن يقوم المكتب بتغطية بلجيكا)، وفى الهند، وغانا، وسيراليون، واتحاد وسط إفريقيا، وفى بعض الأماكن الأخرى فى إفريقيا مثل: الكاميرون، والكنغو (ليوبولدفيل)، وفى غينيا، وساحل العاج، وفى ليبريا، والسنغال، وفى السودان (على أن يغطى ذلك المكتب المملكة العربية السعودية)، وفى الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وفى فيرناندو بو، وأيضًا فى الأمم المتحدة، وفى الولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الغربية الفيدرالية، وفى إيطاليا وفى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. وقد أوضحت اختيارات أبى بكر احترامه الشخصى المثمر للعلاقة مع بريطانيا، واعترف أبو بكر أن علاقاته مع كبار الدول الناطقة باللغة الفرنسية وكذلك الدول الناطقة بالإنجليزية يتحتم تقويتها إن أُريد لنيجيريا مواجهة السيطرة على القارة من خلال كل من غانا والجمهورية العربية المتحدة، كما أوضحت خيارات أبى بكر أيضًا إدراكه لأهمية منظمة الأمم المتحدة، وطموحه إلى وقوف نيجيريا إلى جانب الدول الكبرى فى العالم التى طورت سياسات المساعدات الإيجابية عن طريق تقديم الماديات بدلاً من الأفكار.

أدى ذلك التصور الأخير إلى زيادة حدة الانتقادات التى تفيد أن سياسة الرجل الاقتصادية كانت منحازة انحيازًا كبيرًا إلى العالم الغربى "الاستعمارى الجديد". وقد قلت حدة تلك الانتقادات إلى حد ما خلال الأشهر التى تلت ذلك بعد أن جرى إبرام

الاتفاقات الخاصة بالسفارات (وقليل جداً من الاتفاقيات التجارية) فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر وبولنده، كما أوفدت الوفود التجارية لتحرى الأمور فى أوروبا الشرقية. ولم يتراجع أبو بكر عن رفضه للشيوعية الملحدة، وكان أبو بكر لا يزال مصراً على عدم إصدار جوازات سفر للطلاب للدراسة فى كلية باتريس لومومبا التى تأسست حديثًا فى روديسيا ليدرس فيها الطلاب القادمون من العالم الثالث، أو للدراسة فى الدول الماركسية - اللينينية الأخرى. عند هذا الحد كان أبو بكر ينظر إلى الدكتور نيكروما باعتباره شيوعياً متشدداً وملتزماً من حيث الجوهر إن لم يكن من المخبر، ومن هنا وبحكم قربه من نيجيريا فإنه يعد العدو الأول من أعداء الاتحاد الفيدرالى. وعليه، ومع أول دليل يقدم لأبى بكر عن بعض الأعمال التجريبية القليلة والخطيرة التى حاول القيام بها كل من العملاء المصريين والإسرائيليين، والروسيين والتشيكيين، والتى أدت إلى تخصيص فرع خاص من الشرطة جرى تدريبه على التعامل مع العصيان غير المتحضر فى زمن الاستعمار، وكفل أبو بكر لذلك الفرع من الشرطة التمويل المالى الكافى، والمصادر الفنية والقوة البشرية التى تمكن ذلك الفرع من مقاومة تلك التهديدات الجديدة ومجابهتها: لكن أبا بكر كرر إصراره الذى مفاده أن الإجراءات الأمنية كلها يجب أن تكون فى إطار ما يسمح به القانون وبدون الإخلال بالعلاقات الطيبة مع الدول الأجنبية. فى هذه المرحلة بالذات، وقع على تقرير من التقارير الاستخباراتية **"بأن المعلم أمين [كانو] لم يحدث أنه كان شيوعيًا فى يوم من الأيام"**. وغضب أبو بكر غضبًا شديداً عندما رأى وثيقة تؤكد عضوية "المُعَلم" يوم أن كان فى لندن.

انشرح صدر أبى بكر عندما حضر احتفالات استقلال سيراليون، بصحبة الدكتور ميخائيل أُكبارا من الإقليم الشرقى (كان حزب جماعة العمل فى الغرب يزعم أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، هو وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وحزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى كانوا قد تآمروا حتى يسمحوا للمستشار

السياسى الرئيسى بالفوز فى الانتخابات الإقليمية فى الشمال فى شهر مايو، التى لن يتمكن بدونها الحاج السير أبو بكر من حرية السفر إلى الخارج، وأن أمين كانو كان ناشطًا فى ذلك التآمر - إلى حد أن نتيجة الانتخابات كانت تعزى إلى اعتماد حزب المؤتمر الشعبى الجديد على الحزب المركزى فى تمويل التنظيم ونقل الناشطين فى سائر أنحاء المناطق الريفية بدلاً من الاعتماد على رؤساء الحكم المحلى التقليديين فى هذه العملية). لاحظ أبو بكر عندما كان فى فريتون Freetown أن السكرتير الخاص لكل من ليتلتون Lyttelton ولينوكس بويد، جاك جونستون قد أصبح أول مندوب سام فى ذلك البلد. أما السير ميلتون مارجارى الذى كان يدلل على استعداده أن يكون قاسيًا جنبًا إلى جنب مع أدبه الحريص المعهود، قد أعلن رسميًا، لكن بصورة غير ملحوظة، حالة الطوارئ، من باب الاحتراز أثناء الاحتفالات. كان السير ملتون مارجارى قد استعار الكثير من المعدات التى تيسرت فى نيجيريا بعد الاستقلال، كما استخدم أيضًا العقيد هيفورد، الذى عهد إليه بتنظيم الاحتفالات الرسمية الخاص بجلاء بريطانيا عن مستعمراتها. (كان الحاج السير أبو بكر قد نصح السير ملتون مارجارى بعدم السماح لنائب الحاكم فولى نوينز بالرحيل، ولذلك قام وزير المالية السيراليونى، مندوبًا عن مجلس الوزراء كله ليطلب من نوينز البقاء فى منصب المستشار، مع الاحتفاظ براتب نائب الحاكم الذى كان يتقاضاه، والاحتفاظ أيضًا بالمنزل وبالسكرتير. وبقى نوينز فى فريتون مدة عامين ونصف العام، وكان له حق الاتصال المباشر برئيس وزراء سيراليون، والحاكم العام والاطلاع على أوراق مجلس الوزراء، مع علاقة وثيقة جداً مع السير ميلتون مارجاى، حتى فى ظل علاقاته السياسية التى كانت تهتز فى بعض الأحيان، مع رفاقه الوزراء).

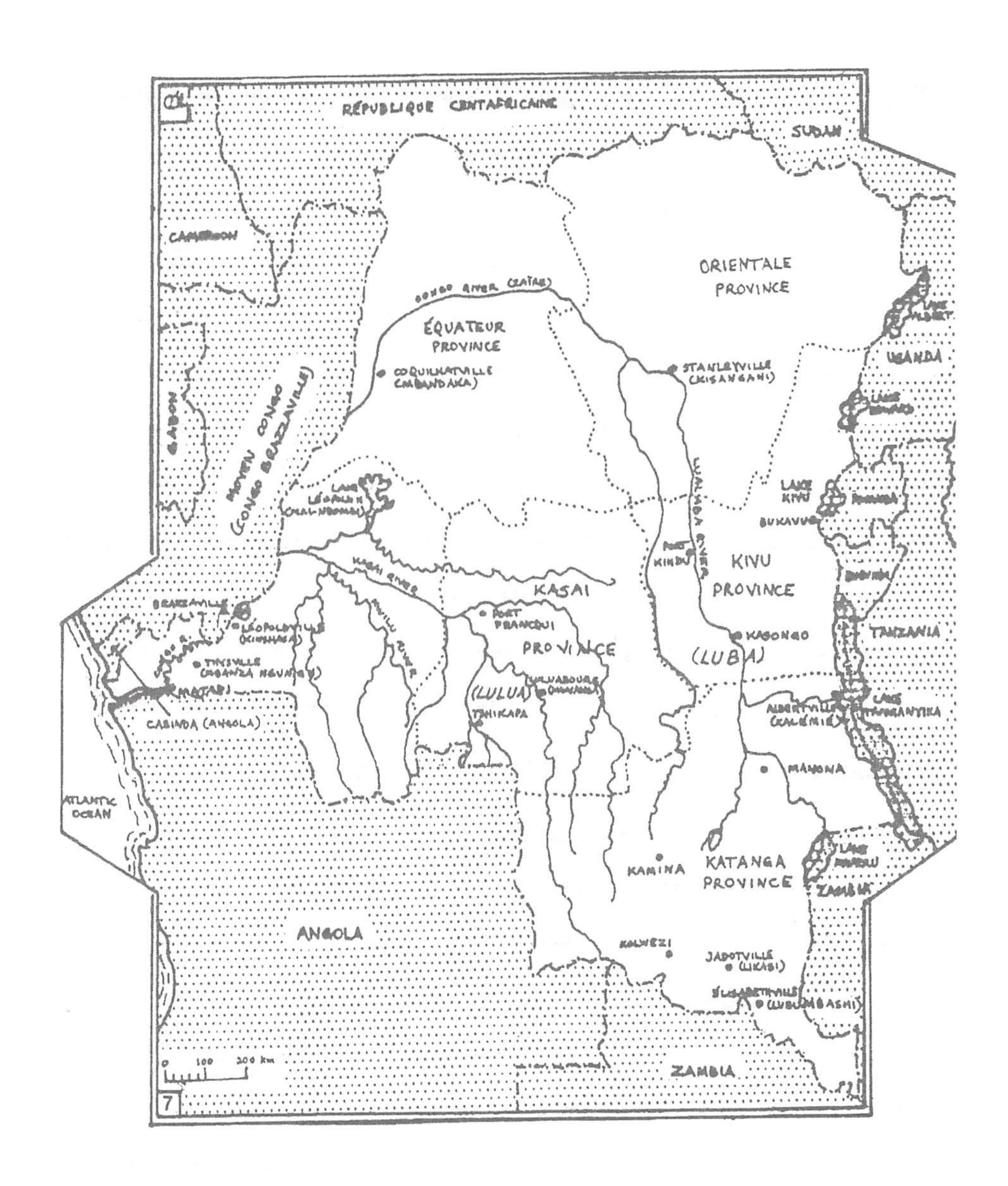
فى مكان آخر على الساحل الغربى نجد أن الدكتور نيكروما كان مسيطرًا سيطرة كاملة على الحزب الشعبى الشيوعى بصفته السكرتير العام للحزب ورئيسًا للجنته المركزية، ونقل مكتب الموازنة إلى مكتبه الخاص (الأمر الذى أدى إلى نقل وزير المالية

جبديما Gebedemah ليكون مسئولاً عن حقيبة وزارة الصحة). فى هذا اليوم نفسه أصبح السيد نيريرى رئيسًا لوزراء تنجانيقا بعد حصولها على الحكم الذاتى الداخلى، وهنا قام آلين Alan شيبهرد shepherd برحلة طيران إلى الفضاء ثم الدخول إلى الغلاف الجوى من جديد تمهيداً لإطلاق مركبة تحمل بشراً إلى الفضاء. بعد أن عاد الحاج السير أبو بكر من فريتون عاد إلى الإقليم الشمالى للاستعداد لاجتماع شهير سيعقد فى منروفيا. وهذه النقطة تحتاج إلى استطراد آخر، نتابع من خلاله مصالح أبى بكر واهتماماته ونشاطاته، قبل إعلان الجمهورية، فى التحركات الإفريقية، والتى لم تتوقف مطلقًا.

لعل القارئ قد لاحظ أن موقف الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا أو رأيه (بالمعايير الدولية) فى المؤسسات الإقليمية قد نشأ عن موقف الرجل من اثنين من معاصريه اللذين سقاه على المسرح الدولى، وقد ارتبط ذلك بتطلع الرجل إلى أن يكون هو ثالث هؤلاء المعاصرين. رفض أبو بكر رؤية قوامى نيكروما المأخوذة عن سفر الرؤيا (فى العهد القديم) عن حركة الجامعة الإفريقية القائمة على اتحاد مكون من وحدات سياسية كبيرة، وبخاصة فى ضوء النزعة الديكتاتورية فى غانا نفسها، وعن قناعة واضحة مفادها أنه هو القادر على قيادة هذه الجامعة الإفريقية ولو فى جنوب الصحراء الكبرى فى أضعف الأحوال. مسألة تحويل ذلك العلم العاطفى "بالزنوجة" إلى إعادة كتابة التاريخ مصابة بجنون العظمة، لإنكار نسب أصول الثقافات العالمية كلها إلى أصول ومصادر غير سوداء، هذه المسألة جاءت بمثابة الهجوم على مدرس التاريخ الذى لا يزال يقرأ على نطاق واسع محاولاً فهم الإدراك الذاتى لكل شخص جديد وكل حضارة جديدة التى أصبح مدركًا لها وعارفًا بها. ولم يسلم أبو بكر أيضًا بأن الدول الصغيرة التى تتلقى إعانات دولية هى مجرد مستعمرات جديدة. **كان أبو بكر يشارك فيلكس هوفى - بوانييه رأيه وثقته البراجماتية التى مفادها أن الاتحاد الإفريقى العضوى سوف ينشأ بصورة طبيعية من استبداء العلاقات الثقافية والعلاقات**

الاقتصادية الودية، وبدون رفض التعاون الأجنبى الودى، وقد وقف أبو بكر على دلائل مؤيِّدة لهذه الفكرة فيما يسمى مجلس النشر Conseil de l'etente وفى الاتحاد السائب لكل من ساحل العاج، وداهومى، والنيجر، وفولتا العليا الذى لا يُنْكِرُ على هذه البلدان سيادتها. كان أبو بكر يقبل بابتسامة تنم عن الاعتراف بالفضل، ذلك الذى اسماه هوفى ـ بوانييه "الكلمة الطيبة" bon mot التى مفادها أنه إذا ما أرسل ابنًا من الأبناء للالتحاق بالجامعة فى باريس، فقد يعود ذلك الابن شيوعيًا – وإذا ما أرسله إلى موسكو سيعود محافظًا ـ أخيرًا كان أبو بكر معجبًا بشخص سلفانوس أوليمبيو فى توجو الصغيرة، وعلى نحو أكثر من إعجابه بأى زعيم إفريقى آخر خارج نيجيريا، من منطلق أن سلفانوس أولمبيو كان صديقًا متعاطفًا، كان لدى سلفانوس أوليمبيو تصور ذهنى لاتحاد يضم كلاً من توجو، داهومى، ونيجيريا ويطلق عليه اسم اتحاد "بنين" Be-nin، وكانت آمال سلفانوس فى هذا الاتحاد معلقة على التوجه النيجيرى وليس على توجه الدول الناطقة بالفرنسية (باستثناء غانا).

قد يقول نيكروما "نحن كلنا أفارقة"، وذلك من باب تبريره لانفعاله العاطفى، لكن على الرغم من أن أبا بكر كان مدركًا أن داهومى الفقيرة، التى كانت أويو Oyo تحكم الجزء الأكبر منها، كان يجرى تمويلها من قبل فرنسا، وبحكم موقعها بين نيجيريا وتوجو، فقد تعين عليه الإشارة إلى النقص الحادث فى حركة الوحدة الأوروبية بعد مرور ألفى عام يوليوس قيصر ونابليون أو هتلر، وذلك من باب النزول بالأمور إلى أرض الواقع. ولم يتبين أبو بكر أيضًا أى تحرك فى اتجاه حركة الجامعة المغولية فى آسيا. كانوا دائمًا يتهمون أبا بكر بأنه بعيد دومًا "عن المتناول"، وهذا أمر صحيح ولا نقاش فيه ـ لكن الرجل كان بعيدًا عن المتناول فيما يتعلق بفنتازيا الرجال الآخرين التى لا تعرف الحدود. يزاد على ذلك أن أبا بكر لم يسع إلى أن يصبح زعيمًا لنيجيريا، لكن بما أنه أصبح الآن فى موقف الزعامة، لم يعد أمامه محيص عن أن يقدم لإفريقيا، إن كانت ترغب الموافقة على ذلك، نموذجًا للقيادة والزعامة البناءه فى بلد يبلغ من الكبر



Map 7:
THE CONGO
Where Abubakar sent Nigerian
Soldiers and Policemen

حداً يصعب معه اتهامه بالطموح إلى التوسع. يجب أن لا يغيب عنا هنا تفسير أبى بكر للاستقلال: كان أبو بكر لا يزال معجبًا بالاهتمام البريطانى الشديد بالتفاصيل. ولم ينكر الرجل أيضًا أنه تنبأ بالازدهار السعيد لتلك البلدان التى أخذت بأسباب المشروع الفردى بدلاً من الثورة الاشتراكية.

لم يكن اجتماع الدول الإفريقية المستقلة الذى عقد فى منروفيا فى الفترة من اليوم الثامن إلى اليوم الثالث عشر من شهر مايو من العام ١٩٦١ الميلادى، والذى جاء فى أعقاب مؤتمر الدار البيضاء الذى انعقد قبل ذلك بأربعة أشهر، لم يكن هذا الاجتماع نتيجة لمبادأة واحدة، على الرغم من أن هذا الاجتماع جاء نتيجة إجماع مفاده أن زعامة القارة ينبغى أن تعود إلى منتصف الطريق الليبرالى. وقد أسفرت الأسفار والزيارات، والرسائل التى قام بها هوفى - بوانييه، وليوبولد سنجور، وسلفانوس أوليمبيو، وأبو بكر عن فحص دقيق للمصدر الذى جاءت منه هذه الفكرة. وهنا اقترح ليوبولد سنجور، البدء "بالدول غير الملتزمة"، مثل توجو، وليبيريا، ونيجيريا، وأن **تقوم هذه الدول بتنظيم مؤتمر أكثر فاعلية، تحاول فيه الدول الإفريقية كلها (باستثناء جنوب إفريقيا وكنغو ما بعد لومومبا المتذبذب) البحث عن سياسة مشتركة بشأن الكنغو، لكن هذا المفهوم ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. ومن بين الرعاة الحقيقيين لذلك المفهوم، أنبرت ليبيريا لتعلن موافقتها على استضافة ذلك المؤتمر، وتعهد ساحل العاج والكاميرون بدعوة دول برازافيل الأخرى (سيراليون، الصومال، وإثيوبيا، وتونس)، وتعهدت نيجيريا وتوجو بدعوة باقى الدول غير المرتبطة "بمؤتمر الدار البيضاء" أو "برازافيل"، وتعهدت مالى وغينيا بدعوة الأعضاء الآخرين فى مؤتمر الدار البيضاء. وفى نهاية المطاف لم يحضر رعاة مؤتمر الدار البيضاء ولا المدعوون، متعللين بعدم حضور عدد كبير من رؤساء الدول من ناحية وأن هذا المفهوم سابق لأوانه أولاً وقبل كل شىء، ورفض السودان حضور المؤتمر بزعم أن دعوة موريتانيا لحضور المؤتمر تسىء إلى مطالبة المغرب بهذه المنطقة، لكن ما إن وافقت ثلاثة وعشرون دولة من أصل ستة**

وعشرين، على قبول الدعوة، حتى بدأت إجراءات الإعداد للمؤتمر تمضى قدمًا. وقد حضر هذا المؤتمر خمسة عشر رئيسًا، وكانت هناك خمسة دول أخرى ممثلة تمثيلاً أقل.

قد يندهش القارئ لأن الحاج السير أبا بكر لم يضم إلى حاشيته النيجيرية أى عضو من أعضاء حزب جماعة العمل، وأن حزب جماعة العمل لم يلعب دورًا فى حكومة الاتحاد الفيدرالى. والذى أدهش المشاركين كلهم، هم والمراقبين الذين كانوا لا يزالون يتوقعون لأى تجمع إفريقى أن يكون "ضربة متوهجة" هو أن الحاج السير أبا بكر، وبتأييد من وفده الذى يضم السيد مبادوى، والذى يعتمد على أبى بكر فى كل الأحوال، هو قيام الرجل بتجهيز الأجواء المناسبة لذلك الاجتماع. سيقول أصدقاء أبى بكر فى السنوات المقبلة أن الرجل لم يعترف سوى بثلاثة مطامح دنيوية، كان الجميع موافقين على مضمون اثنين من هذه المطامح ـ وهما إكمال خط حديد برنو، وأن يرى الرجل ويشهد اكتمال إجراءات السيطرة على مياه نهر النيجر فى منطقة سد خاينجى القريب من بلدة بوسا Bussa، أما المطمح الثالث فلم يكونوا جميعًا متفقين عليه، لكن السواد الأعظم منهم كانوا يخمنون أن هذا المطمح الثالث هو منظمة الوحدة الإفريقية. إن صح ذلك، فهو يعنى أن البذرة وضعت عندما توج نيكروما، وسيكوتورى، وموديبوكيتا المالى Mali بعدم المجيء إلى منروفيا إلا ومعهم إعلان جديد "اتحاد للدول الإفريقية" union of African states، وقد ساعد ذلك أبا بكر أن يؤكد للمؤتمر على إخطار تسهيل أية دولة من الدول للعناصر المتمردة فى دولة من الدول، القيام بعمليات التخريب فى دولة أخرى، وتقديم المساعدات غير المشروطة "للوطنيين"، الذين فوجئوا بالانتقال المفاجئ وليس المتدرج أو المخطط من الحكم الاستعمارى إلى الحكم المستقل. واقع الأمر أن دول جماعة الدار البيضاء كلها، باستثناء ليبيا، أقرت ووافقت ووقعت على هذا الميثاق فى المؤتمر الذى عقدته هذه الجماعة فى القاهرة فى الشهر نفسه الذى انعقدت فيه قمة

منروفيا، كما وافقت أيضًا على إنشاء قيادة عسكرية مشتركة ومؤسسات للتنسيق المدنى.

ومما لا شك فيه أن الحاج السير أبا بكر هو وفريقه كانوا هم الأكثر نجاحًا فى إعداد جدول أعمال المؤتمر الطموح خلال مراحله الأولى. كانت للصومال مطامع فى أراضى إثيوبيا وكانت تلح فى طلب مناقشة مسألة النزاع على الحدود، قدم أبو بكر اقتراحًا بطلب وقف المناقشات **"لتنقية الأجواء"**، واتُّفق عندئذ على عدم مناقشة المنازعات الفردية التى من هذا القبيل فى منروفيا، من منطلق أن فرصًا أخرى قد تسنح بمناقشة الأمور التى من هذا القبيل. وقد عارضت المناطق الفرنسية سابقًا مناقشة موضوع الاختبارات الذرية فى الصحراء الكبرى، وفيما يتعلق بهذا الموضوع أصر أبو بكر على حتمية الإشارة إلى الاختبارات النووية الفرنسية. ومع ذلك حاول الرجل ونجح فى محاولاته طوال جلسات المؤتمر، فى تحاشى الصخور والعقبات، وأن يحدو المتنازعين إلى أن يصلوا إلى موانئ الحلول الوسط أو مرافئها.

تمكنت قمة منروفيا من التوصل إلى النتائج التى كان يودها الحاج السير أبو بكر، وجاءت تلك النتائج أصداء لما سبق أن قاله أبو بكر فى العام الماضى. وافق مؤتمر منروفيا على المساواة الكاملة بين كل الدول الإفريقية الملجاشية بغض النظر عن حجمها الجغرافى، أو كثافتها السكانية،أو ثرواتها، ووافقت أيضًا على عدم تدخل الدول فى شئون بعضها البعض الداخلية، وعلى الاحترام المتبادل للسيادة، وعلى حق كل دولة من الدول فى الوجود وتطوير "شخصيتها"، كما وافقت القمة أيضًا على الإدانة الكاملة للتخريب الذى تقوم به الدول المتجاورة، كما وافقت القمة أيضًا على تحقيق التعاون على مستوى القارة من خلال التسامح، والتضامن، وحسن الجوار، والتبادل الدورى والمنظم للآراء "ورفض الاعتراف بأى شكل من أشكال الزعامة". ووافقت القمة على أن الوحدة، فى الوقت الحاضر، يجب أن لا تكون وحدة "تكامل سياسى بين الدول ذات السيادة"، وإنما ينبغى أن تكون وحدة قائمة على العمل والأمل، كما هى مبينة فى وجهه النظر

الضبابية عن "التضامن الاجتماعى الإفريقى والشخصية السياسية الإفريقية". هذه "الوحدة" البراجماتية غير الواضحة سيجرى السعى إليها من خلال لجنة تقوم بتحديد إطار للخدمات المشتركة والتعاون الفنى والعلمى والثقافى. وفى الوقت نفسه أعلن أعضاء المؤتمر الاستنكارات المتفق عليها للاستعمار والتجارب الذرية الفرنسية، وتكديس الأسلحة النووية، والتمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا، واقترح المؤتمر تشكيل لجنة أخرى لفض المنازعات بين الدول الإفريقية، والتى من قبيل النزاع الذى بين الصومال وإثيوبيا، وأن يكون ذلك بالطرق السلمية، وأعرب المؤتمر عن أسفه لتلك الدول التى لم تحضر المؤتمر.

أعلن الرئيس وليام فاكنارات vacanarat شدراك تبمان أنه كان سعيداً بالنتائج التى توصل إلهيا المؤتمر "سعادة تواجد البق فى السجاد"(*)، وبخاصة أن الرجل لعب دوراً أساسيًا متحفظًا فى التشجيع على الموافقة على الصيغة التى استقاها أبو بكر من هوفى ـ بوانييه. بدأ هوفى – بوانييه نفسه يشارك أبا بكر مخاوفه من أن التركيز الشديد على جماعة برازافيل المحبة للفرنسية قد يؤدى فى نهاية المطاف إلى بَلْقنة Bal-kanization إفريقيًا، أن تلك البلقنه ستكون على هدى من الخطوط اللغوية إلى حد بعيد. وفى توجو التى أعيد فيها انتخاب أوليمبيو لمنصب الرئيس حدث نوع من الارتباك بسبب حركة "جوفنتو" Juvento المعارضة من ناحية ومؤامرة من الناحية الثانية جرى تدبيرها بالتواطؤ مع غانا وقصرت ارتباطها على المؤتمرات الفنية التى تلت مؤتمر منروفيا. كان الجميع يتطلعون إلى المؤتمر الجديد الذى خُطِّط لانعقاده فى ليجوس، كما كانوا يتطلعون جميعًا إلى عدم تَغَيُّب أى عضو من الأعضاء، كما أعرب الجميع عن أملهم فى جمع شمل كل من جماعة "الدار البيضاء" وجماعة "منروفيا" واندماجهما.

(*) هذا التعبير المقزز يوضح ويعكس مدى غياب التصحاح الحديث عن كثير من الحيوات الإفريقية فى أماكن كثيرة، والمقصود هنا هو "السعادة الغامرة". (المترجم)

كان الحاج السير أبو بكر قد وسع رسميًا أسس مصادره المعلوماتية، وجرَّد عن وعى بعضًا من النقاد المعادين البريطانيين والعالم الأول من أسلحتهم بأن عين السيد كنجسلى أوزمبا مبادوى ليكون له مستشارًا للشئون الإفريقية، لكن الرجل أفصح عن رأيه للصحفيين البريطانيين بأن أوروبا لم تقسم إفريقيا - وأنها وحَّدت القرى الصغيرة وجعلت منها أمة. وبعد رفع الحظر عن حقوق النقل الفرنسية، قدم أبو بكر المؤتمر إلى مستمعى الإذاعة النيجيرية بوصفه نجاحًا لحكومته الفيدرالية، التى قال عنها، إن سياستها تحظى بالمساندة الدولية، لم يكن الهدف من مؤتمر منروفيا هو تسوية أى خلاف من الخلافات، وإنما خلق الجو المناسب للتعاون فى المصالح السياسية، والاقتصادية، والثقافية والعلمية:

فيما يتعلق بتباين تلك الدول الخمسة والعشرين، والمسافات الهائلة التى تفصل البعض منا عن البعض الآخر، فأنا أرى أن الأمر كان مدهشًا بحق عندما توصلنا إلى الاتفاق بلا مصاعب على مجموعة كبيرة من الموضوعات المتباينة..... ونحن يتعين علينا وضع حد لهذه العزلة الثقافية، لأننا عندما نفهم ثقافة الأمم الإفريقية الأخرى، سيكون فهمنا أفضل لشعوب تلك الحضارات.... تحسين المواصلات أمر جد مهم.... واتفقنا جميعًا على أن يقوم كل بلد من البلدان بتشجيع تعليم اللغتين الفرنسية والإنجليزية، مثل اللغات الوطنية أو الرسمية لهذه البلدان، حتى يُسَهِّل ذلك عملية تبادل الأفكار.... أنا بوسعى التحدث عبر الهاتف إلى المفوض النيجيرى السامى فى لندن، أو إلى الممثلين النيجيريين فى الأمم المتحدة فى نيويورك، لكنى لا أستطيع التحدث عبر الهاتف مع صديقى سلفانتوس أوليمبيو، على الرغم من أنه يعيش على بعد حوالى مائة ميل عنى فى لومى

Lome ... وهذا أمـر ينطبق على وسـائل المواصـلات والاتصـال الأخرى.

وفيما يتعلق باختبارات القنابل الذرية فى الصحراء الكبرى قال أبو بكر: **"أنا سعيد أشد السعادة فيما يتعلق بهذا البند، وأنا على يقين بأن الانتظار إلى حين انعقاد هذا المؤتمر كان أمرًا طيبًا، وذلك حتى نتمكن من التوصل إلى سياسة متفق عليها تجاه هذا الاختبارات"**. وكان لأبى بكر عن المساواة ووحدة الأراضى وقدسيتها تعليق شخصى يقول: **"من المهم أيضًا أن تمتنع كل دولة من الدول عن التدخل الصريح السافر، أو السرى فى الشئون الداخلية لأية دولة من الدول الأخرى. هذا المبدأ، إذا لم يجر الالتزام به التزامًا صارمًا، فلن يكون هناك تقدم حقيقى أو تعاون حقيقى...... منروفيا لم تكن سوى بداية فقط،.... [سوف] يسعدنا الترحيب بالمشاركين هنا فى ليجوس كيما نواصل ما اتفقنا عليه..... [سوف] نسعدإذا ما قرر أولئك الذين لم يحضروا هذا المؤتمر، قبول الدعوة للمجىء إلى ليجوس"**. بعد ذلك بفترة قصيرة، وأثناء اجتماع المسئولين والخبراء فى داكار لصياغة المقترحات المطلوبة لتنفيذ القرارات، فَنَّد أبو بكر تفنيداً شديداً ترديد أولوو لما يقوله المنتقدون الصحفيون والغانيون، الذين يزعمون أن مؤتمر منورفيا، إن لم يكن بالفعل، فعن طريق الإيحاء، من قبل الدول الغربية، قال أبو بكر: بصرف النظر عن اللعنة الكبرى، جاء هذا الزعم ظالمـًا للإسهام الشخصى الكبير الذى قام به الرئيس تبمان، صديقى العزيز، فى تنظيم المؤتمر وإنجاحه. ولم يمنع ذلك الرئيس أولوو من مناشدة أبى بكر أن يعمل على ربط نيجيريا "بالاتحاد" الغانى الغينى المالى.

استسلم الحاج السير أبو بكر فى شهر يوليو من العام ١٩٦١ الميلادى للواقع ولكثير من الضغوط الرسمية والسياسية، وعين وزيرًا كبيرًا مستقلاً للشئون الخارجية وعلاقات الكمنولث. كانت مهام السيد جاجا واشوكو فى الأمم المتحدة وفى "المصالحة" فى الكنغو، فضلاً عن معرفته الجيدة والواضحة بالشئون الدولية، قد رفعت قامة هذا

الرجل خارج نيجيريا، لكنها لم تسمح له بالاهتمام بوزارة التنمية الاقتصادية (التى خلفه فيها وزير الصحة المُعَلِّم وزيرى إبراهيم، الذى حله محله هو الآخر الدكتور ماجيكودونمى الذى كان يحمل حقيبة الجيش، طبقًا لما وعد به أبو بكر فى الأيام الأخيرة من الاستعمار). لم يكن واشوكو من الأصدقاء المقربين إلى بريطانيا وإلى مسئوليها فى فترة ما قبل الاستقلال، فقد تشاجر مع جرى Grey حول مسألة نجرنة الخدمة المدنية، وهو لا يزال إلى الآن غير مرتاح إلى ستالارد Stallard. كان الاستقلال الوزارى هو وترقية المنسق ستالارد، من أسباب جعل الرجل حرًا فى اتباع خط ليبرالى حر فى الشئون الخارجية مثل الخط الشخصى الذى يسير عليه هو، مع احترامه لأبى بكر وإبلاغه بما يقوم به، لكنه لم يكن يستشير أبا بكر فى كل الأحيان. يضاف إلى ذلك أن حب واشوكو للقراءة والاطلاع جعله يشارك رئيس الوزراء إدراكه للجوانب التاريخية والقانونية فى الاختلافات الدولية العرقية، وقد أدى ذلك إلى عدم ذيوع صيت هذا الرجل بين أولئك الذين بنوا سياساتهم على العواطف أو على الاقتصاديات الاجتماعية. كان واشوكو يؤيد بشده آراء أبى بكر الخاصة بحتمية مساهمة إفريقيا فى تحمل المسئولية العالمية، وتحمل مسئولية الأفارقة الذين يتعاملون مع الشئون الإفريقية، وعدم التجرؤ على القيام بدور القيادة، أو التحدث باسم إفريقيا كلها.

مضى استعداد المسئولين لعقد المؤتمر المنتظر فى هدوء وبصورة مستمرة، لكن مبادرات الزعماء السياسيين لم تبدأ فى الظهور إلى العلن إلا فى أواخر العام ١٩٦١ الميلادى. قام الحاج السير أبو بكر بزيارة إلى السير ملتون مارجاى فى فريتون فى مطلع شهر ديسمبر، عندما أنهى الأخير انشغاله بالزيارة التى كانت صاحبة الجلالة ستقوم بها إلى بلاده، ثم سافر بعد ذلك إلى كوناكرى فى غينيا. وتطلعًا من الرجل إلى إقناع نيكروما بالاستجابة، قام بإبلاغ الصحافة الغانية فى تاكورادى أنه ليس هناك خلاف جوهرى بين دول الدار البيضاء ودول منروفيا، وأنه يتطلع إلى اجتماع المجموعتين لمناقشة المشكلات المشتركة بينهما. قام السير ملتون برحلاته الاستطلاعية

إلى كل من برازافيل ودارس السلام. أما أبو بكر فقد أصر من جانبه أنه كان يركز على أهمية الإكثار من تبادل الزيارات والاتصالات الشخصية بين الزعماء السود؛ لتقوية التفاهم. قام أبو بكر هو وسيكوتورى، وهما أخوان فى الإسلام على الرغم من أن الغينى كان أكثر ميلاً إلى الاشتراكية الدنيوية، بإصدار إعلان مُسَكِّن عن إيمانهما العميق بالمبادئ الديمقراطية، وأن الرجلين كانا مصممين على رفع مستوى معيشة شعبيهما، وأنهما بحاجة إلى التعاون، باعتباره مطلبًا أساسيًا للوحدة السياسية. يزاد على ذلك أن الطابع الفرنسى يمكن الوقوف عليه فى الإشارة إلى "العناصر الضرورية" التى تحتم وتضبط النمو السلمى والمنسجم للدول الفتية"، والوقوف أيضًا على نكهة محبة إنجلترا أو الإنجليز فى الخلطة اللازمة لهذا الجوهر "تصفية الاستعمار، والاحترام المتبادل للسيادة، وعدم التدخل فى شئون الغير الداخلية، والتعاون الصادق فى ظل المساواة الكاملة والتبادلية الكاملة بغض النظر عن الكبير أو الصغير". كان سيكوتورى لا يزال يظن أن زعماء منروفيا تجاهلوا الخلافات الجوهرية فى الرأى لصالح التعميمات الغامضة. كان سيكوتورى يتطلع إلى سريان المواصلات الخطية والسلكية والبريدية بين غينيا ونيجيريا.

كانت كل هذه التحركات الأمامية والخلفية ترمى فى المقام الأول إلى حشد التأييد لمجموعة منروفيا قبل انعقاد المؤتمر الذى تحدد موعد انعقاده باليوم الخامس والعشرين من شهر يناير من العام ١٩٦٢، استجابة للدعوات التى وجهت لحضور ذلك الاجتماع. وقد طُلب إلى رؤساء الدول كلهم، بما فى ذلك تنجانيقا التى حصلت على الاستقلال منذ وقت قريب، كما طلب أيضًا من وزراء خارجية هؤلاء الرؤساء حضور اجتماع مبدئى قبل الاجتماع الرسمى بحوالى يومين. ويبدو أن السيد جاجا واشوكو، الذى أشرف على توجيه الدعوات باسم الأعضاء الآخرين، لم يكن يتوقع ردود الفعل على عدم توجيه الدعوى إلى الحكومة الجزائرية المؤقتة، التى كانت مدرجة ضمن الدول الإفريقية الثمانية المستقلة ومنظمة كل الشعوب الإفريقية، وضمن قوائم "الدار البيضاء" الرسمية

والصحفية، هذا فى الوقت الذى كان فيه الحاج السير أبو بكر قد تعود بالفعل على اجتماعات رؤساء وزراء الكمنولث التى يعد الاستقلال الكامل مطلبًا أساسيًا من مطالبها (وكانت روديسيا هى الاستثناء الشاذ الوحيد الذى ثَبَّت هذه القاعدة بشكل أو آخر)، دون الإساءة إلى أولئك الذين كانوا ينتظرون السماح لهم بالحضور، لكن ذلك لم يتسن لهم بعد، وإذا كان أبو بكر قد اعترض على هذا المبدأ، فإن ذلك الاعتراض لم يكن بسبب القومية العربية وإنما بسبب الطرق والأساليب التى لجأ إليها أنصار هذه القومية. كان بوسع ساحل العاج هو ودول الاتحاد الأفرو - ملجاشى الاعتذار عن الحضور لأسباب قوية تتعلق بعدم رغبة هذه الدول فى إغضاب فرنسا، لكن مجموعة "الدار البيضاء" ألقت باللوم على نيجيريا لأنها فشلت فى استخدام وزنها وثقلها.

كانت الدول الأعضاء فى الاتحاد الأفرو- ملجاشى الناطق بالفرنسية قد اجتمعت فى أول الأمر فى كوتونو Cotonou، ثم فى ميناء داهومى، ثم انتقلت ككتلة واحدة عبر طريق البر لتصل إلى ليجوس فى شهر يناير من العام ١٩٦٢ الميلادى لحضور اجتماع وزراء الخارجية. والمرجح أن ذهن أبى بكر كان مركزًا على أفكار ستانلى وى wey الخاصة بإدخال الفرنسيين ليكونوا فى الأراضى المتداخلة فى غرب إفريقيا، بدلاً من توحيد العناصر المبعثرة فى كل من الدار البيضاء ومنروفيا. عند هذا الحد أصبح واضحًا أن أعضاء الدار البيضاء "الخمسة" الرئيسيين لن يحضروا الاجتماع، فضلاً أيضًا عن عدم حضور كل من تونس وليبيا، بسبب غياب الحكومة الجزائرية المؤقتة عن الاجتماع من ناحية، وبسبب أن مجموعة منروفيا كانت لا تزال يُنْظَرُ إليها على أنها رد فعل رجعى للمقاتلين من الناحية الأخرى. حضرت السنغال فى وقت متأخر، لكنها تقدمت بصيغة لإنقاذ الموقف، كانت هذه الصيغة تحتم الطلب إلى كل المتغيبين والجزائريين الانضمام إلى مؤتمر وزراء الخارجية، الذى يتعين تمديده ليتداخل مع اجتماع رؤساء الحكومات، إذا ما وافق الرؤساء على هذه الفكرة. هذا فى حال بقاء السواد الأعظم من دول مجموعة الدار البيضاء بعيدًا عن حضور المؤتمر. أما المؤتمر

الحزبى الذى عُقِد فى أكرا وكان نيكروما المتحدث الرسمى فيه، فقد قرر على انفراد أن ميثاقى المجموعتين يتعين التوفيق بينهما فى بداية الأمر، وأن الدعوى يجب أن تكون صادرة بموافقة الكتلتين، لكن الأعذار الرسمية التى ساقها ذلك الاجتماع كان مفادها أن الكتلتين لم يجر استشارتهما بشأن مؤتمر ليجوس وجدول أعماله، وأن الجزائريين كان لابد من دعوتهم فيما يعد مرحلة حرجة من مراحل كفاحهم من أجل الاستمرار السياسى والاستقلال الوطنى. ويبدو أن مسألة إنهاء المعاهدة الدفاعية المطمورة بين نيجيريا وبريطانيا (والتى سنتناولها فى الفصل السادس والثلاثين) لم تؤت أكلها فى الربط بين هاتين الكتلتين.

وعلى الرغم من ذلك كله، كانت هناك عشرون دولة، من أصل ثمانية وعشرين دولة إفريقية مستقلة، ممثلة فى هذا المؤتمر - كان من بينها ستة عشر دولة ممثلين تمثيلاً كاملاً برؤساء الدول أو رؤساء الوزراء (من بينهم آدولا ممثلاً لجمهورية الكنغو الديمقراطية، الذى أدى وصوله، بعد المقدمات المترددة إلى زيادة ثقة بعض الممثلين المترددين فى أهمية الاجتماع). اعترف العالم بأهمية مؤتمر ليجوس ومضيفه، كما بدأت أقلية مجموعة الدار البيضاء الأعلى صوتًا تولى المؤتمر اهتمامًا كبيرًا فى نهاية المطاف. وجاء حضور المغرب فى ذلك المؤتمر فى مراحله الأولية بمثابة إنجاز كبير، وذلك على العكس من التوقعات، نظرًا لأن رفض المغرب دعوة موريتانيا لحضور المؤتمر الذى عقد مؤخرًا فى الرباط حول الإذاعة قد أدى إلى انهيار ذلك المؤتمر. كان خمسة من وزراء خارجية كتلة الدار البيضاء (مصر، غانا، غينيا، ومالى والمغرب) قد استجابوا ووافقوا على صيغة الحل الوسط التى تقدمت بها السنغال، لكن هذه الدول لم تشارك فى الجلسة الرئيسية، مثلما فعلت كل من تونس، وليبيا، والسودان (الذى اتفق مع هذه الدول فى المسألة الجزائرية). وقد أُحبطت مشاركة تنجانيقا الفعالة عن طريق انسحاب جوليوس نيريرى المؤقت من السياسة الحكومية حتى يمكن له تنظيم حزبه. كان الجميع يعرفون الحل الذى اقترحه نيريرى للكارثة الجزائرية، لكن أبا بكر نحّى

ذلك الحل جانبًا عن طريق تجاهله، ومن باب إحداث نوع من التكافؤ بين القومية والدولية لجأ نيريرى إلى التناقض الظاهرى بأن أعلن أن الدولة القومية national الإفريقية هى أداة لتوحيد إفريقيا وليست أداة لتقسيمها، وعلق الرجل بما مفاده أن القومية الإفريقية تعد شيئًا لا معنى له، وأن هذا الشىء خطير وليس هذا وقته أو موعده، هذا إن لم يكن ذلك أيضًا مثيلاً لحركة الجامعة الإفريقية. يزاد على ذلك أن الدكتور نيكروما ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما أعلن أن كتلتى "الدار البيضاء" و "منروفيا" كانتا متفقتين فى الرغبة، بل وعلى حتمية الوحدة الإفريقية، الأمر الذى أدى إلى مضى المؤتمر قدماً إلى حد ما.

كان أصحاب المقام الرفيع قد جرى استقبالهم استقبالاً حافلاً، إذ كان جنود حرس الشرف يرتدون زيهم المميز الذى كانوا يرتدونه قبل الاستقلال (الواقع أنه قبل الحرب)، والمزود بتجهيزات احتفائيه، وقد تعجب بعض من الضيوف شديدى الحساسية لوجود ضابط أو ضابطين من ضباط الأركان الإنجليز فى ذلك العرض والاستقبال. احتار ذلك العدد القليل من ممثلى تكتل الدار البيضاء هم وممثلوا الاتحاد الأفرو- ملجاشى عندما اقترح الحاكم العام الدكتور آزكوى، الذى كانوا ينظرون إليه باعتباره رئيسًا للدولة Chef d'etat، شرب نخب الولاء للملكة فى هذه المناسبة الرسمية ("الملكة؟ La reine? ملكة إنجلترا؟ ?d'Angleterre). كان من الصعب على هؤلاء الممثلين بصفتهم غرباء على الكمنولث تخيل ملكة نيجيريا أو تصورها. كان الخطاب الافتتاحى الذى ألقاه آزكوى فى المؤتمر يفتقر إلى حرص نائب الملكة. فقد أصر الرجل على إبراز مسألة عدم حضور كتلة الدار البيضاء مؤتمر منروفيا، وراح الرجل يكرر ويعيد تحركات أعضاء هذه الكتلة عشية اجتماع مؤتمر ليجوس. وأكد آزكوى، أنه على الرغم من وجود نقاط جديدة جرت الموافقة عليها شفاهة، فإن الكتلتين لا يزال بينهما خلاف أيدولوجى (عقدى) أساسى، لم تكن كتلة الدار البيضاء قد أعلنت بصورة واضحة قبولها لمبادئ مؤتمر منروفيا عن المساواة القانونية الكاملة بين الدول الضعيفة، وحق

تقرير المصير بغض النظر عن حجم المطالبين به، وحق التحرر من التخريب الداخلى بواسطة الأصدقاء المزعومين، وحق عدم الانتهاك عن طريق العدوان الخارجى، وأن الأمر يحتاج إلى شىء أكثر من الكلام الكاذب من باب تملق ميثاق الأمم المتحدة، ويبدو وكأنه يضمن هذه الحقوق. وعندما راح أزكوى يتكلم بلغته القوية وبصفته أحد مؤيدى الجامعة الإفريقية، لجأ إلى استعمال الحجج والأدلة التى كان يستعملها كل من الحاج السير أبى بكر وجاجا واشوكو وزير الخارجية. جاء كلام الرجل مثل القفاز الواقى الذى جرى التخلص منه بطريقة غاضبة.

ألقى الحاج السير أبو بكر خطبة بعد تناول الغداء، على المندوبين لخص فيها رأيه، الذى بدأ يحظى بموافقة المستمعين، مثلما سبق أن وافق عليه مضيفوه أثناء سفره:

> **حبا (الله) إفريقيا بحضاراتها القديمة، وعلى امتداد قرون طويلة، بموروثات ثقافية ثرية، تهيئ لها الترابط الاجتماعى اللازم للتنمية الاقتصادية والسياسية. لكن إفريقيا اليوم تواجه تهديدات وأخطار متباينة.... ويحضرنى هنا بصفة خاصة خطر الاستغلال الاقتصادى من قبل القوى (الدول) الخارجية..... ونحن إذا ما شاركنا بعضنا بعضًا الحكمة، والرؤية والخبرة والتجربة، فلن يتطرق الشك مطلقًا إلى قدرتنا على تحويل نكسات الماضى إلى مزايا عظيمة فى المستقبل. يجب أن نكون مستعدين بروح الحب الأخوى الإفريقى الصادق، للتسليم بحق الآخر فى الإعراب عن وجهة نظره وأن نتيح له ميزة الشك، يجب أن نبعد القسوة عن أذهاننا، وأن ننسى جراح الماضى ومرارته.**

وأنا أورد هنا بعضًا من مصادر قوتنا التى تعمل لصالحنا ومصلحتنا:

١ – تجربة تاريخية مشتركة بفعل التأثير الأوروبى الغربى.

٢ – تراث ثقافى متشابه فى الفن والحرف، لا يقل عن القيم الاجتماعية والقيم الثقافية.

٣ – استعداد للترحيب بالأفكار الجديدة واستيعابها، ورغبة قوية فى التقدم، وإيمان عميق بكفاية وكفاءته الجهد البشرى،

٤ – صدق وصراحة فطرية يرتبطان بإحساس قوى بالعدل والإنصاف.

٥ – القدرة على المحافظة والالتزام بالشروط الصعبة حتى وإن وصل ذلك إلى حد استخدام العنف والقسوة.

٦ – وفوق ذلك كله، إحساس غير مسئول بالفكاهة والمرح، والإحسان والأمل.

ونحن إذا ما ركزنا على هذه الروابط المشتركة للأخوة والكيان الاجتماعى، سنكون أكثر استعدادًا وجاهزية فى محاولاتنا المشتركة لإحياء كل ما هو خير فى إفريقيا".

لم يؤد ذلك إلى إنهاء تفاخر كتلة الدار البيضاء، لكنه جاء بمثابة عزف على الأوتار التى انسجمت مع أفكار أصدقاء بلده القدامى الذين كانوا لا يزالون يعتقدون أن إفريقيا يمكن أن تهتز فى غياب الكراهية والحقد. وفى مناسبة أخرى ركز أبو بكر على الهدف المحدد "للعام ١٩٧٠"، باعتبار ذلك العام عام إنهاء الاستعمار فى إفريقيا، وهذه فكرة، تسببت كما سنرى فيما بعد، فى كثير من الجدل فى منتدى الأمم المتحدة، وبالتالى جرى إسقاط هذه الفكرة تمامًا، دون تجريد واشوكو من ملكيتها.

قد يكون مؤتمر ليجوس ومؤتمر منروفيا قد فشلا فى تحقيق الوحدة الإفريقية العاجلة، لكن هذين المؤتمرين تبنا ميثاقًا منقحًا لتنظيم إفريقى ملجاشى، تحدد له

أصلاً أن يكون مكونًا من دول وليس من شعوب. وجاء ذلك أيضًا بمثابة تحرك متحفظ في اتجاه التعاون، بدون تكامل، من خلال مجلس تعليمي وثقافي، ومنظمة للصحة، والتغذية، والعمل، والشئون الاجتماعية، ومختلف الالتزامات الخاصة بالاقتصاد، والسياسة والدبلوماسية، جاء ذلك كله نتيجة لعمل اللجنة التي ترأسها النائب العام النيجيري الدكتور تي أو إلياس. واتُّفِق أيضًا على إقامة الدفاعات للمحافظة على وحدة الأراضي. واتفق أيضًا على أن تكون هناك سكرتارية عامة تضم جماعة ممثلة لرؤساء الدول والحكومات ويجري تغييرها كل عامين، واتفق أيضًا على انعقاد مجلس وزراء الخارجية كل عام، وإنشاء اتحاد أفرو – ملجاشي للتعاون الاقتصادي والتنمية، كما اتفق أيضًا على تشكيل لجنة دائمة للمصالحة لتسوية المنازعات. كما صدرت أيضًا قرارات لصالح إنشاء بنك إفريقي للتنمية، وصندوق خاص لضمان الاستثمار. واتفق أيضًا على أن تكون اللغتان الفرنسية والإنجليزية هما اللغتان الرسميتان، على أن يتم خلال ثلاثة أشهر عقد اجتماع لوضع مشروع الاتفاقيات المطلوبة وبدء التنفيذ. واتفق على أن يكون صدور القرارات بالأغلبية البسيطة أو بأغلبية الثلثين. واتفق أيضًا على أن يصبح الميثاق ساري المفعول بعد ثلاثين يومًا من توقيع ثلثي الأعضاء عليه وإقراره. ولم يُنَص على فرض عقوبات على من يتخلفون عن التوقيع.

كان الجهد المبذول طيبًا وجاء انعكاسًا لفلسفة الحاج السير أبي بكر تافاوا باليوا وجهوده. وإذا كان النقاد يظنون أنه كان هناك شيء من التردد في تحاشي الجدل الواضح، فإن الباب تُرك مفتوحًا لانضمام كتلة الدار البيضاء إلى هذا المؤتمر بغض النظر عن التأخر عنه. كما اعترف الحاضرون كلهم باستثناء الصومال أن تعاطفهم مع الثوار الجزائريين لم يرغم الحكومة المؤقتة على المشاركة قانونيًا وبطريقة فاعلة كدولة ذات سيادة. لم تجر الإشارة رسميًا في المؤتمر إلى القرار النيجيري المثير للجدل في الأمم المتحدة، والذي كان يطالب باستقلال باقي المستعمرات الإفريقية بحلول العام ١٩٧٠ الميلادي، على الرغم من النصيحة التي قدمها الرئيس تسيرانانا Tsiranana،

رئيس ملجاشي، ووجه فيها بالتزام الحيطة والحذر، مخافة أن يؤدى الحصول على الحرية قبل أوانها إلى تكرار تلك الفوضى التى حدثت فى الكنغو. ومع ذلك ركز راديكاليو المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين ومعهم حزب جماعة العمل، ومؤتمرات نقابات العمال، والتجمعات الطلابية على "الخطأ الفاضح" الذى تمثل فى عدم توجيه الدعوة إلى الجزائريين. وفى غانا حصل الخطاب الذى ألقاه الدكتور آزكوى على أكبر قدر من التعليق، فقد ادعى مكتب الحزب الشيوعى للشئون الإفريقية أن ذلك الخطاب جرت صياغته فى لندن. وتعمق السب الصحفى بين ليجوس وأكرا، مما وسَّع الهوة بين البلدين، ومن ثم زيادة الفجوة بين كتلة الدار البيضاء، وكتلة منروفيا.

فى ظل هذا التوتر، وجه المغرب دعوة إلى الحاج السير أبى بكر لزيارة المغرب، وأثنى أبو بكر بدوره على سيكوتورى لمحاولته التوفيق بين التكتلين. وعندئذ طار الرئيس أوليمبيو رئيس توجو مرة ثانية، حاملاً معه مشروع اتحاد بنين"، الذى يضم كلاً من نيجيريا، وداهومى، وتوجو، واحتمال أن يمتد ليشمل غانا. استمع الحاضرون إلى واشوكو وأولوه مساندة قوية، لكن أبا بكر كان أكثر تحوطًا: إذ كان الرجل معارضًا لكل ما له علاقة بالاتحاد الغانى - الغينى المالى، الذى **"لا يوجد سوى فى أكرا"**. ومع ذلك كان أبو بكر على استعداد للتفاوض من أجل عقد اتفاق بشأن الجمارك المشتركة مع داهومى، وتعيين نقاط جمركية متقابلة على جانبى الحدود، وأن يكون هناك ضباط اتصال لمنع التهريب عبر الحدود.

ظل الديبلوماسيون المبتدئون يعملون طوال الجزء المتبقى من العام ١٩٦٢ بطرقهم المبدئية الواضحة استعداداً للمرحلة التالية، فى حين كان رؤسائهم السياسيون يتمتعون بمباهج التنقلات عن طريق الطيران الحكومى. ولم يحدث أن نُفِّذ ميثاق ليجوس قط. عند هذه المرحلة ترك الحاج السير أبو بكر كل تصريحاته البرلمانية والقسم الأكبر من تعليقاته العامة على الشئون الخارجية لوزير خارجيته، لكن وجود الرجل فى خلفية الصورة كان له تأثير كبير. كان من بين تصريحات أبى بكر الخاصة

فى ذلك الوقت التصريح الذى يقول: **"نيجيريا كبيرة بما فيه الكفاية، وليست بحاجة إلى الانضمام إلى الآخرين، لكن إن أراد الآخرون الانضمام إلى نيجيريا، فإن موقفهم سيجرى توضيحه لهم فى الاتحاد الذى سيكون من هذا القبيل"**، وهناك تصريح آخر، **"كثير من الدول الصغيرة تحيا حياة حرة، فما هو السبب فى حتمية اتحاد الدول الإفريقية مع بعضها البعض؟ من حق هذه الدول أن تتحد إذا ما رغبت شعوبها فى ذلك - لكن دول الجامعة الإفريقية ليست لهذا الجيل"**. وأسفرت الإشارة غير المباشرة إلى السوق الأوروبية المشتركة عن العبارة التالية "السوق الإفريقية المشتركة سوف تحل الكثير من أوجاعنا". وسيكون من بين مهام هذه السوق الإفريقية المشتركة مسألة تسريع تنميتنا الصناعية، وحماية الصادرات الإفريقية وتعزيز الأرصدة المخصصة للتنمية.

فى العام ١٩٦٣ الميلادى جاء مؤتمر أديس أبابا بمثابة الفرصة الكبيرة التى تهيأت لصياغة ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية. وعندما أصبحت هذه المنظمة أمرًا لا مفر منه كان أبو بكر أكثر اقتناعًا من ذى قبل أن الدِّنية الفكرية فى الشئون القارية لا طائل من ورائها، وذلك بغض النظر عن حدة التعرض للتقلبات الانفعالية والعاطفية. أحس وزير خارجيته المبتدئ، مثل رئيس الوزراء الذى كان يود تحويل الاتحاد المتشاحن إلى بلد واحد من النيجيريين، الذى اعترف فيه أبو بكر هو ومستشاره السياسى أن دور الرجل كان "تذكاريًا"، أحس أكثر من ذى قبل أن يود أنه يرى إفريقيا موحدة – لكن على شكل رفقة فردية. كان أبو بكر يتحرق شوقًا لرؤية إفريقيا، وهى تخطو خطوات عملية من خلال عصبة مشتركة من التعاون الثقافى والعلمى والاقتصادى، وأن يحفر ذلك التعاون صورته فى السياسة الدولية. كانت نهاية نظرة الدول الغربية إلى إفريقيا باعتبارها مجرد مصدر من مصادر المواد الخام، قد بدأت تلوح فى الأفق، وأصبح الرجل يتطلع إلى أساس يبنى عليه الأفارقة اقتصادهم ويضعون اقتصادياتهم، مثلما فعل الأوربيون ذات يوم فى أوروبا. لم يكن لدى أبى بكر

متسع من الوقت للاستماع إلى بلاغة الدكتور نيكروما الذى رفض التقانة الحديثة باعتبارها مصدراً من مصادر إعادة الاستعباد المادى. لم يقلق أبو بكر من استمرار العالم الخارجى فى النظر إلى أيدولوجيى القارة ومقعقعى سيوفها بحثًا عن مفاتيح دافع الزعامة. واقع الأمر أن أبا بكر كان يتولى القيادة على هدى من البراجماتية والإقناع (وليس من منطلق رد الفعل) ومن خلال وزرائه أيضًا ودبلوماسييه فى وزارة الخارجية فى ليجوس. وفيما يتعلق بغينيا ومالى، كان بعض المراقبين من خارج إفريقيا يلاحظون فى هذين البلدين أنه على الرغم من عدم انحيازهما من الناحية الشكلية وإشاراتهما المتبادلة إلى الصداقة مع "العالم الثانى"، فإن الدول الغربية هى التى كانت تقدم المزيد لهاتين الدولتين عن طريق التجارة، والمساعدات السلمية والاستثمار الراسمالى، يضاف إلى ذلك أن الاتحاد الأفرو- ملجاشى الذى انسلخت عنه كل من غينيا ومالى، كان بمثابة أكفأ التجمعات الإفريقية بحكم اجتماعاته الدورية، وسيطرته الفاعلة على السكرتارية، ووكالته التعاونية الاقتصادية الخاصة به، ووكالته السياحية، وخطه الجوى، واتفاقه الدفاعى، وجماعته الدبلوماسية المترابطة لدى الأمم المتحدة. فى ذلك الوقت كانت مشكلة الجزائر قد حلَّت عندما أعلن ديجول استقلالها، كما فقد الخلاف الذى كان بين الاتحاد الأفرد – ملجاشى وتكتل الدار البيضاء مغزاه حول الوسائل المشتركة فى شمال إفريقيا. وبالمقارنة اتضح أن الدول الناطقة بالإنجليزية كانت تفتقر تماماً إلى الاتفاق والتوافق المتبادل فيما بينها.

وجه الإمبراطور هيلاسلاسى، رئيس الدولة المضيفة الدعوات فى شهر أبريل من العام ١٩٦٣ الميلادى، ووصلت الدعوات إلى رؤساء الدول الإفريقية المستقلة كلها ودول الاتحاد الأفرو- ملجاشى (باستثناء جنوب إفريقيا)، وكانت تلك الدعوات تطلب من رؤساء الدول حضور اجتماع القمة الذى سيعقد فى الشهر التالى فى مقر اللجنة الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة والخاصة بإفريقيا، فى أديس أبابا. وبعد عام من العمل الشاق وراء الكواليس اتضح ولأول مرة أن التجمعات المتنافسة اعتباراً من

مؤتمر أكرا الذى عقد فى العام ١٩٥٨ الميلادى أصبحت مؤتلفة رسميًا مع بعضها البعض. وأقحم الدكتور نيكروما على اجتماع وزراء الخارجية المبدئى فى اليوم الخامس عشر من شهر مايو عرضًا حول إنشاء "حكومة اتحادية لإفريقيا"، كان الدكتور نيكروما قد أرسل ممثلاً، بلا دعوة، لمناقشة مسودة أو مشروع هذه الحكومة مع الحاج السير أبى بكر قبل ذلك بشهرين، ومعروف أن أبا بكر لم يكن مهتمًا بهذا الأمر. كان مشروع هذه الحكومة يُصَوِّر إفريقيا على أنها موحدة بفعل سياسة خارجية مشتركة ومنظومة دفاعية مشتركة، وخدمة دبلوماسية مشتركة، وخطة قارية صناعية - اقتصادية، وعمله موحدة، وسياسة نقدية مشتركة وبنك مركزى، "على هدى من الخطوط المتبعة فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية" (وربما يكون الرجل قد قارن هذه الحكومة بأحلام ملنر فيما قبل العام ١٩١٤ بالنسبة للإمبراطورية البريطانية، أو أحلام مونية Monnet بالنسبة لأوروبا). وقام نيكروما بإرسال هذا العرض على شكل رسالة شخصية دورية إلى رؤساء الحكومات كلهم، الذين طالبوهم أيضًا بوكالة سياسية مركزية مكونة من مجلسين، وحذر نيكروما من تسلموا هذه الرسالة من أى بديل آخر قد يعنى فشل المؤتمر. وتمثلت النتيجة العاجلة فى رفض سيكوتورى لذلك العرض من منطلق أن ذلك يعد تعبيرًا واضحًا على تطوير مطامح نيكروما الشخصية، وبعد ذلك بأيام قلائل أعلن سيكوتورى عن حل الاتحاد الغانى - الغينيى المالى.

كانت توجو هى الدولة الوحيدة التى غابت عن مراسم الافتتاح فى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو، كانت نيجيريا بدعم من غينيا قد اعترضت على حضور رئيسها نيكولاس Nicolas جرونتزكى، نظرًا لأن التحريات العامة فى مقتل سلفه أم سلفانوس أوليمبيو فى شهر يناير من العام ١٩٦٣ لم تقنع الناس بشرعية حكومته. كان أبو بكر قد أخذ مسألة اغتيال أوليمبيو مأخذًا شخصيًا، وأصر على إظهار الحق وأن تأخذ العدالة مجراها قبل أن يهدأ باله ويرتاح، كانت تلك هى الحادثة الوحيدة من

أحداث ما وراء البحار التى وخزت ضمير الرجل وجعلته يتخذ إجراء يمكن وصفه على أنه تدخل فى شئون دولة أخرى، أو بالأحرى حكومة الأمر الواقع، والشئون الداخلية. ورفض ملك المغرب هو الآخر حضور المؤتمر لأنه كان لا يزال غير معترف بالرئيس الموريتانى رئيسًا للدولة، وعلى الرغم من مناشدة الحاج السير أبى بكر له شخصيًا بالحضور فإن وفد بلاده انسحب قبل بداية أعمال المؤتمر.

أعرب رئيس جمهورية الصومال عن شىء من حسن النية، وكان الرجل قد أصر مرارًا وتكرارًا على النزاع مع إثيوبيا حول مزاعم حول الأرض فى كل كينيا والصومال الفرنسى، وهنا قام أكليلو هبتا ـ وُلد، رئيس وزراء إثيوبيا بلفت انتباه المؤتمر بأن أوضح قائلاً: "إذا ما قدِّر لنا أن يفيد رسم خريطة إفريقيا على أساس من الدين، والعرق واللغة، فأنا أخشى أن تزول دول كثيرة من الوجود". وهنا أردف موديبو كيتا رئيس مالى قائلاً: "لقد قسم النظام الاستعمارى إفريقيا، لكنه سمح بميلاد الدول – وعليه لابد من احترام الحدود الحالية، ولابد من مراعاة سيادة كل دولة من الدول واحترامها عن طريق تحالف بعدم العدوان متعدد الجوانب". هذان التصريحان ربما يكون أبو بكر تافاوا باليوا هو الذى كتب مسودتهما وصرح بهما. فى هذه المرة كان ممثلوا الدول المُسْتَعْمره (كينيا، وروديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية، ونياسلند ودول أخرى) "وحركات التحرير" حاضرين أيضًا، وكانت الدعوى قد وجهت إليهم ليقدموا تقريرًا رسميًا بوصفهم لجنة استشارية. وأنذر الإمبراطور هيلاسلاسى فى خطابه الافتتاحى، وهو يحاول توضيح التحدى الذى سيواجههم به التاريخ فى المستقبل:

"قد يكون الأمر أسوأ من الغباء لو أننا حاولنا إضعاف التنظيم الفعال الموجود فى أيامنا هذه والمتمثل فى [منظمة الأمم المتحدة"]. ألقت أربعة موضوعات أخرى بظلالها على بقية الأعضاء الآخرين طوال أيام العمل الثلاثة. أول هذه الموضوعات هو حق توجو فى حضور المؤتمر ممثلة فى شخص جرونتزكى Grunitzky الذى أحبط إحباطًا شديدًا، والمعروف أن هذا الموضوع لم يبت فيه، بسبب اعتراض كل من الحاج السير أبى بكر

هو وسيكوتورى على ذلك الحضور. الموضوع الثانى كان فى مجال التنمية والتعاون الاقتصادى الإقليمى، والذى نجم عنه مجموعة من القرارات الشبيهة بمقترحات نيكروما: أوصت تلك القرارات بحتمية تشكيل لجان أو مجموعات دراسية بالتعاون مع اللجنة الاقتصادية الإفريقية التابعة للأمم المتحدة، وتكون مهمتها النظر فى إمكانية إقامة منطقة تجارة حرة، وتعريفة مشتركة، وصناديق للاستقرار السلعى، وتنسيق النقل، وإنشاء مجلس لتسوية المدفوعات الإفريقية، وفك ارتباط العملات المحلية بالخارج، وإنشاء منطقة نقدية إفريقية، ومساندة بنك التنمية الإفريقى، ومعهد التخطيط والتنمية الاقتصادية فى داكار، والذى يتبع اللجنة الاقتصادية الإفريقية التابعة للأمم المتحدة.

كان الموضوع الثالث متعلقًا بمساندة مختلف الحركات الاستقلالية فى المناطق البريطانية والبرتغالية وجنوب إفريقيا. وقد جرى تناول هذا الموضوع تناولاً عاطفيًا، من قبل بعض الوفود فى أضعف الأحوال. كان الرئيس كازافوبو، ورئيس وزرائه سيريل أدولا، على سبيل المثال، مترددين فى التزام حكومتهما التزامًا علنيًا بمساندة "الكفاح من أجل الحرية" فى كل من أنجولا وجنوب إفريقيا. وقد انقلب عليهما أحمد بن بلا الزعيم الجزائرى العنيد (وذلك على الرغم من المناشدات العديدة من أبى بكر، الذى طالب فيها بالاعتدال، والمعروف أن أبا بكر كان معنيًا بالتسويات السلمية وبلا تخريب، وكان حزبه قد توصل إلى ما مفاده أن الوطنيين الجزائريين على مستوى الشارع كانوا مكروهين فى ثقافة الحزب الذى ينتمى إليه أبو بكر) قائلاً بصوت عال: "أنا لا أهتم بميثاقكم مثقال ذرة - وما يعنينى هو ولاء هذا المؤتمر للتحرر النهائى لإفريقيا". أعلن أحمد بن بلاً أن ميثاق المؤتمر جاء مثل رسالة ميتة، شأنه شأن المؤتمرات الأخرى التى بنيت على الكلام المنمق الخالى من القرارات المحددة، وقال أيضًا إن هذا الميثاق شبيه بالالتزام العملى بمساعدة غير مشروطة لشعوب أنجولا، وجنوب إفريقيا وموزمبيق:

"دعونا جميعًا نموت بعض الشيء من أجل أن يتحرر أولئك الرازحين تحت الهيمنة الاستعمارية وحتى لا تتحول "الوحدة الإفريقية" إلى مصطلح تافه".

صدرت توصيات المؤتمر فى نهايته تنص على أن الدول كلها التى ترتبط بصداقة مع الشعوب الإفريقية يتحتم عليها قطع العلاقات الدبلوماسية مع كل من جنوب إفريقيا والبرتغال، وأن الدول جميعها يتعين عليها المساهمة فى صندوق راسماله مليون جنيه إسترلينى لإعانة حركات التحرير الوطنية. وبحكم أن ذلك الصندوق كان مقره فى دار السلام وتديره كل من الجزائر، وجمهورية الكنغو ليوبولدفيل الديمقراطية، وإثيوبيا وغينيا، ونيجيريا، والسنغال، والجمهورية العربية المتحدة (وليس غانا بطبيعة الحال)، لم يتضح على الفور ما إذا كان ذلك الصندوق، الذى سيجرى استعواضه سنويًا، سيستخدم فى استئصال الاستعمار عن طريق تقديم المساعدات الفعالة للهيئات المسلحة، لكن النقطة الرئيسية كانت تتمثل فى أنه اعتبارًا من ذلك التاريخ فصاعدًا لن يكون من حق أية دولة من الدول الإفريقية أن تنتحل مبررًا قانونيًا يحول بينها وبين الندم على استنكار ما تقوم به السلطات البيضاء فى جنوب إفريقيا، أو فى البرتغال أو روديسيا الجنوبية. كانت تلك التوصيات تعنى أيضًا أن المساعدات التى تقدمها نيجيريا "للمقاتلين من أجل الحرية" لم تعد بعد بحاجة إلى أن تصبح فى طى الكتمان.

كان موضوع المؤتمر الرئيسى يتمثل فى الميثاق. كانت مسودة الميثاق عن مستويات العمل المختلفة برئاسة الدكتور إلياس، قريبة جدًا من ميثاق ليجوس الذى لم يجر إقراره أو التوقيع عليه بعد والذى كان ينص على إنشاء منظمة إفريقية ملجاشية، وأوضح الميثاق سياسة أبى بكر التى تهدف إلى التركيز على المسائل الإفريقية من منطلق أن التعاون الفعال هو أساس العمل المشترك. يزاد على ذلك أن آراء أبى بكر الخاصة بالبناء على القواعد الإقليمية حظيت بمساندة وتأييد من الإمبراطور هيلاسلاسى، ومن سيكوتورى، وتبمان، وبعد أن انضم كل من عبد الناصر وأحمد بن بلاً إليهم لم يقو الزعماء "الأقل اعتدالاً" على التماسك أو الصمود بعد ذلك. كان كل من

تسيرانانا، رئيس ملجاشى، وليوبولد سنجور رئيس السنغال، وبورقيبه، رئيس تونس قد نصحوا جميعًا بالتأنى وعدم التسرع، كما تحدث نيريرى أيضًا، الذى فقد الثقة بمجتمع شرق إفريقيا، عن ما يمكن تسميته بنظرية "الخطوة خطوة". وقد أدى ذلك إلى وضع نيكروما فى موقف الأقلية، بعد أن سانده ملتون أوبوتى، رئيس أوغنده فى ندائه الأول فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو. يزاد على ذلك أن اصطناعية الحدود الوطنية والانقسامات العرقية، التى لا توجد بشكل واضح فى التجمعات الأخرى التى من قبيل منظمة الدول الأمريكية، والتى أعرب الساسة الأفارقة عن حزنهم عليها، لكنهم لم يفعلوا أى شىء لتعديلها، قد تختفى وتذوى فى ظل التعاون الإقليمى. هذا الميثاق الجديد يستحق التلخيص إبان حياة الحاج السير أبى بكر، لكن ينبغى أولاً أن نورد هنا بعض المقتطفات من خطابه، الذى جاء فى عقب كثير من الكلمات البليغة، لكنه أدهش الجماهير أكثر من الخطب الأخرى:

> **يسعدنى القول إنه من الآن فصاعدًا لن يكون هناك حديث عما يسمى "تكتلى" منروفيا والدار البيضاء. نحن جميعًا ننتمى إلى إفريقيا..... لقد أشُير فى مرات كثيرة أن الدول الصغيرة فى إفريقيا ليس لها الحق فى الوجود، نظرًا لأنها دول صغيرة جدًا. ونحن فى نيجيريا لا نتفق مع هذا الرأى. وكان من سوء الطالع فى بعض الأحيان أن نرى قبيلة واحدة قد قسمت إلى أربعة دول مختلفة. وقد تجدون قسمًا من هذه القبيلة فى غينيا، وقسمًا آخر فى مالى، وقسمًا فى سيراليون وربما قسمًا رابعًا فى ليبيريا. لم يكن ذلك خطؤنا، نظرًا لأن هذه الوحدات المختلفة موجودة منذ ما يزيد على ستين عامًا، وأية محاولة من جانب أى بلد إفريقى لتجاهل هذه الحقيقة قد يجر المتاعب على هذه القارة. وهذا هو الشىء الذى نود تجنبه، ولهذا السبب فإن نيجيريا تعترف**

بالحدود القائمة كلها فى إفريقيا، كما تعترف أيضًا بوجود كل البلدان الإفريقية.

(...... قال الرئيس الملجاشى منذ أيام قلائل: إنه لم يستطع الاتصال تليفونيًا من ليجوس بمدينة كوتونو cotonu. الحال لم يعد كذلك. بوسعه الآن إجراء ذلك الاتصال بصورة مباشرة.... نحن الآن نتناقش مع الكاميرون، ومع تشاد، والكنغو ليوبولد فيل، ومع داهومى ولدينا اتصال مباشر أيضًا مع توجو)....

نحن لا يمكننا تحقيق هذه الوحدة الإفريقية ما دام واصلت بعض الدول الإفريقية القيام بالأنشطة التخريبية فى دول إفريقية أخرى..... مبلغ علمى أن الرئيس الملجاشى هو القائل أننا فى إفريقيا لا نود قول الحقيقة.

..... نحن فى نيجيريا على استعداد لفعل أى شىء فى سبيل تحرير الدول الإفريقية كلها.... ونحن عندما نساعد بلدًا مُسْتَعْمرًا فى إفريقيا، نعى تمامًا عدم ربط هذه المساعدة بأس شرط من الشروط..... ونحن نرى أنه من الضرورى تمامًا الاعتماد على الأجانب فى تنمية المناطق الإفريقية... قد تستعمر بلادنا اقتصاديًا إذا لم نكن واعين لهذه المسألة.... وأنا أقول للناس دومًا بأنى غير مؤمن بما يسمى الشخصية الإفريقية، لكنى أومن بما يسمى الشخصية الإنسانية..... وأنا أرى أن الحديث عن الشخصية الإفريقية مبنى على الإحساس بمركب النقص..... ينبغى أن تكون لدينا سوق إفريقية مشتركة وأن تكون قائمة على تَجَمُّعات محددة: تَجَمُّع إفريقى شمالى يضم السودان، وتجمع غرب إفريقى يمتد إلى نهر الكنغو، وتجمع شرق إفريقى يشمل

دول وسط إفريقيا كلها.... سوف تنتهى مخاوفى من الاستعمار، إذا ما استطعنا إنشاء هذه السوق الإفريقية المشتركة وإقامتها.

....الحقيقة التى مفادها أن إعلان إفريقيا منطقة خالية من الأسلحة النووية لن تكون كافية لجعل إفريقا خالية من الأسلحة النووية فى زمن الحرب العالمية... يجب أن لا نتكلم عن سباق التسلح. كل ما يجب الحديث أو الكلام عنه هو طريقة وقف هذا التسلح..... وأنا يتعين علىَّ أن أقول للمؤتمر هنا إننا فى نيجيريا نكره فكرة "الكتل"، ونحن لا نحبذ هذه الفكرة. وإذا ما استطعنا أن نوجد لهذه الفكرة إسمًا آخر مثل "اللجنة الإفريقية الفلانية" أو "الشىء الإفريقى العلأنى"، سيكون ذلك أفضل بكثير، نظرًا لأن فكرة "الكتل" فى مجملها فكرة ثورية.... أعتقد أن الوقت مناسب الآن لتأسيس سكرتارية دائمة فى نيويورك (وهنا راح أبو بكر يعكس ووجهات نظر كل من واشوكو وإمبادوى وآراءهما)... من الضرورى تمامًا أن يكون للقارة الإفريقية تمثيل لائق فى مجلس الأمن وكل الهيئات التابعة للأمم المتحدة.... من المهم لنا عندما نلتقى فى مناسبة مثل هذه المناسبة أن نحاول إبلاغ بعضنا البعض الحقائق المجردة، وأن نقول الصدق فى كل الأمور، بدلاً من الكلام عن هذه الأمور فى الخفاء. من الأهمية بمكان أن نكون صرحاء فى إفريقيا.

كانت تلك هى المرة الأولى التى يستمع فيها جمهور كبير من القارة الإفريقية، وذلك على العكس من ذلك العدد القليل من الأفارقة الذين استمعوا إليه وهو يتحدث إلى جمعية ليك Lake سكس Success.

وبإيجاز شديد نجد أن الميثاق كان يشتمل على النقاط الرئيسية التالية:

المبادئ أكد الأعضاء تأكيداً شديداً وأعلنوا التزامهم بمبدأ المساواة فى السيادة بين الدول الأعضاء كلها، وعدم التدخل فى شئون بعضها البعض، واحترام وحدة أراضى بعضها البعض وسيادتها، وحق كل دولة فى أن يكون لها وجودها المستقل، وتسوية المنازعات عن طريق التفاوض، والوساطة، والمصالحة، أو التحكيم، وتدين بلا تحفظ الاغتيالات السياسية وكذلك النشاطات التخريبية من جانب الدول المجاورة أو الدول الأخرى، وإيمانها الكامل بالتحرير الكامل للأراضى الإفريقية التى لا تزال مُسْتَعْمرة، وتؤكد أيضاً على سياسة عدم الانحياز فيما يتصل بالكتل كلها.

الأهداف زيادة وحدة الدول الإفريقية وتضامنها، تنسيق وتكثيف تعاون وجهود هذه الدول من أجل حياة أفضل للشعوب الإفريقية، الدفاع عن سيادة الدول ووحدة أراضيها، القضاء على كل أشكال الاستعمار واستئصالها. ولتحقيق هذه الأهداف تعهدت الدول الأعضاء بتنسيق سياساتها الاقتصادية وانسجامها، والسياسية، والتعليمية، والصحية، والعلمية، والدفاعية والرفاه.

المؤسسات جمعية رؤساء الدول والحكومات، وتجتمع مرة واحدة كل عام، وهى تمثل أعلى مكونات التنظيم، ويكون لكل دولة صوت واحد فيها، جميع القرارات، فيما عدا القرارات الإجرائية، تكون بأغلبية الثلثين. ويتكون مجلس الوزراء، من وزراء الخارجية أو ممثليهم، ويكون المجلس مسئولاً أمام جمعية رؤساء الدول ويجتمع مرتين كل عام. وتدار السكرتارية العامة بواسطة السكرتير العام، الذى تعينه الجمعية العمومية بتوصية من مجلس الوزراء، ويعاونه مساعد أو أكثر يجرى تعيينهم بالطريقة نفسها. وتتعهد الدول الأعضاء بتسوية المنازعات فيما بينها بالطرق السلمية، ولهذا الغرض قررت الدول إنشاء لجنة وساطة، ومصالحة وتحكيم يجرى تعيين اللجان المتخصصة بواسطة الجمعية العمومية، بما فى ذلك: لجنة اقتصادية ولجنة اجتماعية،

ولجنة ثقافية وتعليمية، ولجنة للصحة والتصحاح والتغذية، ولجنة للدفاع، ولجنة علمية وفنية وبحثية.

الموازنة تساهم الدول الأعضاء بالمعدل نفسه المحدد لها فى الأمم المتحدة، شريطة ألا تزيد مساهمة الدول العضو على ٢٠٪ من مساهمتها فى الموازنة السنوية لمنظمة الأمم المتحدة.

التوقيع والتصديق يكون الميثاق مفتوحًا أمام توقيع كل الدول الإفريقية المستقلة عليه، ويجرى إقرار الميثاق والتصديق عليه طبقًا للإجراءات الدستورية للدول. وتكون الصيغة الرسمية للميثاق باللغات الإفريقية إن أمكن وباللغتين الإنجليزية والفرنسية.

وبذلك جاءت منظمة الوحدة الإفريقية إلى الوجود، لكنها تختلف عن منظمة الأمم المتحدة من حيث إنها ليس لها صراف أو صراف رواتب، وقد وقّع الدكتور نيكروما على هذا الميثاق مما أدهش بعض الأعضاء. كان أبو بكر قد توصل إلى أن التناول العملى الذى يقوم على "**بذل أكبر جهد ممكن من أجل التوصل إلى جعل الأفارقة يفهمون بعضهم البعض قبل الشروع فى ترتيبات الاتحاد السياسى الأكثر صعوبة وتعقيدًا**" هو الأفضل عند السواد الأعظم من الوفود بما فى ذلك "الدار البيضاء" من الاندماج السياسى: "**يسعدنى القول إن الموقف الذى اتخذناه منذ البداية هو موقف كل الدول المشاركة فى هذا المؤتمر**". يزاد على ذلك أن إدانة الاغتيالات السياسية أدى إلى تهدئة النفوس فيما يتعلق بحضور الناطق الرسمى بلسان جرونتزكى. ووقعت الدول الاثنتين والثلاثين كلها، بما فيها المغرب ثم توجو (فيما بعد) كما صادقت أيضًا على ذلك الميثاق: وقرر البرلمان النيجيرى، بناء على الاقتراح المقدم من أبى بكر، التوقيع على ذلك الميثاق والمصادقة عليه فى اليوم الأول من شهر أغسطس من العام ١٩٦٣، وقام إمبراطور إثيوبيا بإيداع الوثيقة الأصلية فى الأمم المتحدة فى شهر أكتوبر عندما كان قائمًا بزيارة رسمية للولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من فشل المؤتمر فى إيجاد ردود عاجلة على المتاعب المغربية ـ الموريتانية، أو المزاعم الصومالية، فقد بدأ التوسط

فى وقت مبكر، فى مسألة النزاع الجزائرى - المغربى على الحدود، وتعهدت غانا بفرض قواعدها الخاصة التى منعت اللاجئين من الاشتغال بالسياسة. ومن بين المشكلات الجانبية الأخرى، صوّت المؤتمر لصالح عدم الانحياز، كما صوت أيضًا لصالح جعل إفريقيا منطقة خالية من الأسلحة النووية وإلغاء القواعد العسكرية كلها هى والأحلاف العسكرية، والنزع الكامل للسلاح تحت إشراف دولى، وأعرب المؤتمر عن احترامه للأمم المتحدة والتجمع الأفرو - آسيوى فيها. وتقلد أبو بكر وضعه العالمى الجديد وراح يناشد ويحتكم إلى كل من الرئيس بن بلاو والملك الحسن بصورة شخصية "..... **بصفتى أخًا إفريقيًا... ومن أجل منع تفاقم الصراع العلنى واستهدافًا للوصول إلى اتفاق وتسوية سليمة للنزاع بين الجزائر والمغرب.... ومنعًا لاستمرار تدهور الموقف الحالى الذى ليس فى مصلحة الوحدة الإفريقية، والذى ليس فى مصلحة أى أحد منا".**

عاد الحاج السير أبو بكر إلى ليجوس وسط انتصار شعبى حقيقى. كان أبو بكر قد أعطى الحاج ميتاما سول قرارًا مهمًا بالتحرك، باعتبار ذلك تدريبًا للرجل على الشئون الخارجية. لم يكن ذلك الجزء كله من الصحافة الراديكالية التى كانت لا تزال ميالة إلى تحويل نيكروما إلى أسد من الأسود، دافئًا فى تعليقه على عودة أبى بكر. قال أبو بكر للمراسلين الصحفيين: **"نحن جميعًا أصبحنا شخصًا واحدًا الآن.... تبادلت أنا ونيكروما الآراء حول بعض الموضوعات، لكن الحقيقة المجردة التى مفادها أن سياستنا قد تختلف لا تعنى بالضرورة أننا أعداء" وفى خطبة إذاعية عاجلة، قال الرجل لشعبه "كان هناك إجماع على تصميمنا جميعًا على اتخاذ الإجراءات العملية التى تضمن تحرير البلدان المتبقية فى إفريقيا، من الاستعمار..... ولم يكن من المدهش عندئذ أن يتخذ المؤتمر قرارات بعيدة الأثر بشأن الطريقة التى يمكن بها مساعدة إخواننا الأفارقة، الذين يقاتلون الآن فى أنجولا وفى موزمبيق، وفى جنوب إفريقيا وأجزاء أخرى من القارة، لاستعادة حريتهم المسلوبة..... وحدد المؤتمر اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو، يوم توقيع ميثاق الوحدة الإفريقية، ليكون يوم تحرر**

إفريقيا..... هذا الميثاق يحدد إفريقيا على أنها تضم كل دول القارة الإفريقية ومدغشقر وكل الجزائر المحيطة بإفريقيا". واختتم أبو بكر خطبته الإذاعية بالإشارة إلى الاقتراح الذى قدم لعقد مؤتمر دولى عن التجارة والتنمية، وقرار بالاحتفاظ بلجنة للتعاون الفنى فى جنوب الصحراء الكبرى باعتبار أن هذه اللجنة ستكون أداة للتعاون الفنى والعلمى والثقافى وللتقدم الصناعى أيضًا.

أدت لغة منروفيا إلى التخفيف من أحقاد زعماء الدار البيضاء وزعماء منروفيا الفردية. وليس من الصعب على أى أجنبى أن لا يتبين أن نيجيريا، وهى على وشك أن تصبح جمهورية كان يقودها إفريقى عملى حزين ومكتئب فى أغلب الأحيان، لكنه مبتهج ابتهاجًا وقتيًا، وينعكس رصيده مع أنداده الدوليين، بصورة حتمية على إخوانه المواطنين. وإلى يومنا هذا فإن التاريخ الوردى أو التاريخ الذى أعيدت كتابته عن تلك الفترة يقللان من شأن واقعية أبى بكر، ويحييا أوهام الكثيرين الذين كانوا صغارًا أو أبرياء قليلى الخبرة والتجربة، الذين ظنوا أن إفريقيا يمكن أن تكون نموذجًا لوحدة ذهنية منطقية أمام بقية العالم. وهنا تختفى حركة الجامعة الإفريقية وتذوى، عندما تسلم الأغلبية العملية من مواطنى القارة المتعلمين بأن اهتمام السواد الأعظم من الزعماء الأفارقة، إن لم يكن بمناصبهم الخاصة، ينصب على دولهم، ولابد من الاعتراف أيضًا أن المصدر الذى تبناه هؤلاء الزعماء، كان يتمثل فى وجهة نظر الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، التى تجسدت فى نهاية المطاف فى مطالبة منظمة الوحدة الإفريقية بأن الوحدة الإفريقية يجب أن تكون مبنية على سيادة الدول الإفريقية كلها، بغض النظر عن حجمها، وسكانها ومستواها الاجتماعى. معروف أن منظمة الدول الأمريكية، ورابطة دول جنوب شرق آسيا الآسيوية، وجامعة الدول العربية، والمجلس الأوروبى، كلها تفيد من هذه المقدمة المنطقية نفسها. ظلت منظمة الوحدة الإفريقية وقتًا طويلاً محفوفة بظلال اللجنة الاقتصادية الإفريقية التابعة للأمم المتحدة. أما هيئة الأمم المتحدة فقد رأت أن المفتاح إلى هذه المنظمة يتمثل فى الاقتصاد، ولذلك قاد الغانى

الدكتور روبرت جاردنر اللجنة الاقتصادية الإفريقية، معروف أن الدكتور جاردنر ذائع الصيت ويفهم العالم المتقدم فهمًا كاملاً. كان دياللو تللى، ذلك الاشتراكى الغينى الراديكالى البالغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا هو المسئول الرئيسى فى منظمة الوحدة الإفريقية، وكان اهتمام هذا الرجل ينصب على هزيمة الاستعمار، وعندما تحقق له ما أراد، تحول إلى هزيمة الاستعمار الجديد. ودياللوتللى، فى الأصل، هو بدوى بويلى peul (أو بالأحرى فولانى غربى)، وكان أول إفريقى يلتحق بالمدرسة الوطنية (الفرنسية فيما وراء البحار) Ecole national (de la france d'outre-Mer وكان فى وقت من الأوقات رئيس وزراء لدى المندوب السامى الفرنسى فى غرب إفريقيا. كان الرجل يود للأهداف السياسية السيطرة على الوسائل الاقتصادية، لكنه تحتم عليه الموافقة على أولويات مجلس وزرائه. وحتى نتمكن من تبين مدى الطين الذى وضعته السياسة النيجيرية الداخلية على مرآة أبى بكر وتبين الشروخ التى أحدثتها هذه السياسة فى تلك المرآة، يتعين علينا العودة إلى النقطة التى قاطعنا عندها سير الأحداث.

الفصل الرابع والثلاثون

بعد منروفيا : اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية المستشارية الخاصة

ومؤتمر شعبى

(استطراد تصديرى رقم ٣)

أول متاعب الغرب الإقليمية

الظل الأسود ! أو بالأحرى الشمس [الحارقة] ولا أنت![*]

انهال بعد مؤتمر منروفيا الذى عقد فى شهر مايو من العام ١٩٦١ الميلادى، على مكتب رئيس الوزراء سيل من الشئون الخارجية، من الوارد إلى الصادر، لتنبه رئيس الوزراء إلى أن إفريقيا الموحدة فى ظل عدم التعاون الاقتصادى سوف يتعين عليها أن تأخذ بعين اعتبارها الأحداث التى تجرى فى العالم الأوسع. بدأت الحكومة الفرنسية هى والوطنيون الجزائريون، سلسلة من المحادثات غير الموفقة أو الناجحة، التى استمرت مدة شهرين فى إفيان. أصبحت جزية قبرص العضو رقم ١٦ فى المجلس الأوروبى. تقدم تنكو عبد الرحمن ببعض المقترحات الخاصة بتوسيع الاتحاد الفيدرالى الماليزى. قطعت مصر علاقاتها بجنوب إفريقيا، وعندما خرج ذلك البلد من الكمنولث

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل العربى الذى يقول: "كالمستجير من الرمضاء بالنار" (المترجم)

فى اليوم التالى (المصادف للحادى والثلاثين من شهر مايو) برئاسة سوارت Swart رفضت غانا الاعتراف به. بدأ شهر يونيو بحدوث إضرابات دامت طويلاً أثناء الانتخابات التى كانت تجرى فى زنزبار. حدث خلاف حاد بين الرئيس كينيدى وخروشوف، السكرتير الأول للحزب الشيوعى، حول وضع برلين، واتفاقية نزع السلاح وحظر التجارب النووية. أوقف الدكتور نيكروما الحكم الصادر على الجندى الجزائرى المتمرد من الكنغو، والذى أشرنا إليه فى "استطراد" الفصل الثانى والثلاثين. وأهاب مجلس الأمن بالبرتغال أن تمتنع الإجراءات التعسفية التى تمارسها فى أنجولا. فسخت بريطانيا معاهدة العام ١٨٩٩ الميلادى الخاصة "بحماية" الكويت، حتى يتبين الجميع استقلال الكويت، وأجرت مفاوضات جديدة حول تفاهم جديد خاص بوضعها السيادى، عند هذا الحد أصبحت الكويت حرة ويحق لها الانضمام إلى الجامعة العربية، لكن روسيا استخدمت حق الاعتراض (الفيتو) ضد انضمام الكويت إلى الأمم المتحدة، وأعلن رئيس وزراء العراق أن الكويت جزء لا يتجزأ من بلاده، أدت هذه الأزمة إلى مجىء القوات البريطانية إلى الكويت، بصفتهم مدافعين حلفاء وليسو حامين للكويت، إلى أن هدأت الأمور فى شهر أغسطس. ألغت كل من غانا وفولتا العليا "الحواجز" الجمركية فيما بينهما.

اندلع مزيد من الاضطراب فى الجزائر فى شهر يوليو. قام الدكتور نيكروما بزيارة إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وإلى شرق أوروبا والصين. أشرف السير رالف جرى Grey على وضع مسودة دستور الحكم الذاتى الداخلى فى جيانا Giana البريطانية، المستعمرة الوحيدة التى لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تضغط على كل من ماكميلان وماكلويد من أجل التعجيل باستقلالها. وبدأ القتال ضد الفرنسيين فى تونس، وأمرت الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار. وأسفر الاستفتاء الذى أُجرى فى روديسيا الجنوبية عن تأييد الدستور الجديد الذى سبق أن وضعه أحد المؤتمرات (فى بداية الأمر) بموافقة الأحزاب كلها، أنشأ هذا الدستور قائمتين انتخابيتين: القائمة (أ) وتتكون من ٥٠ مقعداً يمثلون الناخبين (الذين كان السواد

الأعظم منهم من الأوروبيين فى ذلك الوقت) من أصحاب المؤهلات التعليمية العالية إلى حد ما، وكذلك أصحاب الملاك، والقائمة (ب) وتتكون من خمسة عشر مقعداً وتمثل الناخبين من أصحاب المؤهلات الأقل وبخاصة الأفارقة، وتضمنت هذه القائمة إعلاناً بالحقوق، ومراجعة التشريعات القائمة على التمييز - ما دام أن هذه المراجعة سوف تشكل حواجز أمام الآراء المتطرفة من قبل جميع الأطراف، ولهذا السبب نفسه فشلت هذه المراجعة فى الحصول على تأييد الحزب الوطنى الديمقراطى، الذى خلف حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى المحظور، وبذلك يكون الحزب قد غير رأيه. مثل هذا المشروع أو الخطة كان يمكن أن ينجح فى العام ١٩٦٧ الميلادى، لكن فات الميعاد، أصبح واضحًا أن الأمر قد يستغرق عشرين عامًا أخرى حتى يمكن أن تكون للأفارقة الأغلبية فى القائمة (أ). بدأ حزب الاستقلال الوطنى المتحد حزب الرئيس كاوندا فى روديسيا الشمالية، عمله، وعقد العزم على عدم استعمال العنف، فى مواجهة نسخة مخففة تسير فى الاتجاه نفسه، وعزم الحزب على الاتجاه بسرعة صوب حكم الأغلبية الإفريقية فى تلك المنطقة.

أُنشئت وزارة التعاون الفنى فى لندن فى شهر يوليو برئاسة دينيس Dennis فوسبر Vosper أول وزير لهذه اللجنة، كان الهدف من هذه الوزارة هو التخلص من سيطرة مكاتب علاقات الكمنولث والمكاتب الاستعمارية والأجنبية على المساعدة الفنية اليومية، أو خطة المساعدات الإفريقية للكمنولث، أو مكتب تسكين الموظفين المدنيين البريطانيين العائدين من الخارج، وإنما للتخلص أيضًا من الإشراف على السياسة الجديدة الخاصة بتقديم المساعدات للعالم المتخلف بصورة عامة، والتى لا يزال يورد بشأنها جدل كبير، وذلك بغض النظر عن علاقات ذلك العالم المتخلف السابقة بالكمنولث. جاءت هذه الوزارة أيضًا بمثابة مستقر لخبراء وزارة المستعمرات الذين لا يمكن استعواضهم وبخاصة أنهم لم يبدأوا بعد فى التفرق والتوزع هنا وهناك فى الوزارات المختلفة. كان السير أندرو كوهين أول مدير عام لتلك الوزارة، وقد جرى

استبداله بالسير هيغ Hugh فوت Foot فى مجلس الوصاية. ويرجع الفضل فى إنشاء هذه الوزارة إلى اللورد هيد Head فى ليجوس هو ورسّامه ديفيد David هنت Hunt. وافق الرجل موافقة شديدة اللهجة، مرتكزًا على المنجزات التى حققتها خطة كولومبو فى العام ١٩٥١ فى آسيا من ناحية وعلى مؤسسة التنمية الاستعمارية من ناحية أخرى، وقدم الرجل اقتراحًا مفاده أن المساعدات بوصفها أداة من أدوات العلاقات الدولية ينبغى أن تكون لها هيئة عاملين وإدارة خاصتين بها، والذى لا شك أن البرقية التى أرسلها اللورد هيد إلى دنكان سانديز جاءت بمثابة الدافع النهائى إلى إنشاء هذه الوزارة، وكان الدافع وراء إرسال هذه البرقية يتمثل فى مناقشاته الدورية مع أبى بكر عن تصفية الاستعمار وعن المعنى الخبىء "للاستعمار الجديد". لاحظ اللورد هيد، أنه فى العام الأول من استقلال نيجيريا جاءتها أيضًا مساعدات عينية من أستراليا، ومن كندا ومن ألمانيا الغربية، ومن إسرائيل، ومن اليابان، ومن هولنده، ومن نيوزيلنده، ومن باكستان والولايات المتحدة الأمريكية. كان المستثنون من تلك القائمة واضحين تمامًا. فقد ظهرت أولويات الكتلة الشرقية عندما قام الرائد الروسى تيتوف Titov بالدوران حول الأرض سبع عشر مرة فى سفينة من "سفن الفضاء"، وعندما قام بورى جاجارين بعد ذلك بجولة فى عواصم العالم باعتباره بطلاً مرموقًا. يزاد على ذلك أن التعجل فى بناء حائط برلين الأول، الذى يفصل بين المنطقتين الروسية والغربية أخذ جزءًا من أراضى المدينة الألمانية، وبدأ بناءه فى منتصف شهر أغسطس.

فى شهر يونيو يظهر مستشار سكتو السياسى الرئيسى فى مدينة كراتشى، ليدعو إلى مؤتمر لوضع خطة لاتحاد فيدرالى سياسى للدول الإسلامية، الأمر الذى أثار غضب كثير من النيجيريين الجنوبيين. واصل رئيس الوزراء الإقليم الشمالى رحلته إلى طهران، والكويت وأخيرًا بيروت، وخطا الدافع الدينى فى سياسة الرجل باهتمام وتوسع كبير عندما أصبح نائبًا لرئيس رابطة العالم الإسلامى. طالبت صحافة الإقليم الجنوبى بقيام رئيس الوزراء (أبوبكر) بالتبرؤ من أحمد بللو، وهنا تعين على أبى بكر

أن ينشد الوسطية السياسية. وافق رئيس الوزراء على مبدأ اجتماع القمة لرؤساء الحكومات الإسلامية، لكنه لم يوافق على إنشاء اتحاد فيدرالى من منطلق انفصال المشاركين عن بعضهم انفصالاً جغرافيًا، لم يرفض رئيس الوزراء بصورة مباشرة حق الحكومة الإقليمية الخاص فى إصدار دعوات لرؤساء دول من هذا القبيل، وإنما ينبغى أن يكون ذلك بعد الرجوع إلى الحكومة الفيدرالية أولاً، وبعد موافقتها على ذلك ثانيًا، عن طريق التشاور، لكن أبا بكر كان سعيدًا لأن هذه المناسبة أتاحت له فرصة تقريع الصحافة على قيامها بهذا التحريض، وذلك من منطلق قوله: إنه متأكد من أن المستشار السياسى لم يقل هذا الكلام (وقد أنكر المستشار السياسى الرئيسى فيما بعد ذلك الكلام إنكارًا تامًا).

زد على ذلك أن معارضة حزب الاستقلال الوطنى المتحد الناشطة لمقترحات ماكلويد الدستورية، والتى باعدت فى ذلك الوقت بين البيض والسود على حد سواء، كانت قد تصاعدت ووصلت إلى حد التخريب، مما أدى فرض حظر جزئى على الحزب. كان ماكلويد قد وعد كلاً من كاوندا وزعيم روديسيا الشمالية الأبيض موفات **Moffat**، أنه إذا ما توقف العنف أولاً، فإنه قد ينظر فى التفاصيل، وبذلك يثير الرجل غضب ويلنسكى الذى كان يتطلع إلى إنجاح الاتحاد. لكن حزب مؤتمر مالاوى الذى يتزعمه الدكتور هستنجز باندا، كان قد فاز فى نياسلند **Nyasaland** فى الانتخابات بكل المقاعد فى الانتخابات العامة، وبحوالى ربع مقاعد "قائمة المجلس الأعلى" أيضًا، وهنا أعلن هستنجز باندا، على الفور أنه لم يعد بينه وبين الأوروبيين أى نوع من أنواع الخصام، لكنه ظل على موقفه المعارض للاتحاد. وفى كينيا أُطلق سراح جومو كينياتا من محبسه الذى بقى فيه ثمانى سنوات، على الرغم من عودة بعض جماعات الماوماو إلى نشاطها على الرغم من حلف اليمين، وعلى الرغم أيضًا من حظر تنظيم إصلاح الأراضى الراديكالى الجديد. وعاد حزب الدكتور جاجان إلى السلطة فى جيانا البريطانية، وخرج حزب السيد برنهام من السلطة عندما رفض السير رالف جرى

Grey التقيد باختيار المعارضة لاسماء المرشحين لمجلس الشيوخ. كان ديجول، الذى كان منشغلاً أكثر بأزمة برلين والحرب الباردة، قد بدأ يهدد بإعادة تجميع الفرنسيين والجزائريين المحبين لكل ما هو فرنسى على شكل مقاطعة محاطة بأراضٍ أجنبية ويتجنب بقية الجزائر، وفى الجزائر جرى استبدال فرحات عباس بالشاب اليسارى يوسف بن خدّه Khedda، ليكون رئيسًا للوزراء فى الحكومة المؤقتة، ومعروف أن يوسف بن خده واصل مفاوضات التسوية السلمية. وجلت آخر القوات الإسبانية عن الصحراء الغربية، وجنوب المغرب، بانتهاء شهر أغسطس.

كانت الشئون والأمور القريبة من الوطن بمثابة التدريب، حتى بعد مؤتمر منروفيا. مؤتمر منروفيا هذا تفسيره جرى تفسيرًا غريبًا من قبل أولئك الذين كانوا يودون لحزبهم الإقليمى أن يتولى إدارة فيدرالية قوية، باعتبار ذلك دليلاً على ضعف الحاج السير أبى بكر، بدلاً من أن يكون ذلك دليلاً على زعامته الإيجابية. جرى التأكيد على الانقسامات الإقليمية التى كان تتهدد الاستقرار، عندما اكتسح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الانتخابات العامة التى جرت فى الشمال فى شهر مايو، ولم يترك سوى ثمانية مقاعد لحزب جماعة العمل، ومقعد واحد لحزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، لتشكل فيما بينها معارضة سياسية لحزب حاكم صاحب ذهنية إدارية بطبيعة الحال، وكان من ضمن تلك المعارضة أيضًا أربعة من المستقلين. كان هناك اتفاق عام على أن يمارس مسئولو الإدارة المحلية شيئًا من الضغط من أجل حشد الأغلبية سعيًا إلى رفض أهل الريف لذلك التغيير الاجتماعى أو المؤسسى. أصبح واضحًا فى تاريخ البلاد على امتداد السنوات الخمس التى تلت ذلك، أن المعارضة الشمالية الرسمية، بغض النظر عن صغر حجمها، كانت تتمثل فى شعب التيف. وأُعيد المستشار السياسى الرئيسى بلا معارضة (والمؤسف أن تلك كانت سابقة كان الكثيرون يودون تقليدها)، وقررت حركة شباب برنو هى وحزب جماعة العمل مساندة حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى فى بعض المقاعد، ولم يلعب أمين كانو دورًا فى هذه الحملة،

لكن يوسف تاركا من حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحدة، الحليف لحزب جماعة العمل، جرى إلقاء القبض عليه، فى نهاية المطاف، هو وأربعة من مؤيديه ووجهت إليهم تهم الخيانة العظمى التى نجمت عن الاضطرابات التيفية Tiv التى اندلعت قبل الاستقلال مباشرة. تكلم المستشار السياسى الرئيسى مسانداً عقوبة الإعدام لأولئك الذين ارتكبوا تلك الخيانة، بأن قدم الأدلة والبراهين للدفاع، ولم يستبعد المستشار السياسى الرئيسى الموظفين الإداريين المقيمين من هذه العقوبة. وفى الوقت الذى كان الناطقون باسم حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يدعون فيه أن النتيجة النهائية للانتخابات كانت تستبعد دوماً مسألة الوحدة بين إيلورن وغربى كبًّا Kabba مع الإقليم الغربى، كان السيد/ باتريك دوكوترى الجوسى(*)، لايزال مصراً على أن الحزام الأوسط"مسألة عقيدة لا تستطيع أية قوة على الأرض" وقفها أو إلغاءها. كانت الإدارة المحلية فى برنو تتخذ إجراءها الأخير ضد حركة شباب برنو، التى انتقل مؤسسها إبراهيم إمام إلى جوس منذ العام ١٩٥٩ الميلادى، وجرى تحريكها تحريكاً فاعلاً. كان يوسف تاركا على استعداد لمساعدة إبراهيم على العثور لنفسه على مقعد انتخابى فى التيف، وعلى الرغم من ذلك كله لم يكن الرجل من أبناء هذا المكان.

الغريب بحق، أن الاقتراحات التى مفادها أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان خاضعاً للتوجيهات التى كانت تأتيه من كادونا، كانت موازية لمقترحات أخرى مفادها أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين كان هو الآخر خاضعاً لهيمنة إينوجو، فى أجزاء أخرى من نيجيريا، وأن هذه الهيمنة كانت صادقة وقوية. أوضح الدكتور أوكبارا Okpara بصفته رئيساً وطنياً لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أنه سوف يستخدم حق الاعتراض (الفيتو)، من خلال سيطرته على وزراء الحزب الفيدراليين، ضد تنفيذ أى من التلميحات الضارة التى مفادها أن الحاج السير أبا بكر

(*) نسبة إلى بلدة جوس Jos. (المترجم)

يود من جديد أن يرى أعضاءً من حزب جماعة العمل ضمن تحالفه. أصدر مجلس التجمع الشرقى قراره الخاص بإنشاء إقليم الغرب الأوسط. كان حزب جماعة العمل هو الحزب الوحيد من بين الأحزاب الكبيرة، الذى لم يكن له رأى فى السياسة الفيدرالية، على الرغم من مقام آكنتولا واستقراره فى إيبادان، لكن الرئيس آولوو تحصل على زيادة فى أجر زعيم المعارضة الذى ارتفع من ١٥٠٠ جنيه إنجليزى إلى ٢٠٠٠ جنيه إنجليزى (كما حصل أعضاء البرلمان الفيدرالى على زيادة أيضًا إذ ارتفع راتب الواحد منهم من ٨٠٠ جنيه إنجليزى إلى ١٠٠٠ جنيه إنجليزى). قام الرئيس آولوو بزيارة إلى الدكتور نيكروما فى غانا وعاد إلى وطنه بإعجاب من نوع جديد بالرئيس نيكروما هو وتصوره للجامعة الإفريقية. فى الشمال جرى تعيين رئيس كانو، أشد رؤساء الطبقة الأولى اصطباغًا بالسياسة، نائبًا للحاكم السير جاوين بيل، أثناء قيامه بالإجازة، وقام الرجل بزيارة باوتشى (بصفته واحدًا من أصحاب السعادة)، بمناسبة حصول أحمد قارى، السكرتير الخاص لرئيس الوزراء، والذى لم ينه تدريبه العملى إلا منذ وقت قريب، بحكم كونه حفيدًا لرئيس حى بوجورو، على لقب "جاركوا" (أى مستشار الدفاع) عن طريق الوراثة. لم يكن الحاج السير أبو بكر على استعداد بقبول أى تغيير فى مهام مستشار الدفاع Garkuwa الرسمية. يظهر السير رالف إميرسون فى ليجوس، فى ذلك الوقت، بصفته المحرك الرئيسى الذى وقف ضد المعارضين للخط الحديدى، كان النظام الموضوع قد جرى تغييره بحيث يسمح بعدم وجود رئيس للمجلس صاحب خبرة واسعة فى إدارة السكك الحديدية، وهذا هو الشرط الذى أدى إلى عدم تعيين الدكتور أو إيكجيانا Ikjiana . استطاع الرجل إعادة السكك الحديدية إلى كفايتها التشغيلية السابقة، وكان ذلك فى الوقت الذى أسفرت فيه المنافسة مع الطرق الثقيلة والنقل الثقيل عن تفوق هذا الطرق وهذا النقل على السكك الحديدية مما أدى إلى تهديد جدواها الاقتصادية.

أولت نيجيريا مسألة دعوة الرئيس كينيدى للحاج السير أبى بكر لزيارة الولايات المتحدة فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يوليو اهتماماً أكبر من اهتمامها بوداع السير رالف إميرسون لنيجيريا (معروف أن كينيدى قد أعلن عن انتوانه إنزال رجل على سطح القمر خلال عقد من الزمان). وافق أبو بكر أيضاً، بقليل من الشهرة وبدون فرض عليه من الخارج، على أن الوقت كان مناسبًا فى شهر مايو لرفع الحظر عن تحركات السفن والطائرات الفرنسية. سافر رئيس الوزراء أيضًا إلى ميوبى لحضور احتفال قصير فى مطلع شهر يونيو ليتسلم من إدارى الأمم المتحدة، السير بيرس وين wyn هاريس، وثائق النقل الرسمية التى تنص على توحيد شمالى الكاميرون تحت اسم مقاطعة المستشار السياسى الرئيسى المقسمة نصفين والمتقطعة من الإقليم الشمالى، الذى كان قد أنشئ رسميًا فى ذلك الوقت، بعد ذلك بأسبوع سافر السيد فونشا من جنوبى الكاميرون الذى كان تحت وصاية المملكة المتحدة (الذى خفف من صفعة الانفصال عندما بادر إلى لقاء أبى بكر ليوضح له أن "جبل الكاميرون كان غضبان") لمقابلة الرئيس أهيدجو لمناقشة الرسميات الخاصة بالتوحد الجنوبى فى وقت متأخر من العام. كان المغزى البرلمانى من وراء ذلك يتمثل فى استعادة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى المزيد من المقاعد الفيدرالية، وبذلك يصبح الشمال صاحب الأغلبية الكبيرة. فى ذلك الوقت، آثر جوجو Gogo نيزاريب Nzeribe الذى حاول تجنب كل من حزب الفلاحين والعمال الاجتماعى وحزب مؤتمر الشباب النيجيرى، اختيار تلك اللحظة لتأسيس حزب آخر تحت اسم جديد هو حزب الشعب النيجيرى.

وفر الحاج السير أبو بكر، عند هذه المرحلة، وبطريقة نموذجية الوقت اللازم لتصحيح ذلك الذى أعده خطأ وقع على الموظف البريطانى، جون أو - ريجان O'Regan، الذى كان يعمل سكرتيرًا دائمًا مع إينوا وادا، والذى تناولنا مشكلته فى الفصل التاسع والعشرين. كان أبو بكر يعلم أن روبرتسون هو ونائبه جاردنر - براون عجزا عن إقناع خبراء المؤسسة بحتمية تقاسم تكاليف تعويضات الخدمة مناصفة مع الحكومة

البريطانية (التى كانت راغبة فى ذلك باعتباره حلاً وسطاً)، ما دام أن هناك حججًا وأسبابًا تفيد أن أو - ريجان غير صالح فنيًا، لكن نظرًا لاقتناع أبى بكر بالظلم الذى وقع على الرجل، فقد أولى هذه المسألة اهتمامه الشخصى "وأعلن" بصورة رسمية أن ذلك الموظف "من حقه" الحصول على التعويض حسب التشريعات المعقدة (وغير المفهومة مثل السواد الأعظم من قانون التأمينات والمعاشات). وبذلك، يتمكن الموظف أو - ريجان من إدراج اسمه ضمن القائمة الخاصة (ب) بكل مزاياها التى تفرقها عن القائمة (أ) (التى أدى فشل الخزانة البريطانية فى ضمانها إلى شلها شللاً تامًا)، واستمر أو - ريجان فى عمله سكرتيرًا دائمًا مع إينوا وادا إلى العام التالى. إذا ما قارنا اهتمام أبى بكر بمعارفه باهتمام الآخرين بمصالحهم العائلية والأسرية، نجد أن اهتمام أبى بكر كان يشمل أيضًا الفقراء والضعفاء والمستضعفين. قبل ذلك بشهر أو شهرين، وعندما كان رئيسه مشغولاً فى جلسة مناقشة الميزانية، أحس مومو Momoh، رئيس خدم أبى بكر، باحتباس حاد فى مثانته عند الساعة الثالثة صباحًا، نُقل رئيس الخدم إلى المستشفى العام وهو يتألم ألمًا شديداً، بواسطة صديق الأسرة وجارها، السياسى المتردد الطبيب ماجيكودونمى، الذى طلب على الفور أحد الجراحين لإجراء عملية طارئة. وهنا نجد رئيس الوزراء المنشغل يوفر الوقت الذى يذهب فيه لزيارة مومو عند دخوله المستشفى وأثناء فترة النقاهة، يزاد على ذلك أن تعاطف أبى بكر كان مؤثرًا عندما أطلعه الطبيب على أحوال المرضى الآخرين الموجودين فى المستشفى.

كانت الترتيبات المنزلية قد استقرت بعد أن انتقلت عائلة رئيس الوزراء من رقم ١١ مارينا. كانت واجبات الضيافة الرسمية تقدم بواسطة الخدم الحكوميين الذين كانوا يقومون بمساعدة الخدم الخصوصيين، لكن المناسبات الكبرى كان يجرى التعاقد بشأنها مع الفنادق المشهورة، وكان يشرف عليها كل من سكرتير رئيس الوزراء الخاص وقوات الأمن. كانت المناسبات شديدة الأهمية وشديدة الحميمية يجرى تنفيذها

تحت إشراف السيدة/ نوره حرم الطبيب ماجيكودونمى، وكان الذى يشرف على البروفة النهائية ديفيد وليامز، المختص ببرتوكول غرب إفريقيا، فى حال وجود الرجل فى ليجوس. كانت هناك فى ذلك الوقت ثلاثة سيدات يقمن على إدارة الشئون المنزلية من موقع الإشراف على مدبرات شئون المنزل المستديمات، هؤلاء السيدات الثلاثة هن: حرم على خان، زوجة موظف أشغال بريطانى، والتى جرى توظيفها للعمل مع المندوب السامى فى لندن، وكانت هناك امرأة سوداء أمريكية، هى الآنسة كنج، التى جرى نقلها من منزل الحاكم العام، وكانت هناك أيضًا زوجة مستشار كاتسنا، الحاج عيسى كيتا، وهى ممرضة سابقة تلقت تعليمها مع يعقوب جوون فى بلدة وُساسا - كانت هذه السيدة قد تقدمت بطلب لتتوظف، وعندما اقترح زوجها ذلك على أبى بكر، أصر رئيس الوزراء على أن تحضر مقابلة شخصية مع رئيس السكرتارية وبالطريقة الصحيحة. كانت السيدة الأمريكية تعيش فى شقة حكومية، أما السيدتان الأخريان فقد كان لهما منزليهما الخاص فى المنطقة السكنية، كانت حرم على خان مسئولة عن الاحتياجات الخاصة المطلوبة لأسرة السير أبى بكر، أما الحاجة كيتا فكانت مسئولة عن إدارة الطباخين، والغسالين ورؤساء الخدم، كما كانت مسئولة عن غرف الزائرين الأجانب. كن يتشاورن فيما بينهن عن الاحتياجات المطلوبة ويقمن بطلبها من السوق أو من المحلات التجارية. كان العم أحمد قارى يراقب الأطفال ويرعاهم من مسافة مناسبة.

كانت المناسبات الخاصة، والمهام الخاصة أمرًا واحدًا، أما ما عدا ذلك، وكما كان حال الرجل فى مزرعته فى باوتشى، كانت واحدة من زوجاته تقوم بطهى وجبته فى البلدة وتقوم بإرسالها إليه، هذا التقليد بقى مع هذا الرجل هنا فى ليجوس، هنا فى ليجوس كانت زوجات رئيس الوزراء يطبخن طعامه البسيط، عندما لا يكون هناك ضيف من الضيوف، وكن يشترين مكونات هذه الوجبات له ولأبنائه من النقود التى أعطاهن أياها أبو بكر من جيبه الخاص. كان الرجل يعتمد فى إنجاز القسم الأكبر من

خدماته على "خدمة" boys الخصوصيين الذين سبق الإشارة إليهم: مومِوه Momoh، وعوده Audu بانكشين بوصفهما رئيسين للخدم، وعوده Audu كومبت Kombit الطباخ، والغسالين: ميداوا Maidawa وإيليا Iliya. يزاد على ذلك أن الرقيب الشُّرطى قفطان توبو لومبو وهو أصلاً من منطقة نانجاسو Nangasu فى المناطق التابعة لفرنسا أصبح شخصًا أصيلاً فى الأسرة. كانت المناسبة الوحيدة التى ترى فيها كل أفراد الأسرة أبا بكر فى سكنه الخاص، تتمثل فى حفل عيد الميلاد المكتبى الذى كان أبو بكر يقيمه لكل العاملين معه، على الطريقة الغربية. ومع ذلك، كان الرجل لا يُرى إلا نادرًا وهو يتسوق على انفراد، أو فى جولة خلوية لوحده. فى الوقت الذى لا يكون الرجل فيه مشغولاً يصبح مُتْعبًا، ولذلك كان الرجل يؤثر الخصوصية على الأمن.

جاء تقاعد القائم بعمل مدير الأشغال الفيدرالية، وهو سكرتير أبى بكر السابق إيدى Eddie أرميتاج، بمثابة الفرصة السانحة لمراجعة خطط البناء فى كل من ليجوس وبعض الأماكن الأخرى، التى كان بعضها يحظى باهتمام أبى بكر السياسى ورجل التعليم. كان هناك تخوُّف أمنى، ذلك أن مسكن رئيس الوزراء الجديد الكائن فى شارع الملك جورج الخامس فى منطقة أونيكان Onikan، إضافة دار ضيافة أبى بكر المطلة على نهر فايف كورى وعلى جزيرة فيكتوريا، بدأ يتهددهما الخطر من الجواسيس والمخربين الخياليين. كان أرميتاج قد اقترح على الحاج إينوات وادا بناء منزل جديد على جزيرة صناعية صغيرة فى بحيرة ليجوس، بحيث يسهل الدفاع عنه ويمكن الدخول إليه من الجزء الشمالى من حى إيكوى Ikoyi. جرت الموافقة رسميًا على ذلك المبدأ، لكنه كان مكلفًا ولم يتخذ بشأنه أى قرار من قبل رئيس الوزراء. كان هناك أيضًا مهندس معمارى كبير اسمه السيد/ إجبور Egbor، يقوم بدراسة مخططات المبانى البرلمانية الحديثة فى الدول الأخرى. وجرى جلب مهندس معمارى أجنبى لتصميم مبنى سوق المال الجديد، نظرًا لأن وزارة الأشغال لم يكن لديها خبرة فى هذا الاتجاه.

جاءت الهدية أو الهبة التى قدمتها شركة شل للبترول بمناسبة الاستقلال على شكل إنشاء مبانى جديدة لمعهد يابا الفنى الخاص بتدريب الفنيين، كانت هناك أيضًا مضامين إنشائية جرى استيماؤها من لجنة آشبى، والاستفادة بها فى مكونات كلية الفنون والعلوم والتقنية فى إيبادان التابعة لجامعة إيف Ife، والاستفادة بها أيضًا فى إينوجو ومنها إلى جامعة نيجيريا فى نسوكا Nsukka، كما جرى أيضًا الاستفادة من هذه المكونات فى زاريا حيث الجامعة الشمالية الجديدة، فور تحديد تاريخ للبدء فى إنشاء تلك الجامعة. كانت هناك أيضًا اضطرابات رسمية حول مسألة شروط تأخير مستحقات (أو زيادة أجل الائتمان) عن المشروعات التى يقوم المقاولون بتمويلها، كان بعض المستشارين يفضلون الحصول على القروض الدولية الميسرة للتغلب على هذه المشكلة.

جاء رحيل بطرس ستالارد وهو يحمل معنًى كبيرًا. فقد كان الرجل هو ورئيس الوزراء على اتصال يومى تقريبًا طوال ثلاثة أعوام ونصف العام، كان بطرس ستالارد الصديق الوحيد المتبقى - لأنه لم يكن معنيًا بالعلاقات الاجتماعية إضافة إلى أنه لم يكن ابنًا من أبناء البلد - الذى يمكن أن يسر إليه أبو بكر بشىء دون الخوف من أن يكشف ذلك الشىء، فى مرة أخرى أو فى مكان آخر، لشخص لا يكون أهلاً لذلك. من هنا كان رجال الدولة الرومانيين يقدرون السكرتيريين اليونايين العاملين معهم حق قدرهم. كانت لبطرس ستالارد علاقات لا تقدر بثمن مع اثنين من نظرائه الإقليميين، وبخاصة فى الظروف التى تحتم تناول الأمور الغامضة فى الخدمة المدنية، كان بطرس ستالارد صديقًا قديمًا من أصدقاء جريتباتش Greatbatch، سكرتير المستشار السياسى الرئيسى، منذ أن كانا زميلين فى مدفعية فى قوات الحدود الملكية الإفريقية الغربية فى بورما، وكان بطرس ستالارد صديقًا أيضًا لسايمون Simon أديب Adebo، الذى يشغل فى الوقت الحالى رئيس الخدمة الإقليمية فى الإقليم الغربى، يضاف إلى ذلك أن بطرس ستالارد هذا شارك فى المعركة السلمية المشتركة التى شنتها كل من

سايمون أديب بصفته سكرتيراً ماليًا، وبطرس ستالارد بصفته السكرتير المساعد الرئيسى (السياسى)، على بعض الأعمال المحظورة فى مصلحة السجون، ومن سوء الطالع أن احترام بطرس ستالارد وتقديره للتعاون المنتظر، مع نظيرهما جيروم يودوجى، فى الشرق، أُحبطا بفعل تأثير الوزراء الفيدراليين الأجباويين الذين شجعوا على الحملة التى جرت فى ليجوس ضد سايمون أديب. كان الحاج السير أبو بكر قد وطد نفسه على تنقلاته، وكان ممنونًا لتنظيم هذه المسألة. أقام أبو بكر حفل غداء توديعى، حرص فيه على أن يكون أصدقاء ستالارد الشخصيون من بين المدعوين. رد بطرس ستالارد على خطبة التوديع التى ألقاها أبو بكر، والتى لم يعد لها مسودةً، والتى أشار فيها إشارة لطيفة إلى تلك التلميذة الإنجليزية التى سبق أن قالت له إن شعار مدرستها هو "لا هرج ولا مرج ولا إصدار أوامر"، وأحدث هذا الكلام أثرًا فى ناظر المدرسة السابق الذى كان يصغى إلى ذلك الرد. أشار ستالارد أيضًا إلى إيمان رئيس الوزراء الهادئ وحسن الطبع. وأقيم للرجل فى باوتشى حفل غير رسمى فى باوتشى، قامت فيه الحاجة عائشة جُمَّاى Jummai، أولى زوجات أبى بكر لتوديع الرجل، وعلى سبيل التذكار ترك بطرس ستالارد نسخته من كتاب "أديان العالم" لأبى بكر.

وصل بطرس ستالارد فى نهاية العام ١٩٦١ الميلادى إلى هندوراس البريطانية، وخلفه فى منصبه ستانلى وى Wey، وهو يعلم أنهما عندما يكونان على انفراد يجب أن **"ينسيا أنهما رئيس وزراء وسكرتيره"**، كما ذاع أيضًا صيت الرجل لالتزامه الدقيق بمواعيد عمله من ناحية وظهوره أو تعيينه أيضًا فى الموعد المحدد، هذا يعنى أن الرجل جاء (**"فى الموعد المحدد!"**). لم يكن هناك مزيد من الموظفين البريطانيين الذين يمكن القول عنهم: إنهم كانوا داعمين ومساندين لأبى بكر من وراء ستار، على الرغم من أن حب اللورد هيد الشديد لشخص الحاج السير أبى بكر، ترك الباب مفتوحًا أمام أهل القيل والقال المؤذين. تصادف أن قام معرض السيدة توسود Tussaud فى لندن بعرض تمثال من الشمع لأبى بكر بين سياسيى الكمنولث الآخرين، وكان ذلك التمثال

قد جرى تصميمه خلال فترة انعقاد مؤتمر شهر مارس. لم يشتك الأصوليون من منافاة ذلك التمثال للدين، وعلى الرغم من أن تلك الصورة ظهرت على غلاف مجلة التايم اللندنية، وعلى الرغم من أنها لم يشاهدها سوى عدد قليل من القراء، فقد نُظر إليها على أنها شبيهة بالتماثيل الأخرى المجاورة لها فى المعرض.

من هنا أصبح أبو بكر شخصية عالمية لا يحيط بها المنتفعون السياسيون البريطانيون، وعليه كان الحاج السير أبو بكر ينتهز فرصة ساعة أو ساعتين من إجازته العملية المحلية يمضيها فى الاستماع إلى وزير العمل البريطانى، جون هير Hare (الذى كان من قبل وزير دولة لشئون المستعمرات). وقد شرح جون هير لأبى بكر كيف سيؤثر الطلب الذى تقدمت به المملكة المتحدة للانضمام إلى المجتمع الأوروبى، والذى وافق عليه البرلمان فى شهر أغسطس، على الدول الأعضاء فى الكمنولث. أثناء استخدامهما للغة المختلفة، عرّج أبو بكر فى أحد المرات إلى ردود فعل الدكتور نيكروما، واتضح أن الهدف من ذلك الطلب هو حماية الصناعة الأوروبية وقصر الشركاء الأفارقة على الاقتصاد القديم الذى يقوم على الإنتاج الأولى واستهلال المصنوعات الأوروبية، وذلك بصرف النظر عما إذا كانت ترتيبات التعريفة الجمركية فى صالح أو فى غير صالح أوروبا. وهنا رفض أبو بكر أن تصبح نيجيريا عضواً منتسبًا فى الجماعة الأوروبية، ووعد بحماية الصناعة النيجيرية. وخاب أمل السياسيين البريطانيين المؤيدين للسوق الأوروبية المشتركة، عندما رأوا فى ذلك رفضًا للبراجماتية التى سلموا أنها بعد الاستقلال سوف تلغى الاعتماد على التحليل العاطفى للأحداث، المؤكد أن أمثال هؤلاء البريطانيين، كانوا يظنون أن الوعد باستمرار بعض المزايا الهامشية التى تميز الاستعمار القديم، يعد أمرًا يستحق الوقوف عنده، ما دام أن بريطانيا بدأت تنفض عنها قيودها القديمة وتتطلع إلى مستقبل أفضل مع غرب أوروبا الممتزج مع بعضه البعض، هذا الظن لم يساعد قضية هؤلاء السياسيين فى إفريقيا إلى حد جعل المعادين للسوق أكثر صراحة فيما يتعلق بالدور التبادلى الناهض المحدد للكمنولث

باعتباره مورداً للمواد الخام من ناحية وتوفير الأسواق اللازمة لتصريف المصنوعات من الناحية الأخرى. لم يكن لدى أبى بكر شك فى أن نيجيريا يتحتم عليها الانتقال من مرحلة العمل (الزبون) إلى مرحلة الاكتفاء الذاتى، وإنتاج فائض للبيع.

كان أبو بكر شخصية دولية مستقلة، عندما قام ومعه كل من وزير خارجيته الجديد ومعه مسئولوه، والسيد كنجسلى مبادوى، والحاج محمد رباط، والرئيس تى أو إس بنسون، بتلبية دعوة الرئيس كيندى لزيارة واشنطون. كان أبو بكر قد أبلغ الصحفيين البريطانيين عندما كان فى صالة الترانزيت (العبور) فى مطار هيثرو: **"ها نحن نجيء إليكم مرة أخرى، لا، أنا لا أصبحت معى قوائم تسوق عندما أكون ضيفًا"**. ومضى أبو بكر إلى حد تساؤله عما إذا كانت الشعوب الإفريقية كلها بالمعدل السريع لاستقلال الدول ستفيد من هذه العملية، فى ضوء تباين درجات استعدادها. وما أن عبر أبو بكر المحيط لم يألوا الأمريكيون جهداً فى أن يثبتوا للرجل أن هذه الأمة الجديدة مهمة لهم. وجرى الترحيب برئيس الوزراء ترحيبًا حاراً، بل ونادراً، إذ أعطى الرجل فرصة التحدث إلى اجتماع مشترك عقده الكونجرس الأمريكى، وقد هُيئت هذه الفرصة بطريقة وأسلوب غير مسبوقين إذ قال أبو بكر فى ذلك الاجتماع: **"صلتنا بالولايات المتحدة مكونة من شقين - تاريخ نضال مشترك للحصول على الحرية من كل ما يمكن أن يشكل عسفًا أو قمعًا للروح الإنسانية: والشق الثانى هو صلة الدم بين بلدينا اللذين يسكن فيما بينهما أكبر تجمع من الشعوب التى يجرى فى عروقها الدم الإفريقى"**.

تطرق أبو بكر إلى فلسفة التحرر فى ذلك الوقت فى شيء من الحذر: **"سنحاول بكل الوسائل التأكد من امتداد الحرية التى حصلنا عليها والتى نقدرها تمامًا، إلى كل أولئك الذين لا يزالون يرزحون تحت سيطرة الشعوب الأخرى.إعداد شعب للحرية وأن يصبح دولة فى العالم الحديث يتطلب جهداً وإحساسًا بالهدف بين أولئك الذين**

سيحصلون على هذه الحرية.. مسألة إنشاء دولة مستقلة ناجحة تحتاج دومًا إلى شيء من التخطيط والتدريب".

وجه أبو بكر الشكر للأمريكيين لتأييدهم للتوصيات التي صدرت عن لجنة آشبي، وأردف قائلاً: **"أنجح الطرق لخلق التفاهم.... تكون عن طريق زيادة الارتباط بين الشعوب على مختلف المستويات، وعن طريق تبادل الأفكار والاتصال الشخصي... في الحياة اليومية المعتادة"**. وأعرب أبو بكر عن أمله في إعادة تنظيم الأمم المتحدة وأن يكون لإفريقيا المستقلة صوت فاعل في مجلس الأمن، وشرح الرجل أيضًا الآمال التي حدث المؤتمر الذي عقد في منروفيا. **"الاستقلال يجيء ومعه الكثير من الإثارة، كما أن نقل السلطة من الحكم الاستعماري إلى الحكم الذاتي لا يكون دومًا أمرًا سهلاً، وسبب ذلك أن الدول الاستعمارية ليست على مزاج واحد"**.

التقى الحاج السير أبو بكر الرئيسي كيندي، لقاء متكافئًا في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض الأمريكي، وتحدثا عن السلام والنظام العالميين **"اللذين تصبح بدونهما خطط التنمية الاجتماعية بلا معنى"**. ثم انضم إليهما دين Dean رسك Rusk وزير الخارجية لمناقشة مسألة نزع السلاح، وبرلين، وأنجولا، ومسألة الكنغو، وقيام فرنسا بإعادة احتلال ميناء بنزرت بالقوة (ردًا على انسحاب تونس من الاتفاق الموقع بينهما، ومطالبتها بجلاء القوات الفرنسية عن القاعدة). وأعرب أبو بكر أيضًا عن أسفه "للتكتلات"، على الرغم من أن **"الدول، مثل الأفراد لديها النزعة إلى التعايش مع بعضها البعض"**. انتهز أبو بكر الفرصة ليؤكد أن سد نهر النيجر متعدد الأغراض، يمكن أن يكون قيمًا مثل سد هيئة وادي نهر تينيسي، وأنه يمكن أيضًا أن يوفر الكهرباء الرخيصة، كما سيتحكم أيضًا في مسألة الفيضان، والسيطرة على مسألة النهر، والري سيصبح طريقًا ملاحيًا مائيًا، هذا يعني أن حلمه لم يتغير حتى بعد مضي ست سنوات على زيارته لنهر المسيسبي. أصدر الرئيس كيندي هو وأبو بكر بيانًا مشتركًا مفاده أن الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد من حيث المبدأ لتقديم مساعدات اجتماعية

واقتصادية "كبيرة" إلى نيجيريا، وذلك بناء على الزيارة التى قامت بها اللجنة الأمريكية الخاصة فى شهر مايو، والتى ناقشت آخر تطورات خطة نهر النيجر دون أن تحدد "قائمة الشحن" بصورة مفصلة. (كانت اللجنة قد امتدحت التزام نيجيريا بإخضاع مواردها لخطط مدروسة دراسة جيدة تسمح باستيعاب المساعدات الأجنبية وتراعى العدالة الاجتماعية). وافق أيضًا على أن يكون لإفريقيا تمثيل أوسع فى الأمم المتحدة، شريطة أن لا يؤدى ذلك إلى الإخلال بكفاءة وفاعلية المنظمة.

تحدث أبو بكر فى نادى الصحافة الوطنى فى واشنطون، وقال إن العمل الذى قامت به فرنسا فى بنزرت هو من قبيل **"الخزى والعار"**، وأصر من جديد على أن الدول الإفريقية كلها يتعين عليها احترام الحدود القائمة بينها، ولا توافق على ابتلاع دولة من الدول لدولة أخرى إلا إذا كان ذلك بمحض إرادة الدولة الأصغر ومشيئتها. وأعلن أيضًا أن نيجيريا لن تشارك فى مؤتمر "الدول غيرالمقيدة(*) uncommitted" الذى دعا إلى انعقاده فى بلجراد كل من الرئيس تيتو، والرئيس عبد الناصر، والرئيس سوكارنو بعد الاجتماع التحضيرى الذى عقد فى القاهرة - لم يكن أبو بكر من المؤمنين بسياسة تكتلات القوى، وكان من رأيه أن الدول "المحايدة" حتى وأن شكلت تجمعًا، فإنها ستشكل مجرد كتلة أخرى: هذا يعنى على، حد كلام الرجل، أن نيجيريا كانت تتطلع إلى التعايش السلمى وإلى الاستقلال الوطنى، وأنها لم تكن بحاجة إلى مؤتمر كى تقول ذلك فيه. صحيح أن أبا بكر كان يود توسيع كل المناقشات الدائرة حول المشكلات العالمية، بحيث تصبح الدول الصغيرة مشاركين فاعلين فى هذه المناقشات. قامت البعثة بعد ذلك بزيارة هيئة وادى نهر تينسى فى مدينة كينو كونكسفيل Knoxville، كما زارت البعثة أيضًا الجامعة الشمالية الغربية، واطلعت على برنامجها الخاص بالدراسات الإفريقية فى مكتبة ديرنج، فى شيكاغو، قبل أن تلتقى السيد/ مُنجى سليم التونسى هو

(*) الدول غير المقيدة: تعبير تستعمله الدول الغربية للإشارة إلى دول عدم الانحياز. (المترجم)

وبعض أعضاء المجموعة الأفرو - آسيوية والسيد داج همرشولد فى الأمم المتحدة. وأعربت جامعة نيويورك عن سعادتها. بمنح درجة الدكتوراه الفخرية فى القانون للحاج السير أبى بكر، كما أهدته أيضًا كل من شيكاغو، ونيويورك المواطنة الشرفية التى سبق حصوله عليها من نيو أورليانز قبل ست سنوات.

استضاف طلاب الشمال النيجيرى الوزراء النيجيريين، خلال الأيام القليلة التى أمضوها فى ليدن فى حفل راقص أقامه الطلاب الشماليون فى فولهام، كما أقام السيد/ ماكميلان للوزراء حفل غداء فى دار الإمبريالية وحضر هذا الغداء أيضًا كل من دنكان ساندیز ودينس فوسبر Vosper. جرى تعليق مفاده أن الطائرة الأمريكية طراز جرومان Grumman جلفستريم Gulfstream التى جرى شراؤها لكى يستعملها الوزراء، سيكون محركها بريطانى من طراز "دارت" Dart الذى تنتجه شركة رولز - رويس (هذا التعليق خفف اللدغة التى نتجت عن رفض المستشار السياسى الرئيسى شراء سيارة طراز رولز أو قبولها - رويس، نظرًا - على حد قول البريطانيين - لأن مكيف هواء هذه السيارة الفاخر ينفح على الرجل مسحوق اللطريط أحمر اللون من الطريق على الرجل داخل السيارة).

لقى أبو بكر قبل أن يغادر لندن أعظم تقدير رسمى من قبل المتميزين البريطانيين. فقد استقبل الرجل وأقسم قسم العضوية فى المجلس الموقر الخاص لصاحبة الجلالة. ومن هنا أصبح الرجل مثل كل من الدكتور نيكروما والدكتور أزكوى من قبله، يحمل لقب السابقة "المبجل بحق" Right honourable (ومن هنا جاء عنوان الكتاب) التى تتصدر اسم الرجل، والحرفين Pc اللذين يوضعان فى نهاية اسمه إشارة إلى عضوية مجلس المستشارين الخاص بصاحبة الجلالة. معروف فى إنجلترا أن مستشارى المجلس الخاص لصاحبة الجلالة يجيئون فى مقدمة كل من هم عداهم باستثناء لمن يحملون لقب فارس Knights صاحب شارة، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى كان

يشـــار إليــه فـى البـرلمان بلقب "الماجـد الموقـر" Right honourable gentleman" هذه الاحترامات النادرة يندر استعمالها فى الحياة النيجيرية.

عندما كان أبو بكر يتحدث إلى الجمهور النيجيرى عن أسفاره من خلال الإذاعة النيجيرية لم يشر إلى الألقاب التشريفية التى حصل عليها مؤخرًا، وإنما قال لجمهور المستعملين إنه سوف يقبل أى شكل من أشكال المساعدات الفنية من أى مصدر من المصادر ما دامت كانت هناك "وراء هذا الشكل رغبة حقيقية فى تحسين حياة الجنس البشرى". وقال الرجل أيضًا لمستمعيه أن لن يكون هناك سلام عالمى إلى أن تغير الدول الاستعمارية المتبقية "**نظريتها الخطيرة التى مفادها أن بعض أجزاء من إفريقيا تعد أجزاء لا تتجزأ من القوى الكبرى**". وأن نظرية **التمييز العنصرى** فى جنوب إفريقيا لا يمكن ممارستها لفترة طويلة دون أن تهدد السلام.

على الرغم من أن الشئون الخارجية كانت هى المهيمنة على الحوار العام، فإن شأنًا أو اثنين من الشئون الداخلية كانا يحظيان بالاهتمام فى صيف العام ١٩٦١ الميلادى. فقد جرت تبرئة يوسف تاركا من اتهامه الذى دام طويلاً، بشن الحرب على صاحبة الجلالة، وهذا شكل من أشكال الكلام القانونى الإنجليزى الذى يبدو قديمًا على نحو يصعب معه على آذان النيجيريين الشماليين أن تجعل منه دليلاً على خيانة الرجل، حاول يوسف تاركا فى ذلك الوقت التصالح مع شعبه، لكن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى المحلى هو والحكومة الإقليمية لم يكونا مع هذا التصالح قلبًا وقالبًا. لم ينس يوسف تاركا قط يقينه بأن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قد يُعَدُّ له، لكن تبرئة الرجل زادت من سمعة الرجل ومن اشتهاره بالكرم، والشخصية القوية والمنطلق، فى الوقت الذى عجز فيه عن القضاء على شكوك خصومه الذين كانوا ينظرون إليه باعتباره شعلاً للحرائق والجمار لكن من وراء ستار. ومع ذلك فإن رؤساء الأحياء الإداريين الشماليين الشبان الذين تجولوا بين التيف لتحصيل غرامة الإضراب التى فرضت على من قاموا بالإضراب، تمكانوا من تحصيل هذه الغرامة بشىء من اليسر والسهولة. كانت هناك

أيضًا مسألة الحرج الذى ترتب على قضية البنك الوطنى النيجيرى. هذا البنك على الرغم من اسمه كان بنكًا أهليًا خاصًا. وعلى الرغم من الذكريات الغامضة عن قضية البنك القارى الإفريقى فى العام ١٩٦١ والذى كان مملوكًا للدكتور آزكوى، فقد أمرت حكومة الحاج السير أبى بكر إجراء تحقيق فى مسألة البنك الوطنى، الذى ثبت أنه كان يُدْعم بأرصدة عامة عن طريق حكومة الإقليم الغربى، وثبت أيضًا أن هذا البنك كان يقدم الإعانات لحزب جماعة العمل بعد ذلك. وفى شهر مايو أعلنت محكمة ليجوس العالية التى طلب منها البنك (الحاصل على شهادة فيدرالية بكفاءته وكفايته) الغوث والمساعدة أن هذا التحرى لا يصبح من الناحية القانونية أن يُجرى فى ظل السلطات التى تمارسها الحكومة. ومضت الحكومة طبقًا لقانون جديد، فى إنشاء محكمة خاصة أو تشكيلها لا تخضع لأى طعن من الطعون أمام المحاكم ومخولة سلطات الحكم بالسجن. هذا القانون الجديد نفسه جرى الطعن فيه أمام المحكمة العالية، وفشلت مسألة إثبات دستورية ذلك القانون أمام المحكمة الفيدرالية العليا فى أواخر العام.

ألقى هذا الجدل بظلاله على احتفالات الذكرى المئوية لتخلى الملك دوسنمو Dosun-mu (يصبح فيه أيضًا Docemo) عن ليجوس (التى حولت من خلال التاريخ إلى عقدإيجارى مدته ٩٩ عامًا مثل مستعمرة هونج كونج)، وتعين الشمالى يورو أو هكيرى رئيسًا لهيئة الموانى، والمعروف أن يورو أو هكيرى هذا من أجبيرا. يزاد على ذلك أن مسألة تأسيس جماعة فاعلة من المتقاعدين العائدين إلى لندن من نيجيريا، وإطلاق اسم الرابطة البريطانية على هذه الجماعة - النيجيرية، حظيت بترحيب حار من كل من أبى بكر وأعيان البلاد الآخرين، لكن هذه الرابطة لم تحظ باهتمام كبير. حظى الهجوم الذى شنه الحاج الشيخ شاجارى على الجماعة الأوروبية باهتمام أكبر من هذه الرابطة، والمعروف أن الشيخ شاجارى هو الوزير الذى ترأس الوفد النيجيرى إلى رابطة الكمنولث البرلمانية فى الاجتماع الذى عقد خلال العطلة الصيفية.

لم يتهيب ستانلى وى wey من مواجهة الأزمة التى يمكن أن تحدث بينه وبين ذلك الذى "يرأس" الخدمة المدنية. كان رئيس وزرائه هو المسئول النهائى عن الخدمة المدنية، وكان هو "ستانلى وى" مستشار رئيس الوزراء الرئيسى لشئون الخدمة المدنية، كما أنه يشغل أيضًا منصب سكرتير رئيس الوزراء وسكرتير مجلس الوزراء فى الوقت نفسه، ومن هنا يصبح راعيًا لكل الأسرار السياسية والتنفيذية. كان من عادة ستانلى وى عندما تصله مذكرات وزارية متضاربة، عقد مناقشة أو حوار بين السكرتيرين الدائمين، ثم يقوم بعد ذلك بإعداد مذكرة واحدة بدلاً من هذه المذكرات وممهورة بالأحرف الأولى من رئيس الوزراء، ثم يجرى إدراجها بعد ذلك ضمن جدول الأعمال. كان من حق رئيس الخدمة المدنية تعيين الأفراد أو ترقيتهم اقتصاديًا أو سلطويًا لكن السكرتير الخاص لرئيس الوزراء كان مسئولاً عن الوظائف الفعلية والإشراف اليومى عليها. وإذا كان الآخرون يرتبكون فى أعمالهم، فإن وى wey لم يكن يعرف ذلك الارتباك فى عمله ومسئوليته التى كان يعرفها جيدًا، إذ كان يشجع أبا بكر فى جهوده للوصول إلى إجماع بين مختلف الأعراق، وكان ينصح أيضًا لأبى بكر بالطريقة التى تمكنه من تحاشى النعرة القبلية. قلق ستانلى وى، مثل قلق بطرس ستالارد، على حماية رئيس الوزراء من الهموم التى يمكن تجنبها هو الذى أدى إلى السمعة غير الطيبة التى مفادها أن الرجل (ستانلى) كان يمنع الغرباء عنه من التحدث إليه أو معه بصورة قطعية. ونظرًا لغياب الحوار بشأن حصص الضباط فى الجيش، لم يكن ستانلى وى راضيًا بأى حال من الأحوال عن بعض آراء محمد رباط.

أُسندت إلى الدكتور مبادوى، الذى عُين مؤخرًا مستشارًا لرئيس الوزراء للشئون الإفريقية، مهمة تنظيم مؤتمر خاص للشعب النيجيرى كله، يهدف فى نهاية المطاف إلى إنشاء "المجلس الشعبى لكل النيجيريين"، على أن تكون مهمة هذا المجلس ممثلة فى تجميع أفكار الجماهير عن الدور الذى يجب أن تلعبه نيجيريا فى إفريقيا. وعند افتتاح ذلك المؤتمر أرسل مكتب الحاج السير أبى بكر خالص تحياته وتهانيه إلى جومو كينياتا

بمناسبة تخلصه من القيود المفروضة عليه فى كينيا، "**هذا انتصار عظيم للقومية الإفريقية، وجزاءً رائعًا لك على إخلاصك لقضية الحرية الإفريقية**"، جاءت هذه الرسالة مختلفة عن تلك الرسالة التى سبق أن كلف أبو بكر بطرس ستالارد بإعدادها(بحيث تعبر عن قلقه فى تلك الأثناء بشأن إحكام الأمن على الحدود مع الكاميرون، الذى أصبح أمرًا أكثر إلحاحًا مع اقتراب سحب الوجود الإدارى والعسكرى البريطانى من جنوبى الكاميرون). كان الهدف من عقد مؤتمر المجلس الشعبى لكل النيجيريين، هو إتاحة الفرصة أمام كل الجماعات الراديكالية الموجودة على أراضى نيجيريا، كى تعبر عن آرائها بطريقة منظمة عن التخلف المزعوم فى نيجيريا وزعيمها، وذلك بالمقارنة مع ذلك الذى ينظر إليه الوطنيون الشبان على أنه البروز الذى تُحسَدُ عليه غانا. درس المؤتمر النداءات التى وجهها أبو بكر كما درس أيضًا تقرير لجنة القيادة التى تضم واحدًا وعشرين رجلاً، وخلص المؤتمر إلى نتيجة محرجة للغاية. كان رئيس الوزراء قد طلب من المؤتمر، ومن كل موظفى السلك الدبلوماسى الذين حضروا ذلك المؤتمر، إجراء مناقشات حرة وصريحة: (قال) إنه لن يوحى إليهم بأية أفكار، لكن هناك بعض الأسئلة التى يمكن أن تطرح على سبيل المثال، مثل: كيف يمكن مساعدة الدول المتبقية على الحصول على استقلالها خلال فترة قصيرة، وكيف تستطيع الدول الإفريقية الحصول على المساعدات من العالم الخارجى وتظل بعيدة عن هيمنة هذه أو تلك القوة الدولية عليها؟

وافق المندوبون المعادون للاستعمار، والمندوبون الاشتراكيون، وممثلو حزب مؤتمر الشباب النيجيرى (الذى طالب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، من خلاله حركة الدكتور أزكوى وأعضائها بمقاطعة المؤتمر)، ومندوبو حركة طلائع الدكتور أزكوى الوطنية، ومختلف الأجنحة الحزبية الراديكالية، ومجموعة أخرى من المفكرين، وافقوا جميعًا على سلسلة من التوصيات ثقيلة الوزن والتوصيات العابرة. عارض كل هؤلاء المندوبين والممثلين "وكالات الاستعمار الجديد" التى من قبيل فيلق السلام الأمريكى،

وعقد المؤتمرات للأجانب (عقد الدبلوماسيون الأمريكيون الإقليميون اجتماعًا فى ليجوس باعتبارها مركزًا مناسبًا لذلك الاجتماع)، وسحب حقوق التمثيل المتساوية من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية (والتى كانت بعشرة دبلوماسيين وعشرة لوحات مميزة للسيارات، فى حين كان مسموحًا لكل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بعدد غير محدود من هيئة العاملين وحوالى مائة لوحة من لوحات السيارات). وأوصى المؤتمر أيضًا بدعوة من كل كينياتا ونيكروما وخروشوف لزيارة البلاد زيارة رسمية، حتمية نقل منازل الدبلوماسيين، وبخاصة منزل المندوب السامى البريطانى من المنطقة القريبة لمنزل رئيس الوزراء، وأوصى المؤتمر أيضًا بحضور نيجيريا مؤتمر بلجراد، وقيام كل من الدكتور آزكوى وأبى بكر بزيارة الدول الإفريقية كلها، وحتمية دعم الحكومة الجزائرية المؤقتة وتأييدها، وكل المؤتمرات والجماعات المساندة للوحدة الإفريقية بما فى ذلك مجموعة "الدار البيضاء" ومقاطعة الاتحاد الإفريقى المركزى لصالح جمهورية ألمانيا الديمقراطية الشرقية، ينبغى تصفية مديونية القرض البالغ ٣٠٠ مليون جنيه إسترلينى، وأوصى المؤتمر أيضًا بحتمية تحاشى الجماعة الأوروبية (التى تقدمت بريطانيا بطلب للانضمام إليها بعد أن فشلت فى إقناع دول الكمنولث برغبتها فى ذلك الانضمام). يتحتم أن تكون هناك لجنة لتسوية الخلافات التى بين مؤتمر نقابات العمال النيجيرية ومؤتمر نقابات العمال النيجيرى. وأوصى المؤتمر أيضًا بتأميم الاتصالات البرقية واللاسلكية، وأن يعاد التأكيد على مفهوم وحدة الدول الإفريقية الغامض وأن يكون ذلك التأكيد على مستوى القارة كلها. نادى بعض المشاركين بإعلان الجمهورية وإنهاء مراسم البرلمان البريطانى الاحتفائية (لكن الدكتور مبادوى اقترح إعادة تأسيس المؤسسات البريطانية فى غرب إفريقيا، وهو الأمر الذى كان يروق لأبى بكر، والذى يمكن أن يدعم ويقوى الوحدة الإقليمية - مؤسسة الخطوط الجوية لغرب إفريقيا، محكمة استئناف غرب إفريقيا، هيئة نقد غرب إفريقيا، قوة الحدود الإفريقية الملكية فى غرب إفريقيا). هاجم المؤتمر أيضًا الأنشطة الاستخباراتية المزعومة التى يقوم بها الموظفون البريطانيون فى نيجيريا، وجرى الإعراب عن الشكوك الدائرة

حول مراقبة الديبلوماسيين البريطانيين ومتابعتهم الذين يرعون المصالح النيجيرية فى المواقع التى لم يُنشأ فيها بعد سفارات نيجيرية.

تأثير ذلك على الحاج السير أبى بكر هو وسياسته يمكن استنتاجه من التحولات السابقة فيما يتعلق بالكنغو ومنظمة الوحدة الإفريقية فى الفصلين السابقين. والذى أثر بحق على كل من الرأى البرلمانى والرأى الحكومى، هو مناقشة المؤتمر لمسألة ما إذا كانت المعاهدة الدفاعية مع بريطانيا (المشار إليها فى الفصول السادس والعشرين والتاسع والعشرين والحادى والثلاثين) تمثل جبلاً أم تلاً من التلال. النتيجة التى أمكن التوصل إليها بعد فوات الأوان، تفيد أنه مع تراجع الاقتصاد البريطانى وتأثير ذلك على العالم، والذى يتضح للذهن التحليلى أكثر من الذهن السياسى فى تلك الأيام، فإن اتفاقية الدفع هذه، لا تعدو أن تكون مجرد اتفاق مفاده أنه فى حال نشوب أى صراع يدخل فيه الطرفان، فإنهما سوف يتصرفان مثلما يفعل الأصدقاء فى مثل هذا الحال، فى الوقت الذى بقيت فيه النصوص الخاصة بعدم تقديم أية تسهيلات للقوات المحاربة أو السفن المحاربة محطًا للتشاور المسبق تحت أى ظرف من الظروف، ويمكن تحقيقها عن طريق التفاوض والعمل التنفيذى دونما حاجة إلى معاهدة. كما أن الدكتور أزكوى بنفسه راح يؤكد من جديد أن هذا التل الترابى الصغير لم يكن مطلقًا شرطًا من الشروط التى تمنع نيجيريا من الحصول على الاستقلال. كان الدكتور أوكبارا يقول أيضًا، فى ذلك الوقت، ما دام أن هذه المعاهدة غير مهمة أولاً وقبل كل شىء، وتسبب قدرًا كبيرًا من سوء التفاهم، فقد يكون من الأفضل إلغاؤها. ترك المستشار السياسى الرئيسى موضوع المعاهدة هذه لكل من مساعده، والرئيس أولوو وحدهما من بين الزعماء (والموقعين) الذين واصلوا البحث عن العناصر الخطرة. أما الحاج السير أبو بكر (الذى كانت مخاوفه الرئيسية تتمثل فيما إذا كانت هذه السوابق قد جرى طرحها تمهيدًا لتخطى غانا لنيجيريا) فقد كان ميالاً إلى ترك الأمور على ما هى عليه، لكنه هو ومستشاريه أيدوا اهتمامًا كبيرًا بالإفراط فى التفسير الإبداعى لرابطة

الكمنولث مع بريطانيا من منطلق أن هذه الرابطة أو تلك العلاقة لا تتفق مع وجهة نظر مجموعة الدار البيضاء عن عدم الانحياز أو انفعالات كثير من المفكرين النيجيريين الشبان وعواطفهم. وبصرف النظر عن منافاة هذا الكلام للفعل، فقد أصبح أصلاً ثابتًا فى تطور الوحدة السياسية النيجيرية. طالب المؤتمر فى جلسته الختامية باستنكار المعاهدة الدفاعية باعتبارها جبلاً فى واقع الأمر. علق أبو بكر فى أعقاب ذلك المؤتمر تعليقًا مفاده أن المؤتمر إذا كان قد نسب فضل انعقاده إلى كل من أبى بكر ومساعديه فى المقام الأول، فإن **"أهمية المؤتمر تتمثل فى إعطائه الفرصة لقطاع كبير من سكان هذا البلد للتعبير عن آرائهم فى مشكلات إفريقيا"**.

عبر المجلس الشعبى لكل النيجيريين عن اهتمامه بكل من روسيا وخروشوف، فى الوقت الذى كانت فيه الصحف البريطانية تروى حكايات وحواديت عن مؤامرات مسكوفيه طويلة الأجل لتخريب نيجيريا عن طريق أدلجة(*) طلابها. وجاء رد فعل رئيس الوزراء على ذلك يقول **"لقد ضحكت بحق وحقيقة"**. أما وزير المالية أوكوتاى - إيبوه Ok-otie - Eboh، فقد أخذ هذا الأمر مأخذ الجد، على المستوى الشعبى فى أضعف الأحوال، بأن أبدى ملاحظة مفادها أنه لا يوجد من بين الطلاب النيجيريين الستة والثلاثين أو ما يزيد على الموجودين فى روسيا يندر أن يحمل أى منهم جواز سفر رسمى. كما قام السيد/ جاجا واشوكو وزير الخارجية الجديد، الذى ظن أنه يكتب خطبًا على نحو أفضل مما يكتبه مستشاروه الرسميون، بافتتاح واحدة من المناقشات فى جلسة قصيرة من جلسات البرلمان فى نهاية شهر أغسطس من العام ١٩٦١، وأكد فى هذه الجلسة على السياسة الخارجية التى ينتهجها الحاج السير أبو بكر، كانت النزعة الإفريقية فى تلك السياسة مبنية على تصميم الرجل على إقامة الروابط الثقافية والاقتصادية، وروابط الاتصالات والفعل، ومن ثم يجرى تدمير الحواجز كلها.

(*) نسبة إلى "أيدولوجية". (المترجم)

وإن استقلال نيجيريا لن يكتمل إلا بعد تحرر أفريقا كلها. هذه السياسة كانت واضحة وعملية، على حد قول الرجل، ولم تكن مبتذلة، أو عاطفية، أو من النوع الذى "يريح أعصاب الناس"، لكن هذه السياسة كانت واقعية فى ضوء الظروف. ونظرًا لأن نيجيريا لم تكن تابعة لأية دولة أخرى من دول الكمنولث، وإنما كانت دولة عضو فى المجتمع الإفريقى، وعليها التزامات تجاه شركائها فى الكمنولث، فإن من حق نيجيريا أن تختار السياسة التى تناسبها وتفيدها - ليس الحياد وإنما عدم الانحياز الحقيقى، الذى تجلى فى مساندتها المالية الجزئية لكل من القضية الإثيوبية والقضية الليبرالية المقامتين ضد جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية، لفشل جنوب إفريقيا فى الوفاء بشروط "الانتداب" فى جنوب غرب إفريقيا. وأشار واشوكو أيضًا إلى إصرار أبى بكر على عدم طرد العين من الأمم المتحدة، وإصراره أيضًا على أن ديناميكية الدور الذى تلعبه نيجيريا فى شئون الكنغو.

اتبع رئيس الوزراء ذلك، عندما كانت اللجنة فى مرحلة مناقشة المخصصات التكميلية لمكتب مجلس الوزراء، بإشارات حادة إلى مسائل الاستخبارات، وقد تبدو هذه الإشارات غريبة على القارئ الحديث الذى يسلم بأن صراحة الحكومة أهم بكثير من استقرار المنظومة الدستورية: "**إن قُدر لنا مناقشة المسألة الأمنية [مناقشة مستفيضة]، فلن تصبح بعد ذلك أمنًا، وهذا هو ما سبق أن قلته أمام المجلس. يجب أن لا يكون البرلمان قلقًا بصورة تجعله مشتاقًا لمعظظطرفة القائمين بالعمل الأمنى، أو نوعية العمل الذى يقومون به، ما دام أننا قادرون على التأكيد للبرلمان أن الأمور آمنة وأننا نبذل قصارى جهدنا لكى نرى الأمن فى سائر أنحاء الاتحاد الفيدرالى..... وأنا أرى أن الأمن أمر لا يخضع لمناقشته من قبل البرلمان**". كان رئيس الوزراء تقليديًا أيضًا عندما تحدث عن المسئولية المشتركة: "**مجلس الوزراء هو مجلس الوزراء، وهو واحد فقط. ولن تكون هناك أية مشكلة عندما نقول: "هؤلاء هم وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وأن أولئك هم وزراء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى"**.....

إذا كانت لدى العضو المُشرف معلومات عن وزير من الوزراء يقوم بإعطاء المعلومات للصحافة، أو إلى أى إنسان آخر، سأعود سعيدًا سعادة بالغة إذا ما جاءنى ذلك العضو وأبلغنى عن ذلك". وعلق أبو بكر على الشرطة قائلاً: "الهدف الرئيسى للحكومة الفيدرالية هو النجرنة الكامية لقوة الشرطة - مع مرور الوقت"، وقد أنكر أبو بكر فى تفسير من تفسيراته الشخصية أنه قال فى البرلمان إن المفتش العام الشرطة كان يفكر فى تعيين مفتش عام للشرطة خلفًا له، أو طبقًا لما ورد فى إحدى الصحف، سوف يلقى بيانًا عاجلاً حول هذا الموضوع.

لكن أهم الموضوعات التى جرت مناقشتها فى ذلك المؤتمر كان الموقف فى الإقليم الغربى، وهذا يعد مبررًا للهجمة الأمامية الثالثة فى كثير من فصول الكتاب، وأن هذه الهجمة ستكون هجمة طويلة.

أسباب حالة الطوارئ

أوضحنا أن الحاج السير أبا بكر هامته الأخلاقية ترتفع أكثر وأكثر فى أعين العالم الناطق بالإنجليزية، وأوضحنا أيضًا أن الرجل بدأ يترك انطباعًا طيبًا لدى القسم الأكبر من القارة الإفريقية – وجاء ذلك فى بداية الأمر من خلال مواقفه الهادئة والعقلانية من الكنغو، والتى أكسبته المزيد من الاحترام، ثم من خلال تحركاته الواسعة التى توجت بإنشاء منظمة الوحدة الإفريقية،(*) التى لم يؤسسها هو، وإنما كان يمكن أن تكون شيئًا آخر ما لم يكن هو فيها. يزاد على ذلك أن قوات بلاده العسكرية الداخلية أثبتت فى نهاية المطاف أنها بلغت من القوة حدًا يصعب معه على أى انفصالى التغلب عليها. وعلى الرغم من وقوف النيجيريين على ثبات عزم هذه القوات الفورى

(*) الاتحاد الإفريقى الحالى. (المترجم)

باعتبار ذلك أول دليل على مصداقية التصميم الوطنى عند رئيس الوزراء، فإن هزيم أحداث العنف والغوغاء التى كانت تجرى من وراء ستار فى الإقليم الغربى جاء بمثابة إنذار تحذيرى مسبق. كانت أطرا المتاعب والاضطرابات الداخلية متعددة. كان بعض المراقبين ينشدون الحرج بين رئيس وزراء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الفيدرالى ورئيس الإقليم الشمالى (أحمد بللو) الذى يرأسه فى الحزب نفسه، دون أن يقارنوا ذلك بصورة المرآة الواضحة لرئيس وزراء حزب جماعة العمل فى الإقليم الغربى الذى يجىء ترتيبه فى الحزب بعد زعيم المعارضة الفيدرالية (أو مقارنة ذلك حتى بالعلاقة التى كانت بين الدكتور آزكوى وأكبارا).

لكن الخلافات التى كانت بين آكنتولا وآولوو كانت أعمق بكثير من الخلافات التى كانت بين الشماليين(*) يزاد على ذلك أن اليوروباويين كانت بينهم أيضًا خلافات ثقافية، وأصدق مثال على ذلك هو ما حدث بين أويو oyo الشمالى وأجيبو Ijebu الجنوبى. وهناك أيضًا إشارة واضحة جدًا تمثلت فى استعداد آولوو للاستماع إلى ما يقوله جى أولاديجو Oladeju أديجون Adeigun من أجل فصل قسم أوشون oshun الذى يضم أجبوموشو ogbomosho، عن مقاطعة إيبادان القديمة. كان آولو رفض من قبل الإجابة على السؤال الذى طرحه عليه آكنتولا حول ما يعتزم عمله إذا لم يصبح رئيسًا للوزراء، أما الآن، وبعد أن تحرر من مهام الحكومة التنفيذية، فقد راح يحاول، جاهدًا تطوير حزب جماعة العمل من حزب إقليمى يعتمد على اليوروبا، ناهيك عن القول عن اعتماده على الأجيبو Ijebu (الذى هو منهم) إلى شىء شبيه بالحزب الوطنى. وقام آولوو بإعلان ذلك من خلال فلسفة اشتراكية راديكالية، حتى وإن أدى الأمر إلى الدخول فى شىء من الاشتراكية الديمقراطية، الأمر الذى يمكن أن يروق للشبان والوطنيين

(*) المقصود بالشماليين هنا هما أبو بكر تافاوا باليوا رئيس الوزراء الاتحادى وأحمد بللو رئيس وزراء الإقليم الشمالى. (المترجم)

على حد سواء. لكن أكنتولا الذى كان من قسم أوشون، وكان لا يزال يصارع حقائق المسئولية، فقد اطمأن تمامًا إلى مساعدة الحكام التقليديين ورجال المال والأعمال له، وقل اهتمام الرجل أيضًا بالمواقف الدولية المعادية لأوروبا، كان أكنتولا مثل الآخرين مهتمًا بصورة أكبر بالعقود المستقبلية، والرعاية من قبل الاتحاد، وقرص العمالى والتوظف فى الوقت الراهن، وتخفيض الأراضى والتراخيص، والامتيازات والإعانات.

فهم أكنتولا الإقليم الشمالى أيضًا. كان كل من الحاج السير أبى بكر والحاج السير أحمد بللو هما والرئيس أكنتولا، معينين، كل بطريقته الخاصة، بممارسة السلطة التى نقلت إليهم فى المحافظة على الاستقرار الذى انتقل مع هذه السلطة. أما بحث الرئيس أكنتولا عن السلطة وسعيه إليها، فقد كان الهدف من ورائه إحداث تغيير مؤسسى أوسع بكثير من ذلك التغيير الذى حققه هو من جانب واحد فى الإقليم الغربى، كان مؤيدو أكنتولا قد بدأوا يملون ذلك التقشف الشديد، ويملون أيضًا من دعم حزب جماعة العمل بالمال والنفوذ دون أن يحصلوا على مقابل مادى نظير استثماراتهم. أما أنصار أولوو ووزراؤه فلم يكن لديهم ما يقدموه سوى طاقة الشباب والنغمة الأخلاقية العالية لأناس لم يصلوا من العظمة حدًا يمكنهم من استشعار الفساد الكبير، كانوا يحسون بالرضا لأن الرئيس أولوو هو الذى أنشأ حزب جماعة العمل، لكنهم غابت عنهم الحقيقة التى مفادها أن شخصية أكنتولا وخفة ظله، ورضاه حتى ذلك الوقت بأن يكون فى المرتبة الثانية، هى التى حولت الحزب من نادٍ قبلى للمفكرين إلى عربة من عربات الموسيقى الشعبية. قلة قليلة من هؤلاء المؤيدين هم الذين لم يستشعروا ذلك التوتر الذى كان يتملك مؤيدى أولوو فى المناسبات الرسمية عندما يجيء ترتيب رئيس الوزراء هو وحرمه قبل الرئيس أولوو هو زوجته.

كان الدكتور أوكبارا، زعيم الإقليم الشرقى، مستعدًا مثل أى خصم من الخصوم الآخرين لحزب جماعة العمل، لسكب المزيد من الزيت على نار الصراعات الحزبية الداخلية فى مقاطعات "الغرب - الأوسط" من ناحية، وعلى صراعات الحزب الأخرى من

ناحية ثانية. عاد الدكتور أكبارا من رحلة إلى الخارج فى شهر أغسطس من العام ١٩٦١، وقال: إن الحوارات الغربية كانت كافية لتبرير إعلان الحكومة الفيدرالية "لحالة الطوارئ" فى الإقليم، وكانت تلك أول مرة يستعمل فيها هذا التعبير بطريقة علنية ومكشوفة. لم تكن الأحوال قد وصلت إلى هذا الحد، لكن على الرغم من تحفظ أكنتولا الفلسفى، فقد كان على استعداد لإنشاء مكتب فى نيويورك للتنمية الصناعية والمعلومات الخاصة بالإقليم الغربى فى نيجيريا. وهنا قام رئيس الوزراء على الفور بإرسال رسالة يوبخه فيها: "**موضوع عدم إنشاء أية وكالة أخرى غير الوكالة الموجودة فى المملكة المتحدة، هو موضوع لا يقبل الجدل أو النقاش بأى حال من الأحوال ولا يصح دستوريًا لأى نيجيرى من الإقليم الغربى، أو أية حكومة من الحكومات الإقليمية إنشاء مثل هذه الوكالة**". جاء رد أكنتولا مخادعًا ومراوغًا ويفيد أن أكنتولا نفسه فوجئ بمثل هذا التقرير، وأن ذلك التقرير كان مزيفًا ولا أساس له من الصحة. وقبل أبو بكر ذلك التصريح على عواهنه، لكن بمزيد من التحفظ يزيد عن تحفظه على قبول إنكار المستشار السياسى الرئيسى لفكرة الاتحاد الفيدرالى الإسلامى التى سبق أن أوحى بها.

هناك مثل آخر من أمثلة ذلك الاستقلال المدَّعى من السلطة الفيدرالية، وقد جرت مواجهة ذلك المثال فى جلسة البرلمان التى لم يتطرق إليها من الكتاب. كان الإقليم الغربى قد عين فى شهر مارس من العام ١٩٦١ الميلادى مشرفًا عامًا على قواته الشرطية المحلية، وكان الإقليم الغربى قد أجل العمل بتوصية مفوض الشرطة الإقليمية التى تطالب بوضع قوات الشرطة تحت سيطرته (التى ستصبح سيطرة فيدرالية). لم يكن المشرف العام الذى جرى تعيينه مجرد مدرب أو مستشار. كانت هذه العملية صدى تهكميًا للوعد الذى قطعه أولوو على نفسه أثناء الرحلة التى قام بها إلى الشمال قبل عام أو ما يزيد قليلاً على العام، والذى مفاده أن حزب جماعة العمل فى عمله على مواصلة دعمه للكفاح من أجل الحرية الفردية سوف يحاول استصدار تشريع يسمح

لمفتش عام الشرطة النيجيرية بتولى شئون شرطة الحكومة المحلية أو السلطة المدنية فى "مناطق محددة". لم يحدث أن وافق بوفل مطلقًا على وجود "شرطة للسلطة المدنية"، فى المناطق الغربية كثيفة السكان أو الحضرية، اللهم إلا إذا كانت قوات الشرطة هذه مقصورة على ما اسماه هو "قوة الحجّاب".(*) لم يكن لدى الإقليم الشرقى شىء من هذا القبيل، وإنما كان مكتفيًا "بمراسلى المحاكم" الذين كانوا يرتدون زيا كاكى اللون أو أزرق اللون فى الماضى، هذا يعنى أن قوات السلطة المدنية المحلية الشمالية، المكونة أصلاً من الكونستبلات القرويين كان لها، على حد قول الرجل، معنى من المعانى فى "المناطق الواسعة والمفتوحة"، التى يعيش فيها الفلاحون الملتزمون بالقانون، كما أن أمرى شرطة السلطة المحلية كانوا يقبلون دومًا وعن طيب خاطر إشراف القوات الشرطية الشمالية المهنى وتعاونها معهم فى المدن الكبيرة التى تحدث فيها جرائم معقدة أو أخطار دهمائية، كما كانت القوات الشرطية الشمالية تقوم بتوفير بعض المعدات الحديثة المطلوبة لقوات السلطة المدنية الشرطية. لم يجد بوفل Bovell صعوبة كبيرة فى إخماد مشاركة قوات شرطة الحكومة المحلية فى مسألة التعامل مع المتمردين السياسيين، على حد قوله، لكن الرجل بدأ الآن تنشيط سلطاته كيما يتولى مسئولية عمليات القوات المحلية، فى ضوء الاضطرابات المتزايدة. وقد أدى تعيين مشرف عام على القوات الشرطية فى الإقليم الغربى إلى تهديد السلطة الفيدرالية والإجراءات الشرطية المحايدة.

قدم عضوٌ خاص من أعضاء البرلمان اقتراحًا فى جلسة البرلمان التى عقدها فى شهر أغسطس من العام ١٩٦١ يأسف فيه على ممارسة السلطة خارج نطاق الدستور من قبل المجلس التشريعى فى الإقليم الغربى، والدليل على ذلك التصرف هو تعيين

(*) المقصود بقوة الحجاب هنا، هم مجموعة الجنود الذين يتولون عمل الحجّاب فى المحاكم ويرتدون زيًا موحداً. (المترجم)

مشرف عام للشرطية وإنشاء مكتب إقليمى فى أمريكا ـ وهنا تقدم رئيس الوزراء بمساندة من وزير خارجيته واشوكو باقتراح تعديل، أدى إبراز هذه الوظيفة الشرطية على أنها هى مكمن القلق البالغ: **"أنا على قناعة تامة أن حكومة الإقليم الغربى لم تفتح مكتبًا فى نيويورك.... لقد اتفقنا [فى مؤتمر لندن] ... على أنه...... لن يسمح، تحت أى ظرف من الظروف وبأى حال من الأحوال، لأية حكومة إقليمية بإنشاء قوة شرطية خاصة بها. ومع ذلك يمكن إنشاء قوة شرطية فى الحكم المحلى، لكن هذه القوة لا يمكن إنشاؤها على نحو يسمح بعملها على أساس من التعاون فيما بين الأقاليم المختلفة.**

.... مثل هذه القوة تبدو من جميع الجوانب قوة شرطية إقليمية، ولذلك رأيت أن من الضرورى أن أكتب إلى رئيس الوزراء لألفت انتباهه إلى هذا الأمر..... لم يرد رئيس الوزراء على خطابى لحد الآن. وأنا فى انتظار الرد.... وهنا يتعين على القول، إنه منذ تعيين ذلك الرجل المحترم مشرفًا عامًا على قوات الشرطة، أصبحت الشرطة النيجيرية تجد من الصعب عليها تمامًا التعاون مع قوات الشرطة التابعة للحكم المحلى".

جرى أيضًا الكشف عن قعقعات ودمدمات أكثر فى الاقتراح الخاص الثانى الذى جرى تقديمه فى جلسة البرلمان، وكان مبنيًا على سيل من التقارير الصحفية عن الحوادث والشكاوى الخاصة ويزعم "وجود حالة خطيرة من القانون والنظام فى الإقليم الغربى". حاول الحاج السير أبو بكر أن يبدو رجل دولة، واضعًا نصب عينيه الرأى العام العالمى ونظرته إلى نيجيريا بعد أن انتزعت الكنغو نفسها وراحت تقف لوحدها:

> **"من الخطأ أن نحاول خلق انطباع مفاده أننا نعيش هنا فى مكان يقال عنه إن القانون والنظام فيه مكسوران فى منطقة من المناطق، ويقول حزب المعارضة فى مكان آخر، "آه" القانون مكسور أيضًا فى منطقتنا"..... سمعت مرات عديدة أن الحزب الموجود فى السلطة، أى حزب جماعة العمل، كان ينوى تدمير**

المعارضة كلها - الناس يجرى ضربهم، الناس يجرى إثقالهم بالضرائب، وجرهم إلى المحاكم العادية، وقوات الحكم المحلى يجرى استعمالها ضد الخصوم السياسيين. أُرسل لى عدد كبير من الوثائق وكثير من الصور التى تبين الأعمال الرديئة الفظيعة التى تجرى فى الإقليم الغربى... قبل قيامى بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية، طلبت من مفوض الشرطة فى الإقليم الغربى الحضور لمقابلتى.... أبلغنى ..... بالمصاعب التى تواجهها الشرطة النيجيرية فى الإقليم الغربى. الشرطة النيجيرية، تواجه بعض المصاعب لأنها ليس لديها ما يمكن أن تفعله من المهام الشرطية مع المحاكم المعتادة، كما أنها عاجزة عن مقاومة قوات الحكم المحلى الشرطية فى الإقليم الغربى، وبالتالى يصعب على الشرطة النيجيرية أن تكون فاعلة ومؤثرة..... يزاد على ذلك أن اللوم يوجه دومًا إلى الشرطة النيجيرية، فى الوقت الذى ينسى الناس فيه أن مسألة القانون والنظام داخلة ضمن القائمة المعمول بها حاليًا..... وعندما عدت من زيارة الولايات المتحدة طلبت من المفتش العام تقديم تقرير عن الوضع..... تعيين مشرف عام على شرطة الحكومة المحلية فى الإقليم الغربى له علاقة كبيرة بالمصاعب التى تواجه الشرطة النيجيرية فى مسألة خلق علاقة سعيدة بينها وبين قوات الحكم المحلى الشرطية.... بقيت قوات الحكم المحلى الشرطية، طوال ست سنوات تحت سيطرة القوات الشرطية النيجيرية، لكن هذه السيطرة أُبعدت. وأنا لست قلقًا من ذلك، وإنما أنا قلق من مسألة تعيين ضابط شرطة، اتضح أنه مستخدم من قبل حكومة الإقليم، وأنه يعمل من منطلق إقليمى رئيسًا للقوات الشرطية المحلية الأخرى.

يتعين علينا التشاور فيما بيننا لتعرف بالضبط ذلك الذى ينبغى عمله فى حال خروج حكومة (إذا ما حدث ذلك) عن الخط المرسوم وترتب على عملها هذا إثارة المتاعب، وعجز قوات الحكم المحلى الشرطية عن التعامل مع الموقف. إلى أى مدى تنتظر الحكومة التى تكون من هذا القبيل قيام الحكومة الفيدرالية بمساعدتها وتقديم يد العون لها؟ ...... الأعضاء الأشراف فى هذا المجلس ليسو دومًا على استعداد للتعاون مع الشرطة النيجيرية - وعلى سبيل المثال، أنا بصفتى رئيسًا للوزراء، أتلقى مكالمة هاتفية من الإقليم الغربى..... وأنا لا أعرف المتكلم. وأنا رئيس الوزراء، وهناك ضابط من الشرطة النيجيرية فى المكان، وهنا نجد أن هذا العضو البرلمانى الشريف يرفض الذهاب إلى الضابط ويخبره بما يجرى، ويقوم بدلاً من ذلك بطلب رئيس الوزراء على الهاتف.....!..... أنا أرى أن الوقت قد حان لنا، نحن الحكومة الفيدرالية والحكومات الإقليمية أن نتعاون مع بعضنا البعض. وأنا أفكر فى عقد اجتماع طارئ لمجلس الشرطة.... اهتمامى كله ينصب على الانطباع الذى لدى العالم الخارجى عنا، .... قد يظنون أن البلد الفولانى والبلد العلأنى يتحولان إلى كنغو آخر.... نحن لا نزال بحاجة إلى مراقبة أنفسنا، وأنا واثق من أن بوسعنا الوثوق بأنفسنا حتى نتمكن من المحافظة على القانون والنظام فى هذا البلد.

فى مرحلة لاحقة من المؤتمر ألقى رئيس الوزراء بيانًا حول المزاعم المضادة عن التمييز العنصرى والتخويف، التى رفع لواءها حزب جماعة العمل، وعن عجز الشرطة النيجيرية عن اتخاذ الإجراءات المناسبة، وعن التزام الحياد:

ناقشت هذا الموضوع مع رئيس وزراء الإقليم الغربى وأتطلع إلى مزيد من المناقشة للموضوع نفسه مع الرجل نفسه أيضًا .... وفى الوقت الذى أقدر فيه المعنى الحقيقى للمظالم التى يعمل فى ظلها خصوم حزب جماعة العمل فى غربى نيجيريا، أجد أن ذلك لن يضر سوى سمعة هذا البلد إذا ما وصلت إلى العالم الخارجى تلك التقارير المبالغ فيها التى تزعم الانهيار الكامل للقانون والنظام فى الإقليم، وأن هناك حالة من الرعب فى هذه المنطقة. إذا كان الشخص خائفًا على حياته، فإن الحل الواضح هو إبلاغ هذه الحقيقة إلى الشرطة النيجيرية ويطلب منها اتخاذ الإجراءات الحمائية..... وفى مكان الحادث بدلاً من المجىء إلى ليجوس..... وأى إجراء، بما فى ذلك تنسيق المجهود، أو حتى التدريب، لتجميع القوات تحت سيطرة الحكومة الإقليمية، إنما سيكون تحركًا يخالف روح الدستور ومعناه.... من هنا فأنا أهيب بهذا المجلس وبالجمهور أيضًا أن يساندا الشرطة النيجيرية".

تحدث الرئيس أولوو بعد ذلك إلى مؤتمر طلابى فى لندن مهاجمًا رئيس وزرائه أبى بكر بلا تحفظ مثل الهجوم الذى كان يشن على الدولة المستعمرة قبل الاستقلال. كان اللورد هيد فى ذلك الوقت هو الحاكم الفعلى لنيجيريا، صاح الرجل قائلاً: "حلف شمال الأطلسى لا يزال يستعمل فى هذا البلد ترددات لاسلكية خاصة به، كانت نيجيريا تابعًا خاضعًا يدور فى فلك بريطانيا، "لم يتخذ أبو بكر مطلقًا أى موقف من هذا الأمر إلا بعد أن تهيأت له فرصة الاتصال الشخصى بالسيد/ ماكميلان أو واحد من مساعديه، يضاف إلى ذلك أن الرجل لم ينضم إلا فى اللحظات الأخيرة إلى الراديكاليين الغانيين والكنديين وكذلك الراديكاليين جاءوا من الملايو، فى موقفهم من جنوب إفريقيا، الذى أوحى بمؤتمر منروفيا هو الكتلة الغربية، كان أبو بكر فى ذلك

الوقت ملتزمًا مع الجماعة الأوروبية بدلاً من الهجوم عليها، لقد اقتاده سادته وناصحوه الأوروبيون بفضل المساعدات إلى الدخول فى طريق مسدود، لقد أطلع البريطانيين والأمريكيين على الخطط الخمسية الاقتصادية القادمة، لكنه لم يطلع شعبه على هذه الخطط، لقد وضع العقبات أمام فتح سفارة روسية فى نيجيريا. وجرى انتقاد الرئيس آولوو، فى جلسة البرلمان التالية على هذا الكلام، لكن ذلك التقدم لم يطفئ نار شعور العداء فى نفوس مؤيدى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أو حزب المجس الوطنى للمواطنين النيجريين، وبخاصة أن هؤلاء المؤيدين انزعجوا جميعهم من تأكيدات السير كير بوفل التى مفادها أنه لم يخطر بباله أن الموقف الأمنى العام فى الإقليم الغربى لم يكن عاريًا، وأنه لم يكن هناك انهيار للقانون والنظام، وأن الشرطة لا تزال قابضة على زمام الأمن.

وعلى الرغم من هذا، فإن الاجتماع الطارئ لمجلس الشرطة والذى وعد به أبو بكر انعقد فى كادونا فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦١، "وبعد مناقشة كاملة وصريحة" لموضوع المشرف العام والأمن الداخلى، أقر الاجتماع مسئولية رئيس الوزراء المهيمنة والمسيطرة على القانون والنظام فى سائر أنحاء الاتحاد. وناقش مجلس الشرطة أيضًا إنشاء قوة قوامها ١٣٠٠٠ من رجال الشرطة النيجيرية وقوة أخرى قوامها ٩٠٠٠ رجل لمختلف قوات الحكم المحلى، وأرجأ المجلس أية تغيرات مستقبلية إلى الاجتماع التالى. وأكد الاجتماع على أهمية التعاون الوثيق بين قوات الشرطة النيجيرية وقوات السلطة المدنية الشرطية، أو بالأحرى قوات الحكم المحلى الشرطية. هذا يعنى أن الاجتماع لم يتخذ أى قرار بشأن هذا الموضوع. وصلت رئيس الوزراء تقارير الفرع الشرطى الخاص التى تفيد أن "عناصر" محددة من حزب جماعة العمل كانت تفكر فى طريقة لتدبير إحداث انقلاب، أحست الشرطة بالحرج لأن مهمتها تفرض عليها إبلاغ استخبارات الأمن إلى الحكومات الإقليمية، ووافقت شرطة الفرع الخاص على توجيه الحاج السير أبى بكر الذى يقضى بأن تكون الأولوية للحكومة الفيدرالية فى حال الخلاف على الولاء. هدأ القلق العام فى ذلك الوقت، أكثر من ذى قبل، وساد رأى بوفل

Bovell المهنى المتفائل الذى مفاده أن السواد الأعظم من الشعب فى القسم الأكبر من الإقليم يتمتعون بحيوات هادئة. وجاء ذلك الكلام صادقًا بحق.

ومع ذلك، حدثت غُصَّة إجرائية عاجلة. فقد حكمت المحكمة الفيدرالية العليا فى شهر أكتوبر حكمًا فى غير مصلحة الحكومة الفيدرالية بشأن الورطة التى تسبب فيها التحقيق فى مسألة البنك الوطنى النيجيرى. سبق أن ذكرنا أن الحكومة الفيدرالية، على المستويين الرسمى والسياسى، أعطت وزنًا كبيرًا لبعض المزاعم، النابعة أصلاً من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، حول مسألة تسيير شئون البنك وسيولته فى الماضى، لكن إدراك الحكومة ووعيها بأن بعض هذه المزاعم كانت تصطبغ بالصبغة السياسية، هو الذى جعلها تتراجع عن التحريات الشرطية المباشرة، بل والأرجح عن إقامة الدعوى. وبدلاً من إقامة الدعوى، ومن خلفية التحقيق السابق مع بنك وزير المستعمرات، استقر رأى مجلس الوزراء على إجراء تحقيق مماثل آخر، بغية تعويض طريقة التعيين ولوائح الكفاءة والكفاية عن طريق المحكمة العالية فى ليجوس، ولما كان مجلس الوزراء مصممًا على كشف المزيد من الفضائح لتبرير القيام بإجراء من الإجراءات، وبغض النظر عن طبيعة مثل هذا الإجراء، ضد السلطات الإقليمية الغربية، فقد توصل المجلس إلى نتيجة، مفادها أنه بدلاً من البدء من جديد بالبحث عن والاهتمام بالرسميات والتفاصيل، يُفَضَّل تعيين لجان خاصة ومحاكم خاصة طبقًا لقانون يجيزه البرلمان. عند عمل مسودة هذا القانون، كان المحامى العام الدكتور إلياس، الذى لا ينتمى إلى أى حزب من الأحزاب، فقد قصد إلى إبعاد أى عمل يقوم به رئيس الوزراء عن طائلة أية محكمة من المحاكم. وما دام أن البنك جرى الحصول عليه أو بالأحرى تأميمه من قبل الحكومة الإقليمية، وعلى الرغم من سعى البنك إلى العمل فيما وراء حدود الإقليم الغربى، فقد دفع ذلك حزب جماعة العمل إلى التقدم للقضاء من جديد، وجاء حكم المحكمة العليا، المشار إليه هنا، يقضى بأن القانون يعد خارج نطاق سلطات البرلمان الفيدرالى، وإنكارًا لحقوق الإنسان التى يضمنها الدستور. وجرى وقف

التحقيق من جديد، فى حين راح الحاج السير أبو بكر، يوازن بين البدائل الأخرى فى شىء من الحرج. كان أبو بكر قد اعتمد على محامين مهرة فى إيجاد أساس متين يكون وسيلة لغاية فى إجراء قوى، يجده هو مبرراً من الناحية الأخلاقية، لكن المحامين المتمرسين قللوا من شأن ذلك الأساس المتين أمام القضاة المحايدين. وعقد أبو بكر مؤتمراً صحفياً قال فيه وهو مستاء من القضاء **"لقد أنوا واجبهم"**، لكن مع أسف الرجل العابر على حركية dynamism اللوائح غير المدونة أقر الرجل واعترف أنه بدأ يفكر فى مراجعة الدستور **"المتحجر"** الذى يكن له هو احتراماً كبيراً، لكن هذه المراجعة يجب أن تتم فى ضوء نقاش واسع ودراسات دقيقة.

أكد أبو بكر فى حديثه الخاص مع صديقه قاضى القضاة أنه ملتزم التزاماً صارماً بالدستور: وإذا ما ثبت أن الدستور مخطئ أو غير فعال، فبالإمكان تعديله، لكن ينبغى الالتزام به فى الوقت نفسه. قبل انعقاد المؤتمر الصحفى كان أبو بكر قد طلب من السير أديتوكنبو Adetokunbo أن يخبره بموعد مجيئه، لأنه يريده فى أمر سريع، وقال له **"يا قاضى القضاة، أنا سعيد بإصدارك هذا الحكم، لأنى أريد لك أن تكون حر القرار، وأنا إذا ما ارتكبت جريمة أو خطأ فى تقديرك، يجب أن تعلن ذلك..... وإذا ما أحضرونى أمامك، احكم علىَّ بالسجن – وهذا هو الطريق الذى أود للقضاء أن يسير عليه. وأنت لن تحيد عن الحق"**. ومع ذلك، واعتقاداً من أبى بكر أن القانون الذى صاغه الدكتور إلياس كان يرمى ويهدف إلى قمع البشر وأن التحقيق الذى أجرى فى ظل هذا القانون كان يرمى إلى الكشف عن جوانب هذا القمع بدأ الرجل يشعر بالضيق والحرج إلى حد بعيد.

سارع الرئيس أولوو إلى زجر الحكومة لما اسماه هو الانحدار الخطير فى القيم الأخلاقية، وركز بشكل خاص على سياسة البين بين فى تعيين الأشخاص غير المؤهلين فى المجالس الرسمية، وعلى أولئك الذين يكسبون الكثير لقاء القليل من العمل ـ طالب الرئيس أولوو بشن حملة على الرشوة والفساد والمحسوبية، والذى لاشك فيه أن الرجل

قصد تطبيق ذلك على الأديان كلها، والتى كان لكل منها ملاحظات عن بعضها البعض. وبعد اقتراح برلمانى غير ناجح بتأميم المصالح الأجنبية، انصرف آلوو إلى الإشراف على إعداد مجموعة من الأبحاث السياسية الخاصة بالحزب، قامت بإعدادها "مجموعة إعادة التعمير الوطنية" الشبابية، وكانت تلك الأبحاث تشرح للناس (أو بالأحرى المتعلمين منهم) مغزى "الاشتراكية الديمقراطية": هذا يعنى أن الاشتراكية المحلية ومعاداة الاستعمار الجديد فيما وراء البحار هما اللذان سيحصدان الأصوات الانتخابية. قامت اللجنة التنفيذية الفيدرالية فى حزب جماعة العمل بدراسة هذه الأبحاث فى شهر ديسمبر، وسخر منها آكنتولا لسذاجتها، ويصر آكنتولا على كلامه، ويردف قائلاً: هذا التنظير لن يفوز بالأصوات التى تعد السبيل الوحيد للوصول إلى السلطة، فى الغرب النيجيرى، ناهيك عن الاتحاد الأوسع والأعرض الذى حاول هؤلاء الشبان الراديكاليون (الذين ليس من بينهم أى من رجال المال والأعمال، أو الزراعيين، أو القادة أو الزعماء التقليديين) إصلاحه. وعلى الرغم من ذلك يجب أن لا ننسى أن وزارة آكنتولا كانت لا تزال من حيث الجوهر هى تلك الوزارة التى خلَّفها له آولوو، ويجب أن لا ننسى أيضًا أن مشروعات آولوو كانت تجرى ملاحقتها، بما فى ذلك المشروعات التى لم يعد لها معنى اقتصادى، وأن تدخل آولوو فى تفاصيل الشأن اليومى إنما كان عبارة عن صرخة من بُعد تشير إلى قلق الدكتور آزكوى شخصياً على السياسة العريضة التى ينتهجها أُوكبارا، أو تعليقات المستشار السياسى الرئيسى على نشاطات أبى بكر الفيدرالية.

وصل الشقاق بين آكنتولا وآولوو إلى العلن فى المؤتمر الوطنى الذى عقده حزب جماعة العمل فى شهر فبراير من العام ١٩٦٢ الميلادى فى مدينة جوس Jos، على أمل الظهور كحزب وطنى وليس أبروشيا.(*) شارك فى هذا المؤتمر يوسف تاركا، وحزب

(*) أبروشيا: أى تحت رعاية الكاهن أو القسيس، وهذا الاسم مشتق من "الأبروشية" التى هى نوع من الكنائس. (المترجم)

مؤتمر الحزام الأوسط، وإبراهيم إمام، وحركة شباب برنو، وبعض أتباع حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى ومؤيديه. انتشرت بعض الأقاويل عن اتفاق سرى يقضى بأن يساند آكنتولا مستشار سكتو السياسى الرئيسى فى حملته من أجل رئاسة فيدرالية يجرى اختيارها عن طريق الانتخاب فى حال إعلان قيام الجمهورية (ظن الناس أن أولوو سيساند أزكوى، فى حال إذا ما كان ذلك سيؤدى إلى انشقاق التفاهم القائم بين حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى). كان استياء يوروبا الأويو Oyo أكثر علانية، فقد راحوا يعبرون عن استيائهم من بقايا الأجيبو Ijebu المعينين فى مؤسسات ولاية أولوو وتفضيلهم فى الحصول على قروض البنك الأهلى. عند هذه المرحلة بدأ أولوو يعترف بأن المساندة من قبل الأكاديميين فى الجامعة، ومن قبل الطلاب الجامعيين، وقيمة هذين العنصرين الإخبارية لدى وسائل الاتصال، كانت أكبر بكثير من الحجم العددى لهذه المساندة، ولذلك بدأ أولوو فى التخفيف من لغته الاشتراكية حتى يمكن أن تتوافق مع مصالح الإيف وإيبادان ونظرياتهما، ويصبح الحزب أكثر شبهًا بحزب العمال البريطانى الذى يتزعمه ولسون. ومن الطبيعى أن لا يروق ذلك لبعض مؤيدى آكنتولا الذين كانوا يتمتعون، على سبيل المثال، بامتيازات الغابات أو الامتيازات الأخرى فى أرض كانت مشاعًا للجميع فى وقت من الأوقات. لم يرفض آكنتولا الاشتراكية الديمقراطية، لكنه كان براجماتيًا فيمن يجب حدبهم إلى جانبه.

بدأ أولوو يوجه سهامه إلى تلك المبادرات التى لم يحصل رئيس الوزراء على الموافقة اللازمة لها مثل: الرسوم المدرسية، التخفيضات الضرائبية، وثيقة التنازل عن ضريبة الرءوس النسائية، التأسى برئيس وزراء الشمال فى استخدام راكبى الدراجات النارية، ومحاولة تعيين الشريف أديب ذلك الموظف الروتينى الكبير البعيد عن السياسة نائبًا لرئيس الحزب مكان أحد شخصيات الحزب التافهة، لم يأت رئيس الوزراء أيضًا على ذكر القرارات الاقتصادية التى أعقبت الكساد الذى حل بسوق الكاكاو والاتفاق الذى تم بين اللجنة التنفيذية فى الحزب الإقليمى ومجلس الوزراء، ولم يأت الرجل أيضًا

على ذكر سياسته التى أجهزت على أرصدة مجلس التشويق الذى تقدم بدوره بطلب قروض لا ترد لشركة العقارات والاستثمار الوطنية التى كان يرأسها سكرتيره المالى ألفريد ريوين Rewane الذى وصلت ديونه إلى ما يقرب من ستة ملايين ونصف المليون من الجنيهات الإنجليزية. توقع أكنتولا الهزيمة فى واحد من المؤتمرات التى ساندها الحزب مساندة قوية، بأن أمضى اليوم الأول من أيام المؤتمر على انفراد مع كل من روسيجى وأديجون Adigun، فى مناقشة بعض الأمور مع المستشار السياسى الرئيسى الذى كان يفتتح قاعة السلطات بللو فى جامعة إيبادان، وجرى بعد ذلك عزو المحن التى ألمت بنيجيريا إلى "الصداقة" التى نشأت بين رئيس وزراء الإقليم الشمالى والإقليم الغربى. وانسحب أكنتولا أخيرًا من اجتماع الحزب، ومعه الرئيس أيو روسيجى السكرتير الفيدرالى للحزب، والذى كان يدافع عن مسألة توحيد الأحزاب الثلاثة فى جبهة موحدة (وبذلك تصبح هذه الجبهة بمثابة لعنة للعنصر الاشتراكى الراديكالى فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين).

هذا المؤتمر، الذى تضخم بفعل الأعضاء عديمى الحيثية، والذى التهبت نيرانه بفعل تظاهر أكنتولا بالاستقلال، وأن له أصدقاء مؤثرين وفاعلين فى الشمال، هو الذى مكن أولوو من تعديل ميثاق الحزب بحيث يعطى العضو التنفيذى الفيدرالى حق طرد أى عضو يشغل منصبًا مرموقًا، وأعاد المؤتمر انتخاب أولوو رئيسًا وطنيًا للحزب، كما انتخب المؤتمر أيضًا كلا من إيناهورو وإبراهيم إمام نائبيه للرئيس، لكن المؤتمر أطلق من جديد على أكنتولا لقب نائب زعيم الحزب، وليس نائب الرئيس. ومع ذلك عجَّل روسيجى (أحد الزملاء الودودين مع أبى بكر فى الوزارة فى العام ١٩٥٧، والعارف تمامًا بالأمور المهمة للدولة منذ ذلك التاريخ، ومن خلال صداقته مع بى إيه إس ولد بَبًّا Bappa) بالتصالح مع أولوو، وسُمح لروسيجى بالاستقالة بدلاً من مواجهة الطرد المشين، وحل محله سام إيكوكو Ikoku. قام أشراف اليوروبا الذين أزعجهم ذلك التصرف بالتجهيز لقرار شعبى عن الخلافات الشخصية فى اليوم العاشر من شهر

أبريل، ولكن التقسيمات العمرية والانقسامات الطبقية، والعشائرية، والقبلية بقيت على ما هى عليه فى حزب جماعة العمل.

على الرغم من القلق والضيق الذى أحدثته انفصالية آكنتولا، فإن تعاطف الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا مع رئيس وزراء الإقليم الغربى كانت أوضح من تعاطفه مع الرئيس أولوو. حدث ذات مرة عندما كان أبو بكر يستمع إلى آكنتولا وهو يحكى عن حسناته لرئيس oba ليجوس، أن ذكَّر الرئيس oba (وهو أصلاً من اليوروبا) أبا بكر فى إشارة أسيفة إلى سمعة شعبة وناسه المبتذلة بين الغرباء المتحاملين عندما قال: "حسن، يا سيادة رئيس الوزراء، آكنتولا من اليوروبا!" وكان كلاهما يعرف أن الرجل معمدانى مخلص. فشلت جهود إشراف اليوروبا فى لم شمل التخربات المختلفة. وأصبح واضحًا أن رؤساء obas الإقليم الغربى لم يعودوا قادرين بعد على السيطرة على حزب جماعة العمل شأنهم فى ذلك شأن أمراء الشمال فى عجزهم عن السيطرة على حزب المؤتمر الشعبى الشمالى.

تزايد الضغط على حزب جماعة العمل. كان المجلس التشريعى الشمالى قد صوت فى ذلك الوقت لصالح نحت أو فصل إقليم الغرب الأوسط، وعلى الرغم من أن مجلس الممثلين (المندوبين) الفيدرالى كان قد انتوى بالفعل إصدار قرار مماثل "بالإجماع"، فإن مثل هذا القرار لم يبد من الناحية القانونية ملبيًا لمطالب الأغلبية النوعية الدستورية لأعضاء المجلس التشريعى الذين يشكلون الأغلبية فى مختلف المجالس. واستهدافًا لتأجيل الجلسة لعدم اكتمال النصاب، قدم أبو بكر اقتراحًا رسميًا آخر فى نهاية شهر مارس من العام ١٩٦٢ الميلادى. وقد هيأ ذلك الفرصة أمام أولوو لكى يتقدم باقتراح للتعديل يضم تسعة أقاليم أخرى. وهنا نجد أبا بكر يسارع إلى التعبير عن اندهاشه، ويردف قائلاً: "كنت!"، بعد تأييد الرئيس إيناهورو للرئيس أولوو، نجح أبو بكر فى معارضتهما عندما قال: **"فى وقت من الأوقات كانت لدى معلومات مغلوطة عما يدور فيما يسمى منطقة الغرب الأوسط، والسبب فى ذلك هو أن الأحزاب السياسية تعارض**

بعضها البعض معارضة لدودة، وأنا لا تستهوينى هذه المعارضة. وأتمنى لو أن كلاً من حزب جماعة العمل وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين اجتمعا ونظرا فى هذا الأمر.... الترتيبات كلها..... يجرى عملها فى أجواء مسالمة إلى أبعد الحدود، والسبب فى ذلك أنى لا أود أن أواجه بالسؤال مرة أخرى عن تكسير القانون والخروج على النظام. وأنا أود لنا بحق أن نتصرف على نحو يجعل الناس فى الخارج يمدحوننا بحق". وعندما تكلم عن الانتخابات الدموية التى جرت مؤخراً قال: **"ينبغى أن نوجه اللوم إلى الأحزاب كلها.... لكنى أفهم أن حزب جماعة العمل لديه عدد من الفتوات أكثر من أى حزب آخر".** ويردف أبو بكر بعد ذلك قائلاً: **"أود أن أوضح موقفى توضيحياً جليًا، وهو موقف الحكومة الفيدرالية وموقف حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى هذا الأمر. نحن نعارض دومًا إنشاء ولايات جديدة،.... لكن إذا ما بلغت إحدى القبائل حداً من الحماقة،.... فسوف ننظر دومًا فى تجزئة مثل هذه القبيلة".** وهنا بدأ بعض أعضاء من شباب حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين يسعون إلى عدم ربط حزبهم بالموقف المعارض لإنشاء المزيد من الولايات الجديدة.

كان شيئًا فريداً أن يقول الرئيس إيناهورو (الذى تمتد جذوره إلى الغرب الأوسط) فى الحوار الفعلى الذى دار حول إقليم الغرب ـ الأوسط، ".... (أقول بكل صدق وإخلاص) إن شخص رئيس الوزراء كان واحداً من العوامل المهمة ـ لو قدر أن يكون لدينا شخص آخر غيره ـ واحد من أصدقائنا الموجودين فى المجلس ـ فى هذا المنصب، لراودتنا الشكوك حول الماهية التى عليها هذا المجلس اليوم. لكن رئيس الوزراء لن يكون فى هذا المنصب إلى الأبد. وأنا لا أظن أن الرجل يود أن يكون فى هذا المنصب إلى الأبد أيضًا. ما الذى سيحدث عندما يصبح لدينا أشخاص آخرون ليست لديهم السمات والخصائص التى أضفاها رئيس الوزراء على هذا المنصب؟". بعد ذلك بدقائق معدودات قال الحاج السير أبو بكر: **"أنا نفسى أنتمى إلى جماعة صغيرة جدًا، وأنا لست من الهوسا".** يجب أن لا يغيب عنا أن تجمع "منروفيا" كان قد أجرى اجتماعه

الناجح فى ليجوس، وذاع صيت اسم نيجيريا واسم أبى بكر فى سائر أنحاء الكنغو. والمحزن أن يد إيناهورو كانت آخر الأيادى الصديقة التى امتدت إلى أبى بكر فى جلسة البرلمان. عقب ذلك مباشرة، ضاع ذلك الوفاق لا مع الرئيس أولوو زعيم الحزب وإنما أيضًا مع الكثير من الأعضاء الراديكاليين فى حزب جماعة العمل. ويجب أن لا يغيب عن البال هنا أنه على الرغم من أن الحاج السير أبا بكر كان سياسيًا عمليًا، فإنه لم يحدث أن كان متآمرًا فى أى وقت من الأوقات، كان الرجل يدبر دومًا الوقت اللازم للحديث عن الشئون الخاصة، أو أحدث الكتب التى قرأها، مع مسئوليه أو أصدقائه السياسيين (بدءًا من أبى بكر إلى آلان Alan لينوكس - بويد)، ومع ذلك لم يحاول الرجل قط إسقاط حزب جماعة العمل أو الرئيس أولوو. هذا يعنى أن الرجل كان تفاعليًا ولم يكن تبادُئيًا.

فى مطلع شهر مايو كان الرئيس فستوس لا يزال يقول: إن رئيس الوزراء سيدعو إلى عقد مؤتمر لكل الزعماء السياسيين فى الغرب الأوسط، على أمل إجراء مصالحة معهم للتعاون فى إنشاء إقليم الغرب الأوسط الجديد، لكن آكنتولا رئيس وزراء الإقليم الغربى استبدأ المتاعب عندما أقدم على إبعاد ألفريد ريوين Rewane عن وظيفته المهمة للغاية رئيسًا لهيئة تطوير الإقليم الغربى. كان أولوو يمارس بالفعل ضغوطًا على بعض وزراء آكنتولا، الذين عينهم هو بنفسه. كان التنفيذيون من حزب جماعة العمل فى كل من أرض اليوروبا الأم ومن مقاطعات الغرب - الأوسط قد اجتمعوا برئاسة أولوو فى اليوم العاشر من شهر مايو فى إيبادان للنظر فى الطريقة التى يمكن بها إزالة "آكنتولا" بتهمة سوء الإدارة، ومعاداة أنشطة الحزب، وعدم الانتظام". ونظرًا لافتقار آكنتولا إلى الحصول على المزيد من التفاصيل أو المعلومات الأفضل التى يمكن أن يرد عليهما باستعمال الحقائق، فقد اعترف الرجل أن أولوو كان يفضل دومًا روتيمى وليامز وإيناهورو وأكران على نفسه، لكنه أصر على أن أولوو سبق له التدخل لمنع رئيس الوزراء من زيارة الإقليم الغربى (كما فعل الشىء نفسه ثلاث مرات مع الحاكم العام)،

ونوه بطريقة فجة إلى أن أولوو هو وزوجته كانا يغاران من ارتال سيارات رئيس وزراء الإقليم الغربى ومن مداحيه من المغنيين الذين يزيد عددهم على عدد مداحيه، كما كانا يغاران أيضًا من زعيم المعارضة الإقليمية لحصوله على مسكن رسمى فى إيبادان. ورفض أولوو تولى منصب نائب الحاكم، كما ألغى أيضًا منصبه الجديد نائبًا لزعيم الحزب. وظهرت كراهية إيناهورو لآكنتولا، والتى تبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، عندما جرت الموافقة بنسبة ثلاثة إلى واحد على اقتراحه الذى يطالب باستقالة رئيس الوزراء. لم تكن المشكلة متمثلة فى رفض آكنتولا الاستقالة من منصب رئيس الوزراء، وإنما كان الهدف يرمى إلى أن فرص إجراء انتخابات عامة فى ظل انقسام الحزب قد يسمح بدخول حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. وبدأت حملة مضادة لتأييده فى التوسع والانتشار منطلقة من أوشون Oshun، ومن إيبادان، ومن أويو oyo ومن بعض مناطق الإجبا Egba .

أمكن التوصل إلى ابتكار غامض. كان الرئيس آكنتولا قد التزم القواعد المعمول بها، عندما طلب من حاكمه، السير آدسوجى Adesogi أدريمى، ملك ooni الأيف، حل المجلس بغية عرض الأزمة الناشئة عن المزاعم المتضاربة بين جناحى حزب جماعة العمل، حول الحصول على الأغلبية الشعبية، من ناحية، وعرض قضية تعاون آكنتولا نفسه مع الاتحاد والتركيز على المصالح الإقليمية، من الناحية الأخرى، على الدائرة الانتخابية، لكن ملك الأيف رفض هذا الطلب، من منطلق أسباب معنوية مفادها أن الدائرة الانتخابية سبق لها اتخاذ قرار منذ عامين فقط. فى الوقت نفسه كان آكنتولا قد طلب من الناطق الرسمى باسم جمعية الإقليم الغربى العمومية، الأمير أدليك Adeleke أديدوين Adedoyin، الذى كان أحد أعضاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى يوم من الأيام، عقد اجتماع للجمعية بعد ذلك بيومين، أو بالأحرى فى اليوم الثالث والعشرين من شهر مايو للنظر فى تقديم اقتراح بسحب الثقة. ورفض المتحدث الرسمى، وهو أيضًا من موظفى أولوو، ذلك الطلب. وعلى العكس من ذلك، قبل

الحاكم التماسًا جرى إعداده على عجل من التنفيذ فى حزب جماعة العمل، وموقع من ٦٢ عضواً من أعضاء المجلس التشريعى (يمثلون الأغلبية بين أعضاء المجلس الأدنى فى الإقليم الغربى)، ويسجل عدم الثقة بأكنتولا ويطالب بإقالته. وبطريقة أدهشت العارفين بمسألة المصالحات الهنّيه التى كان ملك الأيف يقوم بها فى مجلس وزراء ماكفرسن القديم بين بود Bode توماس والآخرين، لكنها ربما كانت تقوم على أساس من التقييم السريع لما هو واقعى فى موقف حزبى مفعم بالتعاطف، كما هو الحال مع أولوو، قام الحاكم باستدعاء مفوض الشرطة الإقليمى إلى مقر الحكومة، فى وجود كل من الناطق الرسمى وزعيم المعارضة. وطُلب إلى مفوض الشرطة شخصيًا تسليم رسالة الحاكم المغلقة إلى رئيس الوزراء، الأمر الذى بدا للرجل إجراء غير عادى.

كانت بنود الرسالة تنص على طرد رئيس الوزراء، لكن بسبب خطأ عجيب، كانت الرسالة مؤرخة اليوم الحادى والعشرين من شهر أغسطس بدلاً من شهر مايو. وفور تسلم الرئيس أكنتولا للرسالة كتب إلى الحاج السير أبى بكر يطلب إليه إخطار الملكة من باب النصح لها بإبعاد السير أدسوجى Adesoji أو إزالته، وتقدم باقتراح حول هذا الموضوع إلى المحكمة العالية يتحدى فيه سلطة الحاكم فى طرده إلا بعد التصويت على ذلك فى أروقة المجلس. وصلت الوثيقة إلى المحكمة بعد ساعات العمل الرسمية. وعندما اكتشف المحامى العام الخطأ فى التاريخ المحدد للطرد، سأل مفوض الشرطة عما يمكن عمله، ولكن مفوض الشرطة أصبح عند هذا الحد على بينة بالظروف ولذلك نفض الرجل يديه من الموضوع. وسرعان ما أدرج الاقتراح ضمن دور القضايا عند افتتاح المحكمة فى اليوم التالى. وفى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو شق أكنتولا طريقه عنوة إلى داخل مكتب رئيس الوزراء الذى كان موصداً فى وجهه، وحكى الأسباب التى جعلته لا ينسحب. وأعلن المستشار السياسى الرئيسى أن أكنتولا كان وطنيًا مخلصًا يحبذ أن يحيا النيجيريون حياة محبة لبعضهم البعض. وذهب حاكم الإقليم الغربى إلى حد تعيين الرئيس الحاج داود سورو Soroye أدجبنرو Adegbenro رئيسًا للوزراء

(الذى قام على الفور بإعلان تغيير ثمانية وزراء، من بينهم أكران وأديجون)، وقام المتحدث الرسمى بناء على طلب من آولوو بدعوة مجلس الجمعية العمومية إلى الانعقاد فى اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو. ودعا مجلس الرؤساء أيضًا إلى الانعقاد. وقام قاضى القضاة كواشاى - إيدون Quashie - Idun باستدعاء كل من ملك الأيف (الحاكم) وأكنتولا ليشرحا له الموقف. كان آدجبنرو مسلمًا، محدودًا التعليم ومحدود القدرة الخطابية، ومن أسرة كبيرة، لكنها بلا موارد، وكان الرجل يتمتع بحب كبير فى حزبه لكنه لم يكن يشغل منصبًا فى الحزب، ولم يحدث قط أن جرى التفكير فيه فى أن يكون زعيمًا للحزب فى يوم من الأيام. وهنا اتضح أن المسألة برمتها كانت بين آولوو وأكنتولا، وأن أكران Akran كان يتكلم نيابة عن هؤلاء الذين كانوا لا يعارضون آولوو أو حزب جماعة العمل.

أعلن الدكتور ميخائيل أكبارا فى الشرق أنه لن يعترف بأدجبنرو Adegbenro، وكرر رأيه الذى سبق أن أعلنه قبل تسعة أشهر والذى مفاده أن الحكومة الفيدرالية من حقها إعلان حالة الطوارئ فى ظل ظروف حالة الطوارئ السائدة فى حكومة الإقليم الغربى. وعندما سعى آدجبنرو إلى تأكيد سلطته فى المجلس عن طريق تقديم وزارته وطلب حصولها على الثقة، وانضمت معارضته حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين بقيادة فانى - كايود إلى مؤيدى أكنتولا العشرة المخلصين ليتسببوا بعد ذلك فى فوضى لا يمكن السيطرة عليها، وراحوا يرقون جر سايدويا، ويستخدمون الكراسى استخدام الآلات غير العادية ويكسرون القضبان الفضية التى ترمز إلى السلطة والجاه، الأمر الذى حتم تحريك شرطة المظاهرات لتفريق الأعضاء، بأن راحت تفتح عليهم الغاز المسيل للدموع التى تتسلح به هذه الشرطة. كان هناك شخص يقف على طاولة ويصيح "افتحوا النار على الجبل!" المدافعون يصرون على أن اثنى عشر عضواً هم فقط الذين كانوا يتشاجرون وأن الشعب بدأ وانتهى خلال دقيقة واحدة، ومسألة أن الشرطة جرى تحذيرها مسبقًا لا تعد دليلاً حتى وإن قارناها بالسلوك

المنظم لأتباع أدجبنرو ومؤيديه، وهذا يعني أن الرؤساء السياسيين هم الذين دبروا هذا العنف. خلَّف هذا العنف دماراً شخصياً ومادياً كبيراً يدعو إلى عدم الأسف على استعمال الكونستبلات لمنع استمرار ذلك العنف مدة أطول واتساع مداه على نطاق واسع. كان واضحاً أن العنف جرى تدبيره من قبل بعض السياسيين، سواء فسرت أو لم تفسر النظرة الخاطفة التي ألقاها أكنتولا، على أنها كانت الإشارة السرية، يزاد على ذلك أن أي شكل من أشكال الضرر الدولي كان أكبر من الرضوض البسيطة والسحجات التي ترمي إلى الاحتيال على الموظفين الإداريين المخادعين أو الأعضاء الذين يحيكُون المكائد. وأُلقي بالكراسي على كل من أولوو وريوين Rewane في الممرات والطرقات، ووليا الأدباء شأنهم شأن بقية الحاضرين.

قام الرئيسان أولوو وأدجبنرو بالاتصال هاتفياً بالحاج السير أبي بكر، وطلبا منه السماح بانعقاد مجلس الجمعية العمومية، في مجلس الرؤساء غير المدمر، على أن يكون ذلك الانعقاد في حراسة الشرطة التي يمكن تحريكها بناء على أوامر من المتحدث الرسمي، على أن تقوم الشرطة بإبعاد الأعضاء الذين يحاولون منع انعقاد هذا الاجتماع البرلماني. وافق أبو بكر على هذا المبدأ لكنه أضاف أن الحكومة الفيدرالية لن تعترف بأية قرارات لا تتسم بالحرية، من منظور أن مثل هذه القرارات جرى اتخاذها في حضور القوات الشرطية المدججة بالسلاح داخل غرفة المجلس، وأن مثل هذه القرارات تكون معرضة لمزاعم مفادها أن الأعضاء كان يجري الضغط عليهم للموافقة أو الامتناع. كان مفوض الشرطة على اتصال بالفعل بمكتب رئيس الوزراء من خلال المفتش العام، وكانت تعليمات مفوض الشرطة الواضحة، والمؤيدة من قبل هيئة مجلس الشرطة الوطنية، تقضي بعدم الاعتراف بأي جانب من الجانبين وأن يتم العمل بمقتضى التعليمات الصادرة من ليجوس، كانت تلك الأوامر تقضي بأن لا يضع مفوض الشرطة رجاله داخل غرفة المجلس إلا بإذن بذلك من المتحدث الرسمي، لكن في حال حدوث اضطراب أو فوضى أخرى، يتعين على مفوض الشرطة القيام بتفريق الأعضاء،

وإغلاق المبنى والاحتفاظ بالمفاتيح. طلب الرئيس أولوو رئيس الوزراء تليفونياً، ليقول إنه ليس من الحكمة السماح بانعقاد أى اجتماع لأن هذا يعد نوعًا من المخاطرة. وهنا أحس أبو بكر أنه مضطر إلى إلقاء بيان عام عاجل:

"اتصلت الفئتان المنسقتان فى حزب جماعة العمل برئيس الوزراء فيما يتصل بعقد اجتماع آخر اليوم لمجلس العمومية فى إقليم غربى نيجيريا. ورئيس الوزراء ليس من سلطته منع هذا الاجتماع، لكن بسبب الشجار الذى دار فى المجلس صباح هذا اليوم، إذا ما قررت الأطراف عقد جلسة لمجلس الجمعية العمومية فيحق لها أن تفعل ذلك. ويجب أن يكون مفهومًا تمامًا أنه لن تكون هناك الحماية الشرطية داخل قاعة المجلس. وإذا، ما أصر أى طرف من الأطراف على توفير الحماية الشرطية له داخل قاعة المجلس، يجوز للشرطة التواجد داخل قاعة المجلس، لكن الحكومة الفيدرالية لن تقبل أى قرار من القرارات التى يمكن التوصل إليها نتيجة الإجراءات التى من هذا القبيل داخل غرفة المجلس. وإذا ما اندلع أى شجار أو عنف أو اضطراب، على الرغم من الجهود الشرطية، يكون من حق الشرطة إخلاء القاعة وقفلها".

بعد وقت قصير من إعلان هذا البيان التوضيحى للقواعد والقوانين أبلغ المفتش العام عن محاولة جرت لعقد الاجتماع، وبناء على طلب من المتحدث الرسمى، كان ذلك الاجتماع تحت حماية الشرطة، غير أن هذا الاجتماع أسفر عن ضوضاء أكبر بكثير من الضوضاء السابقة، وبناء على ذلك جرى إخلاء الغرفة وقفلها بالمفتاح. واجتمع مجلس الوزراء ليقرر ذلك الذى يمكن عمله بعد ذلك. هناك أمران لا يمكن إنكارهما: أن كلاً من سياسيى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى كانوا يريدون رفع قبضة أولوو شخصياً عن الإقليم الغربى وتهديده لمفاهيم

هذين الحزبين عن كيفية حكم نيجيريا، الأمر الثانى هو أنه ما دام أن أبا بكر نفسه، راض حاليًا ومقتنع بأن بعض أعضاء حزب جماعة العمل يفكرون فى الوصول إلى السلطة بطرق غير ديمقراطية، وما دام أن مطامح أولوو ليست على قدر آماله فى وحدة جماعية، فإن أبا بكر سيكون بحاجة شديدة ومستمرة إلى المشورة القانونية لتفسير الدستور المكتوب الذى وضعه أبو بكر فوق القاعدة القانونية والشخصية. وأصبح كل أعضاء مجلس الوزراء وبلا أدنى شك على علم بتقديرات آكنتولا السياسية الخاصة، كما أصبحوا أيضًا على علم بخسارته جزءًا كبيرًا من تأييد سياسيى حزب جماعة العمل له، وعدم تأييدهم أيضًا لثقته التى مفادها أنهم سيهبون إلى تأييده فى نهاية المطاف (على حد نصحه لهم جميعًا) ضد مسألة طرده غير الدستورى تمامًا. وبغض النظر عن قانونية رئاسته للوزارة، كانت هناك حكومة معطلة فى واقع الأمر. قرر مجلس الوزراء إعادة فرض الاستقرار. شرح أبو بكر الأسباب الداعية إلى الاستقرار وطريقة فرض ذلك الاستقرار فى بيان إذاعى فى ذلك المساء، جاء فيه، **"لا يمكن لأية حكومة من حكومات الاتحاد أن تسمح باستمرار موقف متفجر مثل الموقف الموجود حاليًا فى غربى نيجيريا دون اتخاذ الإجراءات المناسبة لضمان الأمن والنظام والحكم الجيد فى أسرع وقت ممكن"**. ومن الإنصاف والعدل هنا القول: "إن آكنتولا أو رفاقه، أو حتى الزعماء الإقليميين وكذلك المتمردين وكذلك المتمردين الأقوياء بدأوا يدركون بعد هذا الحادث بصفة خاصة، ويفهمون، بل إن البعض منهم خاف، من قوة السلاح الفيدرالى التى لم يعملوا حسابًا لها، والتى يمكن تجريدها على الخصوم الإقليميين. والمثل يقول: ما تستحله لنفسك لا تحرمه علىّ، والأرجح هنا أن لا يقوم أى من رؤساء وزراء الأقاليم على القيام لوحده بمثل هذا العمل. وعندما أصبحت مسألة الأمن الوطنى محورًا للحديث والتساؤل تعذر على كل إقليم من الأقاليم الانكفاء على نفسه. وصل فى اليوم السابع والعشرين من شهر مايو وفد مكون من رؤساء الغرب ورؤساء المناطق الأخرى obas للتوسل والتشفع وإعطاء المزيد من الوقت، لكن ذلك كله ذهب أدراج

الرياح. وهنا عاد الدكتور أزكوى إلى ليجوس قادمًا من نوسوكًا Nsukka على وجه السرعة.

وعلى الرغم من مشكلات الجيش اللوجستية، الذى كان ينقل القسم الأكبر من كتائبه فيما بين الكنغو ومستودعات الجيش فى نيجيريا، جرى إرسال عدد رمزى من القوات والعربات المدرعة إلى إيبادان لمساندة قوات الشرطة إذا ما تطلب الأمر ذلك. تسبب نقل القائد العام للجيش (ولبى إيفرارد) مركز رئاسته التكتيكى إلى بلدة إيبادان وإنشائه هناك مركز رئاسة "شرطى - عسكرى" مع المفتش العام بوفل، فى إحداث نوع من الاهتياج الإدارى، لم يسبق حدوث شىء من هذا القبيل. طلب بعض أعضاء حزب جماعة العمل من الرئيس أنتونى إيناهورو السفر إلى الخارج ليحكى للدنيا عن التهديد الذى تلقاه الديمقراطية. وفى اليوم التاسع والعشرين من شهر مايو اجتمع مجلس المندوبين (الممثلين) ليستمع إلى الحاج الشريف الموقر السير أبى بكر تافاوا باليوا وهو يقدم اقتراحًا مفاده أنه طبقًا لنصوص الدستور وما ورد فيه فإنه يعلن حالة الطوارئ العامة، على أن يستمر ذلك إلى نهاية العام ١٩٦٢ الميلادى:

"الأعضاء يعرفون السبب الذى من أجله يجتمع البرلمان اليوم..... وأنا أود أن أُجمل مختصرًا الأحداث التى أدت إلى هذا الموقف الذى لا مخرج منه، وأنا عندما أفعل ذلك أود أن أؤكد أن الحكومة الفيدرالية تحركت بدافع فقط من الرغبة فى استتباب الأمن والنظام والهدوء فى سائر أنحاء الاتحاد".

مضى أبو بكر فى سرد الكثير مما أوردنا هنا بصورة مفصلة، وأردف قائلاً:

"قلت منذ لحظات إنه طوال الأسبوع الماضى تقريبًا، يبدو أنه لم تكن هناك حكومة مشكلة فى غربى نيجيريا. وفى ضوء أحداث العنف التى وقعت فى اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو،

والتى حطمت مجلس الجمعية العمومية، يصعب الوقوف على الطريقة التى يمكن بها تسيير شئون الإقليم الغربى فى جو فيه فئات متحاربة داخل حزب حاكم، وتفرقت هذه الفئات لتدخل فى صراع العالم القديم الذى لم ينتج عنه فى نهاية المطاف أى لا خير لأى إنسان داخل غرب نيجيريا وخارجه. هذه هى الخلفية التى تدفعنى إلى أن أطلب من الأعضاء الأشراف تقييم الموقف ويخولوا الحكومة سلطة اتخاذ الإجراءات اللازمة طبقًا لما هو وارد فى دستورنا.

هناك مزاعم بأن الحكومة الفيدرالية ضالعة فى التآمر، وأنها هى التى خططت لهذه الأزمة كلها لكى تتولى هى حكومة غرب نيجيريا. ويقال أيضًا فى بعض المناطق إن البرلمان سيسىء استعمال سلطاته إذا ما أعلن حالة الطوارئ؛ نظرًا لأن الأحداث المحزنة والمؤسفة لم تخرج عن نطاق حدود المجلس التشريعى فى الإقليم الغربى. ليس هناك شىء أبعد من الحقيقة. نحن بكل تأكيد لسنا مسئولين عن سلسلة الأحداث التى أدت إلى هذه المشاجرات الحزبية والشخصية، ومحاولة الالتفاف على المجلس التشريعى الغربى، ومن ثم الطرد المتبادل والطرد المضاد بين الحاكم ورئيس الوزراء. المشكلة التى أمامنا الآن فيما إذا كانت الحكومة الفيدرالية، فى حال عدم وجود حكومة مشكَّلة فى غربى نيجيريا، لا تعد مسئولة هناك عن استتباب الأمن والنظام والحكم العادل. الهدف الرئيسى من وراء هذا القرار هو الحصول على موافقة البرلمان.... حتى يمكن إعادة الأمن والنظام والحكم العادل إلى غرب نيجيريا فى أقرب وقت ممكن.

وأنا أطلب من النيجيريين كلهم التعاون مع الحكومة الفيدرالية ومساندتها فى نقطة التحول الحرجة هذه فى تاريخنا الوطنى. نحن لم يمض علينا سوى عامين فقط منذ أن بدأنا المهمة الشاقة والمضنية لبناء هذه الأمة. أعين العالم كله مركزة علينا، وبخاصة فى هذه الآونة لأننا شعب مسئول وصديق، ونحاول تنفيذ خططنا التنموية وبذلك نزيد من سعادة شعبنا ورفاههم. وأنا أؤكد لكم أن السلطة التى يتعين علينا توليها قريبًا سوف تستخدم بطريقة إنسانية وديمقراطية طبقًا لما تسمح به الظروف، وأؤكد لكم أيضًا أنه عندما تعود الأمور التى سيرتها الأولى، فإن الحكومة الفيدرالية سوف تعود على وجه السرعة إلى نظام الحكومة البرلمانية المعتاد.... وسوف يطبق ذلك كل طبقات شعب غرب نيجيريا".

تعجب الرئيس أولوو فى الحوار عن الأسباب التى جعلت الحكومة الفيدرالية لا تنتظر إلى اليوم الخامس من شهر يونيو، الذى ستنتظر المحكمة فيه صحة طرد أكنتولا من منصبه. وأنكر أولوو وجود أية اضطرابات فى الإقليم الغربى خارج مبنى الجمعية العمومية نفسه (كان بوسعه أن يضيف أيضًا أن الناس الذين كانوا خارج مبنى الجمعية العمومية، فى شوارع ليجوس لم يكونوا معنيين تمامًا بما يدور داخل المبنى - وربما كانوا معنيين أكثر بما يدور فى روديسيا، التى يجرى فيها إذكاء وسيلة السياسى الشوفانى التى تهدف من الناحية الشكلية إلى توحيد منقسم على أساس من بعض المسائل الخارجية). أشار الرئيس أولوو أيضًا إلى الامتناع الفيدرالى عن اتخاذ أى إجراء مع الاضطرابات العامة السابقة فى الإقليم الشرقى وفى الإقليم الشمالى، وعزا أولوو هذا التدخل إلى الصداقة التى تربط بين أبى بكر وأكنتولا، والعداء الذى بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب جماعة العمل، والرغبة فى تحجيم حزب جماعة

العمل وخصيه. لم يتطرف الرئيس أولوو إلى الدور الذى لعبه حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، أو الأشهر السابقة التى قام خلالها قنوات حزب جماعة العمل بالتعدى على خصومهم المحليين، وعلى الشرطة المحلية، وعلى المحاكم أيضًا. وعلى الرغم من ذلك جاهر شريكه السابق الرئيس أكيريل Akerele الذى يمتهن المحاماة بتأييده للحكومة الفيدرالية. كان إيناهورو والذى قاوم تلميح أصدقائه له مرة ثانية بالسفر إلى الخارج قد نوه من منطلق بعد نظره وبصيرته أن شيئًا ما قد بدأ وأن هذا الشيء "سيذهب إلى شأو أبعد عما يتصوره السواد الأعظم منا فى هذه الأيام. وأنا أتمنى وأدعو أن يصبح رئيس الوزراء حريصًا وحذرًا مثلما وعدنا وقال لنا، لأنى أرى أن ذلك قد يكون فيه خلاص هذا البلد وانقاذه".

وعندما رد أبو بكر على ذلك الحوار أردف قائلاً:

> **بعد أن استمعت إلى الأعضاء الذين تحدثوا اليوم، أرانى أشك فيما إذا كان هؤلاء الأعضاء الإشراف يقدرون فعلاً خطورة الموقف. الموقف خطير للغاية، وقبل اتخاذ القرار الذى تعتزم الحكومة الفيدرالية التقدم به، يتعين علينا أن نزن بحرص شديد جدًا المسئوليات الملقاة على عواتقنا. يتعين علينا أولاً وقبل كل شىء، أن نسأل أنفسنا: هل معنا الحق فى الأعمال التى ننوى القيام بها بمساعدة من البرلمان؟ أنا أرى، بعد ذلك الذى استمعت إليه أننا معنا الحق. أولاً، لأن نيجيريا لم يمض على استقلالها بعد عامان. هل يعنى ذلك أن نسمح للناس بتنمية محاكمنا وتعطيل دستورنا ويفعلون ما يحلو لهم لأنهم يشكلون أنفسهم فى أحزاب سياسية ولأنهم يصبحون قادة وزعماء لتلك الأحزاب السياسية؟**

سأشرح لكم ما أعنيه بهذا الكلام، لأنى أود التعبير عن آرائى منذ البداية. لدينا دستور ولدينا أيضًا محاكمنا القانونية".

عدَّد رئيس الوزراء أبو بكر، الحقائق التى أوردناها آنفًا عن تحدى أكنتولا للمحكمة، وفنَّد الرجل أيضًا المداخلة التى زعم فيها الرئيس أولوو أن الحاكم عين آدجبنرو Adegbenro قبل أن يعرف الأمر القضائى، وأكد أنه هو وزملاؤه فى مجلس الوزراء وافقوا على الدستور وعلى المحاكم القانونية، ثم أورد الرجل بعد ذلك الموضوع الذى كان يسبب له الكثير من الضيق:

"يجب أن نأخذ فى حسباننا أننا فى الحكومة الفيدرالية كنا بحاجة فى وقت من الأوقات إلى سبب مقنع يجعلنا نعين لجنة تحقيق فى مسألة البنك الأهلى. وصلنا تقرير من موقف البنك يفيد أن البنك ليس على ما يرام، وربما كان البنك يسىء التصرف فى الأموال المودعة فى البنك. لكن المحكمة، نتيجة عمل من جانب هؤلاء الناس، أوقعتنا عن تشكيل تلك اللجنة، وقالوا إننا لا نستطيع المضى قدمًا فيما كنا بصدد القيام به - وتحتم علينا الاستماع إلى المحكمة وأن نطيع المحكمة أيضًا. لم نمض قدمًا فى تشكيل اللجنة. كان بوسعنا المضى قدمًا فيما بدأناه بسهولة ويسر لكننا لم نفعل ذلك. طلبنا عقد اجتماع للبرلمان، أعطانا البرلمان موافقته على المضى قدمًا فى تشكيل اللجنة وتحركنا بناء على هذه الموافقة. وعندما عينا لجنة التحقيق ثانية، استمر التحقيق مدة خمسين دقيقة فقط أوقفتنا المحكمة مرة ثانية. لم نخالف أمر المحكمة، وكان لابد من الانتظار. وأنا أسأل هنا، سيادة المتحدث الرسمى، لماذا لم ينتظر حاكم الإقليم الغربى هو وحزب جماعة العمل من باب الاحترام الحقيقى للمحكمة؟ لماذا

لم ينتظر؟..... لا يستطيع طرف من الأطراف القول: إنهم لا يودون احترام المحكمة أو الدستور، ونظرًا لأن الحكومة الفيدرالية تتخذ إجراءً معينًا فهم يرون أن الحكومة الفيدرالية تحاول "قتل الديمقراطية" حسب تصورهم. على الجانب الآخر، أنا أرى أننا نحاول المحافظة على الديمقراطية فى هذا البلد عن طريق اتخاذ الإجراء الذى نعتزم القيام به، ويتعين احترام المحاكم بالطريقة التى سبق أن أوضحناها.

يزاد على ذلك، أن الضرر الذى ألحقه ذلك الشجار، أقصد الشجار الحرفى مقر الجمعية العمومية يعد ضررًا بالغًا. هذا الضرر وحده كاف لتبرير الإجراء الذى نود القيام به. نحن نريد خباء اسم نيجيريا، ونحن هنا نواجه شجارًا يندلع داخل المجلس التشريعى فى إقليم من الأقاليم! لقد دمروا المجلس بكامله، حطموا كل قطعة من الأثاث داخل المجلس، كسَّر الناس رءوسهم، بعض الناس جرى طعنهم بآلات حادة، وأنتم عندما تتدبرون ذلك كله، ستجدون أن عددًا كبيرًا من الناس ينبغى أن يعتبروا أنفسهم أشخاصًا غير مسئولين، ويتعين عليهم وعلينا أن نخجل مما جرى. قال زعيم المعارضة أيضًا إن رئيس الوزراء لن يقدم حماية الشرطة للاجتماع، زعيم المعارضة، ظن أن المتحدث الرسمى بوسعه دومًا استدعاء الغرباء للدخول إلى المجلس - الذى حدث هو أن الاجتماع الأول انتهى بالشجار - وطلبوا الاجتماع على الفور وقلت - "لا، سيكون ذلك خطأ، وإذا ما أرادوا الاجتماع ثانية فلماذا لا ينتظرون أسبوعًا أو عشرة أيام؟ وأنهم إذا ما اجتمعوا الآن فسوف يتشاجرون من جديد". وقيل لى إن قدر

للشرطة حماية أعضاء مجلس الجمعية العمومية من اندلاع مشاجرة أخرى، فإن الأمر سيتطلب رجل من رجال الشرطة خلف كل عضو من الأعضاء الموجودين فى القاعة - كيف يمكن أن نسمى ذلك اجتماعًا من اجتماعات المجلس التشريعى؟ وهذا هو السبب الذى دفعنى إلى الإصرار على أنهم إذا ما اجتمعوا فى ظل هذه الظروف سيكون من الصعب على الحكومة الفيدرالية الموافقة على القرارات التى يتخذونها أو يتوصلون إليها.

وأنا عندما قلت ذلك، لم أعن مطلقًا أن لنا الحق فى قبول الإجراءات أو القرارات أو رفضها التى جرى اتخاذها من قبل المجلس التشريعى الإقليمى. لكننا جميعًا مطالبون بالتعامل مع أى قرار يصدره الإقليم الغربى، وسيكون من الصعب علينا جدًا معرفة ما إذا كان المجلس التشريعى قد صوت بالطريقة التى يعدها الطرف الآخر مقبولة منا ولدينا. أود القول هنا إن هذا الموقف خطير جدًا. لقد سمعنا أناسًا كثيرين فى أحيان كثيرة يقولون: إن الحكومة الفيدرالية ليست مؤثرة أو فاعلة، وأنا الحكومة الفيدرالية كذا وكذا. ونحن ندرك تمامًا، ونحاول بذل قصارى جهدنا. لكنى أقول الآن، وآمل أن يأخذ ما أقول على أنه إنذار، إننا فى الحكومة الفيدرالية مصممون على تأكيد سلطتنا، وإننا مصممون أيضًا على التعامل تعاملاً قاسيًا مع أى فرد أو جماعة أفراد يودون الإساءة إلى اسم نيجيريا (أضاف أبو بكر بعد ذلك فى مجلس الشيوخ، لقد جُررنا إلى المحكمة فى مسألة التحقيق البنكى، ونحن الآن يجرى جَرُّنا إلى مسألة الغرب - الأوسط..... وسيعجل ذلك بسخرية الناس من المحاكم").

طُرحت المسـألة، وانقسم المجلس وأجيـز الاقتراح بأغلبيـة ٢٣٢ صـوتًا ضد ٤٤ . وهنا جعل رئيس الوزراء مما قاله الرئيس إيناهورو – وذلك على العكس من كل ما قاله هذا الرئيس بالفـعل على شكل خـيـبـة أمل عند منعطف الأحـداث ـ على أنه عـبـارة "مقتضبة" تغطى الثلاثة عشر مجموعة من القواعد النظامية "الوحشية" التى تحكم حالة الطوارئ ـ هذه القواعـد النظامـيـة قام بوضـعـها الحـاكم العـام بناء على طلب مـجلس الوزراء، وجرى تفعليها بناء على تنويه ورد فى الصحف فى الليلة نفسـها ـ وهنا جرى استنتـاج المضمون المهم إن من الواضح أن تلك القواعد جرى تحديدها مسبقًا، وفى ضوء تباطؤ الحكومة الممل فى الشئون الأخرى، فقد أثبت ذلك التحسب للصدام الذى يمكن أن يحدث مستقبلاً. معروف أن الحكومات المسئولة كلها يكون لديها تشريع جاهز للطوارئ على شكل مسـودة سـرية، يمكن بها مـواجـهة المصـائب غير المتوقـعة، وعلى الرغم من أن هذه السلطات القوية تبدو غير ديمقراطية وشريرة للصـحفيين التحقيقيين عندما يجرى تسريبها فى ظل الظروف الطبيعية المعتادة، على الرغم من أن تعرف هذه القواعد بصـورة مسبقة يعين المجرمين والأعداء المخربين، فإن الحكومات هى أول من يوجـه إليـه النقد فى حـال إعلان الطوارئ وأنهـا غيـر مـسـتـعـدة برد تشـريعى عـاجل وتجاوب تنفيذى مباشر. واضعوا القانون على العكس من السياسيين وعلى العكس من طبًّـاعى الحكومـة ينتظر منهم أيضًـا تلميح مسـودات عـاجلة وطبـاعـة بروفـات بطريقـة مقتضبة جداً.

وافق المجلس على قانون الطوارئ الذى أنشأ منصب مدير الإقليم الغربى، وخول من يحمل لواء هذا المنصب سلطات تعيين مفوضين تكون لهم سلطات وزارية تحت إشرافه، حتى يمكن إصدار الأوامر المطلوبة فى حال عدم وجود قوانين أخرى لإعادة القـانون والنظام والحكم العادل، ولإحداث نوع من التكامل بين قوات الشرطة المحليـة والشرطة النيجيرية. ومن سلطات مدير الإقليم هنا سجن كل من يقوم بنشر شائعات أو تقارير مضللة، وتحريم تيسير المواكب والاجتماعات، واحتجاز الأشخاص أو التحفظ

عليهم لمصلحة النظام العام، ومن سلطاته أيضًا تفتيش المبانى بدون إذن سابق له بذلك. وجرى الحظر على الكلام فى السياسة وذلك بإعفاء كل من الحاكم، ورئيس الوزراء، والوزراء، ورئيس مجلس الرؤساء، والمتحدث الرسمى باسم المجلس التشريعى، والمشرف العام على الشرطة المحلية الذى يدور من حوله جدل كبير، من سلطاتهم. وجرى حل المجلس التشريعى، على الرغم من إمكانية استدعائه من عالم النسيان. عند هذه المرحلة انفصل تسعة من نواب حزب مؤتمر الحزام الأوسط فى المجلس الفيدرالى عن المعارضة، وانتقل سبعة أعضاء آخرين إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وانضم اثنان آخران إلى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وتحول ثلاثة منهم إلى أعضاء "مستقلين" وأعلنوا استعدادهم للانضمام إلى التحالف الفيدرالى، وبذلك جعلوا من هذا التحالف "حزبًا للجميع".

ومن باب حرص رئيس الوزراء على المستقبل، أمر فى مذكرة مكتوبة بخط اليد، بحفظ وثائق البرلمان البريطانى وعود من الكتيبات السياسية والبرقيات ذات الصلة بهذه الأزمة، لدى السكرتير الخاص لمجلس الوزراء فى مكان أمين فى الأرشيف التاريخى. استطاع الباحثون الذين يتفهمون الماضى بعد وقوعه انتقاد تعريف الشجار فى قاعة الحوار كما انتقدوا أيضًا مسألة وجود رئيسين للوزراء واعتبارها أمرًا يدعو إلى "إعلان حالة الطوارئ"، لكن المحامين كانوا واقعين فى حيص بيص وعاجزين عن اقتراح صيغة جديدة لحل ذلك الانقلاب المفاجئ، الذى كان أكثر بكثير من كونوا شجار على أمر تافه. وانتهى الأمر إلى أن أُعلنت محكمة الإقليم الغربى العالية أن آكنتولا هو رئيس الوزراء القانونى.

الحكم المباشر وتهم الخيانة

مارس أبو بكر سلطاته الخاصة الجديدة وعين صديقه الطبيب السيناتور الرئيسى موسى أديكويجى Adekoyejo ماجيكودونمى، وزير الصحة، الذى كان لا يزال لم ينضم

إلى حزب من الأحزاب، فى منصب الإدارى فى الإقليم الغربى. ولم يخطر ببال أبى بكر ولو للحظة واحدة تعيين أكنتولا، على حد قول الشائعة الساخرة المزعومة. كان من رأى ستانلى وى wey وآخرين أنه ربما كان من الأفضل من الناحية الشكلية عدم تعيين صديق شخصى من أصدقاء رئيس الوزراء فى منصب الإدارى هذا، لكنهم آثروا راحة البال والسلامة. كان الطبيب ماجيكودنمى قد اقترح، فى واقع الأمر، تعيين أدمولا قاضى القضاة الفيدرالى فى هذا المنصب، لكن أبا بكر علق على ذلك بقوله إن ذلك ربما أثر على موقفه القضائى وجعله ينزل إلى الحل الوسط، وفى اللحظة نفسها رد عليه أبو بكر، "وماذا عنك أنت؟" لكن الطبيب الذى كان لا يزال مصممًا على التركيز على افتتاح كلية للطب فى جامعة ليجوس وافق، شريطة أن يحتفظ بحقيبته الفيدرالية الكاملة، من أجل الصالح العام. كان الطبيب ماجيكودونمى مثل أدجبنرو Adegbenro من يوروبا الإجبا Egba فى منطقة أبيوكوتا جنوبى أويو وغرب إيجيبو Ijebu، وكان ينحدر من أسرة من أسر الرؤساء، وكان فى أيام الدراسة صديقًا لكل أتش أو ديفيز H O Davies وبود توماس Bode Thomas، لكنه لم يكن مطلقًا صديقًا لآولوو. كان الطبيب ماجيكودونمى هو وأبو بكر، يريان أن السلطات الجديدة إذا ما استخدمت من قبل المرءوسين بأدب ولياقة، وإذا لم يتطاول أحد على المهزوم، قد يصبح من الممكن قصير التصرف باعتدال على أولئك السياسيين الذين يقلب عليهم إثارة المتاعب العامة على نطاق واسع. أما إذا بد ذلك لنقاد الحكومة وللحزبين القويين على أنه استعمال للغدَّارة(*) بدلاً من سيف مُنْتقى، فذلك يعنى أن البديل المتيسر لا يعد واضحًا مطلقًا من الناحية الدستورية واللوائحية، وأنه لا مفر من الرجوع إلى الوراء إلى ما كشفت عنه الأحداث بصورة غير متوقعة بل وبطريقة فوضوية بعد أن فاز أدجبنرو بالتصويت داخل مجلس عامر بالهياج والضجيج، وهذا يمكن أن يرضى أولوو هو وفئة الأغلبية

(*) الغدَّارة : بتشديد الدال وفتحها هى البندقية القصيرة. (المترجم)

المنشقّة من أعضاء حزب جماعة العمل الذين جرى اختيارهم عن طريق الانتخاب، لكنهم لم يستعيدوا الاحترام الوطنى أو الاستقرار الإقليمى، وهذان هما العاملان اللذان يرى أبو بكر أنهما جديران بالاهتمام أكثر من أى شىء آخر.

وقد جرى اقتباس كلام الدكتور ماجيكودونمى عندما أكد أن "نيجيريا حظيظة لأن يقودها هذه الأيام رئيس وزراء يخاف الله، وصاحب ذهن عادل، ورابط الجأش. الحكومة الفيدرالية التى يترأسها هذا الرجل لن تستغل بأى حال من الأحوال الموقف الحالى المحزن زريعة لإدخال النظام الاستبدادى إلى الإقليم الغربى". لقد رحبت الجماهير التى كانت مصطفة على أجناب الشوارع بالرجل هو والكابتن مورتالا رامات محمد، الذى جرى سحبه من الكنغو. بدأ الرجل بتحديد إقامة كل من أولوو، وأكنتولا، وآدجبنرو، ورويتمى وليامز وبعض الرجال الآخرين، أى أنه حدد إقامة حوالى أربعين شخصًا، ووضعهم فى أماكن بعيدة عن إيبادان. وأدرج أبو بكر أيضًا ضمن هذه المجموعة كلاً من رئيس تحرير الصحف المتحالفة، المدعو لطيف جاكاندى، ومدير تحرير الصحافة النيجيرية المتحدة المدعو بيسى Bisi أنابانجو Onabanjo. كان جاكاندى عضواً فى مجلس جريدة الأيكونومست Economist الدولى، واحتج رئيس تحرير الجريدة إلى أبى بكر لكن بلا طائل. وجرى سحب أولوو من اجتماع لحزب جماعة العمل فى إكيجا Ikeja، وسط ظروف احتجازه المشين المشبع بالماء فى بحيرة لكى Lekki الواقعة شرقى ليجوس، وظلت تلك الظروف غير معروفة للدكتور ماجيكودونمى فترة من الوقت، وبطريقة فلسفية علق أكنتولا لمراسلى الصحف قائلاً إنه: "لا يمانع فى الخدمة تحت رئاسة أبى بكر شخصيًا، لكن ذلك سيكون ائتلافًا غير واقعى نظراً لأن حزب جماعة العمل وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى مختلفان اختلافًا أساسيًا حول السياسة الخارجية وبعض الشئون الداخلية". أجاب أكنتولا، الذى كان محتجزًا فى مستودع غابى بالقرب من ألوكوميجى، بطريقة مباشرة على أسئلة المراسلين قائلاً: "طلب منى أولوو بصفته زعيمًا للحزب أنى بصفتى رئيسًا للوزراء يتعين علىّ إعطاؤه مزيداً من

التفاصيل عن أعمال الحكومة أكثر مما أستطيع أنا نفسى طلبه من الوزراء. وبذلك لم أكن أتحدى الحزب أو سياسته، وإنما كنت أفكر ببساطة فى احتياجات الإدارة المعتادة".

"آثر" سام إيكوكو، وأديبانجو، وآخرون "النعى" إلى غانا، التى انخرط الكثيرون فيها فى معسكرات التدريب على حرب العصابات. ألقى الدكتور نيكروما خطابًا فى مؤتمر نظمه "مقاتلوا الحرية" فى أكرا، وجاء انعقاد ذلك المؤتمر مصادفًا لمطلع شهر يونيو من العام ١٩٦٢ الميلادى، واسترعى ذلك المؤتمر انتباه نيجيريا، وكان السواد الأعظم من نيجيريا نافرين من ذلك المؤتمر. وسرعان ما نشب شجار دولى عندما راحت الصحف الغانية، من باب التعاطف مع حزب جماعة العمل الذى يتزعمه أولوو، تسىء إلى الحاج السير أبى بكر وتصفه بأنه "إنجليزى اسمر البشرة"، وجرت على نفسها ردوداً مفحمة من الصحف النيجيرية التابعة لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. وأهاب السيد/ واشوكو بمؤتمر صحفى كبير استنكار "الإمبريالية السوداء". فى حواء واضح من حوارات أبى بكر مع صديقه السير أديتوكُنبو Adeko-tunbo حول شئون الإقليم الغربى، والذى رد عليه قاضى القضاة ردًا واضحًا، علق أبو بكر بقوله: **"إذا كانوا لا يريدوني هنا بعد، فإن كل ما أحتاجه هو مجرد ثلاث ساعات – أحزم فيها أشيائى وأذهب لحال سبيلى".**

لم يكن الدكتور ماجيكودونمى مضطراً إلى استشاره أى أحد، لكن بحكم خبرته عندما كان رئيسًا لأحد الأحياء، وبحكم تعيينه راعيًا للسلطة المدنية عندما يجرى حل هيئة من الهيئات المتمردة، فقد كان يعلم أن مهمته تتمثل فى تضميد الجراح وأن يتصرف تصرفًا عادلاً ومحايداً وغير عاطفى أو انفعالى. كان هذا الطبيب يتمتع بتفاهم كامل مع رئيس الوزراء، وكان يطلب نصيحة رئيس الوزراء دومًا فى المسائل الصعبة. وخاب أمل الناشطين لأن الرجل حظى بترحيب حار من عامة الناس، الذين ملوا الساعين إلى السلطة والباحثين عنها، كما رحبت الإدارة المدنية بالرجل أيضًا، كما

رحب به أيضًا بعض من رؤساء الأحياء السابقين. ومما دعى إلى التهكم أن هؤلاء الذين حسبوا أنهم سيجنون أعظم الفوائد كانوا يعيشون فى أرجحية الإقليم الذى ظل بعيدًا عن الاضطرابات إلى حد ما طوال هذه الأزمة، لكنهم كانوا يخشون من أن العنف والغوغاء كانا على وشك الاندلاع من داخل قراهم. وقد مكن الدكتور ماجيكودونمى قاضى القضاة الإقليمى، السير صامويل كوشاى - إيدون (وهو من مواليد ساح العاج)، من الإمساك بزمام المحاكم العادية، التى بدأ البعض منها مثل الشرطة المحلية يختلق الأدلة التى تدين خصوم حزب جماعة العمل. وقام السيد/ جستس Justice دفيوس Duffus بمراجعة الكثير من القوانين، التى قام بنشرها والتى بقيت فى سجل القوانين فى انتظار الحكومات المنتخبة القادمة.

حرص الدكتور ماجيكودونمى ألا يستبدل زيد بعبيد، وخيّب أيضًا آمال الكثيرين من سياسيى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين الذين كانوا ينتظرون منه استبدال "قنوات حزب جماعة العمل الفاسدين" "بأعضاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين المتفتحين" فى الرئاسات Chiefainces وفى المؤسسات، وفى اللجان، وفى المجالس المحلية والمحاكم. وسارع الرجل إلى تعيين ستة من الرؤساء obas مفوضين، هؤلاء الستة باستثناء واحد منهم كانوا وزراء مفوضين فى حكومات حزب جماعة العمل، كما استدعى الرجل أيضًا حكام الإقليم الغربى التقليديين إلى إيبادان، وأبلغهم أنه لم تكن هناك "أية خطط من أى نوع للإضرار بأى تنظيم أو مؤسسة من مؤسسات الرئاسة المحترمة"، لكن الرجل كان حذرًا فى لفته مثل أبى بكر: "الرؤساء obas هم والرؤساء Chiefs لابد أن يكون لهم رأى فى الصراع الحزبى - وأنا لا أعنى بذلك التعاون مع الحكومة الموجودة حاليًا، والذى يعد واجبًا مفروضًا على المواطنين المخلصين كلهم، ما أعنيه هو المشاركة الإيجابية فى الانتخابات وفى المرات القادمة". كان الخيار متروكًا لهم، لكن العقوبات المحددة للأخطاء كانت واضحة لديهم. ومضى إلى القول أنه على الرغم من أن الإقليم الغربى الذى كان ثريًا من قبل، فإن

هناك من يقول إنه مفلس (وهذا الكلام يمكن أن يقال عن أية حكومة من الحكومات) إلى حد أنه رفع السعر الرسمى لشراء طن الكاكاو وإلى خمسة جنيهات إنجليزية كيما يشرح صدور الفلاحين.

من الطبيعى أن تئول إلى المدير كل الأصول والخصوم القائمة وكذلك الالتزامات القانونية، بما فى ذلك التحدى القائم وكذلك الالتزامات القانونية، بما فى ذلك التحدى القائم لصلاحية العمل الذى تقوم به حكومة الإقليم الشرقى. سارع المدير الدكتور أجيكودونمى إلى تسوية المسألة الخاصة بالمجالس الحكومية المتنازع عليها، وترتب على ذلك إعادة مركز حضرى من مراكز حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى بلدة وارى Warri وحل المجالس التابعة لحزب جماعة العمل فى كل من أويو oyo وإيجيبى Ijebu. تمثلت أهم القضايا المثيرة للحرج فى وقوف الرجل فى وجه الحكومة الفيدرالية التى كان لا يزال عضواً فيها. كان الدكتور ماجيكودونمى قد طلب من محاميه العام درانلى ألكسندر (نظراً لتحديد إقامة روتيمى وليامز المحامى العام) إسقاط القضية المرفوعة على الإقليم الشرقى بوصفها قضية تافهة، لكن تلك القضية الأخرى، المقامة ضد إجراءات إنشاء إقليم الحزام الأوسط، كانت قانونية على نحو يحتم أن تصدر المحكمة حكمًا بشأنها. وغضب مجلس الوزراء هو والمحامى العام الدكتور إلياس من ذلك التصرف الذى أقدم عليه هذا الزميل، لكن أبا بكر وافق أن من الأفضل الآن إزالة الغموض وعدم الوضوح إن كان هناك شىء من هذا القبيل. وينتهز رئيس الوزراء فرصة ذلك الهدوء الناجم عن إعلان حالة الطوارئ (أو "المال والأعمال" على حد قول الرجل) ويقوم بإجازة استجمامية طويلة إلى مزرعته فى الوقت الذى كان فيه الدكتور ماجيكودونمى هو والمحامون يواصلون أعمالهم.

أبلى المحامون بلاء حسنًا. ورفع الرئيس روتيمى وليامز قضية على الدكتور ماجيكودونمى معتمداً على مجموعة من الأسباب مفادها أن سلطات الطوارئ، والقواعد القانونية للطوارئ، وكذلك تحديد إقامتها كلها كانت أموراً غير قانونية ومتعارضة مع

حقوق الإنسان. وذهبت جهوده أدراج الرياح، فقد أصدرت المحكمة العليا حكمها على أساس من الموروث القضائى البريطانى (على الرغم من أن ذلك لم يكن فى ضوء اجتهادات قضاة الإصلاح الإنجليز) الذى مفاده أنه فى حال إعلان البرلمان السيادى حالة الطوارئ، فإنه لا يمكن للبرلمان الرجوع إلى الوراء كيما يمكن تقييم الأسباب المادية الداعية إلى إصدار مثل هذا الإعلان. وحصل روتيمى وليامز على حكم يعفيه من تحديد الإقامة نظرًا لعدم "كفاية الأدلة المُبررة لذلك الأمر"، لكن الرجل جرى تحديداً إقامته مرة ثانية، فى ضواحى أخرى مناسبة، بناء على مبرر جديد جرى تقديمه أثناء عطلة المحكمة العليا، لكن الرجل لم يستأنف أو يرفع قضية نظرًا لأسباب شخصية متعددة.

كانت قضايا أدجبينرو أسوأ سمعة من قضايا روتيمى وليامز. على العكس من تحديد المحامى العام لإقامة الرجل، وعلى العكس أيضًا من ادعائه أن البرلمان أصدر قراره بسوء نية، فقد أكد القضاة من جديد أن القرار الصادر عن المجلسين البرلمانيين الفيدراليين كان هو الدليل الكافى لإعلان حالة الطوارئ الملحة، وأن تحديد إقامة الرجل جاءت بناء على أسباب كثيرة. وفى القضية الأخرى التى رفعها ضد تورطه فى العمل الذى قام به ملك ooni الإيف بطرد رئيس الوزراء بناء على التماس دون التأكد لنفسه من صحة التوقيعات حكمت المحكمة العليا لصالح أكنتولا (واعترض القاضى البريطانى السير لايونيل برت على الحكم)، واستأنف أدجبنرو الحكم أمام اللجنة - القضائية الخاصة بالمجلس البريطانى الخاص - وفى تبلد شديد فى بلد مستعمر لا يفتقر إلى المحامين، يقوم حزب جماعة العمل بتوكيل السيد/ دنجل Dingle فوت Foot، ذلك الليبرالى البريطانى، وشقيق السير هيج Hugh فوت، للدفاع عن قضية أدجبنرو، وبخاصة ما يتعلق بقانونية قواعد المنظمة لحركة الطوارئ. كان المستشار السياسى الرئيسى، رئيس وزراء الشمال، واحدًا من بين كثيرين الذين انتقدوا سماح الحكومة الفيدرالية بذلك، وجرى طرد دنجل فوت من البلاد، على الرغم من السماح له

قبل سنوات عدة بالانضمام إلى نقابة المحامين النيجيريين والترافع فى قضايا أخرى متعلقة بحقوق الإنسان أو الانحياز والتعصب السياسى. وطُرد أيضًا مساعده المحامى كولثورب Colthorpe. كانت هناك بعض القضايا الأخرى التى رفعها آكنتولا على أولوو والجهاز التنفيذى فى حزب جماعة العمل، فى حين قام حزب جماعة العمل أيضًا بطرد أفراد آخرين مثل الرئيس أوسيكا Awosika لقوله "أنا على قناعة من أن الحزب انحرف عن سياسته الديمقراطية وتحقيق دولة الرفاه، إلى الشيوعية تحت ستار الاشتراكية الديمقراطية".

لكن الاهتمام الحقيقى انصب على لجنة كوكو Coker. ى كانت محكمة السيد/ جستس كوكو معنية رسميًا بمزاعم الفساد وسوء الإدارة فى المؤسسات العامة الستة فى الإقليم الغربى. حث الرأى العام على نشر هذه التحقيقات (مثلما حدث مع لجنة موفيت فى كانو) – راجع الفصل السادس والثلاثين) حتى يمكن إجراء انتخابات جديدة، بمشيئة الله، ونسيان حالة الطوارئ وتجاوزها. كان خصوم حزب جماعة العمل يرون فى تحقيقات لجنة كروكر أنها عبارة عن تحرى لنزاهة الحزب وكفايته، أما مؤيدوا الحزب فكانوا ينظرون إلى هذه التحقيقات باعتبارها هجومًا على زعامة الحزب وعلى التضامن اللذين ينبغى الدفاع عنهما بحكم الولاء العاطفى والثقافى. وتأسيسًا على ذلك، وقبل تقديم الدليل النهائى، الذى يوضح أن تركيبة حزب جماعة العمل كانت تستمد قوتها كلها من الرئاسة المركزية، وأن الحزب كان يحتكر المنابت الاقتصادية للإقليم الغربى كله، وأن الأموال العامة كان يجرى تحويلها إلى حسابات الحزب، وأن آكنتولا هو وروسيجى عندما أصبحا وزيرين فيدراليين، لم يكونا يعرفان مثل كل من أولوو، وريوين Rewane، وآخرين سوى ما يُراد لهم معرفته، وأن الموظفين الحكوميين فى الهيئات العامة كان يجرى التحرى عنهم، قبل ذلك كله كان القرار قد اتُّخذ. وتكرر التناقص الظاهرى الذى حدث بين فوستر - وستون Sutton بشأن البنك القارى الإفريقى، فى أنه كلما زاد تلوث الزعامة العرقية، زاد أيضًا استعداد مؤيديها

لمساندتها، الأمر الذى يؤدى إلى انصراف شيء من التعاطف العام عن آكنتولا إلى أولوو. أصدرت المحكمة العليا فى الإقليم الغربى أمراً انتقاليًا يمنع الرئيس أولوو من إدارة حساب حزب جماعة العمل البنكى، وجاء ذلك فوراً بعد عودة رئيس الوزراء من إجازته وقام بزيارة إيبادان بنفسه، ليعلن فيها أنه لا ينوى إعادة آكنتولا إلى منصب رئيس الوزراء، نظراً لأن الشعب هو الذى سيبت فى ذلك فور عقد الانتخابات العامة بعد إنهاء حالة الطوارئ. لكن الهدوء الجديد الذى عم الإقليم الغربى كله أوضح كيف أن المصلحين يمكن أن يقفوا على أن السياسيين ليسو ضروريين فى عملية التحسين، ووقفوا أيضًا على النقيض من ذلك على ضآلة التغيير عن طريق القوة، بغض النظر عن مطامح أية أقلية من الأقليات فى التقدم.

أدت المحاكمة بتهمة الخيانة إلى الإخلال بميزان القوى إخلالاً كبيراً. كان وزير الإعلام الرئيس تى أو سى بنسون Benson قد أنكر أن هذه التحركات الطارئة من قبل الحكومة الفيدرالية نتجت عن معرفة سابقة بمحاولة لقلب نظام الحكم والإطاحة بالحكومة والدستور. ومع ذلك فإن المعرفة السابقة بأن عملاً من أعمال العنف جرى التخطيط له، وأن الشبان الصغار جرى إيفادهم إلى الخارج لتلقى التدريب على الجهاد السياسى، قد شحذ ردود أفعال قوات الأمن وزاد من شجاعتها. (وسوف نرى فيما بعد كيف أن الرائد شوكوما Chukwuma نزيوجو Nzeogwu الذى خدم فى الكنغو، جرى تعيينه فى الاستخبارات، وحضر دورة فى مدرسة الاستخبارات الحربية فى بريطانيا، كان ذلك الرجل متيمًا بحياة الاستخبارات المضادة التى كانت تقوم على الإمساك بالجواسيس والقبض عليهم، لكن التقرير الذى ورد عن الدورة التى حضرها ذلك الرجل حذر من العادة السيئة التى تجعل هذا الرجل "يلوى تفسير الحقائق بما يخدم أفكاره المسبقة". ونظراً لاهتمام هذا الرجل المعلن بالأسقف مكاريوس، ونظراً أيضًا لاهتمامه بمنظمة إيوكا العصابية فى قبرص اليونانية، ونظراً أيضًا لإعجابه بعصابات الملايو، والحرب الشعبية فى الهند الصينية، ونظراً لاهتمامه أيضًا بالقلاقل والمتاعب الجزائرية

والأنجولية، فقد جرى إشراكه فى هذه التحقيقات الخاصة بالأمن الداخلى فى الإقليم الغربى، لكنه عندئذ كان على "خلاف" مع أحد وزراء الشمال ولذلك جرى نقله إلى كلية التدريب العسكرى فى كادونا).

وفى اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر وأثناء وجود أبى بكر فى لندن، تصرفت الشرطة بناء على بعض المعلومات وانمارت على أحد المنازل فى بلدة موشين Mushin بالقرب من ليجوس، حيث كشفت عن أسلحة نارية مخبأة. وجرى إلقاء القبض الذى جرى تدريبه فى الخارج وقام بإحضار هذه الأسلحة، ثم جرى التحقيق معه. وأعقب ذلك القيام بالكثير من عمليات الحجز وإلقاء القبض، وجرى حجز ثلاثة رجال لحيازتهم أسلحة، كما جرى احتجاز اثنى عشر آخرين طبقًا لقانون الطوارئ. وجرى أيضًا التحقيق مع كل هؤلاء. وعندئذ قدمت الشرطة دعوى كافية الأدلة، ولم يجر الجدل بشأنها مطلقًا، عن مؤامرة لسرقة المزيد من الأسلحة، واختطاف أعضاء الحكومة، وإحداث انقلاب عن طريق التمرد المسلح وذلك بالمساعدة من "قوة أجنبية". زعم الرجال الثلاثة أنهم الشخصيات الرئيسية فى المؤامرة، وقيل إن سام إيكوكو السكرتير العام الفيدرالى لحزب جماعة العمل هو وتونى إيناهورو، وإجيبو - أود، وكذلك أيو أدبانجو Adebanjo المحامى، هربوا مولين الأدباء. كان تونى إيناهورو فى تلك الأثناء فى بريطانيا، التى هرب إليها عن طريق داهومى وغانا متنكرًا فى زى بائع متجول من الحجاج - كان رجال الشرطة الذين ليست لهم انتماءات قبلية أو حقد شخصى يعرفون وبلا أدنى شك أن آولوو كان على علم بكل الاستعدادات.

عندما عاد الحاج السير أبو بكر إلى ليجوس قال لأهل بلده إنه يتمنى ألا تلجأ الحكومة النيجيرية مضطرة إلى هذا الإجراء مرة أخرى. كان الرجل قد علق فى بداية حديثه قائلاً: إن مخبآت مخزن الأسلحة لم تكن على نطاق كبير، **"لكن المغفلين والحمقى هم الذين يتورطون فى عمل من هذا القبيل"**. وقد اتفق الرجل مع تقييم الشرطة على أن الخطط كانت جد خطيرة، لكنها كانت عبيطة المفهوم. قال أبو بكر إنه لم يفهم كيف أن

المتآمرين سلموا أنهم حتى وإن نجحوا فى تشتيت اهتمام انتباه الحكومة الفيدرالية بصورة مؤقتة، سيبقون فى السلطة بدون أى دليل يُكْسبهم المساندة الوطنية الشعبية أو يجعلهم يحظون بولاء الجناحين المدنى والعسكرى. وفى نوبة غضبه وكربه قال أبو بكر لجون John لين Lynn، المسئول عن التحقيق الجنائى، الذى كان يزوده بالمعلومات أول بأول: **"ليتهم يتركونى أعود إلى مزرعتى!"** لم يكن لدى المستشار السياسى الرئيسى شك فى أن حزب جماعة العمل لديه القدرة على القيام بالتمرد والعصيان، ولم ينس المستشار السياسى مطلقًا تلك المرة التى قام بها أولوو بتسجيل شريط لحوار مشترك ثم قام بعد ذلك بالكشف عن ذلك عندما وجد أنه متفق مع محضر الاجتماع: قال المستشار السياسى معاتبًا: "هذه هى النهاية! ماذا كان يمكن أن يحدث لو أننى كلفت جانبًا بأمر من الأمور، أو تطرف الأمر إلى القتل أو الاغتيال؟"

بقى الرئيس أولوو، محتجزًا فى لكّى Lekki اللهم باستثناء محادثاته السرية مع الوسطاء المعروفين فى ليجوس، وبلغه أن منزله فى أكينىً Ikenne جرى تفتيشه بلا جدوى فى وجود سكرتيره الخاص، لكن بعد أن عادت الشرطة إلى منزله بعد ذلك عثرت على أربع طلقات وبعض الأوراق المحروقة فى حديقة المنزل. ولمحً أولوو أن ذلك نوع من الفبكرة، لكنه ألقى القبض عليه بطريقة رسمية ووجهت إليه تهمة الخيانة العظمى، وجاء ذلك من قبيل محاولات التصالح من جانب رئيس الوزراء. جرى بعد ذلك حجز أولوو حجزًا انفراديًا فى إيكوى Ikoyi، لكنه كان لا يزال مسموحًا له بالتحدث إلى أدمولا، وكان قاضى القضاة يقوم بتبليغ ما يجرى إلى أبى بكر، الذى اكتفى فقد بإطلاعه على بعض الأسلحة النارية التى كانت مخبّأة، التى نفض يديه منها ومن أى تورط آخر فيما يمكن تسويته علانية أمام أى قاض آخر، وهنا نجد أن رئيس الوزراء يتحاشى إجراء المزيد من الاتصال بالقضاة إلا بعد الانتهاء من الحكم فى القضية والاستئناف. أحس أولوو بشىء من الارتياح لأن حزب جماعة العمل فاز فى شهر أكتوبر فى انتخابات مجلس ليجوس البلدى بواقع ٢٧ مقعدًا مقابل ١٥ مقعدًا لحزب

المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وكان السبب فى ذلك أن جناح أكنتولا (الذى أصبح الآن يعرف باسم الحزب التقدمى المتحد) لم يرشح أحداً فى تلك الانتخابات. ولما كان حزب جماعة العمل، بحاجة ماسة إلى أصدقاء أقوياء، فقد عرض الإبقاء على السكرتير الوطنى لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، السيد/ إف أس ماكوين McEwen فى منصب رئيس مجلس المدينة، لكن الحزب لم يجد فى هذه المنطقة أو بالأحرى ذلك الحى سوى بعض الأصدقاء الضعاف. وقد تمثلت المشكلة فى أنه على الرغم من أن الاتحاد يثبت أنه أقوى من الأقاليم، فإن ذلك لم يكن دليلاً على أن القبلية جرى إضعافها. ونجد هنا جريدة ألفاينانشيال تايمز Financial Times اللندنية تتساءل عما إذا كان الاستقرار النيجيرى هو ذلك الميراث الذى أخذه الحرس القديم من فترة الاختلال، وما إذا كان ذلك الحرس القديم يستطيع الصمود والاستمرار إلى حين الانتقال انتقالاً هيناً ليناً إلى الحرس الجديد، دون تعرض الحرس القديم للاجتياح منذ البداية بواسطة الثوار المجاهدين. هذا يعنى أن العالم قد بدأ يراجع تقديرات لنيجيريا.

بدا ذلك التهديد الثورى، فى ذلك الوقت، أمراً بعيد الحدوث على المستوى الداخلى. وفى شهر نوفمبر جرى تقديم الرئيس أولوو وحوالى ٢٦ آخرين (من المتهمين الضالعين) لمحكمة الجنايات بعد أن وجهت إليهم ثلاثة اتهامات وصلت إلى حد اتهامهم بالتخطيط للإطاحة بالحكومة الفيدرالية فى اليوم الثانى والعشرين من شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢، والذى من أجله قام أولوو هو ومجموعة داخلية من حزب جماعة العمل، "اللجنة التكتيكية" بإيفاد الرجال إلى الخارج ليجرى تدريبهم فى غانا، وكانوا ينوون أيضًا تقديم رشوة لبعض ضباط الجيش، كما قاموا أيضًا بإدخال الأسلحة إلى نيجيريا. استمرت المحاكمة ثمانية أشهر، لم يعد بعدها أى أحد من أصحاب العقول السليمة يشك فى مزاعم التدريب فى الخارج وتكديس بعض الأسلحة. واقع الأمر أن اختراق أمن هذه المؤامرة كان اختراقًا كاملاً إلى حد أنه عندما هم زعيم هذه المؤامرة

بتحريك التمرد كانت ملفات الشرطة عامرة بالمعلومات عن تلك المؤامرة (وبالتالى لدى رئيس الوزراء أيضًا) وأن تلك المعلومات كانت أكثر بكثير مما يفصح عنه أى أحد من المتآمرين. كانت عمليات التفتيش والاعتقالات التى كانت تقوم بها الشرطة، تجرى فى إطار ضوابط قانونية محكمة، وكان يجرى تسليط الأضواء على ذلك التفتيش وتلك الاعتقالات عن طريق تركيز اهتمامات المحامين القائمين بالدفاع عن خلفية قانون الطوارئ التى لا علاقة بها بالموضوع الأساسى، لكن كان هناك شعور بالرضا لأن أحدًا لم يسأل عن مغزى وجود محام عام من اليوروبا أو وكيلٍ عام general - solicitor من الأجبو ضمن المهام الاستشارية. كان رئيس الوزراء قد قال أيضًا فى حديث إذاعى أشار فيه إلى الأحداث التى سبقت المحاكمة، إن الجمهور قدموا للشرطة مساعدات كبيرة، ومع ذلك، ونقلاً عن أمين كانو، فإن الشرطة كانت واعية تمامًا إلى أن أبا بكر، على الرغم من العداء الشخصى، كان يكن بقية احترام لإنجازات الرئيس أولوو الفكرية وبخاصة عندما تتعارض تلك الإنجازات مع النزاهة السياسية.

كان محام بريطانى هو السيد/ جرتيانئ Gratiaen قد كُلِّف بالدفاع عن الرئيس أولوو، لكنه شأنه شأن دنجل فوت من قبله جرى إبعاده وطرده هو وبعض المحامين البريطانيين الذين كانوا أعضاء فى نقابة المحامين النيجيريين. هذا الخطر، الذى أصر عليه وزير الداخلية فى ذلك الوقت، الحاج الشيخ شاجارى، جرى الاعتراض عليه أمام المحكمة، التى ساعدت على إلغاء الإجراءات، فى الوقت الذى جرى فيه إلقاء القبض على إيناهورو فى لندن - صادف ذلك انتهاء لجنة كوكو من آخر جلساتها الفنية تمامًا والتى بلغت اثنين وستين جلسة، وهذا يعد إنجازًا محمودًا فى الاقتصاد فى توقيتات القضاء، وكانت تلك اللجنة برئاسة زميله جستس قاسم من الإقليم الشرقى، والمحاسب الليجوسى الرسمى السيد/ آكنتولا وليامز. تقديم مذكرة إلى رئيس الوزراء بما توصلت إليه هذه اللجنة، يوحى بأن أولوو، على الرغم من إفراطه فى التدقيق، كان يخطط لاستعمال المال العام فى إنشاء مركب سلطوى يكون هو الشخصية الرئيسية فيه. كان

من رأى اللجنة أن آكنتولا فشل فى الوفاء بالمعايير السلوكية المطلوبة من رئيس الوزراء (وهذا صدى آخر من أصداء حكم ستافورد ـ ستون Sutton على الدكتور آزكوى)، لكن لم تكن هناك أدلة كافية، لقول الشيء نفسه عن آكنتولا، الذى ينبغى تبرئته تمامًا. صحيح أن آكنتولا كان رئيسًا للوزراء فى ذلك الوقت على الرغم من توقفه عن العمل، وأن أولوو لم يعد بعد فى الحجز. كان أولوو قد سبق له إنشاء شركة الاستثمار الوطنى والعقارات، التى جمعت من الشعب ٣,٧ مليون جنيه إنجليزى وقامت بدفع هذا المبلغ إلى حزب جماعة العمل، الذى تعين عليه فى ذلك الوقت دفع هذا المبلغ إلى مجلس التسويق الإقليمى. وهنا وقف المخلصون من أعضاء الحزب، عند هذه المرحلة، مندهشين من اعتدالهم وليس من باب الإحساس بالعار والخجل أمام هذه الاكتشافات، وتحتم أن يكون هناك شيء من النفاق فى تشفى خصومهم فيهم. وأجمع الوزراء الفيدراليون على فكرة واحدة مفادها أنه على الرغم من مرور هذه الأرصدة دومًا من خلال أيدى أشخاص آخرين، فإن أولوو كان على علم مسبق بالمبالغ البنكية الكبيرة وبأرصدة الاستثمار وهى يجرى إدخالها فى حسابات الحزب البنكية.

معرفة الناس بما قام به كوكز زادت من قوة ثقة رئيس الوزراء عندما أعلن فى اليوم التاسع والعشرين من شهر ديسمبر عدم تمديد حالة الطوارئ، وأن الإقليم الغربى سيعود إلى الحكم البرلمانى فى اليوم الأول من شهر يناير من العام ١٩٦٣ الميلادى. وتولى الرئيس آكنتولا من جديد منصب رئيس الوزراء الذى سبق تعليقه بواسطة قانون الطوارئ، نظرًا لعدم وجود بديل قانونى لذلك الرجل. وعلى الفور عجل رئيس الوزراء بمهادنة كل من آدجبنرو Adegbnero وأعضاء حزب جماعة العمل، على أمل إصلاح الحزب القديم دون أن يكون أولوو رئيسًا له. أما الآن ونظرًا لأن الرجل يترأس الحزب التقدمى المتحد، على الرغم من أن الحزب كان لا يزال بحاجة إلى تشكيل آلية الحزب، فلم تكن أمامه أية مصاعب فى تشكيل مجلس وزراء جديد بمساندة كل من أتباع الرئيس أر إيه فانى – كيود kayoed (بمعنى "فانى – السلطة")،

وزعيم الجناح الغربي في حزب المجلس الوطني للمواطنين النيجيريين، الذي سبق انفصاله عن حزب جماعة العمل في العام ١٩٥٩ الميلادي، نظراً لأن أولوو ظن أنه "وقح وصفيق ومتهور"، والذي ترك المعارضة في الوقت الحالي ليصبح نائباً لرئيس الوزراء. واقع الأمر أنه كانت هناك قبل ذلك مشكلة مفادها: أن طائفة من حزب المجلس الوطني للمواطنين النيجيريين، بقيادة الرئيس بنسون الوزير الفيدرالي، كانت تتساءل عن جدوى أي تحالف قبل أن توضح الانتخابات المبكرة ما إذا كان جانب آكنتولا أم جانب آولوو هو الذي يحظى بمساندة الأغلبية الحقيقية وتأييدها. يتمثل التعارض في أن كلاً من آكنتولا وأولوو يستحقان الإشادة بهما على قيد المساواة فيما يتعلق ببناء حزب جماعة العمل، ظن معظم الناس أنه الحزب الطبيعي لليوروبا كلهم، وينبغي أن يحظى بتأييدهم ومساندتهم، عند هذه المرحلة توقف الحاج السير أبو بكر عن تشجيع بنسون Benson وأبلغ حلفاء حزب المؤتمر الشعبي الشمالي الذين كانوا يستطلعون فرص تأسيس حزب مؤتمر شعبي جنوبي في إيبادان (من بين كل المتورطين واحد من سكرتيري أبي بكر البرلمانيين، وهو من الإقليم الغربي) يركزوا جهودهم على الحزب التقدمي المتحد باعتباره حصان طرواده(*) الذي سيساعد حزب المؤتمر الوطني للمواطنين النيجيريين على هزيمة حزب جماعة العمل في الغرب.

ذوت معارضة التحالف على عودها وبارك الدكتور أُكبارا ما يجري من منطلق أن الحزب التقدمي المتحد الذي تهيمن عليه تكتيكات حزب المجلس الوطني للمواطنين النيجيريين قادر على توفير حكومة ليبرالية رزينة قادرة على حماية أولئك الذين عارضهم حزب جماعة العمل أو منعهم من الوصول إلى مكافآت السلطة. ولم يشأ أوكبارا أيضاً إثارة الناشطين (من أجل تحرير أولووا)، وذلك راح يثبط همة فاني -

(*) حصان خشبي ضخم أجوف ملئ بجند من الإغريق وأدخل بخدعة إلى ما وراء حصون طرواده خلال الحروب الطرواديه . (المترجم)

كيود Kayode ويمنعه من أية محاولة من محاولات التصالح مع حزب جماعة العمل. وحظى الدكتور ماجيكودونمى Majekodunmi هو ومفوضوه، الذين أحسوا بالسعادة والارتياح عندما سلَّموا المهمة الموكلة إليهم، باستحسان واسع النطاق، نظير الخدمة المثالية التى قاموا بها، والتى أثبتت كما هو الحال دومًا، مدى رضاء النيجيريين وقناعتهم ببقائهم فترة محدودة فى ظل حكم معتدل غير حزبى. كان آخر قانون من قوانين الطوارئ الذى وجهه وزير الصحة إلى أكنتولا يطلب من الرجل استشارة الملكة بشأن تعيين الرئيس يوسف فداهونسى Fadahusin حاكمًا (بعد ذلك بفترة قصيرة أصبح الرجل يدعى السير أوديليى Odeleye فداهونسى)، كذلك أمر الدكتور ماجيكودونمى باستبدال أثاث المجلس التشريعى فى إيبادان بأثاث آخر مثبت فى الأرض، كما أمر الرجل أيضًا بإصلاح القُضبان الزيتية، التى خدمت غرضها التاريخى بوصفها هراوات.

جاء تسليم أنتونى إيناهورو بصفته مجرمًا بناء على طلب من الحكومة بمثابة نوع من التشويش المستمر. جرت ملاحقة الرجل، فى كل الأماكن التى قال الفرع الخاص من شرطة ليجوس: إنه يحتمل أن يوجد فيها، وقد قامت الشرطة البريطانية بتلك الملاحقة، وكانت تلك الشرطة تنصح بالتسلسل المضبوط للإجراء الدقيق الذى ينبغى اتخاذه حتى يمكن تحقيق الهدف فى سهولة ويسر. كان المفتش العام الجديد، جون هودج، قد قام بإجازة بعد أن أعطى إيجازًا مُدَقّقًا لكل من يهمهم الأمر، وبعد أن أكد للحاج السير أبى بكر أن نائبه لن يقوم بتنفيذ ذلك الإيجار فقط وإنما يتحتم عليه القيام بذلك. هذه الخطة المحكمة جرى تنفيذها بشىء من النصب والخداع. وصل اثنان من مستشارى التاج إلى لندن، يحملان معهما دليلاً، لا يزيد على مجرد قصاصة من واحدة من صحف ليجوس وجاءت النتيجة مماثلة لأمر تسليم المجرمين الذى أسىء تداوله، والذى أثار جدلاً ونقاشًا حول الحقوق المدنية فى المحاكم البريطانية على مدى سنوات. وبعد ثلاثة مناشدات متتالية رُفع لواء النظام بصورة قاطعة محددة، مما سمح

لأعضاء البرلمان البريطاني، الذين بدأوا يتشككون تشككًا كبيرًا في نيجيريا، أن يطلقوا العنان لسوء ظنهم الزائف بإدارة الدول الصديقة لمبدأ العدالة. أساءت الحوارات التي دارت في مجلس العموم إلى مشاعر أبي بكر، الذي شهد الحصول على الاستقلال طبقًا للنموذج السائد في البرلمان البريطاني، والمتحالف مع المنظمة القضائية الإنجليزية، باعتبار ذلك تعبيرًا عن الثقة المتبادلة. وقد قدم أعضاء البرلمان حديث أبي بكر الإذاعي على أنه إساءة إلى إيناهورو، الذي أجروا معه مقابلة شخصية في سجن بركستون Brixton.

جرى انتقاد هنري بروك، وزير الداخلية، على توقيعه على أمر الترحيل قبل مناقشة الأمر في البرلمان وحدثت غوغاء كبيرة عندما جرى إنكار التصويت على الانتقاد. عدم التيقن من أن هذه العملية قد تنطوي أو لا تنطوي على حكم الإعدام أدى إلى تقييد المناقشات أكثر مما كانت عليه (ولما كان المجلس قد وصل إلى منتصف الطريق في مسألة إلغاء القانون البريطاني لقتل الغير الصادر في العام ١٩٥٧ الميلادي، والذي كانت مراجعته في ذلك الوقت، فقد جرى "تمييز حالات الإعدام" عن حالات القتل الأخرى، لكن في حال الخيانة العظمى تظل مسألة الإعدام معتمدة على قرار يصدر من سياسي حول طلب التخفيف أو عدم طلبه، الأمر الذي بقي محلاً لكثير من الجدل السياسي والاجتماعي). طلب السيد/ ماكميلان من اللورد هيد في ليجوس إبلاغه بالموقف الرسمي النيجيري. أبلغ الحاج السير أبو بكر اللورد هيد أنه هو وزملاءه لن يقبلوا ذلك الوضع المهين الذي يفرض عليهم إعطاء أي تأكيد من التأكيدات، التي من قبيل أن أي اتهام من الاتهامات لا يستحق عقوبة الإعدام، لكن في رأيهم، وبناء على ما نصح به موظفوهم القانونيون، فإن حكم الإعدام لا ينطبق على الاتهامات المقامة حاليًا.

كانت المشكلة الثانية تتعلق بمحامي الدفاع، وجاء الرد على هذه المشكلة بطريقة مؤيدة تفيد أن السياسة البريطانية كانت تتدخل تدخلاً غير مقبول في شأن يخص

صديقًا من أصدقائها. وأكد أبو بكر للورد هيد، أن المحاولات المتتالية، من قبل الممثلين القانونيين لحكومته، للتأثير على المحكمة الجزائرية ومناشدة لجنة مجلس اللوردات، كانت تعنى بوضوح أنه إذا ما أعطى القاضى الفيدرالى الحق لأى محام من المحامين البريطانيين بالترافع عن الرئيس إيناهورو فإن الأفرع التنفيذية لن تمنعه من الدخول لسبب واحد فقط إنه جاء للدفاع عن إيناهورو، وأن هذه الأفرع التنفيذية ستمنعه فقط إذا كانت هناك أسباب أخرى مقنعة تحتم ذلك المنع. فى حالتى دنجل فورت وجرتيائن Gratiaen، كان لدى هذه الأفرع التنفيذية أسباب تجيز هذا المنع، لكن اللورد بروك أبلغ مجلس العموم أنه كان راضيًا عن رئيس وزراء نيجيريا لأن إيناهورو سيسمح له باختيار دفاعه الخاص أثناء محاكمته أمام محاكم ليجوس. جاء ذلك الخلاف أو النزاع بمثابة موضوع للنم واللت والعجن من قبل أولئك الذين كانوا لا يزالون يودون تصوير اللورد هيد على أنه دُمية فى يدى أبى بكر، لكن التقارير الدقيقة التى ذاع صيتها كانت تفيد أن اللورد هيد كان يحذر لندن من أنه فى حال رفض إعادة إيناهورو بلا قيد أو شرط قد يسفر عن قرار من مجلس الوزراء النيجيرى بخروج نيجيريا من الكمنولث. جرى تسليم إيناهورو فى شهر مايو من العام ١٩٦٣ الميلادى ومثل أمام المحكمة العليا فى ليجوس التى يرأسها السيد/ سيجسموند sigismund لامبو Lambo. فى ذلك الوقت كانت هناك أيضًا "محاكمات بتهمة الخيانة" فى جمهورية تشاد، وجمهورية السنغال (اللتين انتهتا منذ فترة قصيرة من مراجعة دستوريهما بما يتفق والرئاسات التنفيذية)، وتناقص الاهتمام البريطانى بذلك المثال النيجيرى المحدد فى إطار خيبة الأمل التى منيت بها بريطانيا فى سياستها الإفريقية.

تركز الجدل الداخلى على مزاعم حزب جماعة العمل الاستنتاجية الخالصة - أن القاضى المفترض أن يقوم بالمحاكمة، وهو شارلز دادِ Dade أُونيما Onyeama (وهو من الأجبو فى واقع الأمر)، جرى إبعاده عمداً ليكون قاضيًا فى المحكمة العليا بحكم

أنه كان مستقلاً تماماً فى قضية البنك الأهلى National، وأن القاضى الذى حل محله (ومما يدعو إلى السخرية أنه كان من اليوروبا)، السيد/ جستس Justice شوديندى Shodeinde سويمّو Soweimmo، جرى اختياره بحكم ميوله الفيدرالية، وأنه لم تكن هناك ظروف أفضل من ظروف السجن الاحتياطى القائمة حتى يمكن إتاحتها للمتهمين أو محاميهم عند تجهيز الدفاع والاستعداد له، إن إيناهورو وحده هو الذى سُمِح لمحامٍ بريطانى بالدفاع عنه، وأن الشهود كانوا من المجرمين، والخونة السياسيين (بما فى ذلك كل من إبراهيم إمام، الذى كان الجميع يعرفون أنه حصل على وعد بعقد من قبل حكومة الإقليم الشمالى، وباتريك دوكوترى. وهذان الرجلان من المعارضة فى الإقليم الشمالى) والمتواطئين أو المشبوهين. ولم يكن من قبيل الدهشة أو المفاجأة أن شهود الادعاء الذين جاءوا من بلدة أويو كانوا أكثر عددا من أولئك الذين جاءوا من إجيبو Ijebu وشكك الخبراء فى صحة التوقيعات كانت بخط يد إيناهورو على المستندات المهمة. تقدم أولوو برسائل حول التأويلات التى جرى تبادلها بينه وبين أبى بكر حول مسألة إنهاء طوارئ العام ١٩٦٢ بطريقة ودية. تولد انطباع مفاده أن المقصود من وراء ذلك كله هو الوصول إلى دفاع فعال عن النفس فى ظل ظروف مدنية تحتم على كل الأحزاب السياسية الفعالة العمل فى ظلها، وأن القوى التى جرى حشدها "ربما لم تكن كافية لحماية بنك كبير" (على الرغم من قوات الجيش النيجيرى الصغيرة التى كانت تقدر بحوالى تسعة آلاف رجل، والتى لم تكن فى الكنغو، كان القسم الأكبر منها خارج ليجوس أيضًا). اعترف أولوو أيضًا أنه كان يتطلع إلى إقامة نوع من التحالف مع بعض العناصر فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. لكن سلوك الرجل أمام المحكمة كان مقتضبًا وجافًا. وبدا الرجل وكأنه مُطلّق من المجتمع الحقيقى، وكان يبدو للمراقبين العالميين وكأنه يُخْفى شيئًا ما. ترى من أين جاءت هذه الأرصدة كلها؟ لماذا كل هذا الحديث عن "٦٠٠٠٠ جنيه إنجليزى الخاصة بنيكروما"؟ وعلى الرغم من ذلك كله كانت الحقائق الدافعة تثبت أن الرجال جرى إيفادهم إلى الخارج (إلى غانا) لتلقى

التدريب العسكرى، وأن الأسلحة غير القانونية جرى جلبها إلى البلاد. وعلى حد قول السيد/ جاجا واشوكو، فإن الدلالة المادية التى قُدمت لم يكن بالإمكان تدبيرها أو فبركتها فى الغناء النيجيرى الخلفى.

بعد عودة إيناهورو ومباشرة أعلنت اللجنة القضائية التابعة للمجلس الخاص فى المملكة المتحدة رأيها الذى صدر بالأغلبية والذى مفاده أن التفسير الدقيق للكلمات الدستورية الخاصة "بالمثول" appearing للحصول على تأييد الأغلبية يجيز للملك ooni الأيف أولاً وقبل كل شىء، الحق فى طرد آكنتولا قبل تمرير سحب الثقة من خلال أروقة المجلس. وفى عدم وجود المحامى العام، سارع البرلمان الغربى إلى البت فى موضوع الطرد من خلال قانون ذى أثر رجعى، مفاده الحاكم يمكنه طرد رئيس الوزراء عن طريق تصويت الأغلبية فى جلسة رسمية من جلسات المجلس التشريعى. هذا القانون جرى إعداده سلفًا بما يتجاوز الحاجة، وقد أبدى أحد الصحفيين البريطانيين المتهمين ملاحظة مفادها أن هذا القانون غلَّ أيدى المحامين الإقليميين الذين كانوا ينتظرون على الطرف الآخر من الهاتف سماع رأى المجلس الخاص، وعلى استعداد للمضى قدمًا فى عملهم إذا ما جاء هذا القرار على عكس ما يتوقعون. وقبل اعتراض آدجبنرو أمام المحكمة على ذلك الإجراء، جرى دعوة مجلس المندوبين (الممثلين) الفيدرالى إلى الانعقاد على شكل جلسة طارئة فى اليوم الثالث من شهر يونيو للموافقة، طبقًا للدستور، على هذا التعديل الدستورى الإقليمى. وهنا نجد من جديد أن كلام الحاج السير أبى بكر هو خير دليل على رأى الرجل فى أحداث الإقليم الغربى، وعن إدراكه وتفهمه لمعنى العدالة الدستورية:

"أرى أن من واجبى المؤلم والذى لا مهرب منه أن أتحدث مرة ثانية إلى البرلمان فيما يتعلق بشئون الإقليم الغربى. يذكر الأعضاء الأشراف أنه فى مثل هذا الوقت من العام الماضى أن ظروف اجتماع شهر أغسطس أسفرت عن إعلان حالة الطوارئ

فى الإقليم الغربى، من باب أن ذلك كان وسيلة للمحافظة على الأمن والنظام والحكم العادل فى ذلك الإقليم. وتلا ذلك، وفى الوقت المناسب، حكم صدر بالأغلبية الواضحة (ثلاثة إلى واحد) من الحكومة الفيدرالية العليا مفاده أنه فى ضوء التفسير الصحيح ؟

لا يستطيع من الناحية القانونية إزالة رئيس الوزراء آكنتولا أو إبعاده عن منصبه، باستثناء مطالبة الغير داخل البرلمان بأن رئيس الوزراء لم يعد يتمتع بثقة أغلبية أعضاء المجلس. والحكومة الفيدرالية عندما أنهت حالة الطوارئ فى غربى نيجيريا، تنفيذاً لتعهدها بذلك، فذلك يعنى أن الحكومة أعادت المجلس التنفيذى والمجلس التشريعى المعلقين فى الإقليم.. واعتباراً من ذلك التاريخ تولت حكومة آكنتولا بعد رفع حالة الطوارئ المسئولية الضخمة عن تنفيذ التوصية التى أصدرتها لجنة التحقيق برئاسة كوكو، بشأن ستة مؤسسات صادرة عن طريق التشريعات البرلمانية فى غرب نيجيريا.

منذ استئناف الحاج أدجبنرو الحكم الذى صدر من المحكمة العليا الفيدرالية أمام اللجنة القضائية التابعة لمجلس صاحبة الجلالة الخاص، منذ حوالى عشرة أشهر، فقد تغير الموقف الدستورى والسياسى تغيراً كبيراً فى الإقليم الغربى. بداية جرى تفنيد زعم حزب جماعة العمل عن موالاة ستة وستين عضواً من أعضاء البرلمان، قيل إن توقيعاتهم جرى جمعها خارج المجلس، واتخذت أساساً لقيام الحكومة بطرد الرئيس آكنتولا من منصب رئيس الوزراء، وقد جاء ذلك التفنيد عن طريق تصويتى عن

حصول رئيس الوزراء آكنتولا على ثقة المجلس فى شهر أبريل الماضى وجاءت التصويتات فى المرتين بحوالى ٧٩ و ٨٠ صوتًا من أصل ١١٧ صوتًا فى المجلس. ثانيًا، رأت صاحبة الجلالة الملكة أن من الأنسب تعيين الرئيس يوسف فداهونسى، بحكم وضعه فى ذلك الوقت، حاكمًا لغرب نيجيريا بناء على نصيحة من رئيس الوزراء آكنتولا، مع أنها كانت على علم تمامًا بالاستئناف المقدم من الحاج أدجنبروا أمام اللجنة القضائية لمجلس صاحبة الجلالة الخاص فى ذلك الوقت، وأنه ليس من غير العدل مراعاة تنفيذ مراسيم صاحبة الجلالة الرسمية بصورة منتظمة".

يزاد على ذلك أن كلام محامى المُحَرَّرات القانونية اتسم أيضًا بالطابع الديبلوماسى، هذا الكلام لم يشجع المضاربة على المعضلات والخرُورات التى تواجه مستشارى الملك الذين أصيبوا بالحرج. واصل أبو بكر حديثه قائلاً:

"وعلى العكس من هذه الخلفية، فإن هذه الجلسة التى يعقدها مجلس المندوبين (الممثلين)، ليعطى موافقته على حتمية مراجعة قانون (تعديل) دستور غرب إفريقيا، وقد صدر هذا القانون فى العام ١٩٦٣،..... ومما قلته يتضح تمامًا أن رأى اللجنة القضائية فى وقوف أدجنبرو فى وجه الاستئناف المقدم من آكنتولا جرى التغلب عليه بفعل الظروف والأحداث، التى سبق أن أوجزنا البعض منها بالفعل. محاولة تنفيذ هذا الاعتراض يمكن أن تؤدى إلى إحداث المزيد من الفوضى فى الموقف المعقد بالفعل فى الإقليم الغربى. وعلى سبيل المثال، لو قدر لصاحبة الجلالة الملكة التوقيع على المسائل الإجرائية فى المجلس، بحيث يسمح ذلك بسريان رأى اللجنة القضائية، فإنها سوف تضطر من

الناحية المنطقية إلى الالتزام بالرسالة المقدمة من الحاج آجنبرو، التى أرسلت إليها بصورة مباشرة، والخاصة بتعيين مرشح آخر لمنصب الحاكم. لو تم ذلك سيكون هناك حاكمان متنافسان فى الإقليم الغربى واثنان من رؤساء الوزراء وما يترتب على ذلك من مضاعفات ناجمة عن المتطرفين الحزبيين فى الصراع الناشب بين الفئات السياسية. عند هذا الحد لن يكون أمام الحكومة الفيدرالية خيار سوى إعلان حالة الطوارئ مرة أخرى فى الإقليم! هذا المسار لابد أن يؤدى لا إلى توريط الإقليم الغربى وحده وإنما الاتحاد كله فى خراب مالى وضيق سياسى.

والمؤكد أنه من الأفضل والأعقل تحاشى الكارثة التى تكون من هذا القبيل عن طريق عدم السير فى ذلك المسار المقترح، والاعتراف بالحقائق السياسية المحلية، التى يبدو أن رأى اللجنة القضائية غير مُلِم بها تمامًا. ومن وجهة النظر الدستورية البحتة، نجد أن تفسير اللجنة القضائية القانونى لدستور الإقليم الغربى، يحتم اعتبار ذلك التفسير غير موفق، نظرًا لأنه يقر أن حاكم الإقليم يمكن أن يمارس سلطة طرد رئيس الوزراء حسب إرداته ومشيئته، فى الوقت الذى توقفت فيه صاحبة الجلالة عن ممارسة هذه السلطة نفسها منذ ما لا يقل عن مائة وثلاثين عامًا. ونظرًا لأن هذه العبارة موجودة بهذه الصياغة فى الدساتير الإقليمية كلها وفى الدستور الفيدرالى أيضًا، فإن الحاكم العام سيكون من حقه أيضًا جمع توقيعات من خارج المجلس، أو إجراء مقابلات شخصية مع بعض الناس باعتبار ذلك وسيلة من

وسائل تحديد أن رئيس الوزراء لم يعد يحظى بعد بتأييد أغلبية أعضاء مجلس المندوبين". (نوبة من الضحك).

قاطع السيد/ برجز Briggs، عضو البرلمان عن منخفض دجيما فى دلتا الأنهار، ليقول إنه أصبح بوسعه تقييم الأسباب التى أدت إلى نشوب المشاجرة ، وردد رئيس الوزراء أصداء ما قاله هذا العضو الشريف، ثم أضاف أنها كانت مشاجرة جيدة بحق، ثم واصل رئيس الوزراء حديثه بعد مقاطعة وجيزة.

"هل يمكن الإشارة بحق إلى أن الملكة لا تحتاج سوى استشارة الرأى العام على صفحات الصحف حتى تتمكن من طرد السيد/ ماكميلان بوصفه رئيسًا للوزراء، وتدعو السيد/ هارولد ولسون لتكوين حكومة أخرى، بعد أن أوضحت استطلاعات الرأى العام تلك نسبة مئوية تقل عن أربعين فى المئة لصالح السيد/ ماكميلان؟ لا. ليس هذا شعار من شعارات الديمقراطية التى تنوى أخذها عن بريطانيا. إعطاء هذه الحرية الكاملة فى التصرف لحاكم الإقليم أو حتى للحاكم العام للاتحاد، فى مسألة حصوله على المعلومات سيجعل من الصعوبة بمكان رسم الخط الفاصل بين التشاور القانونى والتآمر القبيح.

الطريق النظيف الوحيد المفتوح أمام أى رئيس له أو إقليم هو أن يسمح لنفسه أو لنفسها التصرف على هدى من تحرك ديموقراطى حقيقى يرتكز على اختبار الثقة فى شعبية رئيس الوزراء أو الوزير الأول، وذلك عن طريق التصويت على الثقة داخل المجلس التشريعى. وهذا هو الهدف الذى يبتغيه التعديل ونحن نرى أن من الصواب ومن الحق التسليم بذلك والموافقة عليه. ويجب ألا يغيب عنا أن الدستور وثيقة سياسية لا يمكن

تفسيرها بالمعايير نفسها المستخدمة التى تصلح وتناسب تفسير اللوائح أو القوانين البرلمانية المعتادة. وإذا ما أريد للدستور أن يكون كافيًا، وإذا ما أريد للإطار السياسى والنظام القانونى المنصوص عليهما فى الدستور أن يحظيا بالاستقرار والشرعية، فإن ذلك يحتم علينا تحاشى التفسيرات الضيقة أو أحادية الجانب لأى نص من نصوص الدستور الحيوية فى إعمال الدستور. وإذا ما جاز لنا القول دون الإخلال باحترام اللجنة القضائية، فإن رأى اللجنة فى هذه القضية ليس ذا صلة أو علاقة بحقائق الموقف فى غرب نيجيريا، وغير سليم من حيث المبدأ. وهذا هو السبب الذى جعل الحكومة الفيدرالية تتردد فى اتخاذ قرار بمساندة القانون.... باعتبار ذلك أسرع الطرق البديلة المتاحة....".

أما إذا كان ذلك التردد يوحى للنقاد البريطانيين الليبراليين بالجبن والتَّخوُّف فقد قلب أبو بكر عليهم الموائد عندما قال:

".... وجدت الحكومة البريطانية منذ وقت قريب جدًا، مضطرة إلى التخلى عن حكم صادر عن محكمة من محاكم الاستئناف، والذى كان يمكن أن يؤدى إلى نوع من الفوضى فى الترتيبات الدستورية القائمة فى جامبيا. والذى حدث فى ذلك البلد هو أنه جرى فى العام ١٩٦١ الميلادى إصدار قانون بإحلال سجل جديد للناخبين محل السجل القديم الذى بدأ العمل به فى العام ١٩٥٩ الميلادى. وقد أسفرت الانتخابات العامة التى أجريت على أساس الجيل الجديد عن هزيمة الحزب القائد، وقام واحد من المرشحين المهزومين بالاعتراض والطعن فى مصداقية القانون المنشئ لذلك

السجل. وأعلت المحكمة العليا فى جامبيا شأن القانون، لكن عندما وصلت القضية إلى الاستئناف كانت محكمة غرب إفريقيا الاستئنافية قد أعلنت عدم قانونية القانون الصادر فى العام ١٩٦١ الميلادى من منطلق التفسير الحرفى لواحدة من العبارات غير المحددة فى ذلك القانون. وقد أدى ذلك إلى عدم قانونية السجل الانتخابى وعدم قانونية أغلبية العضوية فى مجلس المندوبين. قال وزير الدولة لشئون الكمنولث السيد/ دنكان سانديز فى تفسيره أمام البرلمان البريطانى: إن الحكومتين الجامبية والبريطانية كان أمامهما مساران مفتوحان، إما حل المجلس وإجراء انتخابات جديدة أو تعديل قانون العام ١٩٦١ بأثر رجعى: وأنه عملاً بالاستشارة القانونية المتوفرة، فقد اختارت الحكومة البريطانية المسار الثانى وعدلت بأثر رجعى العبارة غير الدقيقة فى القانون، نظراً لأن مجلس المندوبين (الممثلين) الجامبى لم يكن مشكلاً على النحو الذى يمكنه من القيام بهذا العمل بنفسه.

من هنا يتضح للأعضاء الإشراف أن ما نحاول عمله فى هذا الصباح لا يعدو أن يكون ذلك الذى رأت الحكومة البريطانية أنه الحق منذ أقل من اثنى عشر يومًا مضت، فى مواقف قانونية ودستورية هى صورة طبق الأصل مما نحن فيه الآن. ومن الأهمية بمكان أن لا يغيب عنا أن ما أقدمت على فعلته الحكومة البريطانية، عند مواجهتها للمعارضة، وصل إلى حد انتهاك حكم القانون، وجاء رد السيد/ دنكان سانديز فى شهر مايو، وأرجو أن يسمح لى المتحدث الرسمى بالاقتباس عن السيد/ دنكان

ساندين: جميل جداً أن تقول المعارضة إننا ننحى القانون جانباً. وهذه ليست المرة الأولى التى يثبت فيها أن الانتخابات التى أجريت كانت غير قانونية ثم جرى بعد المصادقة عليها. لقد حدث ذلك فى مجلس العموم هذا وكل الجالسين هناك يذكرون ذلك جيداً. هذا الأمر لا ينطوى على شىء غير عادى. **ردنا على أى اقتراح من هذا القبيل هو أننا نحاول تنمية رأى المجلس جانباً بالطرق نفسها. وليس هناك خطأ فى إصدار تشريع بأثر رجعى تجنباً للفوضى السياسية أو الفوضى الاقتصادية.**

يذكر الأعضاء الأشراف جيداً أننا أصدرنا من هذا المجلس أثناء جلسة الموازنة فى شهر أبريل الماضى قانوناً بأثر رجعى يتعلق بالمنتوجات فى الأقاليم المختلفة. النوع الوحيد من القوانين ذات الأثر الرجعى، الممنوع بنص الدستور هو ذلك الذى يجعل العقوبات عن الجرائم المختلفة بأثر رجعى. الواقع أن هناك أمثلة كثيرة على القوانين ذات الأثر الرجعى فى دول أخرى كثيرة من دول الكمنولث، وهذه القوانين تهدف إلى عدم المصادقة على أحكام اللجنة القضائية الخاصة بالمسائل الدستورية أو المسائل القانونية، عندما يتضح لنا حتمية القيام بمثل هذا العمل. ونحن الآن نقوم بالتجهيز للحصول على إجماع **على مستوى الأمة كلها، الاستفتاء الذى أجرى على إنشاء إقليم الغرب - الأوسط يكاد يكون كله ملقى على كواهلنا، هذا يعنى أنه لا بد من تجهيز السجلات المطلوبة لكل من الانتخابات العامة والانتخابات الإقليمية التى ستجرى فى العام المقبل. فى مثل هذه الظروف، تشعر الحكومة الفيدرالية، إن الإقليم الغربى بعد الانقلابات**

الفجائية التى حدثت مؤخرًا، يستحق أن تكون له حكومة مستقرة مستنيرة تعمل على دعم أحوال سكانه وتقويتها ورفاهم، فضلاً عن دعمها لنمو العمليات الديمقراطية والمؤسسات الديمقراطية. يزاد على ذلك، أن المهمة الدستورية للحكومة الفيدرالية تتمثل فى اتخاذ الخطوات المناسبة فى إطار المصلحة الوطنية من أجل تأكيد الوحدة الوطنية واستمرار الحكم الفيدرالى فى نيجيريا. يا سيادة الرئيس، قضيتنا عادلة، وقصدنا شريف".

تسبب المسائل الملحة والعاجلة التى أتى أبو بكر على ذكرها فى كثير من القلق.

تحرك أبو بكر تحركًا ناجحًا، فى الوقت الذى فشل فيه السيد/ برجز Briggs الدجيما، الذى كان يرتدى (مع الرئيس آكن - أوليوجباد Akin - olugbade الذى كان نائبًا عن جنوب إجبا Ebga) عباءة إيناهورو الفيدرالية فى التعديل الذى تقدم به والذى كان يشكك فى مصداقية التعديل الإيبادانى Ibadan الدستورى الجوهرى. بعد ذلك بفترة قصيرة أثبت الاستفتاء الوطنى على إنشاء إقليم الغرب الأوسط أن ٨٩٪ من ناخبى الدائرة المسجلة صوتوا لصالح إنشاء ذلك الإقليم. بدأ لسكان الغرب - الأوسط مشروع جذب قوى محلية جديدة ومكافآت محلية جديدة لا يتعين تقاسمها مع أى أحد آخر أمرًا لا بد منه، وسينكشف ذلك فيما بعد. وسواء فهم الناخبون أم لم يفهموا المضامين (التى منها على سبيل المثال: أن "الأغلبية" فى الأقاليم المساندة للتغييرات الدستورية ستصبح ثلاثة من أربعة بدلاً من اثنين من ثلاثة) فقد جاء ذلك بمثابة نهاية حزب جماعة العمل بوصفه واحدًا من الأحزاب الوطنية الفعالة، والسبب فى ذلك أن الحزب توقف أيضًا عن معارضة الإقليم الجديد. قال رئيس الوزراء فى مؤتمر صحفى معاصر لتلك الأحداث إنه ظل على قناعته بأن نيجيريا إن آجلاً أم عاجلاً ستكون لها حكومة مشكلة من الأحزاب كلها: **"لابد من مجىء الوقت الذى سنرى فيه نيجيريا حكومة وحدوية. قد يحدث ذلك بعدى، لكنى متأكد أن ذلك سوف يحدث بالقطع. مسألة**

التخلى عن تجمع من التجمعات لا يمكن أن تخدم غرضًا من الأغراض النبيلة المفيدة".
اشتكى المتحدث الرسمى باسم حزب جماعة العمل مر الشكوى من أن أبا بكر كان يغنى هذه الأغنية منذ العام ١٩٦٠ الميلادى لكنه لم يخط خطوات ملموسة فى هذا الصدد.

فى منتصف العام ١٩٦٢ الميلادى اتضح تمامًا أن شروخ الإقليم الغربى السياسية جرى جبرها وسدها. اقترح كل من أكنتولا وأدجبنرو، الذى هو ظل لأولوو، فى اليوم الأول من شهر يوليو إحداث نوع من المصالحة بين الحزب التقدمى المتحد وحزب جماعة العمل، الأمر الذى أغضب كلاً من فانى - كيود kayoed وبنسون. ومع ذلك، سارع فانى - كيود إلى إعلان أن الأحزاب الثلاثة هى والجناح الغربى من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين قد تصالحت فيما بينها، لكن حكومة الائتلاف ستستمر فى مواصلة عملها. هذا كله يعنى أن الأحزاب الثلاثة لم تكن واثقة أو متأكدة من مساندة الجماهير، وأن الجميع كانوا يودون شعب اليوروبا أن ينخرط فى اللعبة الوطنية. كانت لجنة العمل الوطنى فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين قد أعلنت أنها لن يكون بينها وبين حزب جماعة العمل المكروه أية تعاملات أحادية الجانب أو سرية"، وأوصى هؤلاء الثلاثة ببقاء حزب جماعة العمل، مثل اليوروبا، مشكلاً معارضة الأقلية. أنكر أكنتولا أنه كان يعمل على تصفية اسمية للجناح الغربى فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وفى اليوم الثامن من شهر يوليو أعلن كل من الحزب التقدمى المتحد، وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين إسقاط فكرة الاتحاد الثلاثى. وعلى الرغم من ذلك، عرف أكنتولا أنه اعتمد على الجميل الذى أسدته الحكومة الفيدرالية لتحسين الظروف التى قد تساعد على جعل أغلبية سكان الإقليم الغربى يفضلون أكنتولا فى الانتخابات المقبلة. واعتباراً من ذلك الوقت إلى مطلع العام التالى ظل أكنتولا هو وفانى - كويد يتطلعان إلى احتمال حزب غربى جديد متحد، فى الوقت الذى أبقيا فيه على هذه الأسرار بعيداً عن كل من أوكبارا والإجباويين Igbos،

الذين كان يحتقرونهم على أنهم انتهازيون سُذَّج. وكانت نائبة أكنتولا الأخرى تتمثل فى أن مساعدته على إنشاء إقليم الغرب ـ الأوسط سيؤدى إلى إنقاص عدد مؤيدى أولوو إلى مجرد تجمع إيبادانى صغير، ولذلك تعين عليه مراقبة فانى ـ كيود فى محاولته كسب الإقليم الجديد وضمه إلى صفوف حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، ويتأكد من ذوبان إقليم ولاية نهرى كلبار وأجُوجا فى المستقبل.

انتهت المحاكمة بتهمة الخيانة فى اليوم الحادى والثلاثين من شهر يوليو بواحد وعشرين دليلاً على ارتكاب هذه الجريمة وجرى النطق بالحكم فى اليوم السابع من شهر سبتمبر فى الوقت الذى عانت فيه كل من إيبادان وأبيوكوتا أبشع طوفان من الذكريات السيئة. وقد حُكم على أولوو، الذى حظى بشىء من التعاطف، بسبب مقتل ولده فى حادث سيارة، بالسجن عشر سنوات. أشار القاضى فى إيجازه لأسباب الحكم، إلى الإحباط الذى أصاب أولوو لأنه لم يقدم أى بديل عن الفكرة التى استحوذت على ذهنه، والتى أفصح عنها أثناء المحاكمة، وتتمثل فى أنه كان يود أن يكون رئيسًا لوزراء نيجيريا. وصدر حكم بحبس إيناهورو ولمدة خمسة عشر عامًا. واضطر السيد/ سيسل كنج من جريدة الديلى ميرر إلى إعادة النظر فى الصورة التى رسمها لأولوو، والتى تسببت فى إحداث شرخ صغير بينه وبين السير جون ماكفرسن. أما الدكتور أزكوى الذى يمكن أن يحصل على العفو الملكى بناء على إرشاد بذلك، فقد أعلن أن الحكومة كانت تولى مسألة العفو عن "بعض المسجونين" بمناسبة عيد الجمهورية اهتمامًا كبيرًا. كان الحاج السير أبو بكر قد أعمل فكره فى حقائق المؤامرة وقال: "إنه حادث محزن لنيجيريا، وأنا أشعر إزاءه بالحزن الشديد"، لكن الرجل لم يشر إلى الأفراد أو حتى إلى تلك اللمحة العريضة. وأُعلنت براءة يوسف تاركا وألفريد ريوين Rewane، وأطلق سراح الدكتور شايك لعدم ثبوت الاتهام.

علق رئيس الوزراء على ما يجرى بعد فترة طويلة، **"الشىء الذى لا أفهمه ولم يحدث أن فهمته مطلقًا هو هذه الصبيانية التى وصل إليها أولوو.... لم أصدق أنه يمكن أن يكون على هذا القدر من الحماقة. كيف خطر على بال هذا الرجل أن بوسعه تدريب**

رجل لمدة ثلاثة أسابيع - ثلاثة أسابيع فقط! - ثم ينتظر منه بعد ذلك الإطاحة بالحكمة كلها؟ كانت هناك أربعة استئنافات، وجرى إسقاط أربعة أحكام صغيرة، نظراً لأن المحكمة العليا رأت عدم كفاية الأدلة. لكن على الرغم من أن إطلاق سراح الرئيس أولوو أصبح موضوعًا من الموضوعات السياسية الجافة أكثر منه موضوعًا من موضوعات العدالة المجردة طوال السنوات المتبقية من عمر الحكم المدنى، وعلى الرغم أيضًا من بقاء اليوروباويين بصفة دائمة عاملاً حرجًا ومهما فى الاتحاد متعدد الثقافات، فإن أولوو هو وإيناهورو لم يلعبا أى دور، أثناء وجودهما فى السجن، فى هذه القصة. أما النتائج العملية فقد تمثلت فى إحساس الشرقيين فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين بأنهم أحرار فى إعادة تقييم علاقة حزبهم بمحافل القوات التى لم تضعف فى الشمال، وأنه مع انفصال إقليم الغرب الأوسط، سيؤدى ذلك إلى قصر التوترات السياسية الداخلية اليوروباوية، على المستوى المحلى فقط. والشىء المخزن، الذى كان معروفًا لدى الدوائر السرية الرسمية، ومتروكًا للتخمين والتحذير الشعبى، هو مساعدة الدكتور نيكروما للمؤامرة من وراء ستار هو ومكتبه الخاص بالشئون الإفريقية الذى كان يحاول أيضًا العثور على أهداف فى الكاميرون. كان وفد من حزب جماعة العمل قد سافر لطلب منحة شخصية من المساعدات العسكرية من الدكتور نيكروما. كان نيكروما متعاطفًا مع تدريب قوات الغرو الثورية، لكن الرجل عمل بمشورة الموظف المدنى والشاعر، ميخائيل دى - أنانج Dei - Anang، الذى اعترض اعتراضًا قويًا ونصح بعدم تقديم المساندة المسلحة لحزب من الأحزاب السياسية يكون فى مواجهة مع حكومة الحاج السير أبى بكر. كانت هناك نتيجة محزنة أخرى تمثلت فى أنه على الرغم من فشل المؤامرة، فقد شجع ذلك المفهوم المؤامرات التى كانت على وشك السقوط، فى الأذهان التى كانت تختزن من قبل الأفكار التى من هذا القبيل فى عوالم الخيال أو الأجانب الذين ليس وراءهم جدوى أو منفعة.

يوضح هذا القسم الكبير المكون من جزئين موقف أبى بكر من المفاهيم القيمية الثقافية التى من قبيل "حقوق الإنسان الأساسية"، وموقفه أيضًا من الفتنة والتمرد. صحيح أن أبا بكر سلم بالتعاريف الليبرالية الفضفاضة فى الحوار الفلسفى، لكنه كان يقترب كثيراً من الرجل العادى فى حالات بعينها. هذا الرجل الذى يدَّعى لنفسه ما ليس له حق فيه وصاحب "الرشد والتَّعقل" يهتم بالنتائج المباشرة التى تترتب على عائق من العوائق أو أى ضرر من الأضرار، ويؤيد أى تحرك يهدف إلى علاج مثل هذا العائق أو الضرر، هذا الرجل لا يدع مناشدة المذهب إلا على توخذ ضميره فترة طويلة. هؤلاء الذين يطلبون مبررات للوسائل غير المناسبة فى تحقيق غاية من الغايات يغلب النظر إليهم باعتبارهم أفراداً يصعب التعامل معهم أو أصحاب نظرة محدودة، أو يكرسون جهودهم لهدف واحد بغية الخروج على النظام القائم، أو قد يكون لهم هدف خفى غير مباشر بحكم أنهم يودون أن يكونوا استفزازيين، ولا يستحقون سوى شىء قليل من التعاطف إذا ما خسروا قضيتهم. ربما كان الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا، رئيس الوزراء، ثورياً لطيفًا قبل ذلك بحوالى خمسة عشر عامًا، لكن الرجل الآن يتفق مع الرجل العادى الذى لا يود أن ينفق حياته فى صراع يروح يجوس خلاله وإلى الأبد بين سلسلة صخرية لا نهاية لها.

الفصل الخامس والثلاثون

نهاية العام الأول

الشريعة! أنت لا تعرفين الروغان، وكل من يحاول الانحراف عنك تدوسينه(*)

مع انتهاء الاجتماع البرلماني القصير الذي عقد في مطلع شهر سبتمبر من العام ١٩٦١ الميلادي قام علماء السيد/ خروشوف بتفجير قنبلة نووية. كان خروشوف قد انتهى بالفعل من الترتيبات اللازمة لإقامة سور برلين لفصل الألمان الشرقيين عن ألمانيا الغربية مسدودة المسالك. أضاف ذلك شيئًا من الاهتمام لا إلى تقرير حزب المجلس الشعبي لكل النيجيريين وإنما أضاف ما هو أكثر من ذلك إلى اجتماع دول عدم الانحياز، الذي عُقد في بلجراد تحت رعاية الباندت نهرو، الذي يقود ٣٦٠ مليون هندي، والدكتور نيكروما، الذي يقود أربعة ملايين غاني. قال نهرو في ذلك الاجتماع. "لقد ولّى الاستعمار الكلاسيكي (القديم) ومات"، واستطاع بمساعدة من كل من بورما وقبرص إقناع حركة عدم الانحياز أن هدفها الحديث لا يتمثل في مكافحة الاستعمار وإنما العمل على محاول التقليل من الحرب الباردة، وعارضته كل من مصر، وأندونيسيا ويوغسلافيا. ومضى خروشوف في شجاعة وجرأة إلى الموافقة على إجراء تفجير آخر، لقنبلة من العيار ٥٠ ميجا طن، ووافق أيضًا على رفع جثمان ستالين من قبر لينين. ولم تجر دعوة نيجيريا إلى حضور ذلك الاجتماع بسبب معاهدة الدفاع النيجيرية

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. والمقصود بالشريعة هنا هو "القانون" (المترجم)

البريطانية، التى لم يندم عليها الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا هو والسواد الأعظم من البقية الباقية وهذا الشيء التافه تحول فيما بعد إلى نوع من الإحراج عندما ادعت الصحافة والمعارضة أن أبا بكر سبق له أن "رفض" إرسال ممثلين إلى المؤتمر. طلب نهرو من المؤتمر ـ وحصل على ما طلبه - إصدار بيان عن خطر الحرب ونداء بالسلام، وسعى الدكتور نيكروما إلى إصدار إعلان مطوّل يطالب "بالحياد الإيجابى"، وإنهاء التجارب والتفجيرات النووية على وجه السرعة، وعن الاستعمار والتفرقة العنصرية، وعن عدم التدخل فى كل من كوبا والكنغو، والنزع العام للسلاح، وتوسيع عضوية مجلس الأمن، والتوزيع العادل والمتساوى لمناصب الأمانة العامة للأمم المتحدة. وجرى قبول بيان نيكروما، باستثناء تحديده للعام "١٩٦٢" الميلادى ليكون موعداً محدداً لإنهاء الاستعمار بكل أشكاله، وأن تصبح إفريقيا منطقة خالية من السلاح النووى، وفصل معاهدات السلام مع الألمانيتين (التى كان خروشوف يهدد بإبرامها من جانب واحد). طار كل من نهرو ونيكروما، كل على حدة إلى موسكو، حاملين إليها رسائلهم، وحاملين أيضًا نداء لعقد اجتماع آخر بين كل من كنيدى وخروشوف، وقام كل من سوكارنو وموديبو كيتا برحلة مماثلة إلى واشنطون. واقع الأمر أن كينيدى الذى سبق له التقاء خروشوف قبل ثلاثة أشهر، خطط لأن يكون اجتماعه الدولى القادم مع ماكميلان. صادف ذلك انعقاد مؤتمر آخر فى أروشا فى تنجانيقا، لمناقشة المحافظة على الحياة القطرية الإفريقية، وكان لذلك المؤتمر تأثير كبير.

جاء تعليق أبى بكر الرئيسى على مؤتمر بلجراد متفقًا مع عدم موافقة المؤتمر على الخطة الروسية التى ترى استبدال همر شولد "بترويكا" من سكرتيرى الأمم المتحدة العموميين، يمثلون مصالح الشرق والغرب ومصالح دول عدم الانحياز: **"أنا على يقين من أنه لابد أن يكون هناك سكرتير عام واحد، وأن يكون رجلاً من الطراز الأول، صاحب كفاءة، وأمين ومخلص، وأن يكون له مساعدون آخرون ممثلون للدول الأخرى قدر المستطاع"**. قام الدكتور كينيث كاوندا، رئيس روديسيا الجنوبية، بزيارة إلى

ليجوس فى هذا الشهر، والتقاه كل من واشوكو ومبادوى، ولقى شيئًا من الصعوبة فى إقناع الحكومة النيجيرية بمساندة سياسة حزب الاستقلال الوطنى المتحد فى إصراره على إحداث بعض التغييرات الدستورية فى الاتحاد الفيدرالى الروديسى الوليد، وعندما ذهب للقاء رئيس الوزراء، سمع منه كثيرًا من النصح حول كيفية الفوز بالانتخابات دون أن ينفق المرشح أموالاً كثيرة، وكيف يمكن الوقوف على الجانب الصحيح من الدستور وحكم القانون، وكيف تحاشى نصائح أعضاء البرلمان بالاعتماد على الليبراليين البيض، وكيف يمكن له معارضة منافسيه دون اللجوء إلى العنف. وأجرت جاميكا استفتاء حول مسألة الانسحاب من جزر الهند الغربية، الأمر الذى لابد أن يؤدى إلى فض اتحاد آخر. وانسحبت سوريا من الجمهورية العربية المتحدة. وقام نيكروما بتحديد إقامة كبار زعماء المعارضة واحتجازهم. وكان الوقت مناسبًا ومواتيًا لإصرار زعيم نيجيرى على وحدة مكونة من عناصر متباينة.

كانت لدى كينيث كاوندا هو الآخر مشكلة داخلية فى روديسيا الشمالية. كان ماكلويد Macleod كما سبق أن أوضحنا، قد عرض عليه شكلاً دستوريًا يفتقر إلى النماذج التنجانيقية والنياسلندية Nyasaland الخاصة بحكم الأغلبية، شريطة أن يكون السلام قد استعيد فى المقام الأول، وكان جوليوس نيريرى قد أوحى إلى كينيث كاوندا بعدم قبول هذا الدستور، لكن، بما أن ولنسكى كان هو الآخر معاديًا، فقد بدا لكثير من الأفارقة أن هذا الرفض ربما يكون فيه شيء من الفضيلة. كانت نصيحة أبى بكر واضحة وحاسمة فقد قال: اقبل العرض وخض المعركة الانتخابية (كان جوشوا نكومو قد اتهم نيجيريا "بالعدوان على الشعب الإفريقى"). فى بريطانيا كان السيد/ ماكلويد قد أنهى عاميه اللذين دار من حولهما جدل ونقاش، بحكم أنه كان يشغل منصب وزير المستعمرات (ترى، هل كان تحركه سريعًا جدًا، أم أن مزيدًا من السلامة كان يتحقق لو أن معدل سرعته كان أكبر من ذلك؟)، فى شهر أكتوبر أصبح ماكلويد زعيمًا لمجلس العموم ورئيسًا لحزب المحافظين مكان السيد/ بتلر، وقد خلفه السيد/ ريجنالد مودلنج،

صحيح أن مودلنج كان أكفأ من بتلر لكنه كان أقل منه صرامة، والمعروف أن بتلر جاء من مجلس التجارة. كان ماكلويد قد قيم متوسط عدد العاملين فى وزارة المستعمرات بأنهم أقل فاعلية وتأثيراً من الذين كانوا يعملون معه فى وزارة العمل، لكن الرجل كان يؤمن أن "كبار الموظفين". الذين كانوا يشغلون المناصب الصعبة هم من خيرة الخدمة المدنية البريطانية الداخلية. كان ندم ذلك الرجل يتمثل فى أنه بعد أن أوصل حالات الطوارئ الاستعمارية الخمس إلى نهاية حاسمة وسريعة، تعين عليه فرض عقوبات على حالة جديدة فى سيراليون، التى رفض فيها سياكا ستيفنز Stevens التوقيع على أوراق الاستقلال باسم المعارضة، وجرى إلقاء القبض عليه بسبب ذلك. أبلغ ماكلويد مجلس العموم وبكل فخر، بعد العامين المشبعين من حياته، أن بريطانيا فى العام ١٩٤٥ كانت تحكم ٥١٦ مليون نسمة فى الدول المُستَعْمره، وفى الانتخابات الأخيرة وصل العدد إلى ٨٠ مليون نسمة، وقد وصل هذا العدد بعد ذلك إلى ٤٣ مليون نسمة، وأن ١٢ مليون نسمة منهم وقَّعوا بالفعل على أوراق استقلالهم. ومع ذلك تبقى ٣٠ مليون نسمة فى مناطق صغيرة فى القارات الخمس أو فى أرخبيل الجزر. كان رأى ماكلويد الشخصى يفيد أن هذا الرقم من البشر لابد أن يحصلوا على الحكم الذاتى الداخلى، لكن يجب أن يسمحوا لشقيق الكمنولث الأكبر والأقرب أن يتولى عنهم شئون الدفاع والشئون الخارجية وأن يكون ذلك على شكل مساندة أسرية متبادلة، هذا التصرف جاء بمثابة تغير عن احتقاره السابق لما يسمى الروابط العاطفية، لكن الرجل كان يسلم بأن الإخوان الكبار والإخوان الصغار سوف يتقاسمون ويشاركون فى الإخلاص والولاء لخيارات الحزب فى إطار الديمقراطية البرلمانية.

وفى إطار تغيير وزارى ضيق فى وزارة الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا أجرى تعيين الدكتور ماجيكودونمى وزيراً للصحة، وخلفه السيد/ يعوب أوباندى Obande فى منصب وزير الجيش. وقبل الحاكم العام لقب فارس على شكل وسام القديس جون المقدس، وهذا الوسام هو وسام شرفى يقضى بحمل شارات على الصدر وعلى الياقة،

فى المناسبات الاحتفائية، لكن هذا الوسام لا يعد لقبًا مدنيًا، هذا الوسام كان يلزم الحاكم العام بمساندة خدمة الإسعاف الأولى التطوعية وكذلك خدمة التنقلات فى سائر أنحاء الكمنولث. عاد رئيس الوزراء بذاكرته إلى العام الأول من الاستقلال وكان ذلك فى مطلع شهر أكتوبر، وقدم من خلال الإذاعة شيئًا يمكن اعتباره الخطاب الرئيسى الأخير الذى دللت فيه روح تسامح هذا الرجل على ثقته التامة بنفسه أمام مستمعيه. كانت بلاغة الرجل السياسية فى هذا الحديث تنصب على المواقف الإنسانية بدلاً من الشعارات والأيدولوجية، كما أعجب ذلك الحديث أيضًا المفكرين، لكنه لأولئك الذين كانوا متعطشين للمكافآت الشخصية:

"أنا أرى أن إعمال نيجيريا لمنظومة حكم فيدرالية بطريقة ناجحة يعد إنجازًا. وعلى الرغم من أن النظام الفيدرالى يعد نظامًا معقدًا فى أى مكان، وأنا أعتقد أن هذا النظام خلق نوعًا من الوحدة هنا فى نيجيريا، وأسفر عن تفاهم أوثق وقناعة بتنوع مجتمعاتنا. لقد أثبتت الحكومة الفيدرالية للعالم أن نيجيريا عن طريق التسامح وسعة الصدر أصبحت متخصصة فى عمل ذلك الذى ينظر إليه الآخرون على أنه مستحيل، وبذلك تمكنت من خلق أمة فتية ناشئة فى هذا البلد الشاسع والمهم من الناحية التجارية. وهى تحاجج عن قناعة منطقية أن ما يؤثر على نيجيريا قد يؤثر على الدول الإفريقية الأخرى المجاورة.

دعونا بناء على ذلك ندرس أسلوب حياتنا من جديد. هذا الأسلوب ستكون له قيمة فقط إذا ما كشف عن نفسه، أو بالأحرى تجلى، فى التعبير المميز عن عبقريتنا وعاداتنا ـ كأن يكون ذلك على سبيل المثال فى أدبنا وفننا، فى تدبير شئون منازلنا وأعمالنا، فى كل تلك الأشياء التى تجعل لنا طابعًا،

بصفتنا شعبًا واحدًا، مختلفًا عن الشعوب الأخرى. ويجب أن نضيف روح التسامح المعروفة عنا ومرونة الرأى.... وهنا يكمن سر التقدم، والسبب فى ذلك أن أى اعتبار من الاعتبارات المادية لن يسلب منا أسلوب حياتنا. ونحن بصفتنا مجتمعًا مكونًا من الرجال والنساء الأحرار سوف نستمر فى تقديم خدماتنا لمصلحة الجميع..... العلاقات بين أجزاء الاتحاد التى تكمل بعضها بعضًا آخذة فى التحسن. لقد تولدت وقويت روح وطنية حقيقية..... أهم ما لدينا الآن هو استشراف المستقبل، ونحن عندما نفعل ذلك يجب ألا نهمل الماضى ولا ننسى الحاضر. الانفعال أو الاندفاع لم يكن مطلقًا معلمًا من معالم شخصية النيجيريين. أسلوب حياتنا مبنى على مبادئ تمتد إلى ما وراء الحياة نفسها. أنشطة هذا الأسلوب مبنية على معالجة واقعية، وهو يسير فى اتجاه متفق مع ما نعتبره ونؤمن به على أنه قيم عليا. وما دام أننا نحافظ على معايير هذه الشخصية بلا مساس وبطريقة مستقلة، لن يكون أمامنا ما يخيفنا.

وإذا ما نحينا جانبًا هذا الحديث الحميم الموجه إلى المتعلمين، نجد أن الرجل يعود مرة ثانية إلى مؤتمر بلجراد ويعلق على أيدولوجية شعب آخر:

الخطر الأولى الذى يتهدد السلام لا يكمن فى مجىء الأسلحة النووية، وإنما فى المخاوف الناجمة عن الانقسام بين ما يسمى الدول الرأسمالية والدول الشيوعية. هذا الموقف الدولى الخطير يحتم علينا أن نكون متحدين فى الداخل، حتى يمكن أن يكون لنا صوت فعال بحق فى الأمم المتحدة...... وأنا أنظر دومًا إلى الحرية باعتبارها حقًا من الحقوق. من هنا، وبعد أن حصلنا على

الحرية، لا أعتقد أننا يجب أن ننخرط فى مجرد توجيه اللوم بالجملة إلى الإمبريالية والاستعمار. الذى عرفته هو أن المهام التى تنتظرنا كانت ثقيلة وأكثر إثارة، وأننا لابد من الدخول فى خطب عنيفة ضد تلك "المذهبيات"، يجب أن نوجه طاقاتنا لتحمل مسئولياتنا الجديدة. وفكرى هو هو لم يتغير. نيجيريا أمامها مهمة كبيرة يتعين عليها النهوض بها. نحن ملتزمون التزامًا لا رجعة فيه بأن نساعد فى تحرير الأراضى الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية.... وأنا لا أظن أن الفورات الانفعالية يمكن أن تفيدنا. نحن نود أن نكون بنائين ونشكل مواقف ذهنية سليمة. يجب ألا نستغل الانقسام السياسى فى العالم، وإنما نعمل على سد هذه الفجوة بالإجراءات العملية".

أتى أبو بكر أيضًا على ذكر كل من الكنغو، وأنجولا، وجنوب إفريقيا، وبنزرت، والجزائر، وبرلين ومشكلة الأمم المتحدة الإدارية التى يمكن أن تترتب على وفاة همرشولد فى ذلك الوقت، أردف الرجل قائلاً: **"سندخل عامنا الثانى من الحرية فى ظل عدد المشكلات"**، هذا التعليق ستوليه ومضات الفصول الثلاثة الأخيرة وزنًا كبيرًا.

بدأ الاثنا عشر شهرًا التالية من الاستقلال بوداع رسمى ونهائى لجنوب الكاميرون، الذى اتحد فى اليوم الأول من شهر أكتوبر مع الكاميرون ليكونا جمهورية الكاميرون الاتحادية. فى ذلك الوقت كان سى أو أوجوكو Ojukwu، يحمل رتبة رائد، وقام بتنظيم الجوانب العسكرية بمناسبة الذكرى السنوية لاستقلال الإقليم الشمالى التى صادفت اليوم نفسه (كان المستشار السياسى الرئيسى قد ضايق إجباويًا آخر هو "كادونا" نيزيوجو Nzeogwa عندما كان يزور الكلية الحربية البريطانية فى ساند هيرست، بأن راح يسأل، بلغة الهوسا، الطلاب النيجيريين الملتحقين بالكلية، عن أصولهم العرقية). كان هناك أيضًا وفد تجارى نيجيرى برئاسة أوكوتاى - إيبوه فى

مهمة إلى الشرق الأقصى (خاب أمل فستوس لأن أحد الموظفين الإداريين الذى جرى نقله أخيراً من نيجيريا، لم يكن فى المنصب المحدد "ممثل الحكومة البريطانية"، الذى يسمح له بتوفير سيارة خاصة بسائقها لكل فرد من أفراد هذا الوفد فى هونج كونج)، كانت سياسة أبى بكر تهدف إلى جذب الاستثمارات والمساعدات من تلك البلدان والمؤسسات والمنظمات التى يحتمل أن تبادله الاهتمام. وقد انعكس ذلك على شكل مزيد من الخلافات العامة المهذبة مع المستشار السياسى الرئيسى فى سُكتو Sokoto، الذى قال فى ذلك الوقت: إنه فقد الثقة بالأمم المتحدة: وهنا أبدى رئيس الوزراء ملاحظة هادئة مفادها أن كل إنسان من حقه أن يكون له رأى، حتى وإن لم تأخذ الحكومة بذلك الرأى. وأدان رئيس وزراء الشمال أيضًا التقارير الصادرة عن الولايات المتحدة الأمريكية التى تفيد أن الرئيس كينيدى كان يفكر فى استئناف التجارب النووية فى الجو، وهنا نجد رئيس الوزراء يقول بطريقة مباشرة: **"فى ضوء التجارب الاختبارية السوفيتية، قد يكون من غير الحكمة أن يتصرف الشعب الأمريكى على نحو مخالف"**. هذا يعنى أن صحراء نيفادا لم تكن مثل الصحراء الكبرى.

أشار رئيس الوزراء، إشارة عابرة إلى فرنسا، التى لم يكن ديجول رئيسها، يتعجل إقامة علاقات رسمية مع نيجيريا: **"هذه مسألة تتعلق بالسيادة الوطنية، وإذا ما أرادت فرنسا إعادة فتح سفارتها، فإنها يتعين عليها أن تطلب ذلك من نيجيريا. نحن نود مجيئهم حتى يمكن لنا فتح سفارة لنا فى فرنسا"**. أدى الفراغ الدبلوماسى الفرنسى أيضًا إلى إضعاف الروابط مع الدول الناطقة بالفرنسية (كانت سويسرا فى ذلك الوقت تقوم برعاية المصالح التوجية Togo). وجرى إيفاد الرئيس Chief هـ أو ديفنز، الذى كان يخدم بصفة دبلوماسية فى منظمة الأمم المتحدة، وبالتعاون مع أمين كانو، جرى إيفاده لسبر أغوار المياه الفرنسية. وعاد الرجل بعد أن قام بزيارة كل من باريس والدول الناطقة بالفرنسية برأى مفاده أن الرئيس هو فى ـ بوانييه Houphouet - Boigny هو أفضل من يقوم بعملية السعى هذه. التقى كل من رئيس الوزراء الحاج

السير أبو بكر تافاوا باليوا هو والرئيس هـ أو ديفنز، الرئيس هوفى ـ بوانييه فى مطار إيكيجا وتركا له التصرف فى ذلك الأمر. كان الفرنسيون فى ذلك الوقت قد استأنفوا حركتهم الجوية عبر الأجواء النيجيرية، فى ضوء التأكيد الواضح على أنه لن يكون هناك المزيد من التجارب النووية. فقد عثر الفرنسيون على بديل للصحراء الكبرى فى المحيط الهادى، الذى هو أبعد من نيفادا. هذه الخبرة التى اكتسبها أبو بكر من خسارته للاتصالات المباشرة جعلت الرجل يحذر مستقبلا مسألة المخاطرة بقطع العلاقات مع الدول الأخرى التى يمكن أن تضايق بلاده. كان الأمريكيون لهم هم أيضًا ملاطفاتهم الخاصة فى مسألة التمثيل الدبلوماسى هذه. يضاف إلى ذلك، أن الأمريكيين بعد أن قدموا خدمات تطوير المجتمع من خلال فيلق السلام الأمريكى (الذى قبله أبو بكر باعتباره شيئًا شبيهًا ببرنامج ديكنسون المسمى "رجل الحرب" والخاص بالتدريب على تطوير المجتمع، والذى سبق الإشارة إليه فى الفصل الخامس عشر، وأدى إلى إثارة غضب الطلاب)، راحوا يجربون مسألة الاحتمالات والإمكانات العاطفية، عن طريق تعيين دبلوماسيين سود وسكرتيرين سود أيضًا لدى ليجوس: وثبت من هذه التجربة أن مزاياها كانت محدودة للغاية.

كان دنكان سانديز، وزير علاقات الكمنولث قد تحدث فى اليوم الخامس من شهر أكتوبر فى ليجوس مع رئيس الوزراء، الذى كان لا يزال ينظر إلى اتفاقية الدفاع المشترك على أنها غير ذى قيمة، لكنه بدأ الآن يتوافق مع الشعور السياسى المعادى. كان دنكان سانديز عائدًا من زيارة ليقوم بمناقشة جولة صاحبة الجلالة، المقبلة وأمن جلالتها عندما تكون مع نيكروما فى أكرا، التى جرى فيها التحفظ على خمسين غانيًا آخرين، وكان السيد/ جبديما Gbedmah هو وكوجو بوتسيو Botsio قد استقالا من منصبيهما كوزيرين، كما استقال أيضًا جيفرى بنج، سياسى حزب العمل البريطانى، الذى كان يشغل منصب المحامى العام فى غانا. وكان القائد العام، اللواء ألكسندر

الملحق من الجيش البريطاني، قد جرى استبداله على وجه السرعة (الأمر الذى خرَّب مستقبله العملى بصورة مفاجئة).

وعندما أدرك الحاج السير أبو بكر أن مشكلات دنكان سانديز لم تكن تعنيه بصورة أو أخرى، سافر الرجل قاطعًا مسافة تقدر بحوالى ١٣٠٠ كيلاً متريًا فى عربة بيضاء فارهة من عربات القطار المخصصة لكبار الزوار، إلى كل من بلدة تافاوا باليوا وباوتشى لافتتاح محطات القطار الجديدة، وامتداد الخط الحديدى الجديد القادم من كورو والذى يصل طوله إلى حوالى ١٦٠ كيلاً متريًا. كان اليوم السادس عشر من شهر أكتوبر من العام ١٩٦١ يصادف مرور ثلاث سنوات على بدء العمل فى ذلك الخط الحديدى. كان رئيس وزراء الشمال ومعه كثير من أعيان الإقليم فى استقبال رئيس الوزراء الفيدرالى. كان قد جرى تخصيص ٢٠مليون جنيه إنجليزى لذلك الخط، جاء نصف هذا المبلغ من البنك الدولى على شكل قرض مع بدء الخطة الخمسية فى العام ١٩٦٢ . أصر أبو بكر أمام المراسلين الصحفيين المرافقين له على متن عربة القطار، ومن بينهم عبد الله خليل من جريدة جاسكيا (الحقيقية) وجريدة سيتزن (المواطن) أن صدره انشرح لوصول الخط الحديدى إلى بلدته، وأنه ينبغى ألا يوجه إليه أى شكر فيما يتعلق بالفوائد الناجمة عن ذلك الخط الحديدى. وجرى الاعتراف بالخط علانية على أنه استثمار اجتماعى خالص ـ كان لا يزال هناك أناس ينظرون إلى نيجيريا باعتبارها مفهومًا معنويًا "يمثل ذلك الجزء من إفريقيا الذى تخدمه الخطوط الحديدية النيجيرية"، وبدأ الخط الحديدى يعانى من الخسارة، ولم يسمع الناس بعد ذلك عن صادرات مستقبلية قادمة من تشاد عن طريق أبابا Apapa أو بورت هاركورت.

مع افتتاح محطة الكهرباء فى مدينة باوتشى، لم تعد المدينة منتجعًا نائيًا على الطريق المؤدية إلى كل من ميدجورى أو يولا yola البعيدتين وبدأت تجارة الماشية عن طريق الشحن إلى بلدة بوكورو بدلاً من اقتياد الماشية إلى هناك. وهنا تولَّد لدى مخططى المدن التابعين لحكومة الإقليم حافز التوصية بتوسعة بلدة تافاوا باليوا،

وإيجـاد مـخطط جـديد لمدينة بـاوتشى الجـديدة (للغـربـاء النازحـين إلى هذه المنطقـة). تشـجـعت الإدارة المحلية فى باوتشى. كانت حكومـة الشـمـال قد بدأت تمـارس سيطرة مالية صارمـة وغير مقبولة على الخزانات المحلية، لكن خزانة باوتشى - داس كانت قد أوفت بالشروط الجديدة واستعادت المكانة "أ". أدت مسـألة حتمية المشـاركة فى صندوق ادخار وطنى جديد للعـاملين إلى إحراج الكثير من الإدارات المحلية. وقد أعرب رئيس الوزراء ذات مـرة عن سروره عندمـا قـام بزيارة رسـمـيـة إلى سلطته الوطنيـة، واعـتذر خلالها عن تغيبه لحضور موسم الحصـاد النهائى فى مزرعته. كما حضر رئيس الوزراء أيضًـا اجـتـمـاع مـجلس باوتشى المحلى، الذى كـان يرأسـه رئيس الحى الأقـدم، جـون John إف روس Ross فى ذلك الوقت. كانت حرم جـون روسى قد سـبق لها التقـاء أبى بكر مرات عدة فى منزل رالف أمير سون Emerson عندما كان يعمل فى ليجوس. وراح أبو بكر يداعب جون روسى مداعبة لطيفة فى مسألة موسقة نطقه بلغة الهوسا.

عاد أبو بكر إلى ليجـوس ليواجـه حوارًا "عديم الجـدوى". كانت واحـدة من بنات فيلق السـلام الأمـريكيـات قد أرسلت بطاقـة، سـجلت عليـهـا أول إنتـاج فنى مـبكر لـهـا، ونتيجـة الصـدمـة الثقافيـة، سـجلت بعض الانطبـاعـات غير الطيبة عن غربى نيجيريا. وجرى التقـاط هذه البطاقة أو إبرازها فى مكتب من مكاتب البريد، بواسطة طالب معاد ادعى أن ذلك نوع من التشـهير والفضـائح، وجرى نشـر ذلك كله فى الصـحافـة العالمية. تحدث أبو بكر إلى المراسلين المحليين عن التلال وعن الأكوام الترابية وقـال: إن حكومة الولايات المتحدة لا يمكن أن تكون مسئولة عن مجرد بطاقة بلهاء أرسلتها هذه الفتاة - **"ولو ضـجت الحكومة من عمل أتاه فرد صـغير، فلن يأخذ الناس نيجيريا مـأخذ الجد".** بالإضافة إلى أن الرجل نُشِّئ على اعتقـاد مفاده أن قراءة بريد الآخرين أو العبث به لم يكن يحظى بموافـقـة الجـمـيـع أو رضـاهـم (من يمن الطالع أن أدى ذلك الحـادث إلى تحسين التدريب والتوجيـهات التى تعطى للغربيين السُّذَّج أصـحاب التربيـة والتنشـئة الضيقة الذين يجرى إيفـادهـم ضمن مشروعات التنمية المستقبلية، والذين كانت لديهم

مفاهيم سابقة عن الإحساس بالذنب أو السيادة والتفوق). تلقى رئيس الوزراء أسئلة عن غانا، وأخذ هذه الأسئلة مأخذ الجد إلى حد ما، وأعاد إلى الأذهان تلك الإشارة البذيئة التى أقدم عليها المندوب الغانى، عندما كان يجرى انضمام نيجيريا إلى منظمة الأمم المتحدة، وقال من وحى خياله إن نيجيريا كانت فى يوم من الأيام جزءًا من إمبراطورية غانا القديمة، وأنكر الرجل المزاعم الصحفية الأخيرة التى تفيد أن الفيكونت(*) هيد كان له تأثير على الشئون النيجيرية، واشتكى أيضًا من أن الصحافة لم تكن تود تقديم توجيه أخلاقى فى تغطيتها للشئون العامة، واستشهد على ذلك بعدم اهتمام الصحافة بقلق الحكومة من تقاطر الشبان الصغار الذين كانو يشقون طريقهم إلى ثمرة البلدان الشيوعية المحرمة.

وعندما كان يعبِّر عن لا مبالاته باقتراح مفاده أنه يتعين عليه، مثلما فعل نيكروما، وسبر أغوار ماليات وزرائه الخاصة، كان فى حقيقة الأمر يردد أصداء تعليقات سابقة صدرت بعد ذلك بأسابيع قلائل عن وزير ماليته فستوس أوكوتاى – إيبوه - Okotie Eboh، الذى كان، بغض النظر عن أى أمور أخرى، من الناس المجدين الذين لا يكلُّون أو يملُّون – جاءت تلك التعليقات على شكل خطط أبلغ عنها التنفيذيون فى كل من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل، بغية جعل كبار الأعضاء فى الحزبين يكشفون عن مصالحهم المالية. كانت وجهة نظر الرئيس فستوس الشخصية والعليمة تفيد أن هناك أربع فئات من "مختلف المشارب" تقدموا بمزاعم عن الفساد السياسى: الوزراء السابقون حسنو الاطلاع وأصحاب الخبرات السابقة فى مجال منح العقود، والذين لا يمكن أن يثقوا بأى أحد من الناس، هؤلاء الذين لم يفعلوا شيئًا ويودون أن يكونوا شخصيات عامة فى مجال الإصلاح الاجتماعى خلال عشية أو ضحاها، الجائلون وأصحاب العلاقات الذين يستغلون أسماء الوزراء دون علم

(*) لقب شرف دون الكونت وفوق البارون (المترجم)

أو موافقة؛ بغية خداع الأبرياء والتغرير بهم، وممثلوا الشركات الأجنبية الذين أرسلوا تقارير مزيفة لمكاتبهم الرئيسية أو العملاء، ووضعوا الرشاوى فى جيوبهم الخاصة. قال الرئيس فستوس إذا كانت مسألة المراقبين هذه، وكانت مسألة التحريات أمرًا لا مهرب منه، فإن ذلك يجب أن يبدأ من العام ١٩٥١ الميلادى، ويجب أن يشمل أيضًا ممتلكات الزوجات وحساباتهم فى البنوك، وكذلك الأبناء، وأبناء العموم، والوكلاء، والشركات والجمعيات السياسية التى ينضم إليها الكبار. يتعين على هؤلاء المراجعين إلقاء نظرة على المنازل الفارهة "وقصور الناس" التى فى مواطنهم والتى تعد من أعلى القصور فى هذه الأرض. كان فستوس فى موقع يسمح له بإصدار الأحكام. مسألة أن رئيس الوزراء نفسه كان يسلم بالحقيقة المرة التى ينطوى عليها التهكم والاستهزاء لم تكن دليلاً مطلقًا على أن الرجل كان أكثر تسامحًا مع الفساد وهو آخذ فى الانتشار، كل ما فى الأمر أن هذا الفساد أصبح أقوى من الدليل الاستنتاجى، وأكثر إغراء، وأن الرجل يئس من العملية الديمقراطية التى أطاحت وتخلصت من المزيد من البدلاء الأمناء، وجاءت برجال قد يؤدى طردهم لهم إلى إغضاب رؤساء الأحزاب وإضعاف السلطة. كان بوسع أبى بكر أيضًا الإشارة أيضًا إلى وزير من الوزراء الحاضرين الذى تحصل على هدية من عقد قيمته مليونان ونصف المليون من الجنيهات الإنجليزية، عبارة عن قلم حبر وقع به على ذلك العقد. وإذا كان الآخرون ينظرون إلى الوعود النقدية على أنها وسيلة لإعادة ملء صناديق الأحزاب السياسية الفارغة فإن هناك أشياء مماثلة لذلك فى واحدة من الديمقراطيات الكبيرة الأجنبية فى أضعف الأحوال.

أبلغ أبو بكر الصحفيين أيضًا أن ليس هناك داع لتعيين مراجعين لمراجعة حسابات السياسيين فى البنوك ومراجعة ممتلكاتهم، وإذا كان ذلك أمرًا محتومًا، فإن ذلك يجب أن يمتد وينسحب أيضًا على كبار الموظفين المدنيين - والصحفيين أيضًا. كان عدد كبار المقيمين العاملين فى الخدمة المدنية قد بدأ فى التناقص السريع (فقد انخفض عدد كبار المغتربين العاملين فى الخدمة المدنية إلى حول ٤٠٠ مقيم، معظمهم

فى الإدارة المتوسطة)، كانت الحكومة تلاحظ أيضًا أن مقاولى ما وراء البحار التقليديين هم والموردين ربما كانت أيديهم طاهرة، من منطلق أن هؤلاء الموردين والمقاولين كانت لديهم ميزة طبيعية من خلال فرضية مفادها أن طراز البضائع والخدمات البريطانية كانت هى المفضلة من منطلق شيوعها وإلف الناس لها، إلى جانب زعم مفاده أن هذه السلع والخدمات هى "الأفضل"، لكن القادمين التجاريين الجدد الصاخبين الذين جاءوا من مختلف أنحاء العالم كشفوا عن وقاحة لا مثيل لها فى إغوائهم للوكلاء التجاريين المتشددين. يزاد على ذلك أن الصنعة البريطانية لم تعد مثلما كانت عليه من قبل.

أما الأحداث الأجنبية الأخرى التى وقعت فى العام ١٩٦٢ وشدت اهتمام النيجيريين على نحو أكبر من اهتمامهم بمؤتمر "منروفيا"، فقد تمثلت فيما يلى: انتهاء مؤتمر أوغندا الدستورى بوعد بإعطاء الحكم الذاتى الداخلى فى شهر نوفمبر من العام ١٩٦٢ . مصادرة عبدالناصر لثروات بعض المصريين. انضمام موريتانيا إلى الأمم المتحدة مع جمهورية منغوليا الشعبية (والتى جرى الاعتراف باستقلالها عن الصين فى العام ١٩٥٢، وأصبحت تحت سيطرة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية). قدر أحد المحررين السياسيين فى ذلك الوقت أن نيجيريا وغانا، هما الدولتان الوحيدتان من بين الاثنتى عشرة دولة المستقلة فى غرب إفريقيا، اللتان فيهما بعض أعضاء المعارضة، وأن المعارضين فى نيجيريا وحدها كانوا أحرارًا: أما موريتانيا، شأنها شأن كل من داهومى، وساحل العاج، وغينيا، ومالى، والنيجر وكذلك فولتا العليا، لم يكن فيها على الإطلاق أى شكل من أشكال المعارضة القانونية فى مجالسها التشريعية، فى حين كان هناك فى كل من غانا، والسنغال، وسيراليون، وتوجو وأقاليم نيجيريا كلها حزب واحد مهيمن - الأمر الذى جعل من مجلس ليجوس الفيدرالى شيئًا فريدًا. وكان هناك إدراك أيضًا له مغزاه هو أن ربع عدد مقاعد الأمم المتحدة كان كله إفريقيًا. وأنهت الجزائر عامها السابع من المقاومة الوطنية بالمزيد من سفك الدماء.

وفى بريطانيا، قام السيد/ راب بتلر، وزير الداخلية الجديد، بإصدار قانون جديد للهجرة، يسمح بحرية دخول مواطنى الهند، وباكستان وجزر الهند الغربية إلى بريطانيا. كان بتلر فى ذلك الوقت أيضًا رئيسًا للمجموعة الوزارية البريطانية التى كانت قد بدأت المفاوضات الرسمية فى بروكسل للانضمام إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية. وأمضت الملكة شهرًا فى غرب إفريقيا، زارت خلاله غانا (التى انزعج رئيسها عندما وجد نفسه على غير العادة مجرد ظل)، ليبيريا، وسيراليون وجامبيا، كما تمتعت جلالتها بالضيافة السنغالية والكرم السنغالى الذى أولاها إياه الرئيس فى مطار داكار. وقام السيد جارفيلد تود بتدشين الحزب الإفريقى الروديسى الجديد. وافقت بريطانيا أيضًا على مقترحات بإنشاء اتحاد فيدرالى جديد، لكن فى ماليزيا فى هذه المرة. قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة معاملة إفريقيا على أنها "منطقة خالية من الأسلحة النووية"، وأن استخدام الأسلحة النووية يعد انتهاكًا مباشرًا لميثاقها، طالبت الأمم المتحدة أيضًا باستقلال بقية الشعوب المستعمرة، لا على وجه السرعة طبقًا لما يقوله الروس، "ولا بحلول العام ١٩٧٠"، كما قال السيد جاجا واشوكو (وموافقة الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا على تاريخ "حقيقى")، وإنما تحت ضغط، وغير رغبة منها. وأدان الرئيس أوليمبيو Olympio، رئيس توجود التآمر على اغتياله، بواسطة أشخاص جرى تجهيزهم فى غانا. فى الباربادوس Barbados، خسر حزب العمل الذى يترأسه جرانتلى أدمز (رئيس وزراء اتحاد جزر الهند الغربية) بعض المقاعد فى الانتخابات، كما عادت إلى السلطة فى ترينداد حركة إريك وليامز الوطنية الشعبية.

أيد واشوكو بمساندة من ليبريا انضمام جمهورية الصين الشعبية إلى منظمة الأمم المتحدة، لكن بدون شرط طرد الصين الوطنية التيوانية الذى أصرت عليه جمهورية الصين الشعبية كشرط مسبق. جرى أيضًا نشر دستور جديد لروديسيا الجنوبية، على أن يصبح ذلك الدستور سارى المفعول بعد انتخابات جديدة. استقلت تنجانيقا أيضًا فى اليوم التاسع من شهر ديسمبر وانضمت إلى الكمنولث، وقطعت

روسيا علاقاتها مع ألبانيا. وأعلن الباندت نهرو أن الموقف فى جوا البرتغالية أصبح حرجًا، وأرسل قواته بعد ذلك بأسبوع لمواجهة قوات جوا الرمزية، ووافق على استسلامها فى اليوم التالى. فكرت الولايات المتحدة فى مسألة العودة إلى مسألة السد العالى فى أسوان، وأعطت غانا قرضًا لتمويل مشروع نهر فولتا، وذلك من باب دعم التمويل البريطانى الذى جرت الموافقة عليه بالفعل. أعلنت أندونيسيا عن خططها "لتحرير" غربى غينيا الجديدة، التى كانت هولندا تستعد لوضعها تحت الإدارة الدولية. وفى آخر يوم من العام جرت محاولة للقيام بانقلاب عن طريق الجناح اليمينى فى لبنان.

كان الدكتور نانامدى أزكوى قد ألقى خطابًا مهمًا فى جامعته النيجيرية فى نسوكا بمناسبة عيد ميلاده السابع والخمسين فى شهر نوفمبر. وهناك جانب آخر سوف يجرى تناوله فى فصل لاحق، ويتعلق فى جوهره بمسألة الحد الأدنى من السلطة لرئيس الدولة الدستورى، سواء أكان ذلك الحاكم هو الملكة أم من ينوب عنها. قال الحاكم العام إن من الخطر وضع كل سلطات الزعامة الوطنية الحقيقية هى والمسئولية عن استقرار الحكومة القائمة، فى يدى رئيس الوزراء، وقال أيضًا، أضعف الإيمان هو وضع الوكالات غير السياسية، التى من قبيل القضاء، والخدمة الشعبية، واللجان الانتخابية، ومديرية المراجعة، "وسلامة الدولة" بشكل عام، فى يدى رئيس الدولة، وأن رئيس الدولة يتعين انتخابه بالأغلبية البسيطة فى اجتماع مشترك يضم المجلسين الفيدراليين (هذا الاجتماع سيجيز الأغلبية الشمالية الحالية نظرًا لأن الأقاليم الأربعة ممثلة تمثيلاً متساويًا فى المجلسين الفيدراليين). وقد صاغ أزكوى، بحكم حبه للغة الوصفية، ذلك فى عبارة تقول: "ذلك لإنقاذ نيجيريا من ويلات الثورة وعزل النيجيريين عن شهوة السلطة"، وأن تكون سلطة رئيس الدولة طبقًا "للوائح، ومحددة، ومقتصرة عليه فقط، وفى الرسميات والطوارئ"، وأن تكون ممارسة هذه السلطات قائمة على

"التمييز، والتشاور وأن تكون هذه السلطات إلزامية..... وأن تكون على شكل "معادل للذراع التنفيذية". لم ينكر آزكوى أيضًا أن تكون يدا الرئيس، مثل يدى رئيس الوزراء، من أيدى السياسيين الحزبيين.

كان المنظِّرون قد قدموا ملاحظة، فى الوقت الذى أوضحت فيه الانتخابات العامة التى أجريت فى الإقليم الشرقى مواطن السلطة فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين الذى أنشأه الدكتور نانامدى آزكوى. حدثت أيضًا إعادة توزيع للحدود وذلك من باب توحيد الدوائر الانتخابية ذات العضو الواحد. ترتب على ذلك وقوف عدد كبير من الأعضاء، الذين لم يعد اختيارهم من قبل لجنة العمل المركزية فى الحزب، موقف الأعضاء المستقلين من الناحية الرسمية، وواثقين من مساندتهم محليًا على المستوى الشخصى، وأن ولاءهم المعروف سيضمن لهم الاستمرار فى عضوية حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. جرى انهزام حزب جماعة العمل فى نهاية المطاف، لكن هذه الهزيمة لم تقض على الحزب تمامًا، وتمكن الدكتور أوكبارا من معاقبة هؤلاء "المستقلين" العشرين (حوالى الربع) الذين نجحوا فى الانتخابات، بأن حرمهم من السماح لهم بالعودة إلى الحزب. وعلى الرغم من أن كل هؤلاء العشرين، باستثناء واحد فقط، كانوا يصوتون لصالح الدكتور أُوكبارا، ويتحاشون الانتقاد فى المناقشات فإن الرجل لم يسمح لهم بإعادة الانضمام إلى الحزب إلا قبل إجراء الانتخابات الفيدرالية بوقت قصير، وفى الوقت الذى تعين فيه التأكد من انعدام المصداقية، يزاد على ذلك أن هؤلاء العشرين تعين عليهم تشكيل جماعة "مستقلة" لم ترق إلى مستوى الحزب. يزاد على ذلك أن الدكتور أوكبارا وعد بإنهاء التنمية، بكل مباهجها الجانبية، فى المناطق التى لم يصوت لصالح حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وليس فقط المناطق غير الإجباوية المحيطة بكلبار، وأوجوجا، ومنطقة الأنهار - لم يكن الانتخاب نظيفًا - فقد أُحرقت السيارات، وراح البلاطجة ينشرون الرعب، واندلعت المشاجرات والمعارك بين الجماعات المعادية للحملة، كما عثر على السيد/ إى أو إيو Eyo، زعيم حزب جماعة

العمل وفى حوزته أسلحة نارية أثناء مشاجرة كبيرة ظن فيها الدكتور أُوكبارا أن الطلقات النارية صُوبِّت نحوه بغية قلته واغتياله. وبعد الاستئناف جرى حبس السيد/ إيو ثمانى سنوات. لم تؤدى البلطجة فى الشرق إلى إزالة حساسية الحكومة الفيدرالية للعنف فى الإقليم الغربى. وفى بدايات انتصار رئيس وزراء الشرق طالب الرجل بتغيير الدستور، كيما "يجعل التخريب أمرًا مستحيلاً"، ومنع "بعض الأشرار" المحددين من السفر إلى روسيا وغانا، اللتين يعودون منها للقيام بأعمال التخريب.

أقام رئيس الوزراء حفلاً من حفلات غدائه شبه الرسمية للسير كير بوفل، الذى أوشك على الاقتراب من نهاية مدة تعيينه مفتشًا عامًا للشرطة، بصفته الضيف الرئيسى فى ذلك الحفل: كان الدكتور آزكوى ضيف الشرف فى ذلك الحفل. علق الحاج السير أبو بكر على حديث السير كيل بوفل قائلاً: **"حيثما توجد المتاعب والاضطرابات يمكننا دومًا القول إن ذلك ناجم عن عدم وجود زيك هناك – لأنه قد يكون فى إنجلترا، أو فى أمريكا، أو فى أى مكان آخر"**. فى هذه المرة تأخر زيك، وحدث قليل من الجلبة والضوضاء عند الباب الأمامى عندما كان الحاكم العام مُهَرَّبًا بين اثنين من الفتوات، وهمس أبو بكر بعد ذلك، "هو يظن دومًا أنه سوف يُغتال، لكن ذلك لن يحدث". ثم قال رئيس الوزراء بصوت عال وابتسامة: **"يا صاحب السعادة، أنا مسلم، وإذا ما أراد الله لى أن أموت بإطلاق النار علىّ، فسوف يحدث ذلك"**. ولم يرد الدكتور على هذه الملاحظة.

عرض رئيس الوزراء على الرئيس هـ أو ديفيس رئاسة الجهاز الفيدرالى، الصحافة الوطنية النيجيرية، من منطلق تفاهم مفاده أن ذلك لا يعنى عودة الرئيس Chief إلى السياسة الحزبية النشطة، أو التدخل فى ممارسات رئيس الوزراء القانونية. كما كتب رئيس الوزراء مقدمة أيضًا للكتاب الذى ألفه ديفيز بعنوان **"نيجيريا: الآمال الديمقراطية المرتقبة"**.

كانت لدى الإقليم الشرقى إمكانية التدخل المحرج فى الشئون الخارجية، التى لم يقم بها مطلقًا زعماء حكومته، وذلك على العكس من كبار رجالات الشمال الذين كانت لديهم مصالح إسلامية، ورجالات الإقليم الغربى بتطلعاتهم إلى تمثيل دبلوماسى مباشر فيما وراء البحار. أما فرناندو Fernando بو poo (وهى جزء من غينيا الاستوائية الأسبانية، لم يكن قد جرى إعادة تسميته باسم ماسياس Macias نجيوما Nguema أو بيوكو Bioco أو بيوجو Biyogo) فقد بقى مستعمرة أسبانية حقيقية، على الرغم من أنه يعد من الناحية القانونية جزءًا من مقاطعة أسبانية عالمية، وكانت مزارع الكاكاو فى تلك المنطقة لا تزال تعتمد على الأيدى العاملة المهاجرة. وقد أسفرت التحريات الخاصة بظروف العمل عن مطالبة واضحة مفادها أن نيجيريا ينبغى عليها ضم هذه المستعمرة إليها بالقوة. وقد بقى كل من رئيس الوزراء وصديقه السيد/ جى إم جونسون، وزير العمل الفيدرالى، على قناعتها أن التفاوض المتحضر يمكن أن يتفق مع الظروف، فى ضوء العمالة والدخل النقدى اللذين تقدمهما هذه المنظومة لاقتصاد الإقليم الشرقى. وجاءت المفاوضات مرضية لكل الأطراف فى ذلك الوقت، وأسفر ذلك عن تجديد حوالى ٩٧٪ من العمال لعقود عملهم عن طيب خاطر فى العام ١٩٦١ الميلادى. وبعيدًا عن تشجيع النزعة التوسعية استوطن حوالى ١٧٠٠ نيجيرى مستعمرة "فرناندو بو" فى ذلك العام، ولم يتساءلوا عن وضعهم الخاص بوصفهم أجانب مهاجرين (على الرغم من أن بعض الكاميرونيين يتساءلون عما إذا كان لهم حق فى تلك الجزيرة البعيدة عن الشاطئ). وقدر للظروف أن تتغير بعد ذلك بسنوات عدة، وبطريقة هى خارج موضوع هذا السِّفر.

اجتمع البرلمان فى ليجوس عقب الانتخاب الإقليمى الذى أجرى فى الإقليم الشرقى. وجاء إسهام رئيس الوزراء فى ذلك الاجتماع على شكل بيان عن رفع الحظر، المفروض منذ العام ١٩٥٥، على استيراد ثلاثة وثلاثين بندًا محددًا من الأدبيات التخريبية. أعلن رئيس الوزراء فى ذلك البيان **"الشعب النيجيرى بلغ من النضج والثقة**

بالنفس حداً لا يمكن معه تضليله بمثل هذا النوع من الأدبيات.... وسوف نحتفظ بقوتنا ولن نتردد في استعمالها.... إذا ما وجدنا أن إيماننا وضع في غير موضعه". وفي المناقشات الأخرى رد واشوكو وزير الخارجية على مزاعم أصحاب المقاعد الخلفية، التي مفادها أن نيجيريا كانت تسمح لنفسها بالانجراف بعيداً عن صداقة غانا، التي أوحى استقبالها المثير للملكة أن الناس أنفسهم لم يتغيروا في ظل ردائهم السياسي الجديد. قال واشوكو، وهو يفكر في الحكومات بدلاً من المجتمعات، إن الأمر كان على العكس من ذلك نظراً لأن غانا هي التي كانت ترفض التعاون مع نيجيريا. وقد سُمِع وزيري إبراهيم، الذي كان يشغل منصب وزير التنمية الاقتصادية، عندما وافق على مقولة مفادها أنه بحكم منصبه الرسمي يرى أن الحكومة ليس لها حول أو طول في مواجهة المصالح المقيمة، التي هي أقل جودة من المصالح البريطانية. ومع ذلك، دار النقاش الرئيسي في مجلس الشيوخ حول تأثير قانون العقوبات والقانون المدني الجديد في الإقليم الشمالي، وتطلب ذلك تعديلاً في الدستور كيما يسمح لقاضي القضاة، ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية الإسلامية في الإقليم الشمالي، بالحضور ضمن مجلس المحكمة العالية في الشمال عند نظر القضايا المدنية الخاصة بالمسلمين، على الرغم من عدم حصوله على المؤهلات المنصوص عليها بالنسبة لقضاة المحاكم الإنجليزية. القاضي الذي يكون من هذا القبيل يجهل تماماً قانون الأحوال الشخصية على المذهب المالكي، وهذا ما يُعَرِّض شهادة شهود الإثبات لخطر عدم الأخذ بها أو رفضها.

كانت هناك مناسبة وحيدة أخرى أرخى فيها مجلس الشيوخ عضلاته، في ظل عدد أعضائه المحترمين الكبير الذين كلهم من خريجي الجامعة، وأغلبيته الجنوبية، الواقع أن كرامة مجلس الشيوخ واحترامه (الذي كان شتيما كاشيم عضواً أصيلاً من أعضائه)، وافتقار المجلس إلى الأهمية الإخبارية، واستعداد المجلس الظاهري لتمرير الأعمال الحكومية طوعاً وفي شيء من الخضوع، كل ذلك أثار شكوكاً متزايدة لدى منتقدي الحكومة. يزاد على ذلك أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ تساءلوا عما إذا

كانت مهمة المجلس بصفته مجلس مراقبة (ومخول سلطة تعطيل مقدارها ستة أشهر، باستثناء القوانين المالية المؤيدة من المتحدث الرسمى) تبرر النفقات التى تنفق عليه. ومع ذلك، فإن القضية الحالية أحيت من جديد مفاهيم الجنوبيين القديمة عن خبرة الغرباء فى شئون المحاكم الشرعية غير المألوفة من ناحية، واستياء المحامين الشديد من استبعادهم من الحضور أمام المحاكم المحلية التى لا تزيد معرفتهم لقوانينها المحلية وتقاليدها عن معرفة الأشخاص العاديين الآخرين. ولمواجهة المعارضة سحبت الحكومة الإجراء بصورة مؤقتة، بغية إجراء بعض المفاوضات. وغضب المستشار السياسى الرئيسى من هذا الإجراء. وانتهز الرجل الفرصة وراح يهاجم محطة الإذاعة النيجيرية لنشرها أخبار تحط من القدر وتنال من السمعة، من منطلق أن تلك "معلومات" عن الإقليم الشمالى، وتناست أن توفى الشمال حقه من حيث التقدم والإصلاحات التى حدثت هناك، والتى منها تحديث النظام القضائى فى الشمال، والتكامل الحزبى بين موروثين قانونيين مختلفين، وقد أمكن تحقيق ذلك بعون من الخبراء الزائدين فى الشريعة الإسلامية والمحامى العام هيدلى مارشال. فى تلك الأثناء قُطع وعد مفاده أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لن يعرقل تمرير التشريع الخاص بإقليم الغرب - الأوسط، وأن ذلك سيؤدى تذليل العقبات كلها، وقد دعم رئيس الوزراء ذلك الوعد فى واحدة من مداخلاته غير المسجلة عندما نصح بتدبير الأمور مع رئيس الوزراء هو وحزبه فى كادونا.

أنهى الحاج السير أبو بكر العام كما بدأه، بأن ألقى على المحامين محاضرة عن العدالة. بعد مؤتمر رئيس الوزراء، الذى عقد بناء على مبادرة من الدكتور أُوكبار، والذى ناقش فيه مع زعماء الأحزاب الثلاثة مشكلة السيطرة على المعارضات التخريبية، وبعد أن تطرق الحديث إلى مسألة الاحتجاز الوقائى، وقبل أن يشرع رئيس الوزراء فى أسفاره لجلب المزيد من المساندة والتأييد لمؤتمر "منروفيا" الذى عُقد فى ليجوس وسجلنا وقائعه فى الفصل الثالث والثلاثين، ألقى الرجل (رئيس الوزراء) خطاباً فى

مؤتمر إفريقيا وأسيا عن "السلام العالمى من خلال القانون". وقد نجح الدكتور إلياس والعاملون فى مكتب وى wey فى بلورة الأفكار الرئيسية فى ذلك الخطاب بطريقة منظمة ومتصلة بالموضوع:

"على امتداد تاريخ المنظمات والتنظيمات البشرية، سواء أكانت تنظيمات اجتماعية، أو اقتصادية أو سياسية، فإن هذه التنظيمات كان يغلب عليها التوسع أكبر وأكبر. ونحن لا يجب أن نيأس من ذلك الاتجاه، الذى يجر وراءه وبدرجات متفاوته التقليل من الحرية الشخصية والسيادة الوطنية - ما دامنا وضعنا نصب أعيننا احترام الفرد وتحسين أحوال الجنس البشرى. هذه المثل الجديرة بالاهتمام متجسدة فى مفهوم سريان القانون، التى ستكون الدول كلها قد أحسنت صنعًا إن هى أعملت القانون فى تصرفاتها كلها. والعنصر الأساسى فى هذا المفهوم هو المساواة أمام القانون، سواء أكنا أفرادًا داخل الدولة، أم دولاً منفردة داخل المجتمع الدولى.... وأنا لا أرى أن الدول كلها تولى منظمة الأمم المتحدة هى ومختلف وكالاتها الاهتمام المطلوب. فى مؤتمر منروفيا.... أكدنا أن ذلك هو هدفنا.... وأكدنا على توسيع مساحات الاتفاق بين [الشرق والغرب]، وعلى مواجهتهما بالمشكلات الاقتصادية والصناعية الحالية، والتى يمكن حلها عن طريق الجهود المشتركة لكل من الشرق والغرب وعن طريق دول العالم كله".

الفصل السادس والثلاثون

عام حافل بالمتاعب: الضعف الاقتصادى والابتعاد عن بريطانيا

(استطراد تصديرى رقم ٤)

رئيس وزراء نيجيريا يحبذ الجمهورية

الحياة السعيدة مع صديق هى التى تبعث فيك الحنين(*)

تميز العام ١٩٦٢ الميلادى، فى ضوء ما سنورده فى هذا الفصل وفى الفصل الذى يليه، بالنتائج التى ترتبت على تحرك بريطانيا فى اتجاه الجماعة الأوروبية، وتحول الرأى النيجيرى إلى تحبيذ النظام الجمهورى، والخلاف بشأن التعداد السكانى. ولعل القارئ لا ينسى أهمية الأحداث التى وقعت فى الإقليم الغربى من نيجيريا، والتى سبق أن سجلناها، وأن هذه الأحداث كلها كانت متعاصره مع بعضها البعض. وقعت خلال الربع الأول من ذلك العام مجموعة من الأحداث المضنية فى أجزاء مختلفة من العالم، ويصعب على أى زعيم جديد من زعماء الكمنولث تجاهلها، وكان من بين هذه الأحداث: أصبحت جزيرة ساموا Samoa الغربية أول جزيرة مستقلة من الجزر البولينية،(**) قيام

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا: وهو يعنى أن العيش السعيد مع صديق هو الذى يثير الحنين إليه أثناء غيابه. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى: Heart may agree though heids (heads) differ والذى معناه "قد تأتلف القلوب، على الرغم من اختلاف العقول" (المترجم)

(**) مجموعة من الجزر تقع فى شرقى أستراليا. (المترجم)

الرئيس أحمد سوكارنو بإعلان استقلال غينيا الجديدة الغربية من جانب واحد واعتبارها مقاطعة من المقاطعات الأندونيسية، وقيام القوارب الهولندية المسلحة عقب ذلك بفتح النار على زوارقه الطوربيدية الميكانيكية، استقالة جوليوس نيريرى من رئاسة الوزارة لصالح رشيدى Rashidi كاواوا، حتى يتفرغ لتنظيم حزب الاتحاد الوطنى التنجانيقى الإفريقى كيما يجعل ذلك الحزب صالحًا ومناسبًا لإدارة جمهورية ذات حزب واحد، طرد كوبا من منظمة الدول الأمريكية، أثناء اجتماعها فى أوروجوى Ur-guay، الاجتماع المطول بشأن الدستور الكينى فى لندن، والذى تحتم فيه على ريتالد Reginald مودلنج Maudling، فى نهاية المطاف الضغط من أجل تشكيل اتحاد يطمئن مخاوف حزب الاتحاد الكينى الديمقراطى من هيمنة كل من الكيكويو kikuyu والليو Luo فى وجود حزب الاتحاد الكينى الإفريقى الوطنى، القرار الذى أصدره ريتالد مودلنج بشأن دستور روديسيا الشمالية، والمظاهرات التى قامت ضد حكومة جاجان فى بلدة جورجتون Georgetown فى جيانا البريطانية، القرار الصادر عن لجنة الوصاية فى منظمة الأمم المتحدة لدراسة مسألة شرعية الحكم الذاتى فى روديسيا الجنوبية، حدوث المزيد من الإرهاب فى الجزائر، إلغاء الملك حسين، عاهل الأردن لزيارته إلى نيجيريا، حصول أوغندا على الحكم الذاتى تحت رئاسة بندكت كيوانوكا Ki-wanuka بصفته رئيسًا للوزراء، إلقاء القبض على رئيس وزراء بورما من قبل الجيش فى انقلاب للاستيلاء على السلطة، تقدم بريطانيا بطلب للانضمام إلى مجموعة الفحم والصلب الأوروبية، وفاة مائة وأحد عشر شخصًا فى حادث التصادم الجوى فى الكاميرون، وقف إطلاق النار فى الجزائر وتشكيل حكومة مؤقتة لجبهة التحرير الوطنية الجزائرية (التى تلقت التهانى من أبى بكر، لكنها لم تحصل على الاعتراف الرسمى من قبل حكومته)، والذى أعقبه قيام القوات الفرنسية بالهجوم على منظمة الجيش السرى فى سالان Salan (دولة أخرى من دول منظمة الدول الأمريكية)، وقيام القوات الفرنسية المسلمة بقتل واحد وأربعين من المتظاهرين الأوروبيين، وقيام جيوش أخرى بالإطاحة بحكوماتها كما حدث فى سوريا والأرجنتين. هؤلاء الذى عنفوا أبا بكر ووبخوه لأنه

أولى العالم الخارجى اهتماماً أكبر من اهتمامه بالسخط والتذمر الداخلى الذى حدث خلال السنوات الأخيرة من حكم هذا الرجل، قد يتعين عليهم تفكر ذلك الذى يتعين على السياسيين استيعابه فى الوقت الذى لا يفكر فيه أصحاب العقول شديدة الضيق إلا فى مصالحهم الخاصة ـ وقعت هذه الأحداث كلها فى غضون ثلاثة أشهر فقط.

وصل فى شهر فبراير قائد عام بريطانى ليتولى قيادة الجيش النيجيرى. هذا القائد العام هو اللواء نورمان فوستر، وهو من سلاح المدفعية، وهو لا يتوافق نفسياً مع محمد رباط الذى كان دائم الاحتكاك معه: كان هيد Head يصف وزير الدفاع وهو فى حالة نفسية طيبة وعلى سبيل المزاح بأنه "شبيه بلص الماشية كبير السن"، لكن ردود أفعال نورمان فوستر على أساليب القرصنة التى كان يلجأ إليها وزير الدفاع، كانت تؤخذ على أن القائد العام لم يتعود بعد على استقلال نيجيريا. وقد ورد ذكر اسم اللواء كريستوفر ولبى ـ إيفرارد فى سياق الحديث عن الكنغو وعلاقة ذلك الرجل بالاضطرابات التى وقعت فى الإقليم الغربى. كان اللواء كريستوفر ولبى – إيفرارد رئيساً لأركان حلف شمال الأطلسى فى أوسلو Oslo، وكان تعيينه بناء على عقد، لم يكن الرجل ملحقًا من الجيش البريطانى. وقد وجد الناس مشغولين فى مسألة تصميم الزى الجديد، ونظراً لأنه كان بالفعل رئيساً لهيئة الدفاع العامة، فقد قرر تعيين رئيساً لأركان الجيش لكى يرفع حمل العبء العسكرى الإدارى عن كاهله هو، وهذا الإجراء يمكنه من التركيز على ما كان يعتبره عملاً سياسياً يقوم فى المقام الأول على نجرنة -ni gerianizing مائة وثمانين ضابطًا بريطانيًا ونجرنة ما يتردد بين خمسين وستين ضابط صف بريطانى خلال ثلاثة أعوام. كان يتعين على الرجل أيضًا حل مشكلات القيادة المؤقتة. كان غيار نورمان فوستر الموقت، وهو العميد فرانك جولسون Goulson، قد لقى حتفه فى حادث تحطم سيارة (وهذا حادث شائع جداً ـ فقد أصيب شتيما كاشيم مؤخراً فى حادث وقع أيضًا على الطريق)، وكان مفترضًا أن يقوم ماكينزى

Mackenzie، عميد الإقليم الشمالى، بعملية الغيار هذه، لكن السياسيين كانوا يتهمونه بالتحامل على الجنوبيين. كان ولبى - إيفرارد مساندًا للنصيحة البريطانية السابقة، التى لا تحبذ الضغوط السياسية الداخلية، والتى تؤكد على إنشاء كلية الدفاع، والمؤسسة الصناعية للدفاع، فى منطقة كادونا لأسباب سلمية غير قبلية تتعلق بالطقس، وصلاحية المكان للعمليات، واللوجستيات وكذلك تكلفة الأرض. وتقرر تشكيل الجناح الثانى من القوة الجوية فى أوشجبو Oshogbo، وجرى نشر لواء مشاة فى كل من كانو، وكادونا وإينوجو، أما اللواء الثانى فجرى نشره بين إيبادان وليجوس، أما المدفعية فكانت فى أبيكوتا Abeokuta، أما مستودعات الإمداد والتموين فكانت فى يابا مع المستشفى العسكرى الرئيسى، وكان الحرس الفيدرالى فى منطقة أوبالندى -oba lende على جزيرة إيكوى Ikoyi. وفى ظل وجود الأسطول على الساحل، جرى توزيع القوات الرئيسية على نطاق واسع، الأمر الذى كان له مغزاه فى نهاية الأمر.

فى مطلع العام ١٩٦٢ الميلادى علم المطلعون أن الحكومة النيجيرية أثارت بالفعل مسألة القيمة المتبادلة معاهدة الدفاع التى أبرمها "سانديز" مع الحكومة البريطانية. وقد رأينا كيف أن هذه المعاهدة أوقعت مناقشات وزارة الخارجية وحواراتها كلها هى ووحدة عدم الانحياز الإفريقية فى ورطة، كما هيأت هذه المعاهدة الفرصة أمام أى شكل من أشكال المعارضة للمحافظة على جسر مفتوح فى مسألة إزعاج حكومة الحاج السير أبى بكر. وقد وصل ذلك إلى حد أن زعيم المعارضة الفيدرالية كان يرى أنه كان ينبغى عليه عدم التوقيع بالأحرف الأولى على تلك المعاهدة، لكن رؤساء الوزراء الآخرين الذين وقعوا على تلك المعاهدة فى مؤتمر الاستقلال كانوا يفضلون القول بأن قلوبهم لم تكن مع هذه الاتفاقية. وكانت النتيجة التى ترتبت على ذلك عبارة عن انقسام فى الرأى المعلن، بين أولئك الذين كان من واجبهم تفهم المادة المطبوعة وتقييم الحقائق المادية التى يمكن أن تكمن وراء المطالبة بتنفيذ هذه المعاهدة بأى شكل من الأشكال ـ هذا يعنى الوزراء، وكبار الموظفين المدنيين هم ومن يثقون بهم وكذلك المحبين لكل ما هو

إنجليزى – وكذلك عدد كبير من التجمعات السياسية البعيدة عن المناصب والسلطة، والطلبة، والصحفيين وأصحاب المقاعد الخلفية. فى السياسة، وكما هو الحال دومًا، نجد أن المفاهيم والمدركات الشعبية تعلو التشخيص السديد والسليم، ونجد أيضًا أن المفهوم العام لم يكن يعبر عن ارتياح لمصافحة الكمنولث، وإنما كان يعبر عن بقية قيد من القيود الإمبريالية، مهما كانت رمزيته، ويربط نيجيريا ويقيدها بغول من الغيلان، الأمر الذى يؤدى إلى استمرار الأساطير والخرافات. يزاد على ذلك أن النتائج العلنية التى ترتبت على سلسة المبادلات بين كل من رئيس الوزراء، ممثلاً فى جاجا واشوكو، ومحمد رباط ومعهما هيئة العاملين معهما من ناحية، وبين المفوض السامى البريطانى، مدعومًا باتصالات بين الحاج عبدالملك عطا الأوكينى okene المفوض السامى النيجيرى فى لندن، ووزارة علاقات الكمنولث من الناحية الأخرى، جاءت بمثابة إلغاء رسمى لتلك المعاهدة، قبل ثلاثة أيام من اجتماع دول منروفيا فى ليجوس.

> **فى ضوء تفاوض الحكومتين البريطانية والنيجيرية، حول معاهدة الدفاع الإنجليزية – النيجيرية – لاحظنا بقلق كبير أن مجال المعاهدة وأهدافها قد أسىء فهمهما بدرجة كبيرة. وقد نشأت بصفة خاصة مخاوف من المعاهدة، على حرية نيجيريا فى التصرف، وأنها يمكن أن تُجَر إلى الدخول فى معارك على غير رغبة منها. ونص المعاهدة يثبت أن هذه المخاوف هى ومظاهر القلق الأخرى التى جرى التعبير عنها لا أساس لها من الصحة. ومع ذلك، ومن باب إنهاء سوء الفهم هذا رأت الحكومتان أن من الحكمة إعادة النظر فى مسألة الحاجة إلى مثل هذه المعاهدة الرسمية. ونتيجة لذلك قررت الحكومتان فسخ هذه المعاهدة. من ناحية أخرى، فإن كل حكومة من الحكومتين سوف تحاول أن**

تقدم للحكومة الأخرى، فى كل الأوقات، المساعدات والتسهيلات فى شئون الدفاع، كما هو سارٍ بين الدول المشاركة فى الكمنولث.

كان ذلك كله مترجمًا من ورقة بغيضة على شكل تفاهم شفاهى هين ولين، لكن لم يحدث من الناحية العملية أى شكل من أشكال التغيير. وراحت الدوائر الموالية للحكومة توجه اللوم إلى النقاد المتطرفين الذين يروجون للشائعات المقلقة التى جعلت التعديل شيئًا يبشر بالخير، وبدون إدانة هؤلاء النقاد بشكل علنى حتى لا يجرى إضعاف تأثير ذلك على المؤتمر الأفرو - ملجاشى، لكن الظروف سمحت لحزب جماعة العمل الاستمرار فى إصراره الذى مفاده أن التحالف العسكرى مع بريطانيا لم يجر فسخه تمامًا، والإشارة تلميحًا إلى تلك التفاهمات السرية المشئومة، مع الوقوف فى الوقت نفسه إلى جانب بعض الأذهان والعقول المستقلة فى احتقارها وازدرائها للحكومات كلها. وقد تصادف أن ترك ذلك التحرك المجال خاليًا من أى شكل من أشكال تشتيت الانتباه التى تنجم عن قيود الاستعمار الجديد الرمزية الأكثر وضوحًا، حتى يتمكن المنظرون الناشطون من التركيز على الجاذبية العاطفية للنظام الجمهورى، وقد سمح ذلك لرئيس الوزراء أن يقول لمراسل جريدة **التايمز** مؤكدًا أنه على الرغم من المشكلات الشخصية التى عند القمة، والتى يبدو أنها بدأت فى استهلال التهديدات القبلية الانتهازية، "**على العموم أنا لا أرى أننا نتصرف على نحو سيئ**". كانت ورقة السياسة الداخلية، تتخذ من سياسة عدم الانحياز "موضوعًا روتينيًا"، لكنها كانت ترفض القطيعة أو الانفصال الكامل عن الأصدقاء القدماء، هذه السياسة كانت عبارة عن جهد مشترك بذله كل من أبى بكر، وواشوكو، والدكتور إلياس. كان رأى جاجا واشوكو الشخصى مهما. ولما كان جاجا واشوكو من مواليد "المحمية"، ونظرًا لأنه منذ بداية تعلمه تحليل الأمور التى من هذا القبيل، لم يحدث مطلقًا أن اعتبر نفسه أحد "رعايا" السيادة البريطانية، التى كان وزراؤها فى تقديره مسئولين دومًا عن عملية الوصاية

الرسمية التامة على الدفاع عن الدفاع عن السواد الأعظم من النيجيريين والعلاقات الخارجية، ولما كان الأوروبيون يتصرفون تصرف المضيفين فى بريطانيا، وتصرف الضيوف فى نيجيريا، فقد زعم أنه لا يشعر تجاه الأوروبيين بأى شكل من أشكال الضيق أو المرارة.

جاء إعلان فسخ المعاهدة بعد خطاب ألقاه الحاج السير أبو بكر بمناسبة افتتاح سوق تجارية كندية فى ليجوس، وقد قال أبو بكر من جديد فى هذا الخطاب، "**نحن بوصفنا أعضاء فى الكمنولث، فإننا نشترك فى أشياء كثيرة. فى هذه الأيام التى تُجَمع فيها التقانة والبحث عن الأمن دولَ العالم بشكل حتمى.... فإن ذلك ينتج عنه وعى مفاده أن شعوب العالم عبارة عن شعب واحد، يعمل من أجل تحقيق كل ما هو طيب فى الإنسان**". وقد صادف ذلك النص المعروف والمألوف خطابًا متدرجًا ألقاه الدكتور ميخائيل أُكبارا فى المؤتمر السنوى لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، الذى عكس تمامًا تفكير أبى بكر ونصيحة الدكتور مبادوى. هذا يعنى أن التحرك صوب الوحدة الإفريقية يجب أن يكون على مراحل، كما يعنى أيضًا أن المؤتمرات الثقافية، والمؤتمرات الفنية فى الشمال، وفى الشرق، وفى غرب القارة ومناطقها الوسطى، يجب أن تسبق المؤتمرات التى تعقدها تلك الأقاليم حول الاتحادات الفيدرالية السياسية، على أن يعقب ذلك تكامل على اتحاد فيدرالى فائق لكل إفريقيا (كان الأتباع المنشقون عن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، والذين كانوا يشاركون حزب جماعة العمل بطريقة غامضة نظرته المشوشة إلى نظرية الرفاه، قد أطلقوا لأنفسهم العنان فى ذلك المؤتمر وراحوا يعلنون ما مفاده أن وزراءهم الفيدراليين كانوا يتصرفون مثل المتملِّقين الأذلاء مع رئيس الوزراء - لعل ذلك يُحدث لهم خيرًا - وأن أبا بكر كان يجلس مستريحًا ومبتسمًا، لكنهم كانوا يدخلون ضمن الصف الأول عندما كانوا يعترفون ويقرون بالاشتراكية البراجماتية ويطرونها).

افتتح رئيس الوزراء، في ظروف نفسية مماثلة، أول خدمة خارجية من خدمات اتحاد الإذاعة النيجيرية وأشار فى ذلك الافتتاح إلى مدى الحاجة إلى الجوار الطيب واحترام الآخرين (**"نحن أيضًا نؤمن بالسير على طريق الصديق، إلى منتهاه"**)، وبعد ذلك بفترة قصيرة قال للجنة الأصدقاء الأمريكيين: **"الزعامة لا تُقَام بالضوضاء وحدها** [كان أبو بكر قد بدأ يستعمل هذا المصطلح عند الحديث عن المنادين بالجامعة الإفريقية والمؤيدين لحزب جماعة العمل] . **الصداقة تقام بتعاطفنا مع الدول الإفريقية الأخرى التى ينظر الناس إليها باعتبارها جديرة بالمحاكاة. من الخطأ أن نتصايح بالزعامة على الآخرين ونفرض أنفسنا على الآخرين بحكم حجمنا أو عدد سكاننا"**. لكن الرجل أقر بوضوح أن العالم والرأى العام الداخلى يسلمان بأن المساحة وعدد السكان هما اللذان يحددان الزعامة بغض النظر عن الصياح والجلبة. **"نيجيريا كبيرة على نحو لا يجعلها بحاجة إلى الانضمام إلى الآخرين – لكن إذا ما أرد الآخرون الانضمام إلى نيجيريا، فإن مكانهم فى مثل هذا الاتحاد سيكون معروفًا لهم حق المعرفة"**.

أثناء تسلم الهدية الرسمية التى أهدتها شركة SCOA للاتحاد النيجيرى، وكانت مكونة من ثمانى سيارة إسعاف وحافلة مكيفة الهواء، التى تأخرت بسبب الأعطال الفنية، أكد رئيس الوزراء من جديد على تفضيل الاستقرار على الضوضاء والغوغاء: **"المستثمرون الخصوصيون يجب أن لا تساورهم أية مخاوف بشأن سلامة الاستثمار فى نيجيريا – لقد تعهدنا وقطعنا على أنفسنا وعدًا بتأمين مصالحهم. المجال متسع للمشروعات الخاصة فى نيجيريا، وسوف يساعد رجال المال والأعمال المحليون فى بناء الاقتصاد النيجيرى، وذلك إذا ما شجعتهم على ذلك الشركات التى تأسست وأرست قواعدها منذ زمن طويل"**.

الحقيقة التى تجاهلها صنّاع – الضجيج هى أن احتياطيات نيجيريا كانت منتهية فى ذلك الوقت، وكانت الشكوك تدور حول مسألة تمويل حتى ولو نصف الخطة الخمسية فى أضعف الأحوال، فى الوقت الذى كانت تنخفض فيه أسعار الصادرات، وبسوء فيها

الميزان التجارى اللهم باستثناء بريطانيا. كانت الصناعة البترولية هى المؤسسة الوحيدة الكبيرة فى نيجيريا، بل إنها كانت تتفوق على الشركة الزراعية المتحدة التى كانت تعد أكبر الشركات، ومع ذلك كانت الصناعة البترولية لا تنتج سوى ٥٠٪ من الصادرات. وسط الحديث عن الحاجة إلى التقشف، وتقليل المكافآت المادية التى يحصل عليها السياسيون "المحترفون"، سمع الناس الدكتور أزكوى – وهو يذكر أنه لا يؤمن بشىء من هذا القبيل - وهو يقتبس عن الشكاوى السائدة فى الصحف والتى مفادها أن مجلس الشيوخ ترف يمكن الاستغناء عنه، وأن من الأفضل للحكومة الاستغناء أيضًا عن البرلمان المنتخب الذى لم تدع إلى انعقاده إلا بالصورة التى تراها هى، وأن البرلمان عندما ينعقد يجرى تسريع العمل التشريعى خلاله. وقد بقيت هذه الورطة، لتجعل أولئك الذى يفضلون التمتع بالديمقراطية، يذوقون المر فى صمت على أيدى المشرعين الحاسمين الذين يعملون بعض الوقت، ويكرسون القسم الأكبر من حياتهم للأعمال الحقيقية من ناحية وتساؤلات أعضاء دوائرهم الانتخابية من الناحية الأخرى، من ذا الذى يمكن أن يتعامل مع مثيرى الشغب، الذين سرعان ما قل اهتمامهم، بعد الحصول على ما يكفيهم من البدلات والعلاوات، نظير حضورهم الجلسات، وأصبح اهتمامهم منصبًا فقط على العودة إلى مواطنهم حتى يسمعهم المواطنون وهم يتحدثون فى الاجتماعات العامة فى دوائرهم. ومن الناحية العملية، وما دام أن الممارسة المالية هى والممارسة الاقتصادية الفيدرالية لا تتدخل فى شئون الاستقلال الإقليمى، وما دام أن رئيس وزراء الشرق هو ورئيس وزراء الشمال قانعان وراضيان بترك تصريف أمور برلمان ليجوس عن طريق التشاور والاطلاع من خلال القنوات الحزبية فيما بين الاجتماعات، فإن هذه النوعية ممن يحضون على التمسك بالأخلاق يمكن تجاهلها.

جرت بعض المحاولات الفاشلة لجمع شمل مجلس نقابات العمال النيجيرى برئاسة ميخائيل أمودو (الذى كان لا يزال يرسل مراقبين غير رسميين للاتحاد العالمى

لنقابات العمال) ومجلس نقابات العمال الوطنى الذى يرأسه الحاج أديبولا (الذى يعد فرعًا من فروع اللجنة الدولية لنقابات العمال)، فى الوقت الذى كانت البلاد فيه تراقب حزب جماعة العمل وهو يُعَجِّل ويسرِّع من متاعب الإقليم الغربى وانقساماته التى حدثت فى جوس Jos وتناولناها بالوصف فى الفصل السابق. وقام الحاج السير أبو بكر بحسم الموقف عن طريق إنذار وجهه للطلبة فى كلية إيبادان الجامعية. لم تكن نيجيريا جاهزة بعد لتحقيق الوحدة الحقيقية: **"قد يأتى الوقت، بعد أن يفهم كل منا الآخر على نحو أفضل، وبدون أن تهيمن قبيلة على القبائل الأخرى، وعندما يصبح بوسعنا التطلع إلى شكل وحدوى من أشكال نظم الحكم، لكن لن يكون ذلك الآن"**. لكن المصاعب التى كانت فى أى جزء من أجزاء الاتحاد الفيدرالى كانت بمثابة صعوبات لبقية الأجزاء، ويتعين على الطلاب ألا يقللوا من شأن البلد ومن شأن قادته، النقد المستمر قد يكون له ما يبرره، لكن النقد المفرط وصل إلى حد **"إساءة استعمال الحقوق الأساسية"**.

أبقى أبو بكر على موقفه الأخلاقى الصلب من الشئون الخارجية. نوَّه خروشوف إلى أنه يحضر اجتماعًا لنزع السلاح يضم "ثمانى عشرة دولة"، لكن رد أبى بكر تمثل فى أنه يتطلع إلى رؤية ممثلى البلاد المحترفين وقد توصلوا فى البداية إلى مساحة من الاتفاق، قبل الدعوة إلى اجتماع لرؤساء الدول، وجرى الاتفاق فى نهاية المطاف على إنشاء بعثة دبلوماسية فى موسكو (كان الشيخ شاجارى قد جرى الضغط عليه بشدة فى اللجنة الاقتصادية الإفريقية فى أديس أبابا، من قبل كل من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وبولنده، وتشكيوسلفاكيا بخصوص افتتاح السفارات فى البلدين). وافق الشيخ شاجارى بعد ذلك من منطلق أن مشاركة الدول الصغرى فى محادثات جنيف فى شهر مارس يعد أمرًا طيبًا (وقد حضر هذه المحادثات سبع عشرة دولة)، **"بهذه الطريقة يمكن لنا نحن الدول الصغرى أن نعرف من هو الجاد والمخلص، بدلاً من أن يقوم الجانبان باتهام بعضهما البعض"**. لكن عندما أعلنت الولايات المتحدة

الأمريكية أنها سوف تستأنف تجاربها النووية فوق سطح الأرض لأن روسيا لم توافق على تحريم التجارب النووية، أعلن أبو بكر أنه على الرغم من أن نيجيريا تأسف وتستهجن التجارب النووية، "**فإن الرئيس كينيدى لم يكن أمامه بديل آخر. والذى يؤدى إلى عدم استقرار سلام العالم هو الحقيقة التى مفادها أن كلا من الشرق والدول الغربية يمتلكان أسلحة نووية. ولو حدث بمحض الصدفة انتقال توازن القوى لصالح جانب من الجانبين، فسوف تنزل بالعالم كله كارثة مروعة**". وقد كرر أبو بكر هذا الكلام بعد جلسة الموازنة. وليس بمستغرب أن ينظر حزب جماعة العمل إلى ذلك على أنه دليل آخر على أن السياسة الخارجية للحكومة الفيدرالية لم تكن محايدة أو مستقلة، لكنها "مملاة بريطانيًا وأمريكيًا".

وعلى الرغم من ذلك، كانت مبادئ الحاج السير أبى بكر الأخلاقية هى التى تحكم تعامله مع المسائل الشخصية. لم يتخل أبو بكر مطلقًا عن القاعدة والمبدأ الذى استقاه مباشرة من ممارسة الحكومة البريطانية التى ترأسها السيد/ أتلى بعد الحرب، ونحن عندما ننحى جانبًا التحريات المعتادة، نجد أن كل من كانت له صلات مباشرة مع الأحزاب الشيوعية أن الأحزاب الفاشية، يتحتم عدم تعيينه فى أى منصب رسمى. كان بعض الطلاب، كما سبق أو أوضحنا قد سافروا إلى غانا بدون مستندات دالة على الجنسية، وأن السلطات الغانية قامت بتهريبهم إلى الخارج عن طريق غينيا إلى موسكو للحصول على المزيد من التعليم. وفى موسكو التقى كل من واشوكو وأوكوتاى - إيبوه هؤلاء الطلاب، الذين كانوا يواجهون الكثير من العقبات والمشكلات فى مسألة العودة إلى الوطن نظرًا لأنهم لم تكن معهم جوازات سفر. اتخذ الدكتور ماجيكودونمى الترتيبات اللازمة لإصدار جوازات سفر نيجيرية لهؤلاء الطلاب، ووافق أبو بكر على أن من الخطر ترك هؤلاء الطلاب إلى مالا نهاية كيما تستوعبهم الكتلة الشرقية وتمتصهم تمامًا من خلال عملياتها الفكرية. وهنا جرى نقل مكتب الجوازات من الشرطة إلى وزارة الخارجية، وجرى اعتبارًا من ذلك الوقت، إصدار جوازات سارية المفعول تبيح

لحاملها السفر إلى كل أنحاء العالم. وهنا نجد رئيس الوزراء يصر على أنه ما دام "**أن النيجيريين الذين يودون السفر إلى دول بعينها بنوايا سيئة .. يهربون ... إلى بعض الدول المجاورة للحصول على جوازات سفر إلى أماكن بعينها، .... كان لا يزال هناك عدد كبير من غير المرغوب فيهم داخل هذا البلد وخارجه الذين ينبغى أن نحد من تحركاتهم**". كانت لدى الدكتور أكبارا أيضًا بعض المشكلات الأمنية بخصوص استخدام عضو سابق من حركة الدكتور آزكوى فى واحدة من الصحف الحكومية، وبخاصة أن هذا العضو كان كثير الأسفار إلى شرق أوروبا، والاتحاد السوفيتى والصين. ووقف أبو بكر إلى جانب ذلك العضو، عندما أكد له الدكتور أُكبارا شخصيًا أن ذلك العضو لا يشكل خطرًا على الأمن القومى.

كانت الجلسة الذى عقدها البرلمان فى العام ١٩٦٢، هى والاجتماع الطارئ الذى عقد فى شهر مايو، متلونين تلونًا كبيرًا بفعل أزمة الإقليم الغربى والتحركات المبذولة فى اتجاه إنشاء إقليم نيجيرى رابع من ناحية وبفعل المناقشات الرسمية الدائرة حول النظام الجمهورى فى نيجيريا، والموضوعات المتصلة به التى ناقشناها فى الفصل الرابع والثلاثين وسوف نتناولها هنا أيضًا فى هذا الفصل. قدم أوكوتاى - إيبوه خطة التنمية الوطنية الثانية وكان يتطلع إلى تقسيم مبلغ ٧٦٧ مليون جنيه إنجليزى بين الحكومات كلها، وكان يتعين عليه توفير مبلغ ٤٠٠ مليون جنيه إنجليزى من هذا المبلغ. كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد عرضت بالفعل تقديم مبلغ ٨٠ مليون جنيه إنجليزى من أصل مبلغ ٥٠٠ مليون جنيه إنجليزى سيجرى طلبها عن طريق الاستثمار الأجنبى، وكانت بريطانيا قد عرضت تقديم مبلغ ١٥ مليون جنيه إنجليزى علاوة على مختلف أفرع المساعدة الفنية، وعرضت ألمانيا الغربية (٩ ملايين جنيه إنجليزى)، وعرضت تشيكوسلوفاكيا هى والبنك الدولى (تقديم مبلغ ٥ ملايين جنيه إنجليزى لتطوير ميناء ليجوس وتحسينه، والتزمت كل هذه الأطراف كل بما عرضه. حتى ذلك الحين كان قرض خطة التنمية الداخلية قد وفّر حوالى ١٩ مليون جنيه إنجليزى خلال ثلاث

سنوات. كان هناك أمل مرتقب كبير فى إنشاء مصنع للحديد والصلب يتكلف حوالى ٣٠ مليون جنيه إنجليزى، لكن مسألة الإقليم الذى يمكن أن يحظى بهذا المشروع لم تكن قد حُسمت بعد، الأمر الذى جعلها مثارًا للتنافس بين أعضاء الحزب الذين كان يتعين الضغط عليهم ليتحدثوا عن ذلك الذى يمكن أن يحدث داخل مصنع من هذا القبيل. هذه الخطة أطالت أمد العمل غير المناسب الذى كان يهدف إلى التوفيق بين الآمال المتباعدة للحكومات الأربعة، وهى تتحدث الآن عن أن الأمة تحقق "نموًا ذاتيًا" بعد انتهاء الخطة الثالثة، أو الخطة الرابعة من سلسلة خطط التنمية. كان هناك أيضًا شىء من التفاؤل مفاده أن عمل مجلس القوة البشرية الجديد، هو والعوائد المترتبة على منظومته التعليمية الدقيقة المبنية على مقترحات لجنة آشبى يمكن أن يضمنا فى ذلك الوقت أن يكون القسم الأكبر من العاملين فى مجال التنمية من النيجيريين.

كانت نقاط الضعف الرئيسية تتمثل فى أن السباق على التعليم الابتدائى العالمى فى الجنوب قد أنتج بالفعل وفى وقت قصير عددًا كبيرًا من الخريجين العاطلين، قبل أن تكون هناك ثورة صناعية تستوعبهم، إضافة إلى تعليق آمال كبيرة على المساهمات الأجنبية. يضاف إلى ذلك أن الكثيرين تحاشوا الحقيقة التى مفادها أن احتياطيات مجلس التسويق المشترك فى العام ١٩٥٦ قدرت بحوالى ٦٧ مليون جنيه إنجليزى، وأن هذه الاحتياطيات أصبحت الآن ٨ملايين جنيه إنجليزى، كما انخفضت أيضًا احتياطيات الأقاليم من ٤٢ مليون جنيه إنجليزى فى العام ١٩٥٧ الميلادى إلى نصف هذا المبلغ. وقد اتضح أيضًا أن الأرصدة غير النقدية كانت عبارة عن اكتتابات فى الأزونات الصادرة عن الأمم المتحدة، وبما يناسب البلد الذى يتحمل أكبر حصة إفريقية من ميزانية منظمة الأمم المتحدة. يزاد على ذلك أن وزراء المالية أعلنوا أيضًا عن إجراءات جديدة سيجرى اتخاذها للسيطرة على الأسعار، وعلى موازين المدفوعات ومعدل النمو، وذلك عن طريق إخضاع احتياطيات الدولة الخارجية لنظام البنك المركزى

وقوانينه، فضلاً عن تحديد معدلات سعر الفائدة فى البنوك التجارية، ونسب السيولة، وتقييم الأصول، ومن خلال التأثير على أسعار الشراء فى مجالس التسويق.

كان الدكتور كنجسلى مبادوى قد عاد إلى عضوية حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين نظراً لعدم وقوف أحد فى وجهه فى انتخابات أورلو Orlu، وبذلك أصبحت مسألة الشئون الخارجية موضوعًا آخر من موضوعات جلسة البرلمان. واعتمد الشعور بالعداء لأمريكا على مسألة تفضيل الاستثمارات التجارية الأمريكية على المساعدات المقدمة من الكتلة الشرقية، والتوقف عن الزجر العنصرى الذى وقف عليه الزائرون النيجيريون فى الولايات المتحدة الأمريكية، لكن الأمر وصل حد السخف، عندما احتج أحد أعضاء المعارضة بأن السفير النيجيرى لدى واشنطون، السيد/ جى أم أودوتش Udochi، قد سمى واحداً من أبنائه "جون" John، وذلك من باب التيمن باسم الرئيس كينيدى. الأكثر إحراجًا من ذلك كله، هو ذلك الاقتراح الذى تقدم به حامل السّوط الحكومى، السيد/ دى إن آبى Abii، والذى أيده المعلم أمين كانو الذى كان نائبًا لحامل السوط، كما ساند الدكتور مبادوى ذلك الاقتراح أيضًا والذى كان يقضى بتشكيل لجنة برلمانية خاصة بالشئون الخارجية. وكان الهدف من وراء ذلك الاقتراح هو "تنقية" قلب الحكومة فى مسألة عدم الانحياز، وذلك بمساندة ثانوية من أصحاب المقاعد الخلفية الذين ظنوا أن منصب الشئون الخارجية كان يشغله الشرقيون. كان أمين كانو متضايقًا أيضًا "من تدفق آلاف الأمريكيين على نيجيريا، لكن الروس كانوا يجدون صعوبة فى دخول نيجيريا". ولما كان السيد/ واشوكو، مثل رئيس وزرائه من المؤيدين الأقوياء لامتياز الدولة (دون أن يقف على أصول ذلك الامتياز فى مشاجرات وستمنستر فى ستيوارت، كنجز، فى بلاكستون Blackstone)، فقد نجح الرجل فى هزيمة الاقتراح عن طريق الهجوم بقوة على محاولات تخويل السلطات الخاصة بالوزراء، الذين كانوا يوضحون ما يقولون فى كل الأحيان بصورة مباشرة، إلى المجلس بكامله.

لم يقل الحاج السير أبو بكر شيئًا، على الرغم من أنه كان ينظر إلى واشوكو باعتباره صديقًا حقيقيًا، كما ترك أبو بكر واشوكو يدافع عن نفسه فى مواجهة الاقتراح الاستهجانى الذى تقدم به باى Bai محمد مختار، حامل السوط فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، والذى جرى سحبه فيما بعد، لعدم تشاوره مع زملائه فى مجلس الوزراء قبل تحديد العام "١٩٧٥" هدفًا للتحرر من الاستعمار فى إفريقيا (كان أبو بكر نفسه قد حدد الموعد نفسه أمام مؤتمر "منروفيا" الذى عقد فى ليجوس، دون أن يسبب ذلك حريقًا مثل الذى شب عندما تطرق واشوكو إلى هذا الأمر). كانت مساهمات أبى بكر فى المسائل الأقل تنظيرًا: "**تلقت الحكومة الفيدرالية طلبًا من الأمم المتحدة لتقديم مساعدات إلى داهومى بسبب المجاعة التى تشهدها بعض أجزاء ذلك البلد.. خطر ببالى أن داهومى، بحكم قربها لنا، كان من الأسهل لها أن تطلب إلينا مباشرة تقديم مثل هذه المساعدة.... وعليه قررنا إرسال ٢٠٠ طن من الفول السودانى إلى داهومى... و ١٥٠ طن أخرى من الفول السودانى إلى توجو**". وتوجه أبوبكر بالشكر إلى مجلس التسويق الإقليمى الشمالى على موافقته على بيع الفول السودانى للحكومة. ودافع وزير التنمية الاقتصادية، وزيرى Waziri إبراهيم عن قبول المساعدات الأمريكية (بدلاً من الروسية) من منطلق أن الأمريكان كانوا ديمقراطيين، ورفض زنًّا Zanna بوكار Bukar دبشاريما وزير التجارة والصناعة، القول ما إذا كان الخبراء الروس قد طُلبوا بدلاً من الخبراء الألمان أو الأمريكان.

حظيت المناداة بالتقشف باهتمام كبير. كان رئيس الوزراء الفيدرالى (مثل رؤساء وزراء الأقاليم) "**مسرورًا لأنه تمكن من أن يعلن للمجلس بعض التضحيات التطوعية التى قبلها بالفعل المعنيون باعتبار ذلك مقياسًا لتصميمهم على لعب دورهم كاملاً فى إنجاح خطة التنمية**". كما أوضح أبو بكر مسألة تخفيض رواتب كبار السياسيين بنسبة عشرة بالمئة، والتدقيق فى مسألة البدلات، على أن يعقب ذلك بتخفيض رحلات السفر للخارج، وتخفيض الرواتب الإضافية، وإلغاء بعض البدلات التى يحصل عليها كبار

الموظفين المدنيين (الذين لم يكن لدى أى منهم علم أو دراية بالذكريات المتعلقة بضريبة الرءوس التى تقدر بثلاثين شلنًا). ومن باب الكشف عن تعاطفه مع الضحايا قال: "**أنا لا أطيق تخفيض راتبى بنسبة ٢٠٪ – بل إنى وافقت بعد مضض شديد على تخفيض ١٠٪**". أما الرئيس إيناهورو، الذى كانت لديه المواهب التى تمكنه من التحول إلى مصادر أخرى للدخل، فقد كان يرى أن هناك الكثير الذى ينبغى عمله، وراح يطالب بالتقشف على مستوى الأمة كلها، وأن يبدأ ذلك التقشف بتخفيض عدد الوزراء، والسكرتيرين البرلمانيين، والمفوضين السياسيين المحليين، ورفع كفاءة الخدمات العامة. أوضح أبو بكر أن التخفيضات التى من هذا القبيل هى مسائل تخص الحكومات الإقليمية، لكنه وافق على أن تقاسم المسئولية على نطاق واسع بين الوزراء يعد أمرًا طيبًا، كان من رأى أبى بكر أن السواد الأعظم من الخدمة المدنية ضاعف جهوده منذ الحصول على الاستقلال، حتى وإن كانت مكاتب البريد والتلغراف تعد بطيئة إلى حد ما فى الرد فى بعض الأحيان. وجرى جس النبض بخصوص دفع الأجور كل أسبوعين، الأمر الذى سيكون أوفر وأوفق للخزانة من الناحية الاقتصادية، لكن هذا الاستطلاع لم يوفق بسبب العاملين الذين قيل إنهم غير مناسبين ولا يصلحون لرصد الموازنة المطلوبة، ولا يوثق بهم فى مسألة إنهاء الإجراءات المطلوبة كلها خلال عطلة الأسبوع الأول. استطاع أبو بكر توفير الوقت اللازم لتوجيه الشكر إلى السير كير **kerr** بوفل، الذى كان على وشك الرحيل ومغادرة البلاد فى ذلك الوقت. كان بوفل يتفاخر بنجاحه فى إقناع قوة الشرطة التابعة له أنه فى الوقت الذى سيجىء فيه السياسيون وعندما يرحلون الآن وحتى فى المستقبل، فإن كبار ضباط الشرطة سيبقون فى مناصبهم القيادية. وفى آخر حفل أقامه أبو بكر تكريمًا لبوفل، صرح أبو بكر أن الصورة التى عليها الشرطة النيجيرية فى ذلك اليوم إنما كانت حصيلة ونتيجة لسنواته الست التى أمضاها فى العمل الجاد، كما أن القوة الشرطية، تعد موروثًا ممتازًا من موروثات الحكم البريطانى. وقد حل السيد/ جون **John** إى **E** هودج **Hodge** محل بوفل فى قيادة الشرطة.

كان الحاج السير أبو بكر قد أبلغ البرلمان، أنه قبل من حيث المبدأ، دعوة من السير روى ولنسكى لزيارة روديسيا (وأنه كان لا يزال معجباً بطريقة ولنسكى الفظة، على الرغم من ضعف شجاعة هذا الروديسى عندما يكون خارج بلاده). وقد جدد رد الفعل هذا إعادة التفكير فى موقف أبى بكر من جنوب إفريقيا. وأبلغ أبو بكر البرلمان، أنه لم يتلق أية دعوة من بريتوريا، لكنه إذا ما وصلته دعوة بالفعل فسوف **"يأخذها فى حسبانه"**، وهذا هو ما سيفعله فى حال تبادل الدبلوماسيين: ويجب، على حد قول أبى بكر، ألا ينظر إلى ذلك باعتباره تغييراً فى آرائه، لكن ربما تتحول مثل هذه الدعوة إلى محاولة لحل **"بعض المشكلات المشتعله"**. لكن الدكتور فيرورد verwoerd عجل بالقيام بضربة الاستهلال على الطريقة الأفريكانية(*) الأصلية – لن يدعو جنوب إفريقيا أبا بكر تافاوا باليوا: "لقد التقيت باليوا وتحدثت معه فترة طويلة وحاولت الحصول منه على رأيه فى موقف جنوب إفريقيا، وبخاصة فى ضوء الاستعداد والتحضير للمناقشات التى ستدور فى مؤتمر رئيس الوزراء. وأبو بكر ليس معتدلاً، مثلما يوحى بذلك فى معظم الأحيان، فى مسألة العلاقات البيضاء وغير البيضاء - وهو شديد التمسك بقضيته – وأنا لا ألومه على ذلك. والكثيرون منا متمسكون ومتشددون فى قضاياهم".

وجاء رد أبى بكر حاسماً: **"التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا يُنْظر إليها على أنها "نص دينى مقدس". والمؤسف أن الدكتور فيرورد هو وحكومته وشعبه لا يرون خطأ فى ذلك. هم يتكلمون عن الفصل العنصرى بكثير من الأمانة والإخلاص وكأنه ليس فيه عيب من العيوب. من حق الدكتور فيرورد التمسك برأيه. لقد التقينا فى لندن وهو يعرف جيداً معارضتى الشديدة لسياسة الفصل العنصرى التى تمارسها حكومته"**.

قلل خصوم أبى بكر الراديكاليون من شأن ذلك التجمع، وبخاصة أولئك الذين راحوا يعزفون على وتر الإعلان الذى صدر عقب الاجتماع إلى الزعيم الوطنى

(*) الأفريكانى: هو من كان أبوه أجنبياً وتزوج من امرأة من جنوب إفريقيا. (المترجم)

الأنجولى هولدن روبرتو الذى كان يزور البلاد، والذى كان حزبه المدعو اتحاد الشعوب الأنجولية يعمل فى جمهورية الكنغو الديمقراطية تحت اسم جديد هو الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا. ونظرًا لأن أبا بكر كان مدركًا للارتباك الناجم عن وجود زعيم آخر هو أجستينهو نيتو الهارب فى المنفى وله أهداف مماثلة لأهداف الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا، لكنه تابع أصيل وموال للبرتغال ومقيم فيها، ويتزعم الحركة الشعبية لتحرير الشعوب الأنجولية، ونظرًا أيضًا لأن أبا بكر كان يعرف أيضًا أن هناك زعماء آخرين يدعون أن ماريو اندرادى هو الزعيم الأنجولى الحقيقى، فقد صرح أبو بكر أن نيجيريا يمكن أن تساعد فى تدريب هيئة العاملين الإداريين والطبيين اللازمين لحكومة مؤقتة يجرى تشكيلها فى ليوبولدفيل، لكن الرجل لم يؤكد لهولدن روبرتو استعداد نيجيريا لتدريب الشرطة المسلحة والقوات العسكرية، **"لأن ذلك سوف يعنى أننا ندربك على مقاتلة إخوانك الأفارقة فى الجنوب"**. كان أبو بكر يفكر أيضًا فى أن غانا كانت تقوم بتدريب اليوروباويين على قتال الأجباويين والهوساويين. وانطلاقًا من الحذر نفسه أعلن أبو بكر عن عرض مقدم من اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بحوالى ٤٥ منحة دراسية للطلاب النيجيريين، وبدون إعلان صريح عن قبول العرض، أعرب أبو بكر بطريقة مؤدبة عن شكره للكرم الروسى، وقال إن الحكومات الإقليمية سيجرى إبلاغها بهذا العرض، لكن الحكومة الفيدرالية يتعين عليها أن تقنع نفسها بأن نوعية التدريب الذى سيحصل عليه هؤلاء الطلاب ستكون مفيدة للبلاد.

يمكن اعتبار اليوم الثالث عشر من شهر مايو من العام ١٩٦٢ الميلادى اليوم الذى جرى فيه تدمير "الوحدة" بالشكل الذى كان أبو بكر يتمنى تحقيقه بطريقة سلمية. كان ذلك اليوم مصادفًا ليوم التعداد، تلك العملية المكلفة (حوالى ١,٥ مليون جنيه إنجليزى) التى أجريت طبقًا لأحدث التقنيات والخبرة التى جرى اكتسابها فى هذا المجال قبل عشر سنوات. كان لا يزال هناك بعض الخبراء الأجانب إلى أن يتم العثور على نيجيرى كفء من بين بعض المناصب العامة. كان السيد/ جى جى وارن Warren،

المسئول الرسمى عن التعداد، يود التعامل مع هذه المسألة كما لو كانت إدارة لوجستية، يتعين قيامها فى البداية على معرفة ديموغرافيى الأمم المتحدة بالخصوبة الإفريقية، ثم قياسها بعد ذلك على وعى العلماء بالمحددات التى تفرضها الطبيعة على المواليد الأحياء اعتماداً على عدد النساء اللائى يكن فى سن الحمل. والمعروف أن موازنات الحكومات التى ستأتى بعد ذلك سوف تعتمد على الأرقام الناتجة عن ذلك التعداد، وأن المساندة الدولية لخطة التنمية الوطنية سوف تعتمد أيضًا على استقرار هذه الحكومات، ومعروف أيضًا أن تعليمات الأنفاق النهائية هى والمبالغ المختلفة المخصصة من الإيرادات للأقاليم سوف تعتمد هى الأخرى على الأرقام النسبية للسكان. هذا التعداد كان خاليًا من الإشراف المباشر والمراجعة المزدوجة التى حدثت قبل عشر سنوات: كان العدادون يطرحون أسئلة، ويدونون شيئًا فى النماذج التى يحملونها ثم يذهبون لحال سبيلهم، وعند هذه المرحلة يصبح كلاً من مسئولى الحكومة المحلية والموظفين المدنيين عارفين لدى امتنان رؤساء وزراء الأقاليم لها. وقد ساءت الأمور بفعل "نزوح التعداد"، نظراً لأن السكان حاولوا، أو بالأحرى جرى تشجيعهم على العودة حتى يمكن عدهم، "على أن يكون كل مواطن فى بلدته". جاء الأغراب الذين يتدبرون الأمر بعد فوات الأوان، متأخرين على نحو يصعب معه تصور مدى سذاجة السياسيين والموظفين المدنيين فى التسليم بأن التعداد المحترم يمكن أن يصبح ضرورة إدارية روتينية. فى ذلك الوقت لم يكن أى نشاط من الأنشطة الحكومية مُسَيَّسًا. وأفاق أصحاب الرأى السديد قبل أسبوع أو أسبوعين من اليوم الثالث عشر من شهر مايو، على أن الشعب كان ينظر إلى عملية التعداد باعتبارها شكلاً آخر من أشكال الانتخابات، وأن السب واللعن والدمار الاجتماعى أصبحا أمرين مؤكدين مثل الليل والنهار. وسوف نقف فى الفصل التالى على النتائج التى ترتبت على ذلك، لكن فى الوقت الذى استمرت فيه الموضوعات الأربع التى نتناولها هنا (الكنغو، التقدم صوب إفريقيا المنسقة، الاضطرابات فى الإقليم الغربى، والاتجاه صوب النظام الجمهورى) فى إزعاج رئيس الوزراء خلال فصل

الصيف وفصل الخريف، كانت مسألتا التعداد والجماعة الأوروبية هما الشغل الشاغل لذلك الرجل.

كانت هناك مشاغل أخرى تستحوذ على انتباه كل من الشيخ شاجارى وأمين كانو. كان أمين كانو بصفته مندوبًا دائمًا لدى منظمة الأمم المتحدة يشجعه على التطلع إلى افتتاح سفارة كبيرة فى واشنطون، وربما كان ذلك بوحى من مسئولية واشوكو من قبل عن التنمية الاقتصادية، وعندما رفض هذا الطلب راح "المعلم" يوجه اللوم إلى معارضة كل من المستشار السياسى الرئيسى هو وأمير كانو، لكن ليس هناك ما يدعو للتفكير بأن أبا بكر كان بحاجة إلى نصيحتهما كيما يدرك أن أمين كانو كان مشغولاً بالفعل. كان الحاج الشيخ شاجارى قد أوفد من قبل الحاج السير أبو بكر ومعه رسالة إلى سيراليون لإقناع مرجاى Margai باتباع الخط الذى تشير عليه نيجيريا فى رفضها مشروع المساعدات البريطانية فيما وراء البحار، والحافز الذى ينطوى عليه ذلك المشروع ويهدف إلى رفع رواتب المغتربين وتعزيزها، والذى يعد أيضًا بتمويل إنشاء صالة إسكان فى كلية خليج بوره، فشل الشيخ شاجارى فى المهمة الأولى، لكنه أُوفد مكلفًا بدراسة أساليب تدريب الخدمة المدنية فى كل من الهند وباكستان. فى تلك الأثناء جرى إرسال المرشحين الإداريين للتدريب فى الكليات الجامعية فى كل من الهند وباكستان، لكن محمد رباط لم يوافق إلا على إرسال ضباط الجيش للتدريب فى الهند التى لم يحدث فيها أى شكل من أشكال الانقلابات العسكرية.

فى شهر يونيو، قام رئيس الوزراء بجولة رسمية مع لاوال Lawal أبو بكر، أحدث سكرتير خاص مساعد، وقد زار أبو بكر قسمًا كبيرًا من الاتحاد الفيدرالى تحت رعاية مؤسسة الخطوط الحديدية النيجيرية، التى التزمت التزامًا صارمًا بالتوقيت الدقيق المحدد لكل محطة من المحطات الصغيرة على الجدول الزمنى المحدد لذلك. انتقل الرجل من مرحلة إلى مرحلة: إلى إيبادان، إيلورن، منّه Minna، وإلى وصلة كادونا، وإلى

كافنشان Kafanchan وإلى كورو، التى التقى فيها المستشار السياسى الرئيسى أثناء الليل، ومن هيبانج Heipang وعن طريق كل من فورام، وباكن كوجى، وميجوجو، وزونجو يصل أبو بكر إلى تافاوا باليوا، وإلى بُنونو Bununu (داس Dass)، ليمان كتاجوم ثم إلى باوتشى، ليصل إليها على الرغم من الجهود المبذولة، متأخرًا يومًا. وفى كتاجوم، يمضى الرجل إجازة قصيرة فى مزرعته. وقد جاء جون روس، الذى كان لا يزال يشغل منصب رئيس الحى الأقدم ومعه زوجته وولده لتوديع رئيس الوزراء. كانت حرم السيد روس هى التى تشوشت قبل سنوات عندما اكتشفت أن وزير النقل كان يقرأ كارل ماركس، لكى يعرف بنفسه حقيقة الفكر الذى يقف وراء أقوال الشيوعيين. كان أبو بكر يقود جراره الزراعى وهو يرتدى رداء رثًا ربما كان مصنوعًا من الحرير، وكان يساعده آمر الشرطة الذى كان يرتدى هو الآخر ملابس العمل التى يرتديها الفلاحون. قدم رئيس الوزراء كعكة دوندى Dundee مُعلَّبة وشايًا على صينية لآل روس فى المنزل المستدير المبنى من الطين والقش فى المزرعة، وصاح قائلاً وهو يقدم هذه التحية للمسئول المتقاعد "آه، لماذا قررت الابتعاد عنا؟". ثم طلب من سكرتيره الخاص الاطمئنان على آل روس فى محطه إدُّو Iddo، وأن ينزلوا فى دار ضيافة رئيس الوزراء فى إيكوى Ikoyi، وأن يجرى اصطحابهم إلى سفينة البريد فى طريق عودتهم إلى وطنهم. كان أبو بكر يبدو مُتْعبًا، ومكتئبًا تمامًا.

قبل هذه الزيارة كان الحاج يعقوب وانكا، كبير مستشارى باوتشى، الذى كان يرى نفسه دومًا مستشارًا محليًا و"إينا" لرئيس الوزراء، والذى لم يحاول استغلال هذه الصداقة الوثيقة، قد توصل إلى استنتاج مفاده أن الصداقات وصلت إلى الحد الذى يسمح له بطلب يد واحدة من بنات أبى بكر. مسألة تزويج ابنة من البنات فى المجتمعات المستقرة كلها تعد علامة وإشارة من إشارات الثقة، وهى تعد أيضًا فى كثير من المجتمعات تدعيمًا استراتيجيًا للتحالفات العائلية. ومن بين الإشارات الجانبية المهمة إلى مثل هذه العلاقات، قيام أحد الوزراء الذين أتينا على ذكرهم هنا، الذى يكاد "يعبد"

أبا بكر، لكنه ينحدر من إمارة غير إمارة أبى بكر، بطلب يد كريمة من كريمات أبى بكر، وكان يظن أن علاقته العملية بأبى بكر وثيقة مثل العلاقة التى بينه وبين الحاج يعقوب وانكا "لكنه لم يخاطر مطلقًا بموافقة ابنته". كان الحاج السير أبى بكر قد وافق بالفعل على أن هناك كريمة بالفعل، ابنته الرابعة، وهى مناسبة ويمكن أن تكون مقبولة، لكنها كانت فى كادونا حيث جرت تنشئتها فى عائلة المستشار السياسى الرئيسى، منذ أن كانت طفلة صغيرة، وأن رئيس الوزراء (أحمد بللو) ينبغى أن يكون طرفًا فى المفاوضات. وسار كل شىء على ما يرام، وجرى الاحتفال بزواج بنتا Binta (التى كانت فاطمة فى بعض الأحيان)، (كانت هناك كريمة أخرى تدعى سعادة تزوجت من كبير نظار المدارس الابتدائية فى باوتشي، المدعو المعلم أبو بكر ميكوبى Maikobi). عاد أبو بكر إلى الجنوب عن طريق السكك الحديدية بعد خمسة أسابيع، ابتعد خلالها عن روتين ليجوس لكنه لم يكن بعيدًا أو منعزلاً عن بريد المعلومات أو الانشغال بالأمور التى عددناها فى بداية هذا الفصل. ولم يكن الأمر مواتيًا عندما وصل أبو بكر إلى ليجوس وسمع أن مجموعة شركة إفريقيا المتحدة تكبدت خسائر كبيرة فى نيجيريا خلال النصف الأول من العام.

شكلت أحداث العالم الخارجى فى ذلك الصيف من جديد قائمة يتعذر على قارئ الصحف العادى الإلمام بها كلها، ناهيك عن رئيس الوزراء الذى كان ذهنه منشغلاً بالمشكلات والمسائل الدولية، يضاف إلى ذلك إلى أن السواد الأعظم من مساعدى رئيس الوزراء كانوا مشغولين بمصالحهم الذاتية. وهنا يتعين على القارئ أن يُعْمِل فكره فى أنه فى الوقت الذى كان السياسيون النيجيريون كلهم تقريبًا مهتمين بالشئون الداخلية أكثر منها بالشئون الخارجية، نظرًا لأنه فى ظل غياب القوة المحلية هذه التى يستعملونها فى إضعاف منافسيهم وخصومهم، يصبح هؤلاء الساسة فى مهب الريح، كان أبو بكر يضع اهتماماته الداخلية فى المرتبة الثانية. فى فرنسا حصل ديجول على نسبة أكبر من ٩٠٪ فى الاستفتاء الذى أجرى بشأن السلام فى الجزائر، وألقى الرجل

القبض على الجنرال المتمرد سالان (الذى حكم عليه آنذاك بالسجن مدى الحياة)، قام السيد/ أليكس بوستا منتى Bustamente بتشكيل إدارة من حزب العمال فى جاميكا، وجرى تمويل جزر كيمان Cayman، التى لم ترغب فى الحصول على دور لها فى جاميكا المستقلة، إلى مستعمرة مستقلة من مستعمرات التاج، وأقر السياسيون البريطانيون أن اتحاد جزر الهند الغربية قد لقى حتفه، كما أعلن الدكتور نيكروما المزيد من الإجراءات لمواجهة الفساد، لكنه أفرج عن ١٦٠ من المحتجزين، وأسفرت الانتخابات التى أجريت فى اتحاد وسط إفريقيا عن إعادة الحزب الفيدرالى المتحد فى انتصار فادح الثمن فى مواجهة المقاطعة من قبل الأحزاب الإفريقية كلها والمعارضة البيضاء، وتشكلت فى دار السلام فى موزمبيق حركة تحرير موزمبيق، ومع ذلك، نشب المزيد من العنف، آخر مظاهر العنف ضد الحكم الأجنبى، فى الجزائر، التى جرى فيها تفجير نووى اختبارى تحت الأرض بواسطة الفرنسيين، وحدثت اضطرابات فى المناجم فى روديسيا الشمالية، وجرى تعديل قانونى فى جنوب إفريقيا يقضى بعقوبة الإعدام فى جرائم التخريب، ونزلت القوات الأمريكية فترة وجيزة فى تايلاند لحماية حلفاء أمريكا من التحرشات التى تجرى خارج لاوس، وقام أحد الملاحين الجويين الأمريكيين بالدوران حول الأرض ثلاث مرات، اقترحت كل من الباربادوس، وونوارد، وكذلك جزر ليوارد أن "الثمانية الصغار" يمكن أن يشكلوا اتحادًا فيدراليًا صغيرًا جديدًا لجزر الهند الغربية، وجرى إعدام النازى إخمان بعد محاكمته فى إسرائيل بتهم ارتكاب جرائم حرب، أُنْهى المشير أيوب خان الحاكم العسكرى فى باكستان، وقام نيكروما بإطلاق سراح ١٦٢ محتجزًا آخرين، شكل ثلاثة أمراء لاويين ذوو مشارب سياسية مختلفة تحالفًا على أمل الحصول على حياد مستقل تحت مظلة معاهدة جنيف، وبدأت بريطانيا فى تنفيذ قانون هجرة الكمنولث، وأعلنت فرنسا استقلال الجزائر فى اليوم الثالث فى شهر يوليو، وجرى نقل أول صورة مباشرة بالراديو من القمر الصناعى تلستار إلى شاشات التليفزيون المحلية فى أوروبا، وقام الجنود الصينيون بفتح النار على الهنود فى بلدة لاداخ Ladakh، وجرى التوصل إلى اتفاق حاسم يحتم على

بريطانيا إنشاء اتحاد فيدرالى ماليزى أوسع، وجرى إقامة احتفال شعبى فى الكاميرون (لم يعد الناس بعد يستعملون اسم الكاميرون البريطانى وكاميرون ما بعد الاستقلال، إذ أصبح هذان الاسمان مبتذلين) لمناهضة الاتجاه صوب مشروع نظام الحزب الواحد، مما أسفر عن وضع أول رئيس للوزراء هو وآخرين فى السجن، وقام اتحاد الإذاعة البريطانية بمضاعفة إرساله الموجهة إلى الهوسا حتى يتساوى مع ساعة الإذاعة الموجهة من قبل الروس (ولكن ذلك لم يكن لمواجهة الإذاعة الموجهة من القاهرة لمدة تسعين دقيقة).

سُمح فى ذلك الوقت لاتحاد وسط إفريقيا الفيدرالى بإنشاء لجنة عليا له فى ليجوس، الأمر الذى خيَّب ظنون النيجيريين غير المتعاطفين مع السيطرة والهيمنة البيضاء فى ذلك البلد. وتوجه أبو بكر بسؤال إلى المندوب السامى الأسود، السيد/ ماسوتشا هوف Hove، "**اتحادك الفيدرالى مضطرب، وذلك على العكس من اتحادنا هنا. فلماذا لا تحل ذلك الاتحاد وتقسم الأصول ما دام أن الأجزاء المكونة لذلك الاتحاد لا تريده أو ترغب فيه، وذلك بدلاً من فرض هذا الاتحاد على الأجزاء المكونة له؟**". كانت الإجابة المؤقتة على هذا السؤال، هى أن نياسلند لم تكن لديها الموارد التى تمكنها من سداد نصيبها أو حصتها من قروض التنمية الواردة من الخارج، والتى كان الاتحاد كله يستفيد منها من خلال إعادة توزيع الثروة. وزاد السيد/ واشوكو من تفاقم الأمور عندما تقدم فى الأمم المتحدة باقتراح مفاده أن أربعة وستين مقعداً من مقاعد البرلمان فى روديسيا الجنوبية ينبغى تقسيمها بالتساوى بين الروديسيين السود والروديسيين البيض بالإضافة إلى المقعد الخامس والستين الذى يشغله مقيم بريطانى يقوم بالمحافظة على توازن القوى. حدثت أيضًا صرخة فى ليجوس، لكن على الرغم من ابتعاد أبى بكر عن رأى وزير خارجيته الشخصى، فإنه لم يكن على استعداد للإخلال بالتوازن بين حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى عن طريق إخضاع الرجل للنظام بصورة أو أخرى. وجرى إرضاء الحزبين

بعد عامين من الاستقلال بما يفيد أن نيجيريا أصبحت قادرة على تحمل أعباء مناصب كثيرة فيما وراء البحار، وقد وصل عدد هذه المواقع الخارجية إلى حوالى ثلاثة مفوضيات عالية، وثلاثة عشرة سفارة، وبعثة دائمة فى الأمم المتحدة وأربعة قنصليات أو قنصليات عامة.

كانت بريطانيا لديها متاعبها المهمة التى يتعين على السياسيين النيجيريين دراستها، وقد ترتبت تلك المتاعب على محاكمة الجاسوس المدعو فسًال vassal فى الأدميرالية البحرية، وإنشاء قضاء للأمن تحت قيادة اللورد رادكلف Radcliff. قد أعاد السيد/ ماكميلان إلى الأذهان، عند تشكيل الحكومة "ليلة السكاكين الطويلة"، وقام بتغيير سبعة من كبار الوزراء، كما غير الكثيرين أيضًا من صغار الموظفين فى الوزارة، فقد أصبح السيد/ أر إيه بتلر نائبًا أول لرئيس الوزراء وأول وزير للخارجية يقوم بالإشراف على مكتب وسط إفريقيا الجديد ومفاوضات الجماعة الاقتصادية الأوروبية، وتقرر للسيد/ دنكان سانديز الجمع بين وزارة شئون علاقات الكمنولث ووزارة شئون المستعمرات على أن يصبح هو وزير دولة مشترك لهما (كان دنكان سانديز قد أصبح نائبًا مشاركًا للرئيس مع الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا فى الرابطة البريطانية ـ النيجيرية التى جرى تأسيسها مؤخرًا)، وأعيد تقسيم الخزانة إلى ثلاثة أقسام حتى يمكن إعطاء المزيد من الاهتمام إلى السيطرة على الإنفاق العام، وألغيت رئاسة سكرتير مجلس الوزراء للخدمة المدنية الداخلية. كما سُمح أيضًا للجنة السياسة الاستعمارية التابعة لمجلس الوزراء، والتى سبق أن شكلها إيدن منذ فترة تقل عن سبع سنوات، أن تدخل فى شكل من أشكال السكون وعدم الفاعلية؛ نظرًا لأن الوزراء هم ومكاتبهم لم يعودوا بحاجة إلى هذه اللجنة، فى وقت أصبحت فيه الإدارات أقل عددًا، والوزراء أقل عددًا مما كان مطلوبًا.

بدأ شهر أغسطس بتقرير عن محاولة لاغتيال نيكروما، وألقى القبض على السيد/ نلسون منديلا فى جنوب إفريقيا، واستقلت جاميكا وهى أُمة من أمم الكمنولث، ودار

الروس حول الأرض مرات عدة، وقام نيكروما بطرد كبير الأساقفة الإنجليكان فى غرب إفريقيا، كما طرد أيضًا أسقف أكرا الذى انتقد مسألة تسييس حركة "الرواد الشبان" التى حلت بطريق القصر محل الحركات الشبابية التقليدية الموحدة وغير العسكرية، ووافقت هولندا على نقل غينيا الجديدة الغربية الهولندية إلى أندونيسيا فى غضون تسعة أشهر، ووافقت بريطانيا على نقل عدن إلى اتحاد لجنوب الجزيرة العربية، أدى فشل مالطة فى الحصول على وعد بالمساعدات المالية التى طلبتها من بريطانيا، إلى مطالبة مالطة بالاستقلال فى الكمنولث، أدخل نيكروما كلاً من وزير الخارجية ووزير الإعلام السجن بمقتضى قانون الاحتجاز الوقائى، حصلت كل من ترينداد وتوباجو على استقلالهما، وافقت سنغافورة وبورنيو الشمالية فى استفتاءين على الانضمام إلى الاتحاد الفيدرالى الماليزى، وزُعم أيضًا أنه كانت هناك محاولة أخرى لاغتيال نيكروما، وفى بريطانيا أعلن دنكان سانديز أنه بعد مراجعة نصوص اتحاد التنمية الاستعمارية والتزاماتها (الذى كان لا يزال يدير فندق برستول فى ليجوس ولم يكن قد نقل بعد مكتبه الإقليمى فى غرب إفريقيا إلى خارج نيجيريا المستقلة)، وفى ضوء موجة الاستقلال فى جزر الهند الغربية، فقد تحول ذلك الاتحاد الآن إلى اتحاد لتنمية الكمنولث وسوف يبدأ العمل بصورة أساسية فى الدول ذات السيادة وسيعمل على إنهاء المشروعات التى بدأت فى تلك الدول يوم أن كانت مستعمرة. وقد اعتذر نيكروما عن عدم تمكنه من حضور اجتماع رؤساء وزراء الكمنولث بسبب انشغاله، **كما أعطى الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا إشارة أخرى مناهضة للفساد عندما رفض قبول هدية من إحدى الشركات النيجيرية، والتى زُعم أنها كانت عبارة عن جهاز راديو مصنوع من "الماس"، ورفض الرجل هذه الهدية بإباء وشمم لأن الصحفيين كانوا مدعويين لحضور تسلم هذه الهدية.**

سيطر مؤتمر رؤساء الوزراء فى لندن على الإخبار طوال شهر سبتمبر وذلك بسبب الجدل الدائر حول الجماعة الأوروبية. كانت الجماعة الأوروبية لا تزال مجرد

تنظيم يقوم على معاهدة اقتصادية، وكان المختصر الدال على ذلك التنظيم هو الجماعة الاقتصادية الأوروبية EEC. ونظراً للتقارب الذى حدث بين كتلتى الدار البيضاء ومنروفيا، ونظراً من ناحية أخرى إلى أن غليان الجزائر بدأ يخف إلى حدما، فقد وجدت الدول الستة عشر الناطقة بالفرنسية أن من السهل التوصل إلى بعض المشتركات فى مسألة الارتباط بالجماعة الاقتصادية الأوروبية طبقًا للقسم الرابع من معاهدة روما. الغريب بحق، أن استمرار الصراع بين نيجيريا وغانا هو الذى جعل مسألة تكوين جبهة مشتركة من الدول الناطقة بالإنجليزية أمراً مستحيل التحقيق، ومع ذلك فإن الشكوك والظنون الفردية، من حيث التناقض الظاهرى، بقيت متضافرة على شكل معارضة سلبية عامة، مدعومة من قبل منتجى السلع من بين أعضاء الكمنولث القديم، بدلاً من الإيحاء إلى القيام بتفاوض جاد بحثًا عن علاقة بديلة أفضل لهؤلاء الأعضاء مع الجماعة الأوروبية. كان الحاج السير أبو بكر يسير على الخط نفسه الذى كانت بريطانيا تحاول جر مستعمراتها السابقة إلى السير عليه مع الجماعة الاقتصادية الأوروبية، وذلك فى تحد سافر لرغبة نيجيريا فى أن تصبح غير منحازة على الصعيد الدولى، فى الوقت الذى كان يتعين عليها فيه البحث عن بعد من أبعاد الكمنولث، لكن أبا بكر لم تكن لديه صيغة بديلة تؤيد رغبته وتساندها، أكد أبو بكر أن وى wey سكرتير مجلس الوزراء أضاف منظوراً للخدمة المدنية الكاملة إلى رأى خبراء الشئون الخارجية، وذلك عن طريق التحريات الواسعة التى حصل عليها من اللجنة البريطانية العالية عن الهدف الذى ترمى إليه الحكومة البريطانية، لكن أبا بكر بدأ يشك أيضاً فى أن موقف بريطانيا خلال أقل من أسبوعين، من التجارب الذرية التى أجرتها فرنسا فى الصحراء الكبرى، أصبح بعد عرضًا من أعراض القلق لتملق باريس حتى تتقدم بطلب للانضمام إلى الجماعة الأوروبية.

جاء الموقف الذى وصلت إليه بريطانيا، والذى تزامن مع عدم وجود موجة إقناع ناجحة مع الدول الأعضاء فى الكمنولث، بمثابة مشروع مؤقت لمعاهدة من المعاهدات.

هذا يعنى أن بريطانيا ستقوم بصورة متدرجة بتطبيق التعريفة الخارجية للجماعة الأوروبية، على المصنوعات المستوردة من كل من أستراليا، وكندا ونيوزيلنده مع بعض المراجعات الاسترشادية فى العام ١٩٦٦ والعام ١٩٦٩، وسوف تقوم بريطانيا بالتفاوض مع كل من سيلان، والهند، وباكستان حول جدول زمنى خاص، وأن الجماعة الأوروبية سوف تقوم بالتفاوض مع هذه الدول حول كل الاتفاقات التجارية بحلول العام ١٩٦٧ الميلادى، بما فى ذلك التعريفة صفر على الشاى والإبقاء على الواردات من الملابس، لكن مع شىء من الحماية لمنتجى الملابس الأوروبيين، هذا يعنى أيضًا أن المواد الغذائية "العادية" (التى تشكل أهمية خاصة لكل من أستراليا، وكندا، ونيوزيلنده) ستخضع من حيث المبدأ لاتفاقيات السلع العالمية، وإلى المستويات التجارية المعقولة والسياسات "السعرية المعقولة" أيضًا. كما أن دول الكمنولث فى كل إفريقيا وجزر الهند الغربية، وبقية المستعمرات، سوف يعرض عليها "الارتباط" بالجماعة الأوروبية. أما الأمور الأخرى الحالة التى من قبيل السياسة الزراعية المشتركة فلن تكون لها أهمية فى هذا الصدد، لكن كان هناك شبه إجماع سياسى مفاده أن ديجول هو وأديناور مستشار ألمانيا الغربية، كانا ينظران إلى الجماعة الأوروبية، والاتحاد السياسى النهائى، على أنه حيلة أو سيلة لإغراق بريطانيا التى لم يثق بها هذان الرجلان العجوزان. كان هناك اعتقاد شائع أن ذلك يعطى شيئًا من القوة لمعارضة طلب انضمام بريطانيا إلى الجماعة باسم المصالح النيجيرية (ومصالح أخرى، بما فى ذلك غانا وسيراليون وتنجانيقا).

كان الوزراء البريطانيون مقتنعين اقتناعًا أكيدًا بأن الارتباط بتعريفة الجماعة الأوروبية هو فى مصلحة الإخوان الأفارقة والإخوان فى جزر الهند الغربية، مثلما كان فى مصلحة الدول الستة عشر الناطقة بالفرنسية. وهنا نجد أن الحكومة البريطانية تضايقت عندما قال رئيس الوزراء النيجيرى للصحفيين فى مطار هيثرو فى اليوم الرابع من شهر سبتمبر **"إنه لم يفهم كيف أن بريطانيا، أقدم عضو فى الكمنولث،**

والجذر الذى نبتت منه دول الكمنولث كلها، استطاعت التخلص منا والانضمام إلى السوق المشتركة... وعلى الرغم من التعقيدات كلها، أجد من الصعب علىّ فهم كيف يمكن أن تكون عضواً مرتبطاً. أنا أرى أنه ليس من العدل أن أتحدث الآن عن المعايير التى تستهدفها نيجيريا، إلا بعد افتتاح المؤتمر. بريطانيا الآن فى موقف صعب، ويبدو أن الناس يعتقدون أن الحل الوحيد أمامها هو الانضمام إلى السوق المشتركة. لكنى أومن أنه لابد أن تكون هناك بدائل أخرى. لقد بدأ الكمنولث يتحول إلى منظمة شديدة الأهمية. لدينا التنوع، على الرغم من أننا نقيم فى أماكن بعيدة. لكنى لازلت أرى أن دول الكمنولث، يمكن أن تشكل مع مرور الوقت كياناً اقتصادياً شديد الأهمية... ولن توافق نيجيريا على أية إشارة مهما صغرت، إلى التنازل عن ذلك الاستقلال.... هناك جانب سياسى فى هذا الأمر... أنا أرى أنه بالإمكان تماماً، ألا تكون عضواً منتسباً [لأن ذلك يمكن أن يمس مسألة عدم انحيازنا]، **ولكن يجب أن نتفاوض على شروط الأعضاء المنتسبين**". تناول أبو بكر طعام الغداء بعد ذلك بيومين مع كل من ماكميلان واللورد هيد فى دار الأميرالية البحرية. كان أبو بكر لا يزال يكن احتراماً كبيراً للسيد/ هارولد ماكميلان، لكنه كان ينظر إليه باعتباره نداً ولم يتزحزح عن موقفه. كما أن الرجل لم يهتز مطلقاً عندما وجه إليه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى المؤيد للطلاب، الدعوة إلى رقصة من الرقصات، وعندما قامت لجنة الطلاب بإهداء أبى بكر، فى صمت مجلداً صادراً عن المحكمة العليا، ويحمل العنوان: **قانون السوق المشتركة**. كان من بين رفاقه الضيوف كل من نجوكو، إمبو **Mbu**، واشوكو، دبشاريما، بيوس أوكجبو **Okig-bo**، والعميد أجوى - إيرونسى، وديفيد وليامز. كما التقى أبو بكر أيضاً السيد/ إدوارد هيث، حامل أختام الملكة فى وزارة الخارجية، كما التقى أيضاً المفاوض الوزارى الرئيسى فى انضمام بريطانيا إلى السوق المشتركة تحت قيادة كل من السيد/ بتلر واللورد هوم. وهنا تبين البريطانيون أنه ما دام أن مشاعر أبى بكر الحارة تجاه روابط الكمنولث قد بدأت تفتر وتبرد، فإن هذه المشاعر نفسها كانت فى أضعف الأحوال صادقة عن الأعضاء القياديين الآخرين.

أما المؤتمر نفسه، وهو المؤتمر الحادى عشر منذ قيام الحرب، فقد جرى افتتاحه فى اليوم العاشر من شهر سبتمبر، وسرعان ما انتشرت وقائعه بين الناس والجماهير، على نحو أكبر من وقائع المؤتمرات المحكمة التى سبقته. شارك فى هذا المؤتمر سبعة عشر مشاركًا، وأيده ودعمه ممثلون آخرون من ثمانية مستعمرات، كانوا يعملون "مستشارين"، ولم تعد السرية المحكمة أمرًا ضروريًا. وجاء تناول المؤتمر للتطورات الدستورية داخل الكمنولث، وتناوله أيضًا للشئون الدولية ونزع السلاح، أمرًا عاديًا وروتينيًا. كان "الهدف الرئيسى" من المؤتمر هو استعراض تقدم بريطانيا فى مسألة الجماعة الاقتصادية الأوروبية، وكان مجلس الوزراء لا يزال يتطلع إلى إقناع الأعضاء الآخرين أن الانضمام إلى الجماعة الأوروبية بشروط مرضية سوف يقوِّى بريطانيا، ويقوى الكمنولث وأوروبا دفعة واحدة. واقع الأمر أن كل عضو من الأعضاء الآخرين قام بالهجوم على التقييم البريطانى. هذه الانتقادات كان يمكن أن تبدو أقل هدمًا وذاتية لو أنه كان هناك أى شكل من أشكال الإجماع البسيط المتواضع على برنامج عملى مستقبلى بديل.

كان وزير الدفاع الهندى قد حدد قبل شهر أو شهرين من انعقاد المؤتمر نقاط الضعف تحديدًا واضحًا وقاسيًا عندما قال: "ما الذى تبقى حتى يصبح مشتركًا بيننا؟... باستثناء الخلفية التاريخية، والحقيقية التى مفادها أننا لا نكن لسادتنا القدامى أية مشاعر سيئة – لا شىء غير ذلك..... نحن لا نشك أو نجادل فى مسألة "المحافظة" على الكمنولث – كيف لك بالمحافظة على شىء آخذ فى التدهور؟... هل تدركون أن هناك مسألتين فقط.... وقفت بريطانيا إلى جانبهما ـ كوريا والهند الصينية؟..... الكمنولث غير محدد المعالم، الكمنولث ليس جماعة أيدولوجية أو إيمان بالحرية". وهنا وجد الحاج السير أبو بكر نفسه مضطرًا إلى إعادة النظر فى بعض مسلماته طويلة الأجل عن العلاقات الخارجية، على الرغم من أنه قال للصحفيين فى بعض الاجتماعات "**أنا لا أتنبأ بانهيار الكمنولث بسبب مسألة السوق المشتركة**"، وبدلاً

من أن يلّجم مسألة "الأراضى الأجنبية المنتسبة"، كان على استعداد دومًا للتحدث عن مقترحات التجارة والتعريفة. وقد أزال الخطاب الذى ألقاه أبو بكر فى اليوم الثالث من المؤتمر والذى ألفه مستشاروه وقام هو بمراجعته فى اللحظة الأخيرة، كل الشكوك المتعلقة بهذا الأمر. **كان دنكان ساندين، الذى كان حاضرًا فى المؤتمر، لا يزال يرى أن الدول النامية مقدر لها ومكتوب عليها توريد المواد الخام إلى الأبد. وكان لابد من تفنيد الأفكار التى من هذا القبيل، من منطلق أن هذا المؤتمر يساوى بين الجميع.**

قال أبو بكر الذى كان يرتدى طربوشًا أحمر بسيطًا، ملفوف عليه شال أبيض على الطريقة البرنية Borno، أن مسألة الارتباط هذه لا معنى لها وعديمة القيمة عند الدول النامية. مسألة الارتباط هذه لم تحل أية مشكلة من مشكلات الدول النامية والأرجح أنها كانت تزيد من اعتماد هذه الدول على الغير. لقد اعتمدت الدول النامية على تصدير المواد الأولية ويتعين عليها الآن، مثل بريطانيا، أن تتفهم الحقائق العالمية. والمسألة المهمة تتمثل فى مدى تسهيل انضمام بريطانيا إلى السوق المشتركة أو تعطيل هذا الانضمام، لمسألة تفهم الدول النامية لتلك الحقائق العالمية. **"الدول النامية واقعة فى أيامنا هذه فى شرك ضار - أسعار صادرات هذه الدول آخذه فى الانخفاض بصورة مضطردة، وقد وصلت تلك الأسعار إلى مادون أسعار الكساد العالمى فى العام ١٩٥٧-٥٨، وفى الوقت نفسه نجد أن أسعار واردات الدول النامية من الدول المتقدمة آخذة فى الارتفاع"**. وبهذه الطريقة زادت خسائر نيجيريا على ما تحصل عليه من مساعدات أجنبية. وعندما حاولت نيجيريا عكس هذا الوضع عن طريق تنويع الصادرات والتصنيع، بدأت تواجه صدامًا مع العالم المتقدم: **"أقل ما يمكن قوله هو أن السياسات التجارية التى تتبعها الجماعات الاقتصادية الأوروبية مع الدول النامية أمر محير"**.

فى معرض الرد على السيد/ ماكميلان وتطلعه إلى أن انضمام بريطانيا إلى السوق المشتركة سوف ينفخ فى أوروبا روحًا ليبرالية واضحة أعلن الحاج السير

أبو بكر، "**ليس من السهل علىَّ إقناع نفسى بالتفاؤل بهذا الموضوع، وكل ما يمكن عمله هو أن أدعو لكم بالنجاح والتوفيق. وكل من يتذكر مدى الاستعداد والمسارعة إلى إغفال المعاهدات والاتفاقات التى لم تعد تخدم الاحتياجات الفردية الضيقة لهذه الدول أو التخلى عنها، يسهل عليه قبول التأكيد على النوايا الحسنة التى تعرضها هذه الدول**". وأشار أبو بكر إلى مسألة إضعاف منظمة الجات. أما فيما يتعلق بالكمنولث، فهل ستستمر منطقة الإسترلينى فى الوجود، أم أن هناك بديلاً سيحل محلها؟ وما هى الشروط التى سيدخل بمقتضاها الأعضاء إلى سوق المال فى لندن؟ ألن يؤدى ذلك إلى تحول الاستثمارات الكبيرة بعيداً عن لندن؟ ونيجيريا ترغب ببساطة فى منافسة شريفة عندما تقوم بالتصدير إلى أوروبا، وسوف ترضى عن تعريفه الجماعة الاقتصادية الأوروبية التفضيلية فيما يختص بالمنتجات الإستوائية التى من قبيل الكاكاو، وزيوت الخضروات، والأخشاب الصلدة، على أن يكون ذلك فى ضوء حصص معلنة. "**نحن لا نود منافسة الدول الإفريقية المرتبطة فى مسألة توزيع أرصدة التنمية. سوف نكون راضين عن..... استقرار الأسعار العالمية للسلع الزراعية، وأن يكون ذلك الاستقرار مصحوبًا بأسواق مؤكدة....**". كانت نيجيريا على استعداد للتضحية بمزايا التعريفة الجمركية التى كانت تحظى بها منذ زمن طويل فى السوق البريطانية، شريطة ألا تنقلب هذه المزايا وتكون فى غير صالح نيجيريا.

هذا الذى صدر عن "صبى الإمبراطورية الطيب" كان شيئًا كبيراً، كما كان أيضًا إسهامًا له معناه فى الدرس الذى تلقاه البرلمان والحكومة البريطانية والذى مفاده أن أم البرلمانات يتحتم عليها أن لا تفترض الآن أن أعضاء الأسرة الضعفاء يمكن أن يمسكوا بتلابيب مريالها وقتًا طويلاً. وعلى الرغم من الغَمِّ الاقتصادى، فقد تحدث الحاج السير أبو بكر واثقًا بنفسه تمامًا أمام معهد تنمية ما وراء البحار، مستخدمًا فى ذلك الحديث مواجيز الأبحاث التى أجراها وى wey، استخدامًا واضحًا ولاذعًا. حتى ذلك الحين كانت بريطانيا والولايات المتحدة وحدهما هما اللتان وعدتا بتقديم

المساعدة فى خطة التنمية النيجيرية، على الرغم من المتاعب التى واجهتها نيجيريا على امتداد السنوات الست الماضية، "**بسبب المطالبة السريعة لنا من جانب أصدقائنا فى الغرب**". بالتعجيل بإعداد الخطة الخاصة بالإنفاق العام والإنفاق شبه العام، "**وأنا على يقين من أنكم ستقدرون المشاعر التى لدينا فى هذا الوقت، عندما نجد أنفسنا مشلولين بسبب افتقارنا إلى المؤشرات الإيجابية أو المساعدة من الأصدقاء. وإذا لم نحصل على أى شىء فى المستقبل، فلن يكون أمامنا بديل غير الاعتماد على أنفسنا فى مضينا قدمًا فى تنفيذ هذه الخطة**". لقد أنشأ البنك الدولى مجموعة استشارية من الدول الراغبة فى ذلك. ولم تحصل نيجيريا على أى شىء من روسيا لأنها لم تكن لديها أية دراية بأى برنامج من برامج المساعدات فى الكتلة الشرقية، وإذا ما قدمت مثل هذه المساعدات وكانت مناسبة فسوف تقبلها نيجيريا، لكننا "**بحاجة إلى مساعدات حقيقية**". والسبب فى ذلك، أنه بغض النظر عن كلام الناس، فإن المساعدات على اختلاف أنواعها تكون مربوطة ببعض الخيوط. كان أبو بكر واضعًا فى اعتباره الحصول على قروض وليس المعونات الأجنبية، وهو يسعى إلى الحصول على مبلغ يقدر بحوالى ٣٠٠٠ مليون جنيه إنجليزى، مطلوبة لتنفيذ الخطة. والبلد الذى يحصل على قدر كبير من الهبات يصبح مثل الطفل الذى يكون دومًا بحاجة إلى الرضاعة، وعاجزًا عن إطعام نفسه عندما يكبر. هذا يعنى أن القطاع الخاص هو والنيجيريين يتعين عليهما أن يلعبا دورًا متزايدًا، من خلال الخدمات الاستشارية، والدورات التدريبية والمعلومات الفنية ومعلومات التسويق، وأيضًا عن طريق استثمار المزيد من رأس المال.

وعندما سئل أبو بكر عن الفجوة التى بين الفقر والغنى فى الدول الجديدة أورد الرجل إجابة أمينة على ذلك السؤال: "**أنا شخصيًا كنت دائم التفكير فى هذا الأمر، وأنا أتمنى أن تكون لدى الشجاعة التى تجعلنى أُخَفِّض الرواتب كلها إلى المستوى الذى نتمكن معه من الوفاء بتلك المرتبات والأجور، لا أنا ولا رفاقى، لدينا أو يحتمل أن تكون لدينا مثل هذه الشجاعة**". واستطاع أبو بكر أن يأسر فؤاد أحد المراسلين

الصحفيين عندما أجاب على سؤال فنى معترفًا بأنه لا يعرف شيئًا عن موضوع هذا السؤال. كما حضر الرجل أيضًا اجتماعًا إلى الملكة، وكان شخصية مرموقة فى حفل الغداء الرسمى وفى الصورة الجماعية التى التقطت داخل القصر. هذه العظمة الذاوية لإمبراطورية الحنين إلى الماضى لم تجعل الرجل يحيد عن إرسال رسالة قوية من رسائل الحنين إلى الماضى، إلى الاجتماع الافتتاحى لمجلس الرياضة النيجيرى فى ليجوس، وقد أعرب فى تلك الرسالة عن أسفه للمستويات المشينة التى انحدرت إليها بعض الجوانب الرياضية من خلال الإدارة السيئة والتدريب غير الكافى، وفى يوم آخر، التقى أبو بكر، على سلم مارلبورو هوس Marlborough House رئيس حى سابق، هو كريستوفر راونثويت Rounthwaite، الذى كان يعمل فى إدارة الأخبار فى مكتب علاقات الكمنولث فى ذلك الوقت. كان راونثويت قد طلب بقاء ليث Leith واط watt معه، وهنا تهلل وجه أبى بكر: "**السيد واط [صديقى بحق]!**".(*) لكن واط فى ذلك الوقت كان قد عاد إلى موطنه فى نيوزيلنده.

صدر البيان الختامى غير الحماسى موضحًا أن بريطانيا حاولت جعل أوروبيى بروكسل يتفهمون مشكلات الكمنولث، ومن حقها اتخاذ قراراتها الخاصة بها، لكن البيان الختامى ركز بعد ذلك على مظاهر قلق الأعضاء الآخرين. خشى الأعضاء من أن يؤدى ذلك البيان الختامى إلى إضعاف الترابط بين أعضاء الكمنولث وتأثير ذلك على السلام والتقدم العالميين". رفضت دول شرق إفريقيا ومعها كل من غانا ونيجيريا مسألة الانتساب أو الارتباط هذه، أما ترينداد وتوباجو والاتحاد الروديسى المتهاوى هو ونياسلند فكانت كلها مستعدة لقبول وضع الانتساب، لكن جاميكا هى وسيراليون كانتا راغبتين فى مزيد من الوقت "لدراسة هذا الأمر". أما سيلان والهند وباكستان فكانت قلقة من أن التغيير فى أنماط تجارتها مع بريطانيا دون أن يكون ذلك التعبير مصحوبًا

(*) لفظ أبو بكر هذا التعبير بلغة الهوسا abokina Kwarai. (المترجم)

بتعديلات فى أماكن أخرى سوف يضر بحصيلتها من النقد الأجنبى والاستثمار فى الصناعات التصديرية فى مرحلة حرجة من مراحل خطط التنمية فى هذه البلاد. وقد أثار ذلك أيضًا الذعر فى نفوس منتجى المواد الغذائية المدارية والمعتدلة. وهنا أصبح واضحًا أن الحاج السير أبا بكر ربما كان إيمانه لم يتزعزع بعد بمن تبقوا من أصدقائه البريطانيين، وأساتذته السابقين فى الماضى، لكن الرجل بعد هذا الجدل والنقاش توتر إلى الحد الذى جعله يتمنى لو أن الحكومة البريطانية تولت هى التفاوض نيابة عن نيجيريا. كان سبب ذلك واضحًا تمامًا فى ذهن أبى بكر، كان أعضاء البرلمان البريطانى المتحمسون للسوق المشتركة لم يحاولوا تحديد أو تطوير بديل آخر عن الفكرة الثابتة الخاصة "بالانتساب"، كان السواد الأعظم من أعضاء الحكومة البريطانية وديبلوماسييها لم يفكروا مطلقًا فى أعضاء الكمنولث قبل الاستقلال، إلا بوصفهم مجرد أشكال مجردة وغامضة. بقيت روح الكمنولث المبهمة هذه عزيزة على أبى بكر، لكنه لم يستطع وضع بلاده على الجانب الأوروبى من السور الذى يجرى إقامته فى وجه اقتصاديات نامية أخرى مثل البرازيل، وبورما أو أندونيسيا، والتى يجب أن تعرقل الاتفاقيات السلعية فى كل أنحاء العالم، عند هذه المرحلة فقط لم تعد تساور أبا بكر أية شكوك فى مصداقية زملائه السياسيين الفيدراليين ومستشاريه الرسميين.

عاد أبو بكر إلى ليجوس فى اليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر، بعد أن استأذن من جواهرلال نهرو بصفة خاصة، نظرًا لأن نهرو سوف يعود إلى الهند عن طريق باريس، ثم أكرا، وليجوس. وهذه هى المرة الثانية التى يعود فيها أبو بكر قادمًا من مؤتمر الكمنولث ويجرى تكريمه بواسطة الوزراء، والطلاب وفرق الرقص التى جاءت إلى المطار احتفالاً بمقدم رئيس الوزراء الفيدرالى وأصدر واشوكو أمرًا بالسماح لكبار الطلبة العسكريين بدخول المكان المخصص للشخصيات المهمة، واصطفت الجماهير على جانبى الطريق من إيكيجا إلى إيكوى Ikoyi. وراح اتحاد

الطلبة النيجيريين يحيون رئيس وزرائهم على الخط القوى الذى يسير عليه، وعلى "إنقاذه روح بلاده". أعلن أبو بكر أن مصالح نيجيريا هى التى اضطرته إلى رفض المقترحات الأوروبية رفضًا قاطعًا، وأنه سوف يبدأ من الآن العمل الجاد من أجل إنشاء سوق أفريقية مشتركة، يجرى تأسيسها على أساس من التعاون المحلى والتنسيق بين اقتصاديات القارة. بعد ذلك بأيام قلائل تحدث أبو بكر إلى البرلمان: **"على الرغم من التأكيد لنا على أن دخول بريطانيا إلى السوق المشتركة لن يؤدى إلى توريط أية دولة من الدول الإفريقية فى الأهداف السياسية لغرب إفريقيا، فإننا عاجزون عن فصل الروابط الاقتصادية عن الارتباطات العسكرية والسياسية. موقف المساومة الذى نقفه لم يبلغ من الضعف حدًا يضطرنا إلى قبول المضامين السياسية والاقتصادية الكاملة، التى لا يستطيع معها أعضاء الجماعة الأوروبية أو المملكة المتحدة التنبؤ، عند هذه المرحلة، بما يمكن أن يحدث فى المستقبل.... من الأرجح أن تمر نيجيريا بفترة صعبة، قد لا تنجح بلادنا فى جذب المساعدات التى نتطلع إلى وصولها إلينا من دول السوق المشتركة"**. كان أبو بكر على ثقة من أن بريطانيا هى ودول السوق المشتركة سوف ينتهجا سياسة ليبرالية مع الدول غير "المنتسبة"، لكن الرجل كان يعتقد اعتقادًا راسخًا أن النشاط الدبلوماسى السنوى هو والإقناع الوزارى البريطانى كانا قد بدءا من فرضيات أساسية مفادها أن بريطانيا كانت لا تزال قوية وزعيمة للكمنولث من ناحية وأن نيجيريا لا يمكن أن تتخلف عن السير على الخط نفسه من ناحية أخرى. أكد أبو بكر أمام البرلمان أيضًا أن دراسة حكومته لمسألة الانتساب هذه كانت دراسة جادة، وأن هذا الرفض قد يعنى السلع أيضًا، مثل الفول السودانى أو القصدير، وأن هذه السلع سوف تخضع للتعريفة التمييزية أو إن شئت فقل الحصص، كما يعنى ذلك أيضًا منافسة أكبر من الدول الراغبة فى الاستجابة لمطالب السوق المشتركة، كما يعنى ذلك أيضًا تقليل التجارة مع بريطانيا وعدم الدخول بعد السنوات الخمس المؤهلة إلى أرصدة التنمية الأوروبية.

لكن نيجيريا كانت مثل أمريكا اللاتينية، بحاجة ماسة إلى سوق داخلية كبيرة تستوعب منتجاتها الصناعية المتزايدة، يضاف إلى ذلك أن تجارة نيجيريا مع أوروبا لم تكن محرَّمة أو محظورة تمامًا، في الوقت الذى تسعى الدبلوماسية فيه إلى تعديل التعريفة. بقيت اقتصاديات أبى بكر صريحة ومباشرة، لكنه لم تعد تربكه رطانه الاقتصاديين الآخرين أو كلامهم. استطاع أبو بكر أن يتبين أيضًا أن زيادة استثمارات رأس المال المباشرة هى والتصنيع من قبل المصادر الإيطالية، والفرنسية، والألمانية الغربية لم تكن تزيد فقط من تعقد السياسة الاقتصادية الحكومية، وإنما كانت تقلل أيضًا من الاعتماد على بريطانيا وإدخال المزيد من الممارسات المالية والأعمالية إلى مجال هذه المساومة.

رئيس الوزراء، شأنه شأن أولياء الأمور والآباء العاديين، كان يتعين عليه إحداث نوع من التوافق مع أسرته الآخذة فى الاتساع. هذا هو بالا Bala، أكبر أبناء أبى بكر كبر سنه قليلاً على الحياة المجدولة فى مدرسة العاصمة فى كادونا (التى تفوقت فيها بنتا Binta ابنة أبى بكر)، لكن الحياة أيضًا مع أسرة المستشار السياسى الرئيسى ربما لم تكن منظمة تنظيمًا جيدًا وفيها شىء من التساهل إلى حد ما. يضاف إلى ذلك أن مدرسة المساواتية(*) الصباحية ربما كانت تشكل نوعًا من الارتباك فى الوقت الذى كانت خلفية التبنى المحلية فيه تنتظر من العامة الأكبر سنًا أن يحذو فى تواضع حذو الأرستقراطيين الأصغر سنًا. وهنا قام أبو بكر بإلحاق ولده بالا بكلية القديس جون، وهى مدرسة ثانوية تابعة لواحدة من الوكالات التطوعية فى كادونا. ومع ذلك لم يكن بالا سعيدًا بذلك الالتحاق. كان المستشار السياسى الرئيسى قد رتب لأن يمضى بالا عامًا فى مدرسة إعدادية فى سُكتو يصبح الولد بعدها مؤهلاً تأهيلاً أفضل يمكنه من

(*) هذه الكلمة مشتقة من مصطلح egaliterianism الذى يعنى المساواة بين البشر. (المترجم)

الالتحاق بالكلية الحكومية فى كِفِّى Keffi. داوم أبو بكر على كل الفرص المتاحة التى تمكنه من القيام بواجباته الأبوية، فى الوقت الذى كان بالا يتعلم فيه الحقائق الاجتماعية فى مجتمع المستشار السياسى الرئيسى. كان بالا عندما يقوم بإجازة إلى ليجوس يسمع عن جون كينيدى وعن أحلامه عن الشعب الأمريكى، كما كان بالا يسمع أيضًا عن تناقص ذلك الشعب بأساليبه "المستحيلة" وثقافته الملوثة، وبين الشعب المزواج الذى تناسى عن قصد ماضيه وجذوره لكى يبنى مستقبلاً جديداً عن طريق تطوير ثقافة جديدة واحدة.

كان أبناء أبى بكر الصغار يستمعون إلى حكايات والدهم ويسلونه بلعبهم وبالوناتهم البسيطة، كانت بنات أبى بكر يستمعن وهن معجبات بما يقوله والدهن عن الملكة إليزابث، وعن عرباتها ومجوهراتها (لم تتخل يالوا، ابنة أبى بكر عن اللعبة الملكة التى أعطاها أبوها إياها). أما كنزاه الخاصان مختار وصديق، فقد كانا يلعبان معه على الأرض فى مكتبته، التى لم يُمْنَعا عنها مطلقًا، وكان يجرى تحميمهما بواسطته هو شخصيًا ووضعهما فى السرير استعدادًا للنوم فى المنطقة التى تقيم فيها حرم السيد خان مدبرة شئون المنزل، والتى اعتاد على النوم فيها إلى أن أصبحت مديرة لدار ضيافة الزائرين الحكوميين. كان الصبية أيضًا يستمعون بلهفة وشوق إلى رجل الشرطة كفطان توبولوميو Topolomiyo وهو يروى حكايات الجنود كبار السن عن خبرتهم فى زمن الحرب، أثناء عملهم ضمن قوة الاستطلاع فى غرب إفريقيا، ولم يتورع الرجل عن الإعراب عن رأيه فى ضعف القيادة وعدم الانتظام. فى ذلك الوقت كان الرقيب ماكسويل أوركبابو Orukpabo قد انضم إلى كفطان Kaftan.

تعلم الصبية أيضًا أن هناك حدوداً لتحويل الخيال إلى واقع، وعقب ظهور أعجوبة التليفزيون الجديدة، انبهروا بالفيلم الأمريكى الذى يصور الأشياء الجديدة غير المألوفة عن الثلج، والإشارات الدخانية عند الهنود الحمر. وفى محاولة جادة من هؤلاء

الصبية لإنتاج هذا الثلج وتلك الإشارات الدخانية داخل غرفتهم، قاموا بإفراغ كميات كبيرة من مسحوق الطَّلق(*) (سلعة استهلاكية كانت شهيرة فى ذلك الوقت برائحتها الخافتة) على الأرض، وقاموا بإشعال النار فى المنتصف محاولين بذلك التجريب على جمع الدخان وإطلاقه من تحت البطانية. وبعد أن كادوا يحرقون المنزل، جرت محاكمتهم محاكمة قاسية، شاركت فيها قلة قليلة من أهل المنزل، فى الاستماع إلى والدهم وللمرة الأولى فى حيواتهم وهو يصيح فيهم بفيض من الغضب الحقيقى.

بدأت الذكرى الثانية للاستقلال بقرار يقضى ببيع هدية البحرية الملكية، التى كانت واحدة من سفن الحراسة وتدعى **نيجيريا**، والتى كانت تجرى إعادة تجهيزها فى بريطانيا وكانت بحاجة إلى ١٤٠ ألف جنيه إسترلينى، كانت مطلوبة للصيانة اللازمة لتلك السفينة. وجرى استدعاء الدكتور مبادوى للانضمام إلى ما اسماه "هذه الحكومة الأبوبكرية" والذى كان يقول أيضًا عن الرجل الذى كان لا يزال يطلق عليه اسم "الصخرة السوداء!"، "ليس هناك أحد أكثر ثورية من أبى بكر وبالطريقة التى وهبه الله إياها، إذا ما حتمت الظروف اللجوء إلى هذه الثورية". بدأت الاحتفالات الرسمية بيوم الاستقلال بحضور أبى بكر الصلاة التى أقيمت فى المسجد الرئيسى فى ليجوس، وتلاها فى اليوم التالى تعبد (صلاة) الحاكم العام على طريقة الكنيسة الميثودية. أشار الدكتور آزكوى فى حديثه عن إلغاء المعاهدة الدفاعية، إلى حديث أبى بكر عن نيجيريا فى مؤتمر الكمنولث باعتبارها دولة غير منحازة، كما أشار الدكتور آزكوى أيضًا إلى تعيين نيجيرى فى شهر يونيو، يدعى شِتيما Shettima، والذى أصبح اسمه الآن كاشيم إبراهيم حاكمًا للإقليم الشمالى عقب تقاعد آخر الحكام البريطانيين، السير جاوين Gawain بل. كانت إذاعة أبى بكر الوطنية قد أعادت إلى أذهان هذه القلة القليلة من المستمعين المحزونين لقد مضت سنوات كثيرة منذ أن عرض رئيس الوزراء القيادة،

(*) مسحوق من مساحيق التجميل. (المترجم)

لا من خلال الإغراءات وإنما عن طريق العمل الجاد، والدموع والعرق. وراح أبو بكر يستعرض من جديد كلاً من مؤتمر ليجوس، ومناقشات الجماعة الاقتصادية الأوروبية، والإقليم الغربى. وقد أوضحت تعليقات الرجل العامة على الكمنولث، للمستمعين خيبة أمل الرجل:

"استطعت خلال هذا المؤتمر الوقوف على نمط ونظام جديد للمستقبل، وعدت من المؤتمر مقتنعًا أن نيجيريا يتعين عليها تكييف نفسها. رأيت ابتعادًا عن الفكرة التى مفادها أن الكمنولث قد يشكل وحدة أكثر تماسكًا من الناحية الاقتصادية حتى يمكنه مواجهة تحديات العصر...... والسبب فى ذلك أن مُثل الكمنولث وتقاليده تمثل الوحدة الأساسية للجنس البشرى، وأن الكمنولث سيبقى طويلاً حتى بعد وضع التقنية والميكنة فى إطار منظور يناسب سعى العالم إلى إسعاد الجنس البشرى. لكن الحاجة الماسة فى أيامنا هذه تتمثل فى ضمان إنهاء العلاقات المتوترة بين الكتلتين الشيوعية والغربية وأنا أومن أن أفضل الطرق لتحقيق ذلك هى التعجيل والتسريع فى توحيد العالم وجمع شمله من تطوير الصناعة والتجارة... ويجب أن يكون هدفنا دومًا هو تقليل الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وبذلك يمكن إبعاد أكبر مصدر من مصادر الحرب فى عالمنا اليوم".

لكن العبارات الرئيسية فى ذلك الحديث الإذاعى كانت على النحو التالى:

..... (سوف) يتعين على زراعتنا اجتياز فترة من فترات إعادة تعديل الأوضاع. تلوح فى الأفق شواهد على تغيير جذرى فى التجارة العالمية... ويتعين على نيجيريا التى اعتمدت منذ زمن

طويل على صادرات المنتجات الزراعية الأولية أن تتوافق مع الوضع العالمى الحالى، وتبحث لنفسها عن منافذ لصادراتها فى كل أنحاء العالم، إن هى أرادت البقاء على قيد الحياة... فى ضوء عدم التأكد من المساعدات الأجنبية، وهذا هو ما يمكن أن نتوقعه... أرانى أطلب منكم جميعًا القيام بواجباتكم وأن تكونوا مستعدين للتعب والكد وتحمل بعض المنغصات.... إن مشروع التعليم العملاق الذى نحن مقبلون عليه سيوفر المشرفين، والفنيين، والمديرين، والحكام، كما سيوفر أيضًا جمهورًا انتخابيًا مثقفًا... لقد ولدت نيجيريا فى زمن صعب. وأنا عندما قبلت منصب رئيس الوزراء الفيدرالى، لم أكن أنتظر أن تكون الأمور سهلة وميسرة. لكن قوة رئيس الوزراء فى أى بلد تُستمد من التشجيع والمساندة اللذين يحصل عليهما من إخوانه المواطنين. ولقد حصلت على هذه المساندة وذلك التشجيع من الشعب كله. وأنا أتطلع إلى استمرار الحصول عليهما فى المهمة الصعبة لبناء الأمة، والتى نكرس لها جميعًا جهودنا".

هذه الكلمات الأخيرة الموجهة إلى عامة الناس، لم توقظ ضمائر بعض الخاصة من إخوانه المواطنين طوال فترة من الزمن.

تضخمت فى ذلك الوقت فى أذهان بناة الأمه فكرة التحرك صوب شكل دستورى جمهورى، وإذا كانت هذه الفكرة أقل تضخمًا وانتشارًا بين الباحثين عن السلطة ليس إلا، وبين المحامين الذين كانوا منشغلين بزيارة عدد الولايات الأخرى أو المحافظة على إقليمهم بلا مساس، فإن هذه الفكرة نفسها كانت ذائعة أكثر بين المنظرين والمدرسين. هذه الفكرة كانت تعنى الكثير أيضًا لدى القرويين لكن مع بعض الفروق البسيطة. ويتعين هنا أن نعرف كيف أصبح لهذه العملية وزنها وثقلها، ونبحث أيضًا عن طريقة

إدخالها. قاد الحاج السير أبو بكر بلاده إلى الاستقلال وهو يعلم علم اليقين أن الأمة كانت مصطنعة، وأنه لم يكن فى إفريقيا نموذج بسيط لقيادة الدولة، سوى الملك مطلق السلطات، الذى يعاونه عدد من مستشاريه.

كان ذلك هو الشكل الشائع فى إفريقيا، وأن الملك الإفريقى بحكم العادات والتقاليد يستلهم الإخلاص من بعيد، واقع الأمر أن هذه التجمعات العائلية الممددة كان يرجح لها أن تكون ناقمة وحاقدة على نفوذ الرئاسات Chieftaincies المجاورة لها ومظاهرها، كما أن رعايا الرئاسات Chiefdoms القديمة كانوا يحتقرون بصفة عامة ديمقراطية القبائل الأقل تطوراً لكنها تتخذ من المساواتية نبراساً لها. مسألة حتمية أن تكون هذه السلطات المطلقة فى حدها الأدنى، وقصرها أيضاً على الاحتفائيات المحببة إلى النفس، وكون هؤلاء الحكماء أشياء يمكن الاستغناء عنها، كل ذلك كان أمراً بديهياً لا يحتاج إلى برهان، يزاد على ذلك أن حكم الملك قد يكون محدوداً فى بعض الثقافات، وأن تلك المحدودية قد تكون مقصورة على ثلاثة من الرجال الحكماء ويكون أحدهم مسئولاً عن الدين، والثانى عن العدالة والثالث عن السياسة، وأن هؤلاء الثلاثة يتعين عليهم فى مرحلة من المراحل أن يحضروا لذلك الملك رمزاً (وليكن ذلك بيضة ببغاء، على سبيل المثال) يكون بمثابة إشارة له على تغيير هذه الحياة إلى حياة أفضل، هذا كله أمر معروف حق المعرفة عند أبى بكر، لكنه لم يكن جزءاً من خبرته الإنسانية المباشرة، ومع ذلك كان هناك الكثير جداً الذى يمكن قوله عن الطريقة المتحضرة تحضراً معقولاً التى يمكن بها ضمان إنهاء الحكم، فى الوقت الذى يكون للحاكم فيه نفوذ أخلاقى على مستشاريه الأرفع شأناً عندما يكونون فى مناصبهم.

هذه الملكة البيضاء النائية، المطبوعة صورتها وعلى رأسها تاج، على طوابع البريد، والتى يجرى الهتاف باسمها فى المدارس فى شىء من الخجل، والتى تعد شخصية محورية فى تقدم رومانسى غير محتمل لا يزال ماثلاً فى الأذهان، يمكن تقديمها لعامة الناس على أنها أيقونة، يشارك فيها عدد كبير من البلدان الخرافية

فضلاً عن كثير من السادة والحكام الذين رحلوا عنا، لكن هذه الملكة لم تعد بعد ينظر إليها نظرة اقتناع ورضا، وبخاصة الزائرين الأجانب، على أنها منبع الشرف، وأنها الواهبة للقانون، وأنها المُصْدرة للقانون داخل بلد من بلدان الرجل الأسود. يضاف إلى ذلك أن ممثل الملكة الشخصى، الذى يجرى اختياره بالتشاور الخاص مع الزعيم السياسى الرئيسى فى البلاد، كان بديلاً مرئيًا لها، وأن السواد الأعظم من القادة والزعماء كانوا عاجزين عن إقناع أندادهم ببديل أفضل (وقصروا اهتمامهم على الوصول إلى مناصب رئيس الوزراء الفيدرالى أو رؤساء وزراء الأقاليم)، كما رضوا فى تلك المرحلة بقبول ذلك على أنه وسيلة دستورية مؤقتة، وهذا تملق للبريطانيين بلا أدنى شك، لكنه أمر لا يعترض عليه غير المسيسين. وكما رأينا فإن تدرج أبى بكر وثقته فى التعلم بالقدوة والمثل هما اللذان جعلاه يأمل ويتطلع إلى أن يجعل روبرتسون يقوم بهذا الدور عند مؤخرة المسرح وفى شىء من التواضع، فى العرض الأول للمسرحية. هذه النظرة إلى الكمنولث البريطانى هو وإمبراطورية الأمم، هما اللذان أحس فيهما المواطنون المحليون ومواطنوا الدومينيون إحساسًا غير واضح مفاده أن حاكمهم المطلق هو الملكة فكيتوريا، أو الملك إدوارد أو جورج، هذه النظرة تحولت إلى نظرة أخرى عرف فيها الناخبون حق المعرفة أن الذى يحكم بريطانيا هو آتلى أو إيدن والحكماء الذين يعملون معهم رموزًا، وعرفوا أيضًا أن الممالك البيضاء بدأت تفضل جلوس مواطنيها فى دور الحكم، ومن هنا تحتم على أبى بكر قبول الوضع القائم، كما سبق أن أوضحنا فى الفصل الثامن والعشرين. بقيت العلاقات محصورة بين الحاكم ورئيس الوزراء، لأن كليهما لم يكن يفتقر إلى خفة الظل والمزاح أو السلوكيات الجيدة، يضاف إلى ذلك أن أبا بكر كان يرى أن القيود الدستورية التى تقيد إصدار الطرف الآخر للأوامر يصعب تجاهلها. زد على ذلك أن العرف الذى يقضى بأن يكون دور ممثلى الأسرة المالكة، وممثل الملك مقصورين على رفع الروح المعنوية، لم يكن مدونًا أو مكتوبًا.

جاءت أول تلميحة من تلميحات الرأى الإصلاحى الذى برز من انشراح الصدور للاستقلال من خلال مؤتمر كل الشعب النيجيرى الذى عقد فى شهر أغسطس من العام ١٩٦١ الميلادى. ويجب أن لا يغيب عنا أن الدكتور أزكوى كان قد أثار موضوع الجمهورية فى شهر نوفمبر من ذلك العام، فيما بينه وبين نفسه بلا أدنى شك، عندما كان يتحدث إلى طلاب جامعته فى نسوكًا عن فضائل النظام الرئاسى القوى. ونظرًا لأن الحاج السير أبا بكر لم يحط بذلك علمًا، فإنه لم يغفل ذلك، وانتهز فرصة مؤتمره الصحفى فى الشهر التالى، ليوضح للصحفيين كيف أن براجماتيته المعتادة بدأت تسود وتنتشر. كان الرجل قد قدم بالفعل رأيه مستعرضًا حال الأمة، وركز فى ذلك الاستعراض على التسامح ورفض الدولة للانقياد إلى العواطف. وقال فى نهاية ذلك الاستعراض إنه يقبل اقتراح قيام رؤساء الوزارات بمناقشة النظام الجمهورى بوصفه "اقتراحًا معقولاً". ولم يقو الرجل بعد ذلك على التماس الأعذار للرفض الخارجى أو الداخلى للصيغ الإمبريالية البريطانية. وكان السبب المعلن وراء هذا الرفض يتمثل فى نظر أبى بكر فى أن أية دولة سواء أكانت آسيوية أم أفريقية لا يمكن أن تظل أرضًا خاضعة لسلطة حاكم الدومينيون dominion بصورة دائمة، والسبب فى ذلك أن الدول الأجنبية اكتشفت أن تحديد وضعها يعد مسألة صعبة: كانت صاحبة الجلالة الملكة لا تزال تعين سفراءها النيجيريين لدى البلدان الأخرى، فضلاً عن أن الحاكم العام قد لا يجد نفسه دومًا يعامل من قبل الحكومات الجاهلة المؤذية فى الخارج مثلما يُعامل رؤساء الدول.

وإذا ما نحينا جانبًا مسألة أن أى رئيس من الرؤساء الذين يتمتعون بما هو أكثر من السلطات المحددة جدًا للرؤساء، يتعين اختياره عن طريق الأغلبية الشعبية، نجد أن أبا بكر ألقى بهذه المهمة كلها على الشعب. وعلى الرغم من أن آراء أبى بكر فى كل من فرنسا والجماعة الاقتصادية الأوروبية كانت تضعف عزم الرجل، فقد تبين له أن العجلة لا لزوم لها: وعلى الأقل فى المرة الأولى المهمة التى أحس فيها بأن عليه إقناع رئيس

الوزراء واصطحابه معه. تفهمت "مؤسسة" الشمال "السبب الجوهرى" وراء خرافة الرئاسة الدولية للكمنولث البريطانى ولم تعترض على ذلك السبب: لكن هذه المؤسسة عارضت معارضة قوية أية رئاسة نيجيرية يمكن تفسيرها على أنها رئاسة عرقية داخلية. أكثر من ذلك، أن الجيل الأكبر من زعماء الشمال، الذى كان يتشكك فى أهداف المنافسين طويلة الأجل لم يكونوا جميعهم طبيعيين. ومع تخفيف العلاقة البريطانية، وهذا هو ما يسعى إليه الجنوبيون بحق، ألن يُعَامَل النيجيريون الذين يزورون بريطانيا حاليًا أقل من معاملة أبناء العم المحبوبين، وأكثر من معاملة الحلفاء الرسميين؟ لم يصدقوا أن أية فائدة عملية يمكن أن تعود على الناس العاديين من النظام الجمهورى. هذه البراكين الخامدة رأت رأى العين أن العلاقة المؤسسية الناعمة بين الشمال والجنوب فى السنوات الأخيرة قد أصبحت علاقة مضحكة وراحت تنصرف شيئًا فشيئًا، كما شهدت هذه البراكين الخامدة أيضًا "روح الفوضى" التى تقف وراء شعار "الحكم الذاتى الآن!". هذا يعنى أن شعارات الخمسينيات لم تهدأ حتى بعد ذلك الإنجاز الكبير. وقد سُمع المستشار السياسى الرئيسى، وربما كان ذلك من خلال خطبة، وهو يُشَبِّه هذه المسألة بالجهاد، وقال إنه فى حال البحث عن رغبات الناس فإنه سوف يهيب بالشماليين كلهم، رجالاً ونساءً بأن يدلوا بأصواتهم (لم يكن النساء قد أصبح لهن بعد حق التصويت على أية مسألة من المسائل).

على المستوى الخاص وبين المسئولين كانت تلك المسألة تستحوذ على جزء من اهتمام أبى بكر على الرغم من مؤتمر ليجوس، وإنشاء إقليم رابع، وخطة التنمية، والجيش الموجود فى الكنغو، ومسألة التقشف، التى كانت تتطلب أيضًا الكثير من الاهتمام والتركيز كان هناك أيضًا زعماء سياسيون آخرون متباينون يرون على المستوى الشخصى تحبيذ النظام الجمهورى. وقد أوضح مستشار دستورى من الهند أن السابقة التى سيجرى التركيز على دراستها هى النظام الجمهورى رمز الرئاسة وليس النظام التنفيذى. عدم وجود أى شىء أكثر من مجرد التعليق الشعبى الذى جاء

على شكل رد فعل من الزعماء الآخرين بعد الخطاب الذى ألقاه الدكتور آزكوى، جاء بمثابة انعكاس لمضامين "الثلاثة الكبار" غير المؤكدة، لكنه جاء أيضًا بمثابة انعكاس لزعامة الحاج السير أبى بكر وقيادته (التى حاولوا التنديد بها والتقليل من شأنها بين رفاقهم). يزاد على ذلك أن رغبة الدكتور آزكوى فى أن يصبح رئيسًا صاحب سلطة كانت أمرًا مسلمًا به ولا يحتاج إلى الإعادة أو التكرار، لكن مسألة تغيير اللقب الذى أدى إلى التخلى عن الظل والمادة كما هما كانت أمرًا له سحره وجاذبيته عند الآخرين، كان آولوو بكل تأكيد من المؤيدين للانتظار إلى ما بعد الانتخاب الفيدرالى الذى ظن أنه سيفوز فيه، وكان المستشار السياسى الرئيسى غير مبال باللقب، لكن لن يوافق مطلقًا على رئيس للدولة تكون له سلطات حقيقية، وبخاصة إذا ما قدر لذلك الرئيس أن يكون جنوبيًا. وبحلول شهر مايو من العام ١٩٦٢ الميلادى كان أبو بكر قد كوّن آراءه الخاصة فى هدوء، وليعلم الجميع أنه سيقوم بتقديم مقترحات لإقامة النظام الجمهورى، فى البداية أمام زملائه الوزراء، ثم تقديمها بعد ذلك للمجالس التنفيذية الإقليمية، وأخيرًا أمام البرلمان. ومن أجل المحافظة على سعادة الجمهور (وهو ما يعنى الصحافة إلى حد بعيد) قام بتعيين لجنة شرفية وطنية برئاسة وزير العدل الدكتور إلياس لتطوف بالمقترحات لجمع أصوات المواطنين لمساندة إنشاء نظام جديد، متميز ومختلف عن قوائم الملك البريطانى نصف السنوية الخاصة بالألقاب التى من قبيل نوط الفروسية ونوط رفيق القديس ميخائيل أو القديس جورج، أو نوط عضو الإمبراطورية البريطانية.

فى شهر أغسطس وبعد العطلة التى أمضاها رئيس الوزراء فى باوتشى قال رئيس الوزراء للمراسلين إن ورقة بيضاء ستصدر عن الوضع الجمهورى، كما صرح الحاكم العام أيضًا فى إينوجو أنه ورئيس الوزراء اتفقا على بعض المسائل الأساسية الخاصة بالصيغة التى سيجرى التوصل إليها. وتوالت الأشهر، التى جرى خلالها تداول بعض المعاملات الورقية من وراء ستار حول المسائل المهمة، لكن الجماهير كانت

تضرب أخماسًا فى أسداس ولا تعلم شيئًا عما يدور. تلونت الآراء بفعل مقدميها واختلاف مواقفهم من تهمة الخيانة التي حوكم آولوو بمقتضاها، كما تلونت هذه الآراء أيضًا بشأن القضايا المرفوعة على كل من أكنتولا - أدجبنرو، كما اختلفت تلك الآراء أيضاً بشأن التبلد القانونى فى المجلس الخاص بصاحبة الجلالة فى مسألة الاستماع إلى الالتماسات ذات الأصداء السياسية، واختلفت تلك الآراء أيضاً بشأن شكوك بعض الناس فى أن القضاة الذين كانوا متحررين من السيطرة السياسية قد لا يكونون متحررين من التحامل الشخصى. وفى شهر أبريل من العام ١٩٦٢ الميلادى كان هناك إجماع غير رسمى مفاده أن الاتحاد الفيدرالى الذى تخول فيه السلطات للأقاليم لا يمكن أن يعطى رئيس هذا الاتحاد سلطات أكثر من السلطات التى كانت مخولة للحاكم العام السابق. كان ذلك هو الموقف الذى لا يحيد عنه رؤساء الوزراء الذين يترأسون التجمعات الحزبية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت، وذلك بغض النظر عن كل الاحتجاجات سواء أكانت احتجاجات قبلية أم إقليمية. كانت مختلف الحكومات تمارس سلطاتها بالتوازى، وكانت تفعل ذلك من باب الغيرة والحقد، وبغض النظر عن الدروس المستفادة من معالجة الحكومة الفيدرالية لأزمة الإقليم الغربى، كانت هناك دومًا اختلافات مهمة بين حلول هذه الحكومات للمشكلات المشتركة المدرجة على القوائم القانونية، كما تعين على تلك الحكومة أن لا تحرج ممثليها الدوليين. وقد أسفر قيام جريدة التايمز اللندية بعكس هذا الإجماع المباشر عن تقديم الدكتور أزكوى شكوى مفادها أن مراسلى هذه الجريدة كانوا يبذرون بذور الفرقة والنزاع.

بعد الوعد غير الرسمى الذى قطعه رئيس الوزراء فى مطلع جلسة الموازنة، أعلن الحاج السير أبو بكر أن الجمهورية سوف تعلن بمناسبة الذكرى الثالثة للاستقلال وبالتحديد فى شهر أكتوبر من العام ١٩٦٣ الميلادى، وذلك بناء على الاتفاق والتشاور الذى تم بين الحكومة الفيدرالية ورؤساء وزراء الأقاليم: **"لقد آن أوان مراجعة الوضع الحالى حتى يمكن أن يعكس تحقق السيادة والاستقلال.... قرر زعماء هذا البلد**

بمحض إرادتهم المحافظة على الرابطة الرسمية بالملكة باعتبارها رئيسة للدولة. وقد اتفقنا جميعًا على أن هذا الوضع كان مفيدًا فى المراحل الأولى من الاستقلال، وكنا ننظر إليه باعتباره ترتيبًا مرحليًا... وقد قام صاحب السعادة الحاكم العام بإبلاغ هذه الرغبة الشعبية والحكومية النيجيرية إلى صاحبة الجلالة. فى حين قمت أنا بإبلاغ ذلك إلى كل رؤساء حكومات الكمنولث". كانت ردود الفعل التى جاءت من كل حدب وصوب مواتية ومناصرة لما يجرى، وعليه أمكن إصدار التصريح التالى فى اليوم التاسع والعشرين من شهر أبريل. وأضاف أبو بكر بعد شىء من التفكير **"نحن لا ننوى الخروج من الكمنولث"**. وعليه جرى بعد ذلك نشر الورقة البيضاء. وقد استقبلت هذه العبارة بالهتاف الذى كان ينبعث من كل أركان المجلس.

وهنا يعود الفروج الأنجلو – ساكونى، فى نهاية المطاف إلى الوقوف على أغصان النقاش الصحفى السياسى. تأكد دومًا أن مسألة ترجمة دستور بريطانى غير المكتوب والذى يتمتع بأعراف وأحكام قوية، إلى مصطلحات فى منطقة تدور فيها الشكوك حول ما إذا كان الوزراء ومستشاروهم على استعداد للإبقاء والمحافظة على ضبط النفس البريطانى. حاولت "القنوات الرسمية" هى والوعى بالخطر المترتب على أحداث سوابق يمكن أن يستفيد منها الخصوم عندما يأتى بهم البندول إلى السلطة، منع مجلس الوزراء البريطانى من تعيين قضاة حزبيين بطريقة سافرة على منصة القضاء، ومن تعيين كونستبلات رئيسية فى المقاطعات (وأساقفة فى الدوائر الأسقفية)، لكن هذه المحرمات لم تكن لِتُفْرض بالقوة من الناحية القانونية. ولكن أثر هذه المحرمات تحقق فى الممتلكات والممالك الجديدة عن طريق تقديم نموذج لجنة الخدمة المدنية، كما جرى أيضًا تزويد الأمم الجديدة بلجان للخدمة الشرطية (لكن لم يجر تقديم أى نوع من أنواع الكنائس). كان قاضى قضاة الإقليم الشرقى السير لويس مبانيفو **Mbanefo** قد تحدث مؤخرًا إلى إخوانه القضاة: "لا خوف مطلقًا من أن يفقد القضاء استقلاله فى نيجيريا ما دام أن الدستور يصون استقلالها". لكن السياسيين كانت تراودهم مخاوف

مفادها أن القاضى بحكم سوابقه العرقية أو الموقعية، ربما تكون قد ترسبت داخله بعض الإساءات والتحاملات. ودار جدل كبير مفاده أن بعض لجان الخدمات هذه لابد وأن تكون تذكارات استعمارية، أولاً وقبل كل شيء (وبعد أن دارت عجلة الجدل دورتها)ألم ينصح رئيس الوزراء البريطانى للملكة بتعيين قضاة المحكمة العليا؟ ولماذا لا ينصح بذلك للرئيس النيجيرى المستقل؟ كان السواد الأعظم من محاميى الجنوب، هم والصحافة التى يؤثرون عليها، كانوا معارضين للتغيير، لكن الخبرة التنفيذية التى جناها السير أبو بكر مؤخرًا من المحاكم، وتفضيل الرجل لقيام الأنظمة والقضاة بالاكتشاف بدلاً من قيامهم بوزن حجج الخصم فى ظل السوابق والإجراءات، هما اللذان جعلا أبا بكر ميالاً إلى تفضيل الممارسة التى يمكن أن تسمح باختيار رجل عاقل شريف بدلاً من رجل متعلم لا يجد فيه أنداده المحترفون أية شائبة من الشوائب.

مع بداية فترة الراحة المعتادة داخليًا فى الإقليم الشمالى (لم يحدث أن قام أبو بكر مطلقًا بقضاء العطلة فى باريس أو البندقية، مثلما اعتاد بعض رفاقه)، قام رئيس الوزراء بترؤس اجتماع مغلق للسياسيين الوطنيين استغرق ثلاث ساعات فى مدينة جوس فى نهاية شهر يونيو من العام ١٩٦٣، تحدث فيه عن الدستور الجمهورى. قام المسجلون القانونيون الذين كانوا يُعِدُّون مسودة التعليمات التى جرت الموافقة عليها، بإدراج الرغبة الجماعية – وذلك من باب درء الشكوك - التى مفادها أن الرئيس واى حاكم من الحكام ينبغى عدم إعطائهما سلطات تنفيذية. ومن باب اكتساب الأهمية، فإن هذه الرغبة عندما جرى تناولها فى النزاع الدستورى الذى جرى فى العام ١٩٦٥ الميلادى، كان الرئيس chief جيروم يودوجى، كبير سكرتيرى رئيس وزراء الإقليم الشرقى، هو الذى أكد على أنه صدرت إليه توجيهات بعدم تخويل رؤساء الولايات، الفيدرالية والإقليمية أية سلطات تنفيذية (أى سياسية). عقد أبو بكر بعد ذلك مؤتمرين صحفيين، كان أولهما فى كادونا فى أواخر خلوته، قال فيه: إنه سيكون هناك

اجتماع عام للحزب في ليجوس فى اليوم السادس والعشرين لمراجعة التغييرات واستعراضها اللازمة، وأنه سيكون هناك عشرة ممثلين من كل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين على المستوى الفيدرالى، وستة مندوبين من الحزب الشعبى المتحد (الحزب الشعبى المتحد، هو حزب الرئيس أكنتولا الذى انسلخ عن حزب جماعة العمل)، وأربعة مندوبين من حزب جماعة العمل (الذى أصبح أنقاضًا على الرغم من بقائه على قيد الحياة)، ومندوبين عن كل حزب إقليمى أو فيدرالى من الأحزاب الأخرى التى فازت بمقاعد انتخابية. قال أبو بكر: إن الأحداث الأخيرة أثبتت حتمية قيام نيجيريا بتطوير نظامها الديمقراطى بمرور الوقت، بحيث يكون هذا النظام مميزًا عن النظام الذى ورثته عن بريطانيا. ثم أورد الرجل بعد ذلك كلمات يمكن أن تفسر تفسيرات مختلفة، لن يكون الرئيس الأول مجرد رئيسى اسمى، "**سيكون هو دومًا والد هذه الأمة**". وعلى الرغم من أن تاريخ الإقليم الغربى لم يكن له تأثير معاكس على الاستثمارات الأجنبية، "**يؤسفنى أن الوقت لا يُكَرَّس للبناء، وإنما يجرى تبديده فى تسوية الأزمات السياسية**". بعد ذلك بفترة قصيرة تحدث أبو بكر مرة ثانية فى ليجوس عن رغبة حكومة كل الأحزاب فى النظام الجمهورى: "**نحن نريد الاستقرار الذى هو أنجع الطرق لتحقيق السلام الذى ننشده جميعًا والوحدة التى ندافع عنها**". وسوف يتحدث الرجل بعد ذلك إلى زملائه فى مجلس الوزراء عن ابتكار نيجيريا لنظامها الديمقراطى الخاص بها.

مرت الأحداث العامة سراعًا. وقل الجدل الفكرى حول مسألة التعيينات القضائية عندما أبلغ الدكتور أُكبارا الجميع أن رؤساء الوزراء قد اتفقوا على مشروع للحجز التحفظى. قال أُكبارا، إن الجميع يعرفون أن التخريب منتشر، وأن الأسلحة يجرى تهريبها إلى البلاد، وأن الدولة يجب أن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها. لم يكن حزب جماعة العمل وحده هو الذى احتج احتجاجًا شديداً، بل إن جريدة **وست أفريكان بايلوت**، الناطقة بلسان حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، هى وكثيرين من

أعضاء الأحزاب، ودون أن يقتصر الأمر على المحامين وحدهم، ردوا ردوداً قوية. وأكد المستشار السياسى الرئيسى من جديد على مساندته لهذه الفكرة، لكن الجميع التقوا لإصدار القرارات المطلوبة.

أيد المؤتمر الدستورى العام للحزب تأييداً كبيراً كل المقترحات الفيدرالية التى عُرضت عليه. كانت تلك المقترحات تعكس الرأيين المتعارضين اللذين أعرب عنهما وتمسكا بهما الأكاديميون وأصحاب المصالح الفردية منذ زمن طويل، كان الرأى الأول يطالب برئيس "دستورى" أو "برلمانى" يتصرف بناء على مشورة مجلس وزراء يترأسه رئيس وزراء (يتصرف طبقًا لما يجرى فى الاتحاد الهندى، والديمقراطية الجديدة التى جرى اختيارها فى الكمنولث، وبالشكل الذى وصفه وحدده المستشار الدستورى)، أما الرأى الآخر من هذين الرأيين فكان يتناول مسألة الرئاسة القوية من منظوره إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو الاتحاد الفرنسى، أو الرئاسة الغانية، الأمر الذى يفضى إلى طيف محير من القيود والتوازنات التى تعترض مثل هذا النوع من الرئاسة، وهنا يتعين على واضعى الدستور الاختيار من بينها. وجرى التأكيد للمؤتمر على أن رئيس الوزراء الاتحادى ورؤساء وزراء الأقاليم، والحاكم العام وكذلك الحكام والنيجيريين العارفين بنفوذ هذا البلد **"أنهم ليسو جاهلين بمزايا كل نظام من هذين النظامين الرئيسيين من الأنظمة الجمهورية، فى الوقت الذى وافقوا فيه جميعًا، أنه فيما يتعلق باستفتاح النظام الجمهورى النيجيرى، على أن النظام الذى يناسب احتياجاتنا المعاصرة وآمال بلدنا وشعبنا وتطلعاته هو ذلك النظام الذى ينطوى على أقل قدر ممكن من التغيير عن الإطار الدستورى الحالى"**. وعليه فإن الرئيس يتعين عليه الاستمرار. بعد التغيير، فى السلطات المخولة له عندما كان حاكمًا عامًا فى ظل الدستور الحالى، الذى سيجرى تعديله **"بطريقة ديناميكية"**. ليناسب الوضع الجديد لبلدنا باعتباره جمهورية مستقلة تتمتع بالحكم الذاتى. وبذلك يكون الخيار الأسهل قد عصمنا من ازدياد الأمر سوءاً فى عالم يزداد فيه الارتباك.

كان هناك شبه إجماع بين الصحفيين والمراقبين على أن المؤتمر كان صريحًا وعادلاً، ولم يستبعد أي صوت من الأصوات التي كانت تود تقديم مقترح من المقترحات، وأن جميع المقترحات التي قدمت حظيت بالتقييم العادل، وقد امْتُدح الحاج السير أبو بكر على استعداده للاستماع وإعطاء بعض التنازلات على أساس من المنطق أو الاقتناع. وعلى الرغم من ذلك جرى إحداث الكثير من التغييرات المفصلة - التي ربما يكون كل واحد منها قد أوحى بخطاب جدلي منعًا لصدوره - من خلال جدول الأعمال الذي اكتملت مناقشة موضوعاته خلال يومين. كانت مسألة وجود قيادة فاعلة وصريحة ومتحضرة، أمرًا ضروريًا، وبخاصة أن الهدف الأساسي جرى قبوله بالفعل. كان البراجماتيون يرون القيود المفروضة على التغيير الديناميكي على أنها انعكاس للمثل السائر الذي يقول "إذا ما كانت الماكينة تعمل فلا تحاول إصلاحها". كان الرومانسيون يتغذون على التفسير التاريخي للمقدمة التي تستحق أن نقتبس عنها ما يلي: مسايرة مستقلة للوضع الجديد للبلاد باعتبارها جمهورية مستقلة لم تعد بعد مدينة بأي ولاء لصاحبة الجلالة، فإن نيجيريا يتعين عليها الإفصاح عن سيادة شعبها ورغبته عن طريق تغيير الدستور الحالي للاتحاد الفيدالي من تبعيته لمجلس صاحبة الجلالة، إلى دستور آلية مستقلة تأسست من أجل تشكيل كيان سياسي مستقل. الأمر لا يحتم فقط التأكيد على مبدأ الاستقلال السياسي الذاتي للجمهورية الجديدة. وإنما يؤكد أيضًا على مبدأ الاستقلال الدستوري لأبناء البلاد الأصليين.

وينبغي التأكيد على الطابع الفطري الكامل للحكومة الجديدة المؤسسة بواسطة النيجيريين في نيجيريا، ومن أجل النيجيريين، على أساس أن هذا الشكل الدستوري يعد شكلاً مقابلاً للشكل الدستوري القائم، الذي كان يعد مجرد مرسوم شخصي من ملك أجنبي لحكم رعاياه في نيجيريا. وهذا يتضح تمامًا في مقدمة الدستور:

بعد أن قررنا بصورة قاطعة إنشاء جمهورية نيجيريا الفيدرالية،
بغرض تأكيد وحدة شعبنا وإيماننا منا بأرض الأسلاف،

واستهدافًا منا لتطوير التعاون والتضامن بين الدول الإفريقية، ومن أجل تاكيد السلام العالمى والتفاهم الدولى، ومن أجل نشر الحرية، والمساواة والعدل فى بلدنا وفى العالم.

نحن الشعب النيجيرى، وفى البرلمان المجتمع هنا.... فى اليوم... من العام نعلن هنا سريان هذا الدستور والتزامنا به.

ربطت هذه اللغة بين خدمة الأمم المتحدة المدنية وعادت بالأمر إلى الحماس الأمريكى فى العام ١٧٧٦ الميلادى، لكنها كانت تفتقر تماماً إلى الفلسفة الإيحائية لذلك الحماس الأمريكى. كان الهدف نبيلاً بلا أدنى شك، على الرغم من تجرؤه على إعطاء البلاد سلطات خارج البلاد. ثم تدخل المقترحات بعد ذلك تفاصيل النظام.

يواصل الرئيس، مثلما كان يفعل الحاكم العام، احتفاظه فى منصبه الرسمى، بالسلطة الرسمية الاتحادية ويحمل اللقب الشرفى القائد العام للقوات المسلحة، ويمارس الرئيس سلطاته بشخصه أو من خلال مرءوسيه، ويمكن للبرلمان تخويل أى من هذه السلطات إلى شخص آخر أو سلطة أخرى. ومع ذلك، تكون مدة الرئاسة خمس سنوات عن طريق الاقتراع السرى من بين المرشحين الذين يُنصَّبون من قبل مالا يقل عن ثلاثة أعضاء البرلمان، إلى رئيس مجلس الشيوخ، ولابد أن يكون الرئيس مواطنًا نيجيريًّا ويبلغ من العمر ٤٠ عامًا أو أكثر، وأن يكون مؤهلاً للانتخاب لمجلس المندوبين. أما المجمع الانتخابى فسوف يتكون من مجلس الشيوخ ومجلس الممثلين (المندوبين)، وباستعمال صيغة المهزوم عن طريق الأصوات وذلك لضمان أن يكون الفائز فى الانتخاب حاصلاً على الأغلبية البسيطة من المجمع الانتخابى كله، أو أن يكون الفائز النهائى حاصلاً على أغلبية الثلثين فى تفوقه على غير الفائز. ويجوز إعادة انتخاب الرئيس، لكن بشرط أن لا يحتفظ بأى منصب آخر سواءً أكان سياسيًا أم شعبيًا أو حكوميًا أو محليًا. ويمكن إبعاد الرئيس بناء على إجراء برلمانى لا يختلف عن الإجراء المستخدم لإزالة أى قاضٍ من قضاة المحكمة العليا فى بريطانيا، لكن هذا

الإجراء لابد أن يشتمل على لجنة تحقيق مشتركة من المجلسين، وأن يكون ذلك شبيهًا من الناحية الشكلية بالاتهام الجنائى الأمريكى، وأن تبحث هذه اللجنة دعاوى سوء التصرف أو العجز عن تصريف مهام الوظيفة بكفاءة واقتدار. ويجوز للرئيس ممارسة أى من هذه السلطات بناء على نصيحة وزارية وطبقًا للدستور، ولا يمكن للرئيس السفر إلى الخارج دون موافقة مسبقة من مجلس الوزراء ويجوز للرئيس ممارسة حق العفو بناء على نصيحة من اللجنة الاستشارية، وأن يكون العفو باسم الرئيس شخصيًا وليس باسم صاحبة الجلالة.

وهنا يجب النص على السلطات التنفيذية التى لا ينبغى استعمالها أو ممارستها على نحو يعرقل أو يعطل أو يسىء إلى حكومات الجمهورية أو ينزل الخطر ببقاء الاتحاد واستمراره. لا يجوز للرئيس إقالة رئيس الوزراء إلا بعد أن يجرى سحب الثقة منه بواسطة المجلس الأدنى، ولا يجوز للرئيس تخويل سلطة رئيس الوزراء لأى وزير آخر فى حال وجود رئيس الوزراء فى الخارج أو فى حال عجزه لأى سبب من الأسباب عن القيام بمهام منصبه. كان لابد من إنشاء منصب النائب العام الفيدرالى، بصفته وزيرًا للعدل (كان ذلك المنصب يؤخذ على أنه قضية مسلم بها فى ذلك الوقت)، وتبقى مسئولية النائب العام شخصية فى توجيهه وإصدار تعليماته إلى رئيس النيابات، ولا تدخل سلطته ضمن مسئولية مجلس الوزراء، ويتصرف مدير النيابات بتوجيهات من حزب جماعة العمل ولا يتمتع بحصانة الإقامة بصفته قاض من القضاة.

لا يجوز لأى إقليم من الأقاليم إنشاء سلطة مدنية أو قوة شرطة حكومية محلية لاستخدامها خارج حدود الإقليم، أو لتنفيذ القانون على المستوى الإقليمى. حدث تغيير بسيط فى نصوص الخدمة العامة (تقرر لمدير المراجعة، وذلك على العكس من مدير النيابات، الاحتفاظ بالحماية بصفته قاضيًا فيما يتعلق بالإقالة التعسفية)، وجرى الاستفادة بدرجة كبيرة من إلغاء الشروط الفاسخة الأمر الذى أدى إلى تعيين الدبلوماسيين، والموافقة على القوانين، باسم الملكة. وفيما يتعلق بالمجالس التشريعية

انصب التغيير الرئيسى على إنهاء إمكانية اختيار غير النيجيريين أعضاء فى مجلس الشيوخ ليتحدثوا عن مصالح خاصة. وأُبقى على آليات تحديد الدوائر الانتخابية الجديدة والإبقاء أيضًا على عدد هذه الدوائر، وعدم إضافة أقاليم جديدة.

لقيت رغبة الحكام السياسيين الراسخة، التى تمثلت فى التخلص من اللجان القضائية معارضة منطقية، على الرغم من سخونتها، من أعضاء حزب جماعة العمل فى المؤتمر، وقلة قليلة من الأعضاء الآخرين وبطريقة هامشية، جاءت مساندة حزب جماعة العمل لغير صالح قضية المحامين. وصمد أبو بكر صمودًا دستوريًا عتيدًا، لكنه كان سعيدًا بإمكانية تغيير الدستور، إذا ما تم ذلك علانية من خلال ممثلى الشعب الدستوريين. أما التغييرات القضائية فقد بدأت من أعلى: كان منطقيًا أن يسير إلغاء تدخل الملكة الاسمى فى تعيين الحكام المنابين والمبعوثين فى خط مواز لإلغاء حق الاستئناف النهائى من نيجيريا وإحالته إلى اللجنة القضائية التابعة لمجلس صاحبة الجلالة فى المملكة المتحدة، وهذا المجلس متعارض إلى حد بعيد مع رؤساء الاستئناف عندما يكونون من الناحية الاسمية خاضعين لرئاسة وزير العدل كما هو الحال فى مجلس اللوردات فى اختصاصاته الاستئنافية. انصب الجدل الرئيسى على ما مفاده أن "المجلس الخاص"، الذى كان يضم أيضًا "أصحاب المناصب القضائية الحالية" من أجزاء كثيرة أخرى من الكمنولث (بما فى ذلك نيجيريا نفسها)، على تشجيع وحدة التعامل مع المبادئ الحيوية فى القانون العام وفى المذكرات التفسيرية، من منطلق الأحكام القاطعة الواردة فى ذلك القانون بشأن الاستئنافات التى ترد من دول الكمنولث التى ورثت القانون الإنجليزى العام والنظام القانونى أيضًا. كان يجرى الاستشهاد بآراء اللجنة القضائية التابعة للمجلس الخاص، فى الولايات القضائية القانونية العامة كما هو الحال فى الولايات المتحدة. فقدت مسألة فقه القانون أو فلسفته جاذبيتها عند السياسيين العاديين.

تقرر أن تضم محكمة الاستئناف، بصفتها المحكمة العليا، فى أضعف الأحوال قاضيًا يزكيه إلى الرئيس رئيس وزراء كل إقليم من الأقاليم. يتم تعيين كل قضاة القضاة، والقضاة فى المحكمة النيجيرية العليا والمحكمة العليا فى ليجوس بواسطة الرئيس بناء على توصية من رئيس الوزراء، الذى يجوز له استشارة من يجده ضروريًا فى هذا الأمر، ويجوز للأقاليم أن تكون لها محاكم الاستئناف الخاصة بها. يكون تعيين الموظفين القضائيين الذين يكونون من قبيل القضاة الجزئيين من مسئوليات لجنة الخدمة العامة شأنهم فى ذلك شأن الموظفين المدنيين الآخرين (مثلما كان الحال أيام الاستعمار، عندما كان السواد الأعظم من الموظفين القضائيين، وعلى الرغم من سلطاتهم المحدودة، رؤساء أحياء يتولون محطاتهم الإدارية)، ويجب إنشاء قضاء للصلح بواسطة النائب العام (وزير العدل). وبدلاً من أن ينصح رئيس الوزراء للحاكم العام بتشكيل محكمة خاصة للتحقيق فى مزاعم أو دعاوى سوء سلوك أو عدم كفاية أى قاضى من القضاة. ثم إحالة الأمر بعد ذلك إلى اللجنة القضائية التابعة للمجلس الخاص لصاحبة الجلالة للبت فيه، جرت الموافقة على مخاطبة الرئيس للقاضى على عنوانه بإقالة القاضى بحيث تكون تلك المخاطبة مصحوبة بموافقة ثلثى أعضاء مجلس البرلمان. هذا يعنى أن ممارسة العرف البريطانى كانت لا تزال على السطح.

حدث صدع خلال الجلسة الثانية للمؤتمر؛ فقد أثير موضوع الحجز الوقائى، ووافق الحاج السير أبو بكر عن طيب خاطر أنه هو والدكتور أُكبارا، والرئيس أكنتولا، والمستشار السياسى الرئيسى كانوا جميعًا راضين عنه، وأن ذلك كان قائمًا منذ فترة طويلة. وأكد أبو بكر أن العناصر التخريبية، كانت معروفة بتآمرها، لكن الشرطة عجزت عن فعل أى شىء لتنفيذ القانون أو تدخل القضاء إلا بعد وجود أدلة حقيقية على القيام ببعض المحاولات لتخريب الدستور (عندما كان باب الاستقرار لا يزال مفتوحًا). أحس أكبارا بالحرج عندما بدأ كل من الرئيس فستوس أوكوتاى - إيبوه، والسيد/ آر. إيه فانى.كايوود Fanikayode، والرئيس أولو آكنفوسايل، وكلهم أعضاء

فى حزبه، يعربون عن عدائهم له، وقد ساندهم فى ذلك العداء الدكتور شايك Chike أوبى Obi (من الحزب الديناميكى)، وأبو بكر جالنجو (من حزب مؤتمر الحزام الأوسط)، وأبو بكر روكوجى (من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى)، كما ساندهم أيضًا بولا Bola إيج Ige وداود آدجبنرو من حزب جماعة العمل. وبدأ المستشار السياسى يراوغ مستخدمًا كلامًا ذا معنيين - قد يتطلب الأمر تنفيذ القانون فى الجنوب، على الرغم من أن ذلك يبدو أمرًا غير ضرورى فى الشمال المتمسك بالقانون، لكن الرجل وافق على احترام الرأى العام ورأى أصحاب المقاعد الخلفية المشوب بالعصبية، فى الوقت الذى أرجأ رئيس الوزراء صياغة قرار والتصويت عليه إلى ما قبل انتهاء المؤتمر بوقت قصير. وقام أبو بكر بمناقشة مستفيضة مع رؤساء وزراء الأقاليم على انفراد، إلى أن جرى إسقاط هذا الأمر من جدول أعمال المؤتمر فى نهاية المطاف. وهذه هى المرة الأولى التى تقف فيها وإلى حد ما صحافة البلاد وقفة صامدة هى وزعماء الخط الثانى السياسيين فى مواجهة الحكام الفيدراليين والإقليميين.

وهنا يتعين علينا حذف جميع الإشارات والاستشهادات بقانون التفسير البريطانى الذى صدر فى العام ١٨٨٩ الميلادى، والذى جرى استخدامه قاعدة أساسية من قبل دول الكمنولث الأخرى لتقدير الشكوك الدستورية الخاصة بمعانى المصطلحات القانونية، هذا القانون جرى استبداله بقانون تفسيرى نيجيرى. واتُّفِقَ على أن تصبح التغييرات التى سيجرى الاتفاق عليها جزءًا من القوانين الإقليمية إذا ما تطلب الأمر ذلك. واتفق على تعيين حكام الأقاليم بواسطة الرئيس ولمدة خمس سنوات وذلك بناء على توصية من رئيس الوزراء، بعد التشاور مع رئيس الوزراء الاتحادى، وليس بناء على قرارات صادرة عن الجلسات المشتركة للمجلسين، وفى حال غياب الغيار (البديل) الرسمى، يقوم رئيس مجلس الرؤساء بأعمال الحاكم مؤقتًا. ظهرت بعد ذلك بثلاثة أيام المقترحات التى جرى الاتفاق عليها، على شكل كتاب أبيض مثلما وعد رئيس الوزراء

من قبل، وجرت الموافقة على هذا الكتاب الأبيض فى مناقشة قصيرة فى اليوم الأخير (اليوم السابع من شهر أغسطس) من أيام المؤتمر والذى عقد فيه اجتماع قصير لمجلس المندوبين والذى جرى فيه أيضًا الموافقة على ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية. ولم تلق الانتقادات الصادرة عن أصحاب المقاعد الخلفية وعن نقابة النصوص القضائية، أى رد من المؤتمر، كما لم يرد عليها أيضًا أى وزير من الوزراء، واقتصر الأمر على قيام رئيس الوزراء وحده بتلخيص الرأس الشعبى: "**نحن لم نصادف شيئًا فى علاقاتنا مع المملكة المتحدة، بحكم أن الملكة كانت عاهلة لنا، لكننا رأينا فى إطار خلفيتنا الإفريقية أن من الأفضل لنا أن يكون لدينا رئيس للدولة، نيجيرى فى نيجيريا، يمارس كل مهام رئيس الدولة وصلاحياته**". يضاف إلى ذلك أننا وجدنا أن الجمعية التأسيسية لا ضرورة لها نظرًا لأن المشرعين الفيدراليين لهم السلطة الكاملة فى تعديل الدستور.

كان أوان اهتمام أبى بكر بالتعليق المعاصر الصادر عن السير ملتون مارجاى فى سيراليون، والذى يرجم الرجل فيه بالغيب، قد فات، وكان صاحب هذا التعليق يشرح فيه تفضيله للنظام الملكى: "إذا ما أصبح إنسان يسمى بالحاكم العام"، فكل إنسان يعرف (وهو نفسه يعرف ذلك) أنه ليست له سلطة سياسية. وإذا ما سمى مثل هذا الإنسان رئيسًا، حتى وإن كانت سلطاته هى سلطات الحاكم العام، نظرًا لأننا محاطون برؤساء لهم سلطات كاملة، فإن عاجلاً أو آجلاً فإن البشر الآخرين (بما فيهم هو نفسه) سيعرفون أنه مخول بعض السلطات ـ وسيترتب على ذلك وجود بعض المتاعب بينه وبين رئيس وزرائه.

وجد الحاج السير أبو بكر نفسه مضطرًا إلى الرد على هذا التململ الشعبى واسع النطاق، وهاجم الصحافة والإذاعة على الدور الذى قامتا به فى نشر هذا الكلام:

> **"أود أن أتطرق إلى موضوع جرى حوله جدل كبير، وناقشناه فى مؤتمر كل الأحزاب، كما ناقشناه أيضًا فى اجتماع رئيس**

الوزراء الاتحاد برؤساء الوزراء فى بلدة جوس، هذا الموضوع هو ما يسميه الناس قانون الاحتجاز الوقائى... ونحن عندما نعود إلى العام ١٩٥٧ الميلادى فأنا أعتقد - وقد قلت هذا الكلام فى ذلك الوقت - أن الدستور كان جافًا تمامًا. هذا الدستور لم يعط الحكومة فرصة التعامل مع المواقف الصعبة جدًا، أى أنه يفتقر إلى إعلان حالة الطوارئ.... ونحن لا نستطيع التعامل مع الأفراد الذين يقومون بالتخريب. ونحن لا نستطيع التوقف ولا نستطيع الصبر على أولئك الذين يخططون للشر... وهذا هو السبب الذى جعلنا.... نبحث عن وسيلة من الوسائل التى تخول للحكومة، من خلال البرلمان سلطة، الحد من حرية المواطن النيجيرى... نحن لا يمكن أن نحتجز أى إنسان لمدة تزيد عن أربع وعشرين ساعة ـ هذا هو القانون الجنائى. نحن نعلم علم اليقين أن مجموعة صغيرة من الناس يجرى تدريبهم للإخلال بالأمن؟... المحزن فى هذا الموضوع كله، أن العقول التى تدبر ذلك ليست عقولاً نيجيرية، وإنما هى عقول خارجية تلك التى تنظم كل هذه الأشياء فى هذا البلد، وهذا هو الشىء المحزن فى هذا الأمر. النيجيريون الذين يخونون بلادهم، والذين هم من أصحاب المطامح والذين يودون الإخلال بأمن بلادهم، لابد من التعامل معهم بقسوة".

جرى بالفعل إسقاط فكرة الحجز الوقائى، لكن أبا بكر على حد قوله كان لا يزال يريد من الناس، فى ضوء ما يجرى من أحداث فى البلدان الأخرى، أن يفكروا فى أساليب يمكن بها إنقاذ البلاد من التخريب الخارجى. ومن المهم أن نلاحظ هنا أن

أبا بكر كان يثير هذا الأمر فى إطار من المناقشات الدستورية والوطنية، وكان يطلب من الناس البديل عن إجراء من هذا القبيل إذ كانوا متفقين على أن حماية المواطن وتأمينه هما من مسئولية الحكومة، يزاد على ذلك أن أبا بكر لم يشرقط إلى استخدام نيكروما لقانون الحجز الوقائى فى غانا الجديدة.

واصل السير أديتوكنبو Adetokunbo أدمولا، قاضى القضاة الفيدراليين تعبيره عن خيبة أمله وإحباطه، فكلما كان يتحدث إلى الرابطة البريطانية النيجيرية أو فى أى مكان آخر، عن قطع الروابط مع المجلس الخاص، الذى شارك هو فيه كلا من الدكتور آزكوى وأبى بكر. كان الرئيس إف آر إيه وليامز، الذى هجر السياسة وعاد إلى ممارسة عمله، قد ذكر مجلس الرؤساء فى الإقليم الغربى هو وأعضاء الرابطة، بالخطبة التى ألقاها مؤخراً الدكتور إلياس إمام اللجنة الدولية لفقهاء القانون عندما كان نائباً عاماً، تحدث الدكتور السياسى أيضاً عن معارضة ندب القضاة الإقليميين إلى المحكمة العليا، وتكلم أيضاً عن إعطاء الأقاليم أشكالاً جديدة من محاكم الاستئناف. فى مجلس الجمعية العمومية الشمالى كان إبراهيم إمام يرى أن التغييرات أعطت المبررات للتمديد للبرلمان خمس سنوات أخرى "حتى يمكن الانتقال من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى". لكن كانت هناك بعض الشكوك الشعبية القليلة، وشىء من الوعى الشعبى بالتغيير الحقيقى. ويجتمع مجلس المندوبين (الممثلين) مرة ثانية فى اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر للاستماع إلى الحاج السير أبى بكر وهو الاقتراح الرسمى لقراءة لائحة دستور الجمهورية الفيدرالية للمرة الثانية. حدثت بعض التعديلات الطفيفة فى قصديات الكتاب الأبيض، منها على سبيل المثال، غياب محاكم الاستئناف الإقليمية، فى حال سحب الثقة من رئيس الوزراء ورفضه الاستقالة يكون من حق الرئيس حل البرلمان، ومن باب القضاء على المزيد من الوساطة القضائية فى موضوع الفضيحة المصرفية أو التحريات والتحقيقات المماثلة يكون من حق الحكومة الفيدرالية والحكومات

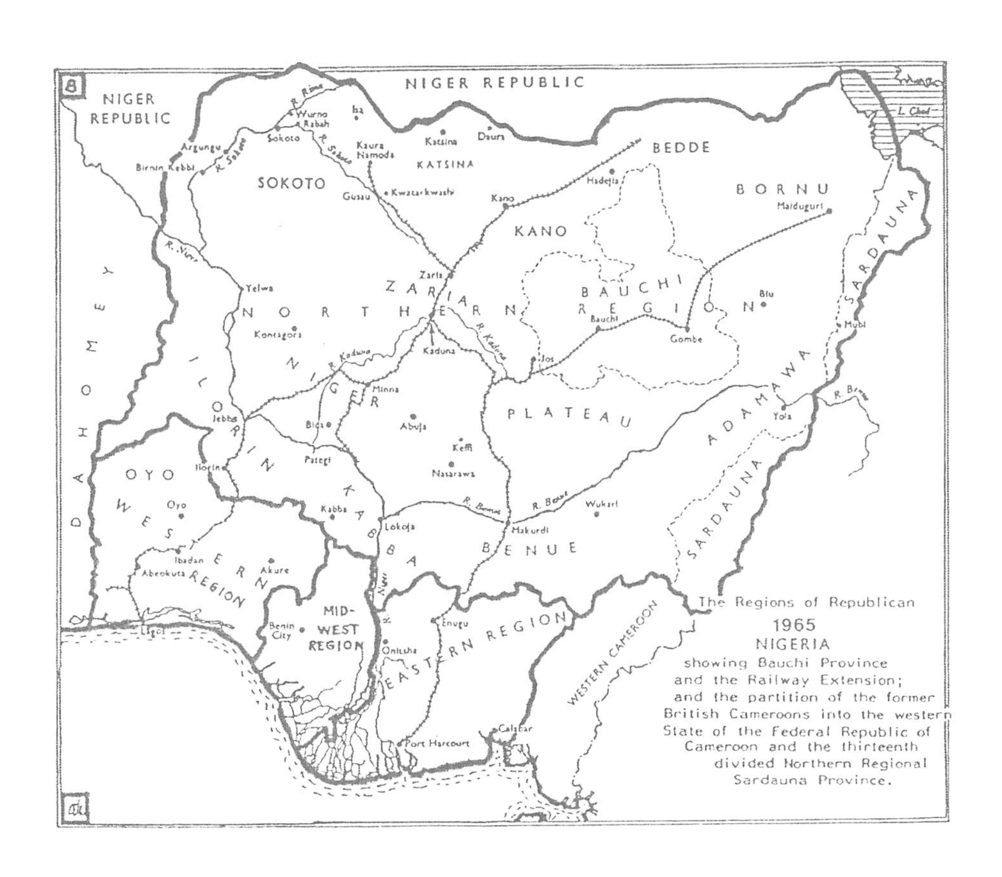
الإقليمية تشكيل محاكم للتحقيق فى مثل هذه الأمور داخل اختصاصات المجالس التشريعية فى الأقاليم. وقام حزب جماعة العمل، ضعيف الحال، بإحداث انقسام فى المجلس حول مسألة النصوص الخاصة بإقالة رئيس الوزراء وحل البرلمان، وفقدان مديرى النيابات لاستقلالهم. وطالب السيد/ دبليو أو برجز Briggs الدجيمى بإلغاء لجنة الخدمة القضائية التى تعد "توأمًا لقانون الاحتجاز الوقائى"، لكن القانون جرى تمريره على وجه السرعة بلا مساس.

خارج المجلس، كان رئيس الوزراء قد رفض استعمال الاسم "سونغاى" Songhai ليكون بديلاً عن اسم البلد: "الاسم [نيجيريا] لطيف وكاف". جاء رأى رئيس وزراء الشمال المعاصر مبرزًا أو مؤيدًا للوحدة النيجيرية وجاعلاً منها وضعًا ملحوظًا لأن هذا الرأى لم يهتم أو يلقى بالا للعوائد أو الاستثمارات الإنسانية الفردية. كان المستشار السياسى الرئيسى، وهو يقرأ خطبة، تحتوى على بعض الأفكار الإنجليزية التى جرى إدراجها على عجل، والتى شرحها ووسعها المترجم الهوساوى، سعيدًا وراضيًا بأن نيجيريا مشتركة فى نهرى النيجر وبنيو، وفيها أيضًا شبكة من الطرق، والسكك الحديدية، والمواصلات، ولها أيضًا منافذ إلى العالم الخارجى عن طريق الميناءين البحريين فى بورت هاركورت وأبابا Apapa، وعن طريق مطار كانو أيضًا، وأن كل جزء من البلاد يعتمد على الأجزاء الأخرى فى تبادل الخدمات، وتبادل المحاصيل، وعقب الرجل بعد ذلك قائلاً: إن عدد السنين التى جمعت بين هذه الأقاليم كان لها "تأثير وحدوى عجيب". وهذا هو كل ما فى الأمر.

فى يوم الجمعة التالى لتمرير القانون أعلنت الجريدة الرسمية "أن نانمدى آزكوى سيجرى انتخابه رئيسًا للجمهورية فى اليوم الذى سيبدأ فيه سريان الدستور". وفى اليوم الأول من شهر أكتوبر من العام ١٩٦٣ الميلادى، وبحكم أن ليجوس جرى تحديدها على أنها المدينة "الأولى" فى نيجيريا، أرسل الرئيس الجديد رسالة إلى رئيس

وزرائه يعبر فيها عن "عميق شكره وتقديره وسعادته بارتباطنا المثمر"، ويقر أيضًا فى هذه الرسالة بأنهما "عملا سويًا فريقًا واحدًا على أرضية وأساس من الاحترام المتبادل والوحدة". وهنا تحتم أن تكون الإشارات إلى الرئيس فى النتائج التى يخلص إليها (مجلس الوزراء) واضحة تمامًا، وبذلك أصبح واضحًا تمامًا أن الرئيس هو "رئيس المجلس". وأصبح واضحًا أيضًا أن "خطبة العرش" ستكون من حق "الرئيس" (أو الحاكم) وكذلك الخطبة التى تلقى فى جلسة الموازنة التى يعقدها المجلس التشريعى.

لكن لا تزال فى خلفية الموضوع أمور أقل تفاهة يتعين الالتفات إليها وتناولها.



The Regions of Republican 1965 NIGERIA showing Bauchi Province and the Railway Extension; and the partition of the former British Cameroons into the western State of the Federal Republic of Cameroon and the thirteenth divided Northern Regional Sardauna Province.

الفصل السابع والثلاثون

تشجيع الاقتراعات يهدد مستقبل الديمقراطية

إذا ما جاءت النهاية، فلن يمكن تحاشيها(*)

كان موضوع الحديث الذى وجهه رئيس الوزراء إلى الأمة بمناسبة الذكرى السنوية الثانية على النحو التالى: **"الهدف الرئيسى للحكومة هو الأمن، بمعنى حماية الأرواح والممتلكات... والهدف الأساسى لأولئك الذين فى الحكم هو تحقيق أهدافهم عن طريق الإقناع – أكرر، عن طريق الإقناع، الذى يعد فنًا أرقى من الإجبار.... مشاكلنا فى نيجيريا لا يمكن تناولها منفصلة عن بعضها – بلادنا يسهل الوصول إليها بسهولة** من أى ركن من أركان الأرض". هناك أحداث وقعت خلال الاثنى عشر شهرًا التى سبقت إعلان الجمهورية، ويتعين تسجيلها، لأن هذا الموضوع مرتبط بتلك الأحداث. وأول تلك الأحداث، يأخذنا ليعود بنا إلى الإقليم الشمالى، الذى جرى فيه تقوية منظومة المجلس المحلى، من وجهة نظر حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، لكن ذلك أزعج وكدَّر صفو أشملة الخدمة الوطنية الإدارية)، وذلك عن طريق تعيين مفوضين سياسيين محليين برتب وزراء طبقًا للنظام الذى جرى إدخاله فى الإقليم الشرقى. هؤلاء الرجال الحزبيون كانوا يترأسون مسألة الإشراف على تنسيق السلطات المدنية، ويقومون أيضًا

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب من المثل العامى المصرى "المُقَدَّر لابد من نفاذه" وهو قريب أيضًا من المثل الإنجليزى الذى يقول: Fly as fast as you will, your fortune will beat your trail "اهرب بأقصى سرعة، وسيكون نصيبك فى أثرك". (المترجم)

بكل الاتصالات المطلوبة مع الحكومة الإقليمية، فى معظم الحالات كان ذلك المقيم الحال يؤيد المفوض المحلى الجديد من منطلق الوظيفة الجديدة للسكرتير المحلى، التى تتساوى مع وظيفة السكرتير الدائم. هذه الوظيفة كانت تفتقر إلى رؤية هدسون - شارود الخاصة بالعُمد الاثنى عشر، والتى كان يمكن أن تضفى مهابة الدولة فى ظل التنسيق وليس التدخل من قبل السلطة الإقليمية.

أدت مساندة أمير كانو للمستشار السياسى الرئيسى فى العام ١٩٤٣ الميلادى، وقبوله للجميل الذى أسداه السير أحمد بللو عندما اصطحبه معه فى الزيارات التى قام بها للشرق الأوسط فى العام ١٩٥٨ وإلى أمريكا فى العام ١٩٦٠ الميلادى (حيث غطى الصحفيون هذه الزيارة تغطية كبيرة)، وعندما جعله أحمد بللو حاكماً منابًا عندما قام بل Bell بإجازته فى العام ١٩٦١، أدى ذلك كله إلى تعزيز دلائل أولئك الذين اتهموا هذا الرجل بالغطرسة والتعالى، فقد بدا لهم وكأنه على يقين من أن صداقته مع رئيس الوزراء ستحميه من أن يكبح أحدُ جماحه. كانت ماليات السلطة المحلية فى كانو قد انهارت إلى حد كبير، وفى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢ عجزت هذه الماليات عن الوفاء بأجور موظفيها أو الوفاء بالديون الأخرى، يضاف إلى ذلك أن الإمداد بالماء، وصناعة شراء القمح المحلية بصفة خاصة كانتا لا تجرى مراقبتهما فى ذلك الوقت لأنهما لا تحتاجان إلى هذه المراقبة أو المراجعة فى واقع الأمر. كانت الإدارة المحلية بعد الرفض والإحباط قد أغرقت كلا من وزارة الحكم المحلى ومكتب رئيس الوزراء بالبيانات والأدلة. كان المستشار السياسى الرئيسى، شأنه شأن رئيس الوزراء، يتطلع إلى مبادأة من جانب مستشارى السلطة المدنية فى كانو، تعمل على تخفيف مشاعر الغضب والإثارة عن الجانبين، لكن مسئولى السلطة المدنية المعادين لذلك كانت لهم اليد العليا، ولم تسنح الفرصة بإحداث تغيير محلى فورى. وعندما وجد بروس جريتباتش Greatbatch، سكرتير رئيس الوزراء، هو وإدارة كادونا، التى امتلأت ملفاتها بمكاتبات الإدارة المحلية المتغرطسه فى كانو، والتى ترفض ما اسمته "الذهنية الاستعبادية"،

وتسيء إلى زملائهم (من النيجيريين والبريطانيين)، وجد جريتبانش لزامًا عليه تحذير السير أحمد بللو كتابة فى ذلك الوقت، أن الوقت قد حان لإثبات من هى الحكومة، وإلا أدى ذلك إلى استقلال كانو، وأن سوء الإدارة المالية يعد مناسبة جيدة للتدخل وتوضيح أن أى أمير من الأمراء لا يمكن أن يكون فوق القانون، وليس أيضًا فوق الوزراء الإقليميين.

كانت المشورة الإدارية قد تلونت بما يفيد أن الأمير كان يستخدم أساليب قديمة ليسيء بها إلى الطريقة التقليدية لتملك الأراضى، وأن الأمير أصدر أحكامًا تؤثر على الأراضى وعلى الميراث فى محكمته وأن هذه الأحكام تتعارض مع الشريعة، لكن المشكلة الحقيقية كانت تتمثل فيما إذا كان الأمير أو مجلس الوزراء الإقليمى هما المسئولون عن إدارة الحكم السياسى، من خلال المفوض الإقليمى فى المقاطعة الثرية كثيفة السكان. لم يكن المستشار السياسى الرئيسى يصبر على سيادة أى إنسان، ومعروف أن المفوضين الإقليميين لهم من الناحية الرسمية الأولوية على سائر الرجال الآخرين فى المقاطعات، أيًا كانت الظروف والأعراف.

كانت حكومة الشمال قد عينت السيد/ ديفيد موفيت، الذى كان فى ذلك الوقت موظفًا إداريًا كبيرًا بين المقيمين أصحاب الحظوة عند المستشار السياسى الرئيسى، ليصبح مفوضًا أوحدًا للشئون المالية فى إدارة كانو المحلية. أبلى الرجل بلاء حسنًا خارج اختصاصات وظيفته، وكان له نشاط وحيوية كبيرة أيضًا فى مجالات أوسع تتعلق بسوء الإدارة، الأمر الذى كان يعكس التدخل من قبل الأمير، وعرقلته للأمور أو لا مبالاته، هذه هى السمة المميزة للإدارى العام الذى يقتصر على الرأى الشائع الذائع ويرفض الرؤية الفرعية، والذى يقوم بفتح كل صندوق من مجموعة الصناديق الصينية المتداخلة الموضوعة أمامه، الأمر الذى يُكْسِبَه كراهية المتخصص الدارس من ناحية والمدافع السياسى من الناحية الأخرى. وبهذه الطريقة يكون قد استعمل مهاراته

الذكائية فى هزيمة الجهود الوقحة من جانب مؤيدى الأمير والتى تهدف إلى إيقاع المفوض نفسه فى تهمة الابتذال وعدم الالتزام.

تعين على ديفيد موفيت مواجهة مقاومة سياسية من قبل الأحزاب والطوائف المؤثرة فى كانو، التى أصبحت مثارًا لحديث الناس نظرًا لأن المفوض الإقليمى المدعو على كان من رجال سكتو، ولأن وزير الحكم المحلى (سول جايا، الذى كان يرى الحقائق التى جرى الكشف عنها رؤية سريعة ومتعجلة) كان هو نفسه من مدينة كانو نفسها. يزاد على ذلك أنه كان هناك أيضًا تقرير مرحلى، هو عبارة عن محاولة غير جادة من جانب عضو من المجلس التنفيذى أعرب فيه عن تخوُّفه، من إعادة المفوض إلى المجال المالى الضيق، وكان هناك أيضًا تردد من جانب الحكومة فى ضمان سحب الخزانة المحلية لمبالغ كبيرة على المكشوف، كما جرى أيضًا إلقاء القبض أو توقيف سلسلة كبيرة من مسئولى الإدارة المحلية، حدث ذلك كله قبل أن يقوم الأمير بتقديم الأدلة فى نهاية المطاف، ومع ذلك، قام مجلس وزراء الشمال بكامله وبتأييد من إدارته، بالإعراب عن تصميمه على أن تمضى العملية قدمًا، مهما كانت قوة النتائج التى سيجرى الوصول إليها.

كان وزراء الشمال الفيدراليون فى ليجوس، أقل تحديًا سواء على الصعيد المباشر أو الصعيد الشخصى، ويرون الأمر من منظور مختلف تمامًا. فيما يتعلق بإينوا Inuwa وادا وذكرياته عن مظاهرات العام ١٩٥٣ الميلادى (الفصل السادس عشر)، كان لديه كل الأسباب التى تجعله يعرف أن كانو كانت دومًا عبارة عن علبة من علب الصُّوفان(*) الجاف، على الرغم من أن سانوسى Sanusi كان يقلل من شأن هذا الرجل. كان الحاج السير أبو بكر هو ومحمد رباط، اللذان أحسًّا بالقلق والخوف مما يمكن أن تسببه المظاهرات التى اندلعت من جديد فى كانو، من الإساءة إلى سمعة البلاد، جراء

(*) علبة الصوفان: علبة تحتوى على فتائل من الصوف تقدح فيها النار. (المترجم)

الصراع الذى لا يبقى ولا يذر بين اليوروبا، كانا قد حثا المستشار السياسى الرئيسى أن يكون أكثر تحوطًا وحذرًا (كان أبو بكر قبل ذلك قد نصح المستشار السياسى الرئيسى نصحًا مشددًا من أن يعطى مبررات للشكوك الشعبية التى مفادها أنه يود التألُّب على سلطان سكتو ومن بعده شيخ برنو)، كان كل من الشيخ شاجارى، وميتاما سول، وبوكار دبشاريما يغلب عليهم الموافقة على ما يجرى. ومن هنا جاءت موافقة الحاكم السير كاشيم إبراهيم أشد قوة وتصميمًا. أما فيما يتعلق بأمين كانو، فقد تشاور معه المستشار السياسى الرئيسى، لكن لم يثق بما سمعه من الرجل.

على الرغم من أن السير أحمد بللو، كان مشتتًا، فقد ظل مصممًا على أن حزب المؤتمر الشعبى بقيادة سكتو ينبغى أن يحكم الحكام التقليديين بغض النظر عن النتائج أيًا كانت. وقد تشجع السير أحمد بللو فى موقفه وتشدده بفضل أولئك الذين انسلخوا عن حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد وعن حزب حركة شباب برنو لينضموا إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بعد أن خاب أملهم بسبب الأحداث التى جرت مؤخرًا فى حزب جماعة العمل، والذين كانوا يرون أن الالتفاف حول علم النجاح يمكن أن ينعكس على سلوك الجماهير فى كانو. فى التحرى الذى قام به موفيت، وهو أهم التحريات التى عادت إلى ما فعله شارود - سميث قبل ذلك بعقد من الزمان، أضيفت إلى لغةالهوسا الثرية كلمة نابيه Harrajin (ضريبة الرءوس)

أو Gorsuch لتعنى: [an yi masa Muffet من صُنع موفيت]، وخلال فترة قصيرة بعد ذلك جرى أيضًا الإمساك بمن هم أقل رتبًا من الأمراء وجرى التخلص منهم. هذا يعنى أن الأمر كان يتطلب إحداث تغييرات جذرية، على الرغم من أن الآثمين الحقيقيين من بين أعضاء المجلس كانوا قد بدأوا فى الهرب، وجرى بعد ذلك نشر كتاب أبيض، وجرى تفويض الحاج عيسى كيتا ليشرح للحاج السير أبى بكر هو وزملائه الشماليين فى ليجوس أن القرار جرى اتخاذه للإطاحة بمحمد السانوسى Sanusi ونفيه مع ما يكفيه من البدلات والمخصصات، وأن العملية لا يمكن أن تتوقف. قال السير الحاج

أبو بكر مؤيداً من كل من محمد رباط واينوا وادا **"لا يمكن القيام بهذه العملية، وإلا اشتعلت النار فى كانو"**. وهنا أبلغهم مبعوث كاتسنا أن المستشار السياسى الرئيسى لن يغير رأيه، وأن هذا الذى يجرى من مسئولية الإقليم وليس من مسئولية الاتحاد الفيدرالى، وهذا عكس ما يقوله أبو بكر.

مضى الشمال قدماً فيما أقدم عليه، واحتاط للأمر بأن طوّق كانو بكتيبتين من الجنود الفيدراليين. الأمر الذى أثار دهشة الحاكم إلى حد بعيد، وقبل الأمير مصيره المحتوم بلا جدال علنى، وقدم استقالته بعد أن تشاور السير كاشيم مع مجلس الرؤساء، لو كانت أخطاء ذلك الأمير طفيفة، لتعرفها جيداً ومنع الآخرين من الوقوع فيها، هذا فى الوقت الذى كان أولئك الذى ينصحونه يخافون من إرادته الصلبة التى لا تلين ويخشونها. قام أمين سانوسى ولد الأمير والذى كان يعمل بالقاهرة عضواً فى الخدمة الديبلوماسية، بالاقتراب من رئيس الوزراء للتوسط فى مسألة النفى. قام الحاج السير أبو بكر بمناقشة هذا الأمر مع الحاج السير أحمد بللو، واستقر الرأى أن يكون النفى إلى بلدة آزار Azare، مركز رئاسة إمارة كاتاجوم، فى مقاطعة شمالى باوتشى، الواقعة شرقى كانو. على الصعيد الوطنى نجد أن انقسام الرأى داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أدى إلى توحيد الصفوف، لكن حسرات رئيس وزراء الشمال بقيت وأدت السياسة المحلية فى كانو إلى نشوء طائفة موالية لسنوسى. مات إنوا وادا الذى خلف سانونسى بعد أقل من عام، وخلفه أدو بايرو Bayero شقيق سانوسى، معروف أن أدو بايرو كان سفير نيجيريا لدى السنغال، فى الوقت الذى أُعلن فيه قيام الجمهورية فى نيجيريا. أطلق بعض الذين لم يقوا على تفسير الأحداث العنان لخيالهم حول ما إذا كان الله (سبحانه وتعالى) قد قدَّر لإينوا Inuwa أن يحكم بغض النظر عن قصر مدة حكمه.

يوم أن كانت عملية "العزل" فى كانو تسير على قدم وساق حضر قادة البلاد افتتاح المدرسة الطبية فى جامعة ليجوس، فى مستشفى الجزء الرئيسى من البلاد.

وتوالى ظهور الأحداث الأجنبية الكبيرة. فقد صادفت زيارة نهرو لنيجيريا بعد مؤتمر الكمنولث فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢ الميلادى تجدد الاشتباكات على حدود الهند مع الصين، الأمر الذى أسفر عن إعلان حالة الطوارئ فى الهند، ونصحت بريطانيا والولايات المتحدة الرئيس الباكستانى أيوب خان بعدم انتهاز فرصة متاعب نهرو مع الصين، الاضطرابات الداخلية فى كشمير، وماجالند، ومدراس. ووعد الحاج السير أبو بكر بالمساعدة والدعم، وأتبع ذلك برد شعبى على المذكرة المكتوبة التى وصلته من الباندت نهرو:

"منذ العدوان الصينى الأول على لاداخ قبل خمس سنوات، وأنا أراقب بإعجاب كبير واحترام الدور الذى تلعبونه، وحدكم، فى استعمال الإقناع بدلاً من الانتقام فى احتواء الميول العدوانية الصينية.... نيجيريا متعاطفة مع الهند. ونحن لا يمكن أن ننظر إلى نزاع الحدوث بمعزل عما يدور، ونرى أن الحل السلمى لهذا النزاع مهم للمحافظة على السلام العالمى. شهامتكم فى تأييد طلب انضمام الصين إلى الأمم المتحدة أكسبتكم احترامًا كبيرًا من المجتمع الدولى. وعلى الرغم من أن الصين ليست ممثلة فى الأمم المتحدة، فلابد من حشد كل الضغوط من أجل جعلها تسحب قواتها... أما فيما يتعلق بالوضع الراهن... فأنا موافق عليه تماما... أن المشكلة ليست مشكلة خاصة بتعديلات فى الأراضى... إن قُدِّر للتحضر أن يسود بيننا.... أما النظرية الصينية التى تقول "القوة على حق" فلا يمكن الدفاع عنها أو الاحتفاظ بها، والبلد الذى يعتنق مثل هذه النظرية يجب أن يُدَان".

صادف ذلك توبيخ الدكتور نيكروما للسيد/ ماكميلان على إرساله مساعدات للهند، لكن الجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت ضد قبول عضوية الصين بمعدل ٥٦ إلى ٤٢ وامتناع اثنى عشرة دولة عن التصويت (كان من بين ١١٢ عضواً هم أعضاء الأمم المتحدة اثنان وثلاثون عضواً من إفريقيا وثلاثة وعشرون عضواً من آسيا).

اشتملت الأحداث التى وقعت فى أواخر العام ١٩٦٢ فى أماكن أخرى من العالم على إعلان روديسيا الجنوبية عدم شرعية الاتحاد الشعبى الإفريقى الزمبابوى ZAPU(*)، قبل وقت قصير من إجراء الانتخابات العامة. قام جوشوا نكومو زعيم هذا الاتحاد بواحدة من زياراته المتعددة لنيجيريا، علّق أبو بكر بعد ذلك وهو بصحبة هورج مفتش الشرطة العام بما يفيد أن الرجل كان لا يزال لا يفهم المصاعب التى تمنع تسوية مشكلة روديسيا، وأعرب عن ترحيبه بزيارة يقوم بها ولنسكى Welensky رئيس وزراء الاتحاد الفيدرالى الروديسى إلى نيجيريا للتشاور فى الطرق التى يمكن أن تؤدى إلى المصالحة بين جميع الأطراف. جرى انتخاب أحمد بن بلا رئيساً دستورياً للجزائر وتلقى برقية تهنئة من أبى بكر تافاوا باليوا.

قامت روسيا بإطلاق مركبة فضاء سلمية إلى المريخ فى اليوم الثانى من شهر نوفمبر، وأُعلن قيام الاتحاد النقدى لدول غرب إفريقيا الناطقة بالفرنسية والذى يضم كلاً من ساحل العاج، داهومى، فولتا العليا، موريتانيا، النيجر، والسنغال (استقالت مالى من ذلك الاتحاد بعد التوقيع على المعاهدة)، قام رئيسا موريتانيا والنيجر بزيارة كادونا، وانتخب جوليوس نيريرى رئيساً لتنجانيقا، انهار المؤتمر الدستورى الذى عقد عن جيانا البريطانية فى لندن، بناء على تقرير سياسى مفاده أن المظاهرات التى جرت فى ذلك العام فى جورجتون، إنما كانت بسبب مناقشات سياسية بسيطة ولم تكن

(*) للمزيد من هذا الاتحاد والحركات الإفريقية الأخرى، راجع كتاب حركات التحرر الإفريقى، وهو من ترجمة الدكتور/ صبرى محمد حسن ومنشورات المجلس الأعلى للثقافة. (المترجم)

ناتجة عن العصيان والتمرد، قام مندوبو رابطة الكمنولث البرلمانية بزيارة نيجيريا، طالب أمام اليمن المخلوع بالمساندة الدولية، سمح نيكروما لأسقفه روزفير Roseveare بالعودة إلى أكرا، أمرت الصين بوقف إطلاق النار مع الهند وسحب قواتها فى اليوم الأول من شهر ديسمبر، اتفاق بريطانيا وفرنسا على تطوير طائرة ركاب مشتركة سرعتها أكبر من سرعة الصوت، على أن يطلق عليها اسم طراز من طرز الطائرات الفرنسية، كنكورد، على سبيل المثال، جرى إخماد التمرد الذى حدث فى جزيرة بريونى بواسطة القوات البريطانية وقوات الجورخا، استقلال تنجانيقا فى اليوم التاسع من شهر ديسمبر، فشل رئيس وزراء السنغال مامادو ديا Dia فى الإطاحة برئيسه ليوبولد سنغور، بعد سبعة عشر عاماً من التعاون فيما بينهما، تولى كينيث كاوندا دور القيادة فى أول حكومة يهيمن عليها الأفارقة فى روديسيا الشمالية، وذلك عن طريق تحالف حزب الاستقلال الوطنى المتحد الذى يترأسه مع حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى لنزع الأغلبية من الحزب الفيدرالى الليبرالى الأبيض المتحد، كما انهزم أيضاً الحزب التقدمى المتحد بقيادة إدجار هوايتهيد Whitehead فى روديسيا الجنوبية أمام حزب الجبهة الروديسية اليمينى بزعامة ونستون فيلد Field (كان هوايتهيد آخر الزعماء البيض الذين استطاعوا التفاوض من أجل التوصل إلى شكل من أشكال الاستقلال متعدد الأجناس)، طالب ونستون فيلد بالاستقلال طبقًا للوضع الراهن، لكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك الطلب، وافقت بريطانيا على حق نياسلند فى الانسحاب من الاتحاد الفيدرالى، وذلك فى المؤتمر الدستورى الذى عقد فى لندن والذى وافق على نصوص، الحكم الذاتى وشروطه، بدأت كل من الهند وباكستان التفاوض بشأن كشمير، التقاء كل من كينيدى وماكميلان فى ناساو فى جزر البهاما، ويجب أن لا يغيب عنا أن العام تميز باندلاع قتال كثيف فى كاتانجا. فوز المغرب على نيجيريا فى الأمم المتحدة، فى الحصول على مقعد "الشرق الأوسط / إفريقيا" فى مجلس الأمن على الرغم من مساندة كل الدول الإفريقية، وقد أطلق واشوكو على ذلك "هزيمة إفريقيا"، لأنه كان ينظر إلى المغرب باعتبارها دولة شرق أوسطية.

جاء أبرز تعليق على تلك الفترة، والذى ذاع وجرى تكراره على مستوى العالم متمثلاً فى رد مستشار الرئيس الأميريكى، وزير الخارجية الأمريكى الأسبق، دين أشيسون Acheson، الذى ألقاه أمام طلبة الكلية الحربية الأمريكية west point: "لقد فقدت بريطانيا العظمى إمبراطورية، ولم تعثر بعد لنفسها على دور... [الدور] المبنى على كونها رئيسة لشكل من أشكال "الكمنولث"، ليست له بنية سياسية، أو وحدة، أو قوة، ويتمتع بعلاقة اقتصادية هشه ومتأرجحة عن طريق منطقة الإسترلينى والتفضيلات فى السوق البريطانية.... هى على وشك القيام به". ترددت هذه النبوءة الباردة فى أذهان أولئك الذين حضروا الاجتماع الأخير للكمنولث. وقد صادف ذلك دورية بريطانية محترمة وغير سياسية هى "الكمنولث الجديد" New Commom wealth، التى بدأ صدورها قبل ذلك بسنوات كثيرة تحت اسم "مستعمر التاج" Crown Colonist.

على المستوى المحلى أعيد تحديد دائرة رئيس الوزراء الانتخابية لتشمل أحياء إمارة لير Lere وبولا مضافًا إليهما رئاسة Chiefdom داس Dass.وبذلك أصبحت هذه الدائرة فَنِّيةً من الفنيات. فى ذلك الوقت كانت مقاطعة باوتشى، بطبيعة الحال، هى ومفوضها الإقليمى الخاص، المعلم داوود جمتارى بليل Belel وزير ميوبى Mubi الرئيسى، وهو من بلدة أدماوا، واللذان يشكوان مثل الممثل البريطانى المقيم من قبل، من أن أمير باوتشى كان يبادر فى كثير من الأحيان إلى القيام بالمبادأة قبل أى مستشار من مستشارى السلطة المحلية، وقبل أن يقوم رؤساء الإدارات بتنفيذ القرارات الصادرة عن مجالسهم. وها هو أدم جومبا، الذى يشغل منصب الأمير، تنازل عن حقيبة الشئون القضائية فى سلطة باوتشى المحلية، أما مسألة أن يصبح يعقوب لام Lame مفوضًا إقليميًا للنيجر فقد أنزلت الضرر بإدارة السلطة المحلية. يضاف إلى ذلك أن أدم تافاوا باليوا الذى كان "حارسًا" فى يوم من الأيام لرئيس الوزراء كان يتصرف بصفته مفوضًا إقليميًا فى الهضبة، بل إنه مارس العمل نفسه بعد ذلك فى إيلورن Ilorin. أما الخبر السعيد الوحيد فكان يتمثل فى عدم دخول الخزانة

المحلية إلى منطقة الخطر لأنها لم تفقد بعد تقدير "الامتياز" الذى سبق لها الحصول عليه واستردته أيضًا من جديد، وبالتالى لم تكن بحاجة إلى توجيهات من الحكومة الإقليمية أو الإدارة المحلية: وقد ظهر ذلك بشكل واضح فى عدم طلب هذه الخزانة سحبًا على المكشوف لتغطية الفترة السابقة لتحصيل ضريبة الرءوس. وقد لاحظ رئيس الوزراء أن نشر التعليم والتوسع فيه، وتوفير مفرزه شرطية نيجيرية محلية، وزيادة الضرائب على الواردات الفيدرالية، هى التى كانت تُصعِّب الموازنات المحلية على حكومته المدنية.

كانت المناطق الحضرية فى البلاد فرحة بانتصار ديك Dick تيجر (Richard Tiger Itehu) وحصوله على بطولة العالم فى الوزن المتوسط فى الملاكمة، فى سان فرانسسكو فى شهر أكتوبر، وبذلك يكون قد أصبح بطلاً من أبطال الكمنولث. كان الحدث الداخلى الرئيسى فى شهر أكتوبر هو معرض ليجوس التجارى الدولى، الذى أداره مسئولو الأشغال العامة بوصفه معرض الاستقلال فى العام ١٩٦٠ الميلادى. فى الافتتاح الرسمى لذلك لمعرض تحدث الحاج السير أبو بكر عن برنامج التنمية الذى كان قد أعلن عنه كثيراً ولم ينشر بعد، وذكر أبو بكر الزائرين أن نيجيريا رحبت وقدمت إغراءات مالية لكل من يود إقامة صناعات جديدة مُوَافق عليها: **"مع تحسن ازدهار الدول النامية وقوتها الشرائية، نستطيع شراء المزيد من البضائع المُصَنَّعة. وإذا ما بقينا فقراء، لن نستطيع سوى شراء القليل مما تنتجه الدول الصناعية، وعلى الصعيد التجارى فنحن نتاجر مع بعضنا البعض. الازدهار هو والسلام لا يمكن فصلهما عن بعضهما". أصبحت الهدايا الرسمية التى كانت تقدم لرئيس الوزراء من كبار الزوار وفى الاحتفالات الرسمية تشكل مصدراً من مصادر إحراج الرجل، وأصبحت مهمة أحمد قارى Kari تتمثل فى تغليف هذه الهدايا وإرسالها إلى متحف ليجوس للتخزين أو العرض.**

رحب أبو بكر بصديقه القديم منذ أيام كانو، الحاج أحمد بللو ولد عمر Amar ودعاه إلى ضيافته الخاصة أثناء فترة العرض: توقف تجاذب أطراف الحديث وارتشاف

المشروبات المثلجة عندما دخل الرقيب أول ياور رئيس الوزراء الشرطى ضخم الجسم الذى يبلغ طوله ستة أقدام وثلاثة بوصات فجأة، معتذراً ومشدوهاً بالخبز الذى يفيد أن ابنته غرقت فى البحيرة. وهنا اعتذر الحاج بللو ولد عمار عند سماع الآذان للذهاب لأداء الصلاة، لكن أبا بكر كان مهتماً بمساعدته. هذا الشرطى الذى اختاره جون هودج، بوصفه رقيباً أول شمالى سابق ليكون ياورا لرئيس الوزراء، حدث أن أصيب ذات مرة بسعال شديد عندما كان فى باوتشى كان محور مزاح بينه وبين سيده، لكن حدث فى إحدى الليالى أن وجد أبو بكر نفسه غير قادر على مغادرة الغرفة وفتح الباب. كان إيجو Ijo ذلك الحارس الضخم نائماً عبر الباب، حتى لا يتمكن أحد من الدخول وإزعاج وديعته، وعليه فإن هواء ليل الشمال هو الذى أصاب إيجو بنوبة البرد. وقد تأثر أبو بكر تأثراً كبيراً بالولاء الذى حظى به من حارسه الخاص.

فى تلك الظروف شاهد رئيس وزراء الإقليم الشمالى، الذى أحس بالفخر لرؤيته الخدمة التليفزيونية فى الشمال، شاهد الكلية الشمالية وهى تتحول إلى جامعة أحمد بللو، التى سيكون هو أول رئيس (مستشار) لها. كانت تلك المناسبة لا تنسى من ناحيتين: أن تلك كانت أول مرة يرى الناس فيها رؤساء الوزراء الإقليميين متجمعين فى الشمال، منذ افتتاح معهد الإدارة فى زاريا فى العام ١٩٥٤ والذى أسفر عن الجامعة التى نراها الآن. لكن المستشار السياسى الرئيسى كرر تعليقاً مثيراً للخلاف فى سياق حديثه عن الاهتمام الكبير الذى كان المعرض التجارى يوليه لتمويل خطة التنمية: **"جاءت الترتيبات المالية التى نظمها الرئيس Chief فستوس مع إسرائيل مفاجأة لنا"، وشمال نيجيريا يود أن يحل نفسه من الموافقة على أو قبول أى شكل من أشكال المساعدات من الحكومة الإسرائيلية. كان رد فعل رئيس الوزراء، مثلما كان من قبل، قائماً على الثقة بأن محصول القطن فى الشمال يبشر بخير وفير. لم يهتم رئيس الوزراء آنئذ بإشارة المستشار السياسى الرئيسى إلى زملائه فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى على أنهم "أبناء Yan جسر كارتر"، بمعنى هؤلاء الناس الذين يعيشون فى**

العاصمة التى يفصلها ذلك المعبر عن الأرض النيجيرية الرئيسية. كان الرئيس عبد الناصر قد وجه الدعوة لأبى بكر لزيارة القاهرة للتباحث فى مسألة الأمن الداخلى، لكن أبا بكر أوفد الحاج الشيخ شاجارى بدلاً عنه، ومعه كبير السكرتيرين المساعدين الشمالى، وعندما وصل الرجل إلى القاهرة أدى تجدد المسألة الإسرائيلية إلى تشتيت تلك الدراسات وإفسادها.

زد على ذلك أن رئيس الوزراء أبى بكر تافاوا باليوا لم يكن مهتمًا بحضور اجتماع رابطة الكمنولث البرلمانية شخصيًا، والتى عقدت فى ليجوس فى شهر نوفمبر لكن رفيقيه محمد رباط والشيخ شاجارى (بعد عودتهما من القاهرة) أحبطا نية الرجل فى الدفاع عن أى شكل من أشكال الارتباط، ونجح الرجلان فى ترتيب شكل من أشكال الارتباط الفنى أدى إلى بقاء الطائرة الرسمية التى كان يود الهرب بها، على الأرض دون إقلاع. وتعين على الرجل إلقاء خطاب أولاً وقبل كل شىء، أمام ذلك الذى اعتبره هو جماعة من المشرعين شاغلى المقاعد الخلفية، الذين يطلقون العنان لأهوائهم كما لو كانوا يتمتعون بإجازة حرة **"لقد حضرت مؤتمر رؤساء وزراء الكمنولث مرتين لحد الآن، وتأثرت... بالجو العائلى الصريح..... واتضح منذ أيام قلائل [الإشارة هنا إلى كوبا وبرلين] أننا كنا على حافة الهاوية، عندما أوشك الجنس البشرى على تدمير نفسه وتدمير الحضارة..... هذه هى الهند داخلة فى صراع مرير... نحن لم نصدق مطلقًا أن القوة هى الحق... نحن لسنا محايدين، لكن... ينبغى أن يكون هناك، فى أضعف الأحوال، أناس يستطيعون القول لأى جانب من الجانبين أنت مخطئ أوهم على حق... يقولون ذلك بلا خوف... وسوف تقف نيجيريا إلى جانب معسكر الحق والصدق"**.
وراح كل من الشيخ شاجارى وبيوس Pius أوكجبو okigbo، وهما من شرقى نيجيريا، يعيدان ويزيدان أمام الاجتماع رفض الدولة المضيفة "للارتباط" بالجماعة الأوروبية وواصل أبو بكر سعيه إلى إنشاء منطقة تجارة إفريقية حرة لا تكون مرتبطة بأية ترتيبات فرانكفونية (كان الشيخ شاجارى فى ذلك الوقت قد أصبح أيضًا ممثلاً حقيقيًا

دائماً لأبى بكر فى اللجنة الاقتصادية الإفريقية التابعة للأمم المتحدة) وكان مشغولاً بالفعل بمسألة السفر إلى كوالالمبور لحضور اجتماع رابطة الكمنولث البرلمانية). على المستوى الداخلى حاول أبو بكر تهدئة العمال عن طريق الاعتراف إلى حدما (بحزب مؤتمر العمل الموحد)، الذى كان يُنْظر إليه على أنه حزب معتدل لأنه لم يكن به ماركسيون معلنون، وبقى هذا الحزب مرتبطًا باتحاد نقابات العمال الدولى.

فرض تغيير وزارى نفسه على رئيس الوزراء عندما أصبح وزير الداخلية الحاج عثمان ساركى، إتسو Etsu نيوبى Nupe (أى رئيسًا من الطبقة الأولى، أميراً لبدا Bida): خلفه الشيخ شاجارى فى شىء من التردد (كانت هناك فضائح تتعلق بالفساد فى مجال الهجرة تنتظر تعامل الرجل معها). مما لا شك ومن قبيل المصادفة أن كان الحاج الشيخ شاجارى، قبل أن يفقد حقيبة التنمية الاقتصادية، قد نصح لرئيس الوزراء أن يكون حذراً جداً فى مسألة تخصيص ٨٠ مليون دولار أمريكى لسد كاينجى، تحسبًا لما هو أسوأ فى حال عدم وجود إيرادات بديلة جديدة. تولى وزير الدولة لشئون الجيش السيد/ جى سى أوباند Obande منصبًا آخر، وتولى المستشار الحاج إبراهيم تاكو شئون الجيش، وسرعان ما قام وزير الدولة بإعلان مفاده أن نيجيريا سوف يتولى قيادة البحرية النيجيرية الملكية بحلول العام ١٩٦٤، وأن وظائف الجيش والبحرية ستجرى نجرنتها فى العام ١٩٦٥ .

فى تلك الأثناء أصدر كل من الدكتور أُكبارا، وهو من الشرق وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين تصريحاً واضحاً كان موجهاً إلى جامعة الدكتور أزكوى النيجيرية فى نسوكا Nsukka، التى كانت قد قررت منح الدكتوراه الفخرية للمرة الثالثة إلى رئيس الوزراء، وتبنى الدكتور أكبارا فكرة رئيسية من أفكار أبى بكر الرائدة وراح ينادى بعدم تشكيل حكومة ائتلافية، أو دولة بحزب واحد، وأن تكون هناك حكومة جبهة موحدة مشكلة من الأحزاب السياسية كلها. النص الذى أورده الدكتور أُكبارا يتطلب إحداث بعض التغييرات فى الدستور، الذى ستسير البلاد على هديه إلى نهاية خطط

التنمية الثلاثة أو الأربعة اللازمة لتحقيق نمو اقتصادى مستدام يراه المخططون السياسيون أصحاب الثبات على المبدأ أنه هو المفتاح الوحيد للسيادة الحقيقية. ضاعت هذه الفكرة فى ظل الأزمة التى تفجرت قبل ذلك بأسبوع واحد، والتى تمثلت فى الفضيحة التى لحقت بتعداد العام ١٩٦٢ الميلادى، الذى تحول فيه كل إنسان إلى كذاب أشر من الطراز الأول.

كانت الشائعات قد بدأت تتردد قبل الخطاب الذى ألقاه الدكتور أكبارا فى اليوم السابع من شهر ديسمبر، بما مفاده أن نتائج التعداد فى الإقليم الشرقى جرت المبالغة فيها وأن الإقليم الشمالى قام نتيجة هذه الشائعات بإعادة التعداد من جديد. واقع الأمر أن الأرقام فى هذين الإقليميين كانت تدور من حولها الشكوك اعتباراً من شهر يوليو. فقد كشف الإقليم الشمالى عن زيادة تقدر بحوالى ٣٠٪ عن أرقام العام ١٩٥٢ الميلادى، وكشف الإقليم الشرقى عن زيادة تقدر بحوالى ١٧٪، كما كشف أيضًا عن خمسة أقسام (اوكا Awka، براس Brass، دجيما Degema، إيكت Eket، وأُبوبو opo-bo) تراوحت نسبة الزيادة فيها ١٢٪ و ٢٠٠٪، على الرغم من الأدلة والشواهد المضحكة أن بعض هذه الأقسام كان متدنيًا ومنخفضًا. كانت هذه الأقسام، فيما مضى تلعب دور السادة فى تجارة الرقيق فى قديم الزمن، كما كانت هذه المناطق مدركة أيضًا لمسألة خسارتها السكانية من ناحية والوضع الذى وصل إلى شأو بعيد جدًا فى هذه المسألة، لكن هذه المناطق كانت تهدف من وراء ذلك كله إلى استعادة مكانتها فى مواجهة قوة "إينوجو"، وليس من قبيل تحدى الأقاليم الأخرى.

وعندما وصلت أرقام الإقليم الغربى بعد ذلك بفترة قصيرة، كشفت عن ارتفاع نسبته بحوالى ٧٠٪. كان السيد وارن هو وأخصائيو السكان قد أساءوا إلى التاريخ، والعلم وإلى الحكمة المستقاة عندما كتبوا تقريراً يفيد أن الأرقام الفيدرالية وأرقام الإقليم الشمالى كانت "معقولة"، إذا ما سلمنا بنقص يقدر بحوالى ٥٪ فى العام ١٩٥٢، وبزيادة سنوية تقدر بحوالى ٢٪ منذ ذلك التاريخ، كما أعلنوا أيضًا أن من الواضح أن

الأرقام التى وردت من الأماكن الأخرى كان "مبالغًا فيها إلى حد كبير"، (هذه الأرقام كان يمكن تبريرها فقط فى حال ما إذا كان ثلاثة أرباع السكان البالغين جرى إسقاطهم من عقد إلى آخر من سجلات الضرائب، ومع ذلك تظل هذه الأرقام بعيدة عن التصديق من منطلق أن النساء التى جرى تعدادهن وكن فى سن الحمل لا يمكن أن يكن قد أنجبن تلك الزيادة المسجلة فى مواليد الأطفال الأقل من خمس سنوات، والتى وصلت إلى حوالى ٦٥٪ من الإجمالى فى واحدة من المناطق). لم يكن أحد من اختصاصيى السكان يتوقع زيادة إجمالى عدد السكان عن ٤١ مليون نسمة، وأن ذلك يسمح بزيادة معدل النمو فى الجنوب عنه فى الشمال: يزاد على ذلك أن القرار العرفى الذى صدر بخصوص إحصاء العام ١٩٦٠ الميلادى فى غانا، والذى يفيد أن التعداد الاستعمارى الأخير كان يعانى من نقص قدرت نسبته بحوالى ٢٠٪، جرى اتباعه اتباع الأعمى فى نيجيريا كلها، وأن معدلات النمو الحقيقية لا يمكن أن تجعل عدد السكان الإجمالى يزيد على ٤٥,٥ مليون نسمة. حتم إنقاذ هذا الإحصاء المكلف اللجوء إلى مراجعات التحقق من صدق المعطيات.

وأن هذه المراجعات يتعين استخدامات من قبل الموظفين أو العاملين أنفسهم، نظرًا لأن هذه المراجعات يتعذر من الناحية السياسية بغير هؤلاء العاملين أنفسهم، لكن وارن Warren كان يرى أن هذه المراجعات، التى ستتم تحت إشرافه باستخدام الاختبارات والمراجعات المزدوجة الديموغرافية المتقدمة، سوف ينتج عنها نتائج معقولة فى سائر أنحاء نيجيريا. هو الذى حدث لم يأخذ فى الحسبان موقف أولئك الذين كانوا يتساءلون "من الذى كسب الإحصاء؟"، كما لو كانت عملية الإحصاء هذه انتخابًا من الانتخابات.

أوكلت إلى الحاج وزيرى إبراهيم، الذى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب وزير التنمية الاقتصادية الفيدرالى، مسئولية ذلك الإحصاء. وقام زعماء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا بمناقشة هذه الكارثة، وقد استسلم فى هذه المناقشة، الإحساس

بالاستقامة الذاتية للانتهازية، وبخاصة أن هؤلاء الانتهازيين كانوا يرون أن كل من قام بتزوير الأرقام ذات مرة لا يرجع له تقليل تلك الأرقام أو تخفيضها تخفيضًا كبيرًا من جانب واحد في ضوء إعادة العد. انصب التخفيف التبريرى على ما مفاده أن التقلبات الكبيرة والفادحة التى جاءت في أرقام الإقليم الشرقى إنما جاءت انعكاسًا للرغبات المحلية التى سبق الإشارة إليها، والتى تمثلت في الحصول على المزيد من التنمية في أقسام بعيدة عن أرض الأجبو الأساسية، وليس من باب زيادة عدد السكان كل من الشرق والجنوب عن عدد سكان الشمال. في ذلك الوقت، حظى ذلك التخفيف التبريرى باحترام ضئيل حتى بين أولئك الذين كان لديهم الإدراك الكافى الذى يمكنهم من الوقوف على أن المناطق قليلة الكثافة السكانية هى التى تحظى بالمزيد من التنمية المدروسة بغية توسيع الحماس الانتخابى وزيادته فى تلك المناطق. كان هناك أناس كثيرون فى الجنوب لم يكونوا مستعدين لتصديق أن الشمال المبعثر يمكن أن يزيد من الناحية العددية على باقى الأماكن المزدحمة، لكن مع ذلك كان لابد من تقديم الدليل المادى على ذلك، بعض آخر كان يرى أن الهدف الرئيسى يتمثل فى وضع (إقليمهم) غير المقسم فى المرتبة الثانية من الأقاليم ذات الأعداد الكبيرة من السكان.

كان رد فعل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الباكر، الذى لم يستطع الحاج السير أبو بكر مقاومته بحكم تعبه وتحرره من الوهم، هو أن يسير على الطريق نفسه أو يحذو الحذو نفسه. أقنع الأتقياء من بين هؤلاء الناس أنفسهم بأنهم سيحاولون من خلال منظومة السلطة المدنية (الحكم المحلى)، التوصل إلى شىء قريب من الأرقام الحقيقية، بالطريقة نفسها التى يلجأ إليها الموظف الجائل، أو رئيس الحى، أو أمين الخزانة المحلية، أو مندوب الأمير فى مساومة مالك الماشية الفولانى **Fulani** حول عدد الرءوس من الماشية التى لا يزال يخفيها ولا يدرجها ضمن ضريبة الرءوس **Jangali** التى تفرض على مربى الماشية. كانت هناك ضغوط لإبعاد المشرف على تعداد الشمال، السيد/ تونى لوبان **Lobban**، وهو من الحركة المناهضة للمشرفين على الاستفتاء الأول

للكاميرون الشمالية، والذى "خذل الشمال" فى ذلك الاستفتاء ـ كان الرجل قد رفض السماح للعاملين بمواصلة العد بعد ذلك "لمدة أيام قلائل". وكان سكرتير رئيس الوزراء بروس جريتباتش قد اعترض على ذلك، لكنه توصل إلى ما مفاده أن المغتربين فى المستقبل لن يتولوا أية مراكز رئيسية تكون لها ظلال سياسية. كان الرجل قد اتخذ الترتيبات اللازمة لتسليم وظيفته لواحد من النيجيريين. رفض أحمد كوماسى، فى حين قال أحمد طالب إن هناك فى برنو رجالاً بارزين يستطيعون شغل هذه الوظيفة الكبيرة. وقع الاختيار فى نهاية المطاف على المعلم على عقيل ذلك الموظف البارز الكفء صاحب الشهرة الشعبية، والطبيعة الهادئة الذى سعى سعيًا حثيثًا لتجنب شرف الترقى الذى يمكنه من الوقوف إلى جانب رئيس الوزراء.

اتفق رئيس الوزراء هو وبعض وزراء الشمال على أن يكون هناك نوع من التحرى والتدقيق، ووافقوا وقرروا أن يكون هناك تعداد رسمى مباشر فى بعض الأحياء التى يجرى اختيارها بطريقة عشوائية. وجاء هذا الدور من نصيب مستشار بدا Bida، الحاج على، الذى راح يتكلم سرًا إلى المشرفين وإلى بعض العدادين فى الجيوب التى جرى اختيارها، حول ما يجب عمله فى الشمال. حظى وزيرى إبراهيم على موافقة كل من الدكتور ماجيكودونمى والدكتور أُكبارا واتفقوا على إعادة سجلات التعداد الأصلية إلى مناطقها الأصلية. وهنا ضاعت الحميمية وضاع معها أيضًا الأمل الشعبى فى "الوحدة" التى كان أُكبارا نفسه على وشك المناداة بها فى نسوكا، والتى كان أبو بكر ينشدها ويتطلع إليها منذ العام ١٩٥٧ الميلادى. سافر أُكبارا إلى ليجوس وأعطى مصداقية عالية للشائعات كلها بأن أعلن على الملأ أن التعداد الأصلى فى الإقليم الشرقى يقدر عدد السكان بحوالى ١٢,٤ مليون نسمة، وأنه من واقع هذا التعداد لن يقوم بتحديد الموازنة. بدأ الحاج السير أبو بكر يكتشف أن شخصية الدكتور أكبارا الصاخبة، كانت تذهب فى معظم الأحيان إلى حد الوقاحة فى صراحتها، التى لم يسبق أن لقيها مطلقًا من أزكوى، أو أولوو، أو حتى بود توماس، وأنه لم يعد يطيق تلك

الوقاحة. يزاد على ذلك أن حاكم الطوارئ في الإقليم الغربي، الدكتور ماجيكودونمى، صديق رئيس الوزراء والنائب في البرلمان في الوقت نفسه لم يكن ميالاً إلى إنكار الرقم الإجمالي لسكان إقليمه أيضًا. ويجتمع البرلمان بعد ذلك، ويعلن وزيرى إبراهيم في اليوم الخامس من شهر ديسمبر قبوله للتقرير الذي أرسله موظف التعداد الفيدرالي السيد/ وارين في شهر يوليو. يزاد على ذلك أن أسلوب "التعالي" من جانب وزير التعداد، على حد قول إمبادوى وآخرين، لم يساعد على رأب الصدع وسلاسة الأمور. فقد رفض وزير التعداد الإشارة إلى ما اسماه "الأرقام الزائفة"، وإنما راح ينتقى بعض الأشياء، بما في ذلك الاستنتاج الذي توصل إليه وارين والذي يفيد أن الأرقام الواردة من الشمال تبدو وكأنها "دقيقة تمامًا"، في الوقت الذي بدت فيه بعض الأرقام الواردة من الشرق "مُضخَّمة بشكل واضح".

نشب الغضب بين حزبى المؤتمر الشعبى الشمالي والمجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وعلى الرغم من تماسك أعضاء التحالف الفيدرالي واقتراحهم عقد اجتماع برلماني تصالحى مع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، عندما رفض المتحدث الرسمى للبرلمان إجراء حوار عام، انصرف عن الاجتماع عدد كبير من شاغلى المقاعد الخلفية، كما انصرف أيضًا باقى أعضاء حزب جماعة العمل، وهم "يكيلون اللعنات للشرق" وينادون "بحتمية إبعاد وارين". راح الحاج السير أبو بكر يؤنب على انفراد وزيره على عدم كياسته، وفي اليوم العاشر من شهر ديسمبر قال للمجلس، الذي حضر أعضاؤه المتغيبون بعد يومين، إنه سوف يتولى مسألة التعداد هذه تحت مسئوليته وإشرافه الخاصين، وإنه سوف يقوم بمراجعة ذلك الأمر بنفسه هو شخصيًا. في ذلك الوقت كان أبو بكر يتعامل مع هذه المسألة بشكل علنى كما لو كان ذلك الذي يتهدده الخطر هو الأزمة التي حدثت في الموروث الإدارى البريطاني، والتي نجمت عن قيام أحد الوزراء بخرق سياج السرية الرسمية: **"ذلك الذي يجرى تداوله بين أى وزير وبين واحد من مسئوليه في الحديث البينى المعتاد الخاص بالمهام الوزارية يتعين أن يكون**

سريا. ونحن نعجب لأولئك الذين يحسون بالسعادة، إن نُذُر لبعض المحاضر أو التقارير المقدمة منا إلى رؤسائنا، أو العكس صحيح، جرى عرضها للنقاش والحوار العام. وقد جعلت من عدم سماحى مطلقًا بقول أو فعل أى شىء يمكن أن ينال من أية حكومة أو أى شعب من شعوب الاتحاد الفيدرالى، مبدأ أصيلا وأساسيًا من مبادئى وممارستى السياسية. وأنا حازم وصارم فى المحافظة على هذا المبدأ".

كان لا يزال يتعين على أبى بكر مواجهة الكارثة والمصيبة الأخلاقية الخاصة، كان أبو بكر يعلم أن الأرقام جرى تزييفها والتلاعب بها، وأن الأمر سيستمر على ما هو عليه والحل الوسط العقلانى لابد أن يكون متفقًا مع النزاهة. لكن هل يوجد مكان للحل الوسط فى ظل الفوضى وعدم الانتظام؟ كان بوسع أبى بكر استعمال سلطته. لكن مقاومة الضغوط القادمة من زملاء التحالف، من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين بصفة عامة، ومن الإزعاج الناجم عن رد فعل الأحزاب الأخرى كل ذلك يمكن أن يهدد الاتحاد الفيدرالى. هذا الجانب الضعيف لا يمكن الهجوم عليه إلا من قبل أولئك المتوحدين الذين لديهم الوقاحة التى تمكنهم من القيام بذلك، هذا فى الوقت الذى بقيت فيه الدائرة الانتخابية نفسها غير عابئة أو مبالية بأى شىء. وبقيت الدائرة الانتخابية فعلاً على هذا الحال.

واقع الأمر أن التحقيق والتقصى تواصل ومضى قدمًا دون أن يلعب السيد/ وارين أى دور فى ذلك، بعد ذلك بأشهر قلائل عاد وارين إلى وطنه بعد انتهاء عقده، وبعد التغاضى عن آرائه المهنية، وانكب مسئولوا الشمال هم والعدَّادون على المهام الوظيفية التى شرحها لهم المستشار، وذلك فى ضوء ما يعتقدون الآن أنه حدث بالفعل فى الجنوب. وأثناء الاختبارات النهائية التى أجريت على الأرقام النهائية، ثبت فشل ٤٩ عينة شمالية فشلاً ذريعًا، ٢٧ عينة فشلاً جزئيًا، ونجحت ٩٩ عينه، وفشلت ١٥ عينة شرقية فشلاً ذريعًا، ٥ عينات فشلاً جزئيًا، ونجحت ٥٣ عينة، وفشلت ١٧ عينة غربية فشلاً ذريعًا، وفشلت ١٠ عينات فشلاً جزئيًا، وفشلت ٢٠ عينة أخرى، وفى الحزام

الأوسط فشلت ٤ عينات فشلاً ذريعًا، ٣ عينات فشلاً جزئيًا، ونجحت ٨ عينات، ولم يحدث خطأ في ليجوس. أما الأرقام التي جرى تحقيقها وتحريرها تحت إشراف وزيري إبراهيم فقد وصلت إلى حوالي ٣١ مليون نسمة (لم يكن هناك شك في أن "الحزام الأوسط" لم يكن يتصرف مثل "الشماليين الحقيقيين" في هذه المسألة)، أما الأرقام الشرقية فلم يجر الاعتراض عليها، وكذلك أيضًا أرقام الغرب التي وصلت إلى حوالي ١٠,٠٧ مليون نسمة، وأرقام ليجوس التي وصلت إلى ٦٧٥ ألف نسمة، هذا يعني أنه خلال عقد واحد من الزمان زاد عدد النيجيريين بشكل واضح (إذا ما أُخذ بعين الاعتبار جنوبي الكاميرون الذي انفصل عن نيجيريا) من ٣٠,٤ مليون نسمة إلى حوالي ٥٤ مليون نسمة.

ونظرًا لأن ذلك لم يفسر التداخلات السَّمِجة التي لاحظها وارين Warren، أو الأسباب التي جعلت وارين يوافق على العدد الإجمالي لسكان الشمال، قام أبو بكر باستدعاء كبار المسئولين، وبعد التشاور معهم قام بإلغاء هذه العمليات كلها، ليبدأ كل شيء من جديد مرة ثانية، وهذا ما سنتناوله بعد ذلك. قام الإقليم الشرقي برفع دعوى فاشلة على الحكومة الفيدرالية أمام المحكمة العليا. لم تكن هناك سجلات توضح تلك الأرقام محل التقاضي، ولم يحدث مطلقًا أن تحدث السياسيون والمسئولون على حد سواء عن هذه المسألة. يضاف إلى ذلك أن تلك التداخلات السَّمِجة الأصلية كانت محل مبالغة وشكوك شديدة، لم يكن أحد من الذين يعرفون المنظومات الإدارية الفطرية في كل من الشمال والغرب يتشكك في أن أي تعميم في أي رد فعل إنما يكون من باب التوكيد، وإذا ما كان في شك من ذلك لجأ إلى الأرقام التقريبية طلبًا للحذف، وبالتالي لم يحاول أحد في تفسير ما حدث في ضوء هذين الأمرين. وعلى الرغم من أن موروث السلطة المدنية (المحلية) في الإقليم الغربي بدأ في الانهيار في ذلك الوقت، فإن الآلات الحزبية في الشرق كانت في أوجها. وفي ليجوس وحدها كان بالإمكان الوقوف على الغش والخداع في سهولة ويسر. فقد ألزم أكبارا نفسه بأرقامه الأولى ولم يعف عن

حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى مسألة الزيادة التى وردت فى أرقامه، يضاف إلى ذلك أن حكومة الدكتور أكبارا كانت هى الحكومة الوحيدة التى لم تقبل قط، على المستوى الرسمى الأرقام التى جرى تحقيقها وتدقيقها.

فى الوقت نفسه، صوَّب رئيس الوزراء ضربة قاضية إلى ادعاءات حزب جماعة العمل فى البرلمان: "**من الواضح تمامًا الآن، وفيما يخصنا ويعنينا فى هذه الحكومة، وفى ظل الحالة الراهنة للأحزاب، نحن لا نعترف بأى أحد زعيمًا للمعارضة. "حزب المعارضة"، الذى كان هو حزب جماعة العمل بطبيعة الحال، ليس فيه الآن سوى عشرين عضوًا، أما الحزب الجديد، الحزب التقدمى المتحد، فليس فيه سوى ٢٥ عضوًا... أما حزب الحزام الأوسط المتحد فلا يعرف أين هو - وهو مجرد حزب معلَّق - وعدد أعضائه تسعة أعضاء، وهناك ثلاثة أعضاء مبعدين... أنا أرى أن الفكرة الرئيسية وراء المعارضة، هى أن تكون هذه المعارضة قادرة على تقديم حكومة بديلة.... نحن نريد من كل قلوبنا أن تكون هناك معارضة - معارضة فاعلة. نحن نتمنى أن تكون لدينا معارضة فى القريب إن شاء الله**". ومع سحب هذا الاعتراف، الذى أصر عليه أبو بكر باعتبار ذلك عرفًا من الأعراف، وليس قانونًا دستوريًا، جرى أيضًا سحب الراتب والأجور الإضافية المخصصة لزعيم المعارضة. ونظرًا للضعف والوهن الذى أصاب حزب جماعة العمل بسبب الانسلاخ عن الحزب وبسبب السِّجْن، الأمر الذى خفض عدد أعضاء الحزب إلى ثلاثة عشر عضوًا فقط، استطاع الحزب وبصعوبة بالغة العثور على متحدث رسمى باسمه وقف يقول فى مرارة وأسى إن أبا بكر يتعين عليه أن "ينبرى ويعلن" على الملأ أنه كان ينوى الاعتراف بالرئيس Chief أيو روسيجى، زعيم الحزب المتحد الفيدرالى.

الفصل الثامن والثلاثون

المعالجة الصاخبة للمسألة الجمهورية

يُقال إنهم عندما قالوا للماعز إن قصَّاب الرءوس قد مات: قالت: "أهذا صحيح؟ وهل مات السكين معه أيضًا؟"(*)

كان الحاج السير أبو بكر فى خطابه الإذاعى الذى وجهه إلى الأمة بمناسبة العام الجديد أقل تفاؤلاً من مقابلاته السنوية الأخيرة. كان الرجل قد تدبر الأمور التى هى موضوع هذا القسم من الكتاب: **"أود بصفة خاصة أن أثنى على الدور الذى قام به جيشنا وشرطتنا، وبخاصة ما قام به فى الكنغو فى ظل ظروف صعبة غير مألوفة... لكن لن نبقى على قوات الجيش والشرطة هناك فترة أطول مما هو مطلوب... فى المؤتمر الذى عقده رئيس الوزراء جرت مناقشة الأمور الخطرة التى أدت إلى انسحاب جمهورية جنوب إفريقيا من الكمنولث. ثم حاولت إفريقيا بعد ذلك فى شهر مايو القيام بتجربة دولية فى منروفيا ... فى كينوكس فيل Knoxville تعلمنا الكثير من هيئة وادى تينسى التى استطاعت التحكم فى النهر، لتحول منطقة ضربها الفقر فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى واحدة من أولى المناطق تطورًا. فى الشهر الماضى وبدعوة من الرئيس سيكوتورى قمت بزيارة جمهورية غينيا .... الرئيس مصمم على أن الرجال**

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى القديم: "أصغ إلى النهاية المخبأة فهى لم تأت بعد. Hearken to the hinder end, herea fter comes not yet (المترجم)

والنساء لابد أن يشاركوا فى حكم بلدهم، وأنه لابد من تعهد رابطات مختلفة وإنشائها ورعايتها وبخاصة فى المجال الثقافى، حتى يمكن إحياء ذاتية إفريقية جديدة فى كل من الفن والثقافة، تثبت وتبرهن للعالم على أنها إسهام إفريقى فى التقدم الإنسانى".

شهدت الأيام الأولى من العام ١٩٦٣ الميلادى كلا من كينيدى وخروشوف وهما يؤكدان سويًا للسكرتير العام للأمم المتحدة أوثانت Uthant انتهاء الأزمة الكوبية، وفى تحرك أدى فى نهاية الأمر إلى إعادة تشكيل مستقبل أوروبا، وقَّع كل من ديجول وأديناور على معاهدة للتعاون العسكرى والسياسى بين فرنسا وألمانيا. وسرعان ما أدى هذا الخبر إلى تلبد سماء غرب إفريقيا بالغيوم، عندما جرى اغتيال سلفانوس أوليمبيو، رئيس توجو البالغ من العمر ستين عامًا، بفتح النار عليه فى اليوم الثالث عشر من شهر يناير، وهو يصعد سلم السفارة الأمريكية فى ليومى طلبًا للجوء السياسى. كان أسلافه المباشرون قد جرت إعادتهم من البرازيل التى هاجروا إليها، لكن الرجل كانت له علاقات سابقة بشعب الأيوى فى الجنوب وفى غانا. كان النيجيريون قد علموا، قبل أسبوع فقط، أن نيكروما كان أرسل إنذارًا إلى أوليمبيو يحذره فيه من تشجيع الغانيين المتمردين الذين كان يؤويهم فى توجو، وكان الحاج السير أبو بكر هو وجاجا واشوكو قد أرسلا على الفور وبصورة عاجلة رسالة تأييد ومساندة. وعلى الرغم من أن "المتمردين العسكريين" فى الجيش التوجى الصغير، كانت لديهم بعض المظالم مع الرجل، فإنهم كانوا مسئولين عما حدث مسئولية مباشرة، وعلى الرغم أيضًا من ادعاء المدافعين أن إطلاق النار كان "أمرًا عارضًا"، فإن المسئولين فى ليجوس ظلوا مقتنعين بأن اللوم كله ينبغى أن يوجه إلى أكرا. كان الرئيس سلفانوس قد أغفل الانتباه إلى تذمر واستيائهم الجنود السابقين الذين عملوا مع القوات الاستعمارية الفرنسية، والذين استحال على الرئيس أوليمبيو، بسبب التقشف فى الإنفاق العام، نقلهم إلى الجيش الوطنى، كان هؤلاء الرجال قد وجدوا لهم أصدقاء بين المتمردين. أدرك المتمردون التوجيون بقيادة الرقيب كابرى من الشمال، وجراسنجبى

Grassingbe إياديمـا، أنهم يتـعين عليـهم إيجـاد سلطة بديلة كفئـة، وعليه تحـولوا إلى نيكولاس جرونتزكى Gruntizky، سلف أوليمبو، الذى كان قد غادر توجو إلى ساحل العاج فى العام ١٩٦٢ الميلادى ليصبح فيها رجلاً من رجال المال والأعمال، ليطلبوا منه تشكيل حكومة، وافق الرجل على العودة إلى توجـو، وحل الجمعـية وطالب بالاعـتراف الدولى، الذى لم يوافق عليـه سـوى كل من السنغال وغـانا وحـدهمـا. وواصلت فـرنسـا مساندتها للرجل من خلال الخلفية الديبلوماسية.

لما كان أبو بكر هو وواشـوكو مشـغـولين تمامًا بالديبلومـاسية ويمـهدان لانعقاد مؤتمر أديس أبابا، فقد دعيا إلى عقد مؤتمر لوزراء الخارجية فى ليجوس، وقـالا فى الوقت نفسه إن التعجيل بالاعتراف بجرونيتزكى سيكون عملاً من الأعمال غير الودية. على الرغم من عدم إعلان الحداد الرسمى فى نيجيريا، وعلى الرغم من عدم حضـور أى مندوب نيجيرى تشييع جنازة أوليمبيو، فقد تحـدث واشوكو وزير الخارجية النيجيرى، عن "التطويق"، وأضاف أيضًا أن "حدود أمن" نيجبريا جرى تمديدها لتمر عبر داهومى وتوجو إلى الحدود الغانية. وهنا سارعت الصحف الغانية بوصف واشوكو بأنه "عميل للاستعمار الجديد"، ورفض نيكروما تسليم أيكوكو هو وآديبانجو Adebanjo باعتبارهما مجرمين لمواجهتهما بتهمة الخيانة. وهنا نجد أبا بكر يبلغ من جديد وزيرًا من الوزراء أن يكون أكثر حذرًا فى مسألة البيانات العامة التى يمكن أن يوافق عليها وهما على انفراد: كانت تلك إشارة أخرى إلى أنه على الرغم من أن مجلس الوزراء قد يكون واثقًا بنفسه، بل إن هذه الثقة قد تصل إلى حد الغرور فى بعض الأحيان، وعلى الرغم أيضًا من أن الوزراء كانوا لا يزالون يولون رئيس الوزراء احترامًا أخلاقيًا فريدًا، فإنهم عند هذا الحد لم يكونوا يخشـون صـرامتـه وقوته النظامـية بالطريقـة التى كـان السـاسـة الأفـارقة الآخـرون يفكرون فـيـها مـرتين قـبل الإقـدام على اتهـام رؤسـائهم. وبالطريقـة نفسها، ومثلما حدث، فى توبيخـه الرقيق، عندما كان يرد على المراسلين الصـحفيين فى مطار إيكيجا، أكد أبو بكر من جديد أن وزير خـارجيتـه كان رجلاً شجاعًا، ومـخلصًا

جداً فى عمله، وأنه "**فى واقع الأمر، يبلى بلاءًا حسنًا**"، كما لو كان "**أبًا للجميع**"، وهذا هو التعبير نفسه الذى استعمله عندما كان يتكلم عن منصب الرئيس، وقال أبو بكر إنه يتحمل المسئولية عن أعمال كل وزرائه، حتى عندما يقوم أحدهم بأداء مهامه بطريقة "خاطئة"، كان من الطبيعى جداً "**أن يخطئ الناس فى بعض الأحيان، لكن فى كل الأحوال يتعين على المرء أن يكون حريصًا بعض الشىء فى التعامل مع المسائل الدقيقة**".

واجه وزراء الخارجية المجتمعون كارثة. كان أسلوب سلفانوس أوليمبيو وحزمه قد حظى بإعجاب الكثيرين، علاوة على أبى بكر وامبادوى (الذى قام مكتبه الذى يحمل اسم البيت الإفريقى، والذى افتتحه فى نيويورك السيدة / إلينور Eleanor روزفلت هى والسيدة/ مارى ماكلويد بيثون Bethune بمساعدة أوليمبيو عن طريق توفير المحامين وسجلات الملفات يوم أن كان الرجل معادياً للاستعمار). كان الناس يتحدثون عن سلفانوس أوليمبيو باعتباره خليفة لأوثانت U-thant، لكن براجماتيته فى المحافظة على الروابط مع فرنسا جعلت المفكرين الراديكاليين يبتعدون عنه، ومع ذلك كان الراديكاليون خائفين أيضًا من أن التعاطف مع قاتليه أو من حل محله يمكن أن يشجِّع المتمردين فى بلادهم، التى تؤوى كلها رجالاً، سواء أكانوا من مواليد هذه البلاد أم من اللاجئين إليها، وكلهم ناقمون على السلطات التى يتمتع بها الزعماء الحاليون. وانتهى الاجتماع بلا إجماع، إلا من الإجماع على مسألة معاقبة القتلة، وإيفاد لجنة مستقلة إلى توجو للتحقيق. وأهاب الوزراء أيضًا بالحكومة المحلية أن تعيد حكم القانون فى ظل العمل بالدستور التوجولى وأن تطلق سراح المسجونين السياسيين، كما طالب الاجتماع أيضًا بالمساعدة فى إبرام معاهدة للدفاع والأمن المشترك لأديس أبابا Addis Ababa، وأن تنص تلك المعاهدة على أنه فى حال حدوث تخريب أو تألُّب داخلى من قبل دولة خارجية، تقوم كل الدول الأعضاء فى هذه المعاهدة بقطع علاقاتها الديبلوماسية مع تلك الدولة، من منظور أنها عضو فى "منظمة ملجاشية فيما بين الدول الإفريقية"

inter - African Malagasy (وهذا مفهوم منروفى، يجب عدم الخلط بينه وبين الاتحاد الأفرو - ملجاشى).

أُصيب أبو بكر، الذى لم يفهم زملاؤه احترامه الشديد لأوليمبيو، بصدمة لوفاة الرجل وارتبك ارتباكًا شديدًا. أصبح واضحًا فى هذا العالم المستخف الجديد، الذى بدأت فيه الثروة الشخصية، والتشدد المتغطرس يطغيان على الزعامات التى جاءت عن طريق الانتخاب، أن الرجل الصالح عندما يسقط من منصبه، تصبح ولولة البشر صامتة وموجزة، وتصبح مواساة السياسيين الباقين على قيد الحياة مسألة هامشية وضحلة. وإذا ما نحينا جانبًا المشاعر الشخصية، نجد أن أبا بكر كان لا يزال يظن أن توجو لابد أن يكون لها وجود فى أديس أبابا، لكن واشوكو أصر على أن ذلك يجب أن يعتمد على الاعتراف المسبق بذلك من قبل كبار الأعضاء فى مؤتمر منروفيا. وهنا نجد أن العسكريين الموالين والمؤيدين لجرونتزكى، رفضوا قبول نداء وزراء الخارجية من ناحية، كما رفضوا أيضًا من ناحية أخرى مسألة التحقيق الأخوى فى وفاة أوليمبيو. وسواء انجذبت أم لم تنجذب توجو ثانية إلى تجمع برازافيل، فقد أجمع المعلقون على ما مفاده أن توجو يتحتم عليها فى مثل هذه الظروف الانضمام إلى مجموعة الدول الجديدة متضخمة الأسعار، وبالتالى مرتفعة الدخول وبالنسبة للأقليات الممسكة بزمام السلطة.

أعلن الجنرال ديجول للعالم فى اليوم الرابع عشر من شهر يناير أن بريطانيا لم "تكن مستعدة بعد" للمشاركة فى رؤيته للمجموعة الاقتصادية الأوروبية، كما أعلن فى الوقت نفسه رفض فكرة إمكانية استعمال فرنسا لصواريخ بولاريس فى الدفاع عن نفسها. بعد ذلك بأسبوعين جرى إحباط الطلب الذى تقدمت به بريطانيا إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية باستعمال الجنرال ديجول لحق الفيتو. لم يفعل معارضوا انضمام بريطانيا، من بين دول الكمنولث، إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية، أى شىء فى سبيل إعادة توجيه أفكارهم المتعلقة برفض انضمام بريطانيا إلى تلك الجماعة، والسبب

فى ذلك أن بريطانيا إذا لم تستطع زيادة صادراتها إلى أوروبا فسوف تتحول من ناحية إلى مستورد ضعيف لسلع الكمنولث وبضائعه، وإلى مقدِّم ضعيف أيضًا للمساعدات أو الاستثمارات من الناحية الأخرى. أقدم السيد/ ماكميلان على القيام بحركة رمزية عن طريق السفر على متن إحدى طائرات الخطوط الجوية النيجيرية إلى روما لحضور أحد الاجتماعات. حُرِم حزب العمال من زعميه السيد/ هوج Hugh جيتسكل، الذى وافته المنية، وخلفه السيد/ هارولد ولسون بعد وفاته بشهر، والذى هزم كلاً من جورج براون وجيمس كالاغان فى الاقتراعات المتتالية التى أجريت بشأن هذا الموضوع، قال الحاج السير أبو بكر الذى لم يكن من المحبين لسياسة حزب العمال، إن بريطانيا **"جرى السطو على أحد ساستها، الذى كانت زعامته لمصلحة حزبه"**. وفى مكان آخر انضمت مستعمرة عدن إلى اتحاد جنوب الجزيرة العربية الفيدرالى، الذى يضم سبعة عشر سلطنة وإمارة والذى بقى فترة من الزمن تحت الحماية البريطانية. كما حصلت نياسلند على الحكم الذاتى الداخلى تحت رئاسة الدكتور باندا لوزارتها، وموافقة الحكومة البريطانية على حتمية حل اتحاد وسط إفريقيا الفيدرالى. وساند حزب البعث الاشتراكى فى العراق الإطاحة العسكرية بالحكومة "وإعدامها".

قبل أبو بكر تافاوا باليوا دعوة لزيارة داكار، ثم هرب بعد ذلك مرة ثانية، وبالتحديد فى نهاية شهر فبراير من الملفات والبرقيات بأن ذهب إلى مزرعته وصداقاته فى موطنه. وتبعه إلى هناك كل من الرئيس فستوس وبعض الوزراء الجنوبيين، أملاً فى التوصل معه إلى اتفاق حول مسألة مشكلة التعداد. هذا يعنى أن الاتحاد الفيدرالى لا يمكن أن يؤدى مهمته إلا إذا قبلت الحكومات كلها الأرقام كلها ووافقت عليها، كائنة من كانت. هذا يعنى أيضًا أن الجميع بدأوا يواجهون الحقائق الواقعة، وتقرر إلغاء كل أرقام الإحصاء المشكوك فيها، كما تقرر أيضًا إلغاء تحرى صدق هذه الأرقام، مع احتفاظ رئيس الوزراء بسيطرته الوزارية الكاملة، لكن رؤساء وزراء الأقاليم: المستشار

السياسى الرئيسى، وأكبارا، وأكنتولا، أوكلت إليهم مسئوليات شخصية إقليمية فى أواخر العام، قيمتها حوالى ٢ مليون جنيه علاوة على التفويض السابق الممنوح له.

عندما عاد أبو بكر إلى ليجوس ترأس اجتماعًا لمجلس الشرطة لمناقشة التقديرات. حضر هذا الاجتماع كل من ستانلى وى wey، والمفتش العام هودج، والمفوضون الإقليميون، وحسب المعتاد جاء كل رئيس من رؤساء الوزراء الإقليميين ومعه سكرتيره الخاص. بعد تناول الغداء اقترح أحد الوزراء الغربيين أن الجيش قد يصبح قويًا جدًا. ورد عليه أبو بكر أن الشرطة ما دام جرى الاعتناء بها، فإن الجيش لن يشغله أو يقلقه، نظرًا لأن القوة البشرية فى الشرطة أكثر منها فى الجيش. وعلق الرئيس آكنتولا على النقل واقترح توفير العربات المدرعة. اندهش بعض أعضاء المجلس الآخرين، وهنا سأل رئيس الوزراء الرئيس آكنتولا عن السبب وراء توفير مثل هذه العربات. وشرح آكنتولا السبب قائلاً: بأنه لا يزال هناك خطر عليه وعلى وزرائه، بسبب النزاعات الحزبية. وهنا نجد الحاج السير أبا بكر يقول ببطء وهدوء: **"يا سيادة رئيس الوزراء، لو حدث وأحسست أنى بحاجة إلى سيارة مدرعة أتنقل بها فى نيجيريا، فسوف أفضل الاستقالة. البند التالى من فضلك"**. وهنا قام ستانلى وى، العاقل، والمخلص الذى لا يقدر بثمن قام بإبداء ملاحظة. كان لويس إدت Edet قد جرى تعيينه مؤخرًا، نائبًا للمفتش العام، حتى يصبح فى المستقبل خلفًا لجون John هودج، لكن أربعة من أصل ستة مفوضين، وأربعة نواب من أصل ستة نواب، وسبعة عشر مشرفًا من أصل أربعين من قوة الشرطة كانوا لا يزالون من بين المقيمين وليسو مواطنين. وعلى الرغم من ذلك، فإن الفرع الخاص الذى كان أبو بكر يعتمد عليه فى التبليغ العادل والدقيق عن الحالة الأمنية، كان يتأثر تأثرًا كبيرًا ومتزايدًا بالسيد/ م د يوسف.

جرى فى نهاية الأمر افتتاح خدمة تليفونية فيدرالية ("وطنية") فى ليجوس، أما الأقاليم الرئيسية الثلاث الأخرى فكانت استعملت أرصدة الامتياز فى إنشاء محطاتها التليفزيونية الخاصة بها. جرى أيضًا مصادفة إضراب شديد معادٍ لهيئة الموانئ

النيجيرية (وبالتالى يكون موجهًا أيضًا للحكومة الفيدرالية، على الرغم من فشل مؤتمر نقابات العمال "المعتدل" و"المستقل" الذى يتزعمه الماركسيون فى تحويل ذلك الإضراب إلى إضراب عام، كان يطالب بمضاعفة الأجور، فى وقت انخفضت فيه الإيرادات عما كان مقدرًا لها. كانت تلك خلفية غير موفقة لمؤتمر كل إفريقيا الذى دُعِى إلى انعقاده فى ليجوس فى شهر مارس من العام ١٩٦٣، وبخاصة الوزراء المختصون بالعلاقات العمالية. لم يكن الحاج السير أبو بكر مطلقًا، صديقًا للفوضى الشعبية، وقصر الرجل تعامله مع الاتحاد الدولى للعمال على العبارات التأييدية العامة. جاء هذا العمل واحدًا من أعمال الدبلوماسية الهادئة، وقد جاء ذلك العمل بناء على نصيحة، جعلته يرسل برقية يطالب فيها بإلغاء أحكام الإعدام العلنية التى صدرت على خمسة من السفاحين (لعضو واحد من أعضاء الأسرة المالكة فى بروندى)، والذين جرى سجنهم بسبب جريمة، وقعت قبل استقلال هذا البلد، وأن مطالبته بالإلغاء تعتمد على أسباب إنسانية، يزاد على ذلك أن أبا بكر لم يكن لديه ما يقوله عن قانونية ازدواج الحكم الصادر فى هذا الشأن.

صدر تصريح عن الرئيس سنغور رئيس السنغال، وكانت لذلك التصريح أهميته فى ذلك الوقت عند كل من أبى بكر والدكتور آزكوى. بعد مجىء رئيس وزرائه على رأس الانقلاب الذى أجهض فى شهر ديسمبر، أعلن الرئيس سنغور أن السلطة التنفيذية المقسمة، فى إفريقيا فى أضعف الأحوال، بين رجلين تعد أمرًا مستحيلاً. قدم سنغور رئاسة تنفيذية على النمط الفرنسى الذى ينفذه ديجول، واستبدأ فترة من الليبرالية المتزايدة فيما يتعلق بالأحزاب السياسية الديمقراطية. بالقرب من سنغور، كان هناك اجتماع للاتحاد الأفرو - ملجاشى، عُقد فى أواجادوجو Ouagadougou فى فولتا العليا، وقد استبعدت توجو من ذلك الاجتماع، وبعيدًا عن الميدان، قامت جمهورية الصومال بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا، نظرًا لأن بريطانيا رفضت السماح لحزب منطقة الحدود الشمالية الكينية بالانفصال، وقد اهتزت الحكومة البريطانية بفعل

الفضيحة الخاصة بتورط وزير من الوزراء هو وآخرين فى قصص الجاسوسية، والجنس، والانتهازية طلبًا للابتزاز، وقامت إندونيسيا بأول هجوم عسكرى صريح على شبه جزيرة الملايو، وقامت كل من مصر، وسوريا والعراق من جديد بتشكيل اتحاد فيدرالى اسموه الجمهورية العربية المتحدة، وأُلقى القبض على مؤيدى حزب المرحوم سلفانوس أوليمبيو بتهمة تدبير مؤامرة مزعومة، وبدأ إضراب دام فترة طويلة فى جيانا البريطانية، الأمر الذى أسفر عن كثير من المظاهرات والإرهاب، ورفضت إيطاليا (التى حذا الهولنديون حذوها فى التشكك فى مدى فاعلية "الارتباط" أو إصالته وجدواه) التوقيع على الاتفاق الذى أبرم إلى حد بعيد بمثابة رد فعل على استعمال ديجول لحق الاعتراض، فى مسألة دخول بريطانيا إلى المجموعة الأوروبية.

فى العام ١٩٦٣ هيأت جلسة الموازنة التى عقدها البرلمان الفرصة لرئيس الوزراء ليعين عن تعيين سفير لدى الجماعة الاقتصادية الأوروبية، وتمثلت مهمته الأساسية فى دراسة أفضل الطرق لدراسة أفضل أشكال العلاقة مع السوق المشتركة من أجل تطوير التجارة النيجيرية. كانت مشاركات السفير الأخرى كلها تقريبًا، فى المناقشات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالاهتمام الدولى المتزايد بالفساد السياسى النيجيرى، الذى كان يتغذى على كلام غير المواطنين الذين ينتقصون من قيمة الأشياء فى ظل تمتعهم بالحصانة البرلمانية:

> **"مجلس التعداد الذى سأقوم بتعيينه، سيكون كله مكونًا من المسئولين ليس إلا... فى اللحظة نفسها سنبدأ نحن [وزراء أو أعضاء البرلمان] فى تعرف أنفسنا فى ضوء وظائفنا الدائمة، وعندها ستكون هذه هى نهاية الديموقراطية... هناك بعض الوزراء الذين كانت لهم ممتلكات قبل أن يعملوا بالسياسة. بعض الأعضاء الشرفاء لديهم ممتلكات بالفعل وهم أناس من أصحاب الثروة. هل إذا قدر لمثل هؤلاء الناس أن يصبحوا الآن وزراء فى**

غضون شهر أو اثنين، هل يعنى ذلك قيامنا بأخذ ممتلكاتهم منهم؟.... إذا لم تكن هناك متطلبات للعيش بلا شظف فى دوائر الوزراء الانتخابية وليس هناك داع لإصدار قانون يحدد مدة خدمة هؤلاء الأشخاص بعشر سنوات، وهو ما يعنى جولتين - هذا يعنى أنهم سيعملون مدة واحدة فقط، ولا شيء أكثر من ذلك. وأنا آمل أن تتفهم اللجنة [القائمة بمناقشة وظيفة الوزير] تفهمًا جيدًا ذلك الذى أرمى أنا إليه؟

فهمت اللجنة ما قاله أبو بكر فهمًا جيدًا وضحك أعضاؤها لكن بعد ذلك بأسبوع تقدم حزب جماعة العمل باقتراح ينتقد الرئيس فستوس، ويطالب باستقالة الرجل لأنه رفع الضريبة على واردات الأحذية إلى ثلاثة شلنات وستة بنسات على الزوج الواحد، والمفترض أن ذلك كان لصالح مصنع الأحذية أوميمى الذى يمتلكه الرئيس فستوس فى سابيل Sapele. وهنا نجد أبا بكر ينظر إلى المشكلة **نظرة صريحة وبطريقة لم يجر تفسيرها بعد ذلك على النحو الذى كان يتمناه: "أنا أرى أننا يجب علينا مواجهة الحقائق على نحو أفضل.... لقد أطلعنى الرجل على مصالحه المالية والأعمالية، وأنا لم أفهم الأسباب التى تجعلنى أطلب منه أن يقطع علاقاته كلها مع المصالح الخاصة كلها... وأنا بصفتى رئيسًا للوزراء لا يمكن أن أقبل أنه كلما عُين وزير، تحتم عليه قطع علاقاته بالمصالح الخاصة كلها. وعليه أنا لا أوافق على ذلك؟"**. وصفق الأعضاء ورفض الاقتراح. جاء هذا الرد مؤشرًا واضحًا أن الرجل الأمين العملى، الذى توافق مع كل من ماكفرسن، وروبرتسون، وستالارد، استطاع تذوق "الوستمنستر"(*) تذوقًا كاملاً، ويحاول تفعيلها، وعلى الرغم من هذا فإن الرجل بعد عودته وبعد تبوئه السلطة بواسطة

(*) الوستمنستر هنا إشارة إلى البرلمان البريطانى، والمقصود هو أن أبا بكر استوعب التقاليد البرلمانية وتمثلها تمثلاً كاملاً. (المترجم)

أنداده الأفارقة السياسيين القاريين لم يستطع فرض الصرامة المعمول بها فى دواننج ستريت(*) التى أفقرها وأضعفها (بصورة مباشرة) كل من ليتلتون وماكلويد، يزاد على ذلك أن بقاء الحكومة على قيد الحياة كان يعتمد على تأييد السياسيين الذين كانوا أكثر اهتمامًا بهزيمة حزب جماعة العمل بدلاً من التمسك بالتقاليد والأعراف. ومن الحكمة بمكان تدبر المصير الذى آل إليه تلكم الزعماء النيجيريون الذين دخلوا فى مواجهة مباشرة مع الفساد.

جاء تدخل رئيس الوزراء الآخر فى تلك الجلسة سلبيًا تمامًا. كان السيناتور Sen-ator ماجيكودونمى قد عاد من عمله مديرًا للإقليم الغربى. يزاد على ذلك أن افتقار هذا الرجل إلى المساندة الحزبية وخبرة الدوائر الانتخابية بصفته وزيرًا غير حزبى للصحة، إضافة إلى نجاحه بصفته "رئيس حى مسئول عن الإقليم الغربى"، كان قد أعميا بعضًا من مستشاريه عن الحاجة إلى كسب المساندة الأصواتية من البرلمانيين بشأن مشروع قانون صحى خاص بليحوس ينص على العلاج الصحى المركزى "المجانى" للمواطنين جميعًا عند الحاجة إليه، والذى سيساهم فيه كل من الحكومة والعاملين الذين يتقاضون مرتبات شهرية وهنا بدأت الأخطار تتهدد حقوق الأطباء الأزلية فى استقلالهم بعياداتهم وحرية ممارستهم لمهاراتهم. علم بهذه الخطة الأطباء الفيدراليون، الذين سينفذون هذا المشروع، وعلموا أيضًا أن النية متجهة إلى حرمانهم من ممارسة حقوقهم الخاصة، لكن الأطباء الخصوصيين، الذين تخوفوا من مسألة الإدراج ضمن هذه الخدمة أو خسارة الدخل الذى يأتيهم من مرضاهم الخصوصيين، لم تجر استشاراتهم فى ذلك. صدر هذا القانون بصورة مفاجئة للجمهور الذى يقرأ ويكتب ويهتم بالأمر، الذى لم يكن يعرف شيئًا إلا بعد نشر هذا المشروع فى الصحف. وبدأت المعارضة فى حشد نفسها، أولاً بين المهن الأخرى التى كانت تكره الخدمات

(*) الإشارة هنا أيضًا إلى البرلمان البريطانى. (المترجم)

"الاشتراكية" العامة، ثم بعد ذلك فى مجلس المدينة الذى تنبأ بشىء من المنافسة البيروقراطية لمعالجتها البلدية لمسألة الصحة البيئية، وأخيراً بين السياسيين المحليين الذين كانوا يغارون من إغداق الإنفاق على العاصمة.

كان حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، بحكم حساسيته لجماعات الضغط هذه، بقيادة الرئيس أدنيران Adeniran أوجنسانيا، الذى راح يعارض القانون فى البرلمان، فى حين جلس رئيس الوزراء هو ومجلس الوزراء فى الخلف وراحوا يراقبون صديقهم وزميلهم وهو يغوص فى الوحل. كان أوجنسانيا نائبًا عن إيكورودو، التى كانت تقع فى الإقليم الغربى واستثنيت من منطقة العاصمة الفيدرالية ومن أية ميزة من مزايا هذا القانون. وفى نهاية المطاف اضطر ماجيكودونمى إلى الموافقة على التأجيل طلبًا لإجراء المزيد من التشاور ومزيد من الإعلان. كانت هناك اجتماعات إلى السير كوفووورولا Kofoworola أدكونلى Adekunle أبايومى، زعيم المهنة المحترم البالغ من العمر سبعة وستين عامًا من ناحية وإلى رابطة الأطباء النيجيريين من الناحية الأخرى، كان أبايومى أثناء الحرب العالمية الثانية صيدليًا ضمن قوة الحدود الإفريقية الغربية، فى حملة الكاميرون قبل أن يتخرج من جامعة أدنبره، وكان قد خلف الدكتور/ جى سى فون Vaughn فى رئاسة حركة الشباب النيجيرى فى فترة الثلاثينيات، وكان قد تأهل ليكون أخصائيًا فى طب العيون خلال الحرب العالمية الثانية. وجرى قطع الوعود بدفع تعويضات عن فقدان الممارسة الخاصة، وتعليق بعض المساهمات لمدة ثلاث سنوات. لم يكن هناك طائل من وراء تلك العروض، نظرًا لعدم قيام أى زعيم من زعماء الأحزاب بجمع الأصوات اللازمة لذلك، وفى حوالى منتصف العام جرى التخلى عن ذلك القانون، بناء على نصيحة من محمد رباط مفادها أن الضرر قد وقع بالفعل.

بعد أن قرر مجلس الوزراء سحب القانون، أبلغ الدكتور ماجيكودونمى الحاج السير أبا بكر أنه سوف يستقيل، وعندما قيل له إن الاستقالة سوف لا تُقبل، قال: إنه

سوف ينشرها فى الصحف. وهنا قام الحاج محمد رباط يطلب الدكتورر ماجيكودونمى على الهاتف عندما ترك المجلس متجهًا إلى بيته، ثم زار ماجيكودنمى الحاج محمد رباط فى مكتبه فى مجلس الوزراء، والذى أبلغه أن رئيس الوزراء سوف يستقيل هو أيضًا إذا ما استقال هو، وأن ذلك لا يعنى أن المجلس فقد ثقته بذلك القانون، لكن شاغلى المقاعد الخلفية، وبخاصة الشماليين منهم، كانوا يعربون عن استيائهم من إنفاق المزيد من الأموال على ليجوس، كما أخبره أيضًا أن رئيس oba ليجوس كان يجرى التردد عليه وانقلب هو الآخر على ذلك القانون. انصرف الدكتور ليستطلع رأى السير كوفو أبايومى مرة ثانية، وحذره السير كوفو من أن يُوصف بالخاسر النادم. وضاع أيضًا وسط هذه العملية الروتينية، إجراء طبى خاص بآليات التسجيل، وسبب ذلك هو أن هذا الإجراء كان يحظى بكفالة الدكتور ماجيكودونمى.

أوضح الحاج السير أبو بكر، أنه لو كان يرى أن القانون حيوى للبلاد لكان قد ضمن تمرير قانون صديقه. ومع ذلك، جاء هذا العمل بمثابة هزيمة فريدة لمقترح حكومى، وقد نتجت هذه الخسارة عن الاستقلال السياسى للمتقدم بذلك القانون. هذا يعنى أن الالتزام الحزبى كان هو الكل فى الكل. جرى إنقاذ بعض الأمور على إثر ذلك الحطام، من بين أنقاض هذا المشروع الكبير، إنقاذ أحد عشر مركزًا صحيًا كانت فى أجزاء مختلفة من ليجوس، وكان قد جرى التصويت على الموازنة المالية اللازمة لهذه المراكز. ومضت وزارة الأشغال غير عابئة بما يجرى، فى بناء المراكز الأولى، طبقًا للمواصفات الأمريكية، التى تعتمد على الكهرباء، والتى لا تعمل فى دفع المياه ما دامت كانت الطاقة مقطوعة أو غير متوفرة، وهذا أمر دائم الحدوث فى أغلب الأحيان. ألغى الدكتور ماجيكودونمى الجزء المتبقى من تلك المراكز الصحية، وجرى بناء مراكز أخرى حسب التصميم المحلى وخالية من تكييف الهواء، كما تم أيضًا إكمال بعض المراكز التى تستكمل بالطريقة نفسها. امتنع أبو بكر عن التورط الشخصى. فى نهاية الأمر جرى إقرار تشريع يقضى بتقليل العمالة الكاملة للممرضات العاملات فى الوزارة،

وتقليل عدد القابلات، وعدد الصيدليات، وقد جرى تمرير ذلك التشريع خلال الأشهر التى تلت ذلك، وبذلك يكون قد جرى تخفيض المهن المتحكمة فى إدارة هذه المكونات وفى تأديبها وأخلاقياتها والتى كانت تتصل اتصالاً وثيقًا بالاستعمار.

فى الوقت نفسه أخذت الأحوال فى الإقليم الشمالى شكلاً جديداً وحاسماً. تشكل فى شهر أبريل الحزب الشعبى فى كانو، وضم كثيراً من الناس المتعاطفين مع الأمير المعزول. اتحد هذا الحزب فى نهاية المطاف مع كل من حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، وحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، ومع بعض الهيئات الهشة التى من بينها حركة الشباب الشمالية (التى انفصلت عن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى)، وحزب زمفارا الشعبى المشترك، واتحاد عمال تعدين القصدير، والاتحاد الفيدرالى العُمَّالى، ليمثلوا فيما بينهم جبهة معارضة عامة. وعلى كل حال فقد جرى خنق هذه المعارضة عند مولدها عندما جرى فى شهر يونيو سجن كل الأعضاء التنفيذيين فى حزب كانو الشعبى بناء على حكم من المحكمة بسبب قدحهم فى حق المستشار السياسى الرئيسى. وبعد الهزيمة التى أنزلت بأمير كانو، لم يعد المستشار السياسى الرئيسى يواجه المزيد من التهديد من الحكام الطبيعيين أو من سياسيى الحزب المنظمين. **كان رئيس وزراء الشمال قد اصطحب معه السير كاشيم إبراهيم فيما يسمى أول حج للحاكم إلى مدينة مكة، ومن باب شكر كل من الملك سعود والرئيس عبد الناصر عند قيامهما بتلك الرحلة.** واعتباراً من تلك اللحظة، ظهر واضحًا أن مستشار سكتو السياسى الرئيسى، السير أحمد بللو، قد تجاوب بصورة عاجلة جداً، بصفته زعيمًا للشمال، وراح يبشر ويدعو ويشجع على الدخول فى الإسلام بين المسيحيين والوثنيين وقد وجدت الخدمة العامة أنه يتعين عليها العمل على تمهيد الطريق أمام تنفيذ هذه المهمة. لم ينظر أصحاب الديانات الأخرى إلى هذه المهمة على أنها تساعد جهود رئيس الوزراء من أجل الوحدة الوطنية، على الرغم من ترحيب رئيس الوزراء بالدخول فى الإسلام طواعية واختياراً، وأدى ذلك إلى مضاعفة مخاوف الجنوبيين من الاتحادات

الإسلامية المفترضة، لكن ذلك لم يعنِ أن إدارة كادونا كانت تجد المناسبة التى تمكنها من التدخل فى الشأن الفيدرالى.

فى ذلك الوقت، كان الحاج أحمد قارى، السكرتير الخاص لرئيس الوزراء، قد أُلحق من الخدمة العامة الشمالية لمدة ست سنوات، وكان المستشار السياسى الرئيسى يريد منه العودة لكى يصبح سكرتيراً لمجلس التسويق الإقليمى الشمالى. قال الحاج السير أبو بكر، الذى كان يرى أن مستشار الدفاع فى باوتشى غير قابل للاستبدال: **"هو ليس أهلاً لذلك"**، رد رئيس وزراء الشمال رداً سريعاً يدل على حضور البديهة "أنت الذى رشحته لمنصب من المناصب العليا"، وحتم ذلك على أبى بكر الاعتراف بأنه كان أحمق. وفى نهاية الأمر ترك العائلة صهره "العم أحمد" ولد الشاب مختار". وعلى الرغم من هذه القرابة، جرى الإبقاء عليه موظفاً فى الخدمة المدنية وبعيداً عن السياسة، وكان دوره يتمثل فى تقديم السياسيين الزائدين إلى رئيس الوزراء، لكنه كان ينسحب من ذلك التقديم عندما يكون متصلاً بالمسائل الحزبية. ثم رقَّى سنداى **Sunday** يوابيو **Ua-boi** ليكون سكرتيراً رئيسياً خاصاً لرئيس الوزراء، وبذلك يصبح المعلم أحمد يوسف سكرتيراً خاصاً. لم يكن أحد يعلم ذلك الذى كان يدور فى دواخل أبى بكر فى واقع الأمر وهو يقبل على تغيير السكرتيرين ليكونوا من كل الأجناس، والرتب، والألقاب. والذى لا شك فيه أن ذلك يتعلق بولائهم الكامل وإخلاصهم الواضح للجميع.

قام الرئيس سيكوتورى بزيارة إلى ليجوس قبل مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية الذى أشرنا إليه فى الفصل الثالث والثلاثين، والذى رأى فيه بعض المعلقين أنه كان مناسبة طيبة ومواتية لإعلان قيام الجمهورية. تكلم أبو بكر هو وسيكوتورى باستفاضة، وكلاهما صاحب ميول دينية، مع مسئوليهما وأصدرا بياناً مشتركاً مفاده أن نيجيريا وغينيا دخلتا فى مبادلات تعليمية. وبعد الكلام النمطى عن المناداة بتصفية الممارسات الإمبريالية والاستعمارية بكل صورها وأشكالها فى القارة، أضافا أنهما لمسا الأحداث الأخيرة التى أدت إلى اضطراب الحياة السياسية فى إفريقيا، لكنهما لمسا الحاجة إلى

التاكيد من جديد على إيمانهما بضرورة منع الدول الإفريقية منعًا قاطعًا من التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى. وعلى الرغم من عوز نيجيريا واحتياجها، فقد وعدت بتقديم قرض قيمته ثلاثة ملايين جنيه إنجليزى لغينيا.

بعد مؤتمر أديس أبابا، وبعد افتتاح أول مصنع لدرفلة الألومونيوم فى بورت هاركورت فى غرب إفريقيا، دعى الحاج السير أبو بكر إلى عقد مؤتمر "مائدة مستديرة" للزعماء السياسيين من إقليم الغرب الأوسط الذى لم يتم إعداده إعدادًا كاملاً. كما افتتح أبو بكر أول كلية للحقوق فى ليجوس، للتقليل من حتمية إرسال طلاب كثيرين إلى الهيئات القانونية الأربع فى لندن وإرسال طالبى حَشْو الأدمغة بالمعلومات إلى جيلد فورد Guildford وإلى أماكن أخرى فى إنجلترا. قال أبو بكر **"كلما زاد تشابك المجتمع النيجيرى، تصبح قوانينه مختلفة عن قوانين الدول الأخرى"**. ثم أعطى أبو بكر نفسه إجازة مقدارها سبعة أسابيع قضاها فى موطنه. وعندما كان مسافرًا بالقطار، كان يخطط لوقفة وجيزة عند وصلة كادونا، أو وقفة طويلة، وذلك كان يعتمد على وجود المستشار السياسى الرئيسى أو عدم وجوده فى المدينة ومدى توفر الوقت اللازم لمثل هذا النقاش والحوار، فى ذلك الوقت كانت هناك موضوعات التعداد، والجمهورية، وتقسيم الإقليم الغربى، والمواقف من خصوم حزب جماعة العمل، التى كانا يتبادلان فيها الرأى. كانت هناك بعض القصص التى ترددت فى الخارج، مثلما أشرنا فى النظرة التصديرية إلى الفصل الرابع والثلاثين، ومفادها أن حزب أكنتولا الشعبى المتحد، هو والأعضاء اليوروباويين من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، كانوا يخططون لإنشاء حزب جديد، يطلقون عليه اسم يوروبا yoruba بارابو parapo، الذى بقى وليدًا (على الرغم من انضمام كل من الدكتور ماجيكودونمى، والسير أديتوكنبو Adetokunbo أديمولا Ademola، والرئيس أتش أو ديفيز Davies إلى هذه الهيئة الثقافية الجديدة، وتشكك البعض فى أن أجبى Egbe أومو omo يوروبا، كان يحاول المباعدة بين زعماء اليوروبا غير الحزبيين وبين أولوو المسجون)، لكن وزير

المواصـلات الفـيـدرالى الرئيس أولوو أكنفـوسـايل Akinfosile، وهـو عـضـو يروباوى فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، كان هو نفسه متعاطفًا مع حزب جماعة العمل فى متاعبه، ومتشككًا أيضًا فى تحالف حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان هناك فى ذلك الوقت رأيان خارجيان متزامنان عن التنمية الاقتصادية، ومن مشربين إيدولوجـيـين مـخـتلفين، وربما اسـتـحـوذ هـذان الرأيان على انتـبـاه أولى الأمـر فى ذلك الوقت. اعـتـرف الدكـتـور نيكرومـا أن الأعـراف التـقليـدية فى حـيـازة الأرض جـعلت الضـمانات الإضـافية أمرًا يستحيل الوفاء به، الأمر الذى أصـاب الاسـتـثمار الإنتاجى بالإحباط. وراح **الاقتصـادى الدولى كولين Colin كلارك صـاحب التعاطفات الاشتراكية والصرامـة البحثية يلقى بظلال الشك على حملة منظمـة الأغذية والزراعة العالمية المعنونة "التـحـرر مـن الجـوع"، من منطلق أن هذه الحـملة جـرى تخطيطهـا فـى البـداية، وترك مـخططوها البـحث عن الحقـائق الداعـمة لهـذه الخطة إلى مـرحلة لاحـقة. ادعى كـولين كـلارك أن نسبـة تقل عن ١٥٪ من العـالم هـى التى تعـانى من الجـوع وأن ذلك مـوجـود بصفة خاصة فى كل من الهند والصين – حيث الأسباب فى هذين البلدين هـى سياسية فى المقام الأول وليست زراعية، "الطبقة الخاصة عند الهنود والشيوعية فى الصين".**

فى شـهر يونيو جـرت ترقـية يعقـوب جـوون Gowon وإمـيكا أوجـوكو Ojukwu إلى رتبة المقدم ويصبح الأول منهما مساعدًا للقائد العام والثانى مساعدًا للقائد فى شئون الإمداد والتموين. كان أوجوكو يعرف أن حزب جماعة العمل أفضل من كونه مسئولاً عن شئون الإمداد والتموين وكان يعرف أيضًا أن المسئولية عن إدارة هذه الأشياء التى من قبيل أوامر النقل من مكان إلى آخر والترقيات ربما تكون أفضل من المسئولية عن اللوجستيات(*) والمواد والعتاد. ومع ذلك لم يعر يعقوب جوون اهتمامه للتلميح الذى

(*) اللوجستية : هى دراسة تحركات القوات العسكرية وإيوائها وإمدادها. (المترجم)

مفاده أنهما يقترحان تبادل هذين المنصبين مع كل من محمد رباط Ribadu وولبى - إيفرارد Welby - Everard قبل إعلان ذلك فى الصحف.

يدخل فصل الصيف، مع بداية "جولة كينيدى" الخاصة بالمفاوضات المتعلقة بتخفيض التعريفة الجمركية فى ظل منظمة الجات GATT، وقيام إندونيسيا باحتلال إريان الغربية، وانتخاب جرونتزكى زعيمًا لدولة الحزب الواحد فى توجو، وكان لا يزال غير معترف به من واشوكو (بناء على تعليمات من أبى بكر) أوسيكو تورى، وانهيار المحادثات حول كشمير بين الهند وباكستان، وأداء جومو كينياتا لقسم الولاء فى اليوم الأول من شهر يونيو بمناسبة ترؤسه للوزارة الكينية بعد فوز الاتحاد الكينى الإفريقى الوطنى فى الانتخابات الاستعمارية العامة التى جرت مؤخرًا، وإعلان سوكارنو نفسه رئيسًا لأندونيسيا مدى الحياة، ووفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين، وقيام البوذيين بممارسة إزهاق أرواحهم من باب الاحتجاج السياسى فى فيتنام الجنوبية، واصطحاب أول طالبين زنجيين للالتحاق بجامعة ألباما. وعلى الرغم من ذلك جرى اعتراف نيجيريا فى نهاية المطاف بحكومة توجو فى اليوم الثالث عشر من شهر يونيو، وقيام أبى بكر بإرسال رسالة شخصية متأخرة إلى جرونتزكى. ودارت محادثات لم تنته بين الصين وروسيا حول الفروق الإيدولوجية بينهما، وموافقة أحد المؤتمرات الذى عقد فى لندن على استقلال جزيرة مالطة، وأن لا يتأخر ذلك الاستقلال عن الحادى والثلاثين من شهر مايو من العام ١٩٦٤، والتوصل إلى اتفاق على منح الحكم الذاتى الداخلى لجيانا البريطانية، على أن يكون ذلك أيضًا فى العام ١٩٦٤، وانعقاد مؤتمر فى شهرى يونيو ويوليو عند شلالات نياجرا، أفضى إلى تفكيك اتحاد وسط إفريقيا، توقيع كل من بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، واتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بالأحرف الأولى على معاهدة حظر التجارب النووية، وتوقيع ثمانى عشرة دولة إفريقية فى ياوندى بصورة نهائية على معاهدة الانتساب إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية، مؤسسة بذلك أفضليات تجارية متبادلة، وسمح الاتحاد الأفرو - ملجاشى بانضمام

توجو إليه، الأمر الذى مكن توجو رسميًا من التوقيع على ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، وسعى فرنسا إلى التقارب مع جرونتزكى، وفى جمهورية الكنغو برازافيل، تنازل الرئيس آبى Abbe فولبرت Fulbert يولو Youlou عن سلطاته للجيش بعد رفض الرئيس ديجول مساندته بقوات فرنسية، قيام نجو Ngo دنه Dinh دايم Diem بإعلان الأحكام العسكرية العرفية فى فيتنام الجنوبية، وانتباه العالم إلى مسيرة تحرير الزنوج التى جرت فى واشنطون. ازدياد الفخر القومى عندما وجهت الدعوات إلى الدكتور ماجيكودونمى لترؤس الاجتماع السنوى لمنظمة الصحة العالمية، وإلى زميله الوزير الفيدرالى جى إم جونسون لترؤس منظمة العمل الدولية فى جنيف.

عندما عاد أبو بكر إلى ليجوس، استعدادًا للاجتماع البرلمانى القصير الذى يحدث فى شهر أغسطس، كان الرجل قد اقتطع يومين من إجازته ليترأس مجلس الاقتصاد الوطنى فى كادونا، كانت جامعة نسوكا قد منحت ١٥٠ درجة علمية نيجيرية لأول مرة، ولم تعتمد على اعتماد تلك الدرجات من الخارج، وجرى أيضًا فى كادونا افتتاح مصنع آخر للنسيج بقيمة حوالى مليون جنيه إسترلينى، وافتتح أيضًا فى جوس معملاً لصهر القصدير، كما ترأس أبو بكر وهو سعيد بذلك افتتاح وصلة السكك الحديدية فيما بين باوتشى وجومب Gombe، وقام أبو بكر أيضًا بزيارة زميله فى سلطة باوتشى المحلية يعقوب ليم Lameعندما كان مفوضًا محليًا على النيجر، التى تعرف فيها بجرأة على السكرتير المحلى، الذى كان فى يوم من الأيام أحد خريجى الشمال فى مجال الآثار، فى تنقيبات الأيف Ife وحفرياته، واسمه ليمان شيروما، تعرفه أبو بكر بوصفه واحدًا من مجتمع البوليوا Bolewa من الفيكا Fika فى برنو Borno، وذلك من خلال الوشم الذى على وجه الرجل. وبناء على طلب من أمين كانو قام أبو بكر باتخاذ الترتيبات اللازمة لاستضافة صديق أمريكى هو الدكتور فينستين Feinstein (كاتب سيرة "المعلم") على نفقة الحكومة فى السكن الرسمى المخصص لزعيم المعارضة فى ليجوس، نظرًا لوجود ساكن ذلك المكان فى الحجز والتحفظ. **ووافق سكرتيره الصحفى لواحد من**

المراسلين الصحفيين الفضوليين على أن أبا بكر لم يلتزم فقط بالتخفيض التطوعى لراتبه الرسمى الذى يقدر بحوالى ٥٠٠٠ جنيه إنجليزى، وإنما لم يسحب الرجل أيضًا أى بدل من بدلات السفر أو البدلات الأخرى، غير بدل السيارة المخصص فى الخدمة المدنية منذ العام ١٩٥٧: بل وصل الأمر بأبى بكر إلى أنه كان يصحب معه تعييناته أثناء قيامه بأية رحلة من الرحلات أو حتى عندما كان يقوم بالرحلات الداخلية.

ونحن عندما ننحى جانبًا مسألة إقرار ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، نجد أن الدور الرئيسى لأبى بكر أمام مجلس المندوبين (الممثلين) تمثل فى تحريك القراءة الثانية لقانون الإقليم الغرب الأوسط (الشروط الانتقالية)، التى تعطى الاتحاد الفيدرالى سلطة تعيين إدارة رسمية مرحلية لمدة ستة أشهر، وتعليق انتخابات حكومة إقليمية رابعة. ووقع الاختيار على الرئيس دينس Dennis أوسادباى Osadebay، الذى سيكون له مجلس استشارى، واتفق على أن تقوم محكمة ليجوس العالية على إقامة العدالة إلى أن يتم تشكيل محاكم جديدة (واتفق على أن يخصص مقعد من مقاعد الغرب الأوسط للرئيس Chief أرثر برست، أحد الوزراء المركزيين)، واتفق أيضًا على بقاء المحاكم المحلية التقليدية وممارستها لأعمالها. وجرى الاتفاق أيضًا على العمل بقوانين الإقليم الغربى إلى أن يتم تعديلها، كما اتُّفق أيضًا على حصول إقليم الغرب الأوسط على منحة نقدية من الحكومة الاتحادية لتغطية النفقات إلى أن يتم تحديد أصول الإقليم الغربى وخصومه وإعادة توزيعها بعد ذلك. وجرى الإعلان أيضًا عن مصروفات أخرى مفادها أن مجلس التعداد الفيدرالى الجديد سوف ينفق ٢,٥ مليون جنيه إنجليزى، أى بزيادة مليون جنيه عن التعداد الباطل الذى أجرى فى العام ١٩٦٢، على أن يجرى استخدام فريق مختلط من الأقاليم الأربعة يقوم بمراجعة أرقام بعضها البعض، واتضحت أهمية التعداد للحكومات التى تحدد المنافع. اجتمعت الحكومات فى شهر سبتمبر وقررت القيام بتعداد خاطف للرءوس تحت رعاية الأقاليم فى الفترة ما بين ٥ و٨ نوفمبر، على أن يقوم كل إقليم بإرسال مفتشين لمراقبة ذلك الذى جرى القيام به

ومراجعته فى الأقاليم الأخرى. وسوف يجرى استعمال الاختبارات العلمية التى أوصى بها السيد/ وارين والمتخصصون الديموغرافيون الآخرون، فيما يتعلق بالأرقام التى سيجرى إرسالها إلى ليجوس.

وجرت مراجعة سريعة للعلاقات الخارجية، فى ظل الهياج الذى بدأ يتزايد مع اقتراب مواعيد الاحتفالات الجمهورية. ركب الحاج السير أبو بكر على ظهر سفينة القطر كنجز بورت kingd port التابعة للبحرية الأمريكية فى ميناء ليجوس، باعتبار ذلك جزءًا من برنامج افتتاح عالمى مدته نصف ساعة لاتصالات القمر الصناعى "سنكوم اثنان"، وتحدث أبو بكر إلى السيد/ جون كينيدى فى البيت الأبيض، تمنى الرئيس الأمريكى على أبى بكر زيارة أمريكا مرة ثانية، وقال رئيس الوزراء إنه ينوى القيام بهذه الزيارة خلال وقت قريب. كان أبو بكر قد أُحبط بواسطة الروس: كان الرجل قد قبل دعوة خروشوف له لزيارة موسكو فى شهر أغسطس، لكنهم أبلغوه أنهم سيكونون "مشغولين جدًا فى ذلك الوقت"، وأن الزيارة سيجرى تأجيل موعدها بعض الشىء. جاء وزير الخارجية الغانى إلى كوجو Kojo بوتسيو Botsio ليعيد بناء الجسور بعد قيام منظمة الوحدة الإفريقية، وقال عن أبى بكر: "إنه يعرف بحق ذلك الذى يدور فى إفريقيا، وفى العالم ككل – ولديه أيضًا الشجاعة التى تمكنه من مواجهة ذلك"، تكلم بوتسيو أيضًا عن العودة إلى عملة الكمنولث الشائعة فى غرب إفريقيا، وتكلم أيضًا عن خطوط النقل المشتركة وتبادل الزيارات. أما الأخبار التى وردت من مناطق أخرى فكانت أكثر تشابكًا. فقد فاجأ فيرورد الكمنولث وأدهشه بتقديم مناطق دخول اللجنة العليا الثلاثة باعتبارها ثلاثة بانوستانات(*) تتمتع بالحكم الذاتى فى إطار الجمهورية (كان السيد/ واشوكو يداعب مقترحًا جديدًا، يرمى إلى تكوين اتحاد فيدرالى جنوب أفريقى، ومكون

(*) واحدة bantustan وهو مكون من كلمتين بانتو bantu إحدى السلالات الإفريقية وبخاصة فى جنوب إفريقيا، وكلمة stan وهى منطقة الإقامة وبذلك يكون المقصود هو مناطق إقامة البانتو. (المترجم)

من دولتين إحداهما بيضاء والأخرى سوداء، على أن يكون للدولتين تمثيل عرفى متساوٍ فى مجلس مركزى للشيوخ، ولم يتخذ أبو بكر رأيًا رسميًا بشأن هذا الاقتراح). كان كينيدى قد وضع الحرس الوطنى الألبامى تحت السيطرة الفيدرالية، والذى كان الحاكم والاس Wallace قد عبَّأه لفرض الفصل العنصرى. وجرى انتخاب الرئيس أحمد بن بلاً رئيسًا للجزائر. شكلت من الملايو وسنغافوره، وسباه (بورنيو الشمالية البريطانية)، وسرووال الاتحاد الماليزى، وهاجم المتظاهرون الإندونيسيون السفارة البريطانية فى جاكرتا، وفى اليوم التالى المصادف للسابع من شهر سبتمبر، قطعت ماليزيا الجديدة علاقاتها مع إندونيسيا. وجرى عزل رئيس جمهورية الدومنكان بواسطة الفئة العسكرية المغتصبة للحاكم .Junta ونادت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة بتحريم نقل الأسلحة أو البترول إلى جمهورية جنوب إفريقيا. وقام الحاج السير أبو بكر، مثلما أوضحنا فى الفصل الثانى والثلاثين، بزيارة جمهورية الكنغو الديمقراطية (ليوبولدفيل)، حيث سألوه عن الاعتراف بالحكومة المؤقتة التى جاءت بعد يولو youlu فى الكنغو برازافيل فقال: **"اتركوهم يستقرون أولاً"** قالها بهدوء مثلما قال من قبل عن استخدام حق النقض فى نزاع تجدد فى مجلس الأمن حول روديسيا الجنوبية، **"لقد صدر القرار بناء على نية ذاعت على شكل شائعة – كيف يمكن لأى إنسان بناء قرار على أساس عن شائعة ليس إلا؟ استخدام بريطانيا لحق الفيتو كان استخدامًا سياسيًا"**.

كانت السحابة السوداء الوحيدة التى يمكن أن تشكل تهديدًا حقيقيًا معلقة حقيقة فى سماء العمل. كان الطرفان الرئيسيان لنقابات العمال، المنفصلة بفعل الأيدولوجيات الدولية، متباعدين رسميًا. يجب أن لا يغيب عنا، أن الماركسيين المرتقبين، كانوا قد اتحدوا تحت مظلة عنوان مؤتمر نقابات العمال النيجيريين، على الرغم من أن حزب مؤتمر العمل المتحد كان قد ساعد فى تشكيل لجنة عمل مشتركة. على كل حال، وفى إشارة عاطفية من جانب حكومة أبى بكر، فتحت الحكومة المجال أمام تهيئة الفرصة

التى تسمح بالتعبير عن الاستياء المنظم. كان كل المستخدمين والعاملين فى نيجيريا والذين لم يكونوا مرتبطين بكتب القواعد الخاصة بأية منظمة من المنظمات الكبرى، وعلى امتداد قرن من الزمان، يدفعون دفعة مقدمة من أجورهم للعمال الأوفياء الذين كانت لديهم احتفالات محلية خاصة متوقع حدوثها أو لمواجهة أية نكبات مفاجئة يمكن أن تحل بالعمال، هذا يعنى أن كثيراً من العلاقات الخاصة بالعمالة جرى تصريفها عن طريق الدين، يضاف إلى ذلك أن أيام قبض الرواتب جرى تعديلها لتسبق أعياد الميلاد أو **الصلاة الكبيرة**، ولا تكون بعده. يزاد على ذلك أن القرار الذى صدر لصرف رواتب العاملين وأجورهم مقدماً، حتى يتمكانوا من إضفاء المزيد من المرح على يوم إعلان الجمهورية، وزيادة الفرحة الشعبية، هذا القرار مكن العمال من القيام بالإضراب العام. وانعقدت لجنة العمل المشتركة الخاصة بالنقابات العمالية الكبيرة فى الوقت الذى كانت فيه أذهان العمال منشغلة بإضراب الميناء، الذى أجمع القائمون به على المطالبة بزيادة كبيرة فى الأجور لمواجهة تكاليف المعيشة المرتفعة فى الحضر، والتى (على حد قولهم) استطاع الوزراء وكبار الموظفين المدنيين إيجاد الوسائل البديلة التى تمكنهم من التغلب على هذه المشكلة. كان هناك أيضاً احتجاج غير معلن على الإسراف الرسمى. وانصراف الوزراء إلى الملذات، والفساد، ومع ذلك كان الكثير من هذا الكيد نابعاً من مجرد الغيرة والحسد. وهنا نجد أن مجلس الوزراء الفيدرالى، الذى كان يمارس عمله التنفيذى على أساس من المذكرات المدرجة ضمن جدول الأعمال، وليس على أساس من جماعات الضغط الحزبية أو الإقليمية، يرفض النظر فى مسألة أية زيادة فى المرتبات، لكن الوزير شيف جونسون وافق على التفاوض مع زعماء نقابات العمال.

وعندما جاء الوقت المناسب، آثر شيف جونسون الانضمام إلى جماعة الترحيب المعتادة الذاهبة إلى أكيجا Ikeja لتحية رئيس الوزراء بمناسبة عودته من الكنغو ومن مزرعته فى باوتشى. كانت مسألة العادة الاستعمارية التى درجت على حضور الوزراء كلهم مناسبات التوديع والاستقبال احتفاء بالحاكم الذى يسافر فى مهمة رسمية، والتى

كانت تجرى على هدى من احتفالات البلاد البريطانية، هذه العادة انتقلت إلى مستوى مجلس الوزراء، وذلك على الرغم من أن بعض رؤساء الوزراء المحليين كانوا أكثر تسامحًا من رؤساء الوزراء الآخرين مع الأعذار التى كان يبديها أولئك الذين تخلفوا عن الحضور، وكان الحاج السير أبو بكر يحاول منع أولئك الذين تكون لديهم أعمال أفضل من ذلك ويتحتم القيام بها. ربما يكون شيف جونسون قد تصرف على هذا النحو لأنه كان يعامل أبا بكر باعتباره صديقًا شخصيًا حميمًا، لكنه مع ذلك أتيحت له فرصة إبلاغ أبى بكر بالموقف. ومن سوء الطالع أنه أعطى ذلك الذى حدث الفرصة لزعماء نقابات العمال للقيام بهجوم مدروس ورفض أى بديل عن ذلك. كانت تلك الأزمة تعنى أن اللجنة المشتركة، لم يكن أمامها بديل آخر عن المناداة بالإضراب العام، الذى أدى إلى توقف المكاتب الحكومية عن عملها وكذلك المؤسسات، لكن ذلك الإضراب العام لم يؤثر على القطاع الخاص. لجأ أبو بكر إلى اتخاذ إجراء، وبناء على وعد بقيام لجنة بدراسة الحد الأدنى للأجور دراسة مستفيضة، فى سائر أنحاء الاتحاد، وتحت رئاسة قاضى القضاة فى محكمة ليجوس العليا، السيد/ أدينكا مورجان، توقف الإضراب بعد ثلاثة أيام، وكان ذلك تحديداً فى مساء اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر.

كان ذلك، بشكل أو آخر، مثالاً على أسلوب الحاج السير أبى بكر فى القيادة، لم يكن الحاج محمد رباط واسع الصدر على نحو يمكنه من مداهنة مجموعة من المصالح المتعارضة متباينة الألوان ليعقد بينها شكلاً من أشكال المصالحة، ولم يكن الرجل يظهر الجانب الذى يمكن أن ينضم إليه عند اتخاذ أى إجراء من الإجراءات الحاسمة، فى حين كانت قدرة رئيس الوزراء على التحمل، تجعله يميل إلى القول: **"وهو كذلك أيها الرجال، هذه ليست نهاية العالم، سوف ننظر فى الأمر"**، وعلى الرغم من رؤية الرجل الواضحة لما هو حق وعدل، فقد كان بوسعه الاهتداء إلى الطريق الذى يوصّل إلى حل وسط متضمن فى إطار المنظومة الفيدرالية. وفى مواجهة أبى بكر لذلك النقد القادم من أولئك الذين لا يدركون الأمر إلا بعد فوات الأوان، ويقولون إنه لا الحاج السير أبو بكر

أو الخدمة الاستعمارية حاولا التمهيد لعمل منظم من أجل القيام بدور طبقى بناء ومتكامل فى مجتمع ديمقراطى حديث، كان الرجل يجد أن حقه المشروع فى الرد على ذلك بقوله إنه لم يستطع فهم لغة هؤلاء المنتقدين، يزاد على ذلك أن فكرة أن تكون هناك هيئة نقابية للكادحين ولها مكانها فى البيئة الوطنية، فى مجتمع لا يزال يسيطر عليه القرويون الذين يعتمدون على اقتصاد فلاحى زراعى، تعد فكرة غريبة - هؤلاء الفلاحون أفرادًا، يستحقون المعاملة الطيبة فى ضوء تدبر العواقب، كما أن القانون يعطيهم الحق فى ذلك، ولكن ليس لهم القدرة على لى عنق القانون أو الموظفين الأشراف على النحو الذى يتفق مع إرادتهم.

يطلع فجر يوم إعلان الجمهورية، بعد ثلاث سنوات من الاستقلال، ومعه رئيس للدولة هو الدكتور نانمدى آزكوى، المعروف فى الخارج معرفة شخصية لكل من هم معنيون بإفريقيا، والذى يحظى بالقبول على المستوى الداخلى بصفته رمزًا لوحدة البلاد: كان رئيس الحكومة، الحاج السير أبو بكر فى ذلك الوقت، يحظى باحترام كبير فى سائر أنحاء الدنيا، وبخاصة فى الأماكن التى للعلاقات الدولية فيها مغزى ومعنى، كما حظى الرجل أيضًا بولاء شديد من أناس لا يُعدون أو يُحصون، لكنه كان يحظى بإعجاب ينطوى على شىء من الحيرة من معظم القطاعات العريضة من المجتمع النيجيرى. ومع انقطاع آخر الخيوط الحريرية من خيوط القيد الإمبريالى بدا كل من الرجلين نيجيريًا للأعين الراديكالية. عرف الزعيمان أن الحياة العامة والحكومة كانت عبارة عن كرة من الخيوط المعقدة، التى لا يمكن فك أى عقدة منها قبل فك العقدة السابقة لها. كان الرجلان يعرفان، على سبيل المثال، أن زيادة البطالة المؤسسية كان نتيجة للانجراف التضخمى فى المدن، وأن ذلك التضخم ازداد سوءًا بسبب زيادة عدد السكان (بغض النظر عن التعداد المزيف)، وعدم استقرار المجتمع التقليدى من خلال تخفقه الحماسى من التعليم، وازداد سوءًا أيضًا بسبب الهوة المتزايدة اتساعًا بين الثروة فى الريف والثروة فى الحضر، وبسبب تركيز السواد الأعظم من الاستثمارات

الجديدة على العاصمة. لم يُعِرْ الرجلان بالا ولم يتخوفا من أن المستشار السياسى الرئيسى قد يدخل القسم الأكبر من البلاد فيما يشبه الكمنولث الإسلامى، لكنهما كانا يعرفان أيضًا أن بعض العقد الأخرى الأقل وضوحًا كانت أسوأ من المعضلات التعصبية التى يصعب حلها، هذا يعنى أن قسمًا كبيرًا من خطة التنمية أصبح من المستحيل تمويله، من ذلك، على سبيل المثال، أن مواصلات البلاد، وبخاصة فى فصل الأمطار، ظلت عملية مكلفة وبلا مصداقية، كما كانت هناك ردة إلى العصابات المسلحة، ولم تكن تلك الردة مقصورة على الإقليم الغربى أو على بلاد التيف Tiv، كما كان هناك أيضًا إغفال منظم لسلطة التمدين فى بعض مناحى الحياة اليومية، وتدنت النظرة إلى السياسيين، لكن مقاعد هؤلاء السياسيين لم تكن معرضة للخطر من قبل القادمين الجدد أو ممن هم أفضل منهم، يزاد على ذلك أن المواقف الشعبية السطحية من الفساد الذى بدأ يستشرى أكثر وأكثر، كان يندر دعمها أو مساندتها من قبل روح عامة منكرة للذات التى كان أبو بكر وحده لا يزال يكشف عنها. من خلف الابتسامات والضوضاء المرحة التى تحدثها إفريقيا، حتى فى أوقاتها العصيبة، يسهل تعرف المبعدين وتمييزهم، لأن هؤلاء المبعدين ليسو غريبين عن نيجيريا: وإذا ما نحينا جانبًا المتمردين القدامى الذين يمكن العثور عليهم بين صفوف الطلاب الذين يحصلون على إعانات مالية، يمكن العثور على هؤلاء المبعدين بين الموظفين المدنيين الذين لم تجر ترقيتهم، وبين العمال المهنيين المحبطين، وصغار المحاضرين فى الجامعة، وأعراق الأقلية، وعمال الأجر اليومى، والمتسربين من المدارس، الذين لا يجرى الاستفادة بهم إلا فى الأعمال غير الماهرة. كانت هناك مشكلة أخرى تمثلت فى قلة عدد السياسيين التنفيذيين الذين اعتادوا على الإدارة المباشرة، بالشكل الذى كان عليه أبو بكر، هذه القلة من السياسيين التنفيذيين كانوا ينتظرون من موظفى وزارتهم تقديم مقترحات عن السياسة، والتى يجوز لهم قبولها أو رفضها، طبقًا لأهوائهم فى بعض الأحيان.

تعززت مظاهر الضعف هذه بمجموعة قليلة من المؤشرات المتضاربة. كان النظام المالى، والمشاركات مع الاستثمارات الأجنبية قد حولت وغيرت كلاً من إكيجا، ويورت هاركوت وكادونا: وعلى الرغم من أن تلك الاستثمارات الأجنبية كانت تهدف إلى الاستهلاك الداخلى، كان هناك تصنيع، ومصانع تجميع سبق المطالبة بها، لكنها لم تكن موجودة فى البلاد قبل ثلاث سنوات، وكانت تلك المصانع تنتج المزيد من المنسوجات، والأثاث، والأدوات المكتبية، والإطارات، والمشروبات الغازية (بشكل مفرط)، والدهانات، والأسبستوس، والألومونيوم، والألواح المعدنية، والزفت، والمصنوعات الزجاجية، والشموع، والمُسكرات، والمطاط، والدقيق والصيدلانيات البسيطة، والسكر، وأجهزة الراديو، ومكيفات الهواء، والمحركات من الأجزاء المستوردة، وكان هناك وعد أيضًا بمصنع لدرفلة الحديد، ومعمل لتكرير البترول للقضاء على العار الوطنى الذى مفاده أن إنتاج نيجيريا من الزيت يجرى تكريره فى كل من تيما Tema وغانا. كانت مسألة البداية البطيئة فى خطة التنمية لها مزاياها إلى حد ما، ما دام أن الخسائر سوف تقتصر على المشروعات الكبيرة. وفى الوقت الذى كان الشباب المتعلم والمفكر، يرفض الممارسات العملية، راح يفكر تفكيراً نظرياً أيديولوجياً الذى كان فى أضعف الأحوال يصطبغ بالصبغة القبلية حتى عندما يكون قائماً على التمدين والتغريب. كان مؤشر الميزان التجارى المتراكم قد بدأ فى الانخفاض، على الرغم من القدر البسيط فى إجمالى التجارة الخارجية الذى كان لا يزال كبيراً، وقد ظهر ذلك على شكل نتيجة مرتبطة بالتعريفة الجمركية التى التزمها الرئيس فستوس، والإنتاج المحلى، والتقلبات فى أسعار الصادرات، كانت بريطانيا لا تزال تستوعب ما يزيد على ٤٠٪ من الصادرات وتورد ما يقل قليلاً عن ٤٠٪ من الواردات، وجاء الشركاء التجاريون بعد ذلك، من حيث الحجم، متمثلين فى اليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الغربية. كان الكاكاو ولا يزال يجيء على رأس قائمة الصادرات من حيث القيمة والكمية، وجاء الفول السودانى فى المرتبة الثانية بعد الكاكاو، وعلى الرغم من أن منتجات النخيل كانت منخفضة، فقد جاءت فى المرتبة الثالثة، وجاء بعدها الزيت الخام، فى حين جاء

الخشب فى المرتبة الخامسة، وبقيت نيجيريا البائع الوحيد الذى يبيع للعالم حوالى ٩٥٪ من الكولمبيت.(*)

حسب الاقتصاديون تلك الثروات فى ذلك الوقت، بالإضافة إلى العناصر التقليدية الخاصة بالإعاشة والتبادل، وقالوا: إنها تخلق دخلاً قومياً مقداره حوالى ١١٨٥ مليون جنيه إسترلينى أو تسع وعشرين جنيهًا إنجليزيًا واثنى عشر شلنًا عن كل رأس على أساس من التقديرات السابقة للتعداد، هذا يعنى أنه فى حال إذا ما زاد عدد السكان على أربعين، فذلك يعنى أن الزيادة فى إنتاج الطعام، والحرف والمنشآت الريفية سوف يؤدى إلى زيادة الدخل القومى، لكن ذلك سيؤدى إلى انخفاض نصيب الفرد من الدخل. حتى ذلك الوقت، لم يكن ضمن الخدمة الرسمية سوى مليون فرد (منهم حوالى ٦٦ ألف يعملون فى مصانع كانت تستعمل عشرات الأزواج من الأيدى)، لكن هؤلاء العمال كانوا يشكلون ٨٪ من إجمالي الناتج المحلى. كان حوالى ٦٠٠ ألف من هؤلاء العمال يعملون فى مؤسسات تستخدم الواحدة فيها منها ما يزيد عن عشرة أفراد، من بينهم ٣٤٢ ألفًا كانوا يعملون فى الحكومات (منهم حوالى ٩٠ ألفًا يعملون فى مؤسسات عامة). وهذا يعنى أنه كلما زاد عدد السكان، قلت النسبة التى يمثلها كل هؤلاء العاملين، وبالتالى تقل قيمة مفهوم "الطبقة العاملة".

ثارت ثائرة سالفى الذكر، وكما هو الحال فى الدول الصغيرة، راحوا يتكلمون كلاماً مبهماً فيما بينهم وبين أنفسهم عن الفضائل التى يمكن أن تعود عليهم من نظام الحزب الواحد، وتجاهلوا النتائج التى يمكن أن تترتب على ذلك فى ظل بنية انتخابية على الطريقة البريطانية، التى تقضى بأن يحصل الفائز فيها على كل شىء، بلا تحفظ أو وازع من ضمير يأخذ فى اعتباره تأرجح البندول السياسى فى الاقتراعات المستقبلية. ومع ذلك، فقد شاهد هؤلاء العمال مؤخراً أن منظومات الحزب الواحد وهى

(*) الكولمبيت : خام معدنى مكون من الحديد والألومونيوم. (المترجم)

تدخل الوزراء المنتجين فى السجن فى كل من ساحل العاج، وغينيا، ومالى، والنيجر، وخضوع تلك المنظومات للانقلابات العسكرية فى كل من داهومى وتوجو. هناك وزراء آخرون أُدخلوا السجن فى ليبريا، التى ليس فيها انتخابات معترف بها (بعد مؤامرة الاغتيال قبل "حملة" الانتخابات الرئاسية فى العام ١٩٦٣، كان رئيس الحرس الوطنى الليبيرى من بين خمسة آخرين أُلقى القبض عليهم)، وقام محمود ضياء نفسه بإحداث انقلاب فى السنغال. زد على ذلك، أن المجتمعات وحيدة الثقافة والتى اقتصادياتها متخلفة قد لا تكون بحاجة إلى ترف الأحزاب المتنافسة أو إلى الخيار بين السياسات التشريعية، لكن ربما لم تكن بحاجة أيضًا إلى التعقيدات السياسية والتعقيدات الدستورية أيضًا. أما المجتمعات الجمعية، كما هو الحال فى نيجيريا، فقد تحتم عليها إنتاج أحزاب إقليمية، الأمر الذى يعنى أن البندول البريطانى يعد شيئًا مستحيلاً فى مثل هذه الأحزاب. وقد عجز البريطانيون عن حل مشكلة القبلية عن طريق إدخال النظام الشمولى، وبقيت علامة الاستفهام الكبيرة فى نهاية الصفحة التى حررها الإنجليز. وقد أدى التحالف الذى أمكن التوصل إليه فى اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر، بفضل عطف أبى بكر ورقته من ناحية وبفضل الوساطة الأمينة فى البحث عن أعلى العوامل المشتركة فى كل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين بشأن مواقفهما من الموضوعات الفيدرالية، أدى ذلك التحالف إلى جعل أسلوب الضجر والمضايقة أمرًا محتومًا. لم يفعل ذلك التحالف شيئًا فى مسألة القضاء على القبلية أو إضعافها. كره المفكرون هذه الكلمة، لكن غيرهم من الناس كانوا يستعملونها فى حياتهم اليومية. لم تكن المسألة متمثلة فى كراهية الجنوب، على الرغم من قلة تلك الكراهية بعض الشىء، للشمال، لكن المسألة كانت متركزة فى خوف الجنوب من الشمال. وما دامت الغلبة لمزايا التعليم على الأعداد الكبيرة، فذلك خير وبركة، لكن ما أن يحصل عدد كبير من الشماليين على ذلك النوع من التعليم الغربى، فإن القلق سوف يكون منشأة التنافس على السيادة والتفوق ويبقى الحال على هذا المنوال إلى أبد الآبدين.

إذا ما نظرنا إلى البلاد كلها بشكل عام نجد أن القبلية كانت هي الظافرة بكل تأكيد. كان هناك ثلاثة جامعات إقليمية من أصل خمسة جامعات. كانت القوة الشرطية، على الرغم من تفاخرها الفيدرالى، كانت أكثر تنظيمًا على المستوى الإقليمى منها على ما تصورته لجنة الأقليات التى أنشأها ولينك فى العام ١٩٥٨ الميلادى. وعلى الرغم من بقاء ثلاثة فقط من السكرتيرين الدائمين الفيدراليين المقيمين لحضور الاحتفال بيوم إعلان الجمهورية، كان لا يزال هناك غضب قبلى نتيجة عدم التوازن فى المناصب الحكوميه الكبرى: كانت أغلبية شاغلى هذه المناصب يسمون أنفسهم "نيجيريين"، لكن أولئك الذين كانوا يشتكون من أن ٥٪ فقط من الوظائف المحلية ووزارة الخارجيه كانوا يأتون من الشمال، فقد واصلوا وصف هؤلاء الموظفين بأوصاف عرقية. تردد جدل كثير حول "المؤهلات" فى مواجهة "الخبرات : كان هناك اثنان من بين "السكرتيرين الدائمين الشماليين" وهما سول كولو وعبد العزيز عطا، الذى كان يبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عامًا وهو من مجتمع الباليول Balliol، كانا حاصلين على مرتبة الشرف، لكن عيسى كوتو، وموسى دجّاش، وعبد الرحمن موره (عادوا من الخدمة القنصلية فى المملكة العربية السعودية إلى وزارة شئون ليجوس)، على الرغم من أنهم لم يكونوا مؤهلين مهنيًا لذلك. وهنا تيجه محمد رباط إلى رئيس الوزراء وقال له: "أنت وأنا يتعين علينا أن نحزم أمتعتنا ونعود إلى الشمال! نحن لسنا مؤهلين للبقاء والعمل فى ليجوس. أنت من الناحية الأكاديمية مثل الحاج موره والحاج كوتو!" واقع الأمر أن الحاج السير أبا بكر كان قد أوصى مشددًا بنقل الحاج عبد الرحمن من الخدمة فى الشمال، أبلغ الحاج السير أبا بكر، الحاج أبو بكر إمام فى كادونا أنه يود أن يرى رجلاً شريفًا ليست له تدخلات أو تورطات محلية على رأس وزارة هشة جرى توريطها فى الجدل الدائر حول الأراضى. وعندما جرى الإبلاغ عن عمل تحقيق فى الاضطرابات التى وقعت فى ليجوس، برهن ذلك على صحة الاختيار. وغاب عن بال الجميع أنه مع الاستقلال، اتضح أن عددًا كبيرًا من السكرتيرين الشماليين الدائمين المعينين حديثًا كانت لديهم بعض المؤهلات الورقية التى تثبت أنهم

أعلى تأهيلاً من الجنوبيين الذين يشغلون مثل هذه المناصب والذين جاءوا إلى هذه الوظائف من خلال موظفى ليجوس.

فى الخدمة العسكرية كانت هناك شكاوى مضادة مفادها أن معايير الانضمام إلى الجيش كان يجرى التلاعب بها عن عمد، كما بقيت الأفضلية مقصورة على التجنيد من بين رتب أخرى من بين أولئك الذين كان "ينظر" إليهم على أنهم مصادر تتسم بقدر أكبر من "العسكرية" (وذلك على الرغم من ندرة الحصول على مثل هذه المصادر طواعية فى الإمارات الرئيسية). واقع الأمر أن محمد رباط، هو الذى كان يضغط بشدة وبدون إيعاز من أحد، من أجل أن يسعى المزيد من متعلمى الشمال إلى الانضمام إلى كادر الضباط فى الجيش، الذى جرى فيه تعديل الحصص حتى يمكن إفساح المجال أمام الإقليم الرابع، وكان يطمح أيضًا إلى أن يلتحق الشماليون الذين يقرأون ويكتبون برتب الجيش الأخرى الخاصة بالصف والجنود. وأوفد جاك جاوون فى مهمة فشلت فشلاً ذريعًا، وكانت تهدف إلى تشجيع نقل الموظفين الحكوميين الشماليين للانخراط فى سلك الجيش. كان المستشار السياسى الرئيسى بدوره يشجع أصدقاءه من بين الأرستقراطيين والعلماء على إبعاد طموحات أبنائهم عن الوزارات والمؤسسات التعليمية ونقل هذه الطموحات إلى المجال العسكرى. كان جوى سميث سكرتير المستشار السياسى، عضواً شرفيًا فى ميس(*) الضباط، ولذلك كان يروح بين الحين والآخر يوجه بعض الملاحظات لوزراء الشمال ينبههم إلى الأخطار المتربصة التى تنطوى عليها أفكار الضباط المؤهلين.

ومن باب الموازنة بين هذه الضغوط، أصر رئيس الوزراء، مثلما فعل مع الرئيس ريمى فانى - كايود، ذلك الغربى الذى اشتكى من أن التمييز العكسى كان أقل فاعلية فى الجيش عنه بين هيئة العاملين فى الوزارات وقال له: **"إذا كان لديك رجال،**

(*) ميس: هو المكان الذى يتناول الضباط فيه طعامهم. (المترجم)

أحضرهم! فإن لدينا أماكن فى الجيش لكل الشباب النيجيريين المؤهلين: نحن لا نعرف التمييز، والتمييز ليس من سياستنا"، واقع الأمر أن شباب اليوروبا كانوا ينهالون على الجيش للتخفيف من عدد الضباط الأجبو من رتبة النقيب فما دون. وهنا تكون الرسالة غير المعلنة قد وصلت إلى التسلسل القيادى فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا، ومفاد هذه الرسالة أن عقد الحزب مع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين قد انتهى. كانت الصورة الذهنية التى ارتسمت فى أذهان الجميع أن أى حزب شرقى أصبح يعرف بصورة قاطعة أنه لن يستطيع الوصول إلى الحكم فى نيجيريا عن طريق الاقتراع، وراح الحزب بعد ذلك يملأ سلاح الضباط بالأفراد، وراح الحزب يفكر فى إزاحة أكنتولا بالقوة. أما كيف جرى تنفيذ هذه "المؤامرة" فهذا هو ما لم يجر توضيحه بعد.

دخلت نيجيريا الجمهورية الأولى، وبالزعامة الاسمية نفسها التى تمتعت بها نيجيريا اعتباراً من الانتخابات التى أجريت فى المؤسسات بدأ بها القسم الثانى من هذا الكتاب. ومع تطور المؤسسات ونموها، انضم إلى هؤلاء الزعماء بعض رجال المال والأعمال والمحترفين، كما توفى بعض كبار السن، ومع ذلك كان لابد من ظهور جيل جديد. كانت هناك مجموعة جديدة من مشكلى الآراء الحزبيين المحليين بين صفوف المدرسين، والكتبة، والتجار ومسئولى السلطة المدنية أو إن شئت فقل: مسئولى الحكم المحلى، لكن هؤلاء المشكلين رضوا بالبقاء فى الظل خلف الشخصيات المستقرة منذ زمن طويل. كان مجلس المندوبين (الممثلين) فى العام ١٩٦٣ أكبر بكثير من سابقة، لكنه لم يعد متجانساً أكثر من المجلس التشريعى فى العام ١٩٤٧ . مجلس المندوبين (الممثلين) هذا لم يكن بينه وبين مجلس العموم أى نوع من أنواع التشابه النفسى، وبخاصة أن مجلس المندوبين هذا كان يحذو حذو مجلس العموم. وفى الوقت الذى كان النقاد المحايدون فيه ينتقدون إدمان بريطانيا لخلق اتحادات فيدرالية من منطلق أن ذلك يعد حلاً للمصاعب الناجمة عن مسألة إنهاء الاستعمار (وذلك على العكس من النماذج

التى ابتكرها مونتباتى، أو النماذج البلجيكية أو النماذج "التركية الباردة" ونظرهم إلى المنظومة السياسيّة النيجيرية باعتبارها مهتزة التوازن، راح هؤلاء النقاد المحايدون يقرون ويعترفون أنه لولا وجود الحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، الذى كان مرهقًا ومنهوك القوى فى ذلك الوقت، وترؤسه لمجلس الوزراء الفيدرالى، لأصبح ذلك المجلس عرضة لكثير من التساؤلات حول إمكانية بقائه أو عدم بقائه على قيد الحياة، كان محمد رباط فظًا، أما مبادوى Mbadiwy فكان واحدًا ممن بقوا على قيد الحياة بشكل طبيعى، أما إينوا وادا فكان يأخذ السلطة أمرًا مسلمًا به، ولكن واشوكو لم يخجل مطلقًا من تقديم المقترحات الذكية، لكن لم يحدث أن تتصل أى منهم من أصوله. هؤلاء المراقبون الباردون أنفسهم كانوا ينظرون إلى مسألة الجمهورية باعتبارها نوعًا من التعبير المنمق، أو إن شئت فقل انصراف أو ابتعاد عن الأساسيات. كان الناس فى نيجيريا يرون المسألة الجمهورية هذه على أنها دواء مقو باعث للدفء ومنشط، ويوحى بأنه يمكن أن يكون هناك دومًا شىء تقدمى ومحسن، فى كل احتفال من الاحتفالات، وإذا لم يحدث ذلك بصورة مستمرة فقد يحدث بطريقة دورية كل ثلاث سنوات. لم يعد الجيش ملكيًا، ولم تعد مشاة الجيش ملكية مثلما كان الحال من قبل، ولذلك طبع الجيش هذه المناسبة بارتدائه ملابسه الاحتفائية الخاصة به تمامًا، والتى تميزت باعتدال الطابع العسكرى وفيها أثر بسيط من التقاليد البريطانية التى تخلط بين تبختر الصبية بالوعى بسخرية الذات. تلك الروح التى ولت وانتهت ربما تكون قد غلبت الإيطاليين واليابانيين وتركت انطباعًا لدى الكنغوليين، لكن هذه الروح كانت محل اعتراض عليها من القادمين الجدد الذين سحق طموحهم الجاد أى إحساس من أحاسيس استعادة المزاح فى مواجهة الضعف البشرى.

القسم السادس

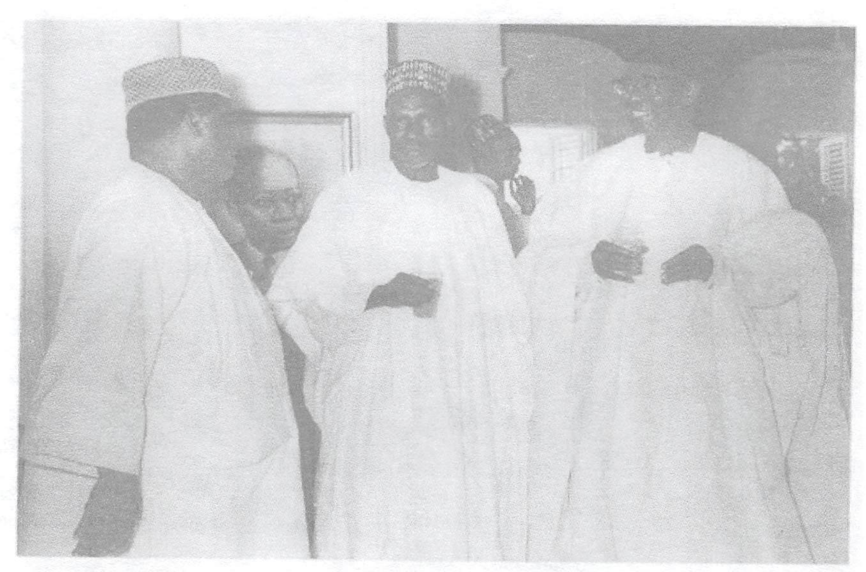
الزعيم الوحيد للجمهورية قصيرة الأجل

١٩٦٣ - ١٩٦٦

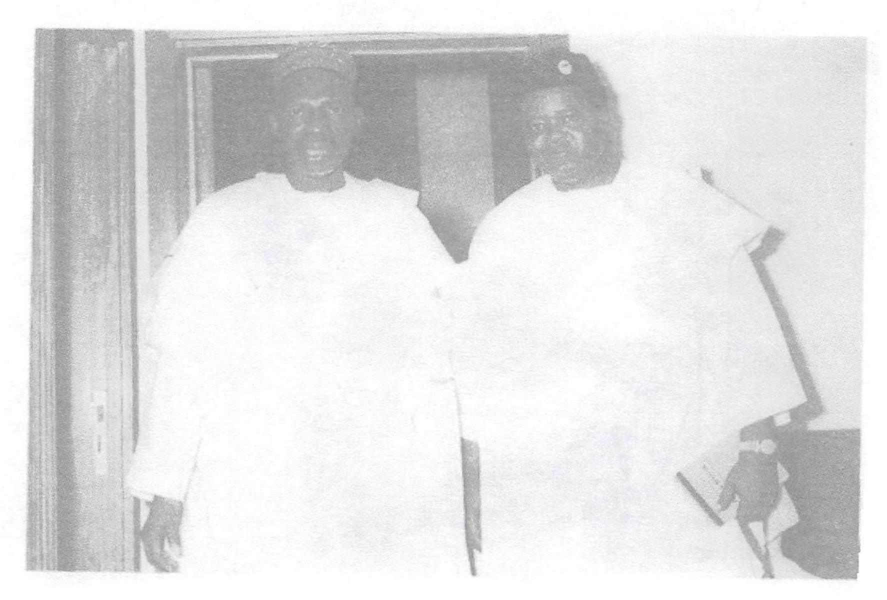
وُزعت صدقات الجنازة . لكن الساحر الأفّاق حُرم [من نصيبه]

قال ، "سوف يحدث مرة ثانية"(*)

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا والضمير فى الفعل "يحدث" عائد على "عملية القتل". وهذا المثل قريب جداً من المثل الإنجليزى The de'il (devil) will take little ere he wants a' (all) "الشيطان يأخذ جزءاً صغيراً قبل أن يأخذ كل شىء".. (المترجم)



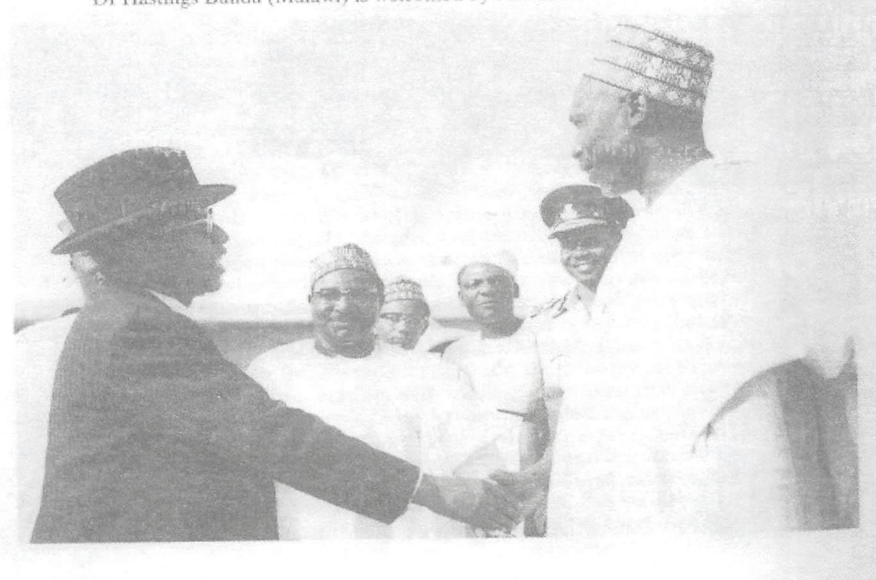
Jaja Wachuku, Abubakar and Dr Azikiwe.
Abubakar and Dr Michael Okpara.

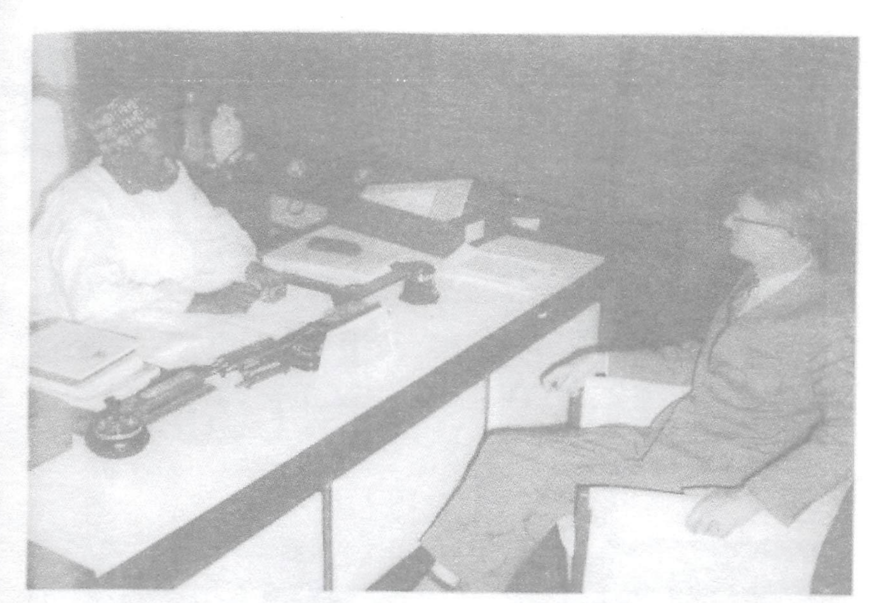




Abubakar, Sekou Toure and Azikiwe, after receiving Guinean National Honours.

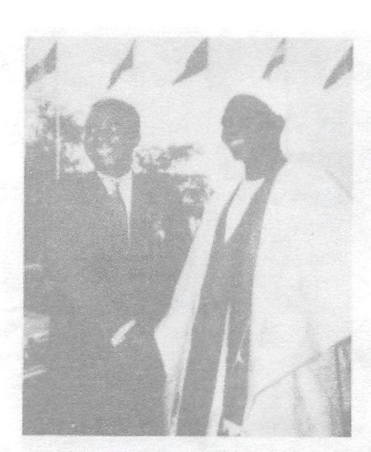
Dr Hastings Banda (Malawi) is welcomed by Abubakar.



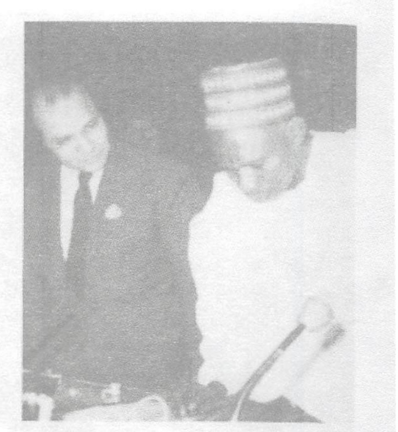


Abubakar and British High Commissioner Cumming-Bruce.
Cumming-Bruce, Harold Wilson and Abubakar.





Senghor (Senegal) and Abubakar at OAU.



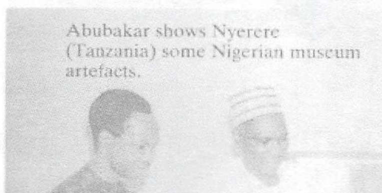
Abubakar signing OAU Charter.

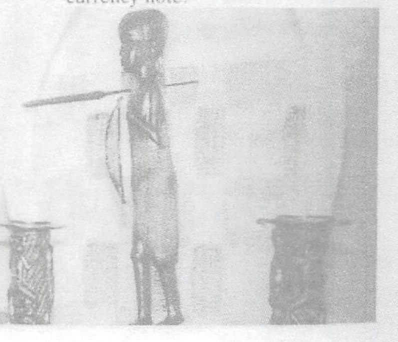


Abubakar with Olympio (Togo).



Effigy of Abubakar on modern currency note.



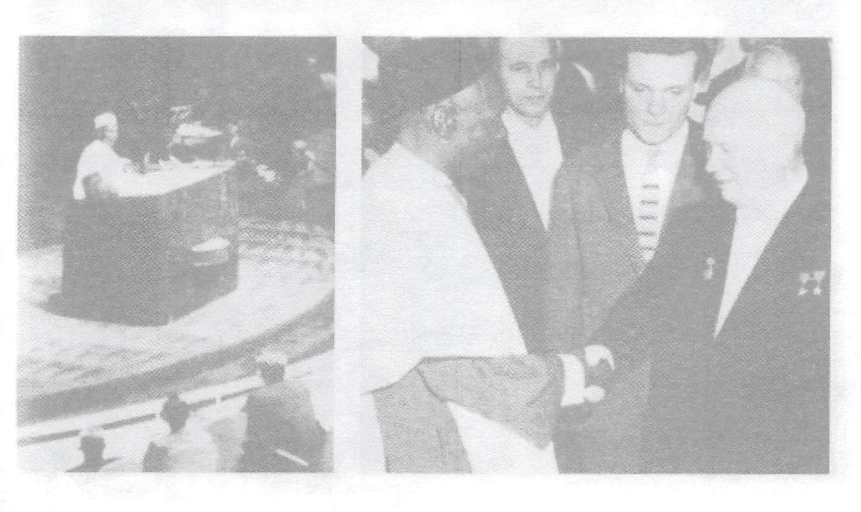


Abubakar shows Nyerere (Tanzania) some Nigerian museum artefacts.



Eisenhower and Abubakar at the White House.

Abubakar addresses the United Nations: and meets Khrushchev.

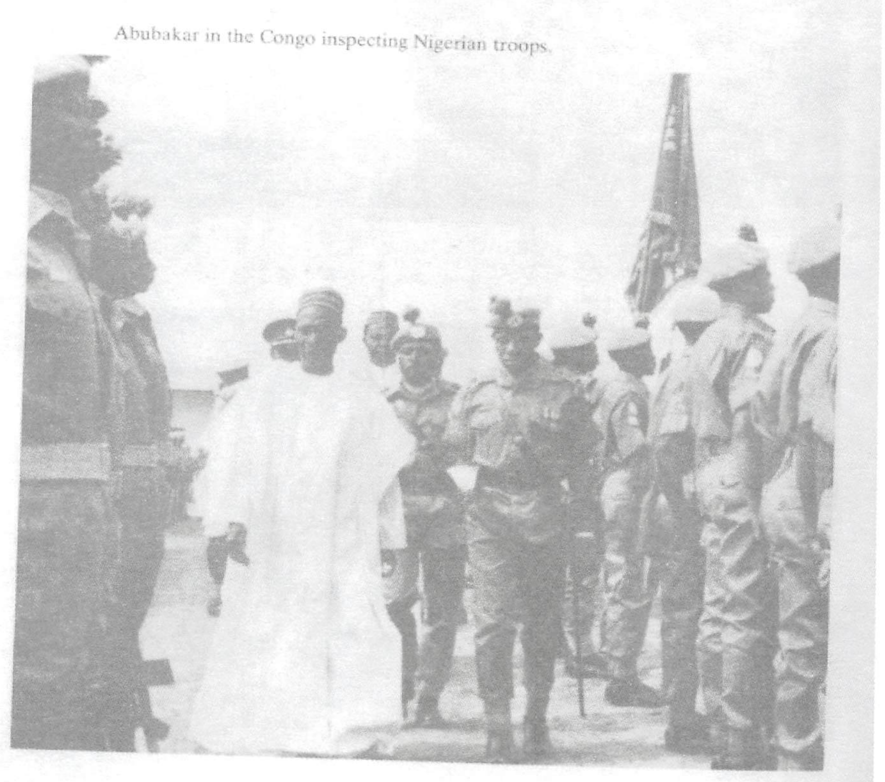






Greeting Mobutu (right) and being embraced by Adoula.

Abubakar in the Congo inspecting Nigerian troops.





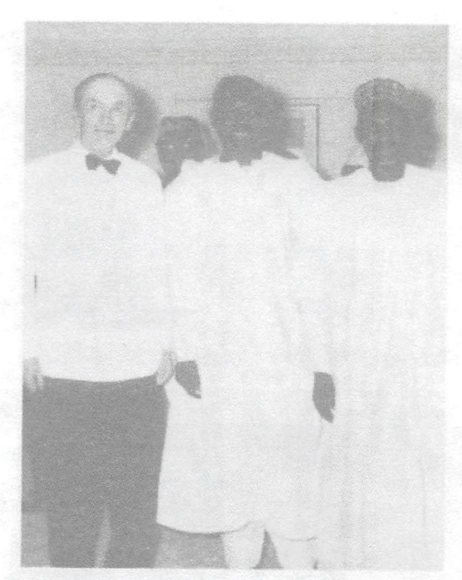
Cabinet Ministers: Raymond Njoku, Abubakar the Prime Minister, Inuwa Wada, Festus Okotie-Eboh, and Aja Nwachukwu.



Abubakar and Jawara (The Gambia).

Premiers Okpara, Osadebay, PM Abubakar, Akintola and Sardauna.





Sir Alec Douglas-Home, Azikiwe and Abubakar.



Dr Nnamdi Azikiwe and Alhaji Sir Abubakar Tafawa Balewa.

Chief Samuel Akintola, Zanna Bukar Dipcharima and Alhaji Sir Abubakar.



كان الناشطون النيجيريون الفائزون قد طلبوا الحكم الذاتى والحرية من بريطانيا: كان الحاج أبو بكر تافاوا باليوا هو راعى قطيع البلاد، وهو يرعى فى أمن وسعادة، فى المرعيين - وذلك على العكس مما كانت تطالب به فئة قليلة من الكرًازين(*) بعد ثلاثة أو أربع سنوات، والذين جاء كلامهم مجرد إشارة عابرة على شاشة التاريخ.

هؤلاء الكرًازون كانوا قد طالبوا بإثبات وجود نيجيريا المؤثر أمام العالم الخارجى – وكان الحاج السير أبو بكر قد أشرك هؤلاء الكرازين فى محاولات الأمم المتحدة من أجل استعادة شىء من الاستقرار لجمهورية الكنغو الديمقراطية، ويرجع الفضل لهم فى خروج جمهورية جنوب إفريقيا من الكمنولث.

طالب هؤلاء الناس أيضًا بأن تتولى نيجيريا حركة الوحدة الإفريقية، وإن شئت فقل الجامعة الإفريقية – وعليه تأسست منظمة الوحدة الإفريقية بالإجماع، وبالشكل الذى سعى إليه أبو بكر.

كانوا قد طالبوا أيضًا بالخروج بواقع من الوحدة المتباينة التى نادت بها نيجيريا، فى الوقت الذى كان النيجيريون مصرين على المزيد من البلقنة – وكان أبو بكر قد كشف عن استعداده لطرح القوات الإقليمية أرضًا وبخاصة تلك التى تهدد ذلك الاتحاد الفيدرالى.

(*) الكرًاز: هو الكبش الكبير الذى يتقدم القطيع. (المترجم)

طالب هؤلاء الكرازون أيضًا بإقامة النظام الجمهورى - ومكّن أبو بكر لذلك النظام. لم يكن ذلك كله كافيًا بصورة أو أخرى، وعندما كان يحين وقت نسب الفضل إلى أهله فيما يتعلق بتحقيق ذلك الذى تمنته البلاد، فإن ذلك الفضل سرعان ما كان ينسب إلى الحزب الذى ينتسب إليه مسئول بعينه.

هذا القسم الأخير من الكتاب لا يزعم أنه يفسر بصورة مرضية للذرية القادمة الأسباب التى تقف وراء ذلك الذى اسماه الحاكم البريطانى **"التجربة"**،(*) بعيدة الأثر فى الديمقراطية البرلمانية التى سيجرى قيامها فى إفريقيا الاستوائية وتَحطُّم هذه التجربة، لكن الكثير من الدلائل اللازمة للمحلف وهو يجرى أبحاثه عن احتمالية وجود الشك أو غيابه، موجود فى هذا القسم، ويمكن العثور على هذه الدلائل على نطاق واسع فى التفكك العضوى للإقليم الغربى، كما توجد أيضًا فى الأعداد الكبيرة للإقليم الشمالى وقيادته التى أخافت الجنوب. ويعتقد المقربون من أبى بكر من حيث الدم والتعاطف، أن الرجل تنبأ خلال هذه الفترة أن كل شىء سيئول إلى العنف وينتهى إليه، ويعتقدون أيضًا أن الرجل اعترف أيضًا أنه على الرغم من عمله الجاد فإن تقدم نيجيريا أنتج الكثير من الجحود ونكران الجميل، وقصر النظر، والضحالة السياسية، التى عرقلت خروج مستعملى القوة من الجشع البسيط إلى النضج، ويعتقدون أيضًا أن الرجل وافق أيضًا على أن التشاؤم جرى قمعه بإيمانه الذى مفاده أنه ساعد على وضع الأسس التى يمكن أن تدوم وتستطيع تحمل التوترات القادمة - الاتصالات المادية داخل البلاد، والإمداد بالطاقة، ومصادر الطاقة. وأبو بكر شأنه شأن لوجارد **Lugard** حاول أن تكون لبناته مستقيمة. ومن سوء الطالع أن قبضة الرجل على الناحية العملية فى السياسة الدولية لم تكن متمرسة بسيطرة شخصية واعية بمسألة تمويل أى خطة من خطط التنمية الاقتصادية المزهوة بنفسها.

(**) الكلمة: البولد من عنديات مؤلف الكتاب. (المترجم)

ونتيجة لأسباب عملية تمامًا اختفى المستشارون السياسيون المقيمون من على المسرح طوال هذه الفترة، يزاد على ذلك أن الشركات التجارية الراسخة قد صبغت الكثير من المواقع الإدارية فيها بالطابع المحلى، وحدث الشىء نفسه فى عضوية مجالس إدارة هذه الشركات. تمثل ذلك التأثير أيضًا وبصورة متزايدة فى المنظمات الدولية والمشروعات الجديدة فيما وراء البحار، وبخاصة أن هذه المنظمات والمشروعات كانت تستخدم ممارسات غير معتادة. هذه بنايات جديدة وبنيات أساسية محسنة يراها الناس فى كل مكان، البعض من هذه الأشياء كبير ومؤثر. وهذا بطبيعة الحال لابد أن يفضى إلى التجديد الصحى والخلاق. وهنا نجد أن التفاخر البريطانى باستقلال نيجيريا بدأ يهتز بفعل الطوفان الذى حدث فى الإقليم الغربى من ناحية وتوجيه تهمة الخيانة إلى آولوو من الناحية الأخرى، فى حين راحت الحكومات فى القارات الأخرى، وبغض النظر عن الأيدولوجيات الوطنية، تعدل مفاهيمها الخاصة بإفريقيا، وبخاصة عندما بدأت الانقلابات الواحدة تلو الآخر، هى ومنظومات الحزب الواحد التى انتهجها الزعماء والقادة المنتصرون، تبدو أكثر ملاءمة للأعراق الإفريقية من جانب، وعندما بدأت تلك الانقلابات والمنظومات تحل محل الديمقراطيات الليبرالية القائمة على النموذج الغربى من جانب آخر. تخيل بعض المعجبين بالحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، شخصية الرجل على أنها شجعت الحكومة البريطانية على توقع الكثير من نظراء هذا الرجل وأن يصبح أكثر وثوقًا بحكمة السياسة البريطانية فى إفريقيا، لكن الواقع يقول إن لندن كانت تنظر إلى أبى بكر باعتباره فريدًا. لم يكن الخطأ خطأ أبى بكر عندما توقفت الصحافة البريطانية والبرلمان البريطانى عن الحديث عن بلاد الرجل باعتبارها "نبراسًا يحتذى به"، وإن شئت فقل مثلاً أعلى على تصفية الاستعمار فى العالم الثالث.

كانت نيجيريا فى ذلك الوقت يُنْظر إليها على أنها مجرد بلد شاسع تمامًا فيه كثير من المشكلات الكبيرة ويسكنه بشر عاديون يفتقرون إلى أمور كثيرة، لكن كانت

مسألة حدوث انقلاب أو قيام حزب واحد لحل هذه المشكلات، أمرًا لم تلح بعد بشائره للناس. هذا يعنى أن أبا بكر، فى أضعف الأحوال، لم يود مطلقًا لأى من بنى وطنه إلا أن يراه الناس مخلوقًا بشريًا وإنسانًا.

وتحتم فى مثل هذه الظروف تفهم المؤسسات التى تَعَّين على رئيس الوزراء الفيدرالى العمل من خلالها. هذا يعنى أن الحنين إلى الوصول إلى السلطة الفيدرالية الكلية من خلال التسييس الشعبى كان هو الدافع الرئيسى للسواد الأعظم من الأحزاب الإقليمية والعرقية. لم يكن أحد من رؤساء الوزراء الإقليميين ينظر إلى الاتحاد الفيدرالى باعتباره إلهاما مشتركًا – وإنما كانوا ينظرون إليه باعتباره وسيلة جرى تزييفها من أجل الأهداف الأنانية للإقليم. وقد أفضى ذلك إلى جعل رؤساء الوزراء الإقليميين يقللون من تركيزهم المعتاد على الأمور التى تحظى باهتمام شعبى على مستوى الأقاليم. كان ذلك يعنى أيضًا أن المسئولين الإقليميين الأساسيين (الدائمين) استمروا، مثلما جرى تدريبهم من قبل، فى تقديم فروض الطاعة والولاء، وتقديم مشروعات المذكرات المقترحة من جانب مجالس الوزراء، لكن هؤلاء المسئولين الدائمين كانوا يفاجأون إذا ما تسلم الواحد منهم محضرًا وزاريًا يتضمن توجيهًا سياسيًا جديدًا أو يطالب بإجراء مدنى محدد (باستثناء الحالات التى تخص أفرادًا معروفين أو مرافق الحياة). يزاد على ذلك أن التلميحات التى وردت فى المناقشات المكتبية، أو حزم القصاصات الصحفية المأخوذة من البيانات والتصريحات السياسية لم تكن بمثابة التوجيهات السياسية المحددة. يصدق هذا الكلام تمامًا على الإقليم الشمالى، الذى كانت لدى رئيس وزرائه آمال محددة لا يشاركه فيها أنداده فى الأماكن الأخرى، وفى الإقليم الغربى أيضًا، نجد أن مطالب أولوو المباشرة التى كان يمليها فى البداية على "سبد" Spud ميرفى Murphy ثم بعد ذلك على سيميون Simeon أديبو Adebo، وهما اثنان من كبار موظفيه المدنيين، قد انتهت عندما أصبح أولوو زعيمًا للمعارضة الفيدرالية فى ليجوس. الشىء نفسه نجده فى تجربة الخدمة الفيدرالية نفسها،

وتأسيساً على ذلك راح الخطأ يضرب أطنابه فى أذهان الجنود وفى أذهان الأكاديميين أيضاً، وبما يفيد أن السكرتيرين الدائمين قد يديرون البلاد بلا وزراء، دون موافقة على أن ما يجرى إنما يعد قفزة إلى الوراء إلى آليات ما قبل العام ١٩٥١ الميلادى. وهنا نجد أن الخطأ يكمن فى فشل هؤلاء السكرتيرين الدائمين فى الانتباه إلى أن الموظفين المدنيين الذين يقومون على أمر تشغيل نموذج من النماذج البريطانية قد يديرون البلاد وحدهم، ما دام أنهم أيضاً لا يتصارعون مع الأعراف الاجتماعية، التى كان يمكن لأى وزير من الوزراء المنتخبين انتخاباً حراً، ملاحظتها بالفطرة، كما يرجع الخطأ أيضاً إلى أن أصول كل إنجاز من الإنجازات الاقتصادية الكبيرة فى هذه السنوات إنما كانت تتمثل فى القرارات التى جرى اتخاذها قبل العام ١٩٦٠ - آبار البترول، ومعمل التكرير، وشبكة الطرق، جسر أونيتشا وجسر ليجوس الثانى، وتحسين إمدادات الطاقة، وأقلمة localisation الخدمات كلها. من هنا يمكن القول أنه لم يكن هناك فى ستينيات القرن العشرين فكر داخلى أصيل. يزاد على ذلك أن صناعة الصلب كانت مناقشتها قد جرت قبل ذلك، على الرغم من أن هذه الصناعة لم تبدأ إلا فى العام ١٩٦٦ الميلادى عندما وصلت بعثة سوفيتية زائرة، وراحت تبحث لنفسها عن دور تلعبه وأبلغت الأقاليم أنها هى التى ستقوم بتأمين المطلوب لهذه الصناعة.

كانت نيجيريا بلداً تركز فيه التعليم السياسى المفرط على المكاسب المالية المباشرة التى تعطى الأفراد والجماعات والمناطق مزايا على منافسيهم، ومزايا فى الإتجار بالوظائف، والمنح الدراسية، والمرافق المحلية، ولا تحقق مزايا للإستراتيجية الاقتصادية الوطنية. زد على ذلك أن سلطات رئيس الوزراء الحقيقية فى تعامله مع بلد من هذا القبيل إنما هى فى الأصل من سلطات البرلمان البريطانى - حقوق الحصول على الأغلبية فى البرلمان (التى يفكر الكثير من أعضائها فى الولاء والطاعة لزعيم حزبهم الإقليمى قبل أن يتطلعوا إلى تأييد رئيس وزرائهم الوطنى)، وحق اختيار رئيس الوزراء لوزرائه (مع الانتباه إلى حساسيات تحالفاته مع زعماء الأحزاب خارج الوزارة).

وهناك عالم سياسى من غربى الهند أجرى فى ذلك الوقت مقارنة على سبيل التلميح قال فيها: فى أماكن أخرى من غرب إفريقيا نجد أن السلطة، والنفوذ، والمال المخصصة لقادة الدولة، كلها أشياء لا تصدق ولا يقرها عقل، فى حين نجد أن من يُسَمُّوْن بالديمقراطيين كانوا يطالبون بالتعامل معهم كما لو كانوا فراعين مصريين - "بوسع أى نصَّاب من النصابين بهى الطلعة، أن يجعل الصحف السياسية الغربية تكتب عنه، ولا يستطيع أفضل أصدقاء إفريقيا قول أى شىء تحسبًا للإساءة". لم تكن لدى أبى بكر الرغبة أو السلطة فى أن يكون قائدًا أو زعيمًا من هذا القبيل، ولذلك جرى استبعاده من هذه المقارنة. وعندما بدأ التردد على أبى بكر، كان ذلك من منطلق معرفته أنه هو الشخص الوحيد الذى يقف فى الجانب الآخر من هذا الجدل.

إحساس أبى بكر بالواجب، وتردده فى الحث على إحداث تغييرات أساسية مخافة انكشاف ما هو أسوأ، هما اللذان جعلا الرجل يمضى فى هذا الجو من الفساد الأخلاقى. ومع ذلك تظل علاقة الرجل الشخصية بالزملاء فى الأحزاب السياسية الجنوبية واحدة من أحر الصداقات وأخلصها فى معظم الأحيان، لكن الغياب المقصود للمساندة الشخصية من جانب آليات أحزاب هؤلاء الزملاء لم تفعل شيئًا سوى المبالغة فى إدراك كثير من الصحفيين الزائف أنه على الرغم من شكوى المؤيدين العاديين فى حزب المؤتمر الشعبى الوطنى من أن أبا بكر أولى الجنوب الكثير من الأفضال فإنه لم يكن فى واقع الأمر سوى نائب للمستشار السياسى الرئيسى. وبلا شك، أن هذه الأحزاب المنعزلة والمنقسمة على نفسها داخليًا، والتى تعمل فى إطار دستور فيدرالى يؤيد ويناصر الحقوق الإقليمية، هى التى سلبت الزعيم الفيدرالى سلطته فى المحافظة على الوحدة عن طريق القدوة الأخلاقية الحسنة التى كان هو المثال الوحيد لها. وعن قصد وبإمعان، قام زعماء الأقلية، العارفون بمدى جاذبية النظرية الاجتماعية الأجنبية بتنظيم الحركة العمالية فى ليجوس، وفى المدن الكبرى، وراحوا يشجعون على القضاء

على الثقة بالحكام السياسيين، وبذلك فتحوا الأبواب أمام ثلاثة عشر عاماً أخرى من الحكم العسكرى من قبل أقلية محترفة.

أدى التوتر الناجم عن المصالحة التى لا تنتهى إلى صرف طاقات أبى بكر بعيداً عن الخطوط الخيالية الجديدة للتنمية المؤسسية والاقتصادية. وبالطريقة نفسها أدت السياسة الشرفانية إلى القضاء على الفرص الخاصة المتاحة لرؤساء وزراء الأقاليم. يزاد على ذلك أن خصى حزب جماعة العمل، التى جاءت نتيجة حتمية للمقامرة المتعمدة والحماقة التى لا تنسى عن جانب زعمائه، لم تبد سوى أن الوحدة التى كانت بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وبين حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين على المستوى المركزى، كانت وحدة وهمية وزائفة. فقد تغيرت بطاقات بيانات الأحزاب، وأصبحت مسألة إعادة الانحياز أمراً لا مفر أو فكاك منه، هذه الانحيازات سلطت الأضواء على المانشيتات (العناوين) الرئيسية وأغفلت الكلمات الدّليلية فى صحافة الفرقعة النيجيرية، وأثبتت أيضاً أن لعبة السلطة هى التى تجرى ممارستها.

كان الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا هو الشخص الوحيد على المسرح الذى كان يدعو الله أن يمنحه السلطة. كان الحاج السير أحمد بللو، المستشار السياسى الرئيسى، يتطلع هو الآخر، فى ذلك الوقت، إلى المزيد من السلطة كيما يستخدمها فى خدمة الله (. كانت غالبية النيجيريين، المتدينين بطبيعتهم، غير عارفين بدوافع الشماليين، وعليه لم يستطيعوا اكتشاف الفارق الحقيقى بين الرجلين. هذا لا يعنى التقليل من شأن أو الإساءة إلى المعتقدات الثقافية الموروثة عند الزعماء المنافسين الآخرين، وإنما يشير إلى الافتقار إلى الفهم من جانب الدنيويين، الذين أدت سلوكياتهم وإساءاتهم التى التمست العذر لأناس آخرين، أكثر دنيوية، فى المضى قدماً بتجربة الانهيار التخريبى بعيدة الأثر.

قال أحد الوزراء الذين كانوا يخدمون أبا بكر خلال السنوات الأخيرة ولا يزال: إن المتاعب بدأت "لأننا لسنا أمة، ولا يمكن أن نكون". ووصف وزير آخر ذلك الحال

فقال: نيجيريا مثل وعاء الشحاذة، الذى يحوى صدقات تافهة من السرغوم gero، والذرة masara، والأرز shinkafa، لكن الطيور سوف تتغذى على تلك الصدقات: هذه البذور والحبوب لن يجرى خلطها وطبخها على شكل عصيدة tuow للرجال، لكن الطيور سوف تتغذى عليها. بل إن أبا بكر نفسه قال: **"نحن إخوة بالفعل، لكننا لسنا كلنا من سن واحدة، نحن لا نستطيع دومًا أن نأكل من الوجبة نفسها.... من الصعب إقناع إخوانى الجنوبيين بكثير من جوانب الحياة فى الشمال"**. علق أحد الموظفين الحكوميين بما مفاده أن الناس يصرخون دومًا من فساد حُكامهم، لكنهم يشعرون بالحزن عندما تجرى معاقبتهم فى الحقيقة، وأضعف الإيمان عندما يكون هؤلاء الحكام أقارب لهم أو من المحسنين إليهم. يزاد على ذلك أن أبا بكر لم يتصور أو يخطر بباله أن يطلب من موظفيه الحكوميين، وبمساندة من القوات المسلحة، نزع السلطة من الفسدة وممارستها فى ظل ديكتاتورية الإحسانية. كان أبو بكر يعرف جيدًا أن السلطة والرعاية تسيران جنبًا إلى جنب، مشكِّلتان بذلك أساسًا للأرصدة السياسية للأحزاب.

والمدهش بحق أننا نجد أن أبا بكر فى السنوات الأخيرة يولى المشاريع الأجنبية المزيد من الاهتمام الشكلى، وبخاصة المشاريع التى تبشر بفرص النجاح بدلاً من المشكلات الداخلية صعبة المراس. وقد ظل أبو بكر، وإلى النهاية، وبخاصة فى الأماكن التى كان له فيها نفوذ قوى، يفعل ذلك الذى كان يعتقد بأنه سيحكم عليه فى يوم الحشر بأنه من الصواب. ومع ذلك، وحتى مع قبوله فى الشئون الدولية على أنه جمهورى نيجيرى أصيل، فإن الكثيرين من أهله وناسه كانوا يتشككون وأن الطريق الذى يسلكه نيكروما هو الأقوى وهو الذى سيسود فى النهاية، كما أصبح الإقليم الغربى (الذى لدى مواطنيه وشعبه قناعة، مثل قناعة الأسكتلدنيين، بأنهم وحدهم دونًا عن سائر سكان الدنيا كلها، هم الذين لديهم الفضائل الأصلية) أكثر تشرذمًا على المستوى الداخلى وأكثر تخريبًا وإثارة للفوضى على المستوى الخارجى، أما الإقليم الشرقى فقد أصبح شديد الشكيمة، عنيد الرأى بسبب تفوقه فى المنجزات التعليمية،

فى التحدث الداخلى الذى انبثق عن كبر حجم الشمال بشكل كبير جداً. هذا النمط من التفكير يمكن أن يستمر إلى الأبد فى المجتمعات الإفريقية الجمعية التى تقر مؤسساتها أن "أ" عندما يفوز بكل شىء، وأن "ب" عندما يخسر فإنما يخسر كل شىء، والتى تعتقد أيضًا أن "الديمقراطية" هى مجرد رخصة للأغلبيات الشعبية كى تحتكر مزايا السلطة.

علق أحد المتشائمين الأمريكيين على ما قاله الأستاذ الجامعى الذى من غرب الهند بقوله: إن إفريقيا أثبتت بوضوح عجز الإنسان عن التخطيط والإدارة الحكيمة. كلنا، وليس الأمم المتحدة وحدها، مسئولون عن ذلك، وساعدنا عليه. هناك كثير من الأمم والشعوب التى كانت تبرز بطرق غير مفهومة، أو تغلى غليانًا عنيفًا، فى الوقت الذى كان يجرى التفكير فى الإضافات التى يمكن ابتكارها على أمل أن يصبح ذلك الغليان مناسبًا أكثر للمذاقات القبلية أو الشعوب المنذهلة أكثر منها بشئون الديمقراطية الأوروبية أو السلالة غير المعروفة من سلالات الشيوعية الثورية. ومع ذلك أصبح الدرس المستفاد من ستينيات القرن العشرين متمثلاً فيما مفاده أنه ما دام أسلم الأفارقة ثقتهم لحكومات الحزب الواحد وللقادة الأقوياء بدنيًا، فإن الحل التالى لاستمرار الإحباط الذى لا مفر منه، يتمثل ببساطة فى تخليص أنفسهم بالقوة من تلك القيادة.

ولما كانت نيجيريا مارداً، فقد جاءت نسخة نيجيريا من ذلك السيناريو، شيئًا فريداً. طوال هذا القسم الأخير كان اليأس يكبر ويتزايد فى الوقت الذى كانت فيه الحافلة المكشوفة تسير مسرعة نحو التدهور.

الفصل التاسع والثلاثون

السرطان القابل للشفاء : مراجعة التعداد

تضاعف التهديد للديموقراطية

حجم المجنون عديم النفع، والشخص الصحيح أفضل منه(*)

أدى الرئيس أزكوى اليمين بصفته رئيساً للدولة الجمهورية الفيدرالية، فى اليوم الأول من شهر أكتوبر من العام ١٩٦٣ الميلادى، وهو اليوم (الذى أحس فيه بالندم الشديد كل من الرئيس إيناهورو، وبعض مواطنى الإقليم الغربى، باستثناء آكنتولا) الذى ألغى فيه حق الاستئناف أمام اللجنة القضائية التابعة للمجلس الخاص. كانت لجنة التكريم الوطنية قد أنشأت وسامين جديدين، وسام الجمهورية الفيدرالية ووسام النيجر، ودار جدل كبير حول هذه المسألة، ولم يجر إخفاء ذلك الجدل عن الصحافة، وبخاصة حول مسألة أن يصبح للرئيس ورئيس الوزراء لقبان يناسبان مقاميهما. فى تلك الأثناء، كان أول اثنين يجرى الاعتراف بهما وبفضلهما هما قاضى القضاة والنائب العام. وفى مواجهة الرفض والمقاومة الشديدة من جانب بعض الجمهوريين المتشددين، سُمح لكل النيجيريين الذين جرى حصولهم من التاج البريطانى على لقب فارس

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى Health is the best wealth "الصحة هى أفضل الثروات" وقريب جداً للمثل العربى "الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى" (المترجم)

بالاحتفاظ بلقب "سير" Sir، على أن لا يسمح فى المستقبل لأى نيجيرى بقبول هذا اللقب. وتوقفت تسمية كبار محاميى الكفالات المالية باسم محامى ملكة Queen,s Counsel بعد ذلك بثمانية أشهر، وبعد شىء من الصراع كبير أصبح يدعى محاميى الدفاع النيجيريين. لم يحصل الدكتور أزكوى وأبو بكر على أى وسام فى واقع الأمر، على الرغم من أن السنغال سبق أن كرمت الحاج السير أبا بكر بمنحه وسام الصليب الكبير، الذى هو واحد من أوسمتها الوطنية، كما كرمته ليبيريا أيضًا بأرفع وسام عندها وهو الوسام الذى يطلق عليه اسم رفاق ليبريا Companions of liberia، كما حصل أيضًا على وسام جمهورية النيجر. وجرى تقديم قَسَم وظيفى جديد لمنصب رئيس الوزراء فى اليوم العاشر من شهر أكتوبر.

بعد ذلك بفترة قصيرة عبَّر أبو بكر للشعب عن رأيه فى الحياد العادل الذى تحقق فى تقسيم الكعكة السياسية على أعضاء "الحكومة الوطنية". وقد أصبحت مسألة المحافظة على ذلك الحياد العادل أمرًا مستحيلاً تمامًا، فى حال قيام إقليم الغرب الأوسط بالتقدم بمطالب إضافية. وإذا ما استثنينا أبا بكر، نجد أن حزبه كان راضيًا عن التمتع بالأغلبية وشغل ذلك الذى كان يعده أكثر الحقائب أهمية للشمال. لم يكن أبو بكر يفكر فى تخويل سلطات أساسية لأية أقلية من أقليات الجنوب، لكنه أوضح للجميع أنه مستعد لتقديم عدد قليل من المناصب هنا وهناك، إذا كان ذلك سيؤدى إلى كبت ذلك الشعب المستمر فى إثارة الشقاق. رفض حزب جماعة العمل هذه الفكرة رفضًا قاطعًا، كما رفضها أيضا بعض أعضاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. وتجلى إحسان أبى بكر فى رده على رسالة التوسط التى وصلته من فينر بروكوى Brockway، ذلك السياسى اليسارى الرومانسى البريطانى: **"كنت منذ العام ١٩٥٤ أبذل كل ما فى وسعى من أجل الدفاع عن المعارضين السياسيين، من أجل مصلحة الوحدة. وفيما يتعلق بقناعات [حزب جماعة العمل] الأخيرة، أنا يسعدنى جدًا أن أولى مسألة المصالحة اهتمامًا كبيرًا - إذا ما غيروا ما يدور فى أذهانهم. فسوف أتعامل مع هذه المسألة بعقل مفتوح، وأرجو أن تتأكد من أنى سأواصل، مثلما حدث**

من قبل، تسامحى معهم، وأنا أقدر هذه الرسالة حق التقدير، لأنها من صديق مثلك إلى نيجيريا".

أنكر آكنتولا، رئيس وزراء الإقليم الغربى، قصة مفادها أن ٦٠ عضواً من أصل ٩٤ عضواً فى المجلس التشريعى يشغلون مناصب حكومية: قال: "الناس يريدون ذلك، فى الوقت الذى كان يوضح فيه أن عدد الوزراء والسكرتيرين البرلمانيين لم يكن كبيراً إلى هذا الحد، وأن بعض هؤلاء الأعضاء كانوا من مجلس الرؤساء. يزاد على ذلك أنه فى الوقت الذى "يتحدث فيه الاشتراكيون" عن التقدم الاقتصادى، فإن البعض منا كانوا يحققون ذلك التقدم بالفعل". وعلى الرغم من ذلك، وجد آكنتولا نفسه مطالباً من المحكمة الفيدرالية العليا بدفع التكاليف التى تكبدها أدجبنرو فى قضيتهما الشهيرة، وفى ذلك الوقت كان واحد من سكرتيرى رئيس الوزراء البرلمانيين، وهو أبو بكر إيساندو Isandu، ينادى بالحظر الكامل على حزب جماعة العمل. يزاد على ذلك أن السياسة كانت هى الأخرى غير مستقرة فى إقليم الغرب الأوسط، مما أكد أن الانقسامات وعدم تحديد المسئوليات كانا يعظمان من الخلافات المتبقية. وهذا هو دى سى أوسادبى Osadebay من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجريين جرى تعيينه إدارياً فى شهر أغسطس ولمدة ستة أشهر، الأمر الذى أدى إلى تأجيل الانتخابات الإقليمية الأولى، وخلفه فى رئاسة مجلس الشيوخ الدكتور إيه إيه نوافور Nwafor أوريزو Orizu. هذا الرجل أصبح يواجه عندئذ حزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط الذى أنشئ لمعارضة حزبه. استطاع حزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط ضم الحزب التقدمى المتحد المحلى (الذى انتقل إليه كل أعضاء حزب جماعة العمل فى الغرب الأوسط)، كما ضم أيضاً (حزب المؤتمر الشعبى فى الغرب الأوسط، الذى رخص المستشار السياسى الرئيسى للسيد/ أبوستل Apostle إيدوكبولور Edokpolor بتأسيسه فى شهر سبتمبر من العام ١٩٦٢ باعتباره ملحقاً من ملاحق حزب المؤتمر

الشعبى الشمالى، وراح يجند أعضاءه من بين الصالحين والطيبين من بين أعضاء حزب جماعة العمل).

وعلى الرغم من أن أوسادبى عين أبوستل جون مفوضًا فى إدارته المرحلية فإن حزب الجبهة الديمقراطية فى الحزام الأوسط استطاع هزيمة مرشح حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، والذى كان يحظى برعاية أوسادبى، فى الانتخابات الفيدرالية التكميلية فى أورهوبو Urhobo الغربية، التى تولى حملتهم الانتخابية فيها وزير فيدرالى فى مواجهة مرشح الحاكم. وسمع الناس صدى مهمًا عندما راح حزب مؤتمر دلتا النيجر، الذى هو ربيب آخر لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى (الذى حصل على ترخيص فى العام ١٩٥٩)، يطالب فى الاجتماع المعاصر الذى عقد فى كانو، بأنه بعد تأميم معمل تكرير البترول المجدول التابع لشركة شل البريطانية، وأصبح اسمه معمل تكرير البترول النيجيرى المحدود، وبعد أن أصبح ستة من مديريه يجرى تعيينهم بواسطة الحكومة الفيدرالية، فإن الحكومة المحلية التى يجرى استخراج البترول من أراضيها، ينبغى أن تقدم اثنين من هؤلاء المدراء، أو زيادة عليهم إذا ما تطلب الأمر ذلك. وجرى تمرير هذا الطلب إلى رئيس الوزراء، وجرى أيضًا إدراجه ضمن ملفات الوزارة. كان الحاج السير أبو بكر مشغولاً أكثر بالوفد الذى كان يطالب بولاية مستقلة فى منطقة الأنهار، فى الوقت الذى كان أُكبارا يضم فيه صوته إلى أصوات المؤيدين لإنشاء ولايات جديدة، وكان من بينهم كلبار Calabar بعد أن ضموه إلى قوائمهم، كان كلبار، مثل آولوو، يأمل فى أن يحكم حزبه إقليمين فى وقت واحد.

ليس من المدهش أن تبشر إعادة التعداد بإحياء الأحقاد المعروفة بين الأقاليم والشكوك فى تلك الصحف والاجتماعات العامة التى وضعت السياسة فوق المواطنة الودية. لقد تحمل رئيس الوزراء المسئولية كلها، ومع ذلك بقى رؤساء وزراء الأقاليم مسئولين عما حدث فى أقاليمهم. ولما كان التعداد يتركز أصلاً على الرءوس المرئية فقط، فقد راح كل من رئيس الوزراء الفيدرالى هو ورئيس وزراء الإقليم الشمالى

يناشدان من خلال الصحافة والإذاعة العائلات التي ترتدي نساؤها البردة (العباءة أو الخمار) التعاون إلى أبعد حد ممكن مع مسئولي التعداد. قال أبو بكر من خلال الإذاعة: "**أنا لا أود الحديث عن قصة الفشل،.... أو الجدل... أو عن السبب الذي جعلني آمر بإلغاء ما حدث.... إنها تجربة غير موفقة ومكلفة، لكن هذه التجربة علمتنا دروسًا مفيدة.... هناك سبب آخر... هو أن مدة البرلمان الفيدرالي الحالي سوف تنتهي في العام ١٩٥٤، وأننا ننوي إجراء انتخابات عامة بأسرع ما يمكن... هذا التعداد سوف يستخدم في تجميع سجل انتخابي جديد مع معالجة صحيحة... ولذا أناشدكم أن تجعلوا هؤلاء المسئولين يحسون بالسعادة وألا يشعروا بالغربة في أي مكان يدخلونه**".

أرسل الإقليم الشرقي بعض المفتشات إلى الإقليم الشمالي، لتتغلب على مشكلات الخمار. لكن ذاعت بعض القصص عن بعض سيارات النقل المحمية بمنتحلي الشخصية الذين كان يجري جلبهم من جمهورية النيجر إلى الإقليم الشمالي. ادعى أكنتولا، رئيس وزراء الإقليم الغربي أن الإقليم جرى تقليل عدده بواسطة المسئولين المقيمين الذين استخدموا "بعض المبادئ والأسس الأوروبية" /لم يعددها هو/ التي قد لا تكون جديرة لاستخدامها في نيجيريا"، كما هدد أوكافور Okafor، السكرتير البرلماني في وزارة العدل، بأن أقاليم الجنوب الثلاثة سوف تنسحب من التعداد إذا ما انهار نتيجة لأية "مؤامرة" من جانب الإقليم الشمالي. لم ينتبه أحد إلى الخبر الذي مفاده أن التعداد الحديث في سيراليون الوحدوية كشف عن زيادة تتردد بين ٨,٥ - ٩٪ عن أرقام التعداد في العام ١٩٥٢, مضت عملية التعداد في الفترة من ٥ إلى ٨ نوفمبر، واستغرقت النتائج وقتًا طويلاً بسبب إجراء بعض المقارنات. كانت كل إضافة من الإضافات غير الأمينة تكشف عن حقد جرت برمجته للهجوم على الهيئة السياسية.

جرى بصورة مؤقتة تشتيت الانتباه العام في جميع الاتجاهات بسبب ذهنية واشوكو التي كانت متركزة على الاستقلال. وكان لابد من الصفح عنه من قبل بعض

الشماليين لمساندته الواضحة لإسرائيل. وعندما جاءت جولدا مائير إلى نيجيريا لإلقاء بعض المحاضرات، كتبت بعض زوجات السفراء العرب احتجاجًا على ذلك، لكن بعد إبلاغ رئيس الوزراء بالأمر (خلال فترة من فترات استراحته فى باوتشى) أنه كان ينوى تولى الرئاسة فى قاعة راندل فى ليجوس بنفسه، قال إنه قبل خطوات سياسية جديدة من السفراء، وليس من زوجاتهم (تساءل أبو بكر، **جاجا(*)، لماذا أنت قلق؟**". وجاء الرد على سؤال أبى بكر، "لكنهم سيدات! عصر الفروسية لم ينته بعد!" وراح، يضحك فيما بينه وبين نفسه كالعادة). فى هذه المرة جرى الهجوم على واشوكو من جميع الجوانب، وليس من جانب حزبه فقط، لأنه قال: إنه لم ير هدفًا مفيدًا أو نافعًا من وراء طرد جنوب إفريقيا من الأمم المتحدة، وأنه لم يدن إدانة كاملة الفكرة التى ينطوى عليها تقسيم البلاد إلى "بانتو ستانات" babtustans. وازدادت الأمور سوءًا عندما لوحظ أن إدارة الشئون الخارجية لم تفعل شيئًا لمنع سكرتير ثان من السفارة البرتغالية من حضور الحفل الذى أقامته الإدارة لتوديع اللورد هيد Head، الذى كان على وشك الرحيل، والذى أصبح فيما بعد مفوضًا ساميًا فى ماليزيا، وجرى قطع العلاقات مع سفير البرتغال. ولم يجر إرسال واشوكو لحضور مؤتمر وزراء خارجية منظمة الأمم المتحدة فى أديس أبابا، وإنما جرى إرسال نوح بامالى مكانه تجنبًا للمهاترات.

فى منتصف شهر نوفمبر أمضى الحاج السير أبو بكر يومين فى إيبادان، حيث جرى تنصيبه أول مستشار للجامعة التى أصبحت مستقلة، وتسلم درجة الدكتوراه الفخرية فى القانون، وكانت لديه بعض الأشياء المهمة التى قالها فى قاعة ترنشارد. لقيت كلمات الرجل الحكيمة فيما بعد شيئًا من سوء الفهم فى الأماكن التعليمية فى بعض البلدان الأخرى: "**فى يوم مثل هذا اليوم قبل خمسة عشر عامًا مضت جرى**

(*) المقصود "بجاجا" هنا هو الدكتور جاجا واشوكو وزير الخارجية. (المترجم)

تأسيس هذه الجامعة فى مناطق متواضعة. وأنا ممنون ومقدر جداً للحقيقة التى مفادها أن هذه الجامعة التى أنشئت لخدمة الاحتياجات التعليمية العالية فى نيجيريا، أصبحت واحدة من النقاط الرئيسية الأولية فى الوحدة النيجيرية. وأنا أود أن أشكر جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، وأشكر بصفة خاصة المؤسسات الإنسانية الأمريكية الكبيرة – فورد، روكفلر، وكارنيجى – التى قدمت الكثير منذ الاستقلال، فى المجال البشرى، والمعدات وذلك من باب مساعدتها فى تنمية جامعة إيبادان وتطويرها".

تكلم أبو بكر أيضاً عن الحاجة إلى التعاون فيما بين الجامعات النيجيرية كلها، إذا ما أريد أن تكون هناك مؤسسة عامة، ولم يغب عن بال الرجل توجيه الشكر إلى جامعة لندن على مساندتها القوية وعلى الخدمات الجليلة التى قدمتها فى البداية. وأتبع ذلك بأفكاره الخاصة.

> **تتزايد المسافة الاقتصادية التى تفصل الدول المتقدمة عن الدول المتخلفة. أسوأ من هذا، أن يُقال لنا إن اتساع المسافة هذا ينبع أصلاً من التطور التعليمى الكثيف، والتطور العلمى والتقنى فى البلدان المتقدمة، وأننا حتى وإن ضاعفنا سمعتنا إلى ثلاثة أضعاف ما هى عليه اليوم، فقد لا نستطيع حتى مجرد المحافظة على هذه المسافة، أو حتى تقليلها... فى بعض الأحيان أتمنى لو أننا دخلنا العالم فى زمن لم يتعين علينا فيه مواجهة مشكلات كثيرة فى الوقت نفسه. من هنا فنحن بحاجة إلى نوعية من التعليم تمكننا من إنتاج رجال ونساء يعرفن كيف يفكرن - وكيف يصنعن الأشياء - يتعين على طلبة الجامعة ألا ينتظروا صب المعرفة فى داخلهم، ويجب ألا يفتقروا إلى القدرة أو الإرادة التى تمكنهم من تعليم أنفسهم بأنفسهم. ومهمة الجامعة الأساسية تتمثل فى حفز التصارع بين الآراء الأصولية والآراء المتمردة.**

لكن ينبغى أن ألاحظ هنا أن نيجيريا اليوم فيها اليوم اعتقاد سائد بين الآباء، والطلاب، والنقاد، بأن الجامعات هى مجرد أماكن للتدريب المهنى".

عند افتتاح مسجد الحرم الجامعى قال أبو بكر إن الإسلام كان دين تسامح، ويجب أن لا يقوم على أى شكل من أشكال التمييز: "**إخلاص المصلين فى عبادة الله، هو المقبول عند الله وليس الجمال المعمارى للمسجد**". وبعد ذلك مباشرة، سافر أبو بكر إلى زاريا لحضور احتفالات مماثلة، دامت خمسة أيام، حضر خلالها تنصيب السير أحمد بللو كأول مستشار للجامعة التى تحمل اسمه، والتى عُيِّن السير كاشيم إبراهيم رئيسًا لمجلسها. فى جامعة أحمد بللو مُنح رئيس الوزراء أيضًا درجة الدكتوراه الفخرية، وكانت تلك هى الدكتوراه الفخرية الخامسة. فى الوقت نفسه، وبمناسبة عيد ميلاد الدكتور أزكوى التاسع والخمسين، كان الرجل يضع حجر الأساس لمبنى تشريعى إقليمى شرقى جديد، وقال فى تلك المناسبة إن المؤسسات السياسية يمكن وصفها بالديمقراطية إذا ما استوعب حزب الأغلبية النقد وتقبله - النقد الخالى من الأهداف والمبنى فقط على المرارة كان يعد انتكاسة فى ذلك الوقت، نظرًا لأن هذه النوعية من النقد لا تفعل شيئًا سوى إحراج الزعماء وتعقيد التخطيط المستقبلى. وفى اليوم التالى أزاح أزكوى الستار عن تمثاله الذى كلف مجلس حى أونيتشا السيد/ بن إنونو بعمله. من سوء الطالع أن قام الرئيس بعد ذلك بجولة قصيرة إلى الإقليم الشمالى، وتفاعل مع دعاوى الأجبو المحليين عن الانتقام منهم بطردهم من أعمالهم عن طريق انتقاد المعايير، فقط اكتشف الرئيس، دخول ثلاثة أمراء فى هجوم شفاهى مضاد، واكتشف أيضًا أن المهاترات أحرجت الزعماء إحراجًا كبيرًا. كان العمل الثانى الذى قام به الدكتور أزكوى بصفته رئيسًا رمزيًا كارهًا لتلك الرمزية، ولا يريد الاقتصار على الكلمات الاحتفائية والكلمات متعددة الأحزاب التى يُعِدُّ مسوداتها مستشاروه الرسميون، يتمثل فى قيامه بالتعليق على اغتيال الرئس جون كينيدى،

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى أحزن العالم كله، ففى رسالته التى أرسلها إلى ليندون جونسون، تجاوز البروتكول فى تلك المناسبة ليقول: "يتعين على الدول الإفريقية الجديدة أن تفكر مليًا فى مسألة الوثوق أو عدم الوثوق بحكومة منتخبة من قبل الناخبين الأمريكيين، وسبب ذلك أنه من الواضح تمامًا الآن أن هناك قطاعات من الجمهور الأمريكى لا تحترم الكرامة الإنسانية ولا تأخذ فى اعتبارها العرق الأسود على أنهم بشر يستحقون المعاملة باحترام وأدب ومساواة". أما رئيس الوزراء الذى كان لديه آراؤه الخاصة فى مسألة توقيت النقد المعارض والنصح بين الأمم، فقد اكتفى بإرسال رسالة شخصية عامرة بالعزاء والمواساة للرئيس جونسون، كما أرسل برقية عزاء أيضًا للأرملة جاكلين كينيدى.

وردت أيضًا إشارة من طرف خفى تفيد أنه كانت هناك أشياء أخرى تستحق التفكير والتأمل فى الحياة العامة غير سياسة الحزب، وقد حدث ذلك عندما نشرت جريدة وست أفريكا (غرب إفريقيا) مظهرًا جانبيًا لوجه موسيقى يعمل فى نادى ليلى نيجيرى. والمحزن أن سياسة الحزب واصلت إرباكها للجميع بل وكل من هم معنيون بالسعادة والتقدم السلمى. ولكن التبسيط السياسى الوحيد جاء من الشمال، فقد اتحد حزب العناصر الشمالية التقدمى، الذى تدهور وتفكك، مع حزب الحزام الأوسط المتحد، الذى ساءت أحواله المالية إلى أبعد الحدود، اجتمع هذان الحزبان فى جوس فى شهر ديسمبر وتوحَّدا على حزب المعارضة الشمالى المتحد تحت رئاسة المعلم أمين كانو بصفته رئيسًا للحزب ويوسف تاركا بصفته أمينًا عامًا للحزب، وانضم إليهما خلال أسابيع كل من حزب زمفارا الشعبى المشترك من جنوب سكتو، وحزب برنو الشعبى، الشعوب الكانوية (الذى أقسم على استعادة السنوسى أو ولده ليكون أميرًا)، ليكونوا فيما بينهم ما يسمى "الجبهة التقدمية الشمالية" المؤمنة بتحقيق انتصارات انتخابية كبيرة فى العام ١٩٦٤ الميلادى. لم تتخل هذه الأحزاب عن عناوينها وبطاقاتها المعلوماتية الفردية.

واقع الأمر أن التطورات الحزبية الجنوبية استفحلت على التحليل الموجز. كان أوسادبى Osadebay من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، هو وأدجبنرو من حزب جماعة العمل قد التقيا فى نهاية شهر نوفمبر، وكان إدارى الإقليم الغربى قد أعلن أن الوقت قد حان لهذين الحزبين الأكثر تقدمية، أن ينضما إلى مكافحة المحافظين فى الشمال. كان زعماء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى كل من الإقليم الغربى وإقليم الغرب الأوسط يتكلمون كما لو كان عليهم أن يتحالفوا مع كل من حزب جماعة العمل والحزب التقدمى المتحد، دون أن يعرفوا الطريقة التى تمكنهم من إغواء الحزب التقدمى المتحد على قطع صلته بالجبهة الوطنية للغرب الأوسط. لكن الحزب التقدمى المتحد فى الغرب الأوسط رفض هذه الفكرة، فى حين قالت زعامة الجبهة الوطنية للغرب الأوسط بطريقة مخادعة إن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحده هو الذى تفاوض مع حزب جماعة العمل عندما كان فى ضيق شديد، لكنه كان يسقط دومًا حزب جماعة العمل من حسابه كلما أتيحت الفرصة المناسبة لذلك، وهذا هو الأسلوب نفسه الذى اتبعه ذلك الحزب حتى يتمكن من الانضمام إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى شهر ديسمبر من العام ١٩٥٩ أو الانضمام إلى الحزب التقدمى المتحد فى العام ١٩٦٢، فى فترة الطوارئ التى حدثت فى الإقليم الغربى. لم تتبع لجنة العمل المركزية فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين مفهوم رفاقهم وزملائهم على طول الخط، هذا هو أوكوتاى - إيبوه Okotie - Eboh يتكلم منددًا بزواج المصلحة، وهذا هو فانى كايود (زعيم الحزب الغربى ونائب رئيس وزراء الإقليم) هو وأكنفوسايل Akinfosile (رئيس لجنة العمل المركزية ووزير فيدرالى) يعربان عن أسفهما لأن الحزب جرى إحراجه، وهذا هو بنسون Benson (النائب الأول للرئيس ووزير فيدرالى) يعترض اعتراضًا قويًا مفاده أن هيئات الحزب الرسمية كانت جاهلة بكل ما يدور - كيف لهذه الهيئات بحكم روابطها الذائعة مع حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى فى الشمال، ومع الحزب التقدمى المتحد فى الغرب الأوسط، كيف

يمكن احترام امرأة هى زوجة لأربعة أزواج؟ وقد اتضح أن كلاً من بنسون وفانى كايود كانا يتحركان فى اتجاه نسخة أكنتولا من نظرية حركة الوحدة اليوروباوية.

كان رئيس الوزراء يعرف فى أضعف الأحوال أن أقصى ما يمكن أن ينتظره حزب جماعة العمل، هو مجرد اعتراف من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين مفاده أن الحزب سوف يساعد حزب جماعة العمل على الفوز بالغرب الأوسط، وذلك عن طريق تفتيت أصوات المعارضة، فى أن كلا من أوكوتاى - إيبوه Okotie - Eboh (هو وأومو - أوساجاى البنينى Benin) لن يشكلا مطلقًا اتحادًا مع أعدائهما القدامى، وكانا على معرفة كاملة بمزايا المشاركة مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. كان بوسع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أن يكون لا مباليًا ما دام أن كل الجنوبيين الذين يخافونهم أو يرفضونهم كانوا يتخبطون فى رمال الخلاف والتمرد المتحركة، هذا هو أُكبارا Okpara يتهم محرر جريدة البايلوت Pilot بمعاداته منذ أن ارتدى عباءة الدكتور أزكوى الحزبية، وها هم العمال النقابيون، وأقلية من السياسيين الذين من قبيل سياسيى حزب الفلاحين والعمال الاشتراكيين بدأوا يحولون بنادقهم بشكل عام نحو شاغلى المناصب الراسخين فى أماكنهم، وهذا هو سكرتير برلمانى فيدرالى يدعى دى سى أوجو Ugwu يجاهر بصوت عال بمزاعم عن فساد على مستوى كبير فى سائر أنحاء الحكومة الفيدرالية. ويقوم الحاج السير أبو بكر باستدعاء أوجو ويحتم عليه أن يعطيه سورة مفصلة الآيات، إن استطاع، لكن أوجو لم يعطه شيئًا - لكن التشويه الشعبى كان قد وقع بالفعل. يزاد على ذلك أن الخلافات الطائفية والمذهبية الجنوبية هى والإيمان الشعبى بوجود فساد أخلاقى سياسى عام لم يحل لغز الحكام، هؤلاء الذين كانوا يمتلكون قوة الأصوات الانتخابية (كانوا ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم) مختلفين عن الآخرين جميعًا – وعليه كيف يمكن للجميع أن يكونوا نيجيرين؟

خلال الأشهر الثلاثة الأولى من حياة الجمهورية، تواصل تزايد الأحداث العالمية وتفاقمها بشكل حجب بل وطغى على حادث اغتيال الرئيس كينيدى. فى اليوم العشرين

من شهر أكتوبر، كانت القلاقل والاضطرابات لا تزال واسعة الانتشار فى الكنغو، فقد قام الرئيس كازا فوبو بإعلان حالة الطوارئ. وقعت نيجيريا اتفاقات تجارية مع كل من إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة (مصر). وقال رئيس وزراء الإقليم الشمالى إن البرلمان ينبغى أن لا يوقع على الاتفاقات المبرمة مع إسرائيل (وهذا شأن دستورى لا يعنيه، أو بالأحرى لا يعنى البرلمان). وجرى إيفاد الحاج الشيخ شاجارى لحضور الاجتماع الثانى من الاجتماعين اللذين عقدا فى نيامى، الذى وافقت فيه الدول الثمانية الواقعة على نهر النيجر، وتحت مظلة منظمة الوحدة الإفريقية، على استبدال بعض النصوص المحلية الخاصة باتفاقية برلين التى أبرمت فى العام ١٨٨٥ الميلادى، باتفاقية بروكسل العامة التى عقدت فى العام ١٨٩٠، والنظر فى معاهدة سينت جيرمين لاى Laye التى عقدت فى العام ١٩١٩ بشأن الملاحة فى النهر والتعاون، أو باختصار كل المعاهدات التى جعلها أبو بكر من مسئوليته فى العام ١٩٥٥، جرى فى ذلك المؤتمر الحصول على السيادة والوضوح القانونى، لكن الحاج الشيخ شاجارى اكتشف أن سلوك المؤتمر نفسه كان كارثة. كانت لجنة الوصاية التابعة للأمم المتحدة قد طلبت من بريطانيا عدم نقل القوات المسلحة الفيدرالية إلى روديسيا الجنوبية بعد حل اتحاد روديسيا ونياسلند الفيدرالى الإفريقى المركزى، وصوت مجلس الأمن بفرض الحظر الجزئى على مبيعات الأسلحة إلى جنوب إفريقيا، الذى عطَّلت فيه الاستخبارات وقوات الأمن الجناح العسكرى umkhonto we sizwe لحزب المؤتمر الوطنى الإفريقى، أصبح الملك فريدرك ميوتسا Mutesa ملك بوجنده الذى لم يعرف أو يتعلم كل من ماكلويد وكوهين مطلقًا طريقة لمسايرته أو التمشى معه، رئيسًا لأوغنده، وأدانت الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة القمع الذى يمارسه جنوب إفريقيا بأغلبية مائة وخمسة أصوات مقابل صوت واحد. واستولى الجيش على السلطة فى داهومى، مع بداية تدخل السياسيين فى المحاكمة التى أجريت بسبب عملية دس السم، لكن الجيش حاول بعد ذلك الاستفادة من سياسيين بارزين آخرين فى إدارة البلاد، وكان من بينهم الرئيس ماجا Maga المعزول. جاءت تلك الإطاحة بالحكم بمثابة الإطاحة الثالثة فى

غرب إفريقيا خلال عشرة أشهر، وأبرزت هذه الإطاحة أخطار الأقليات سيئة النية التى كانت ترى أنها تحرم من المزايا كلما غلب على الحكام التحرك صوب حكومة رسمية أو حكومة أمر واقع تقوم على الحزب الواحد. بعد ذلك بفترة قصيرة صدرت أوامر لآلاف كثيرة من الداهوميين الذين يعيشون فى النيجر بالعودة إلى الوطن، وعقب ذلك أغلقت داهومى حدودها وهددت بوقف النقل البرى بين داهومى والنيجر ومناطق أخرى. وفى محاولة للوساطة من جانب الحاج السير أبى بكر التقى الرجل وفوداً من البلدين، لكن العلاقات استمرت فى التدهور وجرى تأجيل خطوط الربط الحديدية بين داهومى والنيجير إلى أجل غير مسمى.

ويستقيل السيد/ هارولد ماكميلان فجأة وهو على فراش المرض فى بريطانيا، ويخلفه إيرل أُف هوم Earl of Home بعد ذلك بأسبوع، ويواصل الرجل تخليه عن لقبه ويفوز فى الانتخابات الفرعية التى نجمت عن تلك الاستقالة المنظمة، (ولما كان الرجل يحمل لقب فارس الأشواك Thistle) فقد أصبح اسمه السير إليك دوجلاس - هوم)، وقبل المنافسون المرجحون الآخرون، من أمثال بتلر، وهيلشام (الذى تخلى هو الآخر عن لقبه) ومودلنج، مناصب تحت رئاسة دوجلاس – هوم، لكن اثنين من كبار المفكرين، اللذين افتقدا مساندة الحزب وثقته، وهما إيان ماكلويد وإينوك باول Powell، لم يوافقا على قبول مناصب يعملون فيها تحت رئاسة هوم، أرسل الحاج السير أبو بكر تحياته وتهنئته الحارة إلى هوم، ذلك الرجل الذى قدم كلا من أبى بكر ونيجيريا إلى الأمم المتحدة. اعترفت نيجيريا اعتراف الأمر الواقع بحكومة هولدن روبرتو الأنجولية فى المنفى، جدد الحاكم الغانى مرة أخرى قانون الاحتجاز الوقائى الذى استمر خمس سنوات، ونوه أيضًا إلى أن أبا بكر سيزوره خلال وقت قريب، حدث انقلاب مضاد أيضًا فى العراق، آثر ملتون أبوتى تمضية جزء من شهر العسل فى نيجيريا طلبًا لزيادة خبرته، وجرى التقدم بالتشريع التنجانيقى الموعود الذى يفرض قيام دولة الحزب الواحد، وجاء ذلك وسط معارضة شديدة ومتزايدة فى أوغنده، وجرى الشىء نفسه فى

كل من كينيا وزنزبار اللتين استقلتا حديثًا، وقد ساعد ذلك فى البداية على تحويل منظمة الخدمات الإفريقية المشتركة إلى اتحاد فيدرالى جديد، تقدمت الكاميرون بطلب إلى محكمة العدل الدولية، بإلغاء الاستفتاء الذى أرادت بريطانيا إجراءه فى مقاطعة المستشار السياسى الرئيسى، واجتناب قرار الأمم المتحدة القاضى بضم هذه المقاطعة إلى نيجيريا، ووصل أول سفير نيجيرى إلى موسكو، فى الوقت الذى كان الطلبة الأفارقة فيه يقومون بإضراب فى الميدان الأحمر احتجاجًا على زميل غانى لهم، وجرى الحكم بإعدام اثنين فى محاكمة مؤامرة الخيانة الثانية فى غانا، والتى نشأت عن تفجير القنابل والهجوم على نيكروما فى العام ١٩٦٢، لكن جرى تبرئة ثلاثة من السياسيين - وجرى احتجاز هؤلاء السياسيين الثلاثة، وفى اليوم التالى ألغى نيكروما وظيفة السير أركو كورسا Korsah بصفته قاضى القضاة. مع نهاية العام، ومن خلال "جلسة أفريقية" سعت إليها منظمة الوحدة الإفريقية بحثًا عن نفوذ أكبر، جرى توسيع مجلس الأمن من ١١-١٥ لكى يتسع لمقاعد ثلاث دول إفريقية. وقع صدام بين اليونانيين والأتراك فى قبرص، لكن جرى الاتفاق على منطقة محايدة على وجه السرعة. وجاء أول الأعمال التى قامت بها كينيا بعد الاستقلال متمثلاً فى إعلان حالة الطوارئ فى المناطق الصومالية المتنازع عليها فى الإقليم الشمالى الشرقى (الذى كانت الصومال لا تزال تقول إنه منطقة حدودها الشمالية القديمة)، كما أبرمت كينيا معاهدة للدفاع المشترك مع إثيوبيا، التى كانت فيها أيضًا مناطق صومالية متمردة.

هيأ حل اتحاد وسط إفريقيا الفيدرالى فى اليوم الأخير من العام ١٩٦٣، وما ترتب عليه من سحب ممثله الدبلوماسى فى ليجوس (الذى أشرنا إليه فى الفصل السادس والثلاثين) الفرصة لتوضيح رأى الأغلبية المشترك الذى كان رئيس الوزراء يتمسك به إلى ذلك الوقت هو ووزير خارجيته فيما يتعلق بروديسيا الجنوبية. سبق أن أشرنا من قبل أكثر من مرة إلى نظرة أبى بكر المتواضعة إلى ولنسكى Welensky، ولما كان الرجل هو نفسه رئيسًا للوزراء ويعرف تاريخ الولايات المتحدة فيما يتعلق بالشقاق

والانفصال السياسى، فقد استطاع تبين منطق تأكيد ولنسكى على أن بريطانيا قد "سحبت البساط من تحت رجليه، منذ حوالى خمس سنوات". وأنها حنثت فى وعدها عندما وافقت على انفصال نياسلند، وحل الاتحاد الفيدرالى دون الحصول على موافقة الحكومات الثلاثة على ذلك". وعلى الرغم من أن الرجل لم يعترض على التقسيم الطوعى للأصول، فقد شارك أبو بكر شاندوس فى رأيه عند تقاعده، والذى مفاده أن كبار المحامين فى لجنة منكتون Monckton وافقوا على أن الاتحاد الفيدرالى يمكن أن يقوى عندما يُسمح لمكون من مكوناته من جانب واحد بالانسحاب (كان من رأى شاندوس أن الضغط بالليبرالية التقدمية على ونستون فيلد Winston Field وعلى الروديسيين الجنوبيين البيض، يمكن أن يجعل من اتحاد ولنسكى الفيدرالى حاجزاً يوقف انتشار فلسفات الأفريكان(*) شمالى مدينة لمبوبو Limpopo، وأن يصبح أيضاً مادة ملينة للكراهية الشديدة التى تواجه هؤلاء الأفريكان).

فى ذلك الوقت كانت نظرة كل من أبى بكر هو والدكتور جاجا واشوكو، إلى مستقبل روديسيا الجنوبية أكثر اتساعاً من نظرة السواد الأعظم من السياسيين الأفارقة. كانت كل من نياسلند وروديسيا الشمالية، بصفتهما محميتين، كانت فيهما قلة قليلة من المهاجرين المستوطنين البيض وقليلى الأهمية من الناحية السياسية، أما روديسيا الجنوبية بحكم أنها مستعمرة حقيقية فقد كان فيها كثير من المهاجرين المستوطنين البيض، الذين جاءوا إلى هذا البلد بنية الإقامة فيه هم وأسرهم وأن يصبحوا فيه مواطنين - هؤلاء المستوطنون لم يكونوا يشكلون عدداً كبيراً جاء من جنوب إفريقيا الذى اكتسبوا فيه ثقافة انتمائهم إلى أقلية مفضلة وصلت إلى السلطة، لكن كانت هناك أيضاً مجموعة أخرى متباينة كان لديها من الأسباب ما يجعلها تصدق أن الحكومات البريطانية قبل الحرب وبعدها، والتى شجعتهم على الخروج والاستثمار

(*) المقصود بالأفريكان هنا هم أولئك الذين وُلدوا الأب غير إفريقى وأم إفريقية أو العكس. (المترجم)

فى تلك البلاد، سوف تساعدهم وتعينهم جميعا. وأيا كانت المشكلات والورطات الأخلاقية التى طال النقاش حولها، فقد كان الواقع يقول إن المشكلة الإنسانية (البشرية) لمستعمرة موجودة لمدة أربعين عامًا بلا أى تحدٍ وتتمتع بحكم ذاتى داخلى لابد أن تكون مختلفة اختلافًا كبيرًا عن مستعمرة من أراضى إفريقية خالصة تتمتع بحكومة مسئولة منذ عهد قريب جدًا. قلة قليلة من السياسيين الأفارقة هى التى توافق على ذلك وتقره، يزاد على ذلك أنه كانت لا تزال هناك اختلافات عرقية كثيرة، واحتمال وجود كثير من المنافسات الحزبية أيضًا، فى الإطار السكانى الإفريقى الخالص، لكن أبا بكر وواشوكو أحسًا بأنهما يتعين عليهما الاعتراف بأن هؤلاء المستعمرين، على الرغم من عنادهم وحسارهم(*)، الذين أسهموا فى أرضهم المختارة لابد لهم من تخفيف مخاوفهم، أو بالأحرى، ما دام بقى التعدد العرقى حلمًا، فلابد من تعويضهم تعويضًا مناسبًا عن خسائرهم المادية والذاتية - لكن على أن يكون ذلك التعويض من قبل دافع الضرائب البريطانى باعتباره القوة السيادية. وإذا لم يمكن الحصول على هذا الحل بالقوة المجردة، فإن المسئولية الأخلاقية تقع على البلد الأم وحده. كان رئيس الوزراء على خلاف مع أولئك الذين ظنوا أن الكفاح من أجل تجنب إهدار الدماء يعد شكلاً من أشكال الضعف أو المحافظة، ودون أن يتخلى أبو بكر عن صراحته المباشرة، فى مواجهة التحديات الداخلية، راح الرجل يذكر هؤلاء الناس بأن هؤلاء الذين لا يودون سفك الدماء لا يتوقعون أو ينتظرون سفك دمائهم.

وبهذه الطريقة نفسها أبلغ أبو بكر ثلاثة من الجزائريين الذين كانوا يزورونه فى وطنه أنه فى ظل المرحلة الحالية من مراحل تطورهم، لا يمكن للدول الإفريقية أن تطيق الدخول فى صراع مع بعضها البعض: "**نحن فى إفريقيا لدينا الكثير الذى يمكن عمله حتى نحسن مصير شعبنا والعمل من أجل الوحدة، والنيجيريون بعد كفاح دام ثمانية**

(*) الحساء: بكسر الحاء وفتح السين هو "قصر النظر". (المترجم)

سنوات، يتعين عليهم الآن الاستقرار ويعملوا على إعادة تعمير بلدهم". وعندما تطرق أبو بكر إلى مسألة النزاع على الحدود بين الجزائر والمغرب قال: "ليس هناك ما يبرر لجوء البلدين إلى العمليات الحربية، لأنهما شقيقان".

إذا كان أهم أحداث نهاية العام ١٩٦٣ الداخلية قد تمثل فى إضراب البترول الذى قامت به وحدة استكشاف البترول الخليجية فى البحر عند منعطف الشاطئ، فإن حياة الحاج السير أبى بكر الخاصة تميزت بمغامرة ثانية فى إطار الحقيقة. كانت الحاجة إلى الإقامة بين الحين والآخر فى كادونا، تحتم على الرجل تحاشى فرض المزيد من الالتزامات على الأصدقاء، والأمير، والزملاء السياسيين، أو الضيافة الحكومية، الأمر الذى دفع الرجل إلى بناء كابينة له فى عاصمة الإقليم الشمالى. وجرى الإعداد للحصول على قرض آخر، لكن فى ذلك الوقت، كان المقاولون الكادونيون Kaduna قد زادت أسعارهم عما كان فى باوتشى، ولذلك جاء القرض أكبر من القرض الأول، الذى كان أبو بكر قد سدده بالفعل، تلكأ مسئولوا البنك فى منح القرض، إلى أن ذهب لهم سكرتير رئيس الوزراء إليهم ليوبخهم على ذلك التلكؤ، دون أن يُعلم رئيس الوزراء بذلك، ومضى العمل فى بناء ذلك المنزل ذى الطابق الواحد بالقرب من زاريا فى الناحية الشمالية.

جرى الكشف أيضًا عن موضوع مهم عندما طلب أبو بكر هودج، المفتش العام، على خطه المباشر، بعد تبادل التحيات، وبعد أن ضحك أبو بكر فيما بينه وبين نفسه، قال "**أيها المفتش العام أنا أكسِّر القانون**". "حاشا لله، يا سيدى، يبدو أن الأمر خطير، ماذا فعلت؟". "**عندى سلاحان غير مرخصين**". "يبدو أن ذلك شىء سيئ، وبخاصة فى ضوء التوجيه الجديد الذى أصدرته عن الأسلحة النارية - هل تود إرسالها إلىَّ؟" وبعد ذلك بنصف ساعة وصل حارسا أبى بكر إلى مركز رئاسة الشرطة وهما يترنحان تحت حقيبة تغليف كبيرة كانا يحملانها، نزل هودج من الدور الثالث لفتح تلك الحقيبة بطريقة صحيحة على الأرض. كان بداخل الحقيبة مدفعا ماكينة حديثان. صعد الرجل إلى

مكتبه وأعاد طلب رئيس الوزراء على الهاتف: "سيدى، أنت فى ورطة، من أين لك بهذين السلاحين؟" ضحك أبو بكر بصوت عال: **"أصدقائى فى الجمهورية العربية المتحدة اعطونى إياهما. خطر لهم أنى ربما أكون بحاجة إلى أن يكونا فى متناولى - من فضلك تصرف فيهما"**. وهنا قام هودج بإرسال مدفعى الماكينة إلى الجيش.

كانت مشكلة ولبى - إيفرارد لا تزال تشكل المزيد من الإلحاح. كان إيفرارد ولبى على العكس من هودج ليس لديه خط تليفونى مباشر، والسبب فى ذلك أن مهمته الأولى كانت منصبة على وزارة الدفاع. كانت علاقاته الشخصية تبدو حسنة مع الوزير وكبار الموظفين الحكوميين، لكن هيئة العاملين العسكريين المقيمين كانوا ينظرون إلى السكرتير الدائم على أنه شخص ليس ودوداً معهم، وشكاك ومعوق، ولما كان السكرتير الدائم خريجاً كفئاً من خريجى جامعة أكسفورد، فقد كان يعد وعلى نطاق واسع نجماً من نجوم الإدارة فى الشمال (باعتباره ضابطاً من الضباط الأصاغر جرى تعيينه فى الإقليم الشرقى، إذ كان سكرتيراً خاصاً للدكتور أزكوى)، لكن بعض الجنود البريطانيين قرروا أنه كان موغر الصدر عرقياً بسبب قيام طاهر atta أجبيرا، مساعد الحاكم بعزل والده قبل ذلك بسنوات كثيرة. ولم يجر تعيينه فى موطنه الإقليمى مخافة الاطلاع على الملفات الخاصة بذلك العزل. كان ولبى - إيفرارد يناقش مشكلات الروح المعنوية بين كبار الضباط مع هودج، الذى كان ينتهز الفرصة ويهمس ببعض الكلمات فى أذن رئيس الوزراء. أرسل الحاج السير أبو بكر إلى اللواء يقول له أيها القائد العام: **"أنا أفهم أنك مشغول وقلق إلى حد ما"**. وأدى تشجيع تبادل الرأى بطريقة لبقة إلى توضيح صريح لمسألة إحساس بعض العاملين بشىء من الصعوبة فى التعامل مع شخص مدنى صعب المراس، ويتسم بالوقاحة والعداء للبريطانيين، هؤلاء العاملون لم يكونوا مدركين أنهم أثاروا مسألة حساسة، اللهم إلا إذا كان ذلك عن طريق استعراض الفروق الثقافية الخارجية فى الخدمة الموحدة التى تقوم على النظام والانتظام، والتى ينتظرها الموظف الإدارى الكبير العاقل، الذى يرتدى الزى المدنى، من

أمثال هؤلاء العاملين. أعرب رئيس الوزراء عن اندهاشه الدبلوماسى، وأوضح أنه أيضًا يتعين عليه مواجهة مشكلات الشخصية مع الوزراء والمسئولين المهمين على اختلاف مشاربهم. قيل الكثير بعد ذلك حول هذا الموضوع، لكن بعد بضعة أسابيع، وبالاتفاق مع محمد رباط، عطا (الطاهر) جرى نقله إلى وزارة الاتصالات، ولم يخلق سول دى كولو kolo، الذى خلفه، المزيد من المتاعب أو المشكلات فى العمل مع هيئة من الموظفين الأجانب - بعد ذلك وجد البعض أن من الحكمة أن يعرف كل من ضباط الجيش العظام أن عبد العزيز عطا (الطاهر) رجل صاحب شخصية، شأنه شأن وزيره الأول - لكن ما إن جرى استبدال الوزير، لم يعد أحد يلقى بالاً للوزير الجديد.

على الرغم من عدم وجود قوة جوية فاعلة ومؤثرة، فإن تدريب الطيارين والجنود الجويين كان قد بدأ تحت إشراف مدربين من ألمانيا الغربية، وكان قائد هؤلاء المدربين على وئام تام مع القائد العام، لكنه كان يفتقر إلى النفوذ العملياتى والإدارى. وقد فتح ذلك للقائد العام ثغرة، وذلك بتشجيع من الوزير والسكرتير الدائم لكى يقوم بتشكيل أول لجنة من لجان الخدمة الداخلية النيجيرية، وقد أدى ذلك إلى توسيع دور القائد العام ليصبح رئيس هيئة الدفاع. وقد اصطبغت أعمال هذه اللجنة بمشكلتين سياسيتين مهمتين، أولاهما أن التدريب العسكرى لم يكن هو وحده الذى تتشارك فيه الدول الصديقة، وإنما تدخل المعدات فى ذلك أيضًا. ومن هنا قامت كل من إسرائيل وإيطاليا بتوريد الأسلحة، ويضاف إليهما أيضًا ألمانيا (ناهيك عن الرشاشين الذى أهديا إلى رئيس الوزراء فى مصر)، ومع ذلك بقى التسلح الرئيسى هو والمساندة الكهربية والمساندة الهندسية الميكانيكية، من أصل بريطانى، الأمر الذى جعل من الصيانة والإمداد والتموين مسألة بالغة التعقيد، وأصبحت الخردوات المعدنية غير متينة. وتولى ولبى - إيفرارد حملة ضغط راحت تطالب بالتوحيد، بغض النظر عن المصدر، لكن محمد رباط بدا وكأنه غير مقتنع بذلك، ولم يكن أبو بكر لديه متسع من الوقت للدخول فى الفنيات العسكرية. أما المشكلة الثانية فقد تمثلت فى استمرار

العرقية: كان رئيس الوزراء هو ووزير الدفاع متفقين على أنهما يودان أن يريا المشاعر الطبيعية داخل سلاح الضباط وقد جرى قمعها لمصلحة "النجّرنة" Nigerian - ness، لكن أحداً لم ينسى أن الإجباويين كانوا هم المسيطرين، وأنهم كانوا هم الأمهر، وأن منهم عدداً كبيراً جاهزين ومناسبون للترقى إلى المستويات الأعلى.

فى مطلع العام ١٩٦٤ الميلادى، تحدث قاضى القضاة، السير أديتوكنبوه Adeto- kunboh أديمولا Ademola، وعلى الملأ مرة أخرى ونيابة عن إخوانه القضاة، منادياً بإلغاء الاستئناف أمام المجلس الخاص لصاحبة الجلالة، وإلغاء عمولة الخدمة القضائية المؤسفة: "فى اليوم الذى سيتعين فيه على القضاة أخذ تعليماتهم من السياسيين، أو عندما يُعلمون هؤلاء السياسيين بقراراتهم بصورة مسبقة، سيكون ذلك اليوم، هو الذى سنحمل فيه عصينا على أكتافنا ونرحل. نحن نحس أن سياسيينا الحاليين [**أولاً وقبل كل شيء، قد يكون أبو بكر قد سهل عملية الإلغاء، لكنه وافق على حرية القضاء فى القضايا المقامة فى محاكم الإقليم الغربى**] سوف يفيدون من حكمتهم إفادة طيبة عندما يقومون بتعيين القضاة، لكن [**وهنا تبين الرجل ذلك الذى نسيه المصلحون الراديكاليون فى الديمقراطيات**] ماذا عن السنوات العشر؟ نحن على هذا الجانب تعلمنا أن السلطة تُفسد (والسلطة المطلقة تمعن فى الإفساد). وهنا لا يسعنا إلا أن نحس أنه فى السنوات المقبلة أن تعيين القضاة بواسطة السياسيين قد يؤدى إلى ما يمكن أن نسميه المنصة القضائية المزيفة.

جاء ذلك التحذير على خلفية تجدد الاضطرابات فى الخارج. فقد حدث قطع عنيف للعلاقات الدبلوماسية من جانب بنما مع الولايات المتحدة، وحدث سفك عام للدماء فى الهند. وكان الرئيس نيكروما فى خطابه بمناسبة العام الجديد قد تعهد من خلال الإذاعة بالمضى قدماً بدولته ذات الحزب الواحد إلى الإمام: وبعد استفتاء (حصل هو فيه على ٩٩٪ من الأصوات الصحيحة)، أصبحت المعارضة داخلة فى إطار الخيانة، وسوف تظهر ألوان حزب المؤتمر الشعبى على العلم الوطنى، وسوف تتخذ السلطات

اللازمة لطرد أى قاضٍ (ليس فقط قاضى القضاة، تلك السلطة التى استخدمت مؤخراً) وإلغاء أحكام الإفراج وإطلاق السراح. جرت بعد ذلك محاولة ثالثة لاغتيال نيكروما بواسطة كونستبل شرطى سابق، وقد أسفرت القنبلة عن عدد يزيد على ثلاثين مصاباً غانيًا ماتوا جميعهم، وأصيب حوالى ثلاثمائة بإصابات بالغة، وجرى طرد مفوض الشرطة على إثر ذلك الحادث، وجرى أيضًا احتجاز كل من قاضى القضاة الجديد هو والدكتور دنكواه (على الرغم من إطلاق سراح قاضى القضاة على الفور بعد اعتقاله) وتلا ذلك قيام مظاهرات وإضرابات معادية للأمريكان.

حدث على الساحل الشرقى تمرد فى زنزبار، بقيادة جون أوكلو Okello، وهو أوغندى جرى تدريبه فى كوبا، على المقاومة المتواضعة لقوة شرطية صغيرة، وأسفر ذلك التمرد عن عزل السلطان (الذى لجأ إلى بريطانيا) ونجح فى إعلان قيام جمهورية شعبية فى زنزبار، بعد ذلك وعندما جرى إرسال كثير من رجال الشرطة التنجانيقيين للمحافظة على الأمن فى الجزيرة، تمردت قوة البنادق التنجانيقية فى الداخل، وطالبت بتحسين أجورها، ووضع ضابطها فى مكان واحد، وجاء ذلك على شكل تحد مباشر لسلطة جوليوس نيريرى. وعلى الفور قامت قوات أخرى بتقليد هذه القوات فى كل من أوغنده فى البداية ثم بعد ذلك فى كينيا. أعطى الرئيس نيريرى بعض الموافقات المبدئية وبعدها جرت مواجهته بتمرد جديد. كانت أقرب قوات الكمنولث التى يمكن أن تستجيب لطلب العون الذى تقدم به كل من الرئيس ملتون أبوتى والرئيس جوموكينياتا، موجودة فى قاعدة كينية كان قد تقرر قفلها بعد الاستقلال بعام واحد. واكتشف نيريرى أنه هو الآخر، وبطريقة محزنة، بحاجة إلى طلب العون والمساعدة. وما أن قام البريطانيون بإخماد التمرد حتى قام نيريرى بتسريح الجيش بكامله، وقام ملتون أبوتى بتسريح سريتين، فى حين قام جوموكينياتا بمعاقبة بعض المتمردين. وتكاسلت بريطانيا فى الاحتفاظ بأى من قوات الجيش فى شرق إفريقيا، كما وافق الحاج السير أبو بكر، بناء على طلبات سرية، على أن يقوم الجيش النيجيرى، بعد استعادة النظام، بقضاء بعض

الوقت فى تنجانيقيا، ليحل محل الجيش الوطنى الغائب، وتدريب بديل عن ذلك الجيش. ظن بعض آخر من الوزراء النيجيريين أن جوليوس نيريرى، على الرغم من كل احترامه المتبادل لأبى بكر، كان يبتلع كبرياءه، هذا يعنى أن هؤلاء الوزراء استطاعوا الوقوف على الغيرة من بروز نيجيريا فى إفريقيا الجديدة. كل ذلك كان ينطوى على مضامين مستقبلية واضحة لمنظمة الوحدة الإفريقية. وعلى الرغم من كياسة جيمس بام وحرفيته، قائد الكتيبة المعنية بذلك الامر، فقد أضفى ذلك على الكثيرين من ضباط الجيش النيجيرى الأصاغر إحساسهم بأهميتهم وثقتهم بأنفسهم، وقد تجلى ذلك بصورة واضحة فى الكنغو. وفى مكان آخر انعقد مؤتمر دستورى، بخصوص جزيرة قبرص، لكن المؤتمر فشل فى الاتفاق على أى شىء، ورفض الأسقف مكاريوس فى الوقت نفسه اقتراحًا بريطانيًا ـ أمريكيًا بإنشاء قوة احتلال مرتبطة بالأمم المتحدة للمحافظة على السلام، واندلعت المظاهرات فى كل من سالسبرى، وروديسيا الجنوبية، وأمر السودان بترحيل ٣٠٠ من المبشرين لمساندتهم للنشاط المعادى للحكومة فى جنوب السودان.

وقعت أيضًا بعض الأحداث السلمية: حصلت جزر البهاما على الحكم الذاتى الداخلى، جرى انتخاب سورو نيران أبثى Apithy رئيسًا جديدًا لداهومى، اكتسح حزب الاستقلال الوطنى المتحد قوائم الاقتراع فى روديسيا الشمالية وأصبح كينيث كاوندا رئيسًا للوزراء، نادى خروشوف باتفاقية أو معاهدة تنبذ الحرب كوسيلة لتسوية المنازعات الإقليمية، وقف كاسترو إلى جانب اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فى نزاعه الأيدولوجى مع الصين، وعلقت الولايات المتحدة المساعدات التى كانت تقدمها لكل من يوغسلافيا، وأسبانيا والمغرب نظرًا لاستمرار هذه الدول فى تعاونها التجارى مع كوبا، وفرضت الولايات المتحدة أيضًا بعض القيود على الصادرات إلى كل من بريطانيا وفرنسا، استضافت الجمهورية العربية المتحدة ثلاث عشرة دولة من دول الجامعة العربية، فى محاولة منها لتوحيد القيادة العسكرية فى مواجهة خطة إسرائيل لتحويل مجرى نهر الأردن، حدث انقلاب سلمى قام به المتمردون العسكريون فى فيتنام

الجنوبية، وافق أحمد بن بللا على إنهاء نزاع الحدود مع المغرب، بفعل تشجيع أبى بكر له على ذلك، قام رئيس وزراء الصين شوئن لاى بجولة فى الدول الإفريقية استمرت ثمانية أسابيع، وبخاصة تلك الدول التى للصين فيها بعثات مؤثرة، وواصل رحلته إلى جنوب شرق أسيا، وقررت بريطانيا فى العام ١٩٧٠ رفع سن الانتهاء من الدراسة المدرسية إلى ستة عشر عاماً.

أدى الافتتاح الرسمى للبرلمان فى القاعة الوطنية الجديدة إلى تسريع العملية التشريعية النيجيرية: فى اليوم الثامن من شهر يناير جرى إقرار قانون واحد ينص بصورة رسمية على دستور لإقليم الغرب الأوسط الجديد، وفى اليوم التاسع من شهر يناير أقر المجلس سبعة قرارات، وفى اليوم العاشر أنهى المجلس على القوانين الأربعة المتبقية على جدول أعمال الاجتماع. وجرى فى اليوم التالى إقرار هذه القوانين كلها من مجلس الشيوخ. جاءت مشاركات رئيس الوزراء اسمية، لكن الرجل كان سعيداً بوضع حجر الأساس فى أبوجا لمبنى جديد يتكلف خمسة ملايين جنيه إنجليزى، لحساب جامعة ليجوس، التى أنشئت فى العام ١٩٦٢ باعتبارها الجامعة النيجيرية الخامسة، وعلمت أقل من مائتى خريج (وكان أى إن أو سوديندى Sodeinde رئيساً للجامعة وإينى Eni نجوكو Nojoku نائباً لرئيس الجامعة، فى حين كان ستانلى وى wey، عضواً فى مجلسها المؤقت). قام رئيس الوزراء بمهمة مماثلة فى وضع حجر الأساس للمسجد الرئيسى الخاص بالجماعة الإسلامية، وبعد ذلك بيومين أُولى اهتمام كبير بالزيارة التى قام بها سلطان سُكتو Sokoto، وبصحبته رئيس وزراء الإقليم الشمالى، حيث قام الاثنان بوضع حجر الأساس لمسجد مركزى جديد فى إيبادان. وقد فسرت هذه الزيارة على أنها إشارة لإثبات أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو حزب وطنى فى حد ذاته على الرغم من ارتباطه السياسى مع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، نظراً لأن السكرتير العام الحاج أهمان Ahman باتيجى pategi انتهز هذه الفرصة ليقول إن تدخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى سياسة الجنوب

كان أسلوبًا من أساليب تطوير الوحدة النيجيرية. ومضى المستشار السياسى الرئيسى إلى أبعد من ذلك، عندما أبلغ الصحفيين أن البلاد قد تصبح دولة ذات حزب واحد، ثم أردف بعد ذلك قائلاً بطريقة غامضة، "أنا لست ديمقراطيًا: وأنا لا أعرف ماذا أكون".

ومما لا شك فيه أن استمرار الفوضى والارتباك فى الجنوب أعطيا حزب المؤتمر الشعبى الشمالى شيئًا من التشجيع. كان الرئيس توس Tos بنسون يجادل من أجل قيام جبهة يوروباوية موحدة بحيث لا تصبح بطريقة غامضة منظمة سياسية "قبلية". لم يستطع الرئيس بنسون إقناع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين بذلك فى الإقليم الغربى، كما لم يستطع أيضًا التصالح مع آولوو أو مع المنظمة الثقافية اليوروباوية egbe omo yoruba التى تكره آولوو. ومع ذلك، وعلى الرغم من قلق المنظمة الثقافية اليوروباوية العامة Egbe omo odudwa مخافة "التضحية" بآولوو فى أية حركة ناجحة من حركات الوحدة اليوروباية، فإن أعضاء هذه المنظمة وجدوا أنفسهم فى شهر يناير داخلين فى جدل مع أكنتولا حول توحيد هذه المنظمات الثقافية اليوروباوية فى منظمة واحدة هى المنظمة الثقافية اليوروباوية الأُلفونية Egbo omo olofin: وتأسيسًا على ذلك جرى بعد فترة قصيرة طرد كل من الرئيس ونائب الرئيس للمنظمة الثقافية اليوروباوية الأدودية oduduwa، لكن أديمولا Ademola هو وماجيكودونمى احتفاظا بأهميتهما. أبدى الحزب التقدمى المتحد ملاحظة مفادها أن توحيد تلك التنظيمات قد يؤثر على فرص فوز حزب جماعة العمل فى الانتخابات المستقبلية.

فى الغرب الأوسط واجه الإدارى دينس Dennis أوسادبى Osadebay تمردًا واستياءً سياسيًا. كانت اللجنة الانتخابية قد أعادت تحديد حدود الدائرة الانتخابية فى الإقليم، بحيث تضم كل دائرة من هذه الدوائر الانتخابية عددًا من السكان يقدر بحوالى ثلاثين ألف نسمة، باستثناء الجماعات الكبيرة المتناسبة (فى إيدو Edo، اتسكيرى أو غربى إيجو Ijo، على سبيل المثال) التى خسرت عددًا كبيرًا من سكانها. هذا الاستثناء يعنى أن الأربعة وخمسين ألف نسمة التى فى منطقة وارى Warri وكذلك

المائة وستة وعشرين ألف نسمة الأعضاء فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين سيكون لكل منهما أربعة ممثلين فى البرلمان. وبذلك تصبح النجاحات الحزبية المرجحة فى الانتخابات مرة واحدة وبصفة استثنائية أمرًا لا يمكن التنبؤ به فى نيجيريا فى فترة ما بعد الحرب. استخدم الحاج السير أبو بكر مساعيه الطيبة من أجل توقيع اتفاق بين حزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين على أن يتشاركا فى تعيين الموظفين الانتخابين، ما دام أن المحكمة العالية فى بنين قد أوضحت فى هذه المرحلة الانتقالية أن الإدارى adminstrator وليس اللجنة الانتخابية الفيدرالية هو صاحب السلطة. فى تلك الأثناء فاز حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى اليوم الثالث من شهر فبراير، وقام أوسادبى بصفته رئيس وزراء من الأجبو بتولية نفسه إداريًا adminstrator. وقام الرجل بتعيين الرئيس صمويل جيريتون Jereton فاريدى حاكمًا وهو من الأُرهوبو Urhobo ويبلغ من العمر سبعة وخمسين عامًا، وتبددت آمال رئيس oba بنين فى إضافة امتياز ملكى إلى منصب الحاكم فى مدينة بينى Bini الكبيرة. كان صمويل جبريتون ماريرى واحدًا من كتبة جون John هولت Holt. وترك الوزارة الفيدرالية الرئيس همفرى أومو - ساجاى omo - sagie، الذى كان تابعًا لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. شكل حزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط المعارضة، لكن أجريت بعض الترتيبات لاستعادة المقاعد الثلاثة التى "أخذتها" اللجنة الانتخابية من كل من أسابه Asaba وأَبُه Aboh. ومع ذلك كانت هناك بعض الأصوات التى كانت تُسمع فى الإقليم الجديد وهى تنادى بأن الهدف الرئيسى المهم هو توحيد كل القوى الجنوبية المشتتة من أجل هدف واحد هو هزيمة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى الانتخابات الفيدرالية فى ذلك العام.

كان الشمال موحدًا بطبيعة الحال من الناحية الشكلية تحت لواء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. صعب على المستشار السياسى الرئيسى أن يفهم الحقيقة التى

مفادها أن التيف Tiv لا يحبون الفولانيين أو "الهوساويين"، وعلى الرغم من حالة السكون التى حلت بالتيف بعد قيام تاركا بإنجاز مهمته، وعلى الرغم أيضًا من الحكم الفعال المباشر بلا سياسة من قبل موظف من موظفى الأقسام الشماليين جرى تعينه رئيسًا فعليًا أوحد للإدارة المحلية" واللذان رحب بهما التيف العاديون، فإن لا مبالاة كادونا هى وكيد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى المحلى للتيف، بدءًا من جديد يوجِدان الفرقة والقطيعة بين مسئولى الحزام الأوسط المتحد. وقد ساعد تناقص المساندة المادية من حزب جماعة العمل على تسريب اليأس إلى حزب المعارضة فيما يتعلق بأحداث معالجات دستورية لمنغصات حزب المعارضة، الأمر الذى أدى، كما أوضحنا، إلى تحالف الحزب مع حزب العناصر الشمالية التقدمى ليكونا بذلك جبهة تقدمية. كان التيف لا يزالون شعبًا مختلفًا عن الناطقين بلغة الهوسا، وكانوا مختلفين أيضًا عن جيرانهم الجنوبيين فى الشرق، وكانوا يحضرون دومًا الانتخابات بنسبة مائة فى المئة (كانت نسبة ٩٠٪من هذه النسبة لصالح تاركا Tarka وأصدقائه).

تجدد العنف فى شهر فبراير، فقد جرى الهجوم على العاملين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وعلى مكاتب الإدارة المحلية، وضاعت أرواح كثيرة فى المبارزات العنيفة التى دارت بين الشرطة وعصابات المجرمين على نطاق استحوذ على المانشتات العالمية. فى تلك الأثناء أو كل النظام والقانون إلى السلطة المدنية، لكن المسئولين المقيمين فى حكومة الإقليم الشمالى أقنعوا رئيس وزراء الشمال وسكرتيره على عقيل بتعيين أحمد كوماسى ليقوم بتشكيل لجنة تحقيق وتحرى حتى يمكنها أن توصى بأشكال جديدة للحكم المحلى يمكن للتيف أن يساندوها ويؤيدوها: فى ليجوس لم يتخوف الحاج السير أبو بكر ولا الحاج محمد رباط من الإجراءات القاسية التى جرى اتخاذها عندما تدهور الانتظام المدنى، لكنهما كانا يعرفان الأخطار السياسية وكانا لا يزالان يشعران بالتعصب والتوتر من إعطاء الجيش فرصة فى الداخل يمارس من خلالها السلطة فى التحكم فى المجتمع، وقد خبر الجيش هذه العملية عندما كان فى

الكنغو (والتى خبرها، كما سبق أن أوضحنا، بعض قادة السرايا التى ذهبت إلى تنجانيقا). وبعد أن عاد أبو بكر هو ومحمد من جولة قاما بها سويًا وجهت خلالها إليهما بعض جماهير الدهماء سيئة الأخلاق السباب واللعان، وبعد أن أكد المفتش العام للشرطة أنه ليس من مهمته التدخل فى الاحتجاجات السلمية، أعرب محمد رباط عن رغبته فى جعل الوحدات الشرطية خفيفة الحركة إيجابية فى ردودها. وألغى أبو بكر ما قاله محمد رباط. وعلى الرغم من ذلك، فإن الشرطة التى كان يمكن أن تكون "سيدة نفسها فى فتح النار"جرى وضعها تحت قيادة القوة العسكرية خفيفة الحركة، وصدرت لها تعليمات بعدم التورط فى عملية الثأر أو الانتقام، وأن لا تبدو وكأنها تخوض قتالاً لحساب حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى أرض التيف.

كان مفروضًا أن يقوم أبو بكر بافتتاح أكاديمية الدفاع فى كادونا، التى أصبحت بالفعل شيئًا مختلفًا تمامًا عن أصلها الذى تمثل فى سرية فى الصبية الجنود الذين كانوا ضمن قوة الحدود الملكية لغرب إفريقيا (والتى حل محلها حاليًا فرق التدريب المختلفة فى الكلية الحكومية، وأعيدت تسمية هذه الفروق التدريبية باسم "وحدات الطلبة العسكريين")، لكن أبا بكر كان متعبًا ومشغولاً من ناحية بالاستعداد للاجتماع القريب الذى ستعقده منظمة الوحدة الإفريقية وإعلان التعداد من الناحية الأخرى، لكن الوعكة الصحية الباطنية التى ألمت بالرجل فى إحدى الاستراحات أعطت أطباءه الحق فى أن يأمروه بالتزام الراحة مدة يومين (كان الطبيب ماجيكودونمى قد قال للمستشار السياسى الرئيسى، "لقد ألقيت القبض على صديقك!"). لم يكن خطاب أبى بكر براقًا كالعادة فى هذه المناسبة، كما قرأه شخص آخر نيابة عنه:

> **"أذكر بكل فخر أنى أعطيت شيئًا من التميز.... فى القيام بافتتاح حفل افتتاح الكلية الحربية النيجيرية... هذه الكلية ستكون مؤسسة لكل الأسلحة، وسوف تنضم إليها القوة الجوية عندما يتم الاتفاق الذى بين الحكومة الفيدرالية وألمانيا فى العام**

١٩٦٧ الميلادى... سيكون هناك جناح أكاديمى..... حتى يتمكن الطلبة الذين لا يودون، فى مرحلة لاحقة، أن تكون حياتهم العملية فى العسكرية،.... الالتحاق ببعض من جامعاتنا الأهلية. كنا فى الماضى نعتمد على كرم..... المملكة المتحدة، وكندا، والهند، والولايات المتحدة الأمريكية، وأثيوبيا، وباكستان، وأستراليا، ... التى كان لا يمكن الاعتماد عليها إلى أجل غير مسمى. هذه كلية مؤقتة، أما الكلية الدائمة فسوف نشرع فى بنائها على الفور... نحن لا نود أن نكون تابعين لأحد،.... والأفضل، أو بالأحرى الأفضل الوحيد هو الذى يصلح لنا ويناسبنا... يناسبكم أنتم أيها الطلاب العسكريون... الأخلاق يجب أن ترتكز على مستوى عال من النظام والانتظام، وعليه، فلن يكون هناك تسامح مع الهراء أو الاسترخاء... هناك مطالب ثلاثة،..... الولاء لحكومتكم، والوطنية والشجاعة".

شكر أبو بكر حكومة الهند لأنها أعارت نيجيريا عدداً من العاملين من أصحاب الخبرة والكفاءة لإدارة الكلية الحربية .

اجتمع أربعة وثلاثون وزيراً من وزراء الخارجية فى ليجوس فى نهاية شهر فبراير لحضور الجلسة العادية الثانية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية، فى وقت انجذب الاهتمام فيه إلى الأحداث التى وقعت مؤخراً، والتى تمثل أهمها فى بروز غانا رسمياً فى ذلك الوقت بوصفها دولة اشتراكية ذات حزب واحد مثلما وعد نيكروما من قبل - كان نيكروما لا يزال يثير غضب آدولا بمطالبته بوحدة قوات إفريقية تابعة للأمم المتحدة تكون مهمتها استباق أى انقلاب فى الكنغو بواسطة مبوتو أو تشومبى، وتجلت أيضاً مساندة الصين للانقلاب الذى حدث فى وسط جنوب الكنغو، بقيادة شخص يدعى بيير ميوليل Mulele جرى تدريبه فى كل من القاهرة وبكين، وجرى أيضاً عزل رئيس

الجابون ليون Leon مبا Mba، الذى جرت إعادته على الفور بواسطة القوات الفرنسية (كما قلت حدة الهزات التى اعتورت القادة بسبب التورط العسكرى البريطانى فى تسوية التمردات النى حدثت فى شرق إفريقيا)، واعترفت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية رسميًا بعيد العمارى كاروم رئيسًا لجمهورية زنزبار، وجرت الإشارة إلى أولويات الديبلوماسية، والأولويات الاقتصادية البريطانية فى التوصية الصادرة عن لجنة بلادون Plowden حول توحيد هيئة العاملين فى مكاتب العلاقات الخارجية ومكاتب علاقات الكمنولث (التى أثار اللورد هيلى البالغ من العمر ثلاثة وتسعين عامًا تساؤلات كبيرة حولها فى المجلس الأعلى باعتبار أن هذه العلاقات تتناقض تمامًا مع مصالح الأقاليم المُستَعْمرة)، وقبل رئيس الوزراء البريطانى الدعوة التى وجهها إليه أبو بكر لزيارة نيجيريا فى المستقبل القريب. وذاعت شائعات عن وجود مؤامرة غانية حيكت للدكتور جاجا واشوكو، الأمر الذى أدى إلى "تشديد" الإجراءات الأمنية.

كان الحاج السير أبو بكر تافوا باليوا، الذى قال فى مؤتمر سابق عقدته لجنة القانونيين الأفارقة، إن هذه اللجنة يمكن أن تكون الذراع القانونية لمنظمة الوحدة الإفريقية، قد افتتح اجتماعًا مدته خمسة أيام، باستعراض مفيد عكس كل ذلك، كما عكس أيضًا حلم يقظته الطويل والمثالى باستقلال كامل عن العالم غير الإفريقى:

> **"وُلِدت منظمة الوحدة الإفريقية منذ حوالى تسعة أشهر كاملة بالتمام والكمال..... وهذه أحلامنا تتحول تدريجيًا ولكن بانتظام إلى حقائق. وقد انعقد المؤتمر الأول لمجلس الوزراء فى داكار فى غضون ثلاثة أشهر.... وقد استعرض ذلك المجلس العمل الذى قامت به لجنة التحرير، وتبنى مقترحاتها. كما تلقى المجلس تقريرًا من النواب الخصوصيين لوزراء الخارجية لدى مجلس الأمن..... والمكلفين بتكثيف جهودنا لدى المنتدى الدولى للتخفيف من مظالم الفصل العنصرى الجنوب إفريقى والاستعمار**

البرتغالى... تحققت نجاحات لها مغزاها فى هاتين المسألتين، على الرغم من استمرار النضال. لقد تمكنتم فى داكار من اتخاذ الترتيبات اللازمة لانعقاد الجلسات الأولى للجان المتخصصة. هناك فى إفريقيا اليوم ملايين تتطلع إلى قطف ثمار الاستقلال، هناك اعتراف متزايد من جانبنا جميعًا أن الاستقلال سيصبح بلا معنى إذا ما واصلنا العيش فى خوف وعَوَز... هناك ملايين من سائر أنحاء إفريقيا لا يتوقعون منا كلامًا وإنما أعمالاً. ويتعين عليكم بث الحياة فى اللجان الخمسة".

(واقع الأمر أن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية كانت قد وافقت على برنامج واحد فى نيامى، منذ اجتماع اللجنة فى داكار، أما لجنة الثقافة والتعليم فقد وافقت فى ليوبولد فيل على دمج عملها مع منظمة اليونسكو، أما لجنة الصحة والتصحاح والتغذية فقد وضعت برنامجًا يتماشى ويتواءم مع منظمة الصحة العالمية، أما لجنة البحوث والتقنية والعلوم فقد وافقت على برنامجها فى الجزائر. أما لجنة الدفاع التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية فهى اللجنة الوحيدة التى لم يُسمَع عنها شىء).

ويستطرد أبو بكر فى حديثه، ... **"كانت هناك خلافات كثيرة بين الدول الشقيقة المتجاورة.... ونحن نشاهد أن تلكم الأعراض تكون فى العادة مرتبطة بالنمو والتقدم.... المهمة التى أمامكم تتمثل فى ابتكار الطرق والوسائل اللازمة للبت فى هذه الأزمات داخل منظمتنا دون اللجوء إلى المساعدة الخارجية، بكل ما يترتب على نتائجها المعقدة. يتعين على منظمة الوحدة الإفريقية.... تأكيد سلطاتها وفاعليتها.... ويجب أن تبنى نفسها على الأسس الراسخة للاتفاق والشرعية والأمانة الأخوية"**. وأشار أبو بكر إلى الجلستين غير العاديتين اللتين عقدتا فى كل من أديس أبابا ودار السلام واللتين جرى فيهما مناقشة مشكلات حدود كل من إثيوبيا وكينيا مع الصومال، والمحافظة على

استدامة القانون والنظام والحكم الدستورى فى الدول الأعضاء التى واجهت التمرد أو الفوضى وعدم الانضباط والتى طلبت مثل هذه المساعدة. ورحب أبو بكر بعضوية كل من زنزبار وكينيا فى المنظمة واختتم حديثه الحكيم: **"أنتم جميعًا سياسيون ناضجون، وعارفون بتحرك المعاملات الدولية وسيرها، تتمالكون أنفسكم بحكم تواضعكم قبل تاريخكم، وملهمون برؤيتكم للوحدة التى هى هدفنا"**. كان ذلك كلامًا طيبًا، عامرًا بطموح نبيل. اعترف وزراء منظمة الوحدة الإفريقية بحكومة هولدن روبرتون الأنجولية المؤقتة، كما اعترفوا أيضًا بحزب استقلال غينيا البرتغالية والرأس الأخضر الذى أنشأه أميلكار كابرال وبذلك يصل عدد أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية بعد إقرار ميثاقها إلى ٣٦ عضوًا. كما أوصى الوزراء أيضًا بعدم مد أى خط من خطوط الملاحة الجوية أو البحرية متجهًا إلى جنوب إفريقيا بأية تسهيلات من جانب أى عضو من أعضاء المنظمة، كما عارض الوزراء استقلال روديسيا الجنوبية.

استمر عمل مجلس التعداد مدة شهرين أمضاهما أعضاؤه فى المناقشات السرية، وإخضاع الأرقام التى جرى جمعها فى شهر نوفمبر لاختبارات كثيرة. وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر فبراير من العام ١٩٦٤ الميلادى ودون الرجوع إلى رؤساء الوزراء المشرفين على هذا الموضوع، أو السلطات الإقليمية، جرى إعلان النتائج الأولية (أو بمعنى آخر الأعداد الإجمالية المهمة). كانت تلك أول ضربة من ضربات جرس جنازة الاتحاد الفيدرالى. أدت القصص التى مفادها أن الإجمالى غير المدقق يقول إن عدد السكان يزيد على ستين مليون نسمة، إلى إحياء آمال الأقاليم الجنوبية الثلاثة التى مفادها أن هذه الأقاليم لن تكون لها الآن مجرد الغلبة والسيطرة على المراجعة والتعطيل فى مجلس الشيوخ، وإنما ستتفوق أيضًا على الشمال من الناحية العددية فى عدد الممثلين (المندوبين) فى المجلس الأدنى. وهنا تعين عليهم تجرع مرارة المعرفة التى مفادها أنه على الرغم من أن الشمال قد تراجع عن تعداد العام ١٩٦٢ الذى بلغ فيه عدد سكان الشمال حوالى ٣١ مليون نسمة، إلى ٢٩٧٧٧٩٨٦ نسمة

(وهذه الزيادة تقدر بحوالى ٦٧٪ عن التعداد الذى جرى فى العام ١٩٥٢-٥٣) ، إلا أنه (الشمال) كان يسبق باقى الأقاليم مجتمعة بحوالى أربعة ملايين نسمة. يزاد على ذلك أن إقليم الغرب والغرب الأوسط تراجعا من ١٤,٧٥ مليون نسمة مجتمعين فى العام ١٩٦٢ إلى ١٠٢٧٨٥٠٠ نسمة و ٢٥٣٣٣٣٧ نسمة كل على حدة (وهذا بحد ذاته يمثل زيادة تقدر بحوالى ١٠٠٪ خلال عقد من الزمان)، وتغيرت الأرض الفيدرالية تغيرًا طفيفًا إذ وصل عدد سكانها إلى ٦٧٥٣٥٢ نسمة ويبقى الإقليم الشرقى ثابتًا على الرقم الذى وافق عليه الدكتور أكبارا والذى يقدر بحوالى ١٢٣٨٨٦٤٦ (أى بزيادة تقدر بحوالى ٦٥٪). وقد وصل الرقم التقريبى المؤقت إلى حوالى ٥٥ مليون نسمة، كانت هناك نسبة رسمية تقول إن عدد النيجيريين الذين يزيد عمر الواحد منهم على عشره سنوات يقدر بحوالى ٧٤٪ من إجمالى عدد السكان، وهذا يدل على زيادة بواقع ٥,٥٪ فى العام الواحد، ومن هنا يمكن للبلاد أن تزعم أنها ليست فى المرتبة الثالثة عشرة، وإنما فى المرتبة التاسعة بين الدول كثيفة السكان، وربما كانت أكثر بلاد الدنيا خصوبة.

يجدر بنا هنا أن نتفكر ونتأمل أنه فى الفترة السابقة لمرض نقص المناعة المكتسبة (إيدز) سواء أكانت أم لم تكن فيروسات وطفيليات الأمراض المستوطنة قد وصلت حد التعايش المتوازن مع مستضيفيها من البشر، باعتبار أن هذه الفيروسات والأمراض المستوطنة مجرد حواجز يتعين تجاوزها قبل أن يكتسب عهد الطفولة مناعته الطبيعية، ونظرًا أيضًا إلى أن الأوبئة يمكن مواجهتها بالدفاعات الحديثة، فإن أى مجتمع ريفى مستقر سوف يتعين عليه أن تكون لديه استحكاماته التقليدية على الزواج، هذه الاستحكامات قد تخفض معدل المواليد لتتناسب أو تتماشى مع معدل الوفيات وتعويض معدلات النزوح عن القرى إلى المدن، أو المستعمرات الجديدة، أو الخدمة الارتزاقية عند الغرباء. يزاد على ذلك أن المهور، أثمان العرائس، والمحرمات الدينية والتأثيرات الأخلاقية، يمكن أن تؤجل الزواج إلى أن يصبح لدى الرجل وعروسه موارد تكفيهما

وتجعلهما يحافظان على مستويات المعيشة التى تكون المستوى الذى فى أسرتى والديهما. لكن فى مناطق الحضر نجد أن أقلية فقط من الطبقات صاحبة الأملاك هم الذين يرجح أن تكون لديهم قيود اقتصادية وأسريه على حالات الزواج المبكر والإنجاب، أمام الغلمان المساكين فى المدن التى تزايدت امتداداتها مؤخراً وبخاصة فى العشش والأماكن الفقيرة المزدحمة بالسكان التى كانت تحيط بهم من كل جانب، والذين خسروا الوصول إلى أساليب العمالية الوراثية التقليدية، فلم تكن لديهم الأسباب أو الإرادة التى تجعلهم ينتظرون إلى أن يتقاعد آباؤهم قبل أن يصبحوا هم أباءً. ومع ذلك اتضح أن سكان الريف النيجيرى كانت تتزايد أعدادهم بصورة أكبر من تزايد أعداد سكان الحضر.

بصرف النظر عن مضامين التعدادات المستقبلية، نظراً لتقلص الأوبئة من خلال الإجراءات الصحية الرسمية، ونظراً أيضًا لثبات التخطيط الأسرى وتأثير ذلك على الأعداد فى كل الأحوال، قامت قلة قليلة من أصحاب الفكر، الذين كانوا على قيد الحياة فى ذلك الوقت، ببث الشكوك حول مسألة تضخيم الأرقام الأولى التى صدرت عن الإقليم الشرقى، على الرغم من أن تقيد الدكتور أُكبارا بتلك الأرقام، قد أدى ذلك إلى تحجيم هجمات الرجل على الأرقام الخاصة بالإقليم الشمالى، التى تشكك البعض فى تضخيمها (ناهيك عن أرقام الإقليم الغربى)، لكنها لم تكن تشير سوى إلى زيادة ديموغرافية طفيفة عن تلك التى ادعتها الأقلية، بغض النظر عن عدم قبول العلماء لتلك الأرقام. وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر فبراير دعى رئيس وزراء الإقليم الشرقى إلى مؤتمر صحفى ليتحدث فيه بالتفصيل عن تجاوزات مزعومة وغير محددة، والكشف قبل الأوان عن بعض المعاينات المفاجئة، وبعض من أعمال الغش والخداع المتباينة. رفض رئيس وزراء الإقليم الشرقى الاستفادة من الأرقام الناتجة عن التعداد لتكون أساساً فى الانتخابات الفيدرالية المستقبلية. كانت الاتهامات مصطبغة بالصبغة العامة، لكن الرجل وجه الاتهامات بصفة خاصة إلى الإقليم الشمالى. فى بداية الأمر كان

حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى الغرب الأوسط متفقًا مع رئيس وزراء الإقليم الشرقى. وهنا سارع المستشار السياسى الرئيسى إلى عقد اجتماع لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، فى الإقليم الشمالى فإنه كان مستعداً لتصفية الحسابات، وافق المستشار السياسى الرئيسى على النتائج كلها، وأنه سوف يستخدمها ويستفيد منها فى التخطيط وأنه سوف يعيد تحديد الدوائر الانتخابية فى الإقليم من جديد، وفند الرجل مزاعم أُكبارا كلها، بمزاعم مضادة عن الخداع والتخريب من قبل المفتشين الشرقيين. وفى الإقليم الغربى وافق الرئيس آكنتولا على الأرقام كلها، وأعلن الحاج السير أبو بكر، الذى ترأس العملية كلها، أنه يرى أن الأرقام كلها مرضية تماماً.

قام وفد من الطلبة بزيارة رئيس الوزراء فى إينوجو، وتقدموا بالتماس يرفضون فيه هذه الأرقام، لكن قيل لهم إن تلك الأرقام معتمدة من مجلس التعداد الذى قام كل أعضائه بمراجعة هذه الأرقام وإعادة مراجعتها فى ليجوس، منذ أن بدأ التعداد. المهم أيضًا أن الرئيس العام لاتحاد ولاية الأيبو Ibo، الرئيس زد سى أوبى Obi أو OBE، أكد لرئيس الوزراء تعاونه معه، وطالب بوضع حد للكتيبات التى تصدر بغية تضخيم هذا الأمر. ويهيب أبو بكر بعد ذلك بالنيجيريين كلهم الانتظار إلى ما بعد نشر التفاصيل المستقبلية، التى سيعقد بعدها اجتماعًا مع رؤساء الوزراء. لكن من الناحية العملية فإن مسألة إعادة هذه العملية كانت أمراً لا يمكن أن يخطر على البال. يزاد على ذلك أن الانتخابات كانت على الأبواب ولا يمكن تأجيلها بأى حال من الأحوال. وكان لابد من استئناف الإدارة والتخطيط بكل أنواعه إن أريد وقف هذا المرض المؤقت ومنعه، بصرف النظر عن العيوب التى أصابت القياسات البدنية فى هيئة السياسة الوطنية ومع ذلك تصنع أيضًا مجرى الدم السياسى والعضلات بغض النظر عن قوة العظام الريفية.

الفصل الأربعون

عناد التعداد والإحباط الاقتصادى يدعمان تحدى العمالة

لا تعطى رجلاً سهمًا، فيعود ويرميك به(*)

فى الوقت الذى تواصلت فيه دمدمة التعداد، كانت أصداء الأحداث الخارجية لا تزال تشكل لرئيس الوزراء تشتيتًا لانتباهه بصفة يومية. فقد اندلع القتال من جديد فى جزيرة قبرص، وترتب على ذلك مجىء قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة (التى يجرى التجديد لها بعد ثلاثة أشهر إذا ما تطلب الأمر ذلك)، واشتد أوار القتال، وقَّع مكاريوس فى العام ١٩٦٠ الميلادى المعاهدة المبرمة مع كل من اليونان، وتركيا وبريطانيا، وانسحبت جمهورية جنوب إفريقيا من منظمة العمل الدولية، ووقع أيضًا إضراب السكر الذى استمر ثمانية أسابيع فى جيانا البريطانية، وسبقه عنف استمر شهرًا عدة، كما أعلنت حالة الطوارئ، التى أعلنها السير/ ريتشارد Richard لويت Luyt، وإلقاء القبض على نائب رئيس الوزراء، استعداد القوات البريطانية لمغادرة تنجانيقا، وبذلك تفسح المجال أمام القوات النيجيرية البديلة، كما وصلت أيضًا القوات الكندية إلى قبرص، وجرى إعدام السفاح الذى كان يود اغتيال الدكتور نيكروما. وافق

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى: الغضب أكثر إيلامًا من الخطأ الذى سبَّبه" Anger's mair (more) hurtfu' than the wrang (wrong) that caused it

وهو قريب جداً أيضًا من المثل العربى "أعَلّمه الرمايه كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى". (المترجم)

الاتحاد الإفريقى - الملجاشى على قيام منظمة الوحدة الإفريقية فى نواكشوط فى موريتانيا، بأن أعاد تشكيل نفسه تحت اسم الاتحاد الإفريقى - الملجاشى للتعاون الاقتصادى ومركز رئاسته فى ياوندى، أبلغ إريك Eric وليامز وهو من ترينداد وتوباجو، أبلغ سيراليون أن بلده لم يكن بلدًا إفريقيا، فى ظل الخليط السكانى الصينى الهندى الموجود فى البلاد، لكنه أكد للحاج السير أبى بكر فى نيجيريا أنه يرحب بالروابط الثقافية والاقتصادية من خلال الدبلوماسية، ووجه الدعوة لأبى بكر لزيارة بلاده.

تواصلت المتاعب والاضطرابات فى الكنغو: تشكلت لجنة التحرير الوطنية فى برازافيل من كل من كريستوف Christophe جبنى Gbenye، إى ب ديفيدسون، جى سوميلوت Soumailot، وتبعتها لجنة أخرى برئاسة سوميلوت وحده فى بوروندى، وكانت اللجنتان مواليتان لجيرنجا، على الجانب الآخر، أبلغ يوثانت مجلس الأمن أنه فى الوقت الذى كان تشومبى فيه ينتظر الدعوة بالحضور إلى أسبانيا، كان هناك حوالى عشرين من المرتزقة البيض يديرون حوالى ١٨٠٠ من جنود الشرطة السابقين، فى أنجولا، تبادل كل من أبى بكر وأدولا التهانى عبر خط اتصال مع جمهورية الكنغو الديمقراطية، فى حين سحبت بلجيكا القواعد العسكرية الثلاثة لها فى الكنغو، ووافقت على تقاسم المديونية الوطنية وإعادة تنظيم جيشها الذى لا يمكن الاعتماد عليه، عين كازافوبو لجنة لوضع مسودة دستور كنغولى جديد، يقلل من سلطات رئيس الوزراء والمجلس التشريعى، ويزيد من سلطات الرئيس، طلب نيكروما الانضمام إلى منظمة الوحدة الإفريقية، لكن أدولا تجاهل ذلك الطلب.

حضر أوسكار كامبونا، رئيس وزراء تانجانيقا، إلى ليجوس لمناقشة التعاون العسكرى، ووافق أبو بكر علانية على إرسال العميد بام هو وكتيبته الثالثة إلى تنجانيقا لمدة ستة أشهر، إلى أن تقوم بغيارها قوات جزائرية أو إثيوبية، استقال ونستون فيلد، بعد أن وقفت الأطراف كلها على فشله، فى روديسيا الجنوبية، ليحل محله فى منصب رئيس الوزراء إيان سميث، الذى قام بتحديد إقامة جوشوا نكومو، وافقت كل من

تنجانيقا وزنزبار، على الاتحاد، من حيث المبدأ، الأمر الذى أثار الشكوك حول مسألة احتمال انتشار النفوذ الصينى إلى الأرض الأم، لكن الثائر المتمرد أوكلو Okello جرى طرده إلى أوغنده، توفى السير ملتون مارجاى فى نهاية شهر أبريل، وخلفه شقيقه ألبرت، الذى عجّل بطرد أربع وزراء، من بينهم اثنان ينافسان على القمة - أرسل الحاج السير أبو بكر رسالة إلى شعب سيراليون، وصف فيها السير ملتون بأنه "**صديق شخصى، ورفيق يمكن الاعتماد عليه فى كل الجبهات....**"، جرى التوقيع رسمياً على معاهدة بحيرة تشاد فى اليوم الأول من شهر مايو من الحاج السير أبى بكر والرؤساء أهدجو، رئيس الكاميرون، والرئيس التشادى تومبلباى Tombalabye، والرئيس ديورى، رئيس النيجر، حضر خروشوف احتفالات انتهاء المرحلة الأولى من السد العالى، أوقفت فرنسا معونتها إلى تونس لقيامها بتأميم الأراضى المملوكة للأجانب، قام "أحد المحافظين" الذى لم يفصح عن اسمه، بإزعاج وتحد للموروث السياسى البريطانى، فى مقال نشره فى جريدة التايمز، أعلن فيه أن "الكمنولث أصبح فعلاً مهزلة كبيرة".

فى الوقت نفسه، كان السير أليك دوجلاس ـ هوم قد أمضى ثلاث ليال فى ليجوس، طبقًا للخطة الموضوعة. كان يود من هذه الزيارة تنبيه زميله رئيس الوزراء إلى مؤتمر للكمنولث، يجرى فيه مناقشة مضامين انزلاق روديسيا الجنوبية ناحية جنوب إفريقيا، الأمر الذى يمكن أن يهدد وجود الكمنولث. وبدأ أبو بكر فى تبنى الفكرة كما لو كانت هى فكرته. كان هوم يود أيضًا مناقشة موضوع فعالية التجارة والمساعدة الفنية باعتبارهما رباطين بديلين لتقوية روابط الكمنولث. من بين الأمور الأخرى مسألة الآثار المترتبة على الانقلابات العسكرية فى شرق إفريقيا، من باب أن الضباط البريطانيين فى القوات الكينية سوف يتعين عليهم التورط فى الصراع مع الصومال، أو أن تطلب كينيا المساندة فى تدريب قواتها البرية والجوية لمدة طويلة، فى الوقت الذى واصلت فيه جارتها تنجانيقا أى تدخل بريطانى من هذا القبيل. وهنا راح رفاق

أبى بكر المتشككون يعارضون هذه الزيارة، والتى كان من الواضح أنها كانت متعاطفة مع التصريحات الجوفاء التى أدلى بها ماكميلان قبل أربع سنوات، عما اسماه رياح التغيير. كما أجرى هوم محادثات خاصة لمدة ساعتين حول بعض الموضوعات الخاصة، كما أجرى محادثات خاصة لمدة ساعة مع الدكتور آزكوى، كما أجرى محادثات خاصة أيضًا مع مبادوى Mbadiwe. أقام آزكوى حفل غداء لهوم، وألقى هوم خطابًا رسميًا أمام مجلس البرلمان. وبعد أن تأكد هوم أن قرارات منظمة الوحدة الإفريقية الأخيرة قد تكون أكثر إحراجًا لبريطانيا فى صياغتها الأصلية أكثر منها عندما جرى إقرارها، وبعد أن تأكد أيضًا من أن تفكير منظمة الوحدة الإفريقية قد يؤدى إلى مزيد من الاستقرار للمستثمرين الأجانب، بدأ الرجل يستشعر قدرًا أكبر من السعادة. فى حفل الاستقبال الذى أقامته الحكومة رد الحاج السير أبو بكر على خطاب أليك دوجلاس هوم مؤكدًا أنه فى اليوم الذى تقع فيه نيجيريا فى الخطأ، سنكون عندئذ بحاجة ماسة إلى الصداقة. لكن عندما غادر هوم ليجوس فى اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس، بقيت الثرثرة الليجوسية المجنونة، التى أثارها أولئك البرلمانيون الذين ليس لهم مناصب، بقيت على قناعة أن تلك الزيارة كان وراءها هدف سرى.

حدث فى ذلك الوقت تقاعد آخر. كان مفتش الشرطة العام، جون هودج، قد حضر الجلسة الأخيرة لمجلس الشرطة، الذى ابتداه الدكتور أُكبارا بالجملة التالية، "أنتم أيها الهوساويون......"، والذى قاطعه فيها المستشار السياسى ملْجمًا إياه: "تقول هوسا؟ هل أنا هوساوى؟ أنا أفضل الموت على أن أكون هوساويًا – أنا فولانى Fulani". تحول أُكبارا ناحية رئيس الوزراء: "لكن، يا سيدى، أنت هوساوى". **"هل تقول إنى هوساوى؟ أنا لست من الهوسا، أنا من الباجيرى من باوتشى"**. ضحك رؤساء الوزراء الإقليميون الآخرون (لم يكونوا يعرفون أن تسود رئيس الوزراء الفولانى للغة الفلفولد Fulfulde على المستوى الذى يجعله يستغنى عن خدمات المعلم محمد هونج، كمترجم له عندما كان يزور أدماوا). جرت مراسم توديع جون هودج، وكان من بينها مأدبة غداء صورها

التليفزيون، وأقيمت فى منزل الرئيس الحكومى، وحضرها ستون ضيفًا، كما أقـام له أبو بكر حفل غداء خاص، دعا إليه أصدقاءه الأربعين فقط، ووعده بأنه سوف يتخذ الترتيبات اللازمة لقيام أبى بكر بزيارة نيجيريا كل خمس سنوات طوال حياته، ليقف على التغيرات. خلف جون هودج السيد/ لويس أوروك orokإدت Edet، نائبه البالغ من العمر واحدًا وخمسين عامًا، يوم أن كان فى هويس كلبارى Calabari. كان إدت كاتبًا شرطيًا عندما كان فى العشرين من عمره، وأصبح مفتشًا مساعدًا فى العام ١٩٤٥، ولديه خبره فى الهجرة، وفى تعقب القتلة والسفاحين. وبحكم أنه كان مساعدًا للمشرف العام فقد جرى إلحاقه على شرطة السكك الحديدية والموانئ.

عاد الدكتور مبادوى إلى مجلس الوزراء فى منصب وزير الطيران، المنفصل عن النقل والمواصلات، ليحضر فى الوقت المناسب اجتماعًا مطولاً واجه فيه أعضاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين كارثة ما إذا كانوا سيؤيدون اعتراضات الدكتور أُكبارا على الأخطاء التى وقع فيها التعداد، وبالتالى يسحبون موافقتهم على الأرقام، بدعوى أن المجلس لم يكمل كل تفاصيل عمله. وعندما وجد الرئيس فستوس أن الاستقالة بديل غير مقبول، راح يتزعم مسألة أنه لن يصر على تحفظاته، من أجل مصالح الوحدة، وبقاء التحالف على قيد الحياة، فضلاً عن موافقته على موازنة لها مغزاها. هذا يعنى أن الأقاليم هى التى حطمت التحالف.

ألقى الرئيس فستوس فى اجتماع الموازنة الفيدرالية بيانًا اسماه "الموازنة الوطنية"، فى حين عرض الشرق ما اسماه "الموازنة البراجماتية"، أما الإقليم الغربى فقد قدم ما اسماه "موازنة التحدى"، أما إقليم الغرب الأوسط فقد قدم موازنة "تقرير المصير". رئيس makama كادونا هو الوحيد الذى لم يستعمل عبارة لافتة للنظر. فى بداية تلك الجلسة الفيدرالية، أعلن رئيس الوزراء رسميًا أن مجلس التعداد (كان الطبيب الرئيسى السير كوفو أبايومى Abayomi، قد عين رئيسًا لذلك المجلس) قد أعطاه من قبل الأرقام المبدئية لتعداد العام ١٩٦٢ الوطنى، والتى يعرفها الجميع، وأنه

سوف يعقد اجتماعًا لرؤساء الأقاليم: **"لقد نُصحت أن قبولى لهذه الأرقام ونشرها يعد أمرًا نهائيًا"**. كان أبو بكر يهدف بذلك إلى الوقف التام، تحت مظلة المسئولية المشتركة، لإعادة الانحيازات والاستقطاب حول مسألة الانقسام الشمال - الجنوب فى هذه البلاد، تلك الانحيازات والاستقطاب اللذان قال عنهما الدكتور آزكوى بصورة محددة: "الجمهورية النيجيرية الفيدرالية يُغْشى عليها بسبب اليأس. ولعل زعماءنا لا يعبثوا بمصيرنا الوطنى. ولعلهم يكفون هذه الأمة مئونة العار والخزى، لأن هذا هو الوقت الذى تمتحن فيه أرواح الرجال". وإذا ما نحينا ذلك جانبًا، نجد أن الدكتور آزكوى حدد بوضوح حق المواطن فى التملك والتعويض الكامل عن المصادرة، وطالب أيضًا بوضع حد لتلك الدعاية التى حرضت على إساءة السمعة، والسب واللعن، والفوضى والكراهية. أوحت تلك الدفاعات التى ساقها الرئيس أنه ربما كانت تراوده الآمال فى الحث على تشكيل حكومة غير حزبية. الشخص الوحيد الذى اتخذ خطوات إيجابية فى هذا الصدد هو الحاج السير أبوبكر، لكن خطواته هذه أحبطت بفعل مساندة شبه جماعية من الأعضاء المؤثرين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لرفض المستشار السياسى الرئيسى المشاركة بأى شكل كان فى حكومة من هذا القبيل، وقد جرى تفسير تطلع أبى بكر اليائس إلى الوحدة من خلال حكومة وطنية، تعطى الجميع أنصبة متساوية، على أنه "موال - للجنوب".

كانت الجلسة التى عقدتها الجمعية العمومية فى الشمال لمناقشة الموازنة قد وافقت على حتمية شغل الوظائف الشاغرة على مستوى الإقليم وفى الإدارة المحلية بواسطة شماليين، وبالمقيمين فى حال عدم وجود الشماليين، على أن يكون اللجوء إلى الجنوبيين هو الملاذ الأخير، أصر بعض الأعضاء على حتمية طرد الإجباويين جميعًا، وحرمانهم من شهادات تملك الأراضى التى بحوزتهم، والاستيلاء على "فنادقهم" ومحطات المحروقات التى يمتلكونها. كانت لا تزال هناك فى الشرق بعض المزاعم العادية عن نصيحة حول استمرار "العرى" والهمجية وجرى بالفعل الإبلاغ عن وقوع

بعض حالات الطرد فى كل من كانو، وكاتسنا، وسكتو، واستطاع الموظفون الحكوميون إقناع المستشار السياسى الرئيسى أن اقتصاد الشمال سوف يصاب بالعجز إن قدر لرجال المال والأعمال الجنوبيين هم والحرفيين الجنوبيين مغادرة الإقليم فى ذلك الوقت. وهنا قام رئيس وزراء الشمال بإبلاغ مجلس الرؤساء أن قانون المظالم والجور ينبغى أن يتوقف ويمنع لكنه طالب الجنوبيين أيضًا بالكف عن الطعن فى نزاهة المؤسسات الشمالية والموظفين الحكوميين الشماليين، وأن تكون آراء الشعب وحده هى الحاكمة، لا عن طريق الإملاء من قبل الغرباء على الإقليم الذين لا يعرفون شيئًا عن علاقاتنا". وهنا وجد رئيس الدولة أن من الحكمة إبلاغ أصحاب الالتماسات من الإجباويين مواصلة ضبط النفس على الرغم من التحرش والاستثارة، وأن يجدوا لمشكلاتهم حلاً لدى المحاكم.

على كل حال، كان المستشار السياسى الرئيسى، فى ذلك الوقت، يتطلع إلى الانفصال الكامل عن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وقد رأى كل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى هو وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين رأى العين، وبصورة حقيقية - أن التعداد أثبت أن الشمال لم يعد بعد بحاجة إلى مساندة حزب سياسى يقوم على الأجبو بصورة أساسية، لكن بوسع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أيضًا استعمال أعضائه فى إضعاف أحزاب أعدائه الجنوبيين فى أقاليمهم. وجه حزب المؤتمر الشعبى الشمالى نداء مكتوبًا بالوحدة الوطنية التى لا تنتوى السيطرة أو الاستحواذ على قسم كبير من الوظائف الفيدرالية، لكن النداء أشار إلى الأجبو دون أن يذكر اسمهم، متهمًا إياهم بطريقة مستفزة بأنهم "جماعة دينية" تشكل خطرًا على الوحدة عن طريق استعمال ما يسمى "آلية الحزب المزعوم الذى يتسع لنيجيريا بأكملها" وذلك ابتغاء تحقيق مطامح قبيلة واحدة. وهاجم البيان أيضًا شطط الإقليم فى ذهابه إلى وصف فكرة الرئاسة Chieftaincy بأنها مسألة رجعية، ومع ذلك كان البيان قد قدم مجلس رؤسائه غير التقليدى، ووصف مزاعم حزب المجلس الوطنى

للمواطنين النيجيريين "التقدمية الاشتراكية" بأنها مجرد إخفاء وتمويه لنوايا ديكتاتورية. وتحدث أبو بكر لآخر مرة وبجدية كاملة عن مسألة استقالته وعودته إلى مزرعته، لكن الحاج محمد رباط هو الذى جعله لا يقدم على هذه الاستقالة.

لم يتوقف مجلس الرؤساء فى الإقليم الشرقى هو الآخر عن التحريض والاستثارة. وفى المحاورات والجدل الذى دار، ركز مجلس الرؤساء فى الإقليم الشرقى على المزاعم الرسمية للحكومة الإقليمية التى تشير إلى إنفاق مبالغ كبيرة من "نقودهم وأموالهم" على الشمال - التى منها على سبيل المثال سد كاينجى، وعلى امتداد خط برنو الحديدى، وعلى "الجيش النيجيرى الشمالى"، وعلى تدريبه وذخيرته (من باب إصرار بعض أعضاء المجلس، على أن ذلك الجيش سيكون لمحاربة الجنوبيين)، وعلى وصلة الطريق من السد إلى الأعمال الاسمنتية فى سكتو، وعلى دراسات الجدوى المطلوبة لمصنع الحديد والصلب الذى كان ينبغى إقامته فى الشرق، ولم يقل الأعضاء شيئًا عن مشروع العوارض والقضبان الحديدية الكبير، أو مجلس تنمية الدلتا وتطويرها، أو عن الفائض الكبير فى إنتاج الزيت الخام الذى جاء على العكس من التوقعات، قيام شركة شكل بإنشاء أول خط إفريقى من أنابيب الغاز المصنوعة من الألومينيوم ليجىء تدعيمًا للصناعة القائمة فى بلدة آبا Aba، أو الجسر الذى تكلف خمسة ملايين جنيه إنجليزى فى أونيتشا Onitsha. ومن باب العدل هنا، القول بأن ١٥ مليون جنيه إنجليزى فقط هى التى جرى الحصول عليها من أصل مساعدة خارجية تقدر بحوالى ٢٤ مليون جنيه إنجليزى. وفى إيبادان آثار الرئيس أكنتولا هياجًا عندما أشار إلى "جشع الإجباويين ومطامحهم". من ناحية، وزعمه من ناحية أخرى عن وجود روابط ثقافية قوية جدًا وروابط اجتماعية ودينية بين شعبى الإقليم الغربى والإقليم الشمالى. كان إقليم الغرب الأوسط قانعًا باكتشاف خمسة حقول غازات بترولية جديدة، وبالاكتشاف الذى تحقق فى البحر بالقرب من بوروتو Burutu.

فى اليوم العاشر من شهر مارس، قام رئيس وزراء الإقليم الغربى، ومتشجعًا بالآمال التى تبشر بمحصول وفير من الكاكاو، بإعلان تشكيل الحزب الوطنى الديمقراطى الوطنى النيجيرى، الذى شكله من حزبه المدعو الحزب التقدمى المتحد، الذى كان لا يزال امتداداً لحزب المؤتمر الشعبى الجنوبى وأغلبية من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. قبل على الفور إثنان من وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، الإقليميين الانضمام إلى الحزب الجديد، أما العضو الثالث الرئيس فانى كايود، نائب رئيس وزراء الإقليم، فقد تراجع لمدة أسبوع، إلى أن أعطى مهلة مقدارها أربع وعشرون ساعة يتعين عليه خلالها اتخاذ قراره. انضم إلى الحزب الجديد بعد فانى كايود أربع وعشرون عضواً من أعضاء البرلمان التابعين لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، كما انضم أيضًا إلى الحزب الجديد ستون عضواً آخرون من الإقليم الغربى من بينهم اثنان وعشرون عضواً من المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين: كانت المعارضة فى إيبادان فى ذلك الوقت مشكلة من ٢٧ عضواً من حزب جماعة العمل، وسبعة أعضاء موالين لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وعضو مستقل واحد. يقال إن بعض أفراد هذه المعارضة أصروا على أن تدفع لهم المكافأة التى حصلوا عليها يوم أن كانوا جزءًا من إدارة حزب جماعة العمل. كان الأجانب ينظرون إلى حكومة الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى (مجلس الوزراء السابق، الذى أعيد تشكيله) على أنها حكومة ضعيفة، لكنها حظيت بثقة البرلمان بنسبة ٥٣ إلى ٢١ . كان الحزب الجديد يعرف على سبيل الاختصار باسم "إجبه - أومو" Egbe Omo، وتحت قيادة كل من "أكن - وندر" Akin - wonder و "فانى - باور" Fani - power عرض قيام علاقة خاصة مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا، الذى كان مستعداً دومًا لإقامة الروابط البراجماتية، الخالية من النغمات التوافقية الانفعالية والعاطفية، مثلما حدث مع حزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط. كان هناك بعض آخر يرون أن الرئيس oba سى دى أكران ينبغى أن يكون نائبًا لرئيس الوزراء، لكن

فانى كايود، المتلون وغير المرن، مثلما كان أديلابو Adelabu، صمد على موقفه وأصبح آكران "راعيًا" للحزب، كيما يرعى أموره الدنيوية.

شدد الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى هجومه على الإقليم الشرقى، مستخدمًا فى ذلك مزاعم الحكومة الإقليمية السياسية (المؤيدة بتوقيعات من الزعماء اليوروباويين التابعين لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين) التى مفادها أنه تحت رئاسة الدكتور إيكجيانى، صديق الدكتور أزكوى، فإن ثلثى من يشغلون مناصب قيادية ورئيسية فى مؤسسة الخطوط الحديدية هم من الأجبو، وأن الشىء نفسه ينطبق على ثلاثة أربا ع العاملين فى هيئة الموانئ. تحولت تلك الفرقعة الحزبية إلى "كتاب أبيض" إقليمى وجه اهتمامات مماثلة إلى الخطوط الجوية النيجيرية التى يرأسها واحد من الأجبو، وجامعة إيبادان، ومستشفى إيبادان التعليمى، ومعهد يابا الفنى. كان من الصعب تكذيب ذلك كله أو تفنيده، كما أنه عن طريق المنافسة الحرة فإن ثلاثة أربا ع العاملين فى وزارة الخارجية هم من الأجبو، لكن واحدة من الصحف المزعجة هى وكتيب من كتيبات الحرب الإعلانية، جاءا بعد ذلك يحملان ادعاءات مضادة، تنكر ذلك الإيثار لذوى القربى بالوظائف العالية أو تدنيه بطريقه عكسية (مثلما حدث، على سبيل المثال، فى الهجوم على العمل فى التليفزيون الذى كان الرئيس بنسون اليوروباوى هو المسئول عنه). وهؤلاء هم اليوروبا الذين أعربوا عن أسفهم لموافقة الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى على شكل صغير من أشكال المشاركة مع بعض الرجعيين فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، يعودون إلى تاريخهم، ويتذكرون أمير أويو oyo المارق، الذى لجأ إلى سكتو، وساعد على أن تصبح إيلورن Ilorin تحت سيطرة الشمال التقليدية.

تحول تخوف الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى من احتكار الإجباويين لمواقع السلطة فى البلاد إلى أمر خطير شأنه شأن الأمور الخطرة الأخرى فى الشمال. اكتشف الدكتور أكبارا هو وحزبه مؤخرًا أنهم خُدِعوا خداعًا ماهرًا من آكنتولا، الذى

أوحى لهم بأن السلطة المركزية فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين قد أصيبت بشروخ، وأنهم قد يجدون لأنفسهم تدعيمات من بين أتباع حزب جماعة العمل المتعاطفين معهم. ومن غير المرجح إلى حد ما، أن يضيف فلاسفة حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أن أولوو المكبل بالسلاسل فى غير تجانس مع مجموعة "الشهداء" القتلى الذى حددوهم فى ذلك الوقت على أنهم لومومبا، وأوليمبيو، بل والأغرب من ذلك أيضًا، أديلابو Adelabu، أولوو لا يمكن إطلاق سراحه إلا بواسطة الحكومة الفيدرالية، وعندها فقط يستطيع تحقيق ذلك عن طريق مساومة انتخابية ناجحة مع حزب جماعة العمل وما تبقى له من أصدقاء. ربما يكون الدكتور أُكبارا قد سارع إلى إحداث أزمة مباشرة، بعد أن استطاع أولاً وقبل كل شىء، إقناع وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين الفيدراليين، بتقديم استقالاتهم، لكن الرئيس فستوس أوكوتاى – إيبوه، ربما كان من الصعب إقناعه بتقديم استقالته، أما الدكتور مبادوى فكان مواليًا ولاء أكيدًا لأبى بكر، وأن مسألة استبدال هؤلاء الوزراء الفيدراليين بوزراء أخرين من الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى يمكن أن تجعل الدكتور أُكبارا بلا صوت داخل مجلس الوزراء، الذى سوف تتمثل أهميته فى اتخاذ الترتيبات اللازمة لإجراء الانتخابات العامة. كان الوزراء الفيدراليون فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين شخصيًا قد أحيوا انهيار التحالف بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى وحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. يضاف إلى ذلك أن بنسون Benson (الذى سبق أن هاجم أيكجيانى) هو أوكوتاى - إيبوه توليا تعميق العداء لحزب جماعة العمل، وتحدث الرئيس فستوس عن الاستقالة من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، إن قدر لهم أن يتحالفوا مع بنسون وأوكوتاى - إيبوه. والشىء الذى لم يتوقعه أحد هو أن معركة الصراع التى تجددت بين الشمال والجنوب سيجرى خوضها فى ميدان ثقافى يوروباوى خالص، كما أن هذه المعركة لن تكون مجرد معركة سياسية أو مجازية فقط. تبقت بعد ذلك المشكلة التى مفادها أن هؤلاء الذين كانوا يتحدثون عن وحدة اليوروبا لا يمكن أن يتفقوا على ما هو الأقوى: أهو العاطفة التحتِيَّة القائمة على

كراهية الهوساويين ـ الفولانيين، الذين يقولون إنهم تربطهم بهم مشتركات سطحية كثيرة، أم الأجبو الذين اقتبست ثقافتهم الكثير من أشياء القرن العشرين مثل اليوروبا أنفسهم. وسرعان ما راحت بقايا حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى الغرب يصرخون لأبى بكر طالبين منه اتخاذ خطوات عاجلة، لوقف "موجه الاضطراب الحالية فى غربى نيجيريا"، موجهين اللوم إلى البلطجة والعُصْبجية والعنف السائد الآن فى مدنهم، بسبب الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى. كان الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى يحكى الحكاية نفسها.

كانت لدى الرئيس آكنتولا مشكلات اقتصادية ربما تكون قد زادت أيضًا من متاعبه أكثر من الصراعات الشخصية والعرقية التى ينصب اللوم عليها فى مثل هذا الحال. كان آكنتولا يحاول تقوية مؤيديه فى الريف عن طريق الحركة الفلاَّحية التعاونية، وذلك بتوفير المال العام اللازم لمجلس فلاحى نيجيريا فى الإقليم الغربى، وعن طريق تأسيس مؤسسة للتسليف الزراعى. لكن الرجل عجز عن ذلك لأن حكومة حزب جماعة العمل كانت قد أتت على الاحتياطات الإقليمية، يضاف إلى ذلك أن سعر الكاكاو كان قد انخفض فى تلك الفترة، يزاد على ذلك أن جامعة الأيف Ife، هى وطلبتها، كانا قد سحبا موافقتهما الفكرية على جهود الرجل، وأخطروا الصحافة بذلك. يضاف إلى ذلك أن الحكومة عجزت عن رشوة المتشككين، وهنا أعادت إلى الأذهان ذكريات أيام الوفرة فى عهد أولوو، وإمكانية احتمال عودة حزب جماعة العمل إلى السلطة.

على هذه الخلفية، كان لدى رئيس الوزراء الكثير الذى يمكن أن يقوله، والذى مفاده أن الأجانب الذين يعملون فى نيجيريا خارج ميادين القتال السياسى هم دومًا على استعداد لترديد الأصداء. ومن باب التدليل على أن الزعماء أصبحوا عاطفيين وانفعاليين إلى حد بعيد، وأنهم أصبحوا الآن يأخذون الكثير من الأشياء عديمة القيمة مأخذ الحد، ومن باب التساؤل حول نضج النيجيريين نضجًا صحيحًا قال: **"ليس هناك ضرر من القبلية، شريطة أن تنتهى إلى مجرد نكات وطرف بين الجماعات المختلفة**

[صديقى المكرّم شتيما على منجونو] قال إننا عندما نتكلم فى هذا البرلمان فنحن نولّد الكثير من المشاعر القبلية السيئة، لكن إذا ما خرجتم إلى الناس العاديين، ستجدون أنهم يعملون فى سعادة مع بعضهم البعض - وهم سعداء جداً. وتساءل الرجل عن الأسباب التى تجعلنا لا نساعدهم، بدلاً من تصعيب الحياة عليهم. وأنا آمل... فى أننا يتعين علينا التفكير فى أنفسنا بأننا ننتمى إلى أسرة واحدة وإلى بلد واحد. على الرغم من أن لدينا بطبيعة الحال، جماعاتنا القبلية، وهذا أمر لا يهم".

فى الحوار الذى دار حول تأجيل مقترح أدى إلى إطالة الجدل حول مسألة التعداد، ووسَّعها بحيث تشمل المبالغات القبلية الشمالية، والتى كان الدكتور مبانوجو، رئيس لجنة العمل المركزية فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، علق أبو بكر على ذلك بقوله:

> "صرخت فى بيان عبر الإذاعة أنه على حد علمى لا توجد فى الإقليم الشمالى حالة واحدة حُرِم فيها إجباوى من ممتلكاته - أقول إنه لا توجد مطلقًا أية حالة من هذه الحالات، وأقول أيضًا إنه لم يطلب منى أى إجباوى حتى ولو شخص واحد أن يغادر الإقليم الشمالى بأمر من أية سلطة من السلطات المحلية أو الحكومة الإقليمية. هذه القصص كلها عبارة عن شائعات، تذهب إلى الإقليم الشرقى، وتأتى إلى ليجوس، وتنتقل إلى الأقاليم الأخرى، وهى من صنع أناس من أصحاب المصالح... الذى حدث هو أننى سمعت أن هناك تصريحات من الجمعية العمومية فى الإقليم الشمالى، وجرى فى الوقت نفسه إطلاق تصريحات فى أجزاء أخرى من الاتحاد. وخرجت الأمور من الأيدى إلى حد ما، وأعتقد أن الناس استثيروا إلى حد ما، واللوم لا يمكن أن يلقى على جانب واحد... وأنا أعرف أن الهوساويين لديهم مثل

يقول: إن الكلام مثل السهام، ما أن تطلقها يستحيل عليك استعادتها... لكن يتعين علىَّ القول هنا، إننى لاحظت أن الناس العاديين الذى ليسو سياسيين، والذين ليسو صحفيين، يواصلون حياتهم، بغض النظر عن المكان الذين هم منه".

وفى تعليق على تأجيل آخر أضاف أبو بكر، **"هؤلاء الذين غادروا الإقليم الشمالى بمحض إرادتهم هم أحرار فى عودتهم إلى الإقليم إذا ما أرادوا ذلك. لم يطلب أحد منهم مغادرة الإقليم"**. وفى حوار التأجيل النهائى شن أبو بكر هجومًا على التهديدات التى تتهدد الوحده الوطنية، وهو فى الوقت نفسه مناشدة قوية للزعماء والأعضاء المنتخبين، لكن السياسيين والصحفيين كانوا رافضين الاستماع لأنهم مبتلون كما هو الحال فى القارات الأخرى بالأحقاد والعداوات الوطنية الضئيلة.

اتفق ذلك التعليق اتفاقًا كبيرًا مع تعليق سابق لأبى بكر، على النقاش الذى دار فى لجنة المخصصات حول البند الخاص بنائب رئيس مجلس الدولة، فى الوقت الذى دارت فيه مشاجرات بين الدكتور آزكوى مع الأمراء والموروث الشمالى:

"هناك اقتراح بأن الحكومة يتعين عليها إنشاء مؤسسة متعددة الأقسام تقريبًا للنظر فى الانتقادات الموجهة للرئيس. وأنا لا أرى أن هذا أمر ضرورى لأنى أود للأعضاء الإشراف أن يعرفوا أننا لم يمض علينا بعد عام فى النظام الجمهورى، وأنا أرى أن نيجيريا أبلت بلاء حسنًا تمامًا فى محاولة تكييف نفسها مع كل التغييرات [كذا] التى حدثت. وأنا لا أرى أننا يتحتم علينا الاندفاع إلى هذا القول أو ذاك. وأنا أعتقد أننا متفقون أن الرئيس يتصرف بطريقة لائقة تمامًا وتليق برئيس الدولة. نحن هنا فى هذا البرلمان محظوظون وحريصون جدًا.... وأنا أتمنى على الصحف شديدة التحرر فى هذا البلد – الصحف هنا أكثر

حرية من الصحف فى أى جزء آخر من العالم - أن تتعاون على إعطاء رئيس الأمة النيجيرية الاحترام اللائق، اللازم لأى رئيس من رؤساء الأمم، والسبب فى ذلك كما قلت من قبل، أن كل من لا يحترم الرئيس لا يحترم نيجيريا ككل".

هناك أيضًا بعض الملاحظات المهمة تمثلت فى الرد على شائعة مفادها أن أبا بكر كان ينوى تمديد حكم أكنتولا فى الإقليم الغربى خمس سنوات (**"ليس من سلطة الحكومة الفيدرالية فى ظل الدستور الحالى تمديد أجل أى مجلس من المجالس التشريعية الإقليمية"**)، وعلى البيان الذى استقبل استقبالاً حسنًا، ويتعلق بنجرنة الاقتصاد - فى بيان غير حذر صادر عن وزيرى إبراهيم، ورد أنه ليس من الضرورى القول أن سياسة الحكومة لم تتغير، وأنه لن يكون هناك تأميم لتجارة التجزئة وتجارة الجملة، أو المصارف، أو التأمين أو النقل البرى، وأنه لن يكون هناك انسحاب لرأس المال الأجنبى قبل أن يحل محله المشروع النيجيرى، فى الوقت المناسب. كان هناك أيضًا اقتراح ناجح بهذه المناسبة، تقضى برفع سن التقاعد من الخدمة الحكومية من ٥٥ عامًا إلى ٦٥ عامًا، كما صدرت إعلانات أيضًا مفادها أن نيجيريا أصبحت الآن معترفة اعترافًا كاملاً بحكومة هولدن روبرتو الأنجولية المؤقتة فى المنفى فى الكنغو برازافيل، وأن نيجيريا سوف تتبادل السفراء مع المجر.

أدت استقالة كبير المفوضين الانتخابيين السير كوفو أبايومى Abayomi، رئيس اللجنة الانتخابية الفيدرالية، بسبب الإحباط الشديد فى اليوم الأول من شهر أبريل من العام ١٩٦٤ الميلادى (إذ كان عمره فى ذلك الوقت ثمانية وستين عامًا ولم يعدله تأثير فى صنع الأحداث) إلى إصابة سكرتيره الشمالى بالإحباط. جرى استبدال السير كوفو أبايومى بناء على رأى رئيس الوزراء بالسكرتير العام للاتحاد الوطنى للمعلمين، السيد/ إى اى أُسوا Esua، وهو من الإقليم الشرقى لكنه ليس من الأجبو (أما المفوضون الآخرون فكانوا مستشار كانو صاحب الخدمة الطويلة، ومحمد بللو ولد عمر

Amar، وعضـواً مـحـاميًا من البيت الملكى فى الغرب الأوسـط من بنين Benin، وأيضًا محاميًا من الإقليم الشرقى، وطبيبًا من الإقليم الغربى بصفتهم زملاء جرى تعيينهم من قبل أقاليمهم، فضلاً عن رجل دين إنجليكانى من ليجوس). وهناك مؤشر إحباط أخر مختلف تجلى فى تقرير المراجعة الفيدرالى، الذى أعلن على العكس من تعليمات رئيس الوزراء المحددة قيام برنامج للتقشف، "من الواضـح أن كل وزير من الوزراء يستخدم سيارته الرسمية طول الوقت" (والتى يبتغى استعمالها فقط فى الخدمات الرسمية فقط، وليس فى المهام التى يجرى فيها استخدام السيارات الخاصة). ويبدو أن الوقت قد حان لإعلان أن الاحتفال هذا العام بالذكرى السنوية للاستقلال سوف يقتصر على حفل استقبال رسمى بسيط، وفى المستقبل وعلى فترات كل منها خمس سنوات، لن يكون هناك المزيد من الأرصدة الفيدرالية للاحتفالات المحلية (التى من قبيل مسابقات الجمال).

كانت بعض التجاوبات مع الهجوم الذى شنه الحاج السير أبو بكر على المجادلات القبلية المشينة بين أعضاء المجلس التشريعى. قال اتحاد ولاية الأيبو إنه لن يصدر أية بيانات عن الجدل القبلى، ونادى كل من توس Tos بنسـون (الذى كان الدعامة الأساسية للهجمات التى شنها اتحاد ولاية الأجبو فى الماضى) وحزب المؤتمر الوطنى الشمالى على المطالبة بخطر الاتحادات القبلية بكل أنواعها مثل اتحاد Egbeomo olo-fin واتحاد ولاية الأجبو. وحيا الدكتورمبادوى أبا بكر وطالب بالمزيد من الأقاليم قليلة السلطات، ومزيد من الضمانات فى مواجهة الهيمنة القطّاعية، ومزيد من تبادل الآراء، لكن الرجل لم يعترض على التنظيمات القبلية القائمة على أدوار ثقافية خالصة. على النطاق الأوسع، أصدر الحاج السير أبو بكر هو والرئيس ليوبولد سنغور بيانًا مشتركًا عقب زيارة رسمية من السنغال، تعهدا فيه بالدخول رسميًا فى روابط اقتصادية، واجتماعية وثقافية، والتوقيع على اتفاقات الخطوط الجوية والخدمات الجوية. والمعاهدات التجارية التى جرى التفاوض بشأنها بين المسئولين.

كانت لجنة مورجان قد قدمت تقريراً عن الأجور فى نهاية شهر ابريل، وأوردت اللجنة فى هذا التقرير خلفية لمقترحاتها الخاصة بالأجور، أنه لم تحدث منذ العام ١٩٥٨ الميلادى رفع أية دعاوى قضائية طبقًا لقوانين العمل، كما ذكر التقرير أيضًا أن مجلس العمل الاستشارى الفيدرالى لم يجتمع منذ ثلاثة أعوام، كما ذكر التقرير أيضاً أن النصوص الواردة ضمن قانون مجلس الأجور لم تجر الاستفادة منها بالطريقة المطلوبة. وأوصت اللجنة فى تقريرها بإنشاء مجالس صناعية مشتركة، ومجلس استشارى للأجور الوطنية، ومحاكم للصناعة، كما هو الحال فى المجتمعات الصناعية المتقدمة (التى بدأت هى نفسها تعانى من التغيير التقنى الجذرى). طالبت لجنة العمل المشترك برئاسة السيد/ ميخائيل إيمودو، بنشر التقرير والقرارات بحلول اليوم الخامس عشر من شهر مايو، واشتكت فى الوقت نفسه من أن رئيس الوزراء لم يكن يسمح إلا لممثلى اتحاد النقابات العمالية الدولى بالحضور إلى نيجيريا فى الوقت الذى كانت تجرى فيه المحادثات بشأن الوحدة المتينة بين منظمات العمل المركزية، وبذلك يجرى الكشف عن انحياز ضد النقابات العمالية فى الدول الاشتراكية. لكن لجنة مورجان لم تكن أهم أولويات الحكومة الفيدرالية فى ذلك الوقت، إلا بعد أن يجرى وزن نتائجها المالية وتخصيصها. كانت هناك لجنة أقل إعلانًا وأقل تسريبًا للأخبار تقوم بدراسة تخفيض الإيرادات (برئاسة السيد/ بنز Binns التسمانى مفوض الدولة لشئون الضرائب) وكانت تدرس بصفة خاصة صيغة العام ١٩٥٨، التى كانت منحازة إلى السكان والتركيز على الاحتياجات، كانت تلك اللجنة قد تشكلت استجابة لمطالبة الشمال بنصيب أكبر من الإيرادات، واستجابة أيضًا لمطالب الإقليم الشرقى، وبخاصة أن اللجنة بدأت فى ذلك الوقت تقف على ثروات حقل البترول فى الدلتا، وأن عوائد الثروات المعدنية لابد أن تعود إلى إقليم أو منطقة الاستخراج. يزاد على ذلك أن كلا من الإقليم الغربى وإقليم الغرب الأوسط كانا أيضًا بحاجة إلى المزيد من النقد، وعليه فإن الإقليم الشرقى تعين عليه الاستمرار فى تحمل القسمة التى تقضى بحصول الاتحاد دومًا على نسبة عشرة بالمئة من مسحوبات البترول المتزايدة، وحصول بئر الشمال على

نسبة حوالى ٦ بالمئة. ومن هنا زاد عداء زعماء الإقليم الشرقى للاتحاد وللإقليم الشرقى.

وبناء على ما تقدم، ربط رئيس الوزراء اجتماع "القمة" برؤساء الوزراء الإقليميين بشأن مسألة التعداد، ربط ذلك بواحد من الاجتماعات النادرة لمجلس الاقتصاد الوطنى فى ذلك الوقت، والمخصص لاستعراض برنامج خطة التنمية سداسية الأعوام، ولم يرد رئيس الوزراء على الفور، على توصيات لجنة مورجان. وأصدر رئيس الدولة نصيحة أخرى بشأن المهاترات بين القبائل، وأهاب برؤساء الوزراء عدم السماح بأن يصبح التعداد سببًا فى "كارثة كبيرة"، قال المستشار السياسى الرئيسى من جانبه إنه لم يكن على استعداد لمناقشة أى رقم من الأرقام مرة ثانية، وأنه لن يحضر إذا ما أدرجت هذه الأرقام على جدول الأعمال. كما تراجع الرئيس أوسادباى Osadebay عن رفض حكومته لتلك الأرقام، وقال إنه أصبح لديه تفويض من شعبه بتأييد رئيس الوزراء - لم تكن هذه المسألة كافية لانقسام البلاد، وأن أى تعداد فى إفريقيا لا يمكن أن يكون دقيقًا، وإنه ليس من العدل فرض المساواة فى مقاعد المجلس التشريعى على الأقاليم كلها فى مواجهة رغبات الشمال "فى ضوء العدد الهائل لسكان الشمال". كان آكنتولا قد قبل بالفعل تلك الأرقام" إلى حد أن الدكتور أُكبارا لم يكن أمامه من شىء يفعله سوى الصَّفير والمطالبة ببقاء التقسيمة الحالية للمقاعد بلا تغيير، كما طالب أيضًا بتقوية مجلس الشيوخ من حيث الحجم واكتساب المزيد من السلطات فى الوقت نفسه. تجاهله الآخرون، وأعلن أبو بكر أن لجنة ترسيم الحدود سوف تعيد توزيع ٣١٢ دائرة انتخابية طبقًا لمتوسط المعدل السكانى الجديد الذى يقدر بحوالى ١٧٨٠٠٠ نسمة لكل دائرة من الدوائر.

وبناء عليه، قيل لرئيس وزراء الإقليم الشرقى إن من حقه رفع دعوى أمام المحاكم إذا ما أراد ذلك، وقال للمراسلين الصحفيين إنه ما دام أن الموافقة لم تكن بالإجماع، "وعلى الرغم من حق رئيس الوزراء الدستورى [المضى قدمًا فى استخدام تلك الأرقام

فى كل ما يريده]، فانا أعتقد أنه لن يفعل ذلك، وإذا ما أقدم على ذلك فإن رد حكومتى ليس هو ما أود مناقشته معكم اليوم هنا، وإنما سوف يجرى إعلانه على الأمه كلها".

وأصدر رئيس الوزراء تعليمات إلى محاميه العام السيد/ دى أو أبكوى Ibekwe برفع قضية أمام المحكمة الفيدرالية العليا لوقف الحكومة الفيدرالية من استعمال أرقام تعداد العام ١٩٦٣ الميلادى، وبذلك يكون الاتحاد الفيدرالى قد دخل فى عملية مظهرية. أصر الدكتور أكبارا على وضع خطة لجولة حزبية للإقليم الغربى على الرغم من حظر الاجتماعات والمواكب فى معظم المناطق السياسية. قال وزير من وزراء الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى للصحافة إن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أثار الأزمة بغية أن يُرشى بذلك الذى أخذه السياسيون على أنه البند الرئيسى على جدول أعمال اللجنة الاقتصادية النيجيرية.

كان ذلك البند خاص بتحديد مكان مشروع الحديد والصلب المخصص له مبلغ ٣٠مليون جنيه إنجليزى (الذى أعيد تقييمه مؤخرًا بحوالى ٥٠ مليون جنيه إنجليزى)، الذى سبق أن أجرى حساباته الخبراء المستقلون المتشككون، هذا المشروع إن قدر له أن يكون اقتصاديًا، فلابد من تصميمه وتحديد موقعه على خطوط مواصلات مناسبة لخدمة سوق غرب إفريقيا بالكامل. رؤساء وزراء الأقاليم الأربعة طالب كل منهم بإقامة مصنع الحديد والصلب فى إقليمه، ووعد كل واحد منهم بتقديم الاستشاريين الذين يدعمونهم، وحبذ المستشار السياسى الرئيسى موقعًا لهذا المشروع بالقرب من إيداه Idah فى مكان أعلى من أونيتشا التى اختارها الدكتور أكبارا لتكون موقعًا لذلك المصنع. زاد الغضب، واكتشف مسئولون من لجنة التخطيط المشترك أن نصائحهم يجرى تجاهلها وإهمالها لكونها غير مستساغة، وقام الحاج السير أبوبكر (الذى كان على الرغم من تشككه فى جدوى المشروع بالكامل فى مواجهة المنافسة الدولية، مترددًا فى مقاطعة ثلاثة من رؤساء الوزراء بسبب معارضته ذلك المشروع) بطلب تأجيل "بتربدى" لذلك المشروع. وبعد الفشل فى الوصول إلى حل وسط من تبادلات الرأى

الخاصة بالأفراد، وحتى عندما عرض وزراء الإقليم الغربى الفيدراليون تقديم موقع ثالث فى إيكار Ikare باعتبارها منفذًا تجاريًا، استأنف أبو بكر الاجتماع بإرجاء اتخاذ أى قرار بشأن الموضوع إلى أجل غير مسمى. وعلى الرغم من ذلك جرت الموافقة على تفاهم غير منطقى من الناحية الاقتصادية والناحية التجارية ويقضى باقتسام المشروع بين كل من أونيتشا فى الشرق وإيده Idah فى الشمال. وامتدح أوساديباى Osadebay رئيس الوزراء على إحساسه "بالعدالة"، وتأجلت النتائج المكلفة إلى عهد آخر يقوم بتدبير الأموال اللازمة (وفى موقع مختلف تمامًا عن هذين الموقعين).

كان ينبغى أن يكون الواقع الاقتصادى هولب هذا الاجتماع. هذا يعنى أن وجود آلية السيطرة الاقتصادية على المستوى المركزى التقدمى كان لها تأثير ضار على الأحقاد الإقليمية اعتبارًا من موازنة العام ١٩٦٢ الميلادى التى أتينا على ذكرها فى الفصل السادس والثلاثين. كانت وحدة خبراء التخطيط الاقتصادى الذين كانوا يعملون لمصلحة لجنة التخطيط الاقتصادى التابعة لمجلس الوزراء الفيدرالى، تعمل بالتوازى مع لجنة التخطيط المشتركة التى كانت تساند المجلس الاقتصادى الوطنى وتدعمه، لكن استمرار وحدة التخطيط الاقتصادى فى الإشراف على التفاصيل كان يعنى أن اجتماعات اللجنة الاقتصادية النيجيرية التى كانت تجرى بين الحين والآخر، كانت إلى حد ما، بلا حول أو طول. تمثلت فى القوى الجديدة المتنافسة على السلطة على محاور الاقتصاد فى بنك التنمية الصناعية النيجيرى اعتبارًا من شهر يناير من العام ١٩٦٤ الميلادى، ومجلس القوى العاملة الوطنية الذى كافح من أجل إدخال الواقعية إلى التوسعات السياسية الواردة فى تقرير آشبى Ashby عن الاستثمار فى التعليم، وتزايد سلطة البنك المركزى (التى يجرى فرضها من خلال منح الائتمان والضمانات) على مجالس التسويق الإقليمية وعلى البنوك التجارية، وقبل ذلك على هيئة المعونات الخارجية الذى كان يوافق فقط على طلبات المساعدة الخارجية بعد معالجة هذه الطلبات معالجة تصاعدية من قبل الأقاليم والمؤسسات الفيدرالية أوالاتحادات من خلال

وحدة التخطيط الفيدرالية. وعلى الرغم من ذلك بقيت الأقاليم تظن أن من حقها التفاوض على المساعدات الخارجية بصورة مباشرة، على أمل تنفيذ هذه الاتفاقيات بأثر رجعي.

أمكن الوقوف على نقائص التخطيط "الاشتراكي الإفريقي" النيجيري، قياسًا على الفترات الليبرالية السابقة، وأتضح أن تلك النقائص وصلت إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه من قبل: لم يترك سوى الشيء القليل جدًا للاستثمار الخاص ومخاطر رأس المال، لم تكن هناك مشاركة تذكر من القطاعات الجماهيرية المكدسة للأموال والأكثر تقدمًا، في صنع القرار، وعلى الرغم من ذلك، فإن الآلية اللازمة لتنفيذ برامج القطاع العام، كانت لا تزال ناقصة الخبرة، لم يكن هناك تقييم مستمر للبرامج فور تشغيلها، يزاد على ذلك أن التدخل السياسي في القرارات الاقتصادية التي من قبيل تحديد الأولويات ومنح العقود وصل حد الإفراط. هذا النوع الأخير من الفساد كان أكثر خطورة على الأمة، كما لو كان مرتبطًا بالفساد الشخصي. يزاد على ذلك أن إبعاد السيطرة الإدارية عن التنفيذيين والمحاسبين أعطى الوزراء المزيد من السلطة التي تفوق بكثير السلطة الممنوحة لأي اقتصاد من الاقتصادات الناجمة من أوروبا وأمريكا الشمالية، ناهيك عن مراكز الإنتاج الجديدة في الشرق الأقصى.

كانت خطة التنمية قد افترضت احتمال حدوث زيادة في النمو السكاني بنسبة تتردد بين ٢ - ٢,٥٪، مصحوبة بنمو اقتصادي حده الأدنى ٤٪، الأمر الذي يمكن أن يسفر عن زيادة في دخل الأفراد بنسبة تتردد بين ١-٢٪ في كل عام من الأعوام الستة حتى العام ١٩٦٨ الميلادي. أما وأن النمو السكاني قيل إنه كان يزيد على ٥٪ فذلك يعني أن متوسط دخول الأفراد لابد وأن يكون قد أخذ في التدني (على الرغم من أن المشروعات غير المسجلة، وغير المخططة بواسطة البيروقراطيين، لابد وأنها كانت تعطي شكلاً من أشكال القانون المضاد). يزاد على ذلك، أن ١٤٪ فقط من إنفاق الخطة الراسمالي كان يجري تغطيته من المساعدات الأجنبية، في حين أن ٥٠٪ كان منتظرًا،

وبذلك وصل إجمالى رأس المال المستثمر إلى ما هو أقل من التقدير الأساسى. وكانت هناك أسباب وراء النظرة الوحشية إلى مستويات الضرائب المباشرة وغير المباشرة، لكن المجلس الاقتصادى النيجيرى رضى لنفسه بالفكرة التى مفادها أن المشروعات ما أن يجرى تقديمها بطريقة جيدة، وإقناع الناس بتكلفتها، فإن صناديق حقول الديمقراطيات الغربية الخاصة بالمساعدات الفنية يجرى فتحها على الفور. ومع ذلك، حدث ذعر كبير فى ليجوس من ذلك التقدير الأول عن التقدم فى الخطة ١٩٦٢ـ ٦٨، كما حدث ذعر أيضًا من اهتمام الشرق الجديد، المبنى على الآمال المعقودة على البترول، فى تخفيض الإيرادات فى ضوء الأصل وليس فى ضوء الاحتياج، الأمر الذى جعل الحاج السير أبا بكر يصلح اللجنة الاقتصادية التابعة لمجلس الوزراء ووضعها تحت رئاسة جديدة. وخسر الرئيس فستوس معركة الإنفاق على الدفاع، الأمر الذى جعله يتنازل عن الرئاسة للحاج محمد رباط. وأحس المسئولون العاملون فى المجلس الاقتصادى النيجيرى، وهم من الحكومات الإقليمية، بخيبة الأمل والإحباط جراء نغمة الجدل الذى دار بين السياسيين.

جرى تفسير رد الفعل المتأخر على التقرير الذى أصدرته لجنة مُرْجان Morgan على النحو التالى: رأت الحكومة الفيدرالية أنها لا تقدر عليه، ولأول مرة يرى بعض من أصحاب الأعمال الخاصة أنهم قد يشهرون إفلاسهم بسبب تكاليف العمالة. والذى لا شك فيه، وكما هو الحال فى مجتمع من المجتمعات النامية، فإن تدفق الباحثين عن العمل القادمين من الريف والذين يعيشون على الكفاف، إلى المدن كان يعنى أن الكثيرين يعيشون فى عوز أو بؤس أو فى الاثنين، وبذلك يكون من حق الطبائع الطيبة التعبير عن احتجاجها. كان هناك أيضًا استياء متزايد بين أعيان الحضر ومتعلميهم من تباهى الوزراء والمسئولين الذين اتضح أنهم كانوا يحصلون على بدلات وعلاوات شاذة، والذين كانت تجرى مساعدتهم ودعمهم إلى أن أصبحوا فى عرف الطواطم. هددت لجنة العمل المشترك بإعلان الإضراب العام وذلك من باب فرض القانون بحلول

اليوم الخامس عشر من شهر مايو، كما أدان إيمودو Imoudu زيادة المرتبات البرلمانية وحياة الرفاهية بشكل عام، "وتعين على العاملين [الذين فقدوا] الثقة بالحاج أبى بكر وحكومته المقاومة وإلا ماتوا فى ذلك الوقت". انضمت حركة النقابات العمالية بقيادة إيمودو ووهاب جودلك Goodluck هما والقسم الخاص بالحاج أديبولا Adebola إلى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وبدوا متحدين بصورة مؤقتة فى نهاية المطاف، وتكلم بعض أصدقائهم عن حزب سياسى وطنى جديد يقوم على الاشتراكية الخالصة. فى اليوم السادس والعشرين من شهر مايو أعطت لجنة العمل المشترك إنذاراً نهائياً مدته اثنان وسبعون ساعة، وفى اليوم الثلاثين من شهر مايو وقعت "معركة جسر إدّو Iddo"، عندما تصادم زعماء الإضراب بالشرطة. كان الإضراب قد بدأ عند منتصف ليل اليوم الحادى والثلاثين من شهر مايو، وجرى التجاوب معه من قبل المدن الرئيسية الصغيرة المتقاربة، على الرغم من استمرار التناقض فى السلوك والتصرفات بين الجنوبيين الأكثر استنارة، وجلداً من ناحية، والحرفيين والعمال الأقل تحضراً من الناحية الأخرى. فى اليوم الرابع من شهر يونيو نشرت الحكومة مقترحاتها: فقد أوصى السيد/ جستس Justice مُرجان براتب شهرى مقداره اثنا عشر جنيهًا إنجليزيًا وعشرة شلنات للعامل غير الماهر فى ليجوس، وعشرة جنيهات إنجليزية للعامل نفسه إذا كان يعمل فى الإقليم الشرقى أو الإقليم الغربى، وكان العرض المقابل هو تسعة جنيهات إنجليزية وشلنان، سبعة جنيهات إنجليزية وستة عشر شلنًا، وقد رُفض بالفعل، وبدأ الإضراب فى إثر ذلك. واقع الأمر أن بعض المديرين فى القطاع الخاص فى الإقليم الشرقى كانوا قد قرروا دفع رواتب أعلى من تلك التى اقترحها جستس مُرجان.

استمع الوزراء إلى مرءوسيهم وراحوا يتناقشون فيما بينهم وبين أنفسهم. تقدم الدكتور مبادوى باقتراحات إلى الرئيس أوكوتاى - إيبوه ومحمد رباط، ثم اتجهوا جميعًا إلى الحاج السير أبى بكر. تفاوض الرئيس جى إم جونسون مع لجنة العمل

المشتركة، واصطحب الرئيس فستوس الدكتور مبادوى إلى مقابلة مع لجنة العمل المشتركة. وفى اليوم الثامن من شهر يونيو انهارت المحادثات وأبلغ جونسون لجنة العمل المشتركة أن الحكومة أعطتهم إنذارًا مدته ثمانية وأربعين ساعة لإنهاء الإضراب وإلا جرى طرد الجميع وحرمانهم من امتيازاتهم. وهنا صاح الزعماء، "مستحيل مستحيل - وإذا ما وصل الأمر إلى هذا الحد فسوف نخسر قُدرتنا على المساومة"، وهذا الرد يتحتم أن يكون صادقًا دومًا فى حال ما إذا لم يتفهم أبناءهم، أو بالأحرى المضربون الحقيقيون، تفهم الجدل الاقتصادى البارد أو رفضه. نهج القطاع الخاص نهج الحكومة. وقام الحاج السير أبو بكر بإصدار نداء عام إلى زعماء لجنة العمل المشتركة يناشدهم فيه من خلال الإذاعة إنهاء الإضراب على وجه السرعة وذلك حفاظًا على مصالحهم، وأن يتخذوا كل الإجراءات الفاعلة لعودة الرجال إلى أعمالهم. وصف أبو بكر الإضراب بأنه لا يطاق - لأن أية زيادة فى الأجور، سوف تحطم الاقتصاد، وسوف يتحطم معه كل ما أنجزته الخطة السداسية، وقال إن الحكومة بذلت جهودًا مضنية من أجل تحسين ظروف العمال ذوى الدخول المنخفضة، وأن هدف الحكومة المحافظة على زيادة الإنتاجية. هذا الخطاب الإذاعى (وبخاصة عن المسائل الحساسة من هذا القبيل كان أبو بكر هو الذى يكتبه بنفسه) ساعد على إسكات زعماء الاتحاد، الذين "أعربوا عن أسفهم لأن الرجل لم يقدم عرضًا جديدًا يمكن أن يفضى إلى حل". قال هؤلاء الزعماء إن نقض العهود مع قوة العمل المنظمة لم يوح بالثقة بأن الحكومة يمكن أن ترحب بأى إجراء من الإجراءات، وأن أبا بكر كشف عن نيته استعمال القوة لتكسير الإجراء الصناعى الذى يقوم به العمال الأحرار، والذى يضمنه لهم الدستور. كان ذلك أول خلاف خطير فشل رئيس الوزراء فى تسويته باللوم المنطقى، والمزعج بحق فى هذا الأمر أن الصحف نفسها التى زعمت أن "السياسيين يحصلون على الثروة عن طريق أساليب الفساد، التى يستخدمون سلطاتهم السياسية فى مساندتها" هى الصحف نفسها التى راحت تحث على العودة إلى العمل ما دام أن الدولة لا تستطيع

الوفاء بما قاله جستس مُرْجان. هذا يعنى أن السياسة الحكيمة قد تضيع من أيدى أولئك الذين تتزعزع ثقة الناس بهم.

وقع أبو بكر حيص بيص وسط هذه النصائح المتضاربة. كان لدى جونسون، وزير العمل مبرر لذهابه إلى أمريكا، وأوكل تصريف الأمور السياسية المهمة إلى السيد/ جى سى أوباند Obande وزير المنظمات فى إيدوما. وصدرت الأوامر للجيش بحراسة النقاط المهمة فى ليجوس، التى بدا عليها فى ظل المكاتب المغلقة من ناحية وتعبيرات التضامن العمالى العلنية من الناحية الأخرى، وكأنها مدينة محاصرة. وفى كادونا قامت الشرطة بتفريق أحد التجمعات عن طريق استعمال الغاز المسيل للدموع خارج المحكمة التى كان يجرى فيها محاكمة سبعة عشر موظفًا من العاملين فى مؤسسة الكهرباء بتهمة تخريب معدات الطاقة. وذاع أن بعض الوزراء طالبوا بحراسة مسلحة مرافقة لهم فى ليجوس، وذاع أيضًا أن بعضًا آخر من الوزراء الشهيرين باستهلاكهم اللافت للنظر كانوا يتصرفون تصرفات متواضعة وهادئة بصورة غير طبيعية. وتحولت الهمسات إلى بيانات علنية تفيد أن الإضراب كشف عن أن السياسيين الأقوياء كانوا بعيدين عن الاتصال برجل الشارع، وأن متغطرسى الأمس، هم مترددوا اليوم، ومتذللوا الغد. وراح البيرقراطيون يتكلمون كلامًا تهكميًا جريئًا مفاده أن الوقت قد حان لهم كى ينقذوا نيجيريا من الفوضى التى أحدثها السياسيون، وراح الجنود يستمعون إلى هؤلاء البيروقراطيين. ومع ذلك، وعلى الرغم من أن مخزون الطعام كان على وشك النفاذ، فإن حرب الدعاية المضادة للسياسيين والتى كانت لجنة العمل المشتركة هى الفائزة فيها، وذلك على العكس من الحرب الهيكلية المضادة للمجتمع التى بدأ من جديد بعض الزعماء المتعلمين يتحدثون عنها فيما بينهم مستخدمين فى حديثهم مصطلحات مستوردة جديدة. وجاءت أول إشارة من إشارات انهيار فى حديثهم مصطلحات مستوردة جديدة. وجاءت أول إشارة من إشارات انهيار الاضطراب، فى واقع الأمر، فى الوقت الذى أصدر فيه جونسون إنذاره، وأعاد فتح المحلات التابعة

لشركة التجارة المتحدة، التى قامت الشرطة فيها بمنع إضافة العائدين إلى عملهم وترهيبهم الذين تفهموا التفسُّخ ولم يتفهموا الحرب الطبقية.

فى الوقت نفسه قام فريق من الوزراء يضم كلاً من أوكوتاى - إيبوه، وأوباند Obande، مبادوى، ووزيرى إبراهيم، ويعى التحدى الموجه إلى سلطتهم من لجنة العمل المشتركة الواثقة بنفسها بطريقة غير مسبوقة، والتى تنادى بالنظام، واستعراض للقوة التى فشلت فى بث الفرقة، قاموا بالتفاوض مع لجنة العمل المشتركة وأنهوا الإضراب بعد اثنى عشر يومًا عن طريق الموافقة على المطالب جميعها. كان الناس قد نسوا إضراب العام ١٩٤٥ الذى دام أطول من هذا الإضراب. جرى الاتفاق على "عدم التجريم"، وسحب كل قرارات الطرد والإنذارات بالفصل، وأن تعامل فترة الإضراب على أنها إجازة مدفوعة الأجر، كما اتفق أيضًا على تشكيل هيئة تُمثل فيها الحكومات كلها، وأصحاب الأعمال الخاصة ولجنة العمل المشتركة للتفاوض على أساس من الأرقام التى أوردها مُرْجان عن المرتبات. واعتبرت النتيجة التى ترتبت على ذلك انتصارًا لنقابات العمال، ولم يشعر الوزراء بالأسف أو الخجل لأنهم استطاعوا تحت مظلة المسئولية المشتركة تقاسم هزيمتهم الموجعة مع رئيس الوزراء، الذى أصيبت زعامته بالضرر نتيجة فشل مناشدته القوية للعمال باللجوء إلى المنطق والتعقل والعودة إلى أعمالهم.

لم يكن مبرمجًا أيضًا لأية مناشدة داخلية قوية من الرجل إلى زملائه السياسيين بالوقوف والثبات فى مواقعهم، أن تصيب أى شىء من النجاح. والسبب فى ذلك أن نيران الإحباط العام كانت تزداد اشتعالاً بفعل النقابات العمالية، وبفعل الصحافة والقيل والقال على المستوى الرسمى، يضاف إلى ذلك أن الخوف تملك بعض الزملاء أيضًا، كانت هناك بعض التنويهات إلى استقالة رئيس الوزراء، ونشرت إحدى الصحف إشارة خفيفة إلى مثل هذا الأمر عندما قالت إن الرجل على وشك التقاعد بعد أن فاته أحد اجتماعات اللجنة التنفيذية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا. لكن ذلك

كله كان ناتجًا عن سوء فهم شخصية الرجل: هذا الرجل الذى كان مستعدًا دومًا للعودة إلى الحقل وإلى غرفة الدراسة إذا ما طلب منه ذلك أولئك الذين يحترمهم، أو عندما يتعب أو يمل من الضغائن الحزبية فى الوقت الذى يتواصل فيه تقدم البلاد إلى الأمام بصورة واضحة، لا يمكن أن يرحل ضعيفًا فى أزمة لم يجر حلها والتى لا تجد أحدًا غيره مؤهلاً لمواجهتها. وعليه، وبغض النظر عن إحباطه، لم يخطر ببال الرجل التخلى عن المسئولية فى ذلك الوقت، وقد تجلى ذلك فى تعليقات الرجل الحذرة التى مفادها أنه عندما يحين الوقت فإن الشيخ شاجارى أو ميتاما سول يستطيعان حكم البلاد، وأن كليهما كان لا يزال صغيراً بالمعايير النيجيرية فى العام ١٩٦٤ الميلادى (واقع الأمر أن أحد المساعدين الشخصيين وهو أولوبانجو Olubanjo حاول تحدى أبى بكر فيما بعد عندما كان فى خلوته الخاصة فى مزرعة باوتشى، عندما قال له إنه لم يعين أى نائب حتى يمكن أن يخلفه. قال أبو بكر "أنا". - "من، دبشاريما؟" - "**خمِّن ثانية**". - ليس لدى شيء - "**الشيخ شاجارى**". - "ذلك الولد الصغير؟!". سمع قاضى القضاة حكاية مماثلة، لكن الحاج الشيخ شاجارى لم يسمع شيئًا من هذا القبيل بطريقة مباشرة). ثم أخذ بعد ذلك شيء من المنطق والتعقل يسود بين العمالة المنظمة، فى مطلع شهر يوليو وبعد مزيد من التفاوض وافقت لجنة العمل المشتركة على ١٠ جنيهات إنجليزية فى الشهر فى ليجوس وفى ميناء هاركورت. سادت أيضًا اقتصاديات السوق نظرًا لعدم حدوث شيء لزيادة الثروة الوطنية: هذا يعنى زيادة إيجار المسكن والمأكل، بعد كل زيادة فى الأجر حتى يمكن امتصاص تلك الزيادة. هذا يعنى أيضًا أن عدم الاستقرار وفقدان الثقة بدءا يصبحان من عناصر الجو السياسى، الأمر الذى أدى إلى تشجيع الطموحين طموحًا مبالغًا فيه وبذلك تكون لجنة العمل المشتركة قد فقدت الثقة بالنفس من الناحية الإدارية لدى كثير من الوزراء الفيدراليين، دون أن تقدم أى سبب ثورى من أسباب العمال الحضر الذين يعملون فى مجتمع غير حضرى.

الفصل الحادى والأربعون

الأحزاب تنحاز إلى بعضها البعض من جديد

وإصلاح التحالفات

اختر الجار قبل الدار(*)

أعلن الحاج السير أبو بكر اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو من العام ١٩٦٤ عيدًا لتحرير إفريقيا، على أن يجرى الاحتفال به سنويًا طبقًا للقرار الصادر عن أديس أبابا قبل ذلك بعام، بعد ذلك بيومين توفي الرئيس الباندت جواهرلال نهرو، وخلفه رئيس الوزراء لالا باها دور شاسترى، وبعد ذلك حُكم على ستة من السود فى جنوب إفريقيا من بينهم نيلسون مانديلا، بالسجن مدى الحياة بعد محاكمتهما بتهمة الخيانة فى "ريفونيا" Rivonia، وانهارت أيضًا المحادثات بين ماليزيا وأندونيسيا، انهار أيضًا الاتحاد الغانى التوجى الجمركى، ثم أغلقت الحدود بينهما، وأدخل نيكروما الحجز الوقائى إلى حد عشر سنوات. على المستوى الداخلى قطع رئيس الوزراء زيارته إلى باوتشى ليدعو كل رؤساء الوزراء الإقليميين إلى اجتماع مفاجئ فى العاصمة الإقليمية الجديدة لمدينة بنين، لمناقشة الموقف العام فى البلاد، وبخاصة الإضراب الذى

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. وهو شديد الشبه بالمثل المصرى "اختر الجار قبل الدار" وهو موجود أيضًا فى اللغة الإنجليزية الذى يقول: "نستطيع العيش بلا أصدقاء، لكننا لا نستطيع ذلك بدون جيران".

We can live wi'oot (without) oor frien's but no' wi'oot oor neighbours.

جرى مؤخراً "والأمور المتصلة به". كان هناك تفكر مفاده أن موضوع الحجز الوقائى يجرى إحياؤه من جديد. وجرى توجيه تهمة إدارة جمعية غير قانونية، إلى أحد المحاضرين عن حركة نقابات العمال، جاء من ليدز، وأن هذه الجمعية كانت تهدف إلى الإطاحة بالحكومة النيجيرية باستخدام الوسائل العسكرية. وقال الحاج السير أبو بكر إنه شخصياً لا علم له بهذه المؤامرة، لكن ما دام أن هذه القضية فى يد الشرطة فمن الأفضل الانتظار للوقوف على مجريات التطورات. وعلى مستوى مثير للضحك بصورة أكبر كانت لجنة الحسابات الفيدرالية العامة لا تزال تجاهد فى حل مسألة تقارير المراجعين المتعلقة بالتصرف فى سيارات الاحتفال بالاستقلال، والذى لم يتم طبقًا لما أوصى هيفورد Hefford، ناهيك عن الالتزام بالأوامر الحكومية العامة والتعليمات المالية، وعلى الرغم من ذلك جرى تخفيض واحدة من هذه السيارات لمدة عام، للمجلس الأهلى لاتحاد الجمعيات النسائية، وذلك على مسئولية رئيس الوزراء. وهنا لا يمكن المساءلة عن هذه السيارة مطلقًا.

أصبح جاك ديفيز، رئيس الشركة الزراعية المتحدة، أقل انشغالاً بالوظائف الحكومية. كان الرجل قد تخلى عن عضوية هيئة الموانئ لكى يصبح مديراً عامًا لحظ بالم palm الذى كان أكثر قربًا من مشكلات الموانئ فى ذلك الوقت. فى ذلك الوقت، لم يكن القطاع الخاص ممثلاً فى الهيئة، لكن جاك ديفز "كان لا يزال موجوداً". طلب الحاج أبو بكر من جاك ديفز القيام بتحر حقيقى خاص للزعم الشائع الذى مفاده أن الأفارقة كان يجرى تعيينهم مدراء فقط فى الشركات المقيمة لمجرد رفع النسبة المئوية الإحصائية، لكن المسئولية الحقيقية كانت منزوعة منهم، أو بالأحرى كانوا هم يقاومونها. استطاع جاع ديفز إقناع أبى بكر، أن من بين النيجيريين الذين تحراهم، حوالى خمسة وثلاثين واحداً منهم كانوا يتقاضون مرتبات تزيد على ٢٠٠٠ جنيه إنجليزى فى العام، وهذا راتب عال جداً لموظف مدنى كبير فى ذلك الوقت، كما أقنعه أيضًا أن الشركات التجارية لا تقوى على دفع هذه المبالغ إذا لم يكن المستخدمون

يكسبونها من خلال الكفاءة والمؤهلات. وأنه في وقت من الأوقات كان هناك ثلاثون أو أربعون آخرون يتدربون في بريطانيا، وأدعى بشيء من الفخر أن حوالي ٦٠٪ من أولئك الذين كانوا زائدين عن الحاجة، أثناء إعادة الهيكلة الجزئية لشركته بعد إلغاء تجارة التجزئة، جرى على الفور توظيفهم من قبل الحكومة أو الشركات المنافسة. وقال أيضًا إن تدريب هيئة العاملين المحليين جرى جعله جزءًا من مهمته منذ اليوم الأول لوجوده في البلاد، وبقي الحال على هذا المنوال. كانت العقول النيجيرية تستوعب دومًا الكثير من خلال التجارة أكثر منها من خلال الإدارة "البحتة".

وفي مجال العمالة الأوسع، جرى افتتاح اتحاد نقابات عمال كل إفريقيا في شهر يونيو في باماكو في دولة مالي، على أن يكون مركز رئاسة هذا الاتحاد في غانا تحت رئاسة الغاني جون تيتجة بصفته الأمين العام لذلك الاتحاد. وتقرر الطلب من فروع هذا الاتحاد التخلي عن عضوية اتحاد النقابات العمالية الدولي وعضوية اتحاد نقابات العمال العالمي. وعقب ذلك مباشرة قام اتحاد النقابات العمالية الدولي بعقد مؤتمره الإقليمي الإفريقي في أديس أبابا، وأعرب بطبيعة الحال عن معارضته لاتحاد النقابات العمالية الأفرو آسيوية الوليد.

أخذ تورط نيجيريا في جمهورية الكنغو الديمقراطية يتناقص شيئًا فشيئًا. وتبع انسحاب قوات الأمم المتحدة المتزايد والسريع من الكنغو وقوع تمرد في الشمال الشرقي، وتدهورت الأحوال بشكل عام. وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن الطيارين لن يطيروا بعد ذلك لمساندة الحكومة الكنغولية في مواجهة الثوار الذين استولوا على ألبرت فيل، وبانتهاء شهر يونيو استدعى كازافوبو تشومبي Tshombe من منفاه في مدريد، بقصد تعيينه رئيسًا مؤقتًا للوزراء، وتعليق الانتخابات، على الرغم من عدم حصوله على مساندة برلمانية، وفي اليوم التالي جرى اغتيال عدو تشومبي الرئيس المؤقت لشمالي كاتاتجا هو واثنين من زملائه. واستقال أدولا في اليوم الثلاثين من شهر يونيو بعد انتهاء مدة حكمه، وكان كازافوبو يأمل أن يحقق تشومبي، الذي اشتهر

بحكمته فى أنحاء العالم، والذى تولى دور رئيس الوزراء المؤقت، مما حتم عليه أداء اليمين فى اليوم العاشر من يوليو، عن طريق المصالحة والاحتيال ذلك الذى فشل فى تحقيقه بالقوة المفرطة كل من آدولا ومبوتو Mobutu، كان الكنغو لا يزال يفتقر إلى إداريين فعالين وجُمًّاع للدخل العام من النوع الذى يمكن الاعتماد عليه. بدأت الحكومة النيجيرية تشعر بالقلق إزاء تشومبى، لكن أبا بكر قرر الاعتراف بالرجل من باب عدم توافر الأفضل. واصل تشومبى خطب ود جيزنجا المسجون، وإطلاق سراح أولئك المسجونين السياسيين الذين ليسو من أتباع لومومبا.

مع انسحاب آخر جندى من قوات الأمم المتحدة فى اليوم الثلاثين من شهر يونيو (بلغ عدد القتلى من هذه القوات ١٢٦ قتيلاً من أصل ٢٠٠٠٠ جندى جاءوا من ٣٤ دولة) كان ذلك يعنى عودة الجيش النيجيرى كله إلى وطنه باستثناء تلك الكتيبة التى كانت متمركزة فى تنجانيقا، وبقيت فى الكنغو أيضًا أربعمائة من رجال الشرطة الأكفاء، للقيام بدور فريق التدريب المدنى، للكونستبلات الكنغوليين، وقدر لهؤلاء الرجال البقاء فى الكنغو طوال عهد الجمهورية النيجيرية المنتخبه. جاءت عودة الجنود عامرة بالفخر والزهو، فقد كان قائدهم أجوى Aguiyi إيرونسى Ironsi آخر قائد من قادة قوة حفظ السلام هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى كان هؤلاء الجنود قد وقفوا على فضيحة الكتيبة الغانية التى سبق أن شاركت فى خلافات القائد العام البريطانى الأخير مع نيكروما وإنهاء حياة اللواء هنرى ألكسندر العملية. عقب ذلك مباشرة بدأ تشومبى من ناحية يواجه التشكيل الجديد الذى أنشأه جيرنجا الذى جرى الإفراج عنه، مكونًا منه حزبًا لومومبيًا Lumumbist متحداً، ومن الناحية الأخرى راح يواجه المتمردين فى كويلو الشرقية kwilu (تحت قيادة ميوليل Mulele بعد عودته من ثمانية عشر شهرًا أمضاها فى كل من مصر والصين)، وفى كيفو kivu وأورينتال Orientale. هؤلاء اللوممبيون والمتمردون كانوا كلهم تحت قيادة جيش التحرير الشعبى، الذى تشكل من فصيلى جبنى Gbenye وسومايلوت Soumailot اللذين يطلق عليهما اسم

المحررين الكنغوليين الوطنيين، والمدعوم من الصين عن طريق السفارة الصينية فى برازفيل، وبينما كان تشومبى يسعى إلى الحصول على المساعدات من الولايات المتحدة وبلجيكا ويلتقى البعض منها، راح يرجو الحاج السير أبا بكر أن يعيد إرسال المساعدة العسكرية إلى الكنغو مرة ثانية، لكن قيل له، على الرغم من احتمال توفير قوة لواء (**"وإذا ما دعيت نيجيريا من أى مكان، فإننا يتعين علينا أن نكون مستعدين لتقديم يد العون والمساعدة"**)، فإن هذه المسألة يمكن النظر فيها بعد الانتخابات الفيدرالية. ورفضت طلب تشومبى أيضًا كل من أثيوبيا، وليبيريا، والملايو، والسنغال، يزاد على ذلك أن آلية منظمة الوحدة الإفريقية كانت هى الأخرى متعاطفة بشكل عام مع جيزنجا لأنها لم تر خيرًا فى تشومبى. وواصل مؤلفوا الكراريس الدعائية فى شرقى نيجيريا حزنهم على لومومبا.

كانت المحكمة الفيدرالية قد قررت بصورة قاطعة فى اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو أن الحكومة الفيدرالية لم تخرق أى حق من الحقوق القانونية فى الإقليم الشرقى عندما وافقت على أرقام التعداد، ولم تر أى سبب يدعو إلى القول إن ذلك يمكن أن يؤثر على الإقليم الشرقى تأثيرًا معاكسًا، وقالت المحكمة أيضًا إن ذلك ليس من اختصاصها. وجرى فى نهاية المطاف رفض استئناف الرئيس أولوو بصورة قاطعة بعد ذلك بيومين (جرى الترافع فى دعوى أولوو هذه من قبل فى اليوم ١٠-١١ من شهر أبريل بواسطة البريطانى فيكتور ديوراند)، إضافة إلى رفض ثمانية دعاوى أخرى على الرغم من نجاح ثلاثة من المدعين، رفض السير لويس مبانيفو فى حكم الأقلية ادعاء الإصرار على الإطاحة بنظام الحكم، نظرًا لأن الشهود على ذلك الادعاء كانوا غير مؤيدين ومتواطئين. كان الوزير الفيدرالى توس بنسوس، الذى كان لا يزال فى منصب نائب الرئيس الوطنى فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وعلى الرغم من الشكوك التى كانت تدور حوله بسبب تعاطفه مع الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى، نظرًا لأن تدخل أكنتولا فى شئون كل من فاتى كايود وحزب المجلس الوطنى للمواطنين

النيجيريين، كان قد ذكّر الجمهور أن أبا بكر كان قد وعد بالنظر فى قضية أولوو، إذا ما حدث تغيير حقيقى فى الرأى: "كان الرئيس أولوو قد مضى على احتجازه عامان ونسى ما مضى، وحدث بالفعل تغيير الرأى المطلوب، وكانت ملايين النيجيريين يتطلعون إلى استجابة الحاج أبى بكر، الذى يخاف الله ويخشاه، لدعائهم على وجه السرعة، وكان من رأى أبى بكر أن هذا الأمر لا يمكن النظر فيه إلا بعد انتهاء الانتخابات بسلام، لكن الرجل قال فى ذلك الوضع الراهن: على الرغم من أن العفو لم يلغ تمامًا، فإن العفو لا يمكن أن يتحقق بمثل هذه السرعة وبخاصة بعد الحكم الصادر عن المحكمة العليا. وما دام أن الرئيس أولوو بقى فى السجن، فقد جرى دعم المعارضة الفرعية لأكنتولا وتقويتها، لكن رفض الدعوى المقدمة أنهى الآمال التى كان حزب جماعة العمل يعلقها على "معركة يخوضها حتى النهاية" ويستطيع بها إبعاد أكنتولا قبل الانتخابات العامة.

برّأت محكمة ليجوس محاضر جامعة ليدز، الذى تذمر من مسألة حصوله على مساندة طفيفة من المفوضية البريطانية العالية، لكن الرجل أُلقى القبض عليه من جديد فى إيكيجا فى الإقليم الغربى ووجه إليه الاتهام مرة ثانية، إذ اتهم فى هذه المرة "بالتآمر مع بعض الأشخاص غير المعروفين على تنفيذ قصد خطير". حدث تغيير بين القضاة فى ذلك الشهر، فقد خلا منصب قاضى القضاة فى ليجوس، واتضح أن القاضى شارلز أونيما هو المرشح لهذا المنصب. ومع ذلك عمل القاضى مرة ثانية بمشورة الالتزام بمسألة الأقدمية، ولذلك جرت ترقية القاضى جون جستس إيدو Idow كونداد، ومع ذلك كانت هناك وظيفتان أخريان شاغرتان فى المحكمة العليا، ولذلك أعطيت واحدة منهما للقاضى شارلز أونيما، فى حين أعطيت الوظيفة الثانية للقاضى جورج كوكر coker.

بدأت تتزايد الاضطرابات السياسية والقلاقل المدنية فى الإقليم الغربى بعد أن التقى الدكتور ميخائيل أكبارا الرئيس آدجبنرو فى إيبادان، حيث وقّع الاثنان تحالفًا حزبيًا. أعلن أُكبارا أن، "كل من لا يروقه ذلك الذى يدور الآن يجب عليه الانضمام إلينا،

ونحن عندما نتحد فيما بيننا، سنكون قادرين على محاربة أعدائنا بطريقة فاعلة"، وهنا يجب القول: إن انهيار حزب جماعة العمل، وتغيير آراء وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين الفيدراليين واحتمالية استمرار التزام البرلمانيين غير المعروفين الذين يمثلون إقليم الغرب الأوسط، أوضح بما لا يدع مجالاً للشك من سيتحد ضد من. وأبدى أكبارا أيضًا ملاحظة مفادها أن الجدل حول مسألة التعداد سيجرى حسمه خلال العام، وأن "التحالف" بين حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب المؤتمر الشعبى الشمالى على المستوى التنفيذى الفيدرالى كان خطأ كبيرًا وسوف ينتهى مع انتهاء الدورة البرلمانية الحالية، وأن العناصر التقدمية كلها فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل لابد من توحيد قواها. وقد بدا أن ذلك، حتى فى ظل المساندة من جماعات الأقلية، كان لا يشكل تهديدًا لأغلبية رئيس الوزراء البرلمانية التى حصل عليها من خلال صندوق الاقتراع، ورفض أبو بكر الخوف بكل مظاهره. أبعد بنسون نفسه عن الاقتراح الذى تقدم به أكبارا (كما تشتت الرجل أيضًا بفعل نزاعات الخدمة العامة، ذلك الأمر الشائع والمألوف فى الحكومة البريطانية، حول ما إذا كانت وزارة الإعلام هى المسئولة عن الإعلام الخارجى، أم أن هذا الأمر من اختصاصات وزارة الخارجية التى يترأسها واشوكو).

بدءًا من عملية رأب الصدع الفاشلة الناجمة عن الشروخ التى تسبب فيها الإقليم الغربى، والتى تناولناها فى نهاية "الاستطراد" الذى أوردناه فى الفصل الرابع والثلاثين، أصبحت سياسة الرئيس أكنتولا تهدف إلى توحيد شعوب اليوروبا دون أن يكون للرئيس أولوو أى دور فى هذه العملية، ومستغلاً فى ذلك الشكل الضحل من الصداقة أو التشابه الاجتماعى مع السياسيين الشماليين، حتى يكسب لشعبه تلك الشريحة الصغيرة من الفطيرة التى حرموا منها. وبصفة أكنتولا فيدراليًا، وتعدديًا فقد راح أتباع أولوو، أشباه أتباع كرمويل، ينظرون إليه من منطلق خيانته لنقائه الثقافى.

كان آكنتولا لا يزال ينظر إلى الدكتور ميخائيل أكبارا على أنه انتهازى، وراح يلعب أيضًا على مخاوف اليوروبا من السيطرة الإجباوية.

على كل حال، راح آدجبنرو وسط هذا التلاسن السياسى المستمر يشتكى من أن الإقليم الغربى كان "فى حال أسوأ من كل الأحوال التى طرأت عليه من قبل"، وأن رئيس الوزراء يتعين أن تكون له شخصيًا سيطرة على الشرطة بغية المحافظة على الحياه والممتلكات. وراح آدجبنرو مثل حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، يوجه اللوم إلى الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى، الذى زاد الأمور تفاقمًا، فى الوقت الذى راح فيه الوزير الفيدرالى مبادوى، الذى كان لا يزال نائبًا من نواب رئيس حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، يحذر الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى ويطلب منه إنهاء ذلك الإرهاب والتعسف خلال سبعة أيام. جرت أيضًا مظاهرات فى بورت هاركوت، وجرى إيفاد حوالى ثلاثمائة من رجال الشرطة لإخماد تلك المظاهرات. وبدأ المستشار السياسى والعاملون معه ينادون بعقد اجتماع لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى. بعد ذلك كان هناك استنتاج وحيد مفاده أن أحلام أبى بكر عن حكومة وطنية تضم الأحزاب كلها قد تبددت، على الرغم من دعوات الرجل الخاصة وإدراكه أن استقرار الإقليم الغربى يعتمد على حصول حزب جماعة العمل على مكان له تحت الشمس - زعم ذلك الاجتماع أن تحالفًا وطنيًا نيجيريًا سوف يضم كلا من حزب المؤتمر الوطنى الشمالى، والحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى، وحزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط، الذى يضم المارقين من حزب جماعة العمل فى الغرب الأوسط، ويتزعمه كل من أبوستل Apostle إيدوكبولُر Edokpolor وجيمس أوتوبو oto-bo، كما يضم ذلك التحالف أيضًا (وهذا من باب المفاجآت) الحزب الديناميكى الذى يترأسه شايك chike أوبى obi، كما سيضم ذلك التحالف أيضًا الحليف الشمالى القديم المتربع حاليًا على عرش جناح حزب مؤتمر دلتا النيجر الذى أسسه الرئيس هارولد دبَّا Dappa بيرى Birye، وحزب جمهورى بقيادة الدكتور جى أو جى أوكيزاى

okezie، الذى يعــد البقـيـة الباقيــة من حــزب الاسـتقـلال التى لم يرحــب بعـودتهـا بعد الدكـتـور مـيـخـائيل أُكبـارا إلى الوطن ضـمن حـزب المجلس الوطنـى للمـواطنين النيجيريين.

وصف التـحـالف الجـديد نفـسـه بأنه "كمنولث عـرقى" ethnic Commonwealth جديد، وأنه يمـثل الأصـالة orthodoxy الإفريقـيـة التقـليـدية، التى هى شكل من أشكال الاستقرار الذى أعطى كل قبيلة من القبائل المكونة له مكانًا مناسـبًا تحت مظلتـه، ومنع "التـصـرفـات التى تجرى فى الخـفـاء". كـان ذلك التـحـالف الوطنى النـيـجـيـرى يرى، أن الجنوبيين يتعين عليهم الاعتراف بأنه ما دام أن المستشار السياسى الرئيسى سوف يتجـاهل شركـاء الدكـتـور مـيـخـائيل أُكبـارا، وعلـى الرغم من أن حـزب المجلس الوطنى للمواطنين النيـجيريين، سيـجرى اسـتبـداله بالتـحـالف الوطنى النيـجيرى، باعـتبـار هذا التـحـالف تحـالفًا فدراليًا حديثًـا، فـإن التسلسل الهـرمى داخل حزب المؤتمر الشـعبى الشمـالى كان قويًا بما فيه الكفاية، لكنه لم يكن على استعداد لحكم الاتحـاد كله إذا ما تطلب الأمـر ذلك - لكن حـزب المؤتمر الشـعبى الشمـالى كان له أصـدقـاء لم يـحـدث أن عرفوا شيئًا عن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين قديمًا أو عن حزب جماعة العمل باعتباره موطنهم الطبيعى. وسـافـر أوكوتاى - إيبوه Okotie - Eboh إلى نسوكا لزيارة آزكوى الذى بدأ يتمـاثل للشـفـاء، ثم سـافر بـعـد ذلك إلى كـادونا ليقنع نفسـه أن حزب جماعة العمل لن يحظى بمساندة المستشار السياسى الرئيسى مدى الحياة، ولم يقل أى شـىء عن اسـتقـالتـه من حـزب المجلس الوطنى للمـواطنين النيـجـيـريين، الذى "يقضى" الآن، على حد قوله، "عطلة نهاية الأسبوع فى فراش حزب جماعة العمل".

كان أبو بكر فى الخارج طوال القسم الأكبر من شهر يوليو، وهو الوقت الذى كان يجرى فيه تشكيل التحـالف الوطنـى النيجيرى، وكـان الحـاج مـحـمـد ربـاط يقوم بعمل رئيس الوزراء أثناء غيابه. وأُعلن أن نيـجيريا سوف تقـيم علاقـات دبلوماسية مع الصين عندما تتوفر المبالغ والأفراد اللازمون لذلك. كان العالم الخارجى فى ذلك الوقت مشغولاً

بدورة طوكيو الأوليمبية، ومطالبة العقيد القبرصى جريفاس Grivasبالوحدة enosis مع اليونان، واستقلال كل من نياسلند وملاوى مع بقائهما داخل الكمنولث، الاضرابات العرقية فى سنغافورة، وإنهاء إضراب السكر فى جيانا Giana البريطانية، ووفاة ٤٩١ نفساً فى الاضطرابات التى وقعت فى روديسيا الشمالية، والذين قتلوا بأيدى أتباع آليس Alice لينشاينا وكنيستها التى تدعى كنيسة الرومبا Rumpa، كما كان الرأى العام العالمى مشغولاً أيضاً بآخر مرة يظهر فيها تشرشل أمام مجلس العموم البريطانى، وبوعود الاستقلال التى أعطيت لاتحاد جنوب الجزيرة العربية على أن يكون ذلك الاستقلال فى العام ١٩٦٨ الميلادى، وكذلك الوعد الذى قطع لجامبيا (مصحوباً بإبرام معاهدة صداقة مع السنغال) فى شهر فبراير من العام ١٩٦٥ الميلادى. جاء أول ارتباط خارجى رئيسى للحاج السير أبى بكر فى الخارج، بعد زيارته للدكتور آزكوى ليناقش معه "شئون الدولة" فى موطنه فى نسوكا، والتى كان قد مضى شهران على وجود الرئيس فيها، جاء ذلك الارتباط متمثلاً فى مؤتمر رؤساء وزراء الكمنولث فى دار مارلبورو Marlaborough، فى الفترة ما بين ٨ و ١٥ يوليو، والذى لم يدع السير آليك Alec إيان سميث لحضوره. وعندما وصل أبو بكر إلى مقر الاجتماع كرر أبو بكر أن أفكاره كلها مركزة على أن يستمر الكمنولث مُشاركًا فعالاً فى الاستقرار الدولى، وقال أيضًا إن الاجتماع كان لمناقشة "**الموضوعات**"، وليس "**المشكلات**"، وجرى انتقاد الرجل لعدم إلزام نفسه بأن موضوع روديسيا الجنوبية ربما يكون "**أكثر الموضوعات إثارة**" على جدول الأعمال. كان أبو بكر بارزًا طوال انعقاد المؤتمر بحكم نشاطاته الخارجية. كما برز أيضًا بحضوره اجتماع مع ملكة إنجلترا والتوقيع على مقال عن جنوب إفريقيا جرى نشره فى جريدة الديلى سكتش Daily Sketch، وقد ألقى أبو بكر خطابين فى حفلى غداء وخطاب فى حفل عشاء.

يحمل جزء قصير من الكلمة التى ألقاها فى حفل الغداء الذى أقيم له، واللورد بويد Boyed والسيد/ واشوكو، بواسطة الكمنولث الجديد New common weaith فى

فندق الهايد بارك، دلائل على عبارات أبى بكر، ومع ذلك كانت الكلمة التى ألقاها الرجل مترابطة ترابطًا كليًا منطقيًا: صناعات الدول الجديدة بحاجة إلى أسواق تضم بلدانًا عدة، والمنظمات الدولية تطالب بالاقتصاد فى قوتها البشرية المدربة تدريبًا هزيلاً وتطالب بزيادة كفاءة هذه القوة، وقال أيضًا إن التعاون ينبغى أن يكون قاريًا، ومن هنا جاءت منظمة الوحدة الإفريقية، التى جرى التعبير فيها أولاً عن الوحدة كمطلب لرفع مستوى المعيشة ودعم رفاه شعوب إفريقيا كلها:

"العالم فيه اليوم قوتان ـ القوى الكونية، التى تعبر عن نفسها فى الأمم المتحدة ووكالاتها الخاصة بالتعاون، والقوى الإقليمية، التى تجبر الدول فى مختلف المناطق العالمية، والتى تستفيد من الاقتصادات الكبيرة على المستوى القارى لخلق المزيد من الازدهار المادى لشعوبها – الجماعة الاقتصادية الأوروبية، منظمة الدول الأمريكية، ومنظمة الوحدة الإفريقية ..... كان افتقار إفريقيا إلى الترابط وانقساماتها سببًا رئيسيًا من أسباب ضعف إفريقيا فى القرن التاسع عشر. هذه العوامل هى التى أخرت النمو فى وقت بدأت فيه معجزات العلم الحديث والتقانة يحولان الأقاليم الأخرى من العالم.... الدول النامية، باستثناء قلة قليلة منها، لا تشكل وحدات لها كيانها بحق بين الاقتصادات الحديثة... وهذا هو السبب الذى دفع نيجيريا إلى العمل بكل جد وإخلاص من أجل إنشاء منظمة متعددة الجنسيات لكل الدول الإفريقية، وقد تُوِّج هذا العمل بإنشاء منظمة الوحدة الإفريقية فى الاجتماع الذى عقدناه فى أديس أبابا فى العام الماضى.... وقد أنشئت مؤخرًا لجنة تمثل جمهوريات: نيجيريا، والنيجر،

وتشاد لتتولى مسئولية التنسيق فى تنمية الموارد كلها فى حوض تشاد.... ونحن عندما نربط عمليات التنمية الوطنية والإقليمية هذه بالعالم الخارجى الأكبر، تجعلنى أصل إلى استنتاج مفاده أن الكمنولث يستطيع أن يلعب دورًا حيويًا. أولاً عن طريق الوقوف بكل قوته ووزنه خلف كفاحنا من أجل استئصال بقايا الاستعمار من القارة الإفريقية وإلغاء كل أشكال التفرقة العنصرية فورًا وإلى الأبد. ثانيًا، أن يثبت الكمنولث بصورة فاعلة مساندته لمبادئ العدالة والحرية وأسسهما. ثالثًا، عن طريق تقوية المساعدات البينية داخل الكمنولث، حتى نتمكن من تحقيق نتائج أفضل من خلال جهودنا المنسقة التى تهدف إلى القضاء على الفقر والتوترات الناجمة عن التفاوتات الكبيرة فى الثروة. ويجب على الكمنولث أيضًا التعامل مع المشكلات الحالية فى جنوب إفريقيا، كما يتعين على الكمنولث أيضًا مواجهة التحدى القائم حاليًا مع جنوب إفريقيا، من خلال الإيمان بالمثل التى يمثلها، وبدون أن يسمح أو يوافق على اغتصاب الأقلية للسلطة".

جاء الكثير من عبارات هذا الرجل الشخصية منطويًا على شيء من التنبؤ:

"وافق كل من الكمنولث ومنظمة الوحدة الإفريقية على مبدأ المساواة بين الدول الأعضاء... هذه الممارسة موجودة فى منظمة الوحدة الإفريقية إذ يجرى تغيير انعقاد مؤتمر رؤساء الدول والحكومات من دولة إلى أخرى حتى يمكن أن تتاح للدول الأعضاء فرصة القيام بدور المضيف للحكومات. وقد يكون من مصلحة الكمنولث أن يستعير شيئًا مما نفعله فى إفريقيا. أنا

أعتقد بأمانة أن الروابط... ستقوى بدرجة كبيرة، إذا ما انتهجنا نهجًا مماثلاً بعقد اجتماعات دورية في عواصم مختلف دول الكمنولث".

اقتصر أبو بكر في حديثه في المعهد الملكي للشئون الدولية على ليبرالية liberali- zation التجارة العالمية. بعد أن اشتكى أبو بكر من تهديد الأمن على نحو أدى أثناء الحرب الباردة إلى أن تضحي الدول النامية باهتمامها بمسألة تصدير سلعها الاستراتيجية، بسبب اهتمام الغرب باحتواء العالم الشيوعي، فقد أسفر ذلك عن جني الدول الصناعية لمزيد من الثروات وعلى نحو أسرع بكثير عن منتجي المواد الأولية، وقد اشتكى الرجل أيضًا من أنه على الرغم من البرنامج الذي وضعته نيجيريا للتنمية ويتكلف "**ألف مليون جنيه إنجليزي**" فإن معدل النمو في نيجيريا لم يستطع سد الفجوة الحالية أو الإبقاء عليها، واختتم الرجل حديثه: "**ونحن بقدر ترحيبنا بالمساعدة.....فإن الاعتماد على النفس هو أساس السعادة... هذا يعني أن المساعدات يجب النظر إليها باعتبارها ظاهرة مؤقتة**". في حفل عشاء العمل الذي أقامته الرابطة البريطانية – النيجيرية، خاطب أبو بكر رئيس الرابطة، السير جيمس روبرتسون، أنه في الوقت الذي كان يأخذ فيه كل متاعبه قبل الاستقلال، إلى الحاكم العام، فإن كل وزراء أبي بكر في الوقت الحالي يأتون إليه بمشكلاتهم – "**لكنهم يهربون!**" تاركين له تحمل مسئولية هذه المشكلات. وهنا بدأ يضحك، فاني – كايود، وهو الوزير الوحيد الذي كان حاضراً ذلك الحفل، والمعروف أن فاني – كايود من الإقليم الغربي. وأوفد الحاج السير أبو بكر زنّا zanna بوكار دبشاريما، ممثلاً له في الحفل الراقص الذي أقامه حزب المؤتمر الشعبي الشمالي للطلاب، في حين أنكر وزير التجارة والصناعة أن هناك مشكلة أقلية في الإقليم الشمالي، أو أن الحزب لم يكن حركيًا dynamic في سياسته الخارجية – أو على حد قول أبي بكر، "ما مغزى علوّ الصوت في أمور لا تعني صاحب ذلك الصوت العالي؟".

كان الدكتور نيكروما قد نشر جدليته المعنونة **مسئولية بريطانيا فى روديسيا الجنوبية**. كان البيان الختامى الصادر عن مؤتمر الكمنولث قد أعلن أن روديسيا الجنوبية سوف تحصل على السيادة الكاملة عندما تصبح مؤسساتها الحكومية على درجة عالية من الكفاية. أكد السير أليك دوجلاس هوم على الملأ أن حكومة روديسيا الجنوبية تعد مسئولة دستوريًا عن الشئون الداخلية فى تلك المنطقة، لكن مسألة منح الاستقلال لهذه المنطقة تعد من الناحية الدستورية قرارًا يختص به البرلمان البريطانى وحده. وقد ذكَّر الحاج السير أبو بكر المتسائلين عن الحاجة إلى تجهيز مناسب، "**حتى لا يكون الأمر صعبًا على أصحاب الأغلبية عندما يتولون زمام الحكم**". لكن على الرغم من أن ذلك كان معتقده الخاص، ونظرًا لأنه لم يكن يود التخفيف من الأغلال، فقد راح الرجل يعمل على تحريض الكثيرين من الأفارقة. ومع ذلك، كان أبو بكر يرى أن المشكلات والمصاعب العملية التى تواجه حكومة صاحبة الجلالة فى مسألة عقد مؤتمر دستورى موسع لا تتفق مع رغبة الإدارة التى كانت تتمتع بالحكم الذاتى الداخلى منذ زمن طويل ورأت نفسها على أنها ند لمناطق السيادة البيضاء فى وقت الحرب، لكن الرجل كان يرى أن إيان سميث سوف يقف على أهمية ذلك أيضًا، لأنه سيكون فى مصلحته. استمر دوجلاس هوم فى توجيه دعواته إلى إيان سميث للحضور إلى لندن لإجراء بعض المحادثات.

أوجز أبو بكر فيما بعد المؤتمر الذى عقده رئيس الوزراء فى حديث إذاعى. قال إن هذا المؤتمر عُقد فى ظل انتخابات بريطانية عامة وشيكة، والتهديد بإعلان الاستقلال من جانب واحد من قبل حكومة أقلية بيضاء فى روديسيا الجنوبية، وأيضًا فى ظل ازدياد سوء العلاقات بين ماليزيا وأندونيسيا، وفى ظل المشكلة القبرصية أيضًا. ومع ذلك، لم يكن الجو العام وديًا بأكثر مما كان عليه، وجرى تبادل الآراء بصراحة كاملة. "**نحن الأفارقة رؤساء وزراء الكمنولث لم نخف استياءنا من توجُّهات الأحداث فى روديسيا الجنوبية. كان رؤساء الوزراء الآخرون يساعدوننا بأن راحوا يحثون الحكومة البريطانية**

على اتخاذ الإجراءات المناسبة لضمان سيادة الديموقراطية والعدالة الطبيعية فى روديسيا الجنوبية. طالبنا بإطلاق سراح الوطنيين الموجودين حاليًا فى السجون رهن الاحتجاز، وأوصينا بعقد مؤتمر دستورى بأسرع ما يمكن، وطالبنا أيضًا بحتمية حضور الزعماء الوطنيين ذلك المؤتمر والمشاركة مشاركة كاملة فى أعماله على أساس من المساواة. ونحن نأمل أن تأخذ حكومة الأقلية البيضاء بعين اعتبارها الآراء القوية التى عبرنا عنها فى هذا الصدد، وأن تتخلى عن تهديدها المتهور بإعلان الاستقلال من جانب واحد" . لم يدن المؤتمر سياسة الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا، وإنكار البرتغال حق تقرير المصير على شعبى أنجولا وموزمبيق. **"على الرغم من عدم اتفاقنا جميعًا على فرض عقوبات اقتصادية، وأنا آمل أن تؤدى إدانتنا الجماعية لهذين البلدين فى لندن، إلى إجبار هذين البلدين على تعديل أساليبهما قبل أن يفلت الأمر من أيدينا"** .

قال إن مقتبل الأيام التى تنتظر الكمنولث لا يرجح لها أن تكون سهلة، والسبب فى ذلك أن زيادة عدد الأعضاء، قد يؤدى إلى نشوء بعض المشكلات الجديدة المحيرة. وإذا ما عدنا إلى حديث أبى بكر فى المعهد الملكى للشئون الدولية نجد الرجل يقول: **"لكن الإنجاز الأكبر تمثل فى إدراك الخطر الذى يتهدد السلام العالمى، وأن ذلك الخطر ناجم عن اتساع الهوة فى الدول النامية والدول المتقدمة. كما اتفقنا على أن الكمنولث يستطيع وبطريقة متواضعة أن يكون قدوة لبقية العالم فى المجال الاقتصادى"** . كان هناك إقرار عام بالحاجة إلى تقديم المزيد من المساعدات، وبشروط ميسرة، وبصورة مستمرة وأن الدول النامية لابد أن تتمتع بقدر أكبر من الحرية فى دخول منتجاتها إلى أسواق الدول المتقدمة. ويتعين على الكمنولث أيضًا مساندة لوائح الأونكتاد(*) UNC-TAD. ووقع رؤساء وزراء الكمنولث إعلانًا عن المساواة العرقية وإنشاء سكرتارية

(*) الأونكتاد: هو "مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بالتجارة والتنمية". ومقره جنيف (المترجم).

للكمنولث، على أن تظل تلك السكرتارية تحت الاختبار فترة من الزمن. ونظر رؤساء وزراء الكمنولث أيضًا فى أهمية الصين لجنوب شرق آسيا، وأقروا بحتمية الاعتراف بوجود الصين كما **"أعدنا التأكيد على رأينا الذى يحتم انضمام الصين إلى الأمم المتحدة"**.

طار أبو بكر مباشرة من لندن إلى القاهرة لحضور اجتماع القمة الثانى لمنظمة الوحدة الإفريقية فى الفترة من ١٧ إلى ٢١ يوليو، والذى مُنِع كل من كازافوبو وتشومبى منعًا باتًا (لم يكن هناك إجماع على هذه المسألة) من حضوره على الرغم من التزام منظمة الوحدة الإفريقية المعلن بالنظم والحدود القائمة. وجرى اقتياد أبى بكر إلى أستوديو تليفزيونى كبير، راح منه يعبر عن استخفافه من جديد بمطالبة نيكروما من جديد بحكومة اتحاد قارى على الفور أو فى غضون ستة أشهر، وأن هذه الوحدة أو الاتحاد قد يأتى فى يوم الأيام، لكن قد لا يكون الوقت الحالى مناسبًا لذلك: **"بدلاً من تضييع وقتنا فى الحديث عن ذلك الاتحاد، يتعين علينا القيام بأمور أخرى أكثر أهمية"**.
كل ما يمكن انتظاره هو إعلان لندن الخاص بروديسيا الجنوبية، ولذلك آثر أبو بكر الانتظار لتبين ذلك الذى يقوله الآخرون، بدلاً من التنبؤ بتأثير ذلك على المناقشات داخل منظمة الوحدة الإفريقية. أعلن إيان سميث من روديسيا الجنوبية أنه لا ينتوى الدعوة إلى عقد مؤتمر دستورى، وقد أدى ذلك إلى تقوية المواقف الإفريقية، التى حدت بإيان سميث إلى المضى قدمًا فى الاختفاء فى معسكره الذى تحميه العربات على طريقة المعسكرات فى جنوب إفريقيا، مضيعًا بذلك وعيه وفهمه لما قاله أبو بكر.

تطرق أبو بكر فى الحديث الذى ألقاه فى القاهرة إلى المفاتيح الرئيسية، وأثبت ذلك الخطاب أيضًا أن أبا بكر لم يعد بعد استعماريًا جديدًا أكثر من منافسيه. رحب أبو بكر بكينيا وملاوى بصفتهما عضوين جديدين، كما رحب أيضًا بتوحيد كل من تنجانيقا وزنزبار، كما رحب الرجل أيضًا بألبرت Albert ماجارى عندما حل محل أخيه الذى وافته المنية (وتعجب مارجاى من أنه بعد إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية، فإن

أعضاء هذه المنظمة لا يزالون يحتفظون ويعولون كثيراً على الاحتفاظ بسفاراتهم الكبيرة)، وتطلع أبو بكر أيضًا إلى تحويل لجنة القانونيين إلى اللجنة المتخصصة السادسة من لجان منظمة الوحدة الإفريقية. وأشار أبو بكر "**إلى الزعماء الوطنيين الشجعان فى روديسيا الجنوبية، التى يقف المستوطنون فيها موقف التحدى بفعل الخوف والجشع**"، **وأردف قائلاً: "أنا سعيد لأن حكومة هولدن روبرتو المؤقتة فى المنفى تحظى الآن بالأغلبية التى تستحقها. هذا يعنى أن الصراع فى أنجولا قد دخل الآن مرحلة جديدة... لقد أثبتنا قدرتنا على التأثير فى الأحداث فى مختلف المحافل العالمية بفضل هذه الدرجة العالية من الإجماع التى نحن عليها حاليًا.... لقد أصبح جنوب إفريقيا هو والبرتغال بمثابة الغنمة السوداء(*) فى المجتمع الدولى**". وعندما أشار أبو بكر إلى لجنة التسعة التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية (لجنة التحرير الوطنى التى تضم كلاً من الجزائر، والكنغو برازافيل، والمغرب، ونيجيريا، والسنغال، وتنجانيقا ونزبار، وأوغنده، والجمهورية العربية المتحدة، والتى كانت تجتمع بصورة مستمرة فى دار السلام لكنها لم تكن تحظى بالتمويل الكافى، والتى كانت تتهم من قبل نيكروما ومختلف حركات التحرر الإفريقى)، واصل كلامه قائلاً: "**آمل مخلصًا أن تعاونا الدول الإفريقية كلها فى الإسراع بتحرير الأراضى المتبقية عن طريق جعل صندوق المساهمات الخاص الذى أنشأتموه لهذا الغرض يقدم أقصى المساعدات المالية والعملية لمختلف حركات التحرر الإفريقى. المؤسف أن نلاحظ أن بعض الدول الأعضاء لم تدفع المساهمات المفروضة عليها**".

تكلم أبو بكر أيضًا عن إلغاء الحواجز الجمركية، وإنهاء الاضطرابات العسكرية والمدنية الناجمة عن النزاع على الحدود، كما تحدث الرجل أيضًا عن حوادث الحدود التى تحتم وجود آلية تحكيم قبل أن تصل إلى نهايات خطرة: "**منظمتنا هذه لن تكتب**

(*) المقصود هنا "الشذوذ عن المجموعة والخروج عليها". (المترجم).

لها الحياة إذا اقتصرت لقاءاتنا على تبادل المجاملات والأقوال المبتذلة الخالية من التجديد، ثم نعود إلى بلادنا ومعنا شكاوانا الدفينة وأحلامنا بالشكل الذى نتمنى أن تكون عليه هذه المنظمة.... يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا، عن طريق حل التجمعات والكتل فيما بيننا وتذويبها. لقد جئنا إلى هنا على أساس من الوحدة والأخوة، يجب ألا يكون للمطامح الشخصية، أو الوطنية أو العرقية مكان بيننا". كان الرئيس جوليوس نيريرى، رئيس تنجانيقا، هو الذى تزعم الهجوم الشخصى على نيكروما، كما رفض المؤتمر أيضًا المقترحات الغانية كلها، كما وافق المؤتمر أيضًا على طلب فولتا العليا وساطة المؤتمر فى ترسيمها لحدودها مع غانا والتى كان يجرى انتهاكها من قبل غانا تحت مزاعم مختلفة، كما أقر المؤتمر أيضًا مشروع البرتوكول الخاص بلجنة الوساطة، والمصالحة، والتحكيم، وأقر المؤتمر أيضًا فرض المساهمات الإجبارية لصالح لجنة التسعة، ووافق المؤتمر أيضًا على أن تعمل المجموعة الإفريقية فى الأمم المتحدة طبقًا للجنة السبعة والسبعين المنبثقة على مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بالتجارة والتنمية، ووافق المؤتمر أيضًا على أن تكون أديس أبابا مقرًا دائمًا لمنظمة الوحدة الإفريقية، ووافق المؤتمر أيضًا على تعيين ديالو تيللى، رئيس غينيا، أمينًا إداريًا عامًا للمنظمة. ولما كان ممثلوا أربعة وثلاثين دولة يتطلعون إلى عضوية مستقبلية تصل إلى حوالى خمسين عضوًا، فقد ترددت بعض الشكوك حول ما إذا كانت المنظمة عند هذه المرحلة قد أصبحت أقرب إلى الحكومة القارية العليا منها إلى إبقائها ناديًا محترمًا تساعد فيه الدول الجديدة بعضها البعض فى تفهم المراحل الأولى من حياة الدولة وتوسيعها. أثر ذلك الشك على منصب الأمين العام، الذى استطاع أن يخلق لنفسه دورًا سياسيًا شبيهًا بدور الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، الذى يمكنه اتخاذ الإجراءات لمواجهة الأزمات الكبيرة من تلقاء نفسه، أو قد يؤثر البساطة، على الرغم من كونه أمينًا إداريًا بارزًا فى حلقة دراسية بحثية مستديمة. وقد عرَّجنا على مشكلة ديالو تيللى مثلما ذكرنا فى نهاية الفصل الثالث والثلاثين.

عندما عاد أبو بكر إلى ليجوس قادمًا من منظمة الوحدة الإفريقية، علَّق الرجل فى حديث إذاعى على بعض مما جرى فى المؤتمر الخاص بالكمنولث، ووصف الرجل برتوكول التحكيم بأنه **"علامة مميزة أخرى على طريق تقدمنا نحو الوحدة الإفريقية"**، ووعد، **"سوف نواصل تقديم المساعدات فى حدود مواردنا إلى الدول الإفريقية الشقيقة التى تطلب منا المساعدة"**، أو التى كانت تحت الحكم الأجنبى. كان هناك إجماع على أنه قبل أن تخطو منظمة الوحدة الإفريقية أية خطوة، يتحتم على اللجان المتخصصة دراسة أسس "حكومة اتحاد إفريقيا" و "قيادة إفريقية عليا"، لكن إذا ما سلمنا **"بالظروف السائدة فى بلدنا اليوم، فإن نيجيريا لن تسلم عن طيب خاطر سيادتها إلى حكومة اتحاد. الوحدة يمكن تحقيقها فقط على مراحل من خلال التعاون الحقيقى، وبخاصة فى المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية"**. كان أبو بكر فى ذلك، يفكر فى تجربته الداخلية الخاصة، وكذَّب الشائعة التى مفادها أن نيجيريا بصورة أو أخرى قد خسرت معركة من معارك الأولوية فى القرار فى اجتماع الرؤساء الخاص بتحديد مقر منظمة الوحدة الإفريقية، وتعيين تنفيذى رئيسى غينى فى إثيوبيا.

بدأ يظهر فى أواخر فصل الصيف عجز تشومبى عن استعادة النظام إلى جمهورية الكنغو الديمقراطية. قام جيش تحرير الكنغو المتمرد منطلقًا من كل من برازافيل وبوروندى، وبرئاسة كل من بيير ميوليل، وكريستوف جبنى، وبدعم مادى من الصين بالاستيلاء على ستانلفيل Stanleyville، وأخذ حوالى ٥٠٠ أوروبى رهائن، وأعلن قيام جمهورية شعبية مستقلة فى اليوم الخامس من شهر سبتمبر، وأصبح كريستوف جبنى رئيسًا لتلك الجمهورية، وتأسيسًا على ذلك، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال أربع طائرات نقل ثقيلة طراز سى: ١٣٠ ومعها ثلاث طائرات عمودية إلى ليوبولدفيل، وأعلنت قبل ذلك أنها سوف تقدم مساعدة مباشرة للحكومة المركزية فى المنطقة الشرقية، وقد تسبب ذلك فى احتجاج كل من روسيا والصين. بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع، وفى تحرك منفرد، وذلك من باب الرد على الرفض الإفريقى

لتدعيمات القوات المعارة، قامت حكومة تشومبى التى كانت لا تزال مسيطرة على الجزء الغربى من البلاد، بجلب المقاتلين المرتزقة البيض من أوروبا، ومن الولايات المتحدة الأمريكية، ومن جنوب إفريقيا، وروديسيا الجنوبية، وأعادت الاستيلاء على بوكافو Bu-kavu فى منطقة كيفو kivu، كما استولت أيضًا على كل من ألبرت فيل، وقاعدة كامينا فى شمال كاتانجا. وفى مقابلة مشتركة عارضة فى مطار ليجوس سُئل المستشار السياسى الرئيسى عن رأيه فى هذه الأحداث، تدخل رئيس الوزراء، من باب تأكيد سلطته: "**هذا أمر يخص الحكومة الفيدرالية - وأنا أعترض على هذا السؤال ولا أود لحكام الأقاليم الحديث عن هذا الموضوع**".

وقعت أيضًا أحداث أجنبية أخرى حظيت باهتمام الحكومة الفيدرالية. أدخلت سيراليون أول عملة عشرية فى غرب إفريقيا (اللّيون، الذى يساوى عشر شلنات)، قامت الطائرات التركية بقصف القبارصة اليونانيين بالقنابل، مهاجمة بذلك شمال غربى قبرص، فى روديسيا الشمالية استسلمت النبيّة prophtess آليس Alice لينشاينا Len-shina وسط سلسلة من الأحداث الجديدة، عاد ولنسكى welenesky من تقاعده بناء على دعوة وجهت إليه من مؤتمر الكمنولث، وقام بتأسيس الحزب الروديسى، الذى حدد هدفه بالحصول على الاستقلال داخل الكمنولث، ومن خلال المفاوضات المناسبة، حظرت حكومة إيان سميث الحركات الوطنية كلها بما فى ذلك حركة "مجلس الرعاية الشعبى" وحركة الاتحاد الشعبى الإفريقى الزمبابوى، حصلت فيتنام الجنوبية على دستور جديد، لكن عقب ذلك، حلت حكومة الجنرالات الثلاثة، محل المجلس الثورى العسكرى، لكن سرعان ما جرى حل هذه الحكومة أيضًا، وجرى إنزال قوات العصابات الأندونيسية على الأرض، لكن أُلقى القبض عليها فى الملايو، تشكلت حكومة جديدة فى الصومال، ناقش مكاريوس مع جمال عبد الناصر فى مصر، مسألة إمكانية نزع سلاح قبرص.

قبل أن يستعد أبو بكر للنضال الداخلى المعتاد، كان قد وفَّر الوقت المطلوب للقانه الأخير فى شهر يوليو مع السيدة إيزوبل سلاتر، صاحبة السلوك المفرط فى إيثار الغير، والتى شجعها أبو بكر فى محاولاتها لإدخال الرفق بالحيوان إلى مناهج المدارس النيجيرية (وفى مناهج دول أفريقية أخرى)، ناهيك عن أنه ترجم لها الآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع. تجلت أيضًا شاعرية أبى بكر فى رسالة وجهها إلى اجتما ع مشترك عقدته كل من منظمة اليونسكو واللجنة الاقتصادية الإفريقية، وقد انعقد هذا الاجتما ع لدراسة تنظيم البحث والتدريب فيما يتعلق بدراسة، والمحافظة على استغلال الموارد الطبيعية فى سائر أنحاء إفريقيا. جاء خطاب أبى بكر كما لو كان قصيدة من قصائد الأدب الغربى التى تتناول وصف الطبيعة قبل دخول وقت غروب الشمس، فى هذا الخطاب هناك إشارة إلى الامتنا ع عن جعل الأسود والحملان يهجعون فى مكان واحد.

> **"الدنيا كلها تعرف أن إفريقيا غنية بالموارد. الشمس التى تشرق علينا مصدر رئيسى من مصادر الطاقة وبحاجة إلى استغلاله استغلالاً كاملاً. الماء الذى يملأ أنهارنا ومحيطاتنا مصدر آخر وبحاجة إلى الاستغلال أيضًا. الأرض التى تحت أرجلنا بخاماتها، ومعادنها، وفحمها وماسها، وكذلك اليورانيوم والثوريم، عبارة عن كنز يحتاج إلى الكشف عنه. غاباتنا، أخشابنا، مزارعنا، وإنتاجنا الزارعى، أغنامنا وماشيتنا، طيورنا واسماكنا يمكن أن تعطينا البروتين الذى نعانى فيه نقصًا حادًا.... الدول الإفريقية لم تواجه مطلقًا، فى أى وقت من الأوقات، تحديًا مرعبًا ومخيفًا مثلما يحدث فى هذه الأيام. ونحن إذا ما استطعنا عن طريق المحاولات المشتركة حل هذه المشكلة، سيصبح المستقبل**

أكثر وردية من ذى قبل. تحدى التمييز العنصرى لن يسبب لنا قلقًا بعد اليوم. لن يكون للصخب والاضطراب الناتج عن التفرقة العنصرية فى مدارسنا وفى عمالتنا أى معنى بعد اليوم. وسبب ذلك كله يتركز فى الخوف من الهيمنة الاقتصادية والهيمنة الطبيعية أيضًا.

نحن نود إيقاظ الدول الإفريقية كيما تواجه التحدى التكانولوجى. عملية الإيقاظ هذه يتعين أن تكون ملحة ومستمرة، وإلا قد ينام بعض الناس مرة ثانية ويضيع كل شيء» ... يتحتم أن تكون لدينا قوة بشرية ليست عالية المستوى فحسب.... الطيف العلمى بكامله، هو النظام التكانولوجى يجب الإفادة منه حتى يمكننا مسح موارد أمتنا، ومعالجتها، واستغلالها والمحافظة عليها. نحن بحاجة إلى إطعام دولنا وإسكانها. نريد أن نكسو دولنا، ونرعاها فى صحتها وفى مرضها. نود ونرغب فى التواصل مع جيراننا ومع بقية العالم، نود غزو الفضاء، ونتحرك على محور مختلف تمامًا عما فعلناه من قبل، سواء أكان ذلك بحرًا، أم برًا أو جوًا. نريد أن نبنى بيوتًا كانوزًا من المعرفة فى الجامعات، وأن نشارك بحصتنا فى الموروث العلمى العالمى والمعرفة الفنية، حتى يمكننا المضى قدمًا مع بقية العالم فى سلام، وأخوة ووئام. لن تصبح لإفريقيا كينونتها فى المجتمع الدولى إلا بعد أن تتعلم السيطرة - طلبًا لأهداف تنميتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية - على مواردها البشرية والمادية".

رحب أبو بكر بالسفير الروسى الجديد ترحيبًا ينطوى على شىء قليل من المقارنة. فقد أثنى أبو بكر بطريقة مؤدبة على إسهامات اتحاد الجمهوريات السوفيتية

الاشتراكية فى السلم العالمى، مؤكداً على أن الدول الكبرى يتعين عليها المحافظة على السلم، إن أرادت للدول الجديدة النجاح فى تنميتها وتطورها. "أود من روسيا أن تفهم أن هناك الملايين من سكان العالم لا يطيقون الدخول فى الحرب - اللهم باستثناء روسيا، والصين، والولايات المتحدة الأمريكية التى تستطيع وحدها تحمل ترف الحرب". كان من الواضح عندئذ أن بريطانيا تهمة بسبب مسألة روديسيا الجنوبية. كان السير أليك دوجلاس هوم قد التقى إيان سميث وأوضح له تماماً أن مسألة وجود مجلس رؤساء لا يعد بأى حال من الأحوال ممثلاً للسكان الجنوبيين السود الروديسيين، وحاول دوجلاس هوم من خلال المناقشات والضغط الديبلوماسى، أن يوضح لإيان سميث أن الدليل الحقيقى على رغبة الأفارقة فى الاستقلال الكامل كان بمثابة أمله الوحيد. ومع ذلك، كان البرلمان البريطانى على وشك إنهاء مدته القانونية، وراح دنكان سانديز، صاحب السجل السياسى الكالح (على الرغم من أهميته الخاصة) يحصى ما عمله خلال عامين، والذى تفوق على ما قام به كل من ماكلويد، أو مودلنج، وبخاصة فيما يتعلق بترؤسه لاتفاقيات استغلال باسوتولند، وجامبيا، وجاميكا، وكينيا، والملايو، ومالطة، ويورنيو الشمالية، وروديسيا الشمالية، ونياسلند، وسدرواك، وسيراليون، وسنغافوره، وترينداد، وتوباجو، وأوغنده، وزنزبار. وبغض النظر عن نتيجة الانتخابات البريطانية (كان حزب دوجلاس هوم قد تعافى من وهن العزيمة الذى نجم عن إعادة تشكيل وزارة ماكميلان، والنزاع على القيادة الذى أعقب استقالة ماكميلان)، فقد تأكد أيضاً انفصال كل من البربادوس، وبتشوانالند Bechuanaland، واتحاد جنوب الجزيرة العربية، وسوزيلند. وهنا يمكن القول إن نيجيريا ربما بدأت تركز من جديد أكثر على أولوياتها الخارجية.

تمثلت الحقيقة الداخلية المخيفة، التى كانت تواجه رئيس وزراء فيدرالى يعتمد فى استقرار أوضاع البلاد، على إرادة رؤساء الوزراء الإقليميين فى قمع الحماقات، فى

الإقليم الشرقى، الذى تزايدت فيه جرأة رجال العصابات والفتوات، وعدم تنازل زعماء الحزب عن رفضهم لأرقام التعداد فى الأقاليم الأخرى، وفى الإقليم الغربى تزايد العنف على نحو جعل السياسيين يتطلعون إلى حماية الشرطة، وراح الرؤساء obas ينادون باستخدام سلطات الطوارئ لمواجهة الإرهابيين، وفى الشمال تواصلت الاحتجاجات مما أسفر عن إلقاء القبض على المئات ووفاة العشرات، وفى ليجوس والجنوب الحضرى راحت نقابات العمال تجاهر بنجاحها، وشكًا من هذه النقابات فى أن الحكومة كانت تشجع المستخدمين على رفض المطالب الخاصة بالأجور، راحت مرة أخرى تهدد بالقيام بإضراب آخر ينظمه عمال القطاع الخاص للمطالبة بالتنفيذ العاجل للتسوية التى اقترحها أوكوتاى - إيبوه Okotie Eboh فى بلدة مورجان، و (مع وقوف الدكتور تونجى أوتجبى زعيم حزب الفلاحين والعمال الاشتراكى حاولت النقابات العمالية للمرة الثالثة تشكيل حزب عملى أيدولوجى بزعامة إيمودو Imoudu، وجرى رفع الرسوم الجمركية على قيمة الفاتورة من ٢٠٪ إلى -٣٣٪ حتى يمكن الوفاء بالأجور الحكومية المرتفعة، وبدأت مختلف الصحف الحكومية تتبادل المهاترات المتبادلة المدمرة، وبعد أن تماثل الرئيس للشفاء بعد أربعة أشهر، تحتم عليه إنكار تواطئه مع تحالف حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل، من منطلق دافع خفى مفاده أن يصبح رئيسًا تنفيذيًا بعد إجراء الانتخابات.

الخطاب الذى ألقاه بنسون أمام اجتماع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، فى منتصف شهر أغسطس له أهمية كبيرة فى مثل هذه الظروف. قال بنسون إن فرص تولى حزب واحد قيادة الحكومة الفيدرالية، كانت ضئيلة جدًا، ومن الحماقة بمكان افتراض أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين هو وحلفاءه يمكن أن يفوزوا بعدد كاف من المقاعد فى الشمال، فى مواجهة الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى فى الغرب، الأمر الذى يمكن الحزب من تشكيل تحالف إدارى

جنوبى صرف مع البقية الباقية من حزب جماعة العمل، قال بنسون أيضًا ومن الحماقة بمكان افتراض أن حزب التحالف الوطنى النيجيرى، فى حال فوزه بعدد كاف من المقاعد فى الجنوب يمكنه من الحصول على الأغلبية الفيدرالية، لن يكون بحاجة إلى تعزية المتعاطفين مع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى الشرق والغرب الأوسط أو مواساتهم، عن طريق منحهم شيئًا من السلطة حتى يظل الاتحاد الفيدرالى بلا مساس. وقال بنسون أيضًا إن الحكومة الوطنية، التى تستطيع الإعراب عن مساندتها لمصالحها الإقليمية، يمكن لها أيضًا مراجعة الدستور، مع الحرص على حقوق الأقلية، وعن طريق إعطاء المزيد من سلطة إصدار القرارات فى مسألة الاستفتاءات الخاصة بإنشاء الولايات الجديدة وسلطة أقل للنسب المحسوبة من أصوات المجلس التشريعى.

لم يشرح بنسون صدور زعماء حزبه بذلك الكلام الفطن، نظرًا لأن الرجل كان من الشخصيات العامة قليلة الوزن مما أثر على قدرته كمفكر سياسى. كان تحالف الجنوب أكثر انشراحًا عندما بلغه ذلك الجدل اليائس التهكمى الذى مفاده أن العلم (الراية) الواحد والنشيد الوطنى الواحد وكذلك اسم البلد نفسه لا يخفى وراءه وحدة وطنية، وأن العدو الخارجى المشترك (مثلما كان الاستعمار فى يوم من الأيام) هو الذى أدى إلى وجود الوئام والانسجام الداخلى. وهنا نجد أن بنسون كان انعكاسًا لأبى بكر عندما قال: "**المنظومة متعددة الأحزاب... تصلح لنا. نحن لا نريد قتل الأحزاب الصغيرة. قد نسمح لها بالموت من تلقاء نفسها، أو بالاندماج....**". أسقط رئيس الوزراء الإشارة إلى هذا الموضوع، فى الوقت الذى أعلن فيه أن اللجنة الانتخابية الوطنية هى والمراجعة المالية التى يقوم بها بنز Binns يتعين عليهما الانتهاء من أعمالهما وتفتحان الطريق إلى الإعلان عن الانتخابات، التى ظن الكثيرون أنها لا يمكن أن تجرى على وجه السرعة أو بعد حملة قصيرة جدًا. وهنا نجد أن نقابات العمال التى

يرأسها ميخائيل إيمودو Imoudu راحت توصى بمقاطعة الانتخابات (هذا يعنى أن حزب مؤتمر العمل المتحد الذى يتزعمه هارون آديبولا Adebola هو واللجنة الوطنية للنقابات العمالية لن تكون لهما صلات من أى نوع مع حزب عمالى ينافس حزب الفلاحين والعمال الاشتراكى).

كان التحالف الجنوبى لا يزال يتطور بتوجيه من اللجنة التى كان يرأسها كل من الدكتور أُكبارا، وآدجبنرو، وتاركا، وأمين كانو (الذى أعيد تسمية حزبه "اتحاد العناصر الشمالية التقدمى" ليصبح "اتحاد العناصر التقدمية النيجيرى"). راح الدكتور أُكبارا يعمل على تقوية الروابط الضعيفة عن طريق وعد قطعه على نفسه أمام حرم الرئيس آولوو، مفاده أن التحالف سوف يطلق سراح زوجها، لكن أُكبارا كان يقلل فى الوقت نفسه من شأن سلطات المستشار السياسى الرئيسى، مستهدفًا بذلك إغراء الناخبين اليوروباويين بالمشاركة فى السلطة الفيدرالية إذا ما عاد الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى مع حزب المؤتمر الشعبى الشمالى إلى ليجوس، ومثبطًا من ناحية أخرى همة أحزاب المعارضة فى الشمال، مستخدمًا فى ذلك البهرجة نفسها التى استخدمها حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين. الخطأ الآخر الذى وقع فيه الدكتور أكبارا تمثل فى اعتقاد الرجل أن الاقتراعات السرية يمكن أن تجعل جماهير الشمال تتنكّر لمنظوماتها التقليدية، بكل نقائصها، لمصلحة التغيير المصطبغ بالصبغة الجنوبية، من هنا جاء القبول الساذج من قبل رئيس حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد، الرئيس العام لحزب اتحاد العناصر التقدمية النيجيرى، للوعود التى مفادها أنهم سيعطونه حوالى أربعين مقعداً. يزاد على ذلك، أن التحالف لم يكن أمامه هدف مشترك يتطلع إليه سوى الفوز فى الانتخابات الفيدرالية العامة، وهذا هو السبب وراء عدم دخول حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى البرلمان الفيدرالى إلى المعارضة الرسمية قبل أن يحل نفسه.

أُعلن رسميًا فى اليوم الأول من شهر سبتمبر من العام ١٩٦٤ الميلادى أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وحزب جماعة العمل، وحزب الجبهة الشمالية التقدمى، ومن باب مساندة "الحق الإنسانى"، جرت "تسميتها كلها"، باسم "التحالف المتحد التقدمى العظيم". راح ذلك التحالف الوطنى اسمًا يبحث وينشد مبرراته الفكرية فى اللغة الأيدولوجية، وراح أيضًا يتحدث عن "الاشتراكية البراجماتية". بهتت أيضًا راديكالية هذا التحالف على الصعيد العملى، لا بسبب جمع مكونه حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، بين الضدين، وإنما أيضًا بسبب حماس البقية الباقية من حزب جماعة العمل إلى إنشاء ولايات جديدة، وكان أتباع ذلك التحالف ينظرون إلى التفسيرات الأخلاقية فى لغة هذا التحالف على أنها نوع من الكركرة الانتخابية، ولذلك راح أولئك الناخبون يدلون بأصواتهم للشخصيات التى كانوا يعرفونها منذ قديم الزمان.

الفصل الثاني والأربعون

انتخابات "المناصفة" العامة: سرطان آخر لا لزوم له

إذا كان الرقص قادمًا إلى مدخل القصر، فما الداعي لاختلاس الرؤية من فوق الجدار(*)

اعتُبِرت الأشهر الأخيرة من العام ١٩٦٤ الميلادى حملة انتخابات عامة مطولة، وبخاصة عندما اتخذ التحالفان وضع القتال. المحزن أن الجنوبيين راحوا يشيرون إلى التحالف الوطنى النيجيرى باسم "الهوساويين"، فى حين رح الشماليون يشيرون إلى التحالف المتحد التقدمى العظيم باسم "الإيبوويين"، Su Ibo(**). وازداد تبادل الضغائن من خلال الصحافة، بذاءة على بذاءته. ويجدر بنا هنا أولاً أن نسجل حادثًا سعيدًا واحدًا للحاج السير أبى بكر تافاوا باليوا، وأن نسجل أيضًا فى مقتطف أو مقطوعة واحدة الأحداث الأجنبية المهمة التى لم يلاحظها، باستثناء أبى بكر والدكتور واشوكو، سوى قلة قليلة من الزعماء.

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. ومعناه "لماذا يتجشم المرء المتاعب للحصول على ذلك الذى سيأتيه بطريقة حتمية؟" وهو قريب جداً من المثل الإنجليزى القديم He that has mickle wad ay ha'e mair ومعناه "الكثير يرغب دومًا فى المزيد"، وهو قريب جداً من المثل العامى المصرى "البحر يحب الزيادة". (المترجم)

(**) نسبة إلى الإيبو، وهو أحد الأعراق الرئيسية فى نيجيريا وبخاصة الجنوب. (المترجم)

أما المناسبة السعيدة عند أبى بكر فقد تمثلت فى الاحتفال الذى أقيم فى نيو New بوساً Bussa (والتأكيد العلنى على مستندات صندوق النقد الدولى) بمناسبة بدء تشغيل سد كاينجى. جاء ذلك السد بمثابة التحتية الرئيسية التى سوف تساند خطة التنمية، التى تعد أهم اهتماماته المادية، وفى ضوء ذكريات أبى بكر عن الزيارة التى قام بها إلى أمريكا، أصر أبو بكر شخصيًا، على حتمية إضافة أهوسه إلى ذلك المشروع. كانت كلفة ذلك المشروع قد قدرت بحوالى ٢٠٠ مليون دولار، وقد جرى جمع هذه التكلفة على شكل سلة عملات شارك فيها البنك الدولى بقرض مقداره ٨٠ مليون دولار، وشاركت إيطاليا (التى وفرت المقاول الرئيسى) بحوالى ٢٥ مليون دولار، وساهمت الولايات المتحدة بمبلغ ١٤ مليون دولار، أما بريطانيا فقد ساهمت بمبلغ يصل إلى ١٤ مليون دولار، وجاءت ٥,٥ مليون دولار من هولنده، وجاءت مبالغ متباينة من سبعة بنوك تجارية أمريكية أخرى. وقام بالإشراف على اتحاد الإنشاء اتحاد نيجيرى آخر من الاتحادات التابعة لهيئة سد النيجر. ينتهز أبو بكر فرصة مقامه القصير فى زاريا، للقيام بالقنص فى مزرعة الحاج أبى بكر إمام، فى الوقت الذى راح يفضفض فيه لمستشاره القديم، بعيداً عن مسمع هيئة العاملين معه، وبعد أن كرر قوله إنه سيموت سعيداً عندما يكتمل السد، أعرب الرجل عن أسفه على رفاقه السياسيين الشماليين الذين كانوا لا يزالون يلومونه على "محاباته" للجنوب: **"لم يحاولوا أن يفهموا أنى يتعين على الاستسلام للمطالب إلى حد ما، للمحافظة على بقاء ميزان الحلول الوسط فى المنتصف"**. يزاد على ذلك أن السد، وعلى العكس من التنمية الفيدرالية، سوف تستفيد منه البلاد كلها، على الرغم من استخدام الإيطاليين أثناء الإنشاء معدات الحفر والردم الثقيلة، بدلاً من آلاف العمال الذين يستخدمون الفئوس والكواريك، حسبما كان الوزراء يتوقعون، مثلما حدث فى دلتا نهر النيجر، وفى الصور التى جاءت من الصين.

واصلت الأحداث الخارجية، وبخاصة أحداث الكمنولث استثارتها لاهتمامات المطلعين على الأمور فقط. فى بداية شهر سبتمبر قام الجيش الإندونيسى بإنزال قواته فى ماليزيا، وبعد ذلك بيومين دخلت القوات البريطانية، والأسترالية، والنيوزيلنديه إلى ماليزيا لإخراج القوات الأندونيسية، ووافقت فى الوقت نفسه على مساعدة الملايو على زيادة عدد قواتها، وسرعان ما وافق الرئيس سوكارنو على حتمية توسط المشير أبوب خان. استقلت مالطة ومددت الأمم المتحدة بقاء قواتها فى قبرص لمدة ثلاثة أشهر أخرى (وجرى تمديد هذا الموعد مرة أخرى فى شهر ديسمبر). ومنحت بريطانيا تراخيصها الأولى للتنقيب عن البترول فى بحر الشمال. انتخبت محمية جزر سولومون Solomon البريطانية أول أعضائها الذين سينضمون إلى المجلس التشريعى. تولى الدكتور هستنجز باندا السلطة وراح يفرض الاحتجاز من جديد فى ملاوى. فاز حزب العمل برئاسة السيد/ هارولد ويلسون فى الانتخابات البريطانية العامة التى أجريت فى اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر، وبأغلبية خمسة أصوات، وأعاد الحزب تقسيم جهود وزارة الخارجية بين المستعمرات وعلاقات الكمنولث. تحولت روديسيا الشمالية إلى جمهورية مستقلة داخل الكمنولث وتحت رئاسة الرئيس كاوندا، وليطلق عليها فيما بعد اسم زامبيا، وأصبح من الممكن عندئذ لحركات التحرير أن تبدأ التقدم الحريص عبر سهول أنجولا، كانت الحركة الشعبية لتحرير أنجولا تحظى بمساعدة من الاتحاد السوفيتى وكوبا، كانت الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (وهى حركة مستمدة من حركة الاتحاد الشعبى الأنجولى الذى نشأ فى العام ١٩٦١ الميلادى) وكان يحصل على مساعدات من الصين والولايات المتحدة الأمريكية أو الموردين الانتهازيين. وهناك أيضًا مجلس indaba آخر للرؤساء فى روديسيا الجنوبية ساند بالإجماع مطالبة إيان سميث بالاستقلال فى ظل دستور لم يتغير، الأمر الذى جعل هارولد ولسون يحذر إيان سميث من أن إعلان الاستقلال من جانب واحد سيكون نوعًا من الخيانة. وأطلق جوليوس نيريرى على تنجانيقا وزنزبار اسم تانزانيا.

مع بداية شهر نوفمبر قامت الطائرات البريطانية والطائرات الماليزية بإلقاء المنشورات على إندونيسيا. صوت لصالح الاستقلال تسعون فى المئة من بين الستة عشرة فى المئة من الناخبين المؤهلين، الذين شاركوا فى استفتاء روديسيا الجنوبية، ورفض إيان سميث القيام بالزيارة المقترحة من قبل وزير الكمنولث البريطانى الجديد. قامت تانزانيا بمصادرة المزارع المملوكة للبريطانيين، لعدم التزامها بتعليمات التنمية المركزية. وقام رونالد بخالا عن طيب خاطر بحل كل من المعارضة والاتحاد الكينى الديموقراطى، حتى تصبح كينيا، فى واقع الأمر، دولة حزب واحد. وقضت المحكمة العليا، فى روديسيا الجنوبية، بعدم قانونية احتجاز نكومو Nkomo، وجرى إطلاق سراح الزعماء الوطنيين، لكنهم سرعان ما اقتيدوا إلى مناطق محظورة. وحظرت بريطانيا تصدير كل أنواع الأسلحة إلى جنوب إفريقيا، اللهم باستثناء بعض القاذفات التى كان قد جرى التعاقد عليها بالفعل (وهدد فيرورد بالانتقام عن طريق إغلاق القاعدة البحرية البريطانية المتبقية فى سيمونزتون)، قبل ذلك كانت كل من ليبيريا واثيوبيا قد أقامتا دعوى على جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية فى لاهاى، لممارستها القهر والضغط على المواطنين فى جنوب غرب إفريقيا وانتهاك انتداب العام ١٩١٨ الميلادى.

وقَّعت أوغنده، فى اليوم الأول من شهر ديسمبر، اتفاق مساعدة طويل الأمد واتفاقًا إنمائيًا طويل الأمد أيضًا مع اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. فى تلك الأثناء أصبح السيد/ كويزون ـ ساكى، وزير خارجية غانا أول رئيس أسود للجمعية العامة للأمم المتحدة (التى كان عدد أعضائها ١١٥ عضوًا فى ذلك الوقت). وأصبحت كينيا جمهورية ذات حزب واحد داخل الكمنولث وبرئاسة جومو كينياتا. بعد أحداث التغييرات الدستورية اللازمة، قام حاكم جيانا البريطانية بطرد جاجان Jagan (الذى سبق أن رفض الاستقالة بعد خسارته فى الانتخابات) وعين السيد/ برنهام Burnham رئيسًا للحكومة. اتخذت كندا لنفسها علمًا وطنيًا جديدًا ليس فيه أى أثر من آثار

الإشارة إلى بريطانيا. ووقع الرئيس جوليوس نيريرى مع بريطانيا اتفاقًا يقضى بقيام بريطانيا بتمويل ٨٠٪ من إجمالى ٢١٧ مشروعًا وردت فى خطة الرجل التنموية الخمسية.

فى تلك الأثناء، وفى مكان آخر من العالم، كان خروشوف قد تقاعد، وأصبح كوسجين Kosygin رئيسًا للوزراء، فى حين أصبح بريجنيف Brezhnev سكرتيرًا للحزب فى موسكو. وحل رئيس وزراء مدنى مرة ثانية، بدلاً من رئيس الوزراء العسكرى فى فيتنام الجنوبية، وقامت عصابات الفيتكونج Vietcong الشيوعية بمهاجمة إحدى القواعد الأمريكية. وأعيد انتخاب الرئيس جونسون فى واشنطون، وأصبح ولى العهد فيصل، ملكًا للسعودية، بعد أخيه الملك سعود. وحصل مارتن لوثر كنج على جائزة نوبل للسلام. وعرضت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة جديدة لقناة بنما، وبنهاية العام حل العسكريون المجلس التشريعى فى فيتنام الجنوبية.

هناك أيضًا بعض الأحداث التى وقعت فى القارة الإفريقية لكن جرى إغفالها، فيما عدا حدث واحد. اجتمع مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية مرة ثانية فى أديس أبابا فى الفترة من ٥ – ١٠ سبتمبر، بناء على دعوة من جمهورية مالى، لمناقشة الموقف فى الكنغو، وأنقذت المنظمة نفسها من كارثة، عندما أعربت عن رغبتها فى الاستماع إلى رئيس الوزراء تشومبى، فى غياب جبنى Gbenye، على الرغم من إحساس أعضاء كثر بالمرارة إزاء هذا الحل الوسط. وطالب الدكتور نيكروما من جديد بإيفاد قوة سلام تابعة لمنظمة الوحدة الأوروبية، إلى الكنغو (ومثل هذا الطلب لم يكن يقوى عليه سوى نيكروما نفسه أو أبى بكر)، والأمثل فى مثل هذا الحال، أن يعقد بعد إرسال القوات، اجتماعًا يضم الأحزاب الكنغولية كلها، ثم تجرى انتخابات عامة، وتشكيل حكومة ديمقراطية حقيقية، وتجنيب كلٍّ من كازافوبو وتشومبى. أيد مورمبى وزير خارجية كينيا الدكتور نيكروما فيما ذهب إليه. أصر تشومبى على أن علاقاته مع كل من بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية، وقبوله للمعدات العسكرية، كانت كلها مسائل داخلية، لكنه

وعد بالتخلص من المرتزقة، لكن الرجل قدم شرطًا مسبقًا تمثل فى طلب قوات شرطية من الدول الصديقة (وبالتحديد إثيوبيا، ليبيا، ملجاشى، نيجيريا، والسنغال) لكى تحل محل المرتزقة. قالت غانا إن هذه القوات الشرطية سوف تستغل فى قتل الوطنيين الأفارقة، وبالتالى لم يعط أيًا من هذه القوات الشرطية.

طُلب من السيد/ جومو كينياتا ترؤس اللجنة الخاصة التى اقترحتها مالى من جديد، كيما تقوم بالمصالحة بين الأطراف الكنغولية المتحاربة من ناحية [illegible] فى برازافيل وبوروندى من الناحية الأخرى، الأمر الذى يفضى إلى منع التدخل الأجنبى. وتشكلت اللجنة من كل من الكاميرون، ومصر، وإثيوبيا، غانا، غينيا، فولتا العليا، نيجيريا، الصومال، وتونس، وسرعان ما انهارت هذه اللجنة نظراً لانقسامها بين أولئك الذين يساندون تشومبى وأولئك الذين يقفون على الحياد. التقى تشومبى أفراد تلك اللجنة فى نيروبى، وحدثت مصالحة تاريخية مع الحكومتين فى كل من برازافيل، وأوزمبورا usumbura. وتعثرت المصالحة الداخلية بسبب رفض تشومبى التفاوض مع المتمردين فى ستانلفيل Stanleyville، وينفض الاجتماع بقرار من الأغلبية التى رأت أن إزاحة المرتزقة هو الحل لكل المشكلات، السفر إلى واشنطون لوقف صادرات المواد الحربية، وسجن "المستشارين" الأمريكيين، أو بالأحرى الخبراء العسكريين. وهنا أعلن كازافوبو انسحاب جمهورية الكنغو من اللجنة. ورفض الرئيس جونسون، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، التقاء وفد اللجنة التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية ما لم تكن جمهورية الكنغو التى اعترف بها، ضمن هذا الوفد، كانت اللجنة قد ارتكبت بالفعل خطأ تكتيكيًا عندما أجرت مقابلة مع المتمردين دون علم من تشومبى. حاول تشومبى حضور مؤتمر ضم ثمانية وخمسين دولة من دول "عدم الانحياز"، عُقد فى القاهرة فى الفترة من ٤-١١ أكتوبر، لكن الرجل لم يسمح له بالدخول، وجرى احتجازه، حيث برز اسمه فى العناوين الرئيسية فى الصحف العالمية

اليومية، إلى أن سُمح له فى نهاية المطاف بمغادرة البلاد. وهنا اعترف السواد الأعظم من الأطراف المعنية بفشل منظمة الوحدة الإفريقية فى هذه المسألة.

أدت محاولة اغتيال الرئيس هاماني ديورى، رئيس جمهورية النيجر، إلى ذروة القلق واسع الانتشار الناجم عن أنشطة معسكرات تدريب العصابات فى غانا، وهو أمر فرض نفسه ليكون على رأس جدول أعمال رؤساء حكومات منظمة الوحدة الإفريقية. وهذا هو الرئيس عبود، رئيس جمهورية السودان، يبادر إلى حل حكومته ويطلب من خليفة تشكيل وزارة جديدة، ومع ذلك لم يقل التوتر داخل بلاده. وها هى الجمهورية العربية المتحدة (جمهورية مصر العربية حاليًا)(*) وافقت على تعويض حملة الأسهم الفرنسيين، فى شركة قناة السويس القديمة، بسبب تأميمها فى العام ١٩٥٦ الميلادى. وأُعيد انتخاب الرئيس بورقيبه لمدة سبع سنوات أخرى. وتأسس بنك التنمية الإفريقى فى أبدجان. كما استقال الرئيس عبود فى منتصف شهر نوفمبر وحل محله مجلس سيادة سودانى مكون من خمسة أعضاء. ووقَّع المغرب، والجزائر، وليبيا معاهدة فى تطلع منهم إلى مجموعة اقتصادية مغربية. وجرت فى شهر ديسمبر مظاهرات عرقية فى الخرطوم.

جاء الاستثناء من اللامبالاة الداخلية، متمثلاً فى استمرار الموقف فى الكنغو على ما هو عليه، نظرًا لأن الصراع بين القوات الحكومية وأُسود Simbas حركة التحرير الوطنية الكنغولية (باعتبار أن أولئك المتمردين كانوا الأفضل من حيث التدريب فى ذلك الوقت) كان قد ازداد غباء ورذالة على غبائه ورذلاته. وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر نوفمبر قامت القوات البرية الكنغولية تحت قيادة مائة وخمسين من المرتزقة، وحوالى ٦٠٠ من المظليين البلجيكيين الذين جرى نقلهم بناء على طلب من حكومة تشومبى، وفى طائرات أمريكية عن طريق المطار البريطانى فى جزيرة آسنشين،

(*) (المترجم)

بالاستيلاء على ستانلفيل، لكن الرهائن الأجانب التسعة والعشرين، المستهدف إنقاذهم جرى ذبحهم جميعًا. كان هؤلاء الرهائن قد جرى احتجازهم كيما يكونوا "مظلة" فى مواجهة الغارات الجوية من ناحية، وورقة للمساومة على وقف إطلاق النار وسحب كل العسكريين غير الأفارقة من ناحية ثانية، كان الصليب الأحمر قد عرض نقل هؤلاء الرهائن، لكن جرى رفض ذلك العرض. ذاع غضب الأفارقة وانتشر بسبب هذه العملية، لكن الحكومة النيجيرية وقفت موقفًا سلبيًا عندما رفضت إدانة هذه العملية، فقد أصر واشوكو على أن ما قامت به الحكومة الشرعية الواقعية من ممارسة لسلطتها فى اتجاه إنقاذ مواطنى صديقتيها أمريكا وبلجيكا، لا يشكل "تدخلاً أجنبيًا"، وأنه هو نفسه لو كان فى ذلك الموقف لقام بعمل من أعمال الرحمة فى سبيل إنقاذ هؤلاء البشر على حد قوله. وذهب واشوكو إلى ما هو أبعد من ذلك، بأن أدان تلك الدول الإفريقية التى تدخلت مثل الأجانب فى شئون الكنغو عن طريق إمداد المتمردين بالسلاح، يزاد على ذلك أن بعض السفارات فى نيجيريا كانت تستخدم هيئة العاملين بها فى عملية التخريب، وكانت نيجيريا تجىء فى المقام الثانى بعد الكنغو، حلت الإمبريالية الإفريقية محل الإمبريالية الأجنبية، لكنها رفضت الموافقة على حق الدولة ذات السيادة فى إخماد أى شكل من أشكال التمرد. واستطرد الرجل قائلاً: إنه معترض على مسألة المرتزقة، لا من حيث استعمالهم الناجح لصالح طرف من الأطراف، وإنما لأن الأجانب -outsid ers لن يأتوا إلى الكنغو إلا بعد أن يكونوا قد ركبوا على ظهور الأفارقة". أدت صراحة واشوكو إلى زيادة الطين بلة. فقد قام الطلبة بصخب وجلبة أمام القنصلية الأمريكية، والبلجيكية، والبريطانية، وأصرت صحافة حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين على أنه نظرًا لأنها ترى أن تشومبى مغتصب غير شرعى للحكم فإن العملية تدخل فى إطار العدوان. ووصف الدكتور أكبارا الحكومة "بالضعف والعجز" undynamic، نظرًا لأن أعضاء الحكومة "لا يفهمون مغزى فن الحكم"، وتساءل أكبارا أيضًا عن سبب عدم انضمام الحكومة إلى لجنة كينياتا، وغانا، وروسيا، ومصر، وآخرين فى إدانة هذه العملية؟

عادت فى الوقت نفسه قوات المظلات إلى الوطن بعد أن حررت من الأسر ١٨٠٠ أوروبى وحوالى ٣٠٠ إفريقى، لكن القتال الشرس لم يتوقف، وبدأت عمليات القتل فى ستانلفيل. سافر تشومبى لإجراء محادثات مع ديجول، فى حين راحت قواته تتعامل مع المتمردين دون أى شكل من أشكال المحاكمة. لم يخمد الحماس النيجيرى إلا بعد أن زعمت غانا أن النيجيريين أيضًا كانوا يعملون "مرتزقة" أيضًا فى هذه العملية فى الكنغو، الأمر الذى حول انتباه المتظاهرين فى ليجوس إلى المبانى الغانية والمسئولين الغانيين. رفض الحاج السير أبو بكر قطع العلاقات مع غانا، ثم قال فى النهاية: **"لقد عادت غانا إلى جنونها مرة أخرى كالعادة... أظن أنهم أصابهم نوع جديد من الأمراض راح يستشرى حاليًا فى غانا"**. اعترف العقيد عبد الناصر علانية أنه كان يرسل الأسلحة إلى المتمردين فى الكنغو. جاء اعتراف منظمة الوحدة الإفريقية بالأمر الواقع فى الكنغو، متأخرًا على نحو لم يبعث الطمأنينة فى نفس مويس تشومبى، الذى رفض الاعتراف بقرارات منظمة الوحدة الإفريقية الخاصة بالاحتمالات السليمة. كان لا يزال أمام تشومبى مشكلة مشرقية oriental يتعين القضاء عليها، فقد جرى خلال التعامل مع هذه المشكلة - قتل عدد من القساوسة من بين مائة وخمسين رهينة أخرى جرى اغتيالها. وعلى الرغم من الجسر العسكرى الجوى المصرى الجزائرى الذى موله السوفييت، فقد هرب السواد الأعظم من المتمردين واختفوا فى السودان. وفى نهاية العام قام مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بمناقشة مسألة الكنغو من جديد، وفى تلك المناقشة قامت الدول الناطقة بالفرنسية ومعها واشوكو بالدفاع عن شرعية حكم تشومبى. وعلى هذه الخلفية وصل مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية إلى حل وسط بأن اكتفى بمجرد رفض التدخل من جانب أمريكا وبلجيكا، وراح يطالب تشومبى من جديد بالتعاون مع لجنة كينياتا للمصالحة الوطنية. عند هذه المرحلة تكون الانتخابات النيجيرية قد انتهت.

أضافت أرقام التعداد النهائية مع مطلع شهر سبتمبر بعد تصحيحها، ٥٨٠٠ نسمة إلى رقم الإقليم الشرقي، ٢٥٠٠ نسمة إلى إقليم الغرب الأوسط، يزاد على ذلك أن التخفيضات الكبيرة التى طرأت على رقم الإقليم الشمالى الذى جرى تخفيضه بحوالى ١٩٠٠٠ نسمة، والإقليم الغربى الذى جرى تخفيض رقمه بحوالى ١٢٦٠٠ نسمة، لم يكن لها أى تأثير أو فارق من الناحية العملية. ومع ذلك، فإن مسألة إنشاء ولايات كثيرة أمر وارد، ما دام بقيت الفوارق الثقافية فى شكل المفاهيم المبتذلة، سيظل هناك أربعة ملايين أُخر يطلق عليهم "الشماليون" (أو "الهوساويون")، مما يجعل الشمال يتفوق على رقم "الجنوبيين". وانعقد فى ليجوس اجتماع لمجلس الشرطة، من باب التحوط لردود الأفعال، وناقش الاجتماع الإجراءات الأمنية، بما فى ذلك الحاجة إلى زيادة القوة الشرطية. كان وزراء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، الشماليون يرتابون بعض الشيء فى قوة الشرطة النيجيرية، التى لم يكونوا معها على وئام خارج مدينة كادونا، شأنها فى ذلك شأن القوة الشرطية المحلية، وكان هؤلاء الوزراء يعربون أكثر من مرة عن وجود قوة شرطية محلية فى كادونا، وتمثلت المشكلة بحق، فى بحث هؤلاء الوزراء عن القوة أو الهيئة التى تتيح لهم السيطرة عليها فى نهاية المطاف وجرى تطويق المقترح الذى قُدم للمجلس حول مسألة الإنفاق الكبير على معدات هيئة شرطة الحكومة المحلية ومعدات هيئة الشرطة المدنية، بأن قيل فى إعلان نهائى إن هذه القوات الشرطية سوف تصبح بمرور الوقت تحت إمرة قوة الشرطة النيجيرية. وقد أسفر ذلك عن التقليل من إساءة استعمال السلطات، لكن ذلك اقتصر فقط على حسن نية السلطة المحلية وقوة الوجود الحقيقى والفعلى للشرطة النيجيرية على المستوى المحلى. ظهرت فى ذلك الوقت تصريحات وبيانات مختلفة الاتجاهات والصلات بهذا الموضوع، هذا هو الدكتور "أكبارا"، الذى ليس لديه قوات محلية، كان يفضل توحيد قوات الشرطة كلها بل إنه زاد على ذلك أن المجلس الشرطى الغربى يتعين إنهاؤه، وهذا هو الرئيس آكنتولا من ناحية أخرى يقول: إنه لن تكون هناك انتخابات إقليمية فى ذلك العام، وهذا هو المستشار السياسى الرئيسى يكرر اعتراضه على أية حكومة وطنية غير حكومة

التحالف الوطنى النيجبرى، وهذا هو الرئيس أوسادباى Osadebay يصرح بأن نجاحه فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين كان معفًا من التحالف الجنوبى وسبب ذلك أن إقليم الغرب الأوسط كان مستقرًا، وأن كل ما يتمناه هو أن يترك لحال سبيله. ويسافر رئيس الوزراء إلى نسوكا للإبلاغ عن ذلك كله، فى الحملة الشرطية التى أطلق عليها اسم **حملة عملية البلطجة** جرى إلقاء القبض على ما يزيد على مائتى بلطجى وفتوة فى كل من ليجوس وإيبادان.

دعم الحاج السير أبو بكر التحالف الوطنى النيجبرى فى اليوم الخامس من شهر سبتمبر بتعيين وزيرى دولة حديدين من الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى: أغسطس Augustus ميرديث أكناوى AkinoloYe، ووزير الصحة الأسبق الرئيس Ayo-tunde أيتوندى روسيجى. اشتكى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى الإقليم الشرقى، أن عملية التعيين التى تمت قبيل حل التحالف، تعد خرقًا لاتفاق التحالف ومضيعة للمال العام، وراح أدجبنرو بدوره يتحدث عما اسماه "اغتصابًا خطيرًا للديموقراطية". وأعلن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أن ذلك لا يعنى أن الحزب لم يتوقف عن معارضته تشكيل حكومة وطنية. واستدعى الحاج السير أبو بكر بابا توندى Babatunde جوز Joze، أحد معارف أبى بكر الصحفيين، والذى يشغل منصب المدير الإدارى فى جريدة الديلى تايمز Daily Times، للتشاور، وأكد له أنه فى حال فوز حزبه فى الانتخابات، فسوف يقوم هو أولاً وقبل كل شىء بتشكيل حكومة من الأحزاب السياسية الرئيسية، على أن تضم هذه الوزارة أولوو، إن أمكن. كان جوز من مؤيدى أبى بكر، لكنه كان أيضًا من المؤيدين لأكنتولا، وبذلك يكون جوز على غير ما كان عليه الكثير من زملائه الأصاغر العاملين فى صحافة ليجوس.

بدأت الخبرة فى مجلس الوزارات النيجيرية تتطابق وتسير جنبًا إلى جنب مع الخبرة البرلمانية. وبقدر ما أصبحت الجلسات التشريعية قليلة وقصيرة، بدأت مجالس الوزراء هى الأخرى تقلل من تعاملها مع المذكرات الروتينية الكفئة والمألوفة، المتعلقة

بالمذكرات التفسيرية للقوانين، والتشريعات الفرعية، وإدارة الأزمات، وتركزت مناقشات مجلس الوزراء بشكل أكبر على الأمور السياسية الأكبر قليلة التوثيق، ومسألة السلامة الشخصية. وافق الوزراء على قيام الأفراد وجماعات الضغط السياسية، بالسعى لدى رئيس الوزراء هو وزملائه، على أمل تحقيق توقعاتهم المنتظرة من مناقشة وشيكة لمجلس الوزراء بخلاف جدول الأعمال الرسمى المحدد، وترتب على ذلك أن الأمور الصغيرة يمكن السماح لها عن غير قصد، بالتفاقم والتصاعد إلى مستويات كبيرة وبدرجة كبيرة أيضًا. أعيد أيضًا إحياء الموروث الاستعمارى فى اللجان الحزبية الداخلية التى تسبق الاجتماعات، وترتب على ذلك أن العضو الذى كان يتغيب عن واحدة من هذه اللجان كان يسعى بين الحين والآخر إلى التقاء أبى بكر ويعطيه فكرة تصبح على النقيض من بعض بنود اتفاق اللجان الحزبية الموجودة فى كادونا، أو حتى مع الطريقة التى يتعامل بها التحالف الوطنى النيجيرى مع هذه الأمور. يزاد على ذلك أن الجريدة الرسمية للحكومة، عكست لأولئك الذين يقرأونها بتفهم مستتير خارج نطاق الخدمة الحكومية، الهوة التى بين الممارسات الإدارية التى لم تتغير والمعايير السياسية الجديدة، كان هناك حوالى ٥٠٠٠ عامل من الإقليم الشرقى ينتظرون الترخيص لهم بالعمل مع شركة فيرناندو Fernando بو Poo، لكن بعد أن تودع السلطات الأسبانية مبلغ ٢٠٠ جنيه ضمانًا عن كل عامل من العمال، فى الوقت الذى كانت الحكومة تعلن فيه عن "فقدان" نماذج أذون المشتريات المحلية، والتصرف فى الأسلحة النارية "التى ليس لها أصحاب" الأمر الذى أسفر عن أعداد غير مسبوقة من أحكام العفو الرئاسى غير المشروط عن الأحكام التى صدرت بالفعل بحق تهم التزوير، واستقبال فئة مختلفة من إعادة الاعتبار المدنى الكامل والحقوق السياسية عن طريق نقض الأحكام "لمصلحة السلم والوئام داخل منطقة ليجوس"، وقد جرى نقض الأحكام الصادرة التى تقضى بسحب الاعتراف من الرؤساء chiefs أصحاب أغطية الرأس البيضاء. على مستوى الشئون الداخلية شكل الشيخ شاجارى لجنة استشارية خاصة بمسألة كيفية حل مشكلة ترجمة تعبير "السلطة المحلية" إلى لغات وطنية محلية. وهذا هو قاضى إيكيجا

الجزائرى يرفض اعترافًا مزعومًا من جانب محاضر نقابة العمال، فيكتور victor ألين Allen فى ليدز، على أنه اعتراف غير مقبول، ومع ذلك أخذت القضية مجراها. حزن الحاج السير أبو بكر فى الوقت نفسه لوفاة أديلى Adele رئيس oba ليجوس، والذى خلفه الرئيس oba أويكان Oyekan.

اجتمع البرلمان لمدة أربعة أيام بدءًا من اليوم الخامس والعشرين من شهر سبتمبر. وإذا ما صرفنا النظر عن اقتراح رئيس الوزراء تقسيم الاتحاد إلى ٣١٢ دائرة انتخابية يعاد تحديدها بواسطة اللجنة الانتخابية، نجد أن العمل الرئيسى الذى أنجزه البرلمان كان ينصب على قانون تنظيم الصحافة. أسفرت إعادة التخصيص هذه عن خسارة الإقليم الشمالى سبعة مقاعد (أى أصبح عدد مقاعده ١٦٧) وخسر الإقليم الشرقى ثلاثة مقاعد (أصبح عدد مقاعده ٧٠)، وكسب كل من الإقليم الغربى، وإقليم الغرب الأوسط تسعة مقاعد (أصبحا الآن ٥٧ مقعدًا و ١٤ مقعدًا كل على حدة)، وكسبت ليجوس مقعدًا واحدًا (أصبح الآن عدد مقاعدها أربعة مقاعد). كانت الحدود هى وكثير من الاسماء يجرى تحديدها عن طيب خاطر بواسطة التقسيمات الإدارية المعروفة منذ زمن بعيد أو بواسطة أحياء الإدارة المحلية التقليدية، الأمر الذى شكل حقيقة اجتماعية مريحة أدت إلى استئصال المُنَظِّرين من جذورهم، كما لم يأسف لها (أى ممارس من الممارسين السياسيين الناجحين). وظلت ملايين الشمال الأربعة تمثل اثنين وعشرين مقعدًا بقيت محطًا لحسد الجنوب وحقده.

استهدف قانون الصحافة الجديد أمرين: تحقيق السيطرة، التى تتوق إليها كل الحكومات فى البلدان الديموقراطية التى تكون مقسمة عقديًا أو اجتماعيًا، على الصحافة الحرة التى تُعلن الرأى غير المسئول على الحقائق (وإن شئت فقل: الحقوق على المهمة الأخلاقية العامة)، وإخضاع كل صحف ليجوس للنظام نفسه كما هو الحال فى الأجزاء الأخرى من الاتحاد - وقد نص ذلك القانون على توقيع غرامة على الصحيفة أو سجن المحرر الذى رخَّص، أو نشر، أو أنتج، أو تداول أى بيان من

البيانات أو تصريح من التصريحات، أو شائعة من الشائعات، أو تقرير من التقارير، الزائفه أو دون مراعاة للحقيقة، والذى يكون له تأثير سلبى على حقوق الشخص الذى من حقه هذه الحماية، أو سمعته أو حريته، أو من يفشى معلومات سرية، أو من يهاجم أو يرجح أنه يتحامل على الدفاع عن نيجيريا، أو سلامتها، أو نظامها أو أخلاقها أو صحتها. وارتفعت أصوات نقابات العمال والمحامين، بل وقبل ذلك الصحافيين احتجاجًا على ذلك القانون، مثلما يحدث فى الدول الحرة، لكن قلة قليلة من سياسيى المعارضة هم الذين انضموا إلى هذه الاحتجاجات. كان الناس العاديون على اختلاف مشاربهم، ناهيك عن البرلمانيين الذين أحسوا بالإساءة، كلهم أكثر ميلاً، فى زمن كثرت فيه الشكوك المدمرة، إلى الموافقة على البيان الصادر عن وزارة بنسون Benson الذى مفاده أن "الحكومة غُلبت على أمرها"، وجرى الهجوم عليها من قبل اللا مسئولية التى لا يمكن اغتفارها، من جانب المحررين، والمراسلين، والمخبرين الصحفيين بل وكل العاملين فى الصحافة، ولما كانت نيجيريا قد تضايقت من الحقيقة التى مفادها أنها إذا لم تتشبث بأرضها تمامًا، فإن كل الحريات الأخرى - باستثناء حرية السب واللعن - سوف تضيع، لم تجر مناقشة هذا القانون مناقشة شعبية، عندما جرى تمريره قسرًا، بعد شىء من التعديل فى الصياغة كيما يقترب من قانون الصحف فى الإقليم الشرقى فى زمن الاستعمار (إن لم يكن قانون الإقليم الشمالى الليبرالى بعض الشىء)، عن طريق عدم الإشارة إلى التحريض السياسى، مما يؤدى إلى التركيز على الزيف والزور، أو عدم الدقة فى التحرى. وعلى الرغم من ذلك، كان هناك بعض الناس فى الشارع النيجيرى على استعداد لتوجيه بعض اللوم عن المآسى التى حدثت بعد ذلك فى اتجاه التقارير الحزبية الكاذبة، وفى المحررات التى ترد فى ثوب تبدو معه كما لو كانت حقيقية.

كانت لدى أبى بكر بعض كلمات الشكر والثناء على تلك القلة التى اعترضت على القانون لأسباب منطقية ووجيهة، الأمر الذى خفض من صوت الصحفيين، لكنهم

ازدادوا حذراً فى تقاريرهم التى جاءت بعد ذلك - وقد انسحب ذلك الحذر أيضًا على الروايات المعزَّزه من قبل محاميى التحالف المتحد التقدمى العظيم فى الشمال، وفى إنكار تراخيص شراء المنتج على أعضاء حزب جماعة العمل فى الإقليم الغربى، "والاحتجاز" غير القانونى فى سائر الأنحاء، فى تلك الأثناء صدر تعليق جزئى لكنه مدهش، عن اللورد طومسون فليت مالك الصحف البريطانية، والذى لمؤسسته مصلحة كبيرة فى الصحافة الموحدة Amalgamated التى كانت تنشر جريدة الديلى إكسبرس Daily Express التى هى أصلاً صحيفة حزب جماعة العمل. أعلن طومسون فليت "أن الساسة الأفارقة أناس غريبون. وأنت إذا لم تضع اسماءهم بالبنط العريض وفى الصفحة الأولى، يظنون أنك تقف ضدهم.... الناس فى كثير من البلدان الجديدة يفتقرون إلى التدريب الأساسى كما يفتقرون أيضًا إلى الخلفية التى يسمح معها باستعمال الصحافة استعمالاً حرًا. أسفر ذلك عن نقد غير مقبول وغير مسئول فى الوقت نفسه. ويتعين على الصحافة، فى مثل هذه الحالات، أن تكون مستعدة لقبول بعض القيود. ومن مصلحة الديموقراطية أن يستمر النشر فى ظل القيود المشددة التى تفرض من قبل الحكومات، بدلاً من التراجع والانسحاب إحساسًا بالإهانة مثلما فعل الناشرون فى الماضى". حدث ذات مرة أن استطلع الحاج السير أبو بكر رأى صحفى بريطانى من الصحفيين الثقات، وهو ما أتينا على ذكره فى هذا الصدد، حول قيام طومسون Thomson بدعم جريدة مسيَّسه دعمًا أعمى، وماذا يمكن أن يحدث من ردود أفعال فى كندا أو فى لندن إذا ما جرى طرد هذا الرجل فى زيارته القادمة؟ وجاءت النصيحة تفيد أن الفرح يبز الغضب، نظرًا لأن الرجل معروف منذ القدم ببراعته فى الشئون السياسية، وأنه كان يجرى أخذه بواسطة الشخصيات الرئيسية الصحفية، فى جولة كلية كيما يرى ما يجرى وراء الصحافة المتحدة.

ومع ذلك، يجدر هنا أن نشير أن الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى، فى ذلك الوقت، كان قد استغل أرصدة الإقليم الغربى فى إصدار جريدة يومية اسماها **الديلى**

سكتش النيجيرية Nigerian Daily Sketch (مستأجراً لطباعتها جريدة **الديلى تايمز** Daily Times التى يصدرها سيسل Cecil كنج)، كان حزب جماعة العمل قد بث الحياة من جديد فى بعض الصحف الحليفة مثل: Mid-west Echov(*)، أما التحالف المتحد التقدمى العظيم فكان يعتمد بصورة عامة على جريدتى "**البايلوت**" pilot و"**الإيسترن أوتلوك**" Eastern outlook، وكان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يعتمد على جريدة "نيجيريان ستزن" Nigerian citizen(**). كان رؤساء الوزراء كلهم ينتقدون جريدة "الديلى تايمز" انتقاداً شديداً، لأن هذه الجريدة كانت تشير من ناحية إلى نقاط ضعف الحكومات الخمسة، وإلى إنجازاتها من الناحية الأخرى، لكن الحاج السير أبا بكر أصر على أنه لن يفكر حتى فى تأميم الصحيفة، أو سحب الإعلانات الرسمية منها، أو حتى توجيه "إنذارات نهائية" لرئيس مجلس إدارتها السيد/ كنج، على حد قول رؤساء وزراء الأقاليم، كان سيسل كنج يثق تماماً بالمحررين النيجيريين الميدانيين فى الجريدة. واعتباراً من ذلك الوقت بدأ السياسيون الديموقراطيون فى البلدان الأخرى يشاركون توماس فى اعتقاده العجيب الذى مفاده أن الإعلان السيئ أفضل من اللا إعلان.

على الرغم من تفاقم المشاعر طوال فصل الصيف، فقد نجح الحاج السير أبو بكر فى تحويل التأجيل النهائى لمناقشة أول برلمان للجمهورية إلى اجتماع خاص بالعطلة المدرسية: "**أنا موجود فى هذا المجلس منذ سبعة عشر عاماً. وإذا ما سألتم أولئك الذين كانوا معى فى المجلس التشريعى فى ذلك العام، عام ١٩٤٧، سيقولون لكم كم كنت رجلاً مفزعًا، لأنى كنت ناذراً نفسى لمحاربة الجنوب. بدأت الحرب، الحرب على الجنوب، ولم أفهم الأسباب التى دفعتنى إلى محاربة الجنوبيين. لكنى بعد ذلك، أدركت أنى لابد أن أتغير... الشمال النيجيرى والجنوب النيجيرى يتعين عليهما أن يسيرا جنبًا إلى**

(*) ترجمة اسم هذه الجريدة هى "أصداء الغرب الأوسط" (المترجم)

(**) ترجمة اسم هذه الجريدة هى "المواطن النيجيرى". (المترجم)

جنب، وإلا لن تكون هناك نيجيريا. وهذا هو ما يحدث الآن فى العام ١٩٦٤ - الشرق، والغرب، والغرب الأوسط، ومعهم الشمال ينبغى أن يسيروا جنبًا إلى جنب". حدث أن أشاد أمين كانو إشادة خاصة بأبى بكر وأعقب ذلك هتاف وتهليل، لكن إذا كان إدوارد السابع قد التقى الرئيس لوبيت Loubet، أو إذا كان الرئيس ديجول قد التقى أديناور، بل حدث فى يوم ما إن التقى السادات بيجن، كما التقى ريجان جور باتشوف، وإذا كان غاندى قد التقى بوتو Bhutto، فإن أبا بكر لم يكن له مثيل بين الخصوم الوطنيين فى نسيان الماضى وتجاوزه. كان أبو بكر فى اليوم التالى فخورًا بوضع حجر الأساس للمقر الدائم الجديد للمعهد النيجيرى للشئون الدولية، وقد شهد هذا الاحتفال المندوب السامى البريطانى الجديد السير فرانسس كمنج بروس، هو وزوجته الفنانة، واللذان أصبحا صديقين اجتماعيين لأبى بكر ويحترمانه لشخصه. كان فرانسيس إدوارد هوفل - تيرلو - كمنج بروس Hovell - Thurlow - Cumming - Bruce خلفًا أكثر ديمقراطية من سلفه، وكانت لديه خبرة دبلوماسية أكثر من مستقبله فى السياسة، فقد عمل الرجل مستشارًا للشئون الخارجية مع حاكم ساحل العاج فى العام ١٩٥٥ الميلادى (وهو "يوحنا معمدان" آخر)، كما عمل أيضًا نائبًا للمفوض السامى فى غانا فى العام ١٩٥٧ - ٥٨، ودشن أبو بكر أيضًا خطًا تليفونيًا مع الكنغو، وقال خلال اتصاله بتشومبى عن طريق هذا الخط "**نأمل فى أن يجرى حل المشكلات التى يواجهها بلدكم، فى الإطار الإفريقى**".

أُعلن أن صحة الدكتور أزكوى تحسنت بما فيه الكفاية، الأمر الذى جعل الرجل يؤجل إجازة النقاهة التى كان يعتزم القيام بها إلى ما بعد الانتخابات. استبدل الدكتور أزكوى زى أدميرال الأسطول بزى المشير ليلقى خطبة الاحتفال بإعلان الجمهورية فى اليوم الأول من شهر أكتوبر، ذلك الخطاب الذى نوه إلى أن زعماء الأحزاب السياسية يتعين عليهم احترام أنفسهم، لكن جرت إعادة تفسير ذلك الخطاب على أنه من ناحية موجه بصورة أساسية ومباشرة إلى التحالف الوطنى النيجيرى (وبخاصة الحزب

الديموقراطى الوطنى النيجيرى وآكنتولا، اللذان اتهمهما باستخدام الحزب فى زيادة العداء القبلى للأجبو)، وموجه، من ناحية أخرى وبصورة غير مباشرة لتأييد التحالف المتحد التقدمى العظيم (الذى يجاهر حاليًا بنظام رئاسى تنفيذى). جاءت قائمة التكريم بمناسبة العيد الوطنى الأول طويلة وخالية من المحاباة. كرم البريطانيون كثيراً من النيجيريين، الذين كانوا بارزين فى الحياة السياسية، وجرى تكرار منح هذه الأوسمة والأنواط النيجيرية مثل نوط الجمهورية الفيدرالى ونوط النيجر إلى بعض النيجيريين من باب التكريم. حصل رؤساء الوزراء الأربعة على وسام (القائد العظيم وهو أعلى وسام)، كما حصل عليه أيضًا كل من سلطان سكتو وشيخ برنو. حصل قاضى الإقليم الشرقى السير لويس مبانيفو على وسام رفيع، كما حصل العميد أجوى إيرونسى هو الآخر على وسام رفيع. وجاءت قائمة تكريم الشمال بمثابة أطول القوائم، وضمت اسماء معروفة فى هذا الكتاب على خلفية الحاج السير أبى بكر: حصل الأمراء على وسام الجمهورية الفيدرالية، ومنهم أمير كاتسنا، وأمير باوتشى، وأمير زاريا، وأمير جومب، كما حصل على الوسام نفسه رئيس أدماوا والمعلم على عقيل، وحصل على وسام "ضابط الجمهورية الفيدرالية" كل من أميريا ورى، بطرس أشيموجو، هو والحاج يعقوب لام Lame، ومعه سول جايا، وحصل على لقب "ضابط نيجيريا" كل من أمير ميساو والدكتور دِكُّو Dikko، كما حصل القس باستور على وسام أيضًا، كما حصل المعلم يعقوب وانكا، رئيس داس، هو والحاجة دادا سار أرملة الفنان الدكتور روبرت إيست East على وسامين أيضًا. واعترف الإقليم الشرقى بفضل بعض المقيمين وكرَّمهم. لكن من باب الشهامة والنبل، لم يظهر الرئيس، مصدر هذا التكريم، ولا رئيس الوزراء الذى تصرف بناء على توصية منه، ضمن هذه القوائم.

قام الإيرل مونتباتن البورمى Burma بزيارة ليجوس، لصالح محاربى الكمنولث السابقين، ووجد فى أبى بكر آذانًا صاغيه لكلامه، كانت دول العالم الثالث المنضمة إلى الكمنولث لا تزال لم تفعل أى شىء من أجل "محاربيها" القدماء. لم يلاحظ السياسيون

النيجيريون أن المسئولين النيجيريين قد بدأوا المفاوضات مع الجماعة الأوروبية، وقد انتهت تلك المحادثات بلا نجاح فى شهر ديسمبر، على الرغم من الإعراب عن إمكانية استئنافها فى العام ١٩٦٥ الميلادى. ولاحظ عامة الناس قيام نقابة النيجيريين المعلمين التى يرأسها السيد/ إيو Eyo إيسوا Esua بإضراب عام، بتشجيع من الاستياء الذى أعقب ما قامت به لجنة العمل المشتركة، وكانت الشعارات المرفوعة فى شوارع ليجوس تقول: "يا أبا بكر، لقد كنت مدرسًا، حنانيك"، "لا معلم، لا باليوا ـ لا دولة، لا وزراء"، قام أبو بكر بدعوة زعماء المضربين إلى ساحة مسكنه، ليقنعهم أن الاتحاد يعد مجرد مُسْتخدم واحد من بين خمسة مُسْتَخدمين رئيسيين.

على الرغم من تأرجح العملية الانتخابية تأرجحًا كبيرًا منذ رفض الدكتور أُكبارا لأرقام التعداد الإقليمى الجديد (هذا إن لم يكن منذ التخلى عن أرقام التعداد الأصلى)، فإن الانتخابات بدأت رسميًا فى الأسبوع الثانى من شهر أكتوبر بنشر البرنامج الانتخابى للتحالف المتحد التقدمى العظيم. وكالعادة كان المخططون فى كل من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل أسرع من خصومهم البراجماتيين فى تقديم برنامج عقدى، على الرغم من أن كلمات ذلك البرنامج لم تكن تساوى شيئًا فى الأسواق ومواقف سيارات النقل. اكتشف المحبون للتقاليد البرلمانية البريطانية شيئًا من الثواب فى الصراع العلنى بين حزبين وطنيين: التحالف المتحد التقدمى العظيم والتحالف الوطنى النيجيرى، وأن الحزبين كانا يؤيدان تقسيم الشمال – الجنوب، لم يلاحظ محبوا التقاليد البرلمانية البريطانية هؤلاء، أن انقسام التحالف الوطنى النيجيرى – التحالف المتحد التقدمى العظيم كان يغلب عليه فقد حرف الخط فى مقياس ميل وانحدار الطيار لينزل متجهًا إلى اليسار ثم يصعد ثانية متجهًا صوب اليمين أثناء انعطاف الطائرة. كان التحالف المتحد التقدمى العظيم، قد قطع على لسان الدكتور أُكبارا وعدًا (من باب محاكاة السيد/ ولسون فى حملته الانتخابية المعاصرة فى حزب العمل، إن لم يكن حتى فى استعارته عن البوتقة الساخنة لدرجة الابيضاض،

عن التغيير التكانولوجى) أن الحزب سوف يحقق فى غضون "المئة يوم الأولى من أيامه": إطلاق سراح الرئيس أولوو (خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى)، وإيجاد منصب الرئيس التنفيذى، ومنصب نائب مميز للرئيس، والقيام بتعداد جديد، ومركزية التعليم باعتبارها موضوعًا فيدراليًا خاصًا، وتأسيس عدد (غير محدود) من الولايات الجديدة، وتخفيض (غير محدد) للإيرادات بين هذه الولايات، ولجنة قضائية لحقوق الإنسان تكون صاحبة سلطة على الأقاليم، ودمج الشرطة المحلية كلها ضمن القوة الشرطية النيجيرية، ومجلس جديد للجيش يترأسه رئيس الدولة، وأن تكون لمجلس الشيوخ سلطة مساوية لسلطة المجلس الأدنى، وأن تشارك نساء الشمال فى الانتخابات. لم يجر التأكيد فى ذلك البيان على معالجة الأمراض الاقتصادية، على الرغم من أن المشكلات المحددة كان من بينها زيادة الإنتاج، وأعمال للمتسربين من المدارس، والتدريب على المهارات النادرة، والقضاء على الأمراض المتوطنة. وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية، لم ترد أية إشارة إلا إلى "ديناميكية" العلاقة مع الكنغو والصين، والتقليل من التورط مع العرب وإسرائيل.

وجدت زعامة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى نفسها فى موقف العدو الحقيقى للتحالف المتحد التقدمى العظيم، وأقسمت تلك القيادة على ألا تكون هناك حلول وسط مع زعماء ذلك التحالف، إذا ما فازت فى الانتخابات تحت أى اسم من الاسماء. كانت عناصر البرنامج الانتخابى موجهة بطريقة غير مباشرة إلى منظومة الحكم المحلى الشمالية، وبخاصة الإمارات، التى يستمد منها سياسيو حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قوتهم، والتى ظن سياسيو حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل أن مواطنيهم يخافون طغيان هذه الإمارات ويخافونه، وقد تمثل الخطأ فى استمرار الاعتماد الذى مفاده أن الناخبين الشماليين تحملوا هذا الطغيان نفسه وصبروا عليه، وأنهم بعد أن استناروا وحصلوا على حقهم الانتخابى، أصبحوا على استعداد لرفض هذا الطغيان. كان المرشحون الذين يعرفون دوائرهم الانتخابية يعلمون

أن الصـراع يدور حـول أمـور دنيوية الطابع earthier، وأن التحـالف المتحد التقـدمى العظيم وصل إلى مرحلة النزول إلى توزيع المقاعد فيما بين أحزاب التحالف المتنافسة على المســتــوى المحلى. ومع ذلك، كــان الرابح المرجح، فى قلــة قليلــة من الدوائر الانتخابية الريفية الخالصة، مرتسمًا فى أذهان الناخبين قبل أشهر كثيرة من إجراء الانتخابات.

بدأ أبو بكر من جانبه، ودعا فى اليوم الثانى والعشرين من شهر أكتوبر إلى عقد اجتماع استمر يومين مع زعماء الأحزاب السياسية والتجمعات الرئيسية. كان هدفه من هذا الاجتماع، بعد تدبر مؤتمرات المائدة المستديرة، التى من قبيل ذلك الاجتماع الذى عُقد بمناسبة زيارة صاحبة الجلالة، أى قبل عقد تقريبًا من الزمان، (إن لم يكن ذلك الاجتمـاع الذى عقـد بخصـوص إيبادان فى العـام ١٩٥٠ الميـلادى)، أن يحـدد المشاركون فى الاجتماع أفضل الطرق التى تضمن انتخابات حرة نزيهة. واقع الأمر أن الحاج محمد رباط شارك مشاركة فاعلة فى ذلك الاجتماع، بصفته ممثلاً لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، نظرًا لانشغال رئيس وزراء الإقليم الشمالى فى مناقشات الحزب الإقليمية فى كادونا. كان الدكتور أكبارا يتطلع إلى رؤية شىء مدون على الورق، بغض النظر عن جدوى ذلك الشىء أو عدم جدواه، لأن ذلك سيكون بمثابة السلاح الذى يمكن استعماله فى الجدل الذى يمكن أن يثار بعد ذلك. وافق الاجتماع ووقع على خطة مكونة من تسع نقاط، وتقضى بالتعاون مع الشرطة من أجل القيام بحملة انتخابية سلمية، وإجراء انتخابات نزيهة مبنية على المساواة فى الحرية بين الأحزاب السياسية كلها، وتجنب الخطر والتمييز، وعقد العزم على القضاء على البلطجة. وقد أسفرت تلك الخطة عن مناشدة التنظيمات الحزبية السيطرة على أتباعها ومديريها، كما أوضحت هذه الخطة أيضًا توضيحًا تامًا أن رئيس الوزراء الفيدرالى ديموقراطى الذهن لا يمكن أن يتمادى فى التعامل الصارم مع شعبه، إلا إذا كان رؤساء وزرائه، الذين يشاركونه مسئوليته الوطنية القانونية والنظامية وضرب المثل على المعايير الأخلاقية على المستوى

الإقليمى، على استعداد لتأييده فيما يود الذهاب إليه. جاء اجتماع القمة الذى عقده أبو بكر بمثابة توجيه وإرشاد، لكن الصغار لم يعبأوا بذلك.

قام أيضًا الحزب الوطنى الديموقراطى النيجيرى، بعد ذلك بيومين بمنع الدكتور أكبارا (الذى كان على العكس من آكنتولا والمستشار السياسى الرئيسى، يود توسيع حملة تحالفه الفيدرالى تحت قيادته ويخرج بها عن معاملتها) من الاجتماع إلى آكنتولا فى محل إقامته فى مدينة أجبو موشو. ومما لا شك فيه أن الرئيس فستوس كان قد حذر الدكتور أكبارا أنه شخصيًا لا يثق تمامًا بحلفاء حزب جماعة العمل الجدد، لكن أكبارا، أبلغ بعد ذلك بفترة قصيرة، أنه لم يجر حجز أى مكان فى مدينة باوتشى واضطر الرجل إلى عقد اجتماعه خارج أسوار المدينة المبنية من الطين، كان الرجل قد حجز مقدمًا غرفًا فى فندق حمد الله، لكنه عندما وصل إلى الفندق قيل له إن الغرف كلها مشغولة. وهذا هو الرئيس أزكوى المكتئب يقول معقبًا على ذلك، فى مقابلة معه بخصوص عيد ميلاده الستين "إن ما يحدث فى نيجيريا اليوم لا يجعلنى أتفاءل بأننا سنعيش أمة واحدة". ربما يكون الرجل قد تذكر تأكيد توماس هوبز الذى مفاده أن التنبؤ بالمستقبل هو، فى كثير من الأحيان، السبب الرئيسى وراء الأحداث التى يجرى التنبؤ بها. واقع الأمر أن الأقاليم كلها شهدت البلاطجة والفتوات وهم يعملون عملهم فى البلاد، كما أن الوكالات الرسمية كانت ترفض إعطاء التصاريح بعقد الاجتماعات، إلى حد أن التخريب والتخويف أصبحا شيئًا مسلمًا به. زعم أمين كانو أن ستة وعشرين من جبهته التقدمية الشمالية كانوا فى السجن. وتنازل الدكتور أكبارا وقابل الرئيس آولوو، الذى كان مسجونًا فى ذلك الوقت فى سجن كلبار، الذى ظن رئيس الوزراء أنه سيلقى فيه معاملة طيبة عن السجون الفيدرالية الأخرى. على هذه الخلفية من الشك، وفى أحد الاجتماعات الدورية لمجلس الشرطة. قام جون لين John Lynn نائب المفوض المقيم، والمسئول عن الإجراءات الجنائية، بإبلاغ رئيس الوزراء أنه كان

بسبيله إلى التقاعد ("**أرجوك، أن تعيد النظر، من فضلك**"، وجاء الرد على المعتاد أكثر إقناعًا بسبب ذكريات جون لين عن مكتشفاته أثناء التحقيق فى تهمة الخيانة).

علق الحاج السير أبو بكر، فى واحدة من نوبات شكه الشخصى فى تضامن الجبهة التقدمية الشمالية فى ذلك الوقت، فى حديث له مع زميله الرئيس أ أيوتوندى Ay-otunde روسيجى Rosiji من الحزب الوطنى الديمقراطى النيجيرى، "**بعض الناس لا يريدونى هنا: هذا شىء طيب، إن كانوا لا يريدونى، فأنا بوسعى أن أستقيل قبل أن أطرد**". تساءل روسيجى كيما يعرف الأسباب الداعية إلى ذلك: "هذا ليس أمرًا طيبًا، أخرج هذه الأسباب إلى العلن، وهنا سيكون الحكم للبلد! معروف أن عمل رئيس الوزراء ليس ملكًا شخصيًا له". "**سأعود إلى وضعى مدرسًا، فى المدرسة نفسها بل وفى القرية نفسها**".

بعد اجتماع القمة السياسى حاول المراسلون الصحفيون الفضوليون الوقوف على التاريخ الفعلى لإجراء الانتخابات، ولذلك راحوا يسألون أبا بكر بطريقة غير مباشرة عما إذا كانت وحدة البلاد ستتهدد فيما بعد، وبخاصة فى ظل البدء فى إعداد القوائم الانتخابية، بعد الانتهاء فعلاً من تحديد الدوائر الانتخابية، وبعد توقيع الأمر الخاص بتحديد دوائر إقليم الغرب الأوسط الفيدرالى الجديد، لكن الرجل رفض الانجرار إلى إعطاء المزيد من التحديد بأن قال: إن ذلك سيكون "قريبًا"، لكن فيما يتعلق بالتفكك أعترف "**أنا لا أعتقد ذلك، شريطة أن يتصرف زعماء الحزب تصرف الرياضيين بعد الفوز أو الهزيمة**". لم يكن ذلك بمثابة الشتائم التى يوجهها لاعب البولو، أو ضابط من ضباط الجيش، لكن الرجل كان يخشى أن يكون هذا المفهوم من "مفاهيم اللعب النظيف" غريبًا على كثير من الشباب، أو ضباط الصف الذين يخدمون أولئك الذين يتحدث الرجل عنهم. استطاع أبو بكر بعد فترة قصيرة إصدار أمر التحديد، بناء على توصية من اللجنة، والذى يقضى بتقسيم الغرب الأوسط إلى ٦٥ دائرة انتخابية، فى الوقت الذى وهنت فيه عزيمته تحتم فيه طرد قائد، وقائد أول، وملازم من البحرية

النيجيرية بسبب "مخالفات" فى عهدهم ومخزوناتهم. أبدت الصحافة البريطانية، بسبب انفعالها بفوز ولسون فى الانتخابات، اهتمامها بالحكم الصادر ضد محاضر ليدز، فيكتور آلين فى إكيجا Ikeja، والذى يقضى بحبسه عامًا مع الشغل لتآمره على الإطاحة بالحكومة النيجيرية (كان الرجل قد حُبس أيضًا شهرين نظير اتهامات ثبتت عليه، ومن بينها محاولة الهرب إلى داهومى متنكرًا فى زى تاجر من تجار الهوسا)، كانت الصحيفة الألمانية "دير شبيجل" المستقصية أحيانًا، والخيالية أحيانًا أخرى، أكثر اهتمامًا بالأساليب "الروسية" التى ينتهجها الضباط الألمان فى تدريبهم لمشاة القوة البحرية النيجيرية فى كادونا، لكن صحافة الجنوب النيجيرى (باستثناء الديلى تايمز) شنت القسم الأكبر من هجومها على الشماليين، وعلى صحافة الشمال لهجومها الذى تُشنه على "الانتهازيين" الإجباويين.

تواصل استياء كل من التيف وحزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى بلا توقف طوال فصل الصيف اعتبارًا من شهر مايو، وفى ظل حمى الانتخابات السياسية المتزايدة قامت المظاهرة وحدثت بعض التلفيات التى أدت إلى تعطيل خدمات خط السكك الحديدية الرئيسى بين جوس وإينوجو. ولجأت المئات إلى الإقليم الشرقى. وصدرت أحكام قاسية، لكن كان واضحًا أن شعب التيف يكره الشرطة وأن الشرطة لم تستطع السيطرة عليه. وتحتم على المستشارين الأمنيين الإشارة إلى أن بلاد التيف هى جزء من التواصل الاستراتيجى بين الشمال والشرق والجنوب والشرق، وأن عدد سكان التيف المتزايد كان لا يزال مقصورًا على منطقة الجوكون Jukun ومناطق السكان الآخرين. كان هؤلاء المستشارون هم وبعض وزرائهم المتهورين، يرون أن رئيس الوزراء أقل استعدادًا مما كانوا يتطلعون إليه فيما يتعلق بالتوجيه بالعمل الحازم الذى يودونه هم. قالوا: إنهم لم يكونوا غاضبين بسبب منعه لهم من معاقبة البلاطجة والفتوات الذين كانوا يسبونهم ويلعنوهم، وإنما لأنهم كان من الصعب عليهم إقناع رئيس الوزراء، حتى فى وجود أدلة على أن الناس كانوا يسكبون

البنزين على السيارات ويشعلون النار فيها ومن بداخلها. لم يكن هذا الأمر مهمًا حتى عندما تكون ضحاياه من الشماليين. وتمثل الملاذ الأخير فى قيام أبى بكر باستدعاء القائد العام، وسؤاله له "**ما الذى يمكن أن تفعله؟**"، وبخاصة بعد أن طلبت الشرطة "بطلب المساعدة للسلطة الحكومية". أجرى الجنرال ولبى - إيفرارد مشاوراته، وقال: إن سام أدميو ليجن Ademulegun، المسئول عن اللواء الذى يغطى الشمال والشرق يمكنه إرسال كتيبة من كادونا لتقوم بدور المحافظة على النظام. وعملاً بالسطر الأخير، ومثلما حدث فى الإقليم الغربى فى العام ١٩٦١ الميلادى قال "**ليحدث ما يحدث، إذ لابد من استعادة القانون والنظام**"، وعليه رخَّص رئيس الوزراء فى اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر باتخاذ الخطوات العسكرية العاجلة التى تضمن عودة الحياة العادية إلى طبيعتها قدر المستطاع" فى منطقة التيف. ووقع اختيار الجيش على استخدام كتيبة جاك بام ٣ ن أ، والتى عادت لتوها من عملها المضنى فى تنجانيقا، بدلاً من كتيبة أوجوكو Ojukwa 3 ن أ. كانت هناك حدود عملية لما يمكن القيام به بواسطة الجنود النظاميين فى حال كون مثيرى الشغب مجرد عصابات صغيرة عاجزة عن تمثيل أهداف جماعية، وتكون معنية مثل سائر الإرهابيين بتخويف خصومهم فى نطاق قبيلتهم، وإجبارهم على التعاون غصبًا، وذلك عن طريق حرق أكواخهم ومهاجمة الأفراد العُزل. وعلى الرغم من ذلك "جرى الاستسلام"، ولم تُفتح النيران، وراح الرائد Major حسَّان هو وفصيلة استطلاعه يتجولون فى سلام، وسط هذا القسم الأكبر من القلاقل. وذهب أبو بكر فى الوقت نفسه إلى نسوكا من باب الواجب، كيما يُبلغ بالمتاعب الأمنية والترتيبات الانتخابية.

أوحى تدخل الجيش ببعض الخرافات الجديدة التى تمكنت وأصبح لها جذور قوية. وإذا ما ألقينا جانبًا "صفة المحارب" التى من قبيل الأساطير التى تنسج حول الجيش الهندى، نجد أن التيف كانوا دومًا أقل الأعراق النيجيرية الأساسية سلمًا. ومع أن التيف كانوا بشكل أو آخر، هم العمود الفقرى للجيش النيجيرى، فإنهم لا يشكلون

فى هذا الجيش سوى ما يزيد قليلاً على ثلث قوة الجيش من جنود المشاة. لم يكن صحيحًا عندئذ أن الأخ وقف فى وجه أخيه. واقع الأمر أن التيف كانوا من المغرمين تمامًا بالجيش، وجرى الترحيب بهم ليحلوا محل الشرطة المسلحة. ولم يكن صحيحًا أيضًا، من خلال الكلام السطحى الذى قيل، إن العسكريين جرى استعداؤهم للمرة الأولى على المواطنين الأبرياء. وطبقًا لما يقال، لم يجر استخدام القوة كما أن الاستقبال المدنى (كما هو الحال فى معظم أنحاء الكنغو) كان استقبالاً ترحيبيًا. وعلى كل حال، فقد كبرت الخرافات فى الأذهان وعلى ألسنة أولئك الذين لم يكونوا موجودين فى المكان، بل إن هذه الخرافات توسعت لتطال العمليات العسكرية التى دارت تحت قيادة القادة البريطانيين لتدمير أسراب طيور quelea quelea التى كانت تأتى على محاصيل الفلاحين. وبدأ الرائد ميز يوجو الذى كان على علاقة مع حركة محبى الحرية فى أنجولا، يعمل بالتدريس فى كادونا بعد عودته من كلية الأركان فى الهند. ساعدت الفكرة المسكرة التى مفادها أن السياسيين يمكن أن يدعوا الجيش إلى إطلاق عنان حكم إرهابى، ضابط برتبة مقدِّم من الإقليم الشرقى هو وزميل له يدعى بانجو Banjo على أن يعبرا ملمحين لزملائهما خلال الأزمة الرئاسية القادمة إلى احتمال الاستيلاء على الحكم.

وقع حادثان سعيدان بعيداً عن حملة الانتخابات. أولاهما، أن الحاج السير أبا بكر لم يعد يُرى مطلقًا على الملأ بمثل اللياقة والروح المعنوية العالية التى بدا عليها فى اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر عندما رحب بالرئيس فرانسوا نجارث Ngarthe تومبالباى Tombal baye عبر الحدود من تشاد، لكى يلتقى بكل من أحمد أهيدجو، رئيس الكاميرون وهامانى ديورى من نيامى ليحضروا جميعاً افتتاح المرحلة الأخيرة من خط حديد برنو. ربما كان المشككون لا يزالون يرون أن اللوريات حمولة عشرين طنًا على الطرق المُعَبَّدة، فى ظل مشكلات النقل، ربما كانت أجدى من الناحية الاقتصادية، لكن أبا بكر زعم أن **"الوحدة الإفريقية تعمل عملها فى ميدوجورى اليوم"**،

وأضاف تومبالباى البالغ من العمر أربعة وستين عاما، "فيما يتصل بالإنجليز والفرنسيين هناك فرق بين البورنيين Bornos، أما بالنسبة لنا فنحن لنا بلد واحد". ألقى أبو بكر خطابًا مكونًا من أربع صفحات من القطع الكبير (لم يكن القطع أ ٤ معروفًا فى ذلك الوقت)، لكن الرجل ألقى هذا الخطاب كُلَّه من ذاكرته. حضر الشيخ البالغ من العمر اثنين وتسعين عامًا الاحتفال الختامى، وأشار كل المتحدثين النيجيريين إلى السير رالف أميرسون Emerson، الذى جرت دعوته لحضور هذه المناسبة، هو ومهندسى السكك الحديدية العاملين معه. تحدث ثلاثة من عواجيز كلية كاتسنا، أبو بكر تافاوا، وأحمد رباح (أحمد بللو) وشتيما كاشيم، تحدثوا بصدق فيما بينهم على انفراد، عن رغبتهم المستحيلة فى التقاعد من العمل العام والعودة فى سلام إلى مزارعهم. كانت فى هذا الاحتفال قائمة تكريم اشتملت على منح الوزير ريموند أمانز نجوكو وسامًا، كما حصل السير رالف بلنج Billing إميرسون هو الآخر على وسام شرفى. كان ذهن أبى بكر لا يزال مشغولاً بالمزيد من التوسع فى النيجر، ربما إلى ما هو أبعد من ذلك فى السودان، لكن نظرًا لأن رئيس وزراء الإقليم الشمالى كان ناشطًا فى ذلك الوقت، فى استخدام الإدارة المحلية المترددة، فى بعض الأحيان، فى تحقيق عوائد عن طريق الارتداد الدينى، ونظرًا لأنه كان يتكلم فى معظم الأحيان عن التقدم فى الروابط والصلات الخارجية، فقد أخاف هذا السلوك الجنوب من احتمال انفصاله وانضمامه إلى اتحاد كونفدرالى عربى أكبر، وهنا وجد أبو بكر أن من الأفضل له أن يحتفظ برؤيته لنفسه. أما المناسبة السارة الأخرى، فقد حدثت فى باوتشى، وتمثلت فى افتتاح حديقة ألعاب يانكارى Yankari، التى تشمل مساكن مريحة للزائرين حول ينابيع ويكى wikki الأسطورية البعيدة، الواقعة بين دنديما، جار، وميناماجى Mainamaji.

لم يقدم البرنامج الانتخابى للتحالف الوطنى الديموقراطى شيئًا زائدًا على ما ورد فى برنامج التحالف المتحد التقدمى العظيم. جاء البرنامج محافظًا إلى حد بعيد، وواعدًا بالسلام والاستقرار تأسيسًا على المنظومة القائمة، التى يمكن تحديثها. وفيما

يلى نلمح ونحس بصوت أبى بكر فى المقطوعة التالية: "تمثلت النعمة التى حصل عليها شعبنا فى التجمع فى تنظيم واحد يضم الشمال والجنوب، والأجبو واليوروبا، الإفيك Efik والهوسا، والمجموعات الاثنية الأخرى كلها. هذا التجمع سيبرز قوتنا، والأكثر من ذلك أنه سوف يضمن أن شعبنا كله، الأقوياء والضعفاء، سوف يحصلون على نصيب عادل". ومن حين لآخر، ستكون هناك لجان مراجعة مالية مستقلة، لمراجعة تقسيم الدخل العام بين المركز والاقاليم، على أن تولى تلك اللجان الاحتياجات الخاصة للأقاليم اهتمامًا خاصًا، وإذا ما أصبح هناك دا ع وأسباب لإنشاء ولايات جديدة، فإن النصوص الدستورية الحالية كافية لتحقيق ذلك، ستكون "الاشتراكية" وطنية الطابع، مع زيادة مشاركة النيجيريين فى الصناعة والتجارة، إلى أن يتم نقل ذلك من أيدى المقيمين بطريقة منظمة، وفيما يتعلق بالعمل، وكل الحكومات، والعمال، وذلك أصحاب الأعمال الخاصة، يتعين أن يكونوا جميعًا أعضاء فى أسرة واحدة، ستكون هناك معاملة محترمة ومتساوية لكل النقابات العمالية مقابل تحملها لمسئولياتها والتزامها فى تحركها الحر الخالى من التدخل من قبل القوى الخارجية التى لم تفهم مشكلات العمال النيجيريين. وسمح المستشار السياسى الرئيسى بتكرار مفاده، أنه ما دام أن الرئيس أزكوى واحد من أصدقائه، فإن شخص الرئيس سيجرى تأمينه فى حال فوز التحالف الوطنى النيجيرى فى الانتخابات.

لم يحدث أن سُمِع صوت الحاج السير أبى بكر خارج مقاطعته طوال الطواف التماسًا لأصوات الناخبين، اللهم باستثناء واحدة من المقابلات التى اضطر فيها إلى الكشف عن واقعيته على الرغم من ولائه لزملائه فى مجلس الوزراء، والتى وصف فيها حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين بأنه العدو الرئيسى نظرًا لإنكارهم للعمل الذى قام به شركاؤهم فى "الائتلاف". لم يكن أبو بكر يود تعديل الدستور مرة ثانية، وطلب الرجل أن يدله أحد على تلك الدولة الإفريقية التى نمت وتطورت أسرع من نيجيريا. ومع ذلك يصر أبو بكر على أن سياسة وزير الخارجية، الذى هو من حزب

المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين جرّت على البلاد (نيجيريا) خيراً كثيراً فى إفريقيا وخارج إفريقيا. أما أتباع أبى بكر فقد غلب عليهم الاستهزاء الرخيص بخصومهم واكتفوا بوصفهم بأنهم أجانب أو أشخاص وقحون لا يساوون شيئًا (إذا ما كانوا من أعضاء الجبهة الشمالية التقدمية).

وعلى الوتيرة نفسها نجد أن الحلفاء الجنوبيين فى التحالف غلب عليهم ترديد الحجج الشوفانية التى كانوا يرددوها فى العام ١٩٥٩ وما قبله. أما الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى فقد راح يركز على وحدة اليوروباويين فى مواجهة الهيمنة الإجباوية، فى حين راحوا يستخفون بحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين لانتحاله أفكار أولوو، كما استخفوا أيضًا بأُكبارا لأنه لم يمثل المقعد الفيدرالى بنفسه، وأنه كان يرغب أيضًا فى تفكيك الاتحاد (رد أُكبارا متحديًا كلاً من أبى بكر وأكنتولا أن يقتربا من الإقليم الشرقى أو القيام خلاله بحملة انتخابية). تركزت الرسالة المعادية للأجبو والصادرة عن حزب مؤتمر دلتا النيجر على التحالف الوطنى النيجيرى باعتباره القوة الوحيدة التى يمكن أن تفكك الإقليم الشرقى وتنشىء ولاية خاصة بالأنهار. عارض أيضًا حزب الجبهة الديمقراطية للغرب الأوسط الهيمنة الإجباوية على الرغم من أن رئيسه جيمس أوتوبو كشف عن شىء من الاستقلال من خلال رفعه قضية أمام محكمة بنين العالية، ضد الحاج السير أبى بكر وآخرين، ويدفع فى هذه القضية بعدم قانونية مجلس الغرب الأوسط، نظرًا لإعادة تحديد دوائره الانتخابية بطريقة غير عادلة. ولعب فانى ـ كايود على ورقة (كارت) أولوو، بأن ادعى دون تشاور مع التحالف الوطنى النيجيرى، فى مطلع شهر ديسمبر، بأنهم سيطلقون سراح أولوو، بناء على كلام رئيس الوزراء بعد ذلك بعام، "... أمامه أشياء كثيرة يتعين عليه القيام بها من أجل نيجيريا". كان أكنتولا يقول الشىء نفسه فى جلساته الخاصة، لكنه كان يعرف ذلك الذى يمكن أن يفعله له حزب جماعة العمل عندما يكون تحت زعامة أولوو، وضمن التحالف المتحد التقدمى العظيم.

كانت حملة التحالف المتحد التقدمى العظيم، التى كان يترأسها الدكتور أكبارا، وهو من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، تطمح إلى أن تكون قوية ولها وزنها فى سائر المقاطعات، من خلال استعمال لغة قوية معادية للشمال، وتعبر عن استيائها من معاملة مؤسسات الشمال للأجبو فى كل مكان، اللهم باستثناء تلك الأماكن التى يكون فيها خلفاؤهم الشماليون فى موقف المعارضة للقمع العام الذى تمارسه السلطات المحلية ضد التقدميين: فى منطقة الأنهار ركز الإجباويون جهودهم على الحاجة إلى إنشاء ولايات جديدة وعلى إطلاق سراح الرئيس أولوو. استخفوا بأعضاء الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، لأنهم غيروا سياسة الحزب أربع مرات، خلال عدد من السنين، إلى حد أنهم الآن يسمحون باستعمال اليد السوداء، التى هى رمز اقتراعهم الحزبى، مع الفأس، التى هى رمز الاقتراع فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، يزاد على ذلك، أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين كان قد ساعد آكنتولا (ونائبه الأسبق فانى - كايود فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين) فى إبعاد أولوو، فى الوقت الذى كان فيه رفاق الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى مجرد رجعيين شماليين، وعصابة من المفكرين النفعيين، العاجزين عن المشاركة فى تقدم البلاد. أما حزب الحزام الأوسط المتحد، وهو حزب معظمه من المسيحيين والروحانيين(*)، وكذلك حزب الشعوب الكانوية(**) الذى فيه عدد كبير من الأعضاء التيجانيين(***) فقد كان لديهما أسباب تجعلهما يحذران فى الإفصاح عن تحالفهما أو شروط اختيار النقاط التى يجرى الهجوم عليها فى عدوهما المشترك. يزاد على ذلك أن حزب العناصر الشمالية التقدمى لم يشعر بأى خجل من مصادقته للكفرة.

(*) أولئك الذين يؤمنون بأن لكل شىء فى المجتمع روحًا. وهذا أمر شائع بين عدد كبير من سكان نيجيريا. (المترجم)

(**) نسبة إلى مدينة كانو النيجيرية. (المترجم)

(***) نسبة إلى الطريقة التيجانية الصوفية. (المترجم)

أما فيما يتعلق بحزب جماعة العمل نفسه، فقد أثر الهجوم على تلك البقية الباقية التى جرى تحديدها أو تعريفها تعريفًا سيئًا على أنها "أعداء اليوروباويين"، مستهدفًا بذلك عزو الفوضى والإضراب فى الإقليم الغربى إلى غياب الرئيس أولوو، ويطالب بتقسيم الشمال الكبير إلى ولايات سياسية يسهل التحكم فيها وفى إدارتها، وقد استفاد هذا الحزب من الاستياء الناجم عن الأساليب القهرية التى كان أكنتولا يلجأ إليها، لكنه لم يستفد من التوحد مع محاولات الدكتور أُكبارا فى قيامه بجولة فى الإقليم الغربى لمصلحة المعارضة الطبيعية فى الإقليم. كان التحالفان ينظران إلى الإقليم الغربى باعتباره المفتاح إلى الحملة الانتخابية: كان التحالف المتحد التقدمى العظيم يود أن يثبت أن سكان ثلاثة أقاليم من إجمالى أربعة كانوا يقفون متحدين خلفه، وكان التحالف الوطنى النيجيرى بعد أن استقطب حزب جماعة العمل يريد أن يبرهن على أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين يمكن هزيمته.

جرى قذف هذه التغيرات الاثنية على خلفية نشاط جوقى chorus، أسوأ من أى نشاط مماثل فى الحملات الانتخابية السابقة، جاء ذلك النشاط بهيجًا وزاهيًا على الرغم من وصفه فى صحافة تلك الأيام، بلغة تذكرنا بلغة هزليات أموس Amos تيوتولا الشعرية، وأنه لم يبلغ من السوء حدًا يجعله يغيب عن الذكريات التى نجمت عن الخبرات والتجارب السياسية الأبشع منه والتى تلته. فى إنذار مسبق بما يمكن أن يحدث فى المستقبل، جرى انتقاد حكومة الحاج السير أبى بكر الفيدرالية، التى سبق أن تدخلت فى شئون الإقليم الغربى فى العام ١٩٦٢، لعدم تدخلها الآن فى شئون الإقليم الغربى، ومع ذلك لم يكن سوء الحال فى الإقليم الغربى بأكثر من الأقاليم الأخرى حتى يمكن إفراد الإقليم الغربى بمعاملة خاصة. كانت البلطجة واسعة الانتشار، لكن العنف الناجم عن تلك البلطجة كان موجهًا بصفة عامة فى تجاه الإبقاء على الملوَّحين، وإن شئت فقل الدهماء، تحت السيطرة، أكثر منها ضد الخصوم أو الأجانب بصورة شخصية. كانت البيروقراطية الحزبية الوضيعة، والتفسيرات الضيقة

من خلال كتب الحكم هما أكثر الأدوات فاعلية فى مواجهة السياسيين: كانت هناك أسباب خاصة وراء منع الدخول إلى أماكن بعينها، أو سحب التصاريح، أو إلغاء الإقامات، الصلافة الزائدة عن الحد، تَغَيُّب الموظفين عن مكاتبهم، كل ذلك أغضب الزعماء (ألفى أُكبارا، أمين كانو، وادجبنرو بسبب الاشمئزاز الذى أصابهم قبل ثلاثة أيام، الجولة التى كانوا يودون القيام بها إلى الشمال). سرت تلك التحركات tactics فى مراكز التسجيل الانتخابية:هذا يعنى أن البالغين الذين جرى حسابهم ضمن التعداد ربما لا يكونون قد تسلموا بطاقاتهم الانتخابية، هؤلاء الشكّائون لم يجدوا أحداً فى مكتبه حتى يستمع إلى شكاواهم، يزاد على ذلك أن الكشوف المطبوعة اللازمة للاستعمال لم تكن متوفرة فى معظم الأحوال. أدى نقص الكفاية إلى الوقوع فى أخطاء إملائية وعدم الدقة فى العناوين، وتوجه الناخبين إلى مقرات انتخابية غير المقرات المخصصة لهم: الأمر الذى ولَّد كثيراً من الحقد والغضب.

إستُغلّت المحاكم أيضًا فى هذه الحملة: كان يجرى إلقاء القبض على المحامين الممارسين، وهذا هو يوسف تاركا جرى إلقاء القبض عليه بتهمة "التحريض". ظن البعض أن ذلك كان مقصوراً على قبول الشرطة المحلية والمحاكم المحلية للرشوة، لكن فى الإقليم الشرقى، الذى لم يكن فيه سوى قوة الشرطة النيجيرية، ونظراً أيضًا لأن العادات والتقاليد كانت مجزَّأة، نجد أن الإقليم الذى كان يعتمد اعتماداً كبيراً على المحاكم الجزئية، وشكاوى إلقاء القبض المصدّقة، والتهديد، والإصابات، التى كان يرتكبها حزب الجبهة الديموقراطية فى الغرب الأوسط، والحزب الديناميكى، وحزب مؤتمر دلتا النيجر، والحزب الجمهورى، وحزب الفلاحين والعمال الاشتراكى، وحزب المؤتمر الشعبى الشرقى. معروف أن مسألة الدوافع ومسألة الأذهان المذنبة أمران يصعب إثباتهما: لو اتهم المفتش الصحى أحداً بوضع يرقات البعوض فى ساق شجرة من أشجار الموز، ولو اتهم مسئول الغابات فلاحًا بإتلاف شجرة من الأشجار المحمية، أو لو قام ريِّس العمال بتدمير كوخ خطير، هل تختلف هذه الاتهامات باختلاف

سياسات الأحزاب؟ لم تكن هذه المصيبة مقصورة على نيجيريا وحدها: وجهت شرطة المرور الأمريكية لبعض السائقين تهمة تعليق ملصقات الفوط الصحية من طراز "النمر الأسود" على سياراتهم، وهؤلاء هم المسئولون البريطانيون يصادرون بأمر عسكرى القضبان الحديدية التاريخية من ضيعات الأرستقراطيين ويتركونها على شكل أكواخ يأكلها الصدأ، بدلاً من صهرها لتدخل فى صناعة الدبابات فى زمن الحرب، لكن هؤلاء المسئولين أنفسهم أبقوا على حديد المبانى المحلية بلا مساس، وجرى أيضًا حبس تلاميذ المدارس العامة البريطانية (أو كان يجرى إطلاق سراحهم بلا حذر) بعد ارتكاب الجرائم الصغيرة، ومن ذا الذى يستطيع وزن الإساءة بميزان القانون الحقيقى؟ من هنا نجد أن الذوق الفاسد موجود كما هو الحال فى نيجيريا وذلك كله على الرغم من المذكرات التى تصدر عن السلطان وتنص على أن "السلطة يتعين عليها التعامل مع المخالفين دونما اعتبار لانتمائهم الحزبى، أو وضعهم الاجتماعى، وأنه لا يجوز سجن أى إنسان بدون ذنب". كان هناك اعتبار آخر واضح، لكن لم يكن يدركه أحد إلا نادراً وهو: أن السكان الدنيويين من الديموقراطيات الغربية الليبرالية، هم وكثيرون من الأفارقة الذين دخلوا فى المسيحية، أو الذين درسوا القانون الأوروبى والدستورية الأوروبية، كانوا مقتنعين بالفصل بين السلطات، والفصل بين الكنيسة والدولة، والتمييز بين النشاط السياسى والنشاط "الإجرامى"، لكن أولئك المخلصين والموالين لكنيسة العصور الوسيطة، أو الإسلام، والذين يحترمون القوانين والأعراف الإفريقية الأخرى، كانوا مترددين فى مسألة تجزئة الحياة على هذا النحو، والحكم على السلوك البشرى كله بمعايير وقواعد وقوانين كونية واحدة. لم تكن الحملة الانتخابية الحزبية السياسية أو العرقية مبررًا للقيام بأعمال وتصرفات اجتماعية لا تطاق، ولو كان القائمون بهذه الحملة قد تدبروا، ولو على سبيل المثال، أحوال قلة قليلة من أتباع حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى، الذين دخلوا السجن فى نهاية المطاف، لما شاركوا فى تلك الحملة - لكن الذى لا شك فيه أننا من سوء حظنا وجدنا ردود الفعل هذه تحدث فى الدنيا كلها.

اضطرت الظروف رئيس الوزراء (بعد أن جرى مؤخراً إرسال بعض السجلات الانتخابية إلى أمريكا لطباعتها فى الوقت المحدد) إلى الموافقة مع اللجنة الانتخابية الفيدرالية فى تحديد تاريخ الانتخابات، بعد المهلة القانونية المحددة بثلاثة أسابيع من تاريخ حل البرلمان، أو بالأحرى اعتباراً من اليوم الأخير المنصوص عليه فى الدستور، والذى يصادف اليوم الثلاثين من شهر ديسمبر. وعلى الرغم من تحاشى دورة الانفعالات الانتخابية الناجمة عن عيد الميلاد، الذى سيفسد تحت أى ظرف من الظروف، فإن تشكيل أية حكومة جديدة قد يمتد إلى رمضان **شهر الصوم**. فى اليوم التالى لإعلان موعد الانتخابات ألقى الدكتور آزكوى خطاباً "إذاعياً" مثيراً "عند الفجر" على طريقة حكم نيكروما غير القويم عنه حكماً دستورياً. قال بعض من استمعوا إلى ذلك الخطاب إن الرجل كان "متحدياً وغير مصدق" فى مزاعمه المضادة، وقال بعض آخر إن الخطاب عبارة عن هجوم آخر على التحالف الوطنى النيجيرى، وليس تعنيفاً أو توبيخاً محايداً لكل الأحزاب المتصارعة - التى قال فى معرض حديثه عن ١٠٠٠٠ "محتجز" - التى سيؤدى أسلوبها غير المسئول إلى تفكك الأمة: "إذا كان لابد من تفكك هذه الجمهورية الناشئة، فنحن ندعو الله أن تكون عملية التفكك هذه قصيرة وبلا ألم!... إذا كان سياسيو هذه الأمة قد قرروا تدمير وحدتنا الوطنية، فإنهم يتحتم عليهم الدعوة إلى مؤتمر مائدة مستديرة يحددون فيه الطريقة التى سيجرى بها تقسيم أصولنا الوطنية قبل أن يحددوا مصيرهم عن طريق إشباع شهوتهم إلى المناصب، وسبب ذلك، أن من الأفضل لنا ولكثير من المعجبين بنا فى الخارج، أن نتفكك فى سلام لا أن نتفكك عن طريق تقطيع أنفسنا إرباً إرباً". وراح الرئيس يعانى بعد ذلك من التوتر الشديد من جديد، الأمر الذى جعل طبيبه ينصحه بالتزام الراحة من جديد. كان الرئيس آزكوى قد فشل فى مساندة رئيس وزرائه فى مناداته الحماسية غير الحزبية بالوحدة، لكن الرجل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك عندما راح يتكلم علانية ولأول مرة عن الانفصال باعتباره خياراً محترماً أمام الأمة. كان ذلك عملاً مشئوماً فى نظر

الكثيرين الذين كانوا ينظرون إلى آزكوى باعتباره زعيمًا لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، الذى ينضوى تحت لوائه عدد كبير من الإجباويين.

جاء رد فعل رئيس وزراء الإقليم الشمالى عاجلاً: هؤلاء الذين يتكلمون بصورة غامضة عن مستقبل البلاد يجب أن يعرفوا أن الدستور ليس فيه نص على الانفصال أو "التفكك" - قال: إنه لاذ بالصمت فى الماضى لأنه كان يرى أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، لن يسعى أو يشير إلى ذلك، لكن زعماء ذلك الحزب بدأوا الآن يثيرون الخوف والشكوك. وفى سبيل إسكات هؤلاء الذين كانوا يشيرون إلى وجود شواهد على انقسام داخل حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وأن هذا الانقسام متمثل فى تطلع الحاج السير أبى بكر إلى تشكيل حكومة تضم الأحزاب كلها، قام المستشار السياسى الرئيسى، هو ورئيس الوزراء بإصدار بيان مشترك مفاده أن أبا بكر سيبقى على رأس الحكومة إذا ما أعيد حزبهما إلى السلطة، وأن الرجل لم يحدث أن عمل مطلقًا خارج إطار سياسة الحزب، وأنه يتشاور بصفة مستمرة مع السير أحمد بللو بلا أى خلاف بينهما. أكد هذا البيان شبه المقنع موقف الحزب، لكنه أضعف أبا بكر فى عيون الجنوبيين الذين آثروا تصوير الرجل على أنه أُلعوبة وليس زعيمًا وطنيًا. وهنا نجد السير إبراهيم كاشيم يشق الصف ويوافق على أن أى قسم يكون مقتنعًا بأنه لا يود البقاء فى الاتحاد يتعين عليه أن يراجع حكومته والحكومات الأخرى من خلال القنوات الرسمية، إن هو أراد بحق لمثل هذا "العمل" أن يكون سليمًا.

أعيد "اختيار" السيد/ تى أو إس بنسون، وزير إعلام أبى بكر، فى السباق الذى جرى على الترشيحات: ونظرًا لأن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أصبح حزبًا إقليميًا شرقيًا تمامًا تحت زعامة إجباوية، فقد أصبح بنسون أكثر عزلة باعتبار أنه يوروباوى، على الرغم من أنه كان يشغل منصب نائب رئيس الحزب. وعندما أعطت رابطة دائرته الانتخابية فى شمال ليجوس الأغلبية الكبيرة للسيد/ أف إم مورونو Moronu من منطلق أنه سيكون مرشحهم المرتقب، استقال بنسون من خدمة فردية

دامت سبعة عشر عامًا فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وأعلن نفسه مرشحًا "مستقلاً للتحالف المتحد التقدمى العظيم". وجاء رد قيادة الحزب وقحًا ومعبرًا عن "ارتياح كبير". حدثت بعض التقلبات، وإن شئت فقل الخيارات الحزبية الجوهرية، ومع ذلك ازدادت خشونة عملية التعامل مع الترشيحات. كان البلاطجة وأصحاب الإجابات غير المباشرة يظهرون حيثما تكون هناك فرصة للعراك بين الخصوم، لكن فيما يتعلق بأعداد "المقاعد الآمنة" فى الشمال بصفة خاصة، حيث أصبحت مسألة البلطجة مظهرًا من مظاهر المباهاة بين عملاء الحزب، الذين لا يؤمنون بالبندولات السياسية فى مجتمع جماعى والذين ينظرون إلى التنافس باعتباره لعنة شخصية، وأن مرشحهم لابد أن يعلن انتخابه بلا معارضة. جاءت مكائد الحزب الديمقراطى الوطنى النيجيرى فى مسألة التعيينات متواضعة بالمقارنة مع مكائد حزب المؤتمر الشعبى الشمالى. لم يخجل بعض الوزراء والأمراء من التلميح لموظفى الانتخابات، وبخاصة مسئولى الإدارة المحلية، بالطريق إلى المحاباة والجمائل المستقبلية، ولم يكن موظفوا الحزام الأوسط هم وحدهم الذين استسلموا لذلك. أحس الحاج السير أبو بكر بالحرج نتيجة شعور قوى فى دائرته الانتخابية، مفاده أنه كان هناك جدول تحالف خاص "بأولئك الذين لا يعترض عليهم الناخبون". وليس من المدهش، أن نرى نيران الخديعة ترتد فى المناطق التى أصابت فيها نجاحًا، نظرًا لأن الفائزين فى الانتخابات جرى التنديد بهم بأنهم هزموا الخاسرين عن طريق نظرية العراقيل والعقبات ليس إلا، وجرى توجيه اللوم إلى أبى بكر بصفة خاصة عن الصعوبات التى واجهها التحالف المتحد التقدمى العظيم فى جنوب غرب باوتشى. ومع ذلك، وعندما بدأ التحالف المتحد التقدمى العظيم يدرك أنه مع دخول العام الخامس من الاستقلال لم يعد هناك إداريون أجانب ميكيافليون Machiavellian كيما يوجه إليهم اللوم عن أرقام تعداد سكان الإقليم الشمالى، راح زعماء التحالف يغيرون مسارهم. وفى يوم حل التحالف، زعم الدكتور أكبارا، آخذًا فى اعتباره النتائج الشمالية المحتملة، ومعترفًا فيما بينه وبين نفسه أنه لا يمكن أن يفوز فى الانتخابات، أنه حتى وإن جرى التلاعب بالكشوف الانتخابية، أو

استعمالها استعمالاً غير نظيف، فإن التحالف المتحد التقدمى العظيم "لن يسمح" لأية حكومة بتولى السلطة. واتضح أن تجنيب ذلك العدو الكبير من السكان الذين لم يبلغوا السن القانونية للانتخاب، هم ونساء الإقليم الشمالى، يجعل عدد الأصوات الانتخابية الرسمية فى نيجيريا يصل إلى ٢٢ مليون نسمة.

بدأ أيضًا تفسير السوابق بطريقة مضللة: من بين هذه التفسيرات المضللة تفسير يشير إلى الحكومة بصفتها حكومة "تصريف أعمال"، مثلما حدث عندما استقال وزراء حزب جماعة العمل من مجلس الوزراء فى العام ١٩٥٣ (أو عندما استقالت وزارة تشرشل اليسارية العمالية فى العام ١٩٤٥ وقام بتشكيل إدارة "تصريف أعمال" استمرت أسابيع قليلة)، هذا يعنى أن مثل هذه الوزارة لا تكون لها سلطات سياسية حقيقية، السابقة الثانية التى جرى تفسيرها تفسيرًا مضللاً، تفيد أنه مثلما سبق أن قام السير جيمس روبرتسون بتكليف السير أبى بكر بتشكيل الحكومة فى العام ١٩٥٩ الميلادى دونما انتظار ورود النتائج القليلة النائية، فإن الرئيس يجوز له استعمال نصوص الدستور وتعبيراته فى تكليف رئيس وزراء جديد فى حال حدوث فراغ نتيجة عدم عقد انتخابات "قانونية". من هنا أصبح مهمًا عند التحالف المتحد التقدمى العظيم أن تكون الانتخابات "غير سليمة". جاءت القصص ذائعة الانتشار فى سائر أنحاء البلاد عن جلد "أعضاء الحزب" ورفض الكفالات، وكذلك القصص التى كانت تروى عن حظر التجوال، ومحاكمة الصحفيين بتهم العصيان والتمرد، والانقسامات الدينية، والعثور على الأسلحة، بمثابة مشجع آخر على "عدم سلامة الانتخابات". وعلى كل حال، فإن الاحتمال الذى مفاده أن عددًا كبيرًا من مرشحى التحالف الوطنى النيجيرى سوف يجرى الإعلان ـ سواء أكان ذلك أم لم يكن عن طريق وضع العقبات والمعوقات ـ بأنهم لا اعتراض عليهم، (الأمر الذى سيسفر عن موجة من النتائج المماثلة، ويجعل من الصعب على الرئيس المطالبة برئيس وزراء من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، إذا ما فاز التحالف المتحد التقدمى العظيم بالإعلان مبكرًا عن المقاعد

المتنافس عيها)، كان يثير القلق. حذر الدكتور ماجيكودونمى رئيس الوزراء وطلب إليه أن يستشير، لكن المستشار القانوني الذى جرى الاستعانة به ركز على سوابق فى الدستور الهندى بدلاً من التركيز على تفسير الصياغة النيجيرية.

كان للتحالف المتحد التقدمى العظيم حلفاء فى بنين، وفى إينوجو، وفى لاجوس. وكانوا جميعًا يطالبون وينادون بطرد حكومة "تصريف الأعمال" على الفور، وأبرق آدجيبنرو للرئيس فى اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر موضحًا له أن التحالف المتحد التقدمى العظيم هو والتحالف الوطنى النيجيرى يتعين عليهما شغل المناصب الوزارية الشاغرة. راح مؤيدوا حزب جماعة العمل فى جامعة إيبادان، والذين دارت الشكوك حول وجود علاقة خاصة بينهم وبين أفكار العسكريين من أمثال بانجو هو والمتآمرين الآخرين، ينادون بتأجيل الانتخابات وينادون أيضًا بتولى الجيش (الذى كان هناك استياء من استخدامه فى فرض القانون والنظام) الإدارة مدة ثلاثة أشهر، والإشراف على كشوف الاقتراع. وقام المستشار السياسى الرئيسى بإصدار تفسير قانونى على الفور، يبين حدود السلطات الممنوحة للرئيس، ويعرب عن تأكده من أن الدكتور آزكوى لن يعتدى على الدستور، كما سارع الحاج السير أبو بكر إلى القضاء على الطعن الجديد الذى ورد على لسان آدجيبنرو، والذى مفاده أن حكومة أبى بكر هى حكومة "تصريف أعمال"، ما دام أن أحدًا لم يستقل منها، وأصر أبو بكر على أنه ليس هناك أى مساس بالدستور، وأنه هو وجميع الوزراء (بما فى ذلك وزراء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين الذين كانوا "متأهبين") كانوا يديرون المهام التنفيذية بطريقة صحيحة وعادية جدًا إلى أن يجرى تشكيل حكومة جديدة بعد الانتخابات. قد تبدو وزارته مثل "البطة العرجاء" أو "معلقة"، لكنها باستثناء أنها ليست لديها السلطة التشريعية التى تجيز لها التشريعات الجديدة، فهى لديها الموازنة والسياسات المطلوبة لأية سلطة من السلطات التنفيذية. وهذا هو أوسادباى Osadebay، فى أضعف الأحوال يطلب من الشعب النظر إلى الحكومة وإلى نيجيريا من منظور الإيمان بأن

نيجيريا "واحدة ولا تقبل التجزئة أو التقسيم". فى اليوم السابع عشر من شهر ديسمبر جرى إصدار آخر السجلات الانتخابية، كان موظفوا المراجعة قد أمضوا أيامًا كثيرة بواقع أربع وعشرين ساعة فى اليوم الواحد، فى العمل على مراجعة القوائم مستخدمين فى ذلك الحسابات الإليكترونية غير العادية التى لدى مكتب التعداد، ومكتب الإحصاء، ومؤسسة السكك الحديدية، وشركة شل فى ميناء بورت هاركورت، وجامعة إيبادان. وإذا ما نحينا التقنية الحديثة جانبًا، نجد أنه كانت هناك مشكلات بشرية كبيرة فى إدخال الاسماء التقليدية أو الاسماء التى جرت صياغتها باللغة الإنجليزية فى البرامج الأوروبية التى تعتمد على الاسم الأول واسم العائلة. كانت مسألة مراجعة اسماء المرشحين وغيرهم من الداخلين فى هذه العملية ومن بين المشكلات الرئيسية التى واجهت هؤلاء العاملين، إذ يتحتم مراجعة هذه الاسماء على السجل النهائى الخاص بعملية الترشيح. ولم يكن يتبقى من الزمن سوى يوم واحد يتعين فيه القيام بكل هذه الأعمال.

لم يقل الدكتور آزكوى شيئًا، لكن الزكويين Zkists تكلموا عن المقاطعة وعن الانفصال، واشتكى التحالف المتحد التقدمى العظيم لدى لويس إيدت Edet، المفتش العام أن الشرطة المحلية لم تكن تحت قيادته. قام إيدت Edet من منطلق أن له حق الاتصال المباشر برئيس الوزراء، فى اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر، آخر أيام الترشيح، بتوجيه خطاب إذاعى غير سياسى، ناشد فيه السياسيين كلهم بمراعاة "الممنوعات الثمانية": لكن كان أوان ذلك قد فات. كان السيد/ سى سى موجيكو Mo-jekwu، المحامى العام فى الإقليم الشرقى، يقوم بجولة فى الشمال للوقوف على إحباطات التحالف المتحد التقدمى العظيم. كانت خبرة موجيكو كلاسيكية بمعنى الكلمة، من ذلك على سبيل المثال قيام بعض أفراد اللجنة الانتخابية بعقد لجنة استماع شبه قضائية فى أحد فنادق كانو، لكى يستمعوا إلى كل من موجيكو، وأمين كانو، وبعض المتحدثين باسم التحالف المتحد التقدمى العظيم وهم يعرضون قضيتهم، التى

امتدت فى ذلك الوقت إلى ما وراء الوحشية وتخطت أيضًا حواجز الخط الأحمر لتصل إلى البرابخ المكسَّرة وقطعان الأبقار التى تعترض حركة نقل المُنَظِّمين. وما إن جرى تجميع بعض الناطقين باسم حزب المؤتمر الشعبى الشمالى (إينَّوا وادا)، سول جايا، وسول جيزاوا ومعهم أحد المحامين) عن طريق المكالمات التليفونية للقيام بدور "المدافعين"، تعين على السيد/ موجيكو الموافقة على قيام كبير موظفى الانتخابات فى الإقليم الشمالى، جاربا جا عبد القادر، هو وموظف الانتخابات المحلية الغانى فى كانو، بالتحقيق الكامل والعادل فى كل شكوى من الشكاوى التى وصلت إليهما. سهل ذلك على الشاكين الادعاء بأن هناك حالات أخرى من سكتو أو أدماوا جرى التقدم بها لأنه لم يكن هناك من يستطيع الرد على هذه الشكاوى، أو (بدقة أكثر) أن الناس الذين جرت عرقلتهم فى حقيقة الأمر كانوا من المحامين الجائلين أصحاب المهارات المالية والورقية المتقدمة، أما المؤيدون المحليون للمرشحين فلم يكونوا بحاجة بحق إلى أية مصادر خارجية من هذا القبيل، حتى يتمكانوا من القيام بتلك الترشيحات البسيطة والحقيقية. رفض المفوضون تلك الشكاوى، لكن المنافسين من التحالف المتحد التقدمى العظيم، فى كثير من الدوائر البعيدة عن المطارات كانوا لا يزالون لم يحصلوا على اسمائهم حتى حلول اليوم التالى، على الرغم من تمديد الموعد باثنتى عشرة ساعة بعد انتهاء التاريخ المحدد بنهاية يوم السبت المصادف للتاسع عشر من شهر ديسمبر (وذلك بناء على المقترح المبدئى من زملائه، الذى جرى الإعلان عنه فى اليوم العشرين من شهر ديسمبر من ناحية، وبناء أيضًا على إصرار موجيكو من الناحية الأخرى على أن تكون مدة الانتخابات خمسة أيام صافية).

اتضح فى اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر من التقارير المتضاربة التى تأخرت بلا مبرر، أن أربعة وستين من مرشحى التحالف الوطنى النيجيرى فى الشمال واثنين آخرين من حزب جماعة العمل فى معقلهم فى منطقة الأيف قد فازوا بالتزكية فى الانتخابات، وحدث الشىء نفسه لما لا يقل عن ١٨ مرشحًا من الأيف فى التحالف

المتحد التقدمى العظيم (من بينهم الدكتور مبادوى، الوسيط المستعد بصورة دائمة). وجرى تخريب فرصة حصول التحالف المتحد التقدمى على الأغلبية الباكرة التى تعطى رئيس الدولة دعوة رئيس وزراء من حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين إلى تشكيل الحكومة، لكن زعماء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين نسفوا كل شيء، وتجاهلوا الشرعية العملية، وقالوا غاضبين إنهم يعدون جميع المقاعد التى فشلت فيها ترشيحات التحالف المتحد التقدمى العظيم، مقاعد فاز بها التحالف. واقع الأمر أن القيادة الهرمية للتحالف التقدمى العظيم طلبت من رئيس الدولة التصرف فى ضوء أدلة التلاعب، التى ربما يكون قد قرأها أو اطلع عليها فى المواجيز الاستخباراتية، وأن يؤجل الانتخابات، وبعدها يقوم بتعيين حكومة تصريف أعمال. لكن الحاج السير أبا بكر لم يوافق على استجابة الرئيس الدكتور آزكوى، وأصدر أوامره بحتمية الالتزام بالإجراءات الروتينية من منطلق أن أبا بكر، على العكس من زعماء الأحزاب، كان يرى أن المسألة الانتخابية (إذا ما نحينا جانباً المحافظة على القانون والنظام) هى من مهام اللجنة الانتخابية الفيدرالية وليست من مهام الحكومات السياسية.

من سوء الطالع أن صُوِّرت اللجنة فى الصحافة بشكل عام على أنها نوع من التشوش القبلى، وتجاهل السيد/ إيسوا Esua عن عمد اعتقاداً، سرى على نطاق واسع مفاده أن المكاتب، على سبيل المثال، جرى إغلاقها فور إدراج اسماء مرشحى التحالف الوطنى النيجيرى. قال أُكبارا من خلال التليفزيون إن الترتيبات الانتخابية كانت مهزلة "لا تصدق"، وأنه لن تكون هناك انتخابات على الإطلاق، وراح يلقى باللوم على "تفكك" البلاد على المستشار السياسى شخصيًا (الذى اعتبره أُكبارا صنواً "للأمراء" غيلانه النازحين من الحضر) وعلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى لإغفاله مسألة الوحدة. وأصدر التحالف المتحد التقدمى العظيم منشوراً تافهًا بعنوان "التدليس الكبير"، فصَّل فيه التحريفات ومظاهر التخويف، وراحت حركة الدكتور آزكوى تتكلم من ناحية عن الشرق من جديد، وعن انفصال الغرب الأوسط، من الناحية الأخرى، إذا

ما مضت الانتخابات قدماً. وجاء تعليق أبى بكر، شأنه شأن تعليق السواد الأعظم من المتفرجين الآخرين، عندما يشكل المتنافسون السياسيون السابقون تحالفات جديدة، يفيد أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين كان رصيداً كبيراً للتحالف المتحد التقدمى العظيم، لكن الحزب كان عندما يفشل أو يخسر فى الانتخابات، يلقى باللوم على حزب جماعة العمل. كما اعترف السيد/ إيسوا Esua، من خلال الإذاعة، فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر أنه كانت هناك ثلاث حالات من المرشحين الذين فازوا بالتزكية، فى الوقت الذى جرى فيه استقبال أكثر من ترشيح قانونى، وأعرب الرجل أيضاً عن أسفه على التقارير غير المسئولة، وقال: إن الانتخابات ستمضى قدماً على الرغم من ذلك كله - فى كل من إيلورن وكاتسنا، وأُكجوى .Okigwi قال أدجبنرو إن التحالف المتحد التقدمى العظيم سوف يتقدم بالتماس رسمى إلى رئيس الدولة، يطلب فيه تأجيل الانتخابات، وتشكيل حكومة "مؤقتة" فى الوقت نفسه، أو إلغاء الترشيحات التى فازت بالتزكية، فى أضعف الأحوال. كان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى قد طلب من مسئولى التحالف بطريقة وقحة عدم إقحام رئيس الدولة فى السياسة. وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر تقدم أكبارا باقتراح مفاجئ مفاده أن الجيش يتعين عليه الإشراف على الانتخابات – فى الشمال، كان رئيس الوزراء قد أوضح فى حديث سياسى إذاعى حزبى استياءه من المزاعم التى تساق عن الشمال بصفة خاصة، كما أنكر الرجل علمه بالتعديات السافرة من جانب أعضاء التحالف المتحد التقدمى العظيم، كما أردف قائلاً: إن شائعاتهم **"كانت تسىء إساءة كبيرة إلى نيجيريا، وبخاصة فى الوقت الذى نحن جميعاً مشغولون بمهمة تطوير بلادنا"**. وأبلغ كل من أُكبارا، وأدجبنرو، وأوسادباى Osadebay رئيس الدولة بصفة خاصة أنهم على استعداد للمناداة بمقاطعة الانتخابات.

أعلن وزير الإعلام، عشية عيد الميلاد، أن رئيس الدولة سوف يتصرف طبقًا للدستور كان الضغط قد بدأ من جديد على الرئيس من قبل أكبارا (الذى راح يتحدث

من جديد عن الانفصال) وأسادباى، ومن قبل آخرين من بينهم آدجبنرو، مبادوى، كولا بالوجن، وإيمودو، لكى يؤجل الانتخابات إلى أن تتم إزالة المخالفات، إذ بغير ذلك سيقاطعون الانتخابات. بدا أن الدكتور آزكوى كان مقتنعًا بذلك، على الرغم من خطابه الإذاعى الذى ألقاه عند الفجر، لكنه كان قلقًا أيضًا من مسألة التهديد بالانفصال. وهنا يتقدم المستشارون القانونيون للرئيس باقتراح مفاده أنه ما دام أن سلطات الرئيس تقرها الأطراف المعنية تفسيرات متباينة، فإن ذلك يحتم على رئيس الدولة استشارة المحامى العام الفيدرالى، الدكتور تى أو إلياس. أبلغ أكبارا الصحافة أن تأجيل الانتخابات بضعة أسابيع يعد أمرًا كافيًا، وقال حزب جماعة العمل إن اللجنة من سلطتها تأجيل الانتخابات، وحذر آكنتولا اللجنة الانتخابية من تعدى ما هو محدد لها، وعقدت زعامة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى اجتماعًا خاصًا فى كادونا. جاء خطاب الرئيس بمناسبة عيد الميلاد تفيد أن الأمة ينبغى أن تتجه إلى صناديق الاقتراع "بكل معانى العزم والأمانة".

استدعى الدكتور آزكوى فى اليوم التالى لعيد الميلاد حكام الأقاليم الأربعة إلى مقر الرئاسة ليقول لرفاقه، الذين من المفترض أنهم مثله فوق السياسات الحزبية، ذلك الذى قاله التحالف المتحد التقدمى العظيم. وقرروا جميعًا قيام رئيس الوزراء باستدعاء رؤساء وزراء الأقاليم ليؤكدوا على التزامهم بتعهداتهم السابقة ويؤيدوا قيام انتخابات حرة ونظيفة، وأن يؤكدوا أيضًا أنهم جميعًا يجب أن يحيوا حياة الأشقاء والشقيقات، أيًا كانت نتائج الانتخابات - وفى ذلك تلميح إلى عدم تأجيل الانتخابات. لم يحصل أبو بكر على رد رسمى يفيد استلام رؤساء الوزراء لدعواته التى جرى توجيهها على وجه السرعة. دعاه أوسادباى فى اليوم التالى من جديد إلى تشكيل حكومة مركزية تضم جميع الأحزاب، وراح طلاب التحالف المتحد التقدمى العظيم يرددون ما قاله أكبارا، منادين بأن يقوم الجيش بدور الحكم، وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر قال السيد/ إيو Eyo إيسوا Esua إن لجنته راضية عن الترتيبات الخاصة

بالانتخابات، والتى جرى اتخاذها فى الإقليم الشرقى. تناقش بعد ذلك كل من الحاج السير أبى بكر مع الدكتور آزكوى بلا نتيجة مدة ساعتين تقريبًا فى مسألة الطريقة المناسبة والسلطات غير المفعلة، لكن الدكتور آزكوى، وفى ذهنه مسألة الانفصال، فشل فى إقناع أبى بكر، أنه بعد تأجيل الانتخابات مدة ستة أشهر (الأمر الذى سيتطلب تشريعًا جديداً غير عادى ويحتمل أن يكون ذلك فى ظل سلطات طوارئ متضاربة) سوف يتعين على خبراء منظمة الأمم المتحدة الإشراف على انتخابات حرة ونظيفة، كان من رأى أبى بكر، بعد أن توتر أدبه وكياسته إلى حد ما أن ذلك سيكون من قبيل الإهانة إلى ديموقراطية ذات سيادة، وفى ضوء خلافهما قررا أن يقوم رئيس الدولة باستدعاء الحكام كلهم، لكن بصحبة رؤساء وزرائهم فى هذه المرة، للبت فى هذه المسألة فى اليوم التالى. نصح الدكتور السياسى الرئيسى الدولة أن التعليمات الصادرة بالإجماع إلى واضعى مسودة الدستور كانت تنص على أن "رئيس الدولة" ينبغى أن لا تسند إليه سلطات تنفيذية، وأن مواد الدستور التى يثور من حولها جدل ليس من الضرورى أن تخول الرئيس سلطات تنفيذية مطلقة، وأن رئيس الدولة ليس مخولاً بصورة مؤكدة سلطة تشكيل حكومة مؤقتة وليس من حقه أيضًا تخويل نفسه السلطات المخولة للبرلمان أو مجلس الوزراء. وتحفظ آزكوى على منصبه.

انقسمت أيضًا فى الوقت نفسه الحركة العمالية فى اجتماع عقد بهذه المناسبة. كان واحد من رؤساء لجنة العمل المشاركين، وهو وهاب Wahab جودلك Goodluck ومعه ميخائيل أمود وزعيم حزب العمل يريدان القيام بإضراب مساندة لتأجيل الانتخابات وتشجيعًا للدكتور آزكوى، ورفض هارون آدبولا Adebola، رئيس مؤتمر العمل المتحد، ومعه رئيس من الرؤساء المشاركين، مساندة أى أن أوكنجو، وهو سكرتير مشارك أيضًا فى لجنة العمل المشترك، للتحالف الوطنى النيجيرى، أما الرئيس المشارك الثالث من رؤساء لجنة العمل المشترك إن شوكوره Chukwurah فكان من بين من يؤثرون بقاء لجنة العمل المشتركة بعيداً عن الالتزام بأى حزب من الأحزاب

السياسية. حدث بعد ذلك احتفال شعبى عقده التحالف المتحد التقدمى، وعد فيه بمقاطعة الانتخابات اللهم إلا إذا كانت انتخابات "حرة ونظيفة"، كما انضم التحالف أيضًا إلى حزب الفلاحين والعمال الاشتراكى، وإلى بعض أعضاء حزب العمل، وأقلية من لجنة العمل المشتركة، فى مظاهرة قاموا بها أمام مقر الرئاسة وراحوا يهتفون "لا أوو Awo، لا حكومة!"(*)، وقامت الشرطة بتفريق هذه المظاهرة باستخدام الهراوات بعد أن قدم المتظاهرون التماسًا يطالبون فيه بالتأجيل. كان هناك حرس راكب مسلح موجود خارج مقر الرئاسة. قام الحاج السير أبو بكر بالتشاور مع القائد العام، وأعلن أنه على سبيل تمديد التدريب العسكرى **هارمونى** Harmony (الذى كانت تشهده بلاد التيف Tiv بالفعل) فإن الشعب يجب أن يعطى فرصة رؤية جيشه "**وعلمه يرفرف**". وعليه قام طابور ميكانيكى مكون من ٤٠٠ مقاتل بلباسهم العسكرى، بالتجول فى شوارع ليجوس (ولم تكن تلك "مناورة" على حد وصف البعض لها)، وقد ظن البعض أن ذلك كان يستهدف إحداث انطباع أولى لدى الدكتور آزكوى من ناحية عن التدخل العسكرى المحتمل، وعن فضائل الحل الوسط من الناحية الأخرى. أما اللواء General ولبى إيفرارد بصفة خاصة فكان يتطلع إلى أن يحدث ذلك الاستعراض انطباعًا لدى جماهير ليجوس، بأن الجيش جاهز فى حال إثارة بعض المتاعب.

من المفيد أن لا يغيب عنا هنا أن هرم مسئولى الانتخابات الذى جرى تعيينه فى مطلع العام بدأ يتحرك فى غير موعده. والمحزن أن كثيرًا من هؤلاء المسئولين جرى تسييسهم بعد الاستقلال. كانت الثقة بهؤلاء المسئولين تزيد بمقدار زيادة أقدميتهم: هذا يعنى أن كبار المسئولين عن الإشراف على الانتخابات كانوا من كبار المسئولين الإداريين، أو من يعادلونهم فى الدرجة، كان موظفوا الانتخابات التنفيذيون يشكلون مجموعة كبيرة متباينة من موظفى الحكومة، الإداريين والفنيين، أما موظفو الانتخابات

(*) كلمة Awo هنا تشير إلى الرئيس أولوو. (المترجم)

المساعدون فكانوا من مسئولى الحكم المحلى ومسئولى الإدارة المدنية، أما المسئولون العائدون من الخدمة فكانوا من رؤساء الأحياء السابقين (أو من يساوونهم فى الدرجة) ومن كبار الموظفين العاملين فى التعليم، أما الموظفون المساعدون العائدون فكانوا من ذوى أصحاب السمعة الحسنة فى الخدمة الحكومية فى الإقليم الشرقى، ومن الحكومة المختلطة، ومن الحكم المحلى، ومن السلطة المدنية فى الأقاليم الثلاثة الأخرى. لم يكن أحد منهم من المنتمين إلى الأحزاب، على الرغم من مجىء الكثيرين منهم بفعل ضغوط من السياسيين الذين كانوا يعرفونهم، وقد اعترف أولئك الذين استسلموا لهذه الضغوط، بهذه الحقيقية فيما بعد.

نصح الدكتور مبادوى رئيس البلاد فى اليوم التاسع والعشرين من شهر ديسمبر بالصبر والكياسة، ومع ذلك فإن السيد/ دانيل أونورا Onura إيبكوى Ibekwe، المحامى العام فى الإقليم الشرقى، وهو من أونيتشا Onitshas، والذى تصادف أن كان فى ليجوس، أيد النصيحة التى قدمها الدكتور إلياس، لكنه قيل له أن يذهب إلى حال سبيله ويبحث عن الدليل. رفض رؤساء وزراء الإقليمين الغربى والشمالى وحكامهما حضور الاجتماع المقرر له البت فى رأب الصدع بين الرئيس الدستورى للدولة، والرئيس السياسى للحكومة، الذى يتمتع بسلطات قانونية كبيرة، رفض المستشار السياسى الرئيسى حضور ذلك الاجتماع (بعد اجتماع عقده حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا) من منطلق أن ذلك الاجتماع سوف يتحول إلى مؤتمر لمناقشة المقاطعة غير الدستورية المقترحة من جانب الإقليم الشرقى، وكذلك الانفصال غير الدستورى للإقليم، وهذه مشكلة معقدة تتطلب إعدادًا جيدًا، لم ينتبه إليه أى أحد فى الشمال. تحدث رئيس الوزراء فى البداية إلى الشرطة والجيش والبحرية عن الاحتياطات الواجب اتخاذها يوم الاقتراع ثم حضر بعد ذلك اجتماعًا فى مقر الرئاسة مع ممثلى الإقليم الشرقى وإقليم الغرب الأوسط. بقى التاريخ النهائى كما هو بلا تغيير، على الرغم من موافقة الاجتماع على حتمية التزام لجنة الانتخابات التزامًا

صارمًا بالقوانين المنظمة للانتخابات، لكن صدر إعلان صحفى عن مكتب رئيس وزراء يفيد أن الانتخابات ستمضى قدمًا كما هو محدد لها. أبلغ الدكتور أكبارا رئيس الدولة بعد ذلك أن التحالف المتحد التقدمى العظيم سوف يقاطع الانتخابات العامة: سأله الدكتور آزكوى عن خططه فى هذا الصدد نظرًا لأن المقاطعة لن يكون لها تأثير فعال، لكن رئيس وزراء الإقليم الشرقى أكد أن المقاطعة سيكون لها تأثير سياسى فعال. ذاعت قصة مفادها أن رئيس الدولة حذره أن المقاطعة يمكن أن تكون فعالة إذا ما كانت من جانب ثلاثة أقاليم من أصل أربعة، وأنها مع مثل هذا الحال يمكن أن تعطيه قوة أخلاقية تمكنه من رفض النتائج وتولى السلطة التنفيذية. وأعلن السيد/ إيو Eyo إيسوا Esua أن صناديق الاقتراع ستفتح أبوابها فى اليوم التالى من الساعة السابعة صباحًا إلى الساعة السادسة مساء.

واصل كل من التحالف التقدمى العظيم هو وحزب الفلاحين والعمال الاشتراكى مقاطعتهما للانتخابات من خلال مكبرات الصوت المحملة على سيارات ومن خلال محطة الإذاعة فى الإقليم الشرقى فضلاً عن الصحافة التى تولت نشر هذا الخبر، وأعرب المرشحون عن استعدادهم للاستقالة أو سحب أوراق ترشيحهم، كان زعماء حزب جماعة العمل الواعون لشكوك الدكتور آزكوى، فاترى الهمة فى البداية لكنهم التزموا فى نهاية الأمر. راح كبار التحالف المتحد التقدمى العظيم وصغاره ينشرون قصة مفادها أن رئيس الدولة، عندما وجد أن الهجوم على الأجبو وعليه شخصيًا أمر لا يطاق راح يفكر فى مسألة تفكيك الاتحاد، مع انفصال كل من الإقليم الشرقى وإقليم الغرب الأوسط. كانت زعامة التحالف المتحد التقدمى العظيم تؤكد أنها لن تقبل أو توافق على سلطة الحكومة التى سيجرى انتخابها نظرًا لأن هذه الحكومة سوف تتراضى مع الشر وتحكم على ملايين النيجيريين بالرق والاستعباد". نصح الدكتور أكبارا مؤيدى التحالف المتحد التقدمى العظيم فى الإقليم الغربى "بالدفاع عن أنفسهم". وربما كان ذلك النصح سببًا مشجعًا لهم، طوال المتاعب الإقليمية التى وقعت

بعد ذلك، على اللجوء إلى أفضل الأشكال الدفاعية. فصَّل المستشار السياسى الرئيسى رفضه لحضور اجتماع رئيس الدولة بقوله: "بدأت علاقات حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين تزداد برودة على برودتها مع بقية أجزاء نيجيريا بعد اكتشاف البترول، وهم يحاولون جعل أنفسهم لا يُطاقون كيما يبادئ النيجيريون الآخرون بإخراج شرقى نيجيريا من الاتحاد، أملاً فى الحصول على التعاطف العالمى مع حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وحسب اقتراح الرئيس فإن مؤتمرًا سوف يعقد لتقسيم الأصول". وهنا أبرق الرئيس إلى الإقليم لتفنيد ذلك الذى قاله المستشار السياسى الرئيسى عن الهدف من الاجتماع الذى دعا الرئيس إلى عقده.

نادى فى اليوم التالى وهاب جودلك، وهو من الثلث الراديكالى فى لجنة العمل المشتركة، بالقيام بإضراب بطريقة الجلوس أرضًا، وأعلن مفوضا الانتخابات فى كل من الإقليم الشرقى وإقليم الغرب الأوسط (أنطونى أنيا جولو Aniagolu وداود آكنزوا) على الملأ تجهيزهما لاستقالتيهما لعجزهما عن القيام بالتأجيل الكامل مع الرئيس واثنين آخرين (كان واحد منهما موافقًا على تأجيل "جزئى")، وانضم إليهما عضو من أعضاء ليجوس هو المكرَّم بى إيه أدلاجا Adelaja. أدى المقترح المقدم من المفوضين إلى تعديل تراجع التحالف المتحد التقدمى العظيم، خطر ببالهم، أنه لو استقال نصف أعضاء اللجنة الفيدرالية لأصبح الانتخاب بحد ذاته غير قانونى، ولن تكون هناك حكومة، وعندها وفى ضوء هذا الفراغ السياسى المخيف وعليه يتحتم على الرئيس آزكوى ممارسة سلطاته التنفيذية بصفته رئيسًا للدولة وقائدًا عامًا للجيش، بحكم عدم وجود مستشارين له، وبذلك يمكن للرئيس الدعوة إلى وجود إدارة مرحلية تقوم بإدارة البلاد، وتقوم بتنظيم انتخابات قانونية عرفية مؤجلة بموافقة شعبية، من خلال برلمان مناسب وصحيح. وقد راق هذا الموضوع لكل أولئك الذين كانوا يعيدون ويزيدون فى هذه المسألة، والذين ألقوا بلوم وقوعهم فى الشرك على الناشطين الموالين لكل من المستشار السياسى الرئيسى وآكنتولا.

انضم الدكتور أوريزو Orizu في يوم الانتخاب إلى الدكتور مبادوى فى نصائحه المتكررة التى كان يرمى من ورائها إلى تحذير الدكتور آزكوى، وكان انضمام أوريزو من باب الحرص على السلام والوحدة، ومعروف أن أوريزو كان رئيسًا لمجلس الشيوخ، وأيد السيد/ إيبكوى Ibekwe الآراء التى ذهب إليها الدكتور إلياس فيما يتعلق بحدود سلطات رئيس البلاد الدستورية. وقد حضر الدكتور أُكبارا ذلك الاجتماع كيما يستمع إلى هذا الكلام، وفى المقابل احتفظ لنفسه برأيه الشخصى. مضى "الانتخاب الجزئى" قدمًا، مع شيء من الاستجابة المباشرة من جانب العمال للإضراب الفئوى الذى نظمته لجنة العمل المشتركة (فيما عدا عمال السكك الحديدية والموانئ)، لكن إعلان النتائج كان متوقعًا بين الحين والآخر. كانت عملية الإدلاء بالأصوات فى الشمال عامرة بالحركة وهادئة بشكل عام، وجاءت المقاطعة بشكل ملحوظ من مناطق حزب اتحاد العناصر الشمالية التقدمى فى كل من كانو وجوس Jos، قامت معظم الدوائر الانتخابية التى يتنازع عليها التحالف المتحد التقدمى العظيم (التى كان منها عشرون دائرة فى منطقة سُكتو Sokoto المحافظة وحدها) بإعادة المرشحين الذين ربما كانوا أمرًا محتومًا، كما لم تحدث فى الشمال أضرار لا لزوم لها، أو عراقيل تدعو إلى التساؤل والجدل، كما لم يجر الترحيب بأى شكل من أشكال النقد السياسى الحر من أى غريب من الغرباء أو من أية منطقة من المناطق الراديكالية. وفى الإقليم الغربى جرى تدمير بعض المقرات الانتخابية وجرت أيضًا سرقة بعض الصناديق الانتخابية، لكن أرقام الإقليم الغربى جاءت أقل من المعتاد لا لأن النتيجة لم تكن محلاً للشكوك، وإنما لأن المقاطعة التى قام بها التحالف المتحد التقدمى العظيم تركزت على المدن الكبرى. وفى الغرب الأوسط، وعلى الرغم من أن مقاطعة التحالف المتحد التقدمى العظيم كانت رسمية، فإن الرئيس أوسادباى قرر عند الظهر تنبيه أتباعه إلى التزام الحذر مخافة أن يحصل حزب الجبهة الديموقراطية للغرب الأوسط، على المقاعد عن طريق التدليس، ضاعت بعض الصناديق الانتخابية فى إقليم الغرب الأوسط أيضًا، ومع ذلك تواصلت الانتخابات. وقعت فى ليجوس، التى لا يمكن لأى شيء فيها المرور

بلا ملاحظة أو تسجيل، بعض الخناقات والمشاجرات، وقام مقاطعو الانتخابات بتدمير العديد من الصناديق الانتخابية، ولم تنجح سوى حفنة من أتباع التحالف الوطنى النيجيرى فى الإدلاء بأصواتهم، الأمر الذى أدى إلى حصول الرئيس بنسون فى لجنة شمال ليجوس، على نسبة مئوية صغيرة جداً من الأصوات المسجلة فى الدائرة. وفى الإقليم الشرقى انصاع مسئولو الانتخابات للخطر الذى فرضه السياسيون، إذ لم يجر تقديم أية تسهيلات وكانت المقاطعة كاملة. وقد وصف محمد رباط ذلك التصرف "بالصبيانى". ووصف التحالف المتحد التقدمى العظيم الانتخابات بأنها "مهزلة"، وأبلغ الرئيس أن يعقد مؤتمراً "لتفكيك الاتحاد بطريقة سلمية"، فى الوقت الذى راح زيك يصر فيه من جديد على أن المستشار السياسى الرئيسى كان مخطئًا وأن اجتماعه كان يرمى إلى المحافظة على الوحدة. كما أن التصارع بين سياسته المعلنة ورؤيته الوطنية هو الذى أدخله فى شكل من أشكال التردد المؤلم. وفى الوقت الذى كانت الاجتماعات العامة فيه محظورة فى ليجوس، وذلك من باب الاحتياط، راح آزكوى يعلن بصورة متكررة بأن اجتماع مقر الرئاسة لم يكن معنيًا بمسألة الانفصال. هذا يعنى أن الرجل كان قلقًا تماماً من شريط البارود الذى أشعله هو بنفسه.

عندما بدأت البلاد تتفكر فى مسألة "الانتخابات الجزئية"، بالشكل الذى وردت عليه فى مانشيتات الصحف(*)، بدأت تدرك على الفور بعضًا من عناصر المأساة التى فرضت نفسها فى ذلك الوقت. تمثل أساس ذلك كله فى أن المراقبين الغاضبين كان يمكن لهم أن يصابوا بالدهشة لو أن تلك الانتخابات شديدة الحرية وبالغة النظافة أسفرت عن نتائج مختلفة اختلافًا كبيراً عن الأرقام التى جاءت من انتخابات الثلاثين من شهر ديسمبر من العام ١٩٦٤ – وذلك باستثناء بعض أجزاء قليلة من الإقليم الغربى. يضاف إلى ذلك أن التمثيل النسبى كان لا يمكن له أن يُحدث فروقًا كثيرة.

(*) المانشيت : هو العنوان الرئيسى. (المترجم)

واقع الأمر، وبغض النظر عما إذا كانت أو لم تكن الهيمنة الشمالية العددية هى المبرر السيكولوجى لذلك الذى حدث بالفعل، فإن الانقسامات التى حدثت فى الإقليم الغربى بسبب عجز الإقليم عن العثور على زعيم سياسى متسامح وحكيم (هناك عدد كبير من هؤلاء الزعماء فى الإقليم لكنهم عازفون عن السياسة)، ويتمتع بقبول شخصى لدى أغلبية الشعوب اليوروباوية، هى التى أثارت تلك الهزات الطبيعية من تحت ذلك الانهيار الجليدى القادم. أما إقليم الغرب الأوسط فقد بلغ من الجدة والصغر حداً يجعله مجرد ثقل من أثقال الميزان. يزاد على ذلك أن زعماء الإقليم الشرقى كلهم كانوا يفتقرون إلى الحكمة التى تساعد على تقديم التسامح، والعفو والأخوة. كان لدى المستشار السياسى الرئيسى فى الشمال القدرة على اتباع عقيدته اتباعًا تامًا، لكن أغلبية الرجال الكاسحة كانت ترسل الكثير من الإشارات طويلة المدى إلى الأقليات النيجيرية أو الدينية التى لا لزوم لها، فى الوقت الذى كان المستشار السياسى الرئيسى يركز فيه على مشاغله الدينية والشمالية الخاصة. يزاد على ذلك أن شخصية الرجل الطاغية، وجاذبيته الواضحة كان لها تأثيرها بين المتعلمين malamai وعامة الشعب talakawa، مما كان يعنى أن اهتمام رئيس الوزراء الفيدرالى بالقانون والدستور، واهتمامه أيضاً بمسألة الأخوة، ومعارضته الشديدة للدنيَّة المادية والفكرية، إنما كانت تختفى فى الظلال الناجمة عن النيجيريين الذين لا يعرفون سوى بطاقة معلومات "حزب المؤتمر الشعبى الشمالى" من ناحية، وأهل البهرجة، والبلاغة، وأصحاب الألبسة والعمائم الكبيرة، من الناحية الأخرى.

تمثلت الأعمال الطائشة التى قام بها زعماء التحالف المتحد التقدمى العظيم، فى ذلك الذى أتاه أولئك الذين على أعينهم غمامات تجعلهم لا يفطنون إلى اليقين الذى فى داخلهم، والذى مفاده أنهم لا يمكن تحت أى ظرف من الظروف الفوز بالأقاليم الجنوبية كلها، أو حتى بمقاعد كثيرة فى الإقليم الشمالى. حدث ذلك على الرغم من العثور على، فى أضعف الأحوال، مرشح واحد لكل دائرة من الدوائر الانتخابية، حتى فى ظل عدم

الموافقة بصورة دائمة على اسم واحد من بين اسماء الحلفاء المحليين المنافسين. من هنا لم يكُن مـهمًا أن تضـمن المقاطعة للمنافسين نسبة نجاح تصل إلى حوالى ٥٥٪، وهذا أمر حتمى تحت أى ظرف من الظروف. والحرب التى يتعين أن يواجهها طلبة السياسة العملية وليس طلاب العلوم السياسية، هى حرب على السلطة، وليست حربًا على طيف المشكلات السياسية النظرية، أو السياسات التى تتدرج من الشئون الخارجية إلى الموضوعات التشريعية الخالصة. لكن الشبح الذى كان يحوم حولهم فى ذلك الوقت، تمثل فى شبح الحكومة الفيدرالية التى استخدمت سلطات الطوارئ ذات يوم فى مواجهتها لحزب المجلس الوطنى للمواطنين الذى قام بسحق حزب جماعة العمل وتدميره. وعليه راح الأجبو يتحدثون عن الانفصال، متناسين المقارنات التهكمية والاستهزائية التى ستنطلق عندما يروح حزب المؤتمر الشعبى الشمالى يتحدث عن وكالة الخدمات العامة التى كانت تخدم مجرد اتحاد جمركى واحد فى العام ١٩٥٣ . نسى الأجبو فى غمرة صحوتهم الانفعالية، ذلك المثال الحى الذى تمثل فى حصول الاتحاد على مليون جنيه إنجليزى، وحصول الأقاليم الأخرى على ثلاثة ملايين جنيه إسترلينى من أصل ١٩ مليون جنيه هى حصيلة معمل تكرير البترول فى بورت هاركورت، وتجاهل الأجبو أيضًا خطر فقدانهم للمزايا التى يحصلون عليها من سد كاينجى، وجسر النيجر الجديد، أو الامتداد الجديد لخط السكة الحديد. يبدو أن الأجبو نسوا أيضًا أن إخوانهم الأجبو فى الإقليم الغربى، وفى الغرب الأوسط، هم أفقر السكان فى هذه الأماكن، وأن أغنى الناس فى المناطق الشرقية لم يكونوا من الأجبو، وبخاصة فى دلتا البترول. وربما تمثل قصر نظر الأجبو فى عدم رؤيتهم للحقيقة التى مفادها أن الرئيس الإجياوى الذى يتعاون تعاونًا صادقًا مع رئيس الوزراء يمكن أن يشكل نوعًا من الضغط على حزب المؤتمر الشعبى الشمالى ويجعله يوافق على الحكومة الوطنية التى وعدت بتحقيق كل مطالب الأجبو العادلة.

فى تلك الأثناء اتضح ولأول مرة مدى خطورة التآمر السرى فى الجيش. كان من المستحيل على إفريقيا فى الستينيات من القرن العشرين، والتى ورد ذكرها فى معظم الأحيان على خلفية الكثير من المناظر العامة، أن يتحدث فيها الضباط الأصاغر فى أماكن تناول الطعام، أو فى الأماكن التى يسكن فيها العاملون فى الجيش، باستخفاف عن الانقلابات، كان ضباط الشمال معرضين شأنهم فى ذلك شأن الضباط الآخرين، للتحدث عن القيام بالانقلابات، وبخاصة عندما تكون تلك الانقلابات على السياسيين المكروهين، وربما كان ذلك بدون أسلحة فى واقع الأمر. على كل حال، جرى فى ذلك الوقت التخطيط لتحرك من نوع معين، اتُّفِق على أن يبدأ من سابقة الرماية التى تجرى فى شهر ديسمبر فى إينوجو، وأن يشارك فى ذلك التحرك كل من الرائد نزيوجو Nze-ogwu، والنقيب إفياجونا Ifeajuna، والرائد دينس Dennis أوكافور Okafor والنقيب إيه إن نوبوسى Nwobosi. وجرى إحباط ذلك التحرك لتسرب أخباره، لو كان هؤلاء تحت رئاسة حكومة قمعية وتعسفية لكانوا قد أعدموا رميًا بالرصاص وأعقب ذلك وقوع مأساة مختلفة. ناقش المزيد من الضباط العظام مسألة التدخل العسكرى من حيث المبدأ، لكنهم رأوا أن مهامهم التقليدية، التى تعلموها فى الكليات العسكرية، تكون متعلقة بالحكومة القائمة ولا علاقة لها بخلع المواطنين أو الإطاحة بهم، ومن هنا ابتعد هؤلاء الضباط العظام عن المنافسة، كما ابتعدوا أيضًا عن التجمعات المثيرة للفتنة والشغب، مبقين بذلك على السيطرة والتحكم. كان أوجوكو واحدًا من هؤلاء المقدَّمين الحذرين. لم يكتشف الجنرال ولبى - إيفرارد أى تغير فى الولاء له، أو للمدنيين الذين يرأسونه، بين ضباط هيئة الأركان أو قادة الوحدات القتالية. ولم يجر توجيه أية اتهامات، ولم يُتَّخذ أى إجراء للتحقق من المزاعم التى كانت تقول: إن بعض المدنيين ومن بينهم سياسيون رئيسيون، كانوا ينسجون خيوط مؤامرة ما. وكان طبيعيًا أن تظل التسجيلات الأمنية فى طى الكتمان، على الرغم من قيام الحكومة العسكرية بعد ذلك بعامين بالكشف عن تلك التسجيلات الأمنية للحكومة الفيدرالية المدنية، من منطلق أن عدم معاقبة أى ضابط أو مدنى إنما كان "فى صالح السلام".

وهنا يتعين على القارئ، فى ضوء كل ما قلناه، أن يتذكر أن غالبية الدوائر الانتخابية التى لم تجر مقاطعتها لم يحدث فيها عنف أو حكايات تستحق الذكر هنا. وقد أوضحت الأرقام المبدئية أنه كان هناك ٢ مليون ناخب لحزب المؤتمر الشعبى الشمالى، ٨٥٥ ألف ناخب للحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، وحوالى مليون ناخب للتحالف المتحد التقدمى العظيم، منهم ٣٨٠ ألفًا لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين و ٣٥٠ ألف ناخب لحزب جماعة العمل، حصلت أحزاب المعارضة الشمالية على حوالى ربع مليون صوت، وحصل المستقلون على ٥٠ ألف صوت. وجاءت أرقام حزب المؤتمر الشعبى الشمالى أكبر قليلاً مما كانت عليه فى العام ١٩٥٩، وإذا ما أضفنا ٦٧ مقعداً جرى الحصول عليها بالتزكية نجد أن الحزب حصل على ١٦٢ مقعداً من أصل ٣١٢ مقعداً هى عدد مقاعد البرلمان. يزاد على ذلك أن الحزب الديموقراطى الوطنى المتحد حصل على ٣٦ مقعداً من أصل ٥٧ مقعداً مخصصة للإقليم الغربى. وجاء تقرير يفيد أن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين حصل على تسعة مقاعد من أصل ١٤ مقعداً مخصصة للغرب الأوسط، كما حصل حزب جماعة العمل على ١٣ مقعداً من الإقليم الغربى، ومن إقليم الغرب الأوسط، وبذلك يكون التحالف المتحد التقدمى العظيم قد حصل على ٥٠ مقعداً، هذا إذا ما أضفنا إلى ذلك المقاعد التسعة عشر التى جرى الحصول عليها بالتزكيه، وترشيحات المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين التى لم تجر مقاطعتها فى الإقليم الشرقى. وفى ليجوس ترك الرئيس Chief بنسون ثلاثة مقاعد، وواحداً وخمسين مقعداً فى الشرق ليجرى التقاتل عليها.

زاد انقسام حركة العمال، كانت استقالة آديبولا من عضوية لجنة العمل المشتركة، واحدة من الآثار التى ترتبت على الانتخابات، التى ظن آديبولا أنها تحولت إلى مجرد قنبلة سياسية، بفعل كل من حزب العمل النيجيرى وحزب الفلاحين والعمال الاشتراكى الذى كان ممسكًا بصمام الأمان، وأعرب آديبولا عن أسفه على الدعوة التى وجهها

للدعوة إلى مؤتمر يعقد فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر ولم تكن صادرة عن أناس غير مسئولين، والذى حضره أيضًا أناس غير مسئولين. رفض شوكوره Chukwurah، الرئيس المشارك الثالث، تحويل لجنة العمل المشتركة إلى حركة عمالية دائمة تقوم على منافسة المؤتمرات أو أن تصبح حزبًا سياسيًا جديداً. وهنا نجد أوكنجو Okongwu السكرتير المشارك يدعى "أنا السكرتير المعتمد للجنة العمل المشتركة، لأنى أنا الشخص المعروف والمعترف به فى هذا المنصب من قبل كل من الحكومة الفيدرالية والعمال". لم يؤد ذلك إلى وقف المقاتلين الذين بدأت تتزايد أعدادهم، وكانوا يشكلون تهديداً لسلطة الحكومة الفيدرالية.

انتظر الحاج السير أبو بكر تافاوا باليوا أن يدعوه رئيس الدولة إلى مقر الرئاسة ويكلفه بتشكيل حكومة جديدة. كان صاحب السيادة الدكتور نانمدى أزكوى ينعم النظر فى ثلاث استقالات كاملة مقدمة من لجنة الانتخابات، وكان قد جرى رسمياً وشخصياً تقديم هذه الاستقالات، كما كان ينعم النظر أيضًا فى برقية وصلته من رئيس ليبريا تعترض على الصراع العلنى بين أشقاء الأسرة الواحدة فى نيجيريا، كما جاءته بعض البرقيات الأخرى من مجموعات الضغط، تدور حول مسألة الوحدة والديموقراطية. كان لدى الرئيس أيضًا مجموعة من ناشطى لجنة العمل المشتركة، ومن التحالف المتحد التقدمى العظيم، جاءت إليه بلا دعوة وكانوا واثقين من الحصول على الكرم الحاتمى.

الفصل الثالث والأربعون

رئيس غير تنفيذى يستبدئ أزمة دستورية

كل من يتناول ساخنًا يتعين أن ينتبه إلى فمه(*)

كان بالإمكان علاج فساد التعداد ونتانة الانتخابات، وذلك على الرغم من المقاطعة التى جاءت بمثابة تخفيف لها، لولا سوء القصد والنية الذى نجم عن فجوة الأيام الخمسة بين إعلان النتيجة النهائية للانتخابات وإعلان طلب الحضور من جانب رئيس البلاد. التقى الدكتور آزكوى الحاج السير أبا بكر يوم الجمعة المصادف لليوم الأول من شهر يناير من العام ١٩٦٥ وأبلغه أن الانتخابات لم تكن "مرضية" فى ضوء انتهاكات الحرية التى وقعت خلال الأسابيع الأخيرة، وأبلغه أيضًا أنه لن يكون هناك برلمان تأسيسًا على ذلك، كما أبلغه أيضًا أنه لا ينوى تعيينه هو أو أى شخص آخر للقيام بتشكيل الحكومة، كما أبلغه أيضًا أن من الأفضل له أن يستقيل. تجسد ذلك كله تجسدًا استعراضيًا فى خطاب جرى تسجيله للإذاعة، لكن سبق إرساله إلى الصحافة والإذاعات الأجنبية وجرى أيضًا اختصاره لجريدة البايلوت pilot، قبل أن يقوم أصدقاء آزكوى وهيئة العاملين معه بإقناعه بتأجيل ذلك على أمل الوصول إلى حل وسط. سرت

(*) ورد هذا المثل بلغة الهوسا. ومعناه "كل من يتعشى [بشىء [ساخن] يتعين عليه] الانتباه إلى فمه." وهو قريب جدًا من المثل الإنجليزى: Everyone carries the consequences of his own actions "كل إنسان يتحمل نتيجة تصرفاته". (المترجم)

أيضًا بعض المزاعم غيرالمؤكدة التى تفيد أن ضباط الجيش كانوا قد أبلغوه بتأييدهم لهذا التصرف. تمالك أبو بكر نفسـه، وردعلى آزكوى أنه (أبو بكر) لا يزال رئيسًا للوزراء إلى أن يتم تعيين رئيس وزراء جديد، وقال أيضًا إن الأغلبية الواضحة فى الانتخابات لا تعطى رئيس الدولة أى بديل عن تعيين أبى بكر مرة ثانية، كما أبلغه أبو بكر أيضًا أن لجنة الانتخابات وحدها هى التى تقضى فى التنازع على الإعلانات الصادرة عن الدوائر الانتخابية. وفيما يتصل بالانتهاكات، ربما يكون قد أضاف أن أى انتخاب جديد لابد وأن يرتكز أيضًا على إرادة زعماء الأحزاب السياسية وعلى الأعضاء، فى جعل مثل هذا الانتخاب حرًا ونزيهًا من ناحية والتمسك بالنتائج من الناحية الأخرى. ومن الواضح أن الرئيس إذا لم يكن على استعداد للانصياع لنداء الواجب، فإن البديل الوحيد أمامه هو الاستماع إلى صوت الضمير والشرف، ويستقيل على الفور.

استأذن أبو بكر فى الانصراف، وأوضح من ناحية لحاكم إقليم الغرب الأوسط ورئيس وزرائه، ومن ناحية أخرى لكل من الرئيس فستوس، نوافور Nwafor أوريزو، وإيبكوى، أن رئيس الدولة ألقى باللوم على التحالف المتحد التقدمى العظيم لتهديده بالانفصال فى اليوم السادس والعشرين من شهر ديسمبر، وأن التحالف المتحد التقدمى العظيم كان يحاول توجيه اللوم إلى آزكوى نفسه. ويختفى رئيس الوزراء بعد ذلك، وربما كان ذلك من باب اليأس، كيما يؤدى الصلاة ويتدبر ما حدث، بل إن أحد الثقات مثل المفوض المحلى لمدينة باوتشى (السيد/ دواد بلال Bele) فشل فى العثور على أبى بكر، لكن قبل أن يفاتح أبو بكر صديقه آدمولا، قاضى القضاة، فى موضوع بديل الدكتور آزكوى، فى حال استقالته، كان يفضل أن يكون ذلك البديل شخصًا جنوبيًا محترمًا وغير سياسى. كان من رأى السير آديتوكنبوه Adetokunboh أن آزكوى لن يخاطر بالاستقالة لأسباب دبلوماسية تتعلق بالصحة، قاطعًا بذلك خط الرجعة على نفسه (أو بإبعاده وخسارته لكل المزايا المادية)، لكن أبا بكر سمح للرغبة

بالتغلب على الفكر ولم يوافق، واقترح أن يكون ذلك الشخص هو السير كوفو وورولا Ko-foworola آدكونلى Adekunle أبايومى Abayomi، طبيب العيون المحارب الذى كان رئيسًا موثوقًا به للجان. كان للسير آديتوكنبوه أصدقاء طيبون فى الأقاليم كلها وقال إنه سيقوم بسبر الأغوار، لكنه حذَّر من أنه إذا تعين عليه أن يطلب ذلك من السير كوفو Kofo فإن الرد المرجح سيكون تساؤلاً حريفًا حول ما إذا كان يتعين عليه أن يأخذ معه تابوته إلى هذا المنصب، وقال أيضًا إن تسوية مرضية مع آزكوى هى أمر مفضل، وأن مثل هذه التسوية سوف ترتكز على نوعية الوزراء الذين سيعينهم أبو بكر فى إدارته الجديدة.

بعد انصراف أبى بكر، طلب قاضى القضاة على الهاتف، شخصًا شرقيًا، له صيت ذائع فى أنحاء البلاد، كما هو الحال فى موطنه الإقليم الشرقى. هذا الشخص هو لويس نواشوكو مبانيفو Mbanefo، البالغ من العمر أربعة وخمسين عامًا، وهو من أونيتشا، وأول إجباوى يحصل على مؤهل فى القانون. كان الرجل قد عين فى العام ١٩٥٩ الميلادى، مراجعًا للمرتبات، ثم عين مستشارًا للمطرانية الأنجليكانية فى النيجر، وحصل على لقب فارس فى العام ١٩٦١، وسبق له القيام بالتحقيق فى مشكلات نقابة العمال فى ترينداد وتوباجو فى العام ١٩٦٣ . كما كان أيضًا عضوًا مؤسسًا مع أبى بكر، وكان وصيًا على NIIA، وسرعان ما أصبح بعد ذلك مستشارًا مساعدًا لجامعة إيبادان. كان الرجل أيضًا مُحكَّمًا رصينًا. ونظرًا لأن السير لويس مبانيفو كان قاضى قضاة الإقليم الشرقى، فقد طلب منه السير آديتو كنبوه Adeto-kunboh المجىء إلى ليجوس ليذكِّر المتنازعين بواجباتهم تجاه الوطنية والوحدة، وعندما قال بعدم وجود رحلة طيران، صدرت له تعليمات بالمجىء على متن طائرة الشحن التى تنقل العملة المسكوكة إلى إينوجو يوم الأحد المصادف لليوم الثالث من شهر يناير.

كانت موافقة أبى بكر الدستورية والسياسية فوق مستوى الشك أو الطعن، وكان التزامه الأخلاقى ثابتًا، على الرغم من أنه لم تمض فترة طويلة على تلميحه للمرة الأولى

إلى أحد المقيمين المتقاعدين (وهو مهندس فى وزارة الأشغال، قام ببعض الإصلاحات وإعادة التصميم لمسكن أبى بكر فى أونيكان Onikan) بأنه يتعين عليه الآن عدم تجديد عقده، معترفًا بذلك من تخوفه من اقتراب قيام حرب أهلية. كان تخوف أبى بكر الأكبر من تخوفه من الحرب الأهلية، يتمثل فى دهماء ليجوس، غول ما ماكفرسن القديم، الذى أصبح يتمثل الآن فى الأُكباريه(*) Okpara - ism التى بدأت تظهر وكأنها أقوى من الزِّيكى(**) Zikism المألوفة. كان للأكباريه معنى مُكعكلاً، حدده أحد المعاصرين لها بأنها "عقيدة غامضة لا أساس لها، مبنية على القبلية البراجماتية وعلى التجزيئية Sectionlism") كانت الشخصيات واسعة الأفق من أمثال الرئيس Chief فستوس، ومعه تى أو إس بنسون، وكذلك الدكتور ماجيكودونمى يرون الزيكية بمعناها المشوش غير المتماسك، على أنها أقل عدوانية). جرى إعداد مسودة رد من جانب رئيس الوزراء، على حديث رئيس الدولة الإذاعى المؤجل الذى تسربت أخباره، وأصبح الخلاف بينهما معروفًا للملأ. كان الحاج الشيخ شاجارى هو والنائب العام يسعيان بين رئيس الدولة ورئيس الحكومة. لم تكن لدى أبى بكر نية الذهاب بشخصه والظهور بمظهر المتضرع الملتمس، لأنه كان على يقين من انتصاره وإخفاق رئيس الدولة. واقع الأمر أن أبا بكر شخصيًا طلب من الصحفى البريطانى المؤتمن، الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق، الحضور لمقابلته. قال أبو بكر، ملمحًا بطريقة ماكرة، إلى احتمال خلع آزكوى **"أنا لدى الأوراق كلها، إذا ما لعبتها جيدًا"**. فوجئ الصحفى بهذه الخدعة، لأنه كان يعرف مدى اعتماد رئيس الدولة على سلطته كقائد عام، وذهب منزعجًا للقاء الدكتور إلياس، الذى طلب منه الهدوء، لأن زيك قال هذا الكلام لكل الناس، لكن الأمور على ما يرام. جرى تحذير المفوض السامى البريطانى بعد ذلك مباشرة من هذا التلميح، وقام المفوض

(*) نسبة إلى الدكتور أكبارا. (المترجم)

(**) نسبة إلى الدكتور آزكوى. (المترجم)

السامى البريطانى بإبلاغ ذلك للسفير الأمريكى، وبعد ذلك بفترة قصيرة راح بابس Babs جوس Jose مراسل صحيفة الديلى تايمز، يمطر مقر الرئاسة بالمراسلين الذين سيشهدون عملية الإقالة. لكن لم يحدث شيء من هذا القبيل بطبيعة الحال.

طلب الرئيس من جانبه على الفور من اللواء ولبى إيفرارد، ومن الكمودور جى آر إيه wey، ومن إيدت مفتش الشرطة العام، ومن رئيس هيئة تدريب القوة الجوية (المعار من القوة الجوية لجمهورية ألمانيا الغربية الفيدرالية) الحضور إلى مقر الرئاسة.

كان اللواء يقود حوالى ٧٠٠٠ جندى، كان من بينها ستة كتائب مقاتلة وفرقة عربات مدرعة للاستطلاع، يصل عدد أفرادها إلى حوالى ٥٠٠٠ فرد أو أقل من ذلك (كانت الإعارات البريطانية فى ذلك الوقت قد وصلت إلى ما يقرب من عشرة معارين)، قدر المفتش الشرطى العام إجمالى قوات الشرطة فى الحكومة المحلية والسلطة المدنية غير المسلحين، بحوالى ٣٠٠٠٠ من الرجال الأقوياء، كان البحر، الذى من قبل ربّانا على أسطول جون هولت النهرى، أكثر اعتياداً على جعل بمارته يحسون بالاطمئنان، عندما كان يقول لهم وهو منشرح الصدر "كل شيء على ما يرام، خذوا راحتكم!" راح أزكوى يذكر كل هؤلاء أنهم أدوا يمين الطاعة له، وأن ولاءهم لا بد أن يكون له، وأنهم يتعين عليهم إطاعة الأوامر. كان اللواء هو ورجل الطيران الألمانى (الذى لم يكن داخلاً فى الحسبة) يعملان بعقود، ولم يؤديا مثل هذا القسم، لكن كلاً من وى wey وإيدت كانا فى ورطة بحق. لم يكن واضحًا للرجلين الاتجاه الذى يجب أن تتوجه إليه خدماتهما، فى ظل الأوامر، لتكون ضد الحكومة السياسية، لكن اتضح لهما أن ذلك هو المقصود. انصرفا لحال سبيلهما ولم يقولا شيئًا ولم تصدر إليهما تعليمات أو توجيهات، وسرعان ما عاد رجل الطيران إلى منزل اللواء طلبًا للمزيد من التوكيد واليقين، وقيل له إنه بصفته قائداً لبعثة تدريب إثيوبية جزئية ليست مخولة أية سلطة من سلطات القيادة العملياتية، يجب عليه إبعاد كل هذه الأمور عن ذهنه، جاء الشخص البحرى بالطريقة

نفسها وهو حائر وقلق، وتشجع عندما سمع أن النصيحة القانونية يجرى طلبها لحل مشكلتهم.

لم يرد اللواء عند هذه المرحلة إحراج قاضى القضاة أو المحامى العام. وهنا سارع السيد/ برت جستس Justice بتفسير الدستور على أنه يعطى البرلمان الفيدرالى سلطات منفردة فى إصدار التشريعات الخاصة بالقوات، وبالجيش وأعمال البحرية باعتبارها كلها خاضعة للسيطرة العامة لمجلس الجيش، ومجلس البحرية وهما مسئولان أمام وزير الدفاع، وأن السيطرة العملياتية تكون بقيادة القادة، طبقًا لسياسة مجلس الوزراء، وأن مهمة القوات هى المحافظة على الأمن والنظام وأن تكون الأوامر فى ذلك حسبما يراه رئيس الوزراء، ولم يأت السيد/ برت جستس على ذكر الرئيس أو الإشارة إليه، باعتباره على رأس الحكومة القائمة التى ينبغى أن يكون ولاؤهم له من خلالها. لم تجر الإشارة إلى إشراك اللجنة البريطانية العليا فى هذه المسألة، وبخاصة أن هذه اللجنة سمعت عن هذه الأحداث عن طريق مصادر غير رسمية، من قبيل تلك المصادر التى سبق الإشارة إليها. أحس ولبى - إيفرارد Welby - Everard بولاء الرتب كلها له، وربما باستثناء قلة قليلة من اللتاتين والرَّغَّائين من الضباط فى أماكن تناول الطعام العسكرية. جمع ولبى - إيفرارد أكبر عدد ممكن من ضباطه كما هى العادة، لكى يزيل من أذهانهم كل الشكوك، على الرغم من تناول الصحافة المحيطة بهم للجدل والشائعات التى كانت سارية فى تلك الأيام، وليقول لهم أن لا يستجيبوا مباشرة لمطالب الرئيس الدستورى غير البرلمانية. وأُرسل منشور دورى إلى الوحدات كلها، بما فى ذلك الوحدات التى كانت لا تزال تعمل فى بلاد التيف، يؤكد على الالتزام بذلك، وكان القادة ممنونين لذلك المنشور الدورى إلى حد أن الضباط الإجباويين منهم لم يُبدوا أى أثر من الاستياء أو الرفض. وينتهز رئيس الوزراء، الذى لم يكن من هواة وضع صوره فى الصحافة، الفرصة ويظهر ويستدعى قادة أسلحة الجيش ومفوض شرطة ليجوس إلى

اجتماع "لمناقشة الأمور العملياتية"، وتنشر فى الصحف كلها صورة جامعة لكل هؤلاء، الأمر الذى لم يترك فى أذهان القراء أى شك فى مسألة المسئولية عن قوات الأمن.

خطرت ببال أزكوى بعض الأفكار الاستباقية. كان المؤيدون الوحيدون له هم دهماء ليجوس وحدهم، إضافة إلى أن شجاعته الشخصية لم تصل إلى حد التهور والاندفاع. وكان يجرى تقييم النتائج المترتبة على انفصال الإقليم الشرقى، على المواطنين الشرقيين الذين يعملون خلال الجزء الأكبر من الاتحاد. وبدأ مفكروا التحالف المتحد التقدمى العظيم يتراجعون عن الخيارات العنيفة على الرغم من محاولة الزعامة ومقاتلى لجنة العمل المشتركة التأثير على مقر الرئاسة من باب تأييد خطوة شاغلة للسياسة الجديدة. عاد الدكتور أكبارا يوم السبت بعد غياب دام يومًا واحدًا وشجع أزكوى على عدم التزحزح أو الاستقالة. كان الغرب أوسطيون (الموجودون فى ليجوس العاصمة فى ذلك الوقت، بسبب تأجيل حفل زفاف ولد أكنتولا مرتين) يتطلعون إلى المصالحة وتسوية مبكرة لذلك الخلاف. وتمثلت الشخصيات الغائبة عن هذا الاحتفال فى المستشار السياسى الرئيسى، والرئيس أولوو بطبيعة الحال. كان الجو الشعبى فى ليجوس ينبئ بالتوتر، وبالدهشة المحيرة فى أماكن أخرى، لكن لم تحدث نداءات فى أى مكان أومطالبات بإعلان حالة الطوارئ، على الرغم من الحديث السياسى غير المسئول عن "تفكيك" البلاد تحقيقًا لتعبير أزكوى النبوئى. وعند هذا الحد جرى رسميًا إعلان الخطابين اللذين لم يجر إعلانهما عن طريق الإذاعة. كان أزكوى يعتزم القول: "لقد... قررت... باسم مصلحة الوحدة النيجيرية وقف هذا الموقف الآخذ فى التدهور بشكل سريع. وأنا أشعر بالحرج البالغ وأنا أمارس سلطتى فى تكليف أى شخص يقوم بتشكيل الحكومة. صحيح، أن الدستور واضح فى هذه المسألة، لكنى قررت عدم استخدام هذه السلطة، وآثرت الاستقالة"، وإذا ما سلمنا بقناعته وموروثه، نجد أن حيرته كانت تتسم بالأمانة على الرغم من أن تصرفه لم يكن حكيمًا ـ تردده فى مسألة منيته يُشْتَمُّ منها رائحة هاملت. أما رد أبى بكر فكان يشتمل على الآتى: "**مستقبل البلد**

في خطر الآن. ومن باب تجنب سفك الدماء، الذى لا يمكن أن أتحمل عنه أى شكل من أشكال المسئولية، لأنه لن يكون من أجل قضية أنا أراها عادلة، وهنا أجدنى أقترح متواضعًا عقد مؤتمر... لكل الحكومات،.... لكى نحدد فيما بيننا المستقبل الذى ينبغى أن تكون عليه بلادنا".

ذهب اثنان من قضاة القضاة لمقابلة رئيس الدولة فى يوم الأحد المصادف لليوم الثالث من شهر يناير ومعهما صيغة لإنهاء ذلك الموقف المشوش. استطاع القاضيان أن يؤكدا أن السيد/ جستس أونيما Onyeana وافق على آراء القضائيين والقانونيين الآخرين فيما يتعلق بتفسير الدستور. سألهما أزكوى عن مجيئهما متأخرين، وذكراه أن القضائيين ينبغى أن لا يتدخلوا فى النزاعات السياسية، لكن الأمر يصبح مختلفًا إذا ما أصبحت البلاد على وشك التفكك. كانت النقاط الست التى اقترحها القاضيان - إعادة التأكيد على الوحدة الفيدرالية، من خلال فرص متساوية وبلا ضغوط، الالتزام الصارم بالدستور إلى أن يتم تعديله، حكومة وطنية موسعة يجرى تشكيلها على أساس من نتائج الانتخابات المعلنة، تجنبًا للفوضى، صيغة قانونية مفصلة للانتخابات تقوم المحاكم بتحديدها، التمسك بنتائج الدوائر الانتخابية، باستثناء المواقع التى حدثت فيها أشياء صغيرة تحتم إعادة الانتخابات، تشكيل لجنة مكونة من أحد عشر رجلاً فى غضون ستة أشهر ويستمر عملها لمدة عام، تقوم بمراجعة الدستور وآلية الانتخابات، على شكل جمعية تأسيسية (على أن يقوم رئيس الدولة بتعيين عضو واحد، ويقوم كل رئيس من رؤساء الوزراء بتعيين عضوين)، وأخيرًا يجرى حل حكومة الإقليم الغربى كيما يسمح ذلك بحرية التعبير عن الإرادة الانتخابية الإقليمية. وتحدث الدكتور أزكوى حديثًا ضبابيًا على أنه فوق مستوى السياسة واقترح أن يكون هناك تشاور مسبق مع كل من التحالف الوطنى النيجيرى والتحالف المتحد التقدمى العظيم قبل قيام الرئيس باتخاذ أى قرار من القرارات. وعلى الرغم من ذلك تكون لدى القاضيين انطباع مفاده أن الرئيس قبل النقاط الخمس الأولى، مع شىء من إعادة الصياغة، وغادر القاضيان

مقر الرئاسة على أمل أن يسمعا فى المساء إعلانًا لمثل هذه الخطة، وإعادة تعيين أبى بكر لتنفيذها.

جاء كل من أوسادباى Osadebay وأوكوتاى - إيبوه Okotie-Eboh بعد القاضيين ليقوما بجولة تصالحية أخرى، وجرى إبلاغهما بالصيغة المقترحة. وجاء بعدها رئيس وزراء إقليم الغرب الأوسط، بصحبة مجموعة كبيرة من التحالف المتحد التقدمى العظيم ولجنة العمل المشتركة (جرى الترحيب بهم بواسطة الناشطين الذين كانوا موجودين فى الدور الأرضى)، كانت تضم أكبارا (الذى لم يكف مطلقًا عن احتمالية الانفصال)، وأوريزو، ومبادوى، وأمين كانو، وآجبنرو، ويوسف تاركا، وأوتجبى Otegbeye، وإيمود، وجودلك Goodluck، وأولاوين Olawoyin وميكوين McEwen. وهنا راح الرئيس، تحت ضغط واضح يسألهم رأيهم فى الصيغة التى جاء بها القاضيان. اعترف ميكوين أن المقاطعة كانت خطأ، لكن الجميع طلبوا من آزكوى الصمود نظرًا لأنهم كانوا لا يزالون مقتنعين، أن من حقه فى ظل الظروف الراهنة، تعيين أى إنسان رئيسًا للوزراء. أشار الدكتور آزكوى إلى حكايات مفادها أن حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان يخطط لاستبداله بالسير آدينوكنبوه Adetokunboh أديمولا Ademola، الذى سيحل محله السير لويس مبانيفو فى رئاسة المحكمة العليا. لم يترك ذلك كله انطباعًا لدى لجنة العمل المشتركة، لأنهم كانوا لا يزالون يحسبون أن غوغاء ليجوس قادرون على مواجهة "التدخل الإقطاعى"، كانوا ينتظرون من آزكوى العودة إلى أيام الاجتماعات الجماهيرية الغوغائية، ويتزعمون الشعب فى مسيرته لهدم سجن الباستيل. وعليه، وأثناء انصراف السياسيين، وهم يفكرون فى صيغة لإنقاذ ماء وجوههم، التقوا بعض العناصر الثائرة التى كانت تصعد السلم للقيام بعكس ذلك الذى جاء من أجله السياسيون. وهنا أصبحت قوات الأمن أكثر اقتناعًا بفكرة مبررات إلقاء القبض على رءوس الفتنة فى لجنة العمل المشتركة، لكن قوات الأمن كانت لا تزال تفتقر إلى دعم السلطة التنفيذية.

كان لدى الرئيس أسباب تبرر تعاسته. ينص الدستور أنه فى حال غياب رئيس الدولة عن البلاد، أو على حد قول رئيس الوزراء، عجزه عن القيام بمهام منصبه بسبب المرض، فإن رئيس مجلس الشيوخ (أوريزو) يحل محله. وأن الرجل بقى، من باب المباهاة، فى نسوكا فترات متباينة وصلت إلى حوالى أربعة أشهر وذلك اعتبارًا من شهر مايو، فى ظل وجود تقارير طبية تقول إنه ليس على ما يرام ويحتاج إلى رعاية متخصصة. راح أعضاء التحالف الوطنى النيجيرى ينشرون على نطاق واسع فكرة تعزيز رئيس الوزراء لرأيه، وقد أدى ذلك إلى تقوية التهامس المتكرر الذى مفاده أن الحصول على المزيد من اليقين، يتطلب الإطاحة بالرئيس فى البحر من فوق بارجة قيادة القوة البحرية، التى تستعد للإبحار من المارينا المقابلة لمقر الرئاسة، على أن يؤخذ إلى ما بعد المياه الإقليمية المقدرة بثلاثة أميال، وتتم المسألة بعيدًا عن البلاد. سارع شوكس ـ أدوفى Chuks - Adophy، السكرتير الصحفى الرئيسى، إلى الإعلان فى نشرة أخبار منتصف الليل، أن الرئيس أفاد من فترة الراحة التى "أعقبت التوتر العصبى الذى حدث خلال عيد الميلاد"، وأنه أصبح قادرًا على استئناف مهام عمله، مستغنيًا بذلك عن العناية التخصصية، أكد البيان على "المهام داخل مقر الرئاسة" وخارجه. لم يجر الإعلان عن ذلك الاتفاق الذى كان القاضيان ينتظرانه، ولم يكن هناك دليل على أن الرئيس تعرف أن "الألاعيب القذرة" يمكن أن تدور فى مخيلات كثير من السياسيين، ولم يكن هناك شىء أكثر مكرًا وخداعًا من ذلك البلف الذى تنطوى عليه أهداف رئيس وزرائه.

صدرت الصحف صباح يوم الاثنين وفيها انتقاد شديد للموقف وللملامين فيه على حد سواء، وهنا بدأت تتزايد مخاوف أولئك العاملين فى مجال الحياة العامة. كان السير آديتوكنبو هو والسير لويس مشغولين وأرسلا تقريرًا للدكتور أزكوى مفاده أن الحاج السير أبا بكر وحده هو الذى طلب تغييرات فى الصيغة التى تقدما بها، لكنه رأى أن حل انتخابات الإقليم الغربى ليس أمرًا ملحًا، حتى وإن كان من سلطته الأمر

بذلك، نظراً لأن الانتخاب يتعين عقده خلال ثمانية أشهر، وعد أبو بكر أيضًا بحسن نية من جانب الحكومة الوطنية، وتمنى أن يكون حسن النية متبادلاً. ومع ذلك، كان الدكتور أُكبارا يود الحديث عن مزيد من "التعديلات". وصل أكبارا مع الدكتور مبانوجو Mba-nugo، وهو من لجنة العمل فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى الإقليم الشرقى، فى حين بقى كل من السير لويس مبانيفو هو والسيد/ جستس أُنيما Onyea-ma مراقبين، كان لدى أكبارا تسع نقاط تعديلية، منها - إطلاق سراح أولوو Awo، حل مجلس الإقليم الغربى خلال شهرين، إجراء انتخابات جديدة على جميع المقاعد التى لم يجر الاعتراض عليها، أو المقاعد التى وصل الاقتراع فيها إلى أقل من ٥٠٪ (وإذا لم يتيسر ذلك فليكن أقل من ٣٠٪)، حكومة وطنية موسعة تتساوى فيها أعداد المناصب، لكل حزب من أحزاب الشرق والشمال. (على أن يعتمد نصيب الإقليم الغربى على النتيجة المتوقعة للانتخابات الإقليمية)، أن تكون المراجعة العاجلة للدستور شاملة، وأن تكون بواسطة لجنة يجرى انتداب أعضائها من الأقاليم الأربعة. ونظراً لأن مبانيفو وأُنيما Onyeama كانا يتوقعان رفضًا شديداً من قبل التحالف الوطنى النيجيرى، وبالتالى رفض حكومة وطنية يكون ثلثا أعضائها من التحالف المتحد التقدمى العظيم، وإنشاء المزيد من الولايات فى الشمال، فقد قام الرجلان بسحب هذه المقترحات المضادة استهدافًا لإنهاء الأزمة. قال رئيس الدولة إن الحاج السير أبا بكر قد قبل مسألة "الأخذ والرد"، وطلب من الدكتور أُكبارا شيئًا من الرشد والحنكة السياسية. وهنا وافق أُكبارا على الوثوق بكل من الدكتور آزكوى وأبى بكر فى أن يستخدما منصبيهما الطيبين فى حل الإقليم الغربى والتعامل مع مسألة صلاحية الانتخابات، وتركا مقر الرئاسة بعد أن تقدما بطلب آخر لمراجعة موقف الرئيس آولوو.

اتصل مفوض الشرطة اتصالاً تليفونيًا مباشراً بالدكتور آزكوى، بسبب تخوفه على الأمن العام، وطلب موافقة الرئيس على إبعاد مثيرى الشغب الموجودين حول مقر الرئيس. عند هذا الحد كان الرئيس قد بلغ من السرور حداً يصعب معه الموافقة على

ذلك الطلب، وجرى استبدال ناشطى لجنة العمل المشتركة بحرس قوى من الشرطة. وهنا تبين الرئيس أنه لا بديل عن العمل بالنصائح التى أسديت له مؤخراً وتقضى بالالتزام بنصوص الدستور. أرسل الرئيس رسالة إلى الحاج السير أبى بكر، الذى خرج من فترة تأمله فى المساء، ليقبل الدعوة الموجهة له لتشكيل حكومة وطنية موسعة، وتبادل الملاحظات بينهما حول البيانات الإذاعية التى سيصدرانها بهذا الصدد. وعندما أحس الدكتور أزكوى بالقلق حول ما يمكن أن يقوله ("لابد من السماح لى بشرح الموقف الشعبى")، قدم له الدكتور السياسى، ذلك الرجل الهادئ، مسودة جرى تبييضها: "هذا هو الخطاب". يتعين على رؤساء الدول الدستوريين التحدث عن الأمور العامة أو إن شئت فقل: عن موضوعات غير سياسية لا تكون محلاً للجدل، وإلا تعين لهم التحدث عن المشورة الوزارية. وهنا جاءت النصيحة. وهنا أيضًا قام رئيس الدولة الذى كان يبدو عليه التعب بالتحدث من خلال الإذاعة أثناء الليل، عن النقاط الخمسة التى كانت محور الاتفاق الرئيسى الذى توصل إليه كل من التحالف الوطنى الإفريقى والتحالف المتحد التقدمى العظيم، واعترف الرجل من أجل الوحدة الوطنية أن وضعه الدستورى أصبح محدداً تحديداً واضحاً، واعترف أيضًا بأن قرار الشعب فى الدستور الفيدرالى الحالى لم يفرض عليهم وإنما جاء تعبيراً عن إرادتهم المشتركة، وأن التعامل مع الانتخابات بأية طريقة أخرى غير الطريقة القانونية يمكن أن يخلق نوعًا من الفوضى - وأن الأزمة قد انتهت الآن، "وعاش الدستور!".

تحدث رئيس الوزراء بعد الرئيس وقال: **"لما كنت قد حظيت بامتياز الاطلاع على النص الذى استمعتم إليه من الرئيس، أود أن أؤكد لكم أننا سوينا خلافاتنا.... كان شغل أذهاننا الشاغل هو كيفية تأمين... استقرار نيجيريا.... وها هو سيادة الرئيس وأنا أيضًا نثبت مرة ثانية أن الأشياء التى تربط بيننا أكثر بكثير من تلك التى تفرّق بيننا... وبعون من الله سأحاول عمل كل ما هو صحيح وعادل لمصلحة هذا البلد... وأنا**

أنوى تشكيل حكومة موسعة تهتم بشعوبنا كلها. وسوف أتحدث إلى الأمة عن خطتى خلال الأيام القلائل القادمة".

أعلن أكبارا وآدنبرو أن التحالف المتحد التقدمى العظيم امتدح مسألة التأكيد على الوحدة، وأنه سوف يناضل فى سبيل انتخابات نظيفة، كما رحب أيضًا بمراجعة الدستور والانتخابات. قال أحد الوسطاء إن الأزمة "بدت أطول بكثير" من الأيام الخمسة التى مضت. طوال هذه الفترة، وعلى الرغم من مجىء موزع مهام بطا Bida، عيسى كيتا ومعه نصير Nasiru محامى المحاكم العليا فى حكومة الشمال، ليكونا ممثلين للشمال فى التجادل مع محمد رباط، وإينوا وادا، ودبشاريما، لم يجر عزو أى شىء إلى المستشار السياسى الرئيسى أو إلى منظومته الهرمية فى كادونا، التى عُرف عنها أنها تعارض إعطاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين أى شكل من أشكال التهدئة. لم يكن رئيس الوزراء، على حد زعم البعض، غارقًا فى الاكتئاب طوال فترة تراجعه لكن، على الرغم من إحباطه بسبب افتقار الآخرين إلى الواقعية، وبسبب تشاؤمهم، لكن كانت روحه المعنوية مرتفعة لأنه كان متأكداً من النتيجة. قال أحد الواثقين "كان متمتعًا بالنتيجة تقريبًا". كانت هزيمة رئيس الدولة مسألة حرجة، وربما أدت، أولاً وقبل كل شىء، إلى انتصار النسخة النيجيرية من ديموقراطية وستمنستر Westminster لو أن التلاعبات الإنسانية تمكنت من التكيف مع القوى الاقتصادية والاجتماعية الحديثة بطريقة أسلس.

بدأت فترة من تبادل التهانى السابقة لأوانها، ومن التوافق المتبادل بين المعلقين الداخليين والدوليين، ورجال الكنائس، والسياسيين (هيلاسلاسى، بتمان، كاوندا، وباندا، وجونسون) على "تحالف كل من زيك - باليوا على الوحدة"، ثم تراجع ذلك عن شفا الكارثة فى الوقت المناسب. تحدث هارولد ويلسون عن ذلك التحالف على أنه مصدر من مصادر إرضاء أزكوى باعتباره "واحداً من مهندسى الاتحاد الأوائل". الواقع أنهما تظاهرا على امتداد بضعة أشهر بعودة الأمور إلى مجراها الطبيعى فى

الحياة الإدارية اللهم باستثناء السياسة الخاصة بالإقليم الغربى (على الرغم من أن ممارسة الحكومة الإقليمية لأنشطتها اليومية كانت تثبت أن الحكومة بلغت مرحلة النضج). لكن المرارة التى كانت تحت السطح لم تختف أو حتى تذوى. تحدث رئيس الوزراء مع الدكتور شايك أوبى عن الحزب الديناميكى فى الإقليم الشرقى، ثم طار معه بعد ذلك، ومعهما محمد رباط وإينوا وادا إلى كادونا يوم الثلاثاء المصادف لليوم الخامس من شهر يناير، لينضم إليهم المستشار السياسى الرئيسى وهيئة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، وهيئة الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى من إيبادان، ليعرفوا التفاصيل كلها لأول مرة. وفى كادونا جرى توضيح الأمر لأبى بكر أن "الحكومة الوطنية الموسعة ستكون غير مقبولة تماماً من حكومتين إقليميتين وحزبين إقليميين لو قدر لهذه الحكومة أن تضم أحداً من حزب جماعة العمل. وفى المقابل رفض أبو بكر الضغوط الهادفة إلى إبعاد آزكوى بطريقة شرعية (وذلك عن طريق أغلبية الثلثين فى اجتماع مشترك للمجلسين)، وأصر أبو بكر على أن أصبح بلا حول أو طول، الأمر الذى يجعله عاجزاً عن فعل أى شىء من الموقع الذى هو فيه (واقع الأمر أن استعداد أبى بكر لمهادنة آزكوى بالأمور المظهرية لم ينته مطلقاً، وحتى فى هذه الظروف كان أبو بكر ميالاً إلى السماح ببناء مقر جديد للرئيس على موقع كان مخصصاً لبناء شقق سكنية لحوالى ١٠٠٤ من العمال). لكن كانت هناك مجموعة قليلة من الصقور التى كانت تحوم حول الاجتماع، وكانوا لا يزالون يتطلعون إلى قيام مظاهرة فى الإقليم الشرقى، وبالتالى تكرر حالة الطوارئ التى فرضت على الإقليم الغربى، وبالتالى الانفصال عن منطقة الأجبو المجاورة التى فيها ولاية نهرية غنية بالبترول. عاد رئيس الوزراء إلى ليجوس لإنهاء تعيينات مجلس الوزراء التى كانت فى ذهنه فى ذلك الوقت، فى حين راح مؤيدوا التحالف المتحد التقدمى العظيم يعربون عن تخلصهم من أوهام الهزيمة الواضحة التى حاقت بزعمائهم، وجرى أيضاً تعيين السيد/ إى إن أو سوديندى So-deinde، رئيس المجلس المؤقت لجامعة ليجوس، فى مقعد ليجوس الخالى فى لجنة الانتخابات.

قال أبو بكر عن قائمة الاسماء التى قدمت للرئيس فى اليوم السابع من شهر يناير إنها "مجرد قائمة مؤقتة"، وإنها تضم اسماء معروفة، عرف أبو بكر من خبرته، أنه يمكنه إسناد مهام وزارية إليها دونما نظر إلى علاقاته الحزبية. هذا يعنى أنه كان هناك ١٣ اسمًا من بين ١٧ اسمًا من التحالف الوطنى النيجيرى، على الرغم من إصرار أبى بكر أنه بعد الانتخابات المؤجلة التى ستجرى فى الإقليم الشرقى والغرب الأوسط، سيقوم ببعض التغييرات والتعديلات. قال أبو بكر علانية إنه يحاول "إشراك التحالف المتحد التقدمى العظيم"، لكن البيان الرسمى لم يكرر سوى صيغة "الحكومة الموسعة" التى بدت وكأنها تعد بأعمال للجميع. وهنا بدأت جذور استياء التحالف المتحد التقدمى العظيم من التكتيكات السيئة التى كان يتبعها كل من الدكتور أزكوى والدكتور أكبارا، وراح حزب الفلاحين والعمال الاشتراكى هو الآخر يكشف عن علامات تخليه عن التحالف. وهنا نجد رئيس الوزراء يحتفظ بالشئون الخارجية فى يديه هو، وأعاد تعيين الرئيس فستوس (الذى كان من قبل عضوًا فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، وليس من أعضاء التحالف المتحد التقدمى العظيم، إضافة إلى أن الرجل لم يتشاور مع حزبه قبل قبوله المنصب) إلى تولى وزارة المالية، ومحمد رباط لوزارة الدفاع، وإينوا وادا لوزارة الأشغال والمساحة، وبوكار دبشاريما للتجارة، والصناعة والإشراف على النقل، والشيخ شاجارى للداخلية والإشراف على المواصلات، وميتا ماسول للمناجم والطاقة، ووزيرى إبراهيم للاقتصاد والتنمية والإشراف على التعليم، وموسى يرعادو لشئون ليجوس، والدكتور ماجيكودونمى (الذى كان لا يزال مستقلاً وأعيد تعيينه فى مجلس الشيوخ، وهو أيضًا الذى كان يحذر أبا بكر ويحثه على إعادة تحديث الدستور قبل أن يقوم المفسرون المغالطون بتجميع أنفسهم) للصحة والإشراف على الإعلام، وتولى أوباند Obande المؤسسات وأسند إليه الإشراف على العمل، وتولى مبادوى، وهو من التحالف المتحد التقدمى العظيم، وزارة الطيران. احتج الدكتور مبادوى بأن التحالف المتحد التقدمى العظيم لن يخدم فى ظل أى شكل من أشكال الاعتذار، وأنه يفضل الانتظار لحين انتهاء الانتخابات القائمة ليدخل بعدها

بوصفه فريقًا متحدًا، لكن الرجل هو والرئيس فستوس لم يتحركا أو يخرجا من مكتبيهما الوزاريين الرسميين أو منزليهما طوال الحملة الانتخابية. كان هناك أربعة وزراء دولة برتبة وزير: عثمان مايتمبارى Maitambari، هاشم أداجى، نوح بامالى (جرى ندبه بعد أسابيع قليلة إلى وزارة الخارجية)، إبراهيم تاكو (على أن يجرى ندبه إلى وزارة الدفاع ليصبح وزيرًا للجيش).

غاب عن المجلس الجديد اثنا عشر وزيرًا سابقًا، منهم بنسون الذى عاد إلى المقاعد الخلفية، كان مقعد واشوكو واحدًا من المقاعد التى خضعت للمقاطعة، وعاد الرجل إلى واحدة من مستشفيات أبا لعلاجه من مرحلة متأخرة من مراحل المرض الكبرى. كان أكنفوسايل Akinfosile أيضًا واحدًا من أعضاء حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، الذين لم يعينوا فى الوزارة الجديدة. أكنفوسايل هذا راديكالى محروم من عضوية الحزب الوطنى الديموقراطى النيجيرى، يزاد على ذلك أن أميشى Amechi هو الذى كان يتزعم هجمات التحالف المتحد التقدمى العظيم على رفاقه فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، خلال فترة الصدع الذى حدث قبل الانتخابات. يضاف إلى ذلك السواد الأعظم من السكرتيرين البرلمانيين العشرة كانوا شماليين. وجرى فرض حظر غير متوقع مدته شهوان على الاجتماعات والمواكب الإقليمية فى الإقليم الغربى، لكن جرى رفع ذلك الحظر بعد أسبوع واحد. بدأت الجماعات الحزبية المحلية فى إقليم الغرب الأوسط والإقليم الشرقى تسارع إلى التخطيط للانتخابات المؤجلة. جرت أيضًا إعادة تسمية (ترشيح) كل من أنياجولو وآكنزوا على الفور من قبل حكومتيهما ليعاد تعيينهما فى لجنة الانتخابات الفيدرالية التى استقالا منهما عسفًا قبل أقل من أسبوعين.

لم يكن الاستياء من التفسير الضيق، و"المؤقت" بطبيعة الحال لمسألة "الحكومة الموسعة" مقصورًا على الحزب الوطنى الديموقراطى النيجيرى، فى ظل آماله المؤجلة،أو على التحالف المتحد التقدمى العظيم الذى أُصيب بخيبة الأمل والإحباط، أحست أيضًا

الأحزاب الصغيرة فى منطقة الأنهار، وفى الغرب الأوسط، والحزام الأوسط، والتى لم يكن لها حتى مجرد عضو واحد فى البرلمان، بأنها حُرمت من نصيبها العادل. حظيت تلك الأحزاب الصغيرة بمساندة أخلاقية مؤقتة من بعض الصحفيين الشماليين والموظفين الحكوميين الذين كانوا يودون تحديث البنية الهرمية التقليدية فى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى دون أن يضعف ذلك هيمنة الشمال الفيدرالية، والعثور على حلفاء لهم فى مواجهتهم لهيمنة الشرق الفكرية المتواصلة، وعلى المهن الحرفية والعسكرية أيضًا. كان الجميع قلقين من احتجاز أوكوتاى إيبوه Okotie-Eboh ومبادوى، على الرغم من العجز عن تسمية جنوبيين بديلين يمكن أن يخدما أبا بكر ومحمد رباط خدمة مخلصة، لم يصدقوا أنه لو وصل حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين إلى زعامة الحكومة الموسعة لكان هناك متسع لوجود المزيد من رموز وجود حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، المقصورة على الوزارات الصغيرة، يزاد على ذلك أنهم ظنوا أن رئيس الوزراء كشف عن ضعف وليس عن كرم فى مواجهته لحزبه. اختفت هذه التساؤلات على الفور عندما بدأوا يقرون أن طريقة أبى بكر المفضلة تهدف إلى التخفيف من وطأة هيمنة الشمال عن طريق الاستفادة من حلفاء جنوبيين أقوياء فى مناصب رئيسية، لكن كان من الضرورى اختيار الحلفاء الصحيحين، كان الخطأ الكبير لا يزال ماثلاً فيما لو اختار الحزب الحلفاء غير المناسبين خارج مجلس الوزراء. واقع الأمر أن كل أعضاء حزب المؤتمر الشعبى الشمالى الموجودين فى المقاعد الخلفية كانوا يودون توبيخ رئيس الوزراء فى اجتماع حزبى برلمانى مشترك يعقد فى كادونا، هدد ميتاما سول، الذى كان داخلاً فى بعض المبادلات الفردية بين ليجوس وأعيان حزب المؤتمر الشعبى الشمالى فى كادونا من ناحية، ورئيس الوزراء الفيدرالى والإقليمى من الناحية الأخرى، فى فترة ما قبل استسلام رئيس الدولة، هدد برد أية إهانة من إهانات أبى بكر، إلى زعامة الحزب وإجباره على الانقسام. وهنا قام المستشار السياسى الرئيسى بوقف الإجراءات على الفور. وقد أكدت شكوك حول حزب المؤتمر الشعبى

الشمالى النتيجة التى مفادها أنه لا التحالف الوطنى النيجيرى أو التحالف المتحد التقدمى العظيم، استطاع تقديم نيجيريا إلى السياسة الوطنية الحقيقية.

اتضح استمرار الترابط بين حزب المؤتمر الشعبى الشمالى والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى، عندما قام آكنتولا باصطحاب أيو روسيجى وريتشارد أكنجايد Akinjide للتشاور مع المستشار السياسى الرئيسى فى سكتو Sokoto. وقام الرئيس بنسون بتحدى الإقليم الغربى، ومعروف أيضًا أن بنسون أغضب كثيرًا من الأصدقاء والأعداء على حد سواء عندما راح فى ذلك الوقت يصف أعضاء التحالف المتحد التقدمى العظيم، من اليوروباويين بأنهم "مخالب على لوحة السياسة القبلية التى ينتهجها حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين"، وعندما راح يقول إن أتباع كل من آكنتولا وأولوو يتعين عليهم الاتحاد. يضاف إلى ذلك أن دانيال أبكوى، الذى أيد رأى الدكتور إلياس فى مسألة سلطات رئيس الدولة، استقال هو الآخر من منصب المحامى العام. وهذا هو فريد مكوين McEwen السكرتير التنظيمى فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين يعلن فى شىء من العناد أن مسألة الحلول الوسط زادت عن حدها، وأن نقاط الدكتور أكبارا التسعة، لم يجر عرضها على رئيس الوزراء، كما أعلن أيضًا أن رئيس الدولة لم يساوم حول هذه النقاط، وأن التحالف المتحد التقدمى العظيم لم يصله رد على هذه النقاط.

لم يمنع ذلك التحالف التقدمى العظيم من إصدار إعلان رسمى قاس من الناحية الشعبية، فى اليوم السادس عشر من شهر يناير، أن هذا الإعلان مكرس للمحافظة على الديموقراطية، وسوف يعطى كلاً من "التحالف" والحكومة الجديدة فرصة القيام "بمحاولة عادلة". أسفرت الاجتماعات التى عقدت فى كل من إيبادان وأينوجو بين حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين وحزب جماعة العمل عن سد الشروخ التى كانت بين الزعماء والأعضاء، لكن الرئيس أوجنسانيا Ogunsanya، تلك الشخصية الغريبة المرموقه فى حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، أصر على أن الأمر كله يعتمد

على ما يعنيه أو يقصده "باليوا" "بالحكومة الموسعة"، كما يعتمد من ناحية أخرى على إطلاق سراح أولوو. تصادف فى ذلك الوقت أن قام مكتب رئيس الدولة بنشر "يوميات مقر الرئاسة" عن الأزمة التى استمرت ستة عشر يومًا بدءًا من عيد الميلاد، وقد علق أدجبنرو على تلك اليوميات بقوله، "فلنترك مقر الرئاسة لضميره". وألغى أزكوى مواعيده الرسمية كلها فى الإقليم الشرقى، أسابيع عدة. علق الحاج السير أبو بكر على ذلك متفائلاً **"لقد علَّمت هذه الأزمة نيجيريا بعض الدروس التى ستقوى من وحدتها"**. وعندما ألحو على مسألة ما إذا كان التحالف يعنى إطلاق سراح أوو خلال ثلاثة أشهر، تذكر الرجل التزامات كادونا مع أكنتولا، وتخلص من الإجابة على السؤال بأن قال: **"ألسنا الآن فى اليوم الثالث من شهر يناير؟ أظن أن أحدًا ما يعتقد أنه سوف يطلق سراحه فى اليوم الثالث من شهر يناير، والأفضل أن توجهوا له هذا لسؤال"**.

أجبرت استحالة وضع خط تشريعى فاصل بين الانتخابات التى كانت التجاوزات فيها صغيرة إلى حد التفاهة، والانتخابات التى كانت التجاوزات فيها صغيرة بحق، كلاً من رئيس الوزراء والمشرع على قصر الانتخابات الجديدة على تلك الدوائر الانتخابية التى لم يجر التصويت فيها أو الدوائر التى لم يتمكن الناخبون مطلقًا من الإدلاء بأصواتهم أمامها. عندما عرف الناس ذلك، جرى اللجوء إلى المحاكم، لكنه كان أقل مما كان متوقعًا، كانت حرم أولوو، هى وموروونو Moronu خصم الرئيس بنسون، ومعها أذى Azi نياكو Nyako فى جنوب شرق باوتشى الذى ادعى أن مندوب الحاج السير أبى بكر كان فاسدًا، وأنه جرى وضع العراقيل أمامه لمنعه من تقديم أوراق ترشيحه ومن ثم لم يسمح له بممارسة حقوقه فى التنافس الانتخابى الحر. أحس الدكتور مبادوى بالخجل فى مسألة انضمامه إلى زملائه عندما ذهبوا لأداء القسم الوزارى، بأن قال: إنه كان مواليًا للتحالف المتحد التقدمى العظيم الذى كان يتحكم فى تصرفاته، لكنه جرى تحليفه اليمين بعد يوم أو يومين حتى يمكن له الدخول إلى مجال حقوقه وواجباته. وكما سيتضح فيما بعد، فإن الرائد نزيوجو، مدرب الأسلحة الصغيرة، الذى كان يستخدم

"ألواح الصاج"، التى جرى الحصول عليها من كبائن الاقتراع المؤقتة فى كادونا، فى سقف معسكر من معسكرات التدريب التابعة للجيش فى كاتشيا Kaciya، كان يُنكت قائلاً "لن تكون هناك انتخابات عامة لفترة طويلة". انفتح صدع فى علاقة قديمة وأدى إلى إرباك أبى بكر، عندما اعترف أبو بكر بشكوك أمين كانو، الذى كان ينظر إليه على أن يمكن أن يكون رئيسًا وسطيًا للوزراء فى حال دعوة التحالف المتحد التقدمى العظيم لتشكيل الحكومة. كانت هناك على امتداد أسابيع عدة شائعات عن مؤامرة تجرى فى مكان ما داخل التحالف المتحد التقدمى العظيم ضد شخص أبى بكر، ويقال إن "مالام" Malam كان على علم بهذه المؤامرة، وأن مؤسسة حزب المؤتمر الشعبى الشمالى نصحت أبا بكر نصحًا شديدًا بقطع صلاته وعلاقاته. وحرصًا من أبى بكر على عدم تكدير صفو كادونا بدأ الرجل يرفض مقابلة أمين كانو إلا بعد القضاء على تلك الشكاوى، وأخذ ميتاما سول فى تطوير هذه العملية، التى انتهت بعد فترة قصيرة بتصالح أمين كانو مع المستشار السياسى الرئيسى أيضًا.

لم تكن السياسة الفيدرالية هى كل شىء حتى فى أثناء هذه الأزمة. كانت هناك أحداث أخرى تهم نيجيريين آخرين مختلفى المشارب. اندلع قتال فى مباراة لكرة القدم بين نيجيريا وداهومى، فى دورة التصفيات استعداداً لدورة الألعاب الإفريقية، وجرى الاعتراف برئيس oba ليجوس الجديد بعد أن أصبح صديق أبى بكر نائبًا لرئيس مجلس الشيوخ ورئيسًا لمجلس مدينة ليجوس، وجرى أيضًا افتتاح الخط الحديدى الواصل بين جومب وميدوجورى، ليجرى استعماله فى نقل المسافرين والبضائع، وكان ذلك قبل أسبوع من وفاة السير رالف أميرسون Emerson، وفى الوقت الذى كان دبشاريما، الرئيس المؤقت لمؤسسة الخطوط الحديدية، يقول: إن المؤسسة أفلست بالفعل، أسفر المؤتمر العاشر الذى عقده حزب مؤتمر الحزام الأوسط المتحد فى جبوكو عن طرد إبراهيم إمام بسبب الازدواجية عندما حاول الانضمام من جديد إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى، بدأت لجنة العمل المشتركة التابعة لنقابات العمل فى التدهور،

نظراً لأن أديبولا كان قد ترك هذه اللجنة ليوحد كلاً من حزب مؤتمر العمل المتحد ومجلس العمال النيجيريين الذى يقوده المسيحيون فى مجلس جديد هو المجلس الأعلى للنقابات العمالية النيجيرية (كان جودلك، الذى سبق أن حاول قيادة إضراب تقوم به لجنة العمل المشتركة، والذى لم يجد السواد الأعظم من العمال جدوى منه، والذى كان يعارض استخدام اللجنة أداة لمصلحة حزب الفلاحين والعمال الاشتراكيين، كان يرتدى شارة حزب الفلاحين والعمال خلال هذه الحملة)، وحصل يوسف تاركا بعد سلسلة بطولية من التهرب عن طريق الاستئناف، وعن طريق إعادة النظر فى قضيته، فى نهاية المطاف على حكم بالسجن مدته أربعة أشهر لدوره فى الاضطرابات التى وقعت فى منطقة التيف Tiv فى العام ١٩٦٤ .

تجاوب رئيس الوزراء مع النقد مما أدى إلى عدم وجود حوافز للاستثمار الأجنبى وعلق قائلاً: **"نحن نقدم من الحوافز الصناعية ذلك القدر الذى يمكن أن يتحمله اقتصادنا، مستهدفين بذلك ضمان نمو اقتصادى متوازن ومستدام"**. استضافت ليجوس اجتماعاً مدته خمسة أيام عقدته لجنة الأبحاث والعلوم والفن technical، التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية، والتى كانت تسمى من قبل لجنة الثقافة والتعليم، وقد أخفق ذلك الاجتماع لافتقاره إلى المساندة والدعم، حذر الحاج السير أبو بكر من أن الأحداث الأخيرة ألقت بالشكوك على واقعية "منظمتنا" وكفايتها ومن أن العلاقة الأخوية بين الأعضاء، منذ أن فشلت لجنتان فى الاجتماع بسبب عدم اكتمال النصاب، كما اجتمعت لجان أخرى مع تغيب الكثيرين من الأعضاء- "هذا أمر محزن بحق وينذر بأزمة ثقة". وحذر رئيس الوزراء أيضاً، من شىء آخر يتعلق بمهنته هو، كانت رسالة الرجل فى الجلسة الافتتاحية لاجتماع المجلس الوطنى النيجيرى للأبحاث والتعليم، أن البلاد لا طاقه لها بتحمل الترف الذى لا لزوم له، وأن البلاد يتعين عليها الموازنة بين المشروعات الأكاديمية الخالصة والمشروعات للعمل داخل المنظومة المدرسية.

قام الحاج بوكار دبشاريما بإحياء المفاوضات لإيجاد علاقة مع المجموعة الأوروبية. أُعلن عن تقاعد الجنرال (اللواء) ولبى - إيفرارد. وعلى الرغم من وفاة السير ونستون تشرشل، فى التسعين من عمره، أى بعد عقدين من الحرب العالمية الثانية، فقد أعادت هذه الوفاة إلى الأذهان ذكريات أو بالأحرى رؤى هزيمة الفاشية، كما لفتت تلك الوفاة أيضًا الانتباه إلى تلك الشخصيات الكارزمية "الأكبر من الحياة"، حضر كل من الدكتور إلياس والحاج الشيخ شاجارى الجنازة الرسمية لتشييع جثمان تشرشل فى لندن (وبلا جلبة أو ضوضاء حضر مويس تشومبى تلك الجنازة أيضًا)، عاد الحاج السير أبو بكر بذاكراته إلى الساعات التى أمضاها فى وستمنستر منذ زمن مضى وقال: **"هؤلاء الذين يمارسون الديموقراطية البرلمانية، وأولئك الذين لا يمارسون هذه الديموقراطية، يتعين عليهم الحزن على فقدان هذا الرجل العظيم، الذى أنقذ فى السنوات الأخيرة من عمره، العالم من الاستبداد ووقف فى وجه الهمجية المنظمة بكل أشكالها"**.

حظيت بعض الأحداث التى صُنِّفت بأنها أحداث خارجية باهتمام كبير من وزير الخارجية المؤقت، الذى كان هو رئيس الوزراء فى ذلك الوقت. جرى دمج العلاقات البريطانية الخارجية هى وعلاقات الكمنولث لتصبحا خدمة دبلوماسية واحدة، فى ظل وجود طباع أكثر تلاحمًا وأقل عاطفة تجاه الأشياء الشاذة، أُعيد انتخاب أيوب خان فى باكستان، وقعت تانزانيا اتفاقًا زراعيًا مع الصين، ترأس السير بيرك ترند فى لندن المحادثات الخاصة بإنشاء أمانة عامة دائمة للكمنولث، سحب سوكارنو إندونيسيا من الأمم المتحدة، وافق العسكريون الفيتناميون الجنوبيون على إعادة الحكم المدنى، اعترف السودان بمساعدته لثوار الكنغو، اغتيال رئيس وزراء بوروندى بواسطة لاجئ موتوتسى واغتيال الأخير خلال أقل من عامين بعد ذلك، اتهمت حكومة جمهورية الكنغو الديموقراطية كلاً من كينيا، وأوغنده، وتانزانيا بإجراء مباحثات مع الثوار الكنغوليين، الذين بدأ بعض آخر منهم الهجوم من ناحية الكنغو برازافيل كما بدأ جبنى Gbenye

فى استعادة ثقته القديمة، قطعت بوروندى علاقاتها مع الصين، قدمت نيوزيلنده قوات لمساعدة ماليزيا فى مسألة جزيرة بورنيو، انتهاء القتال فى لاوس، أبرمت بلجيكا اتفاقات مالية كبيرة مع جمهورية الكنغو الديموقراطية، بما فى ذلك الضمانات الأمنية، قيام الفيت كونج بالهجوم على قاعدة أمريكية، وقيام الولايات المتحدة بقصف فيتنام الشمالية وأمرت بسحب قواتها إلى الوطن، وفاة الدكتور جوزيف دنكواه وهو فى الحجز فى غانا، فى حين صدرت أحكام بالإعدام على وزيرين سابقين وثلاثة آخرين لاتهامهم بتهمة الخيانة (وجرى تخفيف الحكم بعد ذلك إلى ٢٠ عامًا)، حاول وزير سابق الإطاحة بهستنجز Hastings باندا لكن محاولته باءت بالفشل، إرسال بريطانيا المزيد من القوات لمساندة ماليزيا، حصول الجزائر على أسلحة لميليشيتها من الصين، الانتهاء من تشكيل المنظمة العامة الإفريقية الملجاشية، التى ضمت أربع عشر دولة من الدول الناطقة بالفرنسية، استقلال جامبيا، على الرغم من استمرار تشجيع الدبلوماسيين الأجانب لها على الانضمام إلى السنغال، قيام السيد/ أُبوتى، فى أوغنده بإلغاء المعارضة الرسمية.

اتخذت لجنة المصالحة الكنغولية التابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية (المكونة فقط من غانيين وغينيين ونيجيريين) الترتيبات اللازمة لتحرى الحقائق حول وجود أية معارضة على الأرض لـ - تشومبى فى ليوبولدفيل، وبرازافيل وبوروندى - لكن لم يصل من أفراد اللجنة سوى النيجيريين، وبالتالى تخلى النيجيريون عن مهمتهم بسبب غياب الأعضاء الآخرين. ومن الإنصاف أن نصل هنا إلى استنتاج مفاده أن الغالبية العظمى من وزراء خارجية منظمة الوحدة الإفريقية وليس فقط أولئك الذين بدأت مساعدتهم لثوار الكنغو فى التناقص نظرًا للاضطرابات الداخلية التى بدأوا يواجهونها فى بلادهم، استقرت ظنونهم فى تحول تشومبى صوب الوحدة الوطنية، لكنهم بدأت تتضح لهم أسباب مقنعة تجعلهم يقرون بالالتزام بسياسة الحاج السير أبى بكر التى تقوم بعدم التدخل مطلقًا فى الشئون الداخلية للآخرين. اختار كل من جبنى وسوميلوت Soumailot اللحظة التى

يتنازعان فيها على زعامة التمرد، وبذلك يكونا قد مكنا تشومبى بالقيام بالهجوم مضاد على ما ترتب على ذلك التنازع من قوة متمردة واهنة. وتأسيسًا على ذلك قامت منظمة الوحدة الإفريقية بسحب اعترافها بحركة التحرير الوطنى الكنغولية التى انقسمت على نفسها على الرغم من موافقة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية على تحمل تكاليف موارد الجسر الجوى المصرى - الجزائرى إلى المتمردين. واجهت منظمة الوحدة الإفريقية توترات أخرى: كانت كل من غانا وغينيا تشجعان على إساءة الظن بالمنظمة العامة الإفريقية الملجاشية، التى جرى الاعتراف بها على أنها وحدة شرعية فرعية، وكانت إثيوبيا هى وجيرانها لا يزالون يتقاتلون، وظهر النزاع بين الجزائر والمغرب إلى العلن.

قام السيد/ سوبينى، نائب وزير خارجية إندونيسيا بإحضار وفد إلى ليجوس ليشرح مسألة انسحاب إندونيسيا من منظمة الأمم المتحدة، والمواجهة Konfrontasi مع ماليزيا، لكن الوفد اكتشف أن أبا بكر لم يكن متعاطفًا وكان يعجل بالتمهل. تعجب أبو بكر من الأسباب التى تجعل دولتين من عرق واحد إلى حد بعيد، وعقيدة دينية واحدة لا يسويان خلافاتهما بطريقة ودية: **"كثير من الناس فى أيامنا هذه تجرفهم انفعالات الماضى وعواطفه. العبارات التى من قبيل "الاستعمار الجديد"، و "معاداة الاستعمار"، " الإمبريالية" وعبارات أخرى كثيرة كانت تصلح لأمة تناضل من أجل الاستقلال، لكننا مستقلون بالفعل، وتخطينا مرحلة استعمال التعبيرات التى من هذا القبيل. وما دام أن الأمم المتحدة تعترف بماليزيا، فإن نيجيريا تفعل الشيء نفسه".** وزاد أبو بكر على ذلك إصدار تعليماته إلى المندوبين النيجيريين فى المؤتمرات كلها مساندة البلدان الإفريقية الأخرى فى أية مبادرة لطرد روديسيا الجنوبية من الاجتماعات.

أغرى الواقع الراهن فى تلك الأيام على القيام بمصالحة مؤقتة وبخاصة بعد التقاء رئيس الوزراء فى ليجوس كلاً من الدكتور ميخائيل أكبارا، والرئيس دينس أوسادباى، والحاج داود أدجبنرو، قصة نيجيريا عامة بالزعماء الأفراد المتصافحين، والزعماء الذين

يغيرون مسارهم أو بالأحرى يعدلون شعاراتهم، وهذه مجرد أمثلة لهؤلاء الزعماء ظهرت بعد أحداث بدت فيها مواقف هؤلاء الزعماء وكأنها منحازة إلى الأبد، هذا لا يعنى أن التوترات الجماهيرية التحتية قد هدأت، لأن الأشخاص الذين استسلموا احتفظوا بزعامتهم وكارزمتهم المعلنة. والمثال على ذلك، أن أبا بكر المدرس وميخانيل أكبارا الطبيب، استطاعا أن يستأنفا علاقة فردية معتادة وذلك بتشجيع من القاضى مبانيفو. وهذا هو رئيس وزراء الإقليم الشرقى يتجاهل الأصوات التى تغمغم بأن انضمام حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين إلى حزب المؤتمر الشعبى الشمالى كان "كارثة على نيجيريا"، ويعلن أن كل شىء فى نيجيريا سيسير على ما يرام، وأن الأزمة قد جرى حسمها، وهذا هو التحالف المتحد التقدمى العظيم يقبل دعوة رئيس الوزراء له للمشاركة فى الحكومة. هؤلاء الزعماء سبق أن ناقشوا قانون الانتخابات الذى يجرى إعداده لدعوة البرلمان المنتخب حديثًا إلى الانعقاد، هذا البرلمان الجديد كان يشكل نصابًا قانونيًا مناسبًا، وستكون من سلطته الأمر بعقد الانتخابات فى الإقليم الشرقى وفى ليجوس، اللذين لم تنعقد فيهما الانتخابات فى اليوم الثلاثين من شهر ديسمبر. كان المجلسان التشريعيان فى كل من الإقليم الشمالى والإقليم الغربى قد عينا شيوخهما بالفعل (وبينهم، مثلما حدث من قبل، بعض الأعضاء الذين انهزموا فى انتخابات مجلس النواب)، وتقرر أن تتم اجتماعات المجلسين الإقليميين المشتركين بالطريقة نفسها. لم ترد أية تعليقات على مراجعات الدستور، أو عمل لجنة الانتخابات. واتضح للجميع أنه إذا كان للدستورية والعملية القانونية أن تؤديا إلى تقاسم السلطة فى إطار مجتمع جمعى، فإن ذلك سيكون أكثر جذبًا لزعامة الأقلية من عدم التعاون الجدب فى مجتمع ديموقراطى، جرى ترتيبه بطريقة مصطنعة ليكون مجالاً للفلسفات المتنافسة فى إطار أمة تَوحُّدية، لكن مصيبة التحالف المتحد التقدمى العظيم نبعت من رفض كل من حزب المؤتمر الشعبى الشمالى والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى لحزب جماعة العمل لأنه حزب أولوو، والذى لم يجد حزب المجلس الوطنى للمواطنين

النيجيريين أية فضيلة فى منعه من تدمير نفسه بنفسه، وذلك على الرغم من الاعتراف بقيمته منذ زمن بعيد بأنه حليف مضاد للشمال.

تهيأت للسير جيمس روبرتسون فرصة القيام فى ذلك الوقت بزيارة خاصة إلى نيجيريا، ليجد صديقه القديم الحاج السير أبا بكر، وعلى الرغم من حساسيته وضبطه لنفسه كما عهده من قبل، لا يزال قلقًا ومتضايقًا جدًا من مصاعب منصبه التى بدأت مع مواجهته لرئيس الدولة والتحدى الذى كان يلقاه من الإقليم الشرقى. انعقد اجتماع البرلمان غير الكامل، والذى استغرق يومين فى أواخر شهر فبراير لانتخاب المتحدث الرسمى وتمرير قانون الانتخابات، فى جو غير ودى تمامًا ولم يشارك رئيس الوزراء فى المناقشات. جاءت موافقة الرئاسة فورية. لم يقم أى أحد من مرشحى التحالف المتحد التقدمى العظيم، الذين سبق أن وعدوا بالاستقالة من مقاعدهم، بتنفيذ ذلك الوعد. وتحدد موعد الانتخابات باليوم الثامن عشر من شهر مارس.

بقى التحالف التقدمى العظيم ومعه أولئك الذين يزعم أنه يمثلهم محطًا وأهدافًا للهجوم عليها من قبل المستوى الأدنى، مع أن التحالف هو والحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى كانا يتطلعان إلى الحصول على بعض المكافآت فى ظل الموقف الجديد. يزاد على ذلك أن الأشخاص الذين كانوا يحكمون، ويديرون أو يشكلون هيئات العاملين فى الوكالات الفدرالية كانوا لا يزالون معرضين، بل وأهدافًا للشك الصحفى أو الحقد الشخصى (لما كانت الوكالات الإقليمية، تعلن عن شوفينيتها بلا خجل، فإن ذلك كان يجعل مسألة تطهيرها أمرًا نادر الحدوث). وهذه هى هيئة الكهرباء اشتهرت بسوء سمعتها فى مجال عدم الكفاية المكتبية، وعدم جودة الخدمات التى تقوم بها أو متانتها، وكان ذلك كله يجرى عزوه إلى السياسة القبلية، من خلال إيثار ذوى القربى بالمناصب العالية، ومن خلال التعيينات الحزبية للعاملين أو مجلس الإدارة، وهذه هى هيئة السكك الحديدية التى يرأسها الدكتور إيكجيانى Ikejiani كانت هى الأخرى متهمة بفساد من هذا القبيل، ومتهمة أيضًا بتضخيم ربح حدى صغير إلى حوالى سبعة أرقام

جرى الإعلان عنه (كان الوزير بوكار دبشاريما قد اعترف فقط بفائض مقداره ٣٥ ألف جنيه إنجليزى). طلب السياسيون والصحفيون الشماليون من الحاج السير أبى بكر إبعاد كل المؤيدين المعروفين للتحالف المتحد التقدمى العظيم، عن الحياة العامة، سواء أكانوا رؤساء مؤسسات أم وزراء أو حتى مبعوثين أجانب. أما الوظائف أو التعيينات الروتينية التى من قبيل تولى السير صمويل مانوا، ذلك الرجل شديد الاحترام القادم من الإقليم الغربى، لمنصب رئاسة لجنة الخدمة العامة، فى الوقت الذى تغيَّب فيه الشمالى سول Sule كاتا جوم مدة شهرين، فقد لقيت تفسيرات عرقية من مؤلفى الكتب والمقالات التافهة ومن الرغَّائين أيضًا. يزاد على ذلك أن مسألة إطلاق اسماء جديدة على معاهدة البحث الإفريقية فى الإقليم الغربى (مثل المعهد الذى أصبح اسمه المعاهد النيجيرية لأبحاث المثقبيات[*] Kypanosomiasis، أو أبحاث زيت النخيل) أدت إلى إطلاق العنان لكثير من الأفكار الباطلة.

حدثت فضيحة أكاديمية وفضيحة عقارية وهما توضحان دخول الظلام. عالم النبات الأستاذ الدكتور إنى Eni نجوكو Njoku، والذى كان واحداً من الوزراء الأول، كان قد عين رئيسًا لجامعة ليجوس الفيدرالية فى العام ١٩٦٢ لمدة ثلاث سنوات. وبعد اعتزاله السياسة الفعلية، على الرغم من أنه كان شيخًا Senator فى العام ١٩٦٠-٦١، فقد كان أيضًا عميداً لكلية العلوم فى إيبادان ورئيسًا لمجلس إدارة هيئة الكهرباء إلى أن قبل منصبه الحالى. من المسلم به عمومًا (مثلما كان العرف فى بريطانيا فى يوم من الأيام) أن الأشخاص المتميزين لا يقبلون تعيينات قصيرة الأجل فى مناصب لها نفوذ وتأثير طويل الأجل، اللهم إلا إذا كانوا متأكدين من إعادة التعيين مرة أو أكثر من مرة، فى حال عدم سوء السلوك أو التصرف، حتى يتمكن من بناء ثقة تضامنية مع بقية الأعضاء دون أن يكون له مستقبل عملى واحد طوال حياته. وهذا هو الدكتور

(*) طفيل يسبب هذا المرض. (المترجم)

سابورى Saburi أو O بايوباكو Biobaku، وهو مسلم من الإقليم الغربى وصديق طيب للشماليين أمثال السير كاشيم إبراهيم (الذى كان هو الآخر مستشاراً لجامعتى إيبادان وليجوس)، كان أول مسجل لكلية إيبادان الجامعية، كما كان أيضاً سكرتيراً لحكومة الإقليم الغربى. وهو الآن يعمل مساعداً لنائب مستشار جامعة إيف Ife، ومقدر له أن يصبح نائباً لمستشار جامعة زامبيا. وهذا هو العمل التمهيدى الخلاق الذى قام به نجوكو لجامعته، يصيب قدراً كبيراً من النجاح، لكن بعد أن أصبح القسم الأكبر من استشاراته القانونية تحت رئاسة السيد/ سوديندى Sodeinde فقد أدى ذلك إلى تقديم اقتراح بعدم تجديد عقده، يزاد على ذلك أن الحزب الديموقراطى الوطنى النيجيرى كان يود أن يرى بايوبيكو، وهو مرتبط بقرابة بعيدة بأدجبنرو، فى هذا المنصب.

يرجع جزء من هذه الملابسات إلى حقيقة مفادها أن الدكتور كينيث دايك، الذى كان رئيساً لجامعة إيبادان الفيدرالية فى ذلك الوقت، كان هو الآخر من الأجبو. تحدث نجوكو مع أبى بكر زميله القديم فى مجلس الوزراء، متشاكياً من أن المستشار السياسى الرئيسى هو وأكنتولا كانا يعارضانه، وأحس بالتفاؤل من استقبال الرجل له، لكن أكنتولا اشتكى هو الآخر للمستشار السياسى الرئيسى، الذى قام (على خلفية استياء صحافة حكومة الشمال من تساهل أبى بكر مع الجنوبيين) بإقناع أبى بكر فى شىء من القنوط، بتجاهل الناصحين غير المنحازين من أمثال كاشيم الذى كان يحبذ كلاً من المعاهدة ونجوكو، وأن يترك المجلس هو والوزير المختص "يتجادلان إلى أن يتوصلا إلى حل" دون تدخل منه. وبذلك يحتفظ نجوكو براتبه وكرسيِّه المهنى، لكن بايوباكو Biobaku خلفه ولم يستقل من أعضاء المجلس سوى عضو واحد. أغضب أدجبنرو أكبارا عندما قام بتهنئة زميله وبلدياته بالوظيفة. صُدمت هيئة التدريس (وكان منهم نفر كثير من المقيمين) بالاحتجاج الدولى على "الاستعمار الجديد" وقامت الهيئة الطلابية ببعض المظاهرات. وقف جنود الشرطة مستعدين أثناء قيام المضربين الشبان بمحاولة التاثير على أبى بكر فى منزله، وهم حاملون لافتات كُتب عليها "لا سياسة فى

الجامعة". طلب أبو بكر من المضربين أن يكونوا مسئولين وعقلانيين، تماماً مثلما حدث مع المدرسين المضربين فى شهر أكتوبر، كما طلب أبو بكر منهم أن يتفهموا أوضاعهم بأنهم مجرد طلاّب ليس إلا، كانت لدى المجلس المؤقت سلطات تخول له ذلك الذى قام به. وأُغلقت الجامعة بضعة أشهر فى إثر إصابة بايوباكو بجرح نتيجة طعنة وجِّهت إليه. أهم ما فى هذا الأمر أن الشعب العادى لم يكن مبالياً تماماً بهذا الأمر، ولم يندهش له السواد الأعظم من هيئة التدريس المحلية، أما حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فقد كان متخوفاً من النقد الذى يمكن أن يترتب على ذلك، وجرى لفت انتباه الناخبين اليوروباويين إلى الجانب الذى سيدهن مستقبلاً خبزهم بالزبد. والمؤسف فى الأمر أنه لم يمكن العثور على يوروباوى آخر مناسب، تحاشياً لإغضاب زامبيا.

تمثل الموضوع الثانى فى صفقة الدكتور مبادوى العقارية. كانت هناك فى أواخر شهر فبراير مزاعم مفادها، أن الدكتور مبادوى، استفاد من مصادره السياسية، فى الحصول لشركة الاستثمار والعقار الإفريقية على عقد بقطعة أرض على الطريق المرتفع الذى يعبر مستنقعات إيجورا Ijora، من المجلس التنفيذى للتنمية فى ليجوس الذى يرأسه وزير شئون ليجوس، وأن الدكتور مبادوى قام بتخصيص العقد "للنيجر بول" Nigerpool (وهى شركة من شركات كرة القدم التى للحكومة فيها مصلحة استثمارية كبيرة، من خلال تقليل تدفق النقد إلى مراهنات كرة القدم البريطانية) نظير ربح سنوى، كان بوسع شركة مراهنات النيجر للكرة القدم Nigerpool شبه الطفيلية تحقيقه لو أن الشركة حصلت على العقد بصورة مباشرة. يقال إن ذلك المبلغ كان يقدر بحوالى ١٢٣٠ جنيهاً إنجليزياً، وهو مبلغ كفيل بإثارة قضية الفساد العام فى الأذهان فى ستينيات القرن العشرين، إذا ما قارناه بما جاء بعد ذلك. وبعد حملة صحفية استمرت أياماً عدة، والتى انضمت إليها جريدة "البايلوت" Pilot الناطقة بلسان حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين، بغية تحريض رئيس الوزراء على اتخاذ إجراء فى هذه

المسألة، التى أسكتها النفوذ السياسى الكبير، عندما خرج الدكتور مبادوى على الشعب ليقول: إن قطعة الأرض أُعطيت له فى العام ١٩٦١ قبل أن يلتحق بصفوف الوزراء، ولو كان يريد الإثراء لقام بالبناء على قطعة الأرض هذه بنفسه بدلاً من تأجيرها من الباطن لآخرين يستطيعون القيام بذلك - وإن التأجير من الباطن كان بهدف تحاشى التضارب الحاد مع مهمته الوزارية. لم يرض ذلك النقاد الذين كانوا لا يزالون يطالبون بإبعاد الرجل فى ذلك الوقت العامر بالمتاعب والاضطرابات. وهنا قام رئيس الوزراء بإجراء مقابلة مع الدكتور مبادوى، أصدر بعدها بيانًا يؤكد فيه أن الحجة التنفيذية الصادرة فى العام ١٩٦١، لم يجر تنفيذها إلا بعد أن أصبح الدكتور مبادوى وزيراً: "**الآن، وبعد فحص الأمر بدقة، أفيد أن الوزير كان قد أبلغنى من قبل أنه من أجل المصلحة العامة للبلاد فإنه يعيد قطعة الأرض، محل التساؤل، إلى الحكومة الفيدرالية، والتى منحته إياها وزارة شئون ليجوس**".

ربما يكون أبو بكر قد عاد بذاكرته إلى واقعة توس Tosبنسون الذى اشتكى من أن وزارة شئون ليجوس سبق أن خصصت قطعة أرض فى فيكتوريا، واعدة إياه بها، ثم عادت وخصصتها لمصلحة أحد المقيمين، فى تلك الواقعة قام أبو بكر باستدعاء محمد رباط ليعرف منه السبب وراء إحباط وزير بهذه الطريقة (كان محمد رباط قد حدد حلاً وسطًا، حصل بنسون بمقتضاه على قطعة بديلة من الأرض، لكنها تفتقر إلى المنظر الجميل، وخصصت له قطعة أرض أخرى فى إيكوى Ikoyi على سبيل الترضية). أضاف أبو بكر بعد العائق الحالى، "**أنا لا أعتقد أن الأمر بحاجة إلى أى إجراء أكثر من ذلك. لقد اتخذنا كل الخطوات اللازمة لمنع تكرار المواقف التى من هذا القبيل**". وشرح أبو بكر الأمر على انفراد لبابا توند Babatunde جوس من جريدة الديلى تايمز بأن قال: "**أنتم تريدون منى إبعاد هذا الرجل. إن ما فعله يتدنى عما هو صحيح، وأنه ينبغى أن يخرج من الوزارة، لكن حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين الذى وضع هذا الرجل ضمن ائتلافى الأساسى يساند بقاءه فى الوزارة الائتلافية [التى**

صوتت لجنتها المركزية بالإجماع على الثقة بمبادوى]. **وإذا ما انسحب الحزب، فى ضوء عدم تمكن أولوو من الانضمام إلى الوزارة، فإن** [الحكومة الموسعة] سوف تنهار".
واصلت جريدة الحكومة الشمالية، Nigerian citizen (المواطن النيجيرى) انتهاج سياستها المستقلة شكلاً فى تخريب الفكرة المتسلطة على ذهن أبى بكر، عن حكومة وطنية مستقبلية تضم المواهب كلها: هذا يعنى أن أبا بكر كان يتعين عليه عدم الدفاع عن أولئك الذين لا يستحقون مثل هذا الدفاع، وإن شئت فقل: السلوك الذى لا يمكن تبريره، أو الاستسلام "للتهديدات التى توجه إليه من الشواذ غريبى الأطوار أشباه الصَّنائع المعتادين" على حد قول الجريدة، هذا يعنى أن المجال لم يكن يتسع للجبناء وأن أبا بكر يتعين عليه إما أن يوافق مع الأغلبية التى هو موجود فى موقعه بفضلها، أو بإخراج مبادوى من الوزارة، أو باستقالته هو. تواصل ذلك الشجار أثناء جلسة الموازنة دون تعليق من جانب رئيس الوزراء، لكن أبرز هذه التعليقات وأقساها جاء من الرئيس كولاول Kolawole بالوجن Balogun، الذى لم يكن هو الآخر غريبًا على صفقات الأراضى، فضلاً عن كونه حاليًا مستشارًا قانونيًا وطنيًا لحزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين: "القول بأن التعامل المالى فى الأراضى... من قبل المواطنين القياديين... لم يعد تزجية مربحة للوقت يعنى بأننا بدأنا نخدع أنفسنا. كبار النيجيريين، والوزراء، والبرلمانيين، وكبار المسئولين الحكوميين، والصحفيين كلهم يشغلون مناصب أهل الثقة... هم يدخلون فى هذه المعاملات... تحت ستار الحصول على مسحوبات خيالية على المكشوف...، ثم يقومون بعد ذلك بجعل رئيس الوزراء يستسلم لهذا الكود الجديد من أكواد التحريم على النفس من قبل أولئك الذين يخدمون الشعب - وعندها يبدأ أسلوب حياتنا الجديد".

تكلم رئيس الوزراء مرارًا وتكرارًا على الملأ، عن التحريم على النفس. وقد أوردنا ذلك فى الفصل الثالث والثلاثين، والفصل الخامس والثلاثين ثم فى الفصل الثامن والثلاثين. ولم يعد لدى الرجل ما يمكن أن يضيفه الآن إلى هذا الموضوع. هذا يعنى أن

كود السلوك الوزارى الصارم الموروث أصلاً عن دوانـنج سـتـريت[*] كـان يحتـاج إلى تجريد الإدارات التجارية من حقوقها، وإلى فحص دقيق للاستثمارات ومصادر الدخل، كما كان يحتاج أيضًا إلى ترتيب شئون الأفراد على نحو لا يسمح بقيام الصراع، أو حتى السماح لمثل هذا الصراع بالظهور، بين الأداء الصحيح للخدمة العامة والمصالح الخاصة أو الشخصية. معروف أن الأوامر البريطانية العامة الخاصة بالخدمة المدنية تحتم على الموظف العام أن يعلن للحكومة عما لديه من أسهم والمصالح التى تحقق له أرباحًا (وذلك حتى يمكن تجريده من الزيادات فى حال ثبوت الصراع وكبر حجمه)، وتحرم عليه أيضًا العمل المباشر فى التجارة، والعمل الخارجى لحساب الوكالات التجارية الخاصة، وأن يكرس الموظف خدماته كلها ومواهبه لتكون تحت تصرف الحكومة طول الوقت. كان الموظفون البريطانيون قد اعتادوا على رفض الحاكم السماح لهم بامتلاك استثمارات محلية، لكن الموظفين المحليين لم يفهموا بطبيعة الحال عوائق الاستثمار فى مشروعات بلادهم. لابد أن الحاج السير أبا بكر كان منشرح الصدر وهو يطبق هذه الأوامر القضائية المأخوذة عن أسلوب الحياة البريطانى تطبيقًا حرفيًا، بل إن أناسًا كثيرين آخرين من غير مسئولية المقربين وقليل من مؤيديه كانوا يودون تفعيل هذه القواعد بعد العام ١٩٦٠ الميلادى. ولما كان الكود القانونى يحتاج إلى رغبة وإلى وجود مشاركة متفاهمة فإن البديل الواقعى الذى أبرزه كولا بالوجن، عضو حزب المجلس الوطنى للمواطنين النيجيريين فى أول وزارة لرئيس مجلس الوزراء، لا اعتراض عليه فى النظام الديموقراطى. وقد تنبه ضابط الجيش، إلى الوقت الذى كان القائد العام ولبى – إيفرارد يقوم فيه بتوزيع الضباط من خلال جولات تفتيشية كان يقوم بها قبل تقاعده مع انتهاء عقده فى شهر مايو .

(*) مقر البرلمان البريطانى. (المترجم)

المؤلف فى سطور:

تريفور كلارك

مؤلف الكتاب ، رجل أسكتلندى تخرج فى جامعة أكسفورد ، وهو محام غير ممارس فى مدينة مدل تمبل . عمل هذا الرجل ضمن القوات البريطانية فى كل من سيراليون وجامبيا ، وبخاصة قوات الحدود الإفريقية الغربية الملكية ، فى فترة الحرب العالمية الثانية ، باعتبار هذه القوات جزءًا من الفرقة الحادية والثمانين المتمركزة فى وادى كالدان . بعد انتهاء حرب المحيط الهادى ، جرى إلحاق تريفور كلارك على الفرقة الثانية والثمانين فى رانجون عاصمة بورما برتبة رائد.

التحق تريفور كلارك بخدمة صاحبة الجلالة الإدارية فى نيجيريا فى العام ١٩٤٨، ومارس الرجل وظيفة رئيس حى مساعد ممارسة ناجحة . كان الرجل مساعداً الرئيس حى كاتاجوم فى بلده آزار ثم أصبح بعد ذلك رئيس حى الارى ، ثم بعد ذلك رئيسًا لباوتشى ، ثم أصبح بعد ذلك سكرتيراً منابًا للمجلس التنفيذى ، فى مكتب حاكم نيجيريا ، فى مجلس وزراء الشمال ، ثم أصبح رئيس حى أول فى بلدة إجبيرا فى أوكينى . وفى باوتشى تعرف تريفور على السير أبى بكر نافا واباليوا تعرف جيداً والتقاه بعد ذلك مراراً فى كادونا ، وأوكينى ، وليجوس .

تقاعد تريفور كلارك من الخدمة العسكرية فى العام ١٩٧٧ ، عين مستشار المدينة أدنبره ، فى أسكتلندة ، وأصبح عضواً فى لجنة أختبار كبار الموظفين .

المترجم فى سطور:

صبري محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجالات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلات الفيصل – الرياض – المملكة العربية السعودية، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية – الرياض – المملكة العربية السعودية ، والمجلة العربية – الرياض – المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال – القاهرة – جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية منها :

(أ) كتب نشرتها دور نشر عربية .

١ – التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ – الشاعر والشكل ، تأليف : جدسون جيروم ، دار المريخ .

٣ – الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجهًا لوجه ، دار المريخ .

٤ – الأطفال والمخدرات ، دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار آفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١ – الموظف المشاكس .

٢ – عمل الفريق الفعال .

(جـ) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال . القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ - الكاكائين والمرهقين .

٣ - بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ - حلم ليلة إفريقية .

(هـ) كتب روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية .

١ - سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أمبسون .

٢ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ، تأليف : بالجريف (جزءان) .

٣ - حركات التحرر الإفريقى ، تأليف : ريتشارد جبسون .

٤ - إرادة الإنسان فى علاج الإدمان .

٥ - قلب الجزيرة العربية (جزءان).

٦ - سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - سكين واحد لكل رجل .

٢ - نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ - المهمة الاستوائية .

التصحيح اللغوى : علا طعمة
الإشراف الفنى : حسن كامل